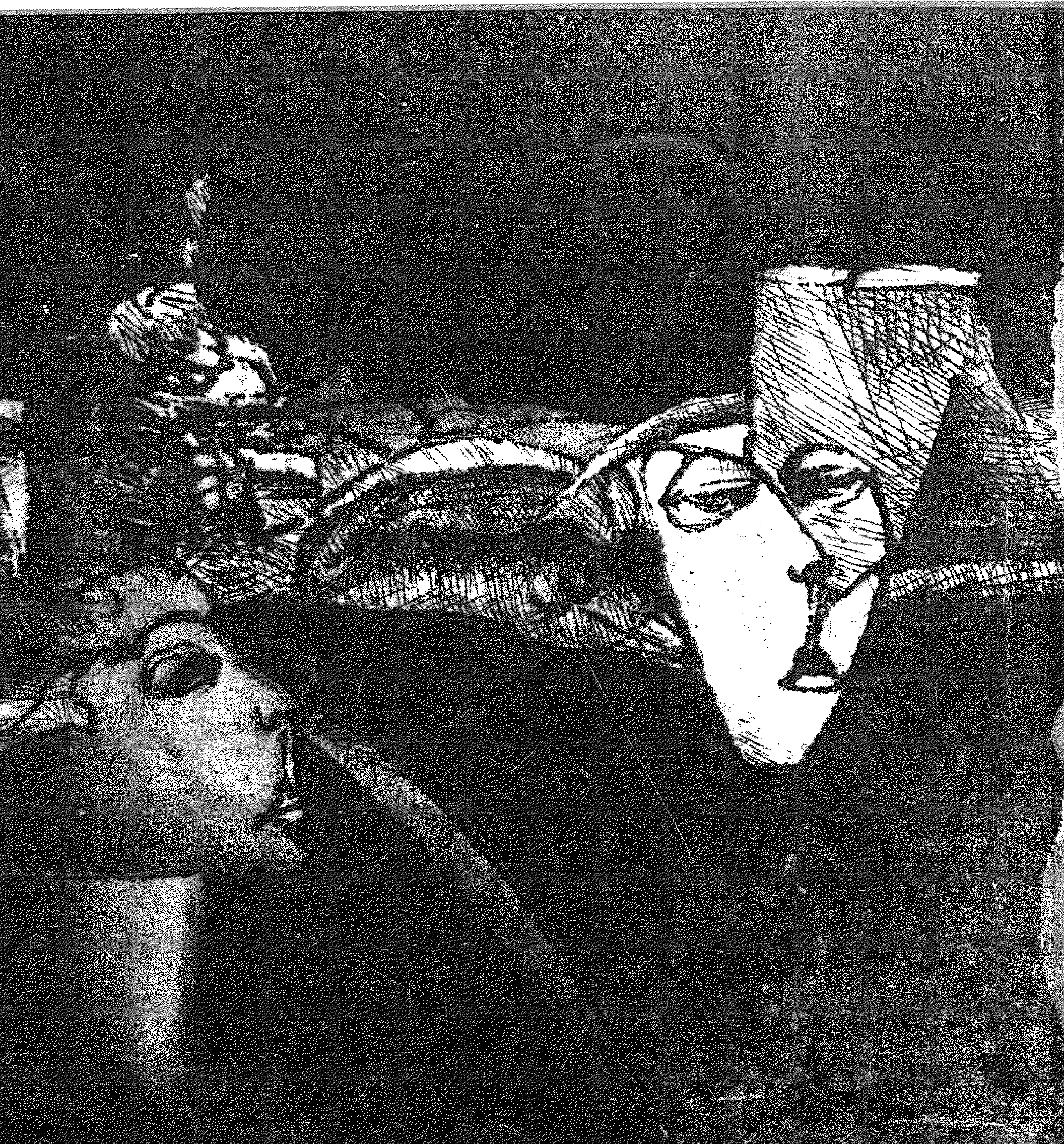
# شؤون فلسطينية

٧١ تشرين اول ( اكتوبر ) ١٩٧٧



# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

٧١ — تشرين اول ( اكتوبر ) ١٩٧٧

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية



**العنوان** : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ( متفرع من السادات ) ؛ راس بيروت ، بيروت — لبنان ؛ ص.ب ١٦٩١ . تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ؛ التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٦٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل.ل. في سائر الاقطار العربية، ١٠٠ ل.ل. في اوروبا ، ١٢٥ ل.ل. في بقية بلدان العالم .

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٦٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : تفصيل من لوحة
للفنان ناصر السومي

# المحتويات

الصفحة

٤

ابـــراهيم أبو لغــــد

# حول سـياسَـة أمــريكا الفلسطينيّــة

## مدخــل

ان سياسة امريكا الخارجية انطلقت وما تزال تنطلق من قاعدتين اساسيتين يمكننا وصفهما بقاعدة المبادىء وقاعدة المصالح · وفي معظم الحالات المعاصرة ترسم امريكا سياستها الخارجية مهتدية بمصالحها ، او بتقديرها لمصالحها مع ربط هذه المصالح وتبريرها وتفسيرها بمبادىء عامة يعتقد الساسة بأن الشعب الامريكي يؤمن بها . وبالتالي لا بد من مراعاتها والاهتداء بها · وعبر التاريخ الامريكي القصير نسبيا ، نلاحظ بأن امريكا اتخذت مواقف اخــــلاقية حيال الصراعات الدائرة في اوروبا ورسمت سياستها الخارجية الاوروبية استنادا الى مبادئها الاساسية التي يؤمن بها الشعب الامريكي · وعلى سبيل المثال قام الشعب الامريكي بنصرة الشعوب الاوروبيــة الثائرة ضــد انظمــة الاقطاع والاتوقراطية في القرن التاسع عشر ، وايدت حق هذه الشعوب في تأسيس نظم قومية برجوازية متحررة من الحكم المطلق المستبد او الحكم الاجنبي · الا ان امريكا في نفس الفترة الزمنية ايدت نضال شعوب امريكا اللاتينية ضد حكم الاسبان استنادا الى نفس المبادىء مع العلم بأن مصالح امريكا الاقتصادية التي بدأت بالنمو في تلك القارة كانت في الوقت نفسه تتطلب اضعاف الحكم الاسباني واقامة السيادة القطرية الضعيفة ليتسنى للشركات الامريكية حرية الاستثمار والتجارة في هذه الاقطار · وفي الحالات وهي كثيرة ـ التي ظهر بها تناقض المبادىء مع المصالح ، آثرت امريكا تجاوز هذه المبادىء لتحقق مصالحهــا الاقتصادية · فسمحت لنفسها في حالات كثيرة في مجالها الحيوي في امريكا

الوسطى وامريكا الجنوبية ، ان تتدخل عسكريا بارسال قواتها البحرية للقضاء على انظمة حكم وطنية كانت تحاول التخلص من الهيمنة الاقتصادية الامريكية . او كانت تطمح بتوطيد اسس استقلالها وسيادتها الوطنية . ويلاحظ دارسوا سياسة امريكا الخارجية ، ان هذه السياسة في معظم الحالات هي محصلة الضغوط التي تمارسها فئات وقطاعات امريكية لها مصالح محددة ، على اجهزة الحكم الامريكي ، تحمل الجهاز التنفيذي على تبني وجهة نظر هذه المصالح والقطاعات الخاصة مع اعطائها تصورا وتبريرا قوميا شاملا . ومن هنا نشأ مفهوم « الصالح القومي » كأساس لسياسة امريكا الخارجية وما هو في جوهره سوى المصلحة الذاتية لقطاع قوي يهيمن على صنع القرار السياسي الخارجي .

## الوجود الامريكي في الوطن العربي

بالرغم من ان الوجود السياسي الامريكي المكثف في الوطن العربي حديث العهد نسبيا ، ويعود الى الحرب العالمية الثانية ، الا اننا يجب ان ندرك بان امريكا تواجدت في الوطن العربي وتفاعلت معه منذ نشأتها وتكوينها السياسي . ولعله من المفيد ان نذكر القارىء بأن اول تفاعل بين امريكا واجزاء من الوطن العربي كان تفاعلا حربيا بحريا ، عندما نظمت امريكا حملة حربية بحرية ضد ليبيا في اوائل القرن التاسع عشر لاخماد المقاومة البحرية العربية للعدوان البحري الذي كانت تشنه اوروبا على الوطن العربي ، كما ان امريكا قامت بحركات عدوانية بحرية ضد المغرب في اواخر القرن التاسع عشر وذلك في محاولة الغرب لاحتكار البحر الابيض المتوسط في عملية احتواء الوطن العربي والتحكم في مصائره . الا ان الوجود الامريكي الحقيقي في الوطن العربي مقرون بالحملات التبشيرية الدينية والتي تولدت عنها المؤسسات التعليمية خاصة في لبنان وسوريا والى حد بسيط في مصر . وبالرغم من ان هذه الحملات التبشيرية والمؤسسات التعليمية قامت بها قطاعات خاصة . الا انها حظيت بتأييد السلطة الحاكمة التي دعمتها ماديا وسياسيا عبر السنوات . ويلاحظ من تابع التدخل التدريجي الامريكي في الوطن العربي ، ان امريكا حرصت كل الحرص ان تدخل الى هذا الوطن محتمية بالنفوذ الاستعماري الاوروبي – البريطاني خاصة – وحرصت دائما ان تحصل على الامتيازات الاستعمارية التي حظي بها البريطانيون والفرنسيون . فحصلت امريكا على حصانة مؤسساتها ، وعلى اعفائها من الضرائب الوطنية ، وعلى حرية الاستثمار وحرية تجارها كما لو كانت آنئذ دولة كبرى تتعامل مع الدولة العثمانية الضعيفة . فحصلت نتيجة لذلك على الامتيازات الاوروبية نفسها والتي اطلق عليها Capitulation . وخلاصة القول ان الوجود الامريكي في الوطن

العربي ، بشكله وجوهره ، ارتبط الى حد بعيد بميزان القوى السائد حينئذ والذي اكد بداية التبعية العثمانية وبالتالي العربية للاستعمار الاوروبي الذي آثرت امريكا ان تستفيد من مكاسبه وانجازاتـه · ولهــذا تمكنت المؤسسات الامريكية في الوطن العربي ، سواء التعليمية او التبشيرية او الاقتصادية من التفاعل مع الشعوب العربية بشكل غير متكافىء ، وكان التفاعل شبيها بالتفاعل بين السيد والمسود ·

## بداية الاعلام الامريكي عن الشعوب العربية

شهدت هذه الفترة التاريخية بداية الاعـلام الامريكي عن الوطن العـربي والشعوب العربية وذلك عن طريق التقارير العديدة في اجزاء من الوطن العربي ، ساهموا في بناء المؤسسات التعليمية الامريكية في اجزاء من الوطن العربي اضافة الى بعض التقارير الصحفية او الكتب الوصفية التي نشرهـــا بعض الكتاب · والصورة التي تكونت لدى القارىء الاميركي ، او ذلك المواطن الذي اراد ان يدعم العمل التبشيري في الوطن العربي ، كانت صورة قاتمة · ظهر الشعب العربي عبر هذه التقارير او الكتب وهو متخلف ، قذر ، يؤمن بدين الاسلام الذي تحاول دول اوروبا المسيحية المستنيرة اضعافه ، وهو شعب يعادي « الحضارة » الجديدة وبالتالي في امس الحاجة الى من يقوده الى مستقبل افضل · فهذا الشعب العربي المتخلف ، يفتقد الى التعليم ، يسيء الى الارض ، وهو بعيد عن الصناعة ويؤمن بالخرافات ويقبل الحكم الظالم ولا يعرف للحرية معنى · اضافة الى ان هذا المجتمع يسيء الى نسائه واطفاله الخ · ان هذه الصورة السلبية المتعددة للشعب العربي بدأت تظهر في وسائل الاعلام الامريكية في القرن التاسع عشر مما ادى في نهاية الامر الى اعتبار التدخل والتحكم الاوروبي عملا انسانيا ضروريا لخدمة الشعب العربي وربطه بالحضارة الحديثة، وبالتالي مساهمة طيبة « لانقاذه » من تخلفه وبربريته · وانطبقت هذه الصور الوصفية على الشعوب العربية عامة الا ان كثيرا من مادتها جاءت عن طريق الوصف الامريكي لما اسمته « بالبلاد المقدسة » ، التي جاءها الامريكيون بدافع ديني صرف · وما كتب عن هذه الاراضي وشعبها الفلسطيني لا يقل سوءا عن ذلك الوصف الذي ارتكز واستمد مادته من اراضي عربية اخرى كسوريا ولبنان· ويلاحظ من تتبع هذا الادب الامريكي الوصفي للوطن العربي بأن النظرة المستعلية الامريكية والتي عبرت عن احتقار الكتاب لما شاهدوه من مظاهر الحياة كانت الى حد بعيد مرتبطة بالعداء الديني للمسلمين والاسلام ·

شكلت هذه الارضية اطار التصور الامريكي الاولي لبداية صراع الشعب الفلسطيني ضد مشاريع الاستيطان الاوروبي اليهودي · اذ جاءت هذه المشاريع

الى الساحة الامريكية اثناء الحرب العالمية الاولى ، والتي ساهمت بها امريكا عسكريا وعقائديا عندما طرح الرئيس ويلسن مبدأ « تقرير المصير » كمبدأ اساسي امريكي لا بد من انجازه ومتابعته بعد هزيمة الدول المركزية ـ المانيا والامبراطورية العثمانية . وبالرغم من المحاولة الامريكية الجادة لتطبيق هذا المبدأ في اوروبا ولصالح الشعوب الاوروبية بعد نهاية الحرب ، الا ان هذا المبدأ اصطدم بحقيقة مطامع بريطانيا وفرنسا في الوطن العربي وبالرغم من ان هاتين الدولتين كانتا على اتفاق كامل حول تقاسم الوطن الغربي فيما بينهما ، الا انهما اقرتا ، بناء على رغبة الرئيس ويلسن ، ارسال لجنة امريكية لتتحرى رغبة هذه الشعوب ، فجاءت اللجنة الامريكية الاولى والتي عرفت بلجنة كنج ـ كرين ( King - Cran Commission ) الى سوريا ( والتي شملت حينئذ فلسطين ولبنان ) ، وبعد زيارات ولقاءات عديدة ، قدمت تقريرها الى مؤتمر السلام ، وكان تقريرها واضحا بأن هذه الشعوب تبغي الاستقلال الكامل ، وان الشعب الفلسطيني يعارض المشروع الصهيوني الذي يهدف الى سلخ فلسطين عن سوريا ووضعها تحت الانتداب البريطاني ليحقق الحكم البريطاني وعد بلفور بتكوين الوطن القومي للشعب اليهودي في فلسطين . الا ان مؤتمر السلام لم ينظر في هذا التقرير ، كما ساهمت العناصر المؤيدة للحركة الصهيونية في وزارة الخارجية الامريكية بطمس هذا التقرير الواضح العادل وحفظه في ملفات الخارجية الامريكية ولم ير الحياة الا بعد عشرين سنة تقريبا .

## الجماعات الصهيونية ومطالب الحركة الصهيونية

وفي نفس الفترة الزمنية نلاحظ بأن الجماعات الصهيونية الامريكية ، على ضعفها حينئذ ، تمكنت من ابراز مطالب الحركة الصهيونية العالمية في فلسطين، وحققت نجاحا عبر استصدار مجموعة من القرارات في مجلسي النواب والشيوخ الاميركيين تؤيد مطالب الحركة الصهيونية في فلسطين ، وكانت هذه بداية لسلسلة من القرارات يقرها الكونجرس الامريكي سنويا لصالح الحركة الصهيونية . ويلاحظ من تتبع هذه الحقبة التاريخية من التأييد التشريعي الامريكي للحركة الصهيونية بانه لم يرد اي ذكر للشعب الفلسطيني ، وكأن مطالب الحركة الصهيونية مرتبطة اما بالسياسة الاوروبية او بمعارضة شعوب عربية اخرى ، وكأن الشعب الفلسطيني غير متواجد على ارضه . كما ان الحركة الصهيونية استفادت الى حد بعيد من التصور السلبي للشعوب العربية والاسلامية الذي ساهم المبشرون والكتاب في نقله الى امريكا عبر وسائل الاعلام الامريكي ، وبدأت هذه الحركة بتعبئة الرأي العام الامريكي عبر هذا الاعلام لنصرة المطالب الصهيونية وتصوير الانجاز الصهيوني في فلسطين وكأنه انجاز حقيقي للحضارة

الغربية على ارض متخلفة ، تسيرها حضارة رجعية بحاجة الى من يرشدها الى الطريق الصحيح ٠

كذلك نلاحظ في عشرينات هذا القرن ، بداية تعاطف الحركة العمالية الامريكية مع مطالب الحركة الصهيونية ، هذا التعاطف الذي ما زال قائما . ويعتبر ركيزة اساسية للتحرك الصهيوني في امريكا ٠ وقد كان تعاطف الحركة العمالية في بداية الامر مرتبطا الى حد بعيد بالقيادات العمالية اليهودية في نقابات العمال اليهود المتواجدة في نيويورك وعبر تحالف النقابات العمالية المختلفة ، تمكنت القيادات اليهودية من الحصول على دعم القيادات العمالية المسيحية للمشاريع الاستيطانية الاخرى ٠ كما وانه يجب علينا ان نذكر بأن القيادات الاشتراكية العمالية والمعادية للاتحاد السوفيتي كذلك ، تحالفت مع القيادات العمالية النقابية الاخرى في دعمها للحركة الصهيونية ٠ وكان نتيجة لهذه التحالفات العمالية المختلفة ان تمكنت الحركة الصهيونية رغم ضعفها النسبي في امريكا من الحصول على الدعم الثابت لمبدأ تأسيس الوطن القومي اليهودي ٠

نلاحظ من هذا السرد التحليلي بداية٠تكوين القرار السياسي الامريكي فيما يتعلق بفلسطين او بالصراع الفلسطيني ــ الصهيوني ، اذ نلاحظ انه في البداية تمكنت الحركة الصهيونية من ايجاد تكتل شعبي امريكي لخدمة الحركة الصهيونية ، تمكن هذا التكتل تاريخيا من استصدار مجموعة من القرارات السياسية الامريكية لصالح الوطن القومي اليهودي ولقمع الحركة الوطنية الفلسطينية ٠ وفي بدايته كان هذا التكتل يتمثل في فئات الكونجرس الامريكي ووسائل الاعلام والحركة العمالية الامريكية ، وفي فترات لاحقة ، تمكنت الحركة الصهيونية من استقطاب فئات اخرى اضافت الى تعدد مراكز القوى الداعمة للحركة الصهيونية ولاسرائيل فيما بعد ٠ وعلى سبيل المثال لا الحصر . نلاحظ في الثلاثينات بداية التكتل المسيحي الكنسي الذي تمثل تنظيميا في « اللجنة المسيحية لفلسطين » والتي تبوأت مركز الصدارة المسيحية في الدعوة الى الوطن القومي اليهودي ، كما ونلاحظ بداية اهتمام الحركة السوداء المعتدلة بالقضية الفلسطينية والذي تمثل في « الجمعية القومية لتطوير الشعوب الملونة » التي بدأت كذلك في استصدار قرارات دعم للوطن القومي اليهودي وآخرا وليس اخيرا بداية دعم المثقفين الليبراليين لهذا المشروع خاصة بعد تدفق المثقفين اليهود الاوروبيين الى امريكا في الثلاثينات والاربعينات٠نخلص من هذا كله الى حقيقة واحدة : ان الحركة الصهيونية الامريكية عملت بصبر وعناية وذكاء لايجاد قاعدة شعبية امريكية عريضة ملتزمة بتحقيق مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين وعملت الحركة الصهيونية عبر هذه التجمعات للضغط على

الجهاز التنفيذي الحكومي لاتخاذ القرار السياسي المناسب ٠

## تحولات عالمية

نعلم جيدا بأن الاربعينات شهدت تحولات عالمية في موازين القوى ، وكان لهذه التحولات آثار وانعكاسات مهمة مصيرية عالمية على القضية الفلسطينية ٠ بدأت امريكا تحتل المركز الطليعي الرئيسي الغربي ، وبدأت تحتل مكان بريطانيا كأهم دولة غربية معاصرة كما ان هذا التحول ادى الى احتلال الحركة الصهيونية الامريكية صدارة الحركة الصهيونية العالمية وتحول مركز الثقل السياسي من بريطانيا الى امريكا ، ومع هذا التحول اصبح واضحا في اوائل الاربعينات بأن القرار السياسي الامريكي فيما يتعلق بفلسطين سيكون له اهمية كبرى في حسم الصراع الصهيوني ــ الفلسطيني ، فقامت الحركة الصهيونية الامريكية بتعبئة قواها لاستصدار القرارات المناسبة ، وكان بداية هذه القرارات رفض امريكا للكتاب الابيض البريطاني الذي صدر عام ١٩٣٩ ، ثم تبني مطالب الحركة الصهيونية بتأسيس دولة يهودية في فلسطين كما وضح ذلك برنامج البلتمور ٠ وما كادت الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها ، الا وشاهدنا الحركة الصهيونية تبذل جهودا ضخمة لحمل الحكومة الامريكية على تبني جميع مطالب الحركة الصهيونية ، وظهر نجاح الحركة الصهيونية عبر التجمعات الشعبية الامريكية الانفة الذكر ، عندما طالب الرئيس الامريكي ترومان الحكومة البريطانية بالسماح لـ ١٠٠ الف مستوطن يهودي بدخول فلسطين فورا وكان ذلك عام ١٩٤٦ ٠ ونذكر بأن الرئيس روزفلت بدافع المصالح الامريكية الاقتصادية في الوطن العربي كان قد وعد الملك عبدالعزيز آل سعود بأن لا يتخذ قرارا سياسيا مجحفا بحقوق الشعب الفلسطيني ٠ الا ان الرئيس ترومان كان اكثر احساسا بعوامل الضغط المحلية الامريكية ، وكان اكثر حاجة لدعم التجمعات والفئات المحلية التي تعاطفت مع الحركة الصهيونية ، فعندما تصارع المبدآن ــ ذلك الذي يتعلق بمصالح امريكا في الوطن العربي والذي كان يتطلب قرارا سياسيا مؤيدا لحقوق الشعب الفلسطيني وذلك الذي يتعلق بمصلحة الرئاسة الامريكية على الصعيد الوطني الامريكي والذي يتطلب قرارا سياسيا مؤيدا لمطالب الحركة الصهيونية ــ تغلب القرار الرئاسي ، وآثر ترومان مصلحته فنادى بضرورة تحقيق مطالب الحركة الصهيونية دون ان يكون لوعود روزفلت او الايمان النظري اي اثر في اتجاهات الدولة الامريكية ٠

وتمثل هذا الدعم بتشكيل اللجنة الامريكية ــ البريطانية للتحقيق في مشكلة فلسطين والتي اوصت بضرورة فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية فورا

وبتأسيس الوطن القومي اليهودي غير مكترثة بالحقوق العربية الفلسطينية او بردود فعل ذلك في الوطن العربي ، الى ان لعبت امريكا الدور الرئيسي في انجاح مشروع قرار تقسيم فلسطين في الجمعية العامة للامم المتحدة عـــام ١٩٤٧ ٠ ويهمنا ان نذكر مرة اخرى بان هذه السياسة الامريكية كان مصدرها الرئيسي البيت الابيض الذي آثر الانفراد بفرض هذه السياسة على الخارجية الامريكية ٠ وقد ظهر التناقض بين التوجهين : رئاســـة الجمهوريـــة ووزارة الخارجية في الوثائق السياسية الخارجية التي صدرت عـــن الدبلوماسية الامريكية عامي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ قبل عام ٠ اذ يظهر بوضوح مـــن تقارير الدبلوماسيين الامريكيين في الوطن العربي بأن هؤلاء اوصوا باتباع سياســـة امريكية تحترم حقوق الشعب الفلسطيني وحذروا من عواقب عربية ان اتبعت امريكا سياسة مؤيدة لحركة الصهيونية ٠ والذي لا شك فيه ، بأن الدبلوماسيين الامريكيين في الوطن العربي وصلوا الى قراراتهم وتقييمهم للنتائج السياسية للموقف الامريكي بناء على تقديرهم للمصالح الاقتصادية الامريكية في الوطن العربي ، والتي شعروا بانها مهددة عربيا اذا اصرت امريكا على تأييد مطالب الحركة الصهيونية ٠ الا ان الرئيس ترومان آنذاك كان اكثر احساسا وحرصا على كسب مراكز القوى الداخلية والتي تعاطفت مع الحركة الصهيونية وآثر ارضاء هذه المراكز التي اقنعته حينئذ بأن مصالح امريكا في الوطن العربي سوف لا تصاب بأذى ٠ ومرة اخرى تغلبت مصالح البيت الابيض ، وتشكلت اسرائيل مدعومة بالمال الامريكي ، والسياسة الامريكية ، والآلات الامريكية ٠ وكلنا نذكر بأنه لم يمض ١٥ دقيقة على اعلان تكوين اسرائيل الا وقد اعترفت امريكا رسميا بوجودها ، وهو حدث تاريخي ليس له سابق او لاحق في تاريخ الدبلوماسية الامريكية ٠

## سياسة امريكا الفلسطينية من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧

اصبحت سياسة امريكا الفلسطينية بعد ١٩٤٨ مرتبطة الى حد بعيد بالسياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي من جهة وتجاه صراع امريكا مع الاتحاد السوفيتي من جهة اخرى ٠ اذ ان امريكا تولت قيادة المعســـكر الرأسمالي في الصراع ضد الاتحاد السوفيتي وفي محاولة دول الغرب احتواء النفوذ السوفيتي ، ومن هذا المنظور تشكلت السياسة الامريكية حيال دول العالم الثالث بشكل عام ٠ حيال هذا الصراع العالمي ، حاولت امريكا ايجاد سلسلة من الاحلاف العالمية لربط آسيا بالسياسة الامريكية ، واستحسنت ايجاد هذه الاحلاف مع انظمة وطنية لا تحظى بتأييد شعبي ، مستعدة لان تحول ارضها الى قواعد عسكرية او بحرية او جوية امريكية ٠ ومن هنا ازداد اهتمام امريكا بالوطن العربي لموقعه الاستراتيجي العالمي ٠ الا ان الوطن العربي آنذاك كان

يعاني من بقايا الاستعمار الاوروبي القديم ، او كان في بداية تحوله السياسي الوطني لتكوين اسس قوية لاستقلاله الوطني ولم يشارك امريكا في عدائها للاتحاد السوفيتي · وتأكدت امريكا في بداية الخمسينات بأن التحولات السياسية الداخلية ان لم تضبط ، وان التوتر العربي ـ الاوروبي ان لم يهدأ ، سيؤثران في الاتجاهات السياسية للوطن العربي · ولهذا حاولت امريكا تبني سياسة عامة عربية من شأنها ان تنتج استقرارا داخليا وتوجها امريكيا · وتبرمجت هذه السياسة اجرائيا بسياسات مترابطة متعددة الاشكال ·

١ ـ **فلسطينيا** : اكدت امريكا ارتباطها الوثيق باسرائيل اولا بالالتزام الثلاثي ١٩٥٠ ـ امريكا وبريطانيا وفرنسا ـ باحترام استقلال وسلامة اسرائيل · وثانيا بالدعم العسكري والمالي لاسرائيل · وفي الوقت نفسه حاولت امريكا ان تجد حلا لما اسمته « بمشكلة اللاجئين » فدعمت جهود الامم المتحدة باطعـــام واسكان اللاجئين في مخيماتهم ، الى ان ثبتت سياسة التوطين الفلسطيني في الوطن العربي ، ويهمنا في هذا المجال ان نذكر ثلاثة امور : اولا ان امريكا لم تعترف حينئذ بحقوق الشعب الفلسطيني في وطنه ، بل انها اعترفت بوجوده كشعب لاجيء لا بد من مساعدته انسانيا لارتباط ذلك بسياسة استقرار المنطقة ، ثانيا ايدت امريكا حق اللاجيء الفلسطيني في العودة الى بلده ، اذا كان على استعداد للعيش بسلام مع الحكم الاسرائيلي ، او تعويضه عن ممتلكاته . ثالثا تبلورت هذه السياسة في نهايتها بمشروع « التوطين » الذي طرحه وزير الخارجية الامريكية جون فوستر دالاس عام ١٩٥٤ والذي رفضه حينئذ الشعب الفلسطيني والدول العربية حيث ان مشروعه هذا كان يهدف الى توطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية لانهاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ·

ان هذه السياسة الامريكية توضح بأن امريكا لم تعترف بالوجود الوطني الفلسطيني ولم تعترف اصلا بان هذا الشعب يتمتع بحقوق وطنية في ارضه · واهتمام هذه السياسة بمطالب الشعب الفلسطيني ارتبطت تاريخيا بتقدير امريكا لدور الشعب الفلسطيني في الوطن العربي ، ولهذا آثرت ان تجد له مخرجا لكي لا يشكل عقبة في ربط الوطن العربي بالسياسة العسكرية الامريكية ·

٢ ـ **عربيا** : اتبعت امريكا سياسات متعددة تجاه الاجزاء المختلفة للوطن العربي · اولا حاولت امريكا ربط الدول العربية الملكية خاصة بسياستها وقد وجدت استجابة طيبة لهذه السياسة ، فدعمت المملكة العراقية حينئذ ، ودعمت الاردن والسعودية وليبيا ، ثانيا حاولت امريكا ايجاد حل يقبله الطرفان للصراع العربي ـ الاوروبي خاصة في شمال افريقيا الا انها لم تدعم حركات الاستقلال التحررية ، ثالثا حاولت امريكا احتواء حركة التحرر الوطني في مصر وسوريا وفي اجزاء اخرى من الوطن العربي · ومما لا شك فيه بأن امريكا اصبحت دولة

ذات اهمية كبرى في الوطن العربي في عقد الخمسينات . وعندما تبلورت الحركات السياسية الكبرى في الوطن العربي وتمحورت بين حركة التحرر الوطني والحركات المحافظة ، وجدت امريكا نفسها الحليف الاكبر لهذه الدول. وعندما تعاظم الصراع السياسي الداخلي في الوطن العربي في الستينات ، جندت امريكا نفسها وحلفاءها للقضاء على حركة التحرر الوطني . وتثبيت دعائم التجزئة والقطرية في الوطن العربي .

٣ ـ **اسرائيليا** : سمحت امريكا لفرنسا والمانيا الغربية والى حد ابسط بريطانيا وكندا بتولي المسؤولية الاولى في الدعم العسكري لاسرائيل حتى سنة ١٩٦٧ . وتولت هي دعم اسرائيل ماديا وسياسيا ودبلوماسيا . واصبح واضحا بأن للدعم الامريكي لاسرائيل لم يعد مرتبطا بدعم تجمعات امريكا لسياسة مؤيدة لاسرائيل ، بل تجاوز ذلك لان اسرائيل تلعب دورا اساسيا في سياسة التأديب للحركة الوطنية العربية ، وان المواجهة الاميركية لحركة التحرر الوطني في الوطن العربي تتم عن طريق دولتها العميلة في المنطقة والتي تتولى عملية احتواء هذه الحركة التحريرية .

ولما فشلت السياسة الاميركية في الوطن العربي في احتواء حركة التحرر الوطني ، وربط الوطن العربي بالسياسة العالمية الاميركية ، آثرت ضربها جذريا باستخدام اسرائيل عام ١٩٦٧ بحرب سريعة للقضاء على مراكز هذه الحركة . وكان ما كان . واعتقدت امريكا آنذاك بان الضربة الاسرائيلية لا شك قاضية . وانه لم يعد لحركة التحرر الوطني الا ان ترضخ . وبالرغم من ان الضربة الاسرائيلية كانت مؤلمة ، الا انها لم تكن قاضية ، وحدث ما لم يكن في الحسبان .

**المقاومة الفلسطينية**

طرحت المقاومة الفلسطينية نفسها بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ وكانت امتدادا جديدا لحركة التحرر الوطني العربي . اذ ان المقاومة لم تبرز الوجود الفلسطيني فقط ، بل أبرزت مفاهيم جديدة للنضال العربي . فالمقاومة الفلسطينية طالبت باستقلال فلسطين وتحريرها من الصهيونية ، واعلنت للعالم مفهومها للدولة الاسرائيلية على *انها دولة استعمارية استيطانية* ، وربطت المقاومة بينها وبين حركات التحرر الوطني في العالم واكدت بان نضالها ضد الاستيطان الصهيوني *هو كنضال شعوب افريقيا ضد الاستيطان الاوروبي* . واكدت المقاومة بانها تعادي هذا الاستيطان اينما كان ، وتعادى من يؤيد هذا الاستيطان ، وانه في *عالمنا هذا* ، تجد *الدول* الاستيطانية دعمها من *الدول* الاستعمارية وتجد حركات التحرر الوطني دعمها من الدول المتحررة . اضافة الى هذا ، ومن

هذا المنظور ، لا يمكن اعتبار صراع الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية صراعا محليا . بل هو جزء لا يتجزأ من صراع الشعوب في آسيا وافريقيا ضد قوى الاستعمار العالمي الذي تقوده امريكا ٠ وان حسم هذا الصراع لا يتم الا عن طريق حرب التحرير الشعبية التي تستند الى السلاح وتعبئة الشعب كاملا ٠

اضافة الى هذا ربطت بعض فصائل المقاومة بين اسرائيل وامريكا وبعض الدول العربية واصرت هذه في بعض اطروحاتها بان تحرير فلسطين يتطلب تحرير الوطن العربي من الاستعمار والرجعية العربية التي ترتكز الى الاستعمار ، وبان الثورة المسلحة للقضاء على الاستطيان الصهيوني تشمل الثورة على الاوضاع العربية التي تؤيد هذا الاستيطان بشكل مباشر او غير دباشر ٠

كان للطرح والبروز الفلسطيني الى الساحة اثر عميق على التوجه السياسي الاميركي ٠ اذ ان ذلك جاء ليفاجىء الساسة الاميركيين ولم تكن اجهزة امنهم القومي على علم بهذا الوجود الفكري والسياسي والحركي ٠ وادركت الحكومة الاميركية الخطر الحقيقي الذي يتمثل في المقاومة الفلسطينية ٠ اذ ان المقاومة شكلت خطرا مباشرا على امن اسرائيل وهي قاعدة امريكا الاساسية في الوطن العربي ٠ كما ان المقاومة . بفكرها ووجودها شكلت خطرا اساسيا على استقرار اجزاء من الوطن العربي تحرص امريكا على امنها وسلامتها ، كما انها اصبحت قدوة للجماهير العربية من المحيط الى الخليج ، وعبرت تعبيرا واضحا عن الرفض العربي للوجود الغربي في الوطن العربي ولاي هيمنة اجنبية في هذا الوطن ٠

ولهذا تخلت امريكا عن سياستها القديمة والتي في مجملها « اهملت » الوجود الفلسطيني ، وما ان ازداد تعاطف شعوب العالم مع المقاومة الفلسطينية ومطالب الشعب الفلسطيني ، والذي ظهر واضحا في عام ١٩٦٩ ، حتى ظهرت السياسة الاميركية الجديدة حيال الشعب الفلسطيني ، وجاءت هذه السياسة امتدادا لسياسة امريكا التقليدية تجاه حركات التحرر الوطني التي تستند الى العنف الثوري ، وهي سياسة المواجهة التي تبغي القضاء المبرم على حركة التحرر الوطني ٠ اصرت امريكا بعد عام ١٩٦٧ على عدم وجود مطالب عادلة للشعب الفلسطيني ، وعلى ان الثورة الفلسطينية ليست اكثر من مجموعة من الاعمال الارهابية التخريبية التي يقوم بها بعض المعتوهين او المكبوتين او الذين يسعون وراء مصالح خاصة ٠ مجندة نفسها وحلفاءها في المنطقة العربيّة لتبني سياسة قمعية من اجل استئصال المقاومة من جذورها ٠ فسمحت لاسرائيل بالقيام باعمال وحشية ضد الشعب الفلسطيني في كل مكان ، وايدت بعض الدول العربية في محاولاتها للقضاء على الوجود الفلسطيني المقاوم ، وقامت بحملات اعلامية واسعة النطاق لتشوه سمعة الشعب الفلسطيني،وجندت قواها في امريكا

لملاحقة الفلسطينيين والعرب الذين يدافعون عن حقوق الشعب الفلسطيني ويبرزونها في الساحة الاميركية ، وحاربت بكل سلاح التقدم السياسي الفلسطيني العالمي كما ظهر ذلك واضحا وما زال في الامم المتحدة ووكالاتها الخاصة ، حيث تعزل امريكا نفسها عن الاجماع الدولي برفضها للوجود الشرعي للشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية · منذ عام ١٩٦٧ حتى يومنا هذا تطل علينا السياسة الاميركية الفلسطينية بشقين : الاول رفضها الكامل للوجود الشرعي الفلسطيني والثاني اعترافها بوجود ثوري فلسطيني لا بد من القضاء عليه · وهذان الشقان في السياسة الاميركية يتوحدان في السياسة التي تحاول امريكا ان تفرضها عربيا وعالميا · اذ ان امريكا تعترف اليوم بوجود شعب فلسطيني له « مصالح » في المنطقة . وان مصالحه هذه يمكن تحقيقها في اطار تسوية سياسية بين اسرائيل والاردن · اما وجوده السياسي المستقل والذي يرتبط بحقوق وطنية والذي ينعكس في منظمة التحرير الفلسطينية فهو مرفوض · ورفض امريكا القاطع لمنظمة التحرير الفلسطينية هدفه اولا واخرا توكيد الرفض لحقوقه الوطنية واستقلاله السياسي وسيادته في فلسطين ·

وكما ان امريكا حاولت القضاء على الثورة الفلسطينية عسكريا باستخدامها لاسرائيل وبعض الدول الاخرى ، فانها خاصة منذ عام ١٩٧٤ تحاول احتواء منظمة التحرير الفلسطينية عن طريق استقطاب الدول العربية سياسيا ، فقد حاولت مرارا الطعن في شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، كما وانها طعنت شرعية مطالب الشعب الفلسطيني المتمثلة في الميثاق الوطني الفلسطيني والذي يلزم منظمة التحرير الفلسطينية · وهذه السياسة التي بلورها الوزير السابق هنري كيسنجر ، تكاد تكون نفسها التي يحاول الحزب الديمقراطي الحاكم تنفيذها في المنطقة · ولا بد لنا من ان نشير ولو باختصار الى التصريحات المتتالية للرئيس كارتر حول مطالب الشعب الفلسطيني ، هذه التصريحات التي شوهها الاعلام العربي الموجه · اذ ان ما طرحه كارتر في مارس ١٩٧٧ كحل لمشكلة الشعب الفلسطيني لم يكن في جوهره يختلف كثيرا عن ما طرحه وزير الخارجية الاسبق جون فوستر دالاس عام ١٩٥٥ · فقد اعترف كارتر بضرورة ايجاد حل « لمشكلة الفلسطينيين واللاجئين » وان هذا الحل لا شك يتطلب ايجاد « موطن » لهم · ويمكن لهذا « الموطن » ان يكون في اية بقعة من الارض ، اذ ان هذا الموطن المطلوب هو موطن للاجئين ، وليس من الضروري ان يكون مستقلا سياسيا ، كما هو الحال في « الاوطان » في جنوب افريقيا ·

ويحسن بنا ان نذكر القارىء بان اللفظ الذي استخدمه كارتر ( موطن ) كان Homeland ولم يكن National Homeland ( الوطن القومي ) ·

ولا شك ان اساءة الاعلام العربي في ترجمة هذا المفهوم كانت مقصودة لخدمة اغراض سياسية معينة ۰ وقد اكد كارتر اثر زيارة « بيجن » لواشنطن سياسة امريكا الرافضة لمنظمة التحرير الفلسطينية وما تعكسه من مطالب وطنية للشعب الفلسطيني ، كما انه تغاضي عن قرارات الامم المتحدة المتعلقة باستقلال الشعب الفلسطيني في فلسطين ۰

اذن نخرج من هذا بأن السياسة الامريكية الاتية تحاول تعميق الخلافات العربية ـ الفلسطينية تمهيدا لعزل الثورة الفلسطينية بشكل كامل لاستئصالها ۰ اذ ان امريكا لا تحرص على سلامة وامن اسرائيل فقط بل تحرص على استئصال اي فكرة او حركة في الوطن العربي من شأنها ان تهدد استقرار هذه المنطقة وبالتالي تهدد المصالح الاقتصادية الامريكية وتزيد من ثورية الوطن العربي ۰ فكما حاولت امريكا استئصال ثورة الشعب الفيتنامي ، وثورة الشعب الكوبي ، وثورة الشعوب الافريقية في موزامبيق ، وغينيا بيساو وانجولا ، وفشلت في هذه المحاولات ، لا شك ان محاولتها لاستئصال الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية فاشلة كذلك امام التزام الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى بتحرير كامل الوطن العربي ۰

معن بشور

# قراءة سياسيّة في اقتصاديّات السّلاح الأميركي

« ان رخاءنا يعزى الى الحرب الكورية ، والى نفقات التسلح الاخرى التي انفقتها حكومتنا » ٠

**بول أ ٠ ساموبلسون**

« ان الحرب الفيتنامية تبعد كل اخطار الركود الاقتصادي » ٠

**البرت نوردن**

**في « اسرار الحروب »**

لم يعد غريبا على المطلعين عموما ، والمهتمين بالسياسة الاميركية خصوصا ، ان يلاحظوا العلاقة الوثيقة بين عدد كبير من القرارات السياسية التي تتخذها ادارة واشنطن وبين الضغوط التي يمارسها ما اتفق على تسميته « بالتركيب الصناعي العسكري » الاميركي والذي نبه الى مخاطره الرئيس الاميركي الراحل ايزنهاور في نهاية ولايته والذي كشفه بالوثائق والارقام الكاتب الاميركي المعروف ( غالبريث ) حين اظهر العلاقة التجارية والهيئة الوطيدة بين كبريات الكارتلات الصناعية الاميركية ، وبين اركان البنتاغون الاميركي من كبار الماريشالات والجنرالات والذين يتحولون فور احالتهم على التقاعد الى مدراء كبار في الشركات الاميركية العملاقة ٠٠٠

ويبدو من جديد ان تسليط الاضواء على حجم النفقات العسكرية الاميركية واثارها المباشرة وغير المباشرة على الاقتصاد الاميركي والاستراتيجية

الاميركية ، وتطور النظريات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تبرر تضخم هذه النفقات ، يكاد يكون اكثر من ضروري في هذه المرحلة التي يبدو فيها ـ على السطح ـ وكأن هناك اتجاها يقوده الرئيس الاميركي الجديد لتخفيف هذه النفقات ، وذلك من اجل معرفة مدى قدرة كارتر على تطبيق هذا الاتجاه اذا كانت نواياه صادقة ، وبالتالي من اجل تلمس الاساليب والوسائل التي يمكن للقوى المعارضة ـ وهي نافذة وفعالة في جميع المجالات ـ اعتمادها لا سيما تلك الاساليب والوسائل التي تلجأ الى ابقاء بؤر التوتر في العالم ـ ومنها منطقتنا ـ ملتهبة حتى ولو ادى هذا التوتر في النهاية الى غير مصلحة الامبريالية الاميركية ذاتها ٠

يقول البروفسور ميخائيل رايخ احد اساتذة الاقتصاد في جامعة بركلي ـ كاليفورنيا في مقال له رفضت نشره صحيفة ( الوول ستريت ) الشديدة الصلة بالدوائر الاحتكارية الاميركية :

« واذا اخذنا بعين الاعتبار العداء المستحكم والمستمر من قبل كبار رجال الاعمال للتخطيط الحكومي ، فان الضغوط ستزداد من اجل استخدام النفقات العسكرية كمحرك اقتصادي اثبتت الايام والتجارب كفاءته ٠ وبهذه المناسبة ربما تقرع طبول التوتر في هذا المكان او ذاك من العالم ، وايدي قادة الولايات المتحدة مليئة بالمشاكل الدولية الصالحة لهذا الغرض كالطاقة ، والقومية الصاعدة في العالم الثالث ، وامكانيات بروز المزيد من كارتلات المواد الاولية ، واعادة صياغة النظام النقدي العالمي ، **وميزان القوى في الشرق الاوسط** الخ٠٠ ان مزيجا من العوامل المحلية والدولية قد قاد في الماضي الى نمو اقتصادي يقوده القطاع العسكري ٠ وهذا من المحتمل جدا حصوله في المستقبل ايضا » ٠ (١)

لا بل ان العديد من الاصوات الليبرالية داخل المجتمع الاميركي قد ارتفع لتؤكد بان الفوائد الناجمة عن الانفاق العسكري المتزايد لا تعود الى المجتمع كوحدة قومية متماسكة ، وانما الى فئات محددة داخله حيث تتخذ القرارات ليس لخدمة المصلحة العامة فحسب وانما نتيجة مساومات وصفقات تعقد بين مختلف هذه القوى والمصالح ٠٠ وباعتبار ان هذه القوى والمصالح غير متساوية في القوة والمعلومات التي تملك ، فان القرارات غالبا ما تتجه باتجاه التجمعات الاحتكارية ذات النفوذ الاكبر في النفقات العسكرية او ما يسمى ( بالتركيب الصناعي ـ العسكري ) ٠ ان هذه التجمعات ، كما يشير عدد كبير من المفكرين والاقتصاديين الليبراليين كميلمان (٢) ، وروزن (٣) ، واليسون(٤)، وهالبرين (٥) ، يصبح لها مصلحة في تضخيم النزاعات الدولية وعرقلة اية جهود تبذل من اجل تسويات سلمية لها ٠

## حجم النفقات العسكرية في البلدان الرأسمالية :

وحين نعلم ان ما يسمى ( بالبلدان الرأسمالية المتقدمة ) قد انفق على التجهيزات العسكرية خلال عام ١٩٧٦ حوالي ١٥٥ بليون دولار ( حسب احصاءات المعهد الدولي للاحصاءات الاستراتيجية في لندن ) وان الولايات المتحدة تنفق حوالي ٦٠٪ من هذا الرقم ، نستطيع ان ندرك الحجم الكبير الذي تحتله النفقات العسكرية في اقتصاديات البلدان الرأسمالية ، وبشكل خاص في اقتصاديات الولايات المتحدة ·

واذا حاولنا ان نتعمق اكثر فنرى حجم هذه النفقات بالنسبة الى الناتج القومي الاجمالي لهذه البلدان حسب احصاءات ( معهد دراسات السلام العالمي ) SIPRIO في استوكهولم التي اوردها في كتابه السنوي ( التسلح ونزع التسلح في العالم ) لعام ١٩٧٦ نجد امامنا الجدول التالي :

جدول بنسبة النفقات العسكرية من الناتج القومي الاجمالي

| البلد | ١٩٥٤ | ١٩٦٤ | ١٩٧٣ |
|---|---|---|---|
| كندا | ٧ ٪ | ٦ر٣٪ | ٠ر٢٪ |
| الولايات المتحدة | ٦ر١١٪ | ٨٪ | ٦٪ |
| بلجيكا | ٨ر٤ ٪ | ٤ر٣٪ | ٧ر٢٪ |
| الدانمارك | ٢ر٣ ٪ | ٨ر٢٪ | ١ر٢٪ |
| فرنسا | ٣ر٧ ٪ | ٣ر٥٪ | ٨ر٣٪ |
| المانيا الغربية | ٠ر٤ ٪ | ٦ر٤٪ | ٤ر٣٪ |
| ايطاليا | ٠ر٤ ٪ | ٣ر٣٪ | ٠ر٣٪ |
| هولندا | ٦ ٪ | ٣ر٤٪ | ٤ر٣٪ |
| النرويج | ٥ ٪ | ٤ر٣٪ | ١ر٣٪ |
| المملكة المتحدة | ٨ر٨ ٪ | ١ر٦٪ | ٠ر٥٪ |
| سويسرا | ٢ر٧ ٪ | ٨ر٢٪ | ٠ر٢٪ |
| السويد | ٩ر٤ ٪ | ١ر٤٪ | ٤ر٣٪ |
| النمسا | ١ر٠ ٪ | ٥ر١٪ | ٠ر١٪ |
| اليابان | ١ر٢ ٪ | ٩ر٠٪ | ٨ر٠٪ |
| استراليا | ٦ر٣ ٪ | ٤ر٣٪ | ٧ر٢٪ |

ومن الواضح ان السنوات التي تم اختيارها هنا لها علاقة بابرز الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ( الحرب

الكورية ، والحرب الفيتنامية ) ذلك ان الانخفاض النسبي وليس الكمي يعود الى نهاية حرب فيتنام وما عكس ذلك من تخفيض تدريجي للنفقات العسكرية ٠

ومن اجل ادراك اهمية هذه الارقام بشكل اوضح ، علينا ان نقارن بينها وبين ما تنفقه الحكومة الاتحادية الاميركية على النفقات غير العسكرية بما في ذلك التقاعد والتعويضات وغيرها لنجد ان هذه النفقات التي كانت مع مطلع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ تشكل حوالي ٣ر٤٪ من الناتج القومي الاجمالي تراجعت الى ٦ر٢٪ في عام ١٩٦٤ والى ٤ر٢٪ عام ١٩٧٤ اي الى اقل من نصف ما تنفقه الولايات المتحدة على الشأن العسكري ، هذا بالطبع دون ان نحسب هنا الصفقات العسكرية الضخمة التي اجرتها الولايات المتحدة مع ايران والسعودية ودولة الكيان الصهيوني وغيرها ٠

ومن ( الميزان العسكري لعام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ) الذي اصدره المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ، يمكننا ان نستخرج الجدول التالي الذي يظهر الحجم النقدي لهذه النفقات مع قياسها على الفرد في كل من هذه ( البلدان الرأسمالية المتقدمة ) وذلك لعام ١٩٧٣ :

**النفقات العسكرية عام ١٩٧٣**

| البلد | حجم النفقات العسكرية ( مليار دولار ) | النفقات العسكرية / الفرد بالدولار |
|---|---|---|
| كندا | ٤ر٢ | ١٠٩ |
| الولايات المتحدة | ٤ر٧٨ | ٣٧٢ |
| بلجيكا | ٤ر١ | ١٣٩ |
| الدانمارك | ٦ر٥ | ١٢٥ |
| فرنسا | ٨ر٩ | ١٨٩ |
| المانيا الغربية | ٣ر١٣ | ٢١٥ |
| ايطاليا | ١ر٤ | ٧٥ |
| هولندا | ١ر٢ | ١٥٧ |
| النرويج | ٧ر٠ | ١٦٩ |
| المملكة المتحدة | ٠ر٩ | ١٦١ |
| سويسرا | ٨ر٠ | ١٢٤ |
| السويد | ٠ر٢ | ٢٤٦ |
| النمسا | ٣ر٠ | ٣٩ |
| اليابان | ٧ر٣ | ٣٥ |
| استراليا | ٠ر٢ | ١٥٤ |

ان هذه الارقام تظهر ايضا بوضوح مدى حجم النفقات العسكرية الاجمالي وتأثيره في الحياة الاقتصادية لهذه البلدان ، لاسيما اذا نظرنا الى نسبة النفقات العسكرية بالنسبة للفرد في هذه البلدان ( الولايات المتحدة بشكل خاص ) ونسبة الدخل الفردي في البلدان النامية والذي لا يتجاوز ثلث ما يتحمله الفرد الاميركي من عبء النفقات العسكرية ٠

وللمزيد من التفاصيل فقد تبين خلال عام ١٩٧٣ انه من اصل اول ( ٢٥ ) مؤسسة صناعية تعتبر الاكثر مبيعا في الولايات المتحدة فان (١٩) منها تعتبر من اكبر ٥٠ مؤسسة صناعية تتعاقد مع وزارة الدفاع الاميركية للتجهيزات العسكرية ، ومن جهة اخرى فانه من اصل اهم (٢٥) شركة متعاقدة مع البنتاغون الاميركي فان (١٢) منها تعتبر من اغنى المؤسسات الاميركية قاطبة ٠

وهنا لا بد من الاشارة الى ان الصناعات ذات الصلة بالاسلحة تتوزع بين صناعة الحاسبات الالكترونية ، والالكترونيات عموما ، والمواصلات والاتصالات اللاسلكية ، وصناعة الطائرات التجارية ، والرادار ، والادوات العلمية ، وان تطور هذه الصناعات جميعها قد ارتبط في العقود الاخيرة الماضية بتطور صناعة الاسلحة وزيادة الانفاق العسكري ٠ وكما يشير الاقتصادي الغربي ( تريبلكوك ) في ( مجلة التاريخ الاقتصادي ) فانه كما كانت صناعة الاسلحة هي صاحبة الفضل في تطوير وتسريع الصناعات الميكانيكية الدقيقة ، وانواع خاصة من الفولاذ ، والصناعة الثقيلة عموما في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى ، فان الامر يكاد يكون مشابها بالنسبة لصناعات الالكترونيات والى درجة اقل بالنسبة لصناعة الطائرات والسفن ٠

واذا علمنا ايضا ان ١٠٪ من صادرات الولايات المتحدة ( لا سيما في السنوات التي تلت حرب تشرين ) هي من صناعة الاسلحة . اي مما يشكل ضعف صادرات القمح الاميركي الشهيرة ، يمكننا ان نرى بوضوح كذلك تشابك اقتصاد التسلح بالاقتصاد الاميركي ، الامر الذي ادى ببعض الاقتصاديين الى اطلاق اسم « **اقتصاد التسلح الدائم** » على الاقتصاد الاميركي ( راجع بوردي في مقالته : نظرية « اقتصاد التسلح الدائم » في **نشرة مؤتمر الاقتصاديين الاشتراكيين** في عددها الصادر في ربيع ١٩٧٣ ) ٠ (٦)

ان هذا التغلغل المتزايد لصناعة الاسلحة ومشتقاتها والصناعات المرتبطة بها في الاقتصاد الراسمالي عموما والاقتصاد الاميركي خصوصا ، يشكل ارضية واضحة لتغلغل من نوع آخر ، هو تغلغل شركات الاسلحة ذاتها في صلب *القرارات السياسية والعسكرية* في تلك المجتمعات ٠

تقول ( الهيرالد تريبيون ) الاميركية ان شركة ( لوكهيد ) ، وهي اكبر شركات

صنع الطائرات الاميركية قد انفقت خلال عدة اعوام اكثر من ( ٢٠٠ ) مليون دولار على العمولات والرشاوى ، بينما ٢٢ مليون دولار في اليابان وهولندا وايطاليا ٠ وتعتبر محاضر التحقيق لدى احدى اللجان التي شكلها مجلس الشيوخ الاميركي للنظر في وضعية الشركات المتعددة الجنسية ، وثيقة واضحة ليس على الفساد والتردي الذي ينخر في المؤسسات السياسية والاقتصادية لهذه المجتمعات بل على مدى تشابك المصالح بين ما اصبح متعارفا عليه ( بالتركيب الصناعي ـ العسكري ) وامتداداته في قلب القرار السياسي لهذه المجتمعات لا سيما الاميركي منها ٠

وفي التحقيق مع السيناتور الديمقراطي الاميركي « فرانك تشيرش » بتهمة الفساد والرشوة امام مجلس الشيوخ الاميركي وفي جلسة علنية استدعي اليها ايضا موظفون يتعاملون مع شركة ( لوكهيد ) للشهادة ، وقف احد اعضاء لجنة الاتهام موجها كلامه الى السناتور تشيرش : « **اشكرك ايها السناتور ، فقد استطعت تدمير واهانة دولتين كبيرتين في ساعتين ، وبهذا العمل قمت باكثر مما قام به لينين طيلة حياته !!** » ٠

ذلك ان التقرير الذي اصدرته هذه اللجنة قد كشف ان السناتور الاميركي ( تشيرش ) قد قام بدفع رشاوى بلغ مجموعها ٢ر٢٤ مليون دولار منذ عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٥ وقد ذهبت هذه المبالغ الى جيوب عسكريين كثيرين في عدد من الدول ٠

وحين اتسع التحقيق في فضائح لوكهيد ، تدخلت الادارة الاميركية بواسطة وليم سايمون وزير الخزانة الاميركي آنذاك للتستر على هذه الفضيحة رافضا كشف النقاب عن اسماء الذين تلقوا الرشاوى من شركة لوكهيد ، وقال كيسنغر نفسه مدافعا عن موقف زميله سايمون « ان اذاعة الاسماء من شأنه ان يضر بالسياسة الخارجية الاميركية » في حين اكد سايمون « ان اذاعة هذه الاسماء من شأنه ان يضر بشركة لوكهيد التي تمر في ظرف حرج للغاية » ٠

لا بل اعترف ( ارنست هاوزر ) وهو مدير سابق بالشركة في حديث نشرته الصحف الاميركية « بأن كولونيلات السلاح الجوي الاميركي كانوا يحصلون على مكافآت سنوية منتظمة تتراوح بين ١٠ ـ ٢٠ الف دولار من شركة لوكهيد وغيرها من الشركات المتخصصة في بناء الطائرات ، وان الشركات كانت تقدم للضباط الذين تشعر بأن لهم اهمية خاصة بالنسبة لها ، الخمور والنساء وغير ذلك من وسائل اللهو ، كما ان وزارة الدفاع الاميركية كانت على علم بالامر ولكنها تغاضت عنه » ٠ وقال ( هاوزر ) الذي ترك الشركة منذ عام ١٩٦٤ « انه واثق من ان عملية دفع الرشاوى للعسكريين الاميركيين ما تزال مستمرة حتى

الآن » ٠ وان « الطريقة التي يتم بها الدفع طريقة ذكية جدا بحيث تمر خلال عدة حسابات في البنوك قبل ان تصلهم » ٠

**التبرير النظري للانفاق العسكري :**

ان هذه الصورة الواقعية لحجم الانفاق العسكري في الحياة الاميركية ، وللتداخل السياسي ـ العسكري الذي تمارسه القوى والمصالح والمؤسسات ذات الصلة بصناعة الاسلحة ، قد افرزت مجموعة من النظريات الاقتصادية من اجل تبريرها وتغطية الشرور والمساوىء الناجمة عنها ، محاولة الايحاء بأن دورها ضروري ليس فقط لتنمية مصالحها واوضاعها ، وانما ايضا للحفاظ على التوازن الاقتصادي العام في البلد ، ولمجابهة اي اتجاه يدفع الاقتصاد نحو الركود ، واليد العاملة نحو البطالة ، والميزان التجاري نحو العجز ٠٠٠

وتستمد هذه « النظريات الاقتصادية » عموما منطلقاتها الاساسية من نظرية ( كينز ) الشهيرة في الاقتصاد الرأسمالي ، والتي استطاعت في الثلاثينات ان تضع علاجا مؤقتا للازمة الرأسمالية التي عصفت ببلدان الغرب ، وذلك من خلال دعوة الدولة الى التدخل عن طريق الانفاق الواسع والاستثمارات الشاملة في مجالات الخدمة والاتصالات العامة على نحو يؤدي الى ارتفاع مستوى الطلب الكلي في البلد ( الطلب لغايات استثمارية + الطلب لغايات استهلاكية الناتج عن تشغيل عدد كبير من العمال والمستخدمين ) وهذا الارتفاع في مستوى الطلب الكلي بتأثيره العام على الاقتصاد من خلال ( مضاعفة الاستثمار ) يؤدي الى انتقال فعلي بالاقتصاد العام من حالة الركود الى حالة النشاط والفعالية ٠٠ واستخرج كينز في « نظريته العامة » المعروفة ضرورة تدخل الدولة بين الحين والآخر لحقن الاقتصاد بحقنات من الاستثمارات الحكومية تمكنه من مجابهة الركود وتجنب الازمات الدولية التي لا بد ان يقع بها النظام الرأسمالي نتيجة الفوضى في الانتاج وغياب العامل الداخلي للتوازن والاستقرار كما يعتقد ارباب النظام الحر من الاقتصاديين الكلاسيكيين بحيث غالبا ما يزيد العرض الكلي عن الطلب الكلي ، الامر الذي يؤدي الى فائض في الانتاج ، فالى تعطيل لجزء من طاقات الانتاج فالى البطالة فالى المزيد من النقص الفعلي في الطلب العام ( بسبب النقص في الاستثمارات ، والنقص في مستوى الاستهلاك ) فالى فائض اضافي حتى تحتدم الازمة وتشتد وتهز البنيان الرأسمالي في الصميم ٠

لهذه ( النظرية العامة ) التي اطلقها الاقتصادي البريطاني جون مينارد كينز ، اضاف منظرو الانفاق العسكري ما اصبح متعارفا عليه باسم ( الكينزية العسكرية ) ، اي ان تدخل الدولة للرفع من مستوى ( الطلب الكلي ) يجب ان

يتم اساسا في مجال الانفاق العسكري بدلا من مجالات الاشغال العامة والخدمة الاجتماعية ٠

ويقول هؤلاء المنظرون بأن امتناع الدولة عن التدخل في النشاطات التي يمكن ان تؤدي الى التقليل من الارباح الرأسمالية كتسلمها بعض النشاطات المربحة اقتصاديا ( كتأميم بعض المرافق او الصناعات ) او عبر تخفيفها لقدرة الرأسماليين على انتزاع المزيد من الارباح من اليد العاملة ، سوف لن يترك امامها مجالا للانفاق والعمل افضل من مجال الانفاق العسكري ٠

فهذا الانفاق ، بالاضافة الى اعتباره افضل الخيارات انسجاما مع النظام الاقتصادي الحر من الناحية الايديولوجية ، يؤدي ايضا الى ابقاء مستوى الطلب العام مرتفعا ، كما انه بتحويله لبعض الموارد من مجال الاستثمار الى مجال الانفاق انما يخفف من حدة الاتجاه التاريخي لتناقص معدل الربح الرأسمالي الذي هو اتجاه حتمي في تطور الاقتصاد الرأسمالي وهو نقطة الزاوية في انهياره ٠

ويضيف اصحاب هذه النظريات ، بأن هذا المستوى العالي من الانفاق العسكري هو الذي يقف وراء الازدهار الطويل الذي شهده الغرب عموما ، والولايات المتحدة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ٠ لا بل ينتقل هؤلاء الى استنتاج اكثر دلالة حين يربطون بين ارتفاع معدل البطالة في دول الغرب في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية وبين انخفاض مستوى الانفاق العسكري في تلك المرحلة ٠

**« الكينزية العسكرية » :**

ويضع ارباب « الكينزية العسكرية » لتفضيلهم الانفاق العسكري على الاوجه الاخرى للانفاق الحكومي عدة أسباب :

**اولا :** ان الانفاق العسكري سهل التزايد وليس هناك مقاييس وضوابط لتحديد حجمه ومستواه ونطاقه ٠

ان حدود الانفاق العسكري تتراوح بين حاجات الردع العسكري لاي هجوم محتمل ( يقول هالبرين في كتابه **الاستراتيجيات الدفاعية في السبعينات** الذي نشر في بوسطن عام ١٩٧١ ان الولايات المتحدة قد حددت حاجتها في هذا المجال بالاسلحة التي تمكنها من خوض « حربين ونصف الحرب » والتي انزلها نيكسون الى نسبة « حرب ونصف الحرب » في اواخر الستينات ) وبين حاجات الدفاع عن المصالح الاستراتيجية وبناء الاحلاف العسكرية الخ ٠٠٠

ان هذه المقاييس الصعب تحديدها والسهل التلاعب بها ، تمكن كارتــلات الصناعات المتصلة بالسلاح من ان تدفع الامور بالاتجاه الذي يخدم مصالحهـا عبر افتعال توترات وهمية ، او الإبقاء على توترات قائمة ، او نشر معلومات عن تطورات مهمة في مستوى تسليح المعسكر الآخر ( كما حصل قبل اشهر في الحديث عن تفوق الاتحاد السوفياتي في عدة مجالات عسكرية ) ٠

**ثانيا** : ان الانفاق العسكري يضيف ولا ينافس اي طلب خاص لاي صناعة بمفردها ٠

**ثالثا** : ان معدل تبديل الاسلحة عال وسريع . الامر الذي يجعل الانفاق دائما ومستمرا ، وقد اصبح واضحا ان العديد من المؤسسات ما تكاد تطور سلاحــا باتجاه معين حتى تطور الاسلحة المضادة بشكل يعطل فعالية هذا الســلاح ، لتتمكن من تطوير السلاح مرة ثانية وهلم جرا ٠

رابعا : ان تطور وسائل التدمير ودخول العالم في سباق التسـلح النـووي يجعل من الضرورة ان يبقى القطاع المتصل بصناعة الاسلحة مستنفرا بشـكل دائم ، لان من طبيعة الحرب النووية انها لا تترك مجالا ووقتا لتعبئة الصناعات المدنية بالاتجاه العسكري كما كان يحصل في الحروب العالمية السابقة ٠

**خامسا** : ان متطلبات السباق النووي ترفع الى درجــة كبيرة من حجــم ومستوى الانفاق العسكري نظرا لتكلفتها العالية ودقتها وحساسيتها ٠

وبالمقابل يعارض اصحاب هذه النظريات اي توســع جـدي فـي الانفــاق الحكومي في مجالات اخرى باعتبار ان مجال الهدر فيها محدود وانها تضـع الحكومة في تنافس مباشر مع بعض القطاعات والصناعات ، وانها ترفع مــن مستوى الطبقات العمالية والفقيرة على نحو يجعلها في مركز تفاوضي اقـوى مع ارباب العمل كما انه ينمي داخل الدولة اتجاهات تدعو لتقوية القطاع العام وحصر المؤسسات الخاصة بانتاج البضائع والخدمات فقط ٠

## الفرق بين الولايات المتحدة والمانيا واليابان :

وحين تتم مواجهة اصحاب هذه النظريات بالحقيقـة القائلة بأن هنــاك دولا راسمالية متقدمة تمكنت من النهوض الاقتصادي رغم انها لم تعط الانفاق العسكري الحجم الذي له في الولايات المتحدة ، يجيب هؤلاء بأن هناك فروقـا هامة بين الوضع في الولايات المتحدة وتلك الدول كاليابان والمانيا الغربيـة وغيرهما ٠

يقول هؤلاء :

**اولا :** ان الولايات المتحدة هي غير اليابان والمانيا في التزاماتها العسكرية على المستوى العالمي ( بسبب المركز الامبريالي لها )

**ثانيا :** ان ابرز الصناعات الاميركية كالحاسبات الالكترونية ، والطائرات والادوات العلمية قد ارتبط تطورها بتطور صناعة الاسلحة ٠

**ثالثا :** ان ١٠٪ من الصادرات الاميركية هي من الاسلحة ٠

**رابعا :** ان الاقتصاد الاميركي بعد الحرب العالمية الثانية كان اقوى من اي وقت مضى ، اي انه كان في قمته وان حفاظه على هذا المستوى رهن بانفاقات عالية ذات طبيعة شبيهة بالانفاقات العسكرية ، في حين ان اقتصاد اليابان والمانيا كان منهارا وقد خصصت كل الموارد المحلية والاجنبية ( لا سيما الاميركية ) لتنميته وهذا اعطاه مدى للنمو دون الحاجة الى انفاق كالانفاق العسكري ٠

فاليابان والمانيا حتى وقت قريب لم يكن لديهما مشاكل في نقص الطلب الكلي لا سيما الطلب الاستثماري عن مستوى الانتاج ( ففي مرحلة ما بعد الحرب كانت اليد العاملة رخيصة . والتطور التكنولوجي الذي وصلت اليه الولايات المتحدة متوفرا لهذه الدول ايضا ) بالاضافة الى تدخل الدولة في توجيه الاقتصاد ورعاية بعض الصناعات كصناعة الفولاذ وصناعة السفن ٠

بينما الوضع في الولايات المتحدة مختلف ، فعلى الرغم من قدرة النظام الاميركي على الحد من نضال العمال لرفع مستواهم المعيشي ( بعد الحملة المكارثية ضد كل من يطالب بحقه واتهامه بالشيوعية ) الا ان الطلب من اجل الاستثمار بقي محدودا لان التركيب الاحتكاري للنظام وقد اصبح عريقا وضاربا جذوره في الارض كان يقلص فرص الاستثمار . كما انه يمنع المنافسة في الاسعار الامر الذي ادى الى حماية مؤسسات ذات كلفة اقتصادية اعلى ، مما ادى الى نشوء فائض في الطاقة الانتاجية غير مستعمل ، واستخدمت الاحتكارات نفوذها السياسي لمنع الحكومة من التدخل ومس مصالحها الضالعة ٠ كل ذلك ادى الى ضعف العقلانية ( وهي الاساس النظري للنظام الاقتصادي الحر ) لنجد انه في حين تتطور صناعات في المانيا واليابان وغيرهما بتشجيع من الدولة ، تبقى هذه الصناعات على حالها ( الفولاذ والسفن ) في الولايات المتحدة ، لان الاحتكارات لا تريد تدخلا من الدولة ٠٠٠ فلا يبقى امام الدولة سوى الانفاق العسكري والانغماس فيه ٠ ( راجع مقالة ميخائيل رايخ ، **هل يستطيع كارتر ان يخفض النفقات العسكرية ؟ في مجلة « مونثلي ريفيو » )** ٠

**نقد « الكينزية العسكرية »**

يقول ر٠ب٠ سميث من ( كلية بيركبك ) في ( جامعة لندن ) في مقال ( النفقات العسكرية والرأسمالية ) نشر له حديثا في العدد الاول من مجلة اقتصادية تصدر عن جامعة كامبردج ( كامبردج جورنال اوف ايكونومكس ) :

« على الرغم من ان النفقات العسكرية قد شكلت باستمرار عنصرا مهما من عناصر الطلب في البلدان الرأسمالية ، وخاصة في الولايات المتحدة ، الا انه ليس من السهل الاستنتاج بأن الحاجة الى الحفاظ على مستوى الطلب كانت السبب وراء الانفاق العسكري العالي ٠ ان بلدانا رأسمالية اخرى قد حافظت على مستوى الطلب فيها بدون مستويات مماثلة من الانفاق العسكري ، كما ان الواقع يظهر ان بلدانا ذات انفاق عسكري عال تشهد معدلات عالية من البطالة في الوقت نفسه ٠ ان هذا الامر يقودنا الى الاعتقاد بأن الوظائف الحقيقية للانفاق العسكري لم تكن من اجل الحفاظ على مستوى الطلب ، بل على العكس من ذلك ، فان نتائجها الاقتصادية كانت مغايرة لذلك ٠ بل ان الانفاق لغايات استراتيجية كان له من الآثار الاقتصادية ما ينسف النظام الذي اعدت نفسها لحمايته ٠ ان هذا الاستنتاج هو نتيجة نقاشات مرتبطة بميزان المدفوعات والعلاقة العكسية التي تربط بين حصة النفقات العسكرية ومعدل النمو ٠ » (٧)

النتائج التي وصل اليها الاقتصادي سميث ، في دراسته الاقتصادية التي لا تخلو من بعض التعقيد ، مرتبطة بسلسلة من الاختبارات اجراها هذا الاقتصادي على عدة احصاءات لعدة بلدان رأسمالية . وعلى مراقبة التطور التاريخي لهذه الاحصاءات على نحو جعل من تلك الدراسة واسعة في المكان ، متصلة في الزمان ٠

فماذا وجد سميث لدحض نظرية « الكينزية العسكرية » :

**اولا** : لاحظ سميث من خلال جدول خاص اعده معتمدا على احصاءات دائرة التجارة ( لعام ١٩٧٥ ) والاحصاءات العسكرية الاخرى ان هناك علاقة عكسية بين **الانفاق العسكري ومعدل العمالة** او ان البطالة تزيد فوق معدلاتها المألوفة حيث يتجاوز الانفاق العسكري حدودا معينة ٠

## البطالة والنفقات العسكرية
## عام ١٩٧٣

| البلـد | نسبة النفقات العسكرية من الناتج القومي | معدل البطالة ٪ |
|---|---|---|
| الولايات المتحدة | ٦ | ٤ر٩ |
| فرنســـا | ٣ر٨ | ٢ر٧ |
| المانيا الغربية | ٣ر٤ | ١ر٠ |
| ايطاليـا | ٣ر٠ | ٣ر٨ |
| المملكة المتحدة | ٥ر٠ | ٣ر٠ |
| الســـويد | ٣ر٤ | ٢ر٥ |
| اليابان | ٠ر٨ | ١ر٣ |
| استراليا | ٢ر٧ | ١ر٩ |

لا بل يلاحظ سميث ان انخفاض معدل البطالة في بلد كالولايات المتحدة الى ما دون الـ ٤٪ انما كان يتم فقط في ايام الحروب كالحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٤٨ ، الحرب الكورية ( ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ) ، والحرب الفيتنامية ( ١٩٦٦ ـ ١٩٦٩ ) ، ويستنتج من ذلك ان **الحرب لا النفقات العسكرية هي التي كانت** وراء انخفاض معدل البطالة ٠

وذلك امر منطقي لان الرأسمالية تميل بشكل عام الى ابقاء جيش واسع من العاطلين عن العمل من اجل التحكم في الاجور النقدية والفعلية والسيطـــرة بشكل عام على العلاقات الصناعية ـ العمالية ، وهذه الرأسمالية لا تتنازل عن هذا الامر الا حين تكون رغبتها في احكام سيطرتها العالمية هي الاساس وحين تكون هذه السيطرة مهزوزة ومعرضة للضياع ٠

ولكننا حتى ولو افترضنا ان العمالة الكاملة والاستقرار الطبقي والاجتماعي هما لمصلحة الرأسمالية في تحقيق المزيد من الارباح ، فان العلاقة بين النفقات العسكرية والعمالة الكاملة والاستقرار ليست واضحة ٠ فصناعة الاسلحة وهي صناعة تحتاج الى الرأسمال اكثر مما تحتاج الى العمال لا تصب في زيـــادة العمالة ، كما انها كصناعة تعتمد على عقود طويلة الاجل نسبيا لا تسهم بشكل مباشر في عملية الاستقرار التي غالبا ما تهددها ازمات مفاجئة في هذا القطاع او ذاك ٠

وفي هذا المجال يعود السؤال الرئيسي ليطرح نفسه : لماذا لم تتبن الولايات

المتحدة السياسات الاجتماعية والاقتصادية الموصلة الى ( دولة الرفاه ) على غرار بعض بلدان الغرب حيث يكون الانفاق العسكري اقل ، والبطالة اقل ايضا · ان اتجاها من هذا النوع قد برز في الولايات المتحدة ابان الحرب الفيتنامية حيث اطلق على المجتمع الاميركي لقب ( دولة الرفاه الحربي ) او ( دولة الحرب المرفهة ) Welfare - Warfare State لكن هذا الاتجاه بقي محدودا لان موازين القوى الطبقية الاميركية منعته من التطور بشكل جدي ·

**ثانيا** : لاحظ سميث ايضا ان العلاقة بين حجم النفقات العسكرية ووضع ميزان المدفوعات ، الذي يعكس صورة للوضع الدولي لاقتصاد البلد ، هي ايضا علاقة عكسية وحاول ان يثبت ذلك ايضا بالتحليل وبالارقام في وقت واحد ·

فعلى صعيد التحليل يلاحظ سميث بأن النفقات العسكرية الكبرى غالبا ما تكون مرتبطة بالتزامات خارجية كبرى ايضا وما ينتج عنها من مصاريف وغيرها مما يؤثر سلبا وبشكل مباشر على ميزان المدفوعات ، رغم انه يغفل هنا الاثر الكبير غير المباشر لهذه الالتزامات العسكرية الخارجية ( قواعد ، حروب ، تدخل الخ ) في حماية المصالح الامبريالية الضخمة في الخارج ودور هذه المصالح الايجابي على ميزان المدفوعات والاقتصاد الامبريالي عموما ·

ويضيف سميث سببا آخر ، وهو ان البلاد التي تستطيع انتاج السلاح المتطور قليلة جدا مما يعني ان اغلبية البلدان الاخرى تجد نفسها مجبرة على استيراد نسبة عالية من تسلحها رغم ان هذا العامل يربكه في بعض الاحيان التنافس الحاد بين البلدان المصدرة للسلاح نفسها ·

ومن اجل المزيد من توضيح الآثار التي يتركها الانفاق العسكري العالي على ميزان المدفوعات ، يحاول سميث ان يشير الى ان مصادر هذا الانفاق ، في ظل مستوى محدد من الطاقة الانتاجية القومية ، ستكون اما على حساب الاستهلاك ، والاستثمار ، والنفقات الحكومية الاخرى ، او على حساب ميزان المدفوعات من خلال النقص في الصادرات او الزيادة في الواردات ·

ونشاط الدولة هو الذي يحدد نوعية المصادر التي يعتمد عليها الانفاق العسكري ·

ويظهر الكاتب من خلال دراسة خاصة بالاقتصاد الانكليزي كيف ان مصادر صناعة الاسلحة غالبا ما تكون على حساب موازد معدة اما للاستثمار او للتصدير او للاثنين معا ، مما يعني ان التوسع في صناعة الاسلحة غالبا ما يكون على حساب التوسع في الاستثمارات او الصادرات ·

## جدول خاص بالتجهيزات العسكرية (٨)
## في الاقتصاد البريطاني عام ١٩٧٢

| النوعيـة | قيمة الانتاج المخفض للصناعة العسكرية ( مليون جنيه ) | النسبة المئوية من الانتاج معدة لاغراض عســكرية | استثمارية | تصدير |
|---|---|---|---|---|
| معامل صناعية وفولاذ | ٤ر٢٠ | ٨ر٢ | ٠ر٧٢ | ٥ر١٩ |
| ادوات اخـــرى لنهندسة الميكانيكية | ٣ر١٢٢ | ٠ر٧ | ٥ر٣٦ | ٣ر٥٨ |
| ادوات هندسية | ٥ر٤١ | ٩ر٧ | ٣ر١٩ | ٩ر٤٣ |
| الكترونيات وادوات لاسلكية | ٦ر٢٢٦ | ٣ر١٩ | ٩ر٤١ | ٣ر٢٩ |
| آليات كهربائية | ٩ر٣٤ | ٨ر٥ | ٧ر٣٨ | ٤ر٤٣ |
| صناعة السفن | ٩ر٢٢١ | ٤ر٣٩ | ١ر٢٣ | ٨ر٣٢ |
| سيارات وناقلات ( مركبات ) | ١ر٣٧ | ٦ر١ | ٧ر٣٣ | ٣ر٣٧ |
| ادوات الطيران | ٢ر٢٢٨ | ٨ر٤١ | ٣ر١ | ٤ر٤٠ |
| الاقتصاد الشامل | ٠ر٣٠١٥ | ٠ر٤ | ١ر١٥ | ٤ر١٧ |

**ثالثا :** وعلى هذا الاساس فان التوسع في الطلب لغايات عسكرية سيؤدي الى خلق نقاط اختناق الذي يقلل من الاستثمارات والصادرات ٠ واذا كان هذا الامر يبدو صحيحا في ظروف التعبئة السريعة لكنه غير مفهوم عـلى المـدى الطويل حيث يمكن توفر العرض الذي يحقق الطلب لجميع الاغراض ٠

ذلك انه عبر الوقت فانه يمكن ان تنتج الموارد الاضافية لغايات التسلح من خلال عملية النمو ذاتها ، لكن هذا الامر يعتمد على الآثار التي يتركها الانفاق العسكري على معدل النمو ذاته ٠

فمن جهة يكون للانفاق العسكري آثاره الايجابية على معدل النمو من خلال زيادته للطلب ، وتعميقه للثقة بالاقتصاد ، والتطوير العلمي والتقني الـذي يساعد في خلقه ٠ وبالمقابل فان لهذا الانفاق اثره السلبي الذي يتمثل بتحويل الموارد من الاستثمار والتصدير ، مما يخلق صعوبات لميزان المدفوعات والطاقة الانتاجية ، كما انه يزيد من عدم الفعالية في الصناعة باعتباره يوفر للصناعات عقودا حكومية مريحة ومغرية ٠

ان الظروف العامة هي التي تقرر فيما اذا كان الاثر الذي يتركه الانفـــاق

العسكري ايجابيا ام سلبيا ، ففي بعض المراحل ، كتلك التي سبقت الحرب العالمية الاولى فان تطور الصناعة الثقيلة والانتاج الواسع المدى ، والادوات الدقيقة وبعض الانواع الخاصة من الفولاذ قد ارتبط بوضوح بتزايد الحاجات العسكرية · كذلك يمكن ان يقال بالنسبة للالكترونيات هذه الايام ·

وفي دراسة احصائية مقارنة اجراها سميث لخمسة عشر دولة رأسمالية على مدى عشر سنوات لمعرفة العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية المختلفة ، وجد الاقتصادي الانكليزي ان العلاقة بين حجم الانفاق العسكري ومعدل النمو هي علاقة عكسية الى حد ما ، كما وصل من خلال تحليل العلاقة بين هذه المتغيرات جميعا ، ومن خلال المعادلات الرياضية المختلفة الى الاقرار : « اذا كان ميزان المدفوعات مسيطرا عليه ، فان الانفاق العسكري العالي يؤدي الى استثمار منخفض ، ونمو منخفض ، وبطالة عالية » ·

### التبرير الآخر للانفاق العسكري

وعلى هذا الاساس ، واذا اعتبرنا ان الآثار الاقتصادية للانفاق العسكري ليست ايجابية كما يدعي ارباب النظرية « الكينزية العسكرية » ، فما الذي يدفع المجتمعات الرأسمالية كالولايات المتحدة الى الانغماس المتزايد في الانفاق العسكري ؟·

هنا تطرح ( الاسباب الاستراتيجية ) لهذا الانفاق والتي تتمثل في ثلاثة اوجه :

١ ــ الوقوف في وجه « الخطر الشيوعي » ، وهنا يلاحظ ان هذا الهدف هو هدف فئة في المجتمع اكثر مما هو هدف يتصل بمصالح كل الفئات ·

٢ ــ تامين سيطرة المركز الامبريالي الرئيسى على بقية العالم بما فى ذلك ، المراكز الامبريالية الاقل شأنا ( العلاقة بين الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان ) ولا ينسى منظرو الاقتصاد الرأسمالى ( كند لبرغر ) ان يربطوا بين الازمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينات بمفردها · وغياب القوة العالمية القائدة والمسيطرة باعتبار ان الولايات المتحدة كانت منعزلة وبريطانيا كانت اعجز من ان تواجهها ·

٣ ــ توفير الضمانات الداخلية لاي تحرك داخلي يمكن ان يسهم في تغيير موازين القوى الطبقية والاجتماعية داخل المجتمع ذاته ·

ان هذه الضمانات لا تنحصر فقط بتوفير جهاز القمع المناسب ، وانما ايضا بالاستخدام الايديولوجي للقيم العسكرية عن طريق خلق مشاعر عنصرية

وشوفينية ومعادية للدول الاخرى بالاضافة الى تنمية الشعور بالعظمة ممـا يضعف من التناقضات الاجتماعية والطبقية ويسهم في تقوية التناقضات ذات الطبيعة العنصرية والشوفينية ٠

كما ان هذا التوسع في القطاع العسكري يسمح للدولة من خلال اشرافها على الموارد المخصصة لهذا المجال ان تكافيء او تعاقب فئات ومناطق داخل المجتمع الواحد ، كما ان حجم الانفاق العسكري يتطلب جيشـا كبيرا من الموظفين والعاملين في هذا المجال ممن تتكون لهم مصالح ضالعة في تنمية « العسكرية » حتى على حساب مصالحهم الطبقية ٠ وفي هذا المجال يمكن الاطلاع على الدراسة المطولة التي اعدها ج٠ ادونافان سنة ١٩٧٠ عن «العسكرة في الولايات المتحدة » (٩) ٠

استـــدراك :

ان هذا التوسع في عرض حجم القطاع العسكري في الاقتصاد الاميركي وتاثيراته المختلفة ومدلولاته السياسية والاجتماعية يجب ان لا يخفي عن انظارنا حقيقة اخرى هي ان الاتجاه داخل مجتمع كالمجتمع الاميركي تجاه الانفاق العسكري قد بدأ يتراجع لاسيما بعد حرب فيتنام ( كما سبق واشرنا ) ٠

وفي دراسة مختصرة اعدها البرت سنريمانسكي في مجلة ( نيولفت ريفيو في عددها المزدوج شباط ـ نيسان ١٩٧٧ ) يشير الى ان نسبة النفقـات العسكرية الاميركية بالنسبة للنفقات العسكرية في العالم وعدد من المعسكرات الدولية اخذة في التناقص ٠

**النفقات العسكرية ( ١٩٦٥ ـ ١٩٧٤ ) (١٠)**

**نسبة النفقات العسكرية الاميركية المئوية من النفقات الاخرى**

| | ١٩٦٥ | ١٩٧٠ | ١٩٧٢ | ١٩٧٤ |
|---|---|---|---|---|
| الانفاق العسكري في العالم | ٣٢ر٥ | ٣٣ر٢ | ٢٩ر٧ | ٢٧ر٣ |
| اوروبـا الاطلسية | ٢٠٣ر٠ | ٢٤٧ر٠ | ٢٠٦ر٠ | ١٨٣ر٠ |
| حلـف وارسـو | ٨٧ر٠ | ٩٠ر٠ | ٨١ر٠ | ٧٣ر٠ |
| الاتحـاد السوفياتـي | ٩٩ر٠ | ١٠٢ر٠ | ٩٣ر٠ | ٨٤ر٠ |
| الـــصين | ١١١٠ر٠ | ٧٤٠ر٠ | ٤٨٢ر٠ | ٤٥٨ر٠ |
| الولايـات المتحدة | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ |

ان هذا الجدول يعني ببساطة انه في حين كانت النفقات العسكرية الاميركية

تشكل عام ١٩٦٥ حوالي ٥ر٣٢٪ من نفقات العالم العسكريـة ووصلت الى ٢ر٣٣٪ عام ١٩٧٠ · عادت لتتراجع في السبعينات لتصل الى ٣ر٢٧٪ عام ١٩٧٣ ( العلاقة مع العالم ) · وبينما كانت النفقات العسكرية الاميركية سنة ١٩٦٥ تماثل النفقات السوفياتية ( ٩٩٪ ) ، تجاوزتها في سنة ١٩٧٠ لتصبح ١٠٢٪ لتعود بعد السبعينات لتنخفض عنها الى ٩٣٪ عام ١٩٧٢ و٨٤٪ عام ١٩٧٤ ( العلاقة مع السوفيات ) ··· اما بالنسبة للعلاقة مع الحلفاء ( اوروبا الاطلسية ) فقد تطورت نسبة النفقات العسكرية من اكثر من ضعفي نفقات اوروبا الملتزمة بالحلف الاطلسي ( ٢٠٣٪ ) سنة ١٩٦٥ الى اكثر من مرتين ونصف المرة ( ٢٤٧٪ ) سنة ١٩٧٠ ، عادت هذه النسبة للتراجع الى ٢٠٦٪ عـــام ١٩٧٣ و ١٨٣٪ عام ١٩٧٤ ·

أما اذا اخذنا حجم القوات المسلحة كمقياس لتطور القطاع العسكري فـي الولايات المتحدة بالنسبة الى العالم ، والى الحلفاء ، والى السوفيات ، والقوى الاخرى نجد امامنا الجدول التالي :

## حجم القوات المسلحة ( ١٩٦٥ ـ ١٩٧٤ )

## نسبة القوات المسلحة الاميركية المئوية من القوات الاخرى (١١)

| | ١٩٦٥ | ١٩٧٠ | ١٩٧٢ | ١٩٧٤ |
|---|---|---|---|---|
| القوات المسلحـة في العالم | ٨ر١٢ | ٨ر١٢ | ٣ر٩ | ٤ر٨ |
| اوروبـا الاطلسيـة | ٠ر٨٦ | ٠ر٩٨ | ٠ر٧٠ | ٠ر٦٨ |
| حلف وارســو | ٠ر٦٤ | ٠ر٦٧ | ٠ر٤٨ | ٠ر٤١ |
| الاتحـاد السوفياتـي | ٠ر٩٦ | ٠ر٩٢ | ٠ر٦٦ | ٠ر٥٥ |
| الـصين | ٠ر١١١ | ٠ر١٠٨ | ٠ر٧٦ | ٠ر٦٥ |
| الولايـات المتحـدة | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ |

غير انه من الضروري التوضيح والتأكيد هنا الى ان انخفاض حجم الانفـاق العسكري الاميركي وحجم القوات المسلحة الاميركية لا يعني على الاطـلاق انخفاض صناعة الاسلحة في أميركا المعدة للتصدير الخارجي · فمع تـطور الاستراتيجية الاميركية من مرحلة التورط المباشر في العالم بكل ما يمكن ان تقود اليه هذه السياسة من اهتزازات داخلية في المجتمع الاميركي كما كان الامر مع حرب فيتنام الى مرحلة (الفتنمة) او استخدام الادوات المحلية وتشجيع الحروب الاهلية والمحدودة داخل العالم ، تطور بشكل واضح حجم الاستعمال الخارجي للاسلحة الاميركية وبالتالي حجم الصادرات الاميركية من الاسلحة لاسيما بعد عام ١٩٧٤ ·

فوفق الاحصاءات الرسمية لوزارة الدفاع فان حكومة الولايات المتحدة الاميركية قد عقدت خلال عام ١٩٧٥ عقودا بمبلغ ٩٥١١ مليون دولار ( حوالي عشر بليارات دولار ) نتيجة مبيعاتها من السلاح في الخارج بما في ذلك الاسلحة الجوية · مما يعني ان الانخفاض الجزئي في الانفاق الداخلي قد تحول الى ارتفاع ملحوظ في التصدير الخارجي وكأن السياسة الاميركية الجديدة هي تصدير الدمار الى العالم وابعاد شبحه قدر الامكان عن مجتمعها·

**واستنتاجات :**

ان هذا البحث يستهدف اظهار بعض الاتجاهات البارزة في التركيب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الاميركي قد تساعدنا على فهم السياسة الاميركية المنتظرة في العالم لاسيما في منطقة الشرق الاوسط ··

**اولا :** ان صناعة الاسلحة اصبحت صناعة ذات نفوذ متعاظم داخل المجتمع الاميركي وبغض النظر عن المبررات الاقتصادية والاستراتيجية لهذا النفوذ المتعاظم فقد اصبح واضحا ان هذه الصناعة اصبحت تسهم بشكل فعال في معظم القرارات والاستراتيجيات التي تضعها الولايات المتحدة ·

**ثانيا :** ان هذه الصناعة بامتداداتها الملموسة داخل الاوساط السياسية والعسكرية قد تحولت الى قوة رئيسية هامة داخل الدولة الاميركية ·

**ثالثا :** ان هذه الصناعة ، اذا كانت قد احنت رأسها مرحليا للضغوط الداخلية بتخفيض التورط الاميركي العسكري في الخارج ، فانها حاولت ان تجد لنفسها منافذ جديدة للتسويق متمثلة بتصدير الاسلحة الى العالم ·

**رابعا :** ان هذه المنافذ الجديدة تحتاج ، في ظل المخاطر الكبرى الناجمة عن حرب عالمية شاملة ، ان تلجأ السياسة الاميركية العليا الى المساهمة في ابقاء التوتر في مناطق متعددة من العالم مع الحرص على ابقاء هذا التوتر في الحدود التي لا يتطور فيها باتجاه حسم جذري للمواقف والاتجاهات لمصلحة الحركة الثورية العالمية ·

**خامسا :** ان منطقة الشرق الاوسط بقضيتها المركزية ( القضية الفلسطينية ) والقضايا الاخرى ( الخليج ، خلافات الحدود ، الانقسامات ذات الطبيعة العنصرية والطائفية والقبلية ) وبامكاناتها المالية المتزايدة تشكل المجال الخصب لتصدير السلاح الاميركي واستيعابه ·

ان هذا الاستنتاج تدعمه الارقام والحقائق التي ظهرت عن صفقات الاسلحة المعقودة بين بلدان الشرق الاوسط ·

فمن ضمن الدول العشر الاولى على قائمة تصدير السلاح الاميركي تحتل خمس دول شرق اوسطية مواقع متقدمة بينها وهي : ايران ( الاولى ) السعودية ( الثانية ) ، دولة الكيان الصهيوني ( الثالثة ) الكويت ( السابعة ) والمغرب ( الثامنة ) ، وان هذه الدول العشر الاولى تستورد ما قيمته ٨ر٠١٩ مليارات دولار من الاسلحة الاميركية وما نسبته ٣١ر٨٤٪ من قيمة الصادرات الاميركية من الاسلحة ٠

وفقط ايران والسعودية وحدهما قد استوردا لعام ١٩٧٥ ما نسبته ٤٤ر٤١٪ من المجموع الكلي لصادرات السلاح الاميركي ٠

واذا اضفنا الحقيقة الاخرى المتصلة بالنزاع الذي انفجر بين كارتلات الاقتصاد الاميركي النفطية والصناعية بسبب الارباح الشاهقة التي حققتها احتكارات النفط من الزيادة المفاجئة والرهيبة في اسعار النفط سنة ١٩٧٣ والذي ادى الى تفاهم ضمني جرى بموجبه ايجاد « اسواق فسيحة » للمنتجات الاميركية الاخرى ، لاسيما الاسلحة ، في بلدان النفط . نستطيع ان نرى بوضوح كيف يتحول تصدير السلاح الاميركي الى شكل اخر من أشكال مصادر الثروة في هذه المنطقة من العالم ٠

**سادسا** : على ضوء هذه الحقائق يمكننا ان نفترض ، وان يستند افتراضنا الى درجة كبيرة من الواقعية ، ان الادارة الاميركية غير جادة ، لا بل وغير مبالية ، في ايجاد حلول عادلة للمشاكل العالقة في العالم لاسيما في هذه المنطقة ٠ لكنها في الوقت ذاته حريصة جدا ، وجادة الى حد كبير ، في عدم افساح المجال لان ينجم عن عدم حل هذه القضايا والمشاكل اي تطورات تؤدي الى تجذير الموقف الوطني والقومي والى الالتزام بالخيار الثوري كخيار وحيد متاح امام الانظمة والشعوب على حد سواء ٠٠

من هنا فهي تتبع تكتيكا تضليليا يوحي « بنواياها الجدية » في ايجاد حلول عادلة للقضايا المطروحة ( كزيارات وزراء خارجيتها المتكررة الخ ٠٠ ) لكنها في الوقت ذاته لا تمارس اي جهد حقيقي بهذا الاتجاه ٠٠

لقد توصلنا الى هذا الاستنتاج عبر تناول جانب واحد من الصورة ، وهو تأثير صناعة الاسلحة على السياسة الاميركية ، لكن تناول الجوانب الاخرى كالتكوين الامبريالي للرأسمالية الاميركية ، والصلة العضوية بين الصهيونية والامبريالية ، والخوف التاريخي من الامة العربية ووحدتها وتقدمها ونهضتها الحضارية الخ ٠٠ يؤدي بالتأكيد الى استنتاجات مماثلة ٠

## المراجع

1 — Melnan S , 1974 *The Permenant War Economy* , 1974 New York Simon & Schuster .

2 — Rosens , ed . 1973 , *Testing the Theory of military - Industrial Complex* , Lexington , D.C. Heath .

3 — Allison , G. T. 1971 . *The Essence of Decision* , Boston , Little , Brown .

4 — Halperin M.H. 1973, *Bureaucratic Politics and Foreign Policy* , Washington , Brookings Institution .

5 — Purdy D, 1973 , The Theory of the Permenant arms economy , *Bulletin of the Conference of Socialist Economists* , Spring .

7 — Smith R.P. 1977 Military expenditure and capitalism , *Cambridge Journal of Economics* , Val 1 , No 1.

8 — U. K. Imput — Output , tables .

9 — Donavan , J. A, 1970 *Militarism U.S.A*, New York , Scribners

10 - 11 — U.S. Arms Control & Disarmement Agency , World Military Expenditures and Arms Transfer ( 1965 - 74 ) .

ميشيل كيلو

# فلسطين في الاستراتيجيات السياسية

هدف هذا البحث المقتضب تقديم بعض الافكار حول المكان الذي احتلته القضية الفلسطينية في التاريخ العربي المعاصر ، وعرض بعض القسمات العامة لمواقف القوى المختلفة مما عرف « بالمسألة الفلسطينية » ، وفحص بعض جوانب الوضع الراهن للقضية ، على ضوء خبرات التاريخ السياسي للسنوات التي تلت الحرب العالمية الاولى ، علنا نستطيع بعد ذلك تحديد ملامح اولية لعلاقة القضية الفلسطينية باستراتيجية النضال العربي ، على ضوء التطورات الممكنة لقوى الثورة الديمقراطية في الوطن العربي ٠

## فلسطين والتاريخ المعاصر لما بعد الحرب العالمية الاولى

لو ألقينا نظرة أولية على تاريخ الواجهة الشمالية من الوطن العربي ، لوجدنا انها ، بعد الحرب العالمية الاولى ، تعرضت لاقتحام امبريالي كبير للقسم السوري من بلاد العرب ، ترسخ داخل أطر قامت على اقتسام سوريا الطبيعية بين انجلترا وفرنسا ، وعبر عن نفسه في خلق كيانات محلية ، قطرية . قامت فوق الرقعة المهشمة والممزقة للمنطقة التي كانت تعرف باسم سوريا الطبيعية ٠ وقد ترتب على عملية الاقتسام هذه تفكك معين اصاب « الحركة » القومية العربية التي كانت معادية للسيطرة العثمانية ، والتي حملت ذات يوم طابعا فوق اقليمي ، وطمحت لاقامة كيان سياسي موحد عبر عنه أحسن وانضج تعبير حتى ذلك الوقت ، المؤتمر السوري الذي عقد في باريس عام ١٩١٣ ، ليقدم برنامجا

يتضمن صورة سوريا الطبيعية بعد تحريرها من الوجود التركي ٠ هذا التفكك سار في اتجاهين رئيسيين :

ـ الاول تجلى في الارتداد الفعلي لقوى « الحركة » القومية نحو الاطر الاقليمية والقطرية للنضال السياسي ٠

ـ والثاني تبدى في التأقلم ، التدريجي ولكن المتعاظم ، مع التقسيم الامبريالي لسوريا الطبيعية،والقبول بالعمل لاقامة « دول وطنية »تشكل الاطار العام لكل قوة سياسية ٠ وقد عنى هذا ان اولوية توحيد البلدان التي عرفت باسم سوريا الطبيعية قد تراجعت لصالح تكوين « الدول » الوطنية ، على ان يعقب الاستقلال العودة الى محاولات توحيد الكيان السوري الممزق ٠

وساعد على بروز هذا التيار وتبلوره انتصار الجناح الاقطاعي ـ الاقليمي في « الحركة » القومية ، وانحسار نفوذ الجناح البرجوازي الوليد ، الذي كانت قوته تتعاظم ونفوذه يتزايد ، قبل حدوث الاقتحام الامبريالي ، الذي جاء ليوقف ميلان ميزان القوى داخل الحركة القومية لصالحه ، ثم ليدفع بهذا الميزان ضده ، ولصالح الاقطاع ، لفترة ليست بالقصيرة ٠

والواقع ان هذا التطور في « الحركة » القومية قد حدث ضمن اطار تاريخي تجلت ميزته في ان الانفكاك عن تركيا كان ، بحد ذاته ، مهمة ديمقراطية ٠

الا ان المحتوى الفعلي لهذا الاطار العام كان سيتجاوز ، بعد انجاز تحرر سوريا الطبيعية من السيطرة العثمانية . طاقة الاقطاعية السورية ، بل انه كان يهدد هيمنتها السياسية على « الحركة » القومية نفسها ، وهو أمر تجلى في بروز التوجه البرجوازي داخل هذه « الحركة » ، فلم يجد الاقطاع ما يفعله أمام هده المهمة الديمقراطية التي اجهضها الاقتحام الامبريالي ، سوى التسليم بالامر الواقع ،الذي جاءه بحل للاشكال الذي كان يواجهه ( التناقض بين الطبيعة الديمقراطية للتحرر،وبين الطبيعة الاقطاعية للطبقة المهيمنة في الحركة القومية)٠ وهكذا استسلم الاقطاع السوري في مسألة الاطار الديمقراطي للاستقلال ، مقابل ان تكون له الهيمنة السياسية على الاقطار السورية المختلفة ، فعقد حلفا مع القوى الامبريالية الانجليزية والفرنسية كان جوهره التخلي عن اقامة دولة واحدة فوق اراضي سوريا الطبيعية ٠

في هذه الفترة صدر وعد بلفور ، وأخذت بريطانيا تفي بالتزاماتها لليهود في خلق الظروف المادية الضرورية لاقامة دولة لهم فوق أرض فلسطين ٠ لقد كانت مسألة الدولة القطرية تتقدم ، في حين كانت مسألة عروبة فلسطين تتراجع ٠ وكان تبلور الدول القطرية في أمر الساعة في كل مكان من سوريا

الطبيعية ، باستثناء فلسطين ، رغم ان قياداتها السياسية بذلت جهودا مماثلة لجهود القيادات السياسية في الاقطار السورية الاخرى ، سواء فيما يتعلق بمراضاة الاستعمار الانجليزي ، أو بخصوص تقديم تنازلات للحركة الصهيونية، ولكن هذه الجهود ذهبت هباء ، وتحولت بمرور الوقت الى عبء اساسي على النضال الجماهيري والوطني ، واسهمت ، بهذا المعنى ، في ترجيح ميزان القوى لصالح القوى الصهيونية التي شرعت في التبلور فوق ارض فلسطين كسلطة بديلة للسلطة العربية المنشودة وبالتالي للدولة العربية المأمولة ٠

هذه المفارقة حكمت التاريخ العربي المعاصر لسوريا الطبيعية برمتها ٠ وقد تجلت في ابتعاد القوى « القومية » السابقة عن الطابع القومي العام لتحرير سوريا . وفي استغراقها داخل اطرها الاقليمية الخاصة ، حيث بدا ان تكوين دولها الخاصة هو المهمة التاريخية الاساسية والاستراتيجية ، وليس ردع الخطر الصهيوني وابعاده ٠ ومع الوقت تحول تشكيل هذه الدول القطرية الى غاية بذاته ، وتم تصويره للجماهير على أنه مكسب « قومي » ووطني من الطراز الاول ، لان انجازه يعني الاستقلال الوطني ، وهذا مطمح كل انسان ومراد كل نفس ٠

باختصار : لقد تحولت مسألة استقلال فلسطين من احدى القضايا المركزية « للحركة » القومية قبل الحرب العالمية الاولى ، الى قضية فلسطينية محلية من اختصاص القيادة السياسية الفلسطينية ، وصارت مسألة « خارجية » و « هامشية » بالنسبة لقادة « الدول الوطنية » المتشكلة ، وخرجت من افق نضالهم عمليا ، لانهم تصوروا ان اشتراكهم في النضال الى جانب الشعب العربي الفلسطيني ، وضمن استراتيجية قومية عامة للنضال المعادي للاستعمار ، سيدمر تحالفهم مع القوتين الاستعماريتين ، وسيهدد مصير دولتهم الوطنية نفسها ، وسيدخلهم في معركة تستنفد قواهم ، وتضعهم عمليا بين سندان الاستعمار ومطرقة الجماهير ، فآثروا تغطية موقفهم العملي هذا تغطية لفظية ، ظاهرها وطني وقومي ، وجوهرها ترك شعب فلسطين لمصيره ٠

هذا الموقف استمر عمليا منذ العشرينات وحتى اواخر الاربعينات ، حين تحرك قسم من القيادات السياسية الاقطاعية العربية لتقاسم فلسطين مع الصهيونية ، بحجة انقاذ ما يمكن انقاذه منها ٠ وكان تحركها هذا مؤشرا على انتقالها من طور السكوت على ضياع فلسطين ، الى الاشتراك النشط في حرمان شعبها من ايجاد اشكال خاصة به للتعبير السياسي ، كما كان دليلا على ان تكون الدولة القطرية اصبح يتطلب ، في ميزان القوى الجديد في المنطقة بعد الحرب العربية الاسرائيلية ، ضبط الطاقات النضالية لشعب فلسطين ، وكبتها

كطاقات تتهدد الدول الجديدة ، التي ادعت انها ستعود الى مفهوم الوحـــدة العربية ، بعد حصولها على استقلالها ٠

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد برز خط آخر لبعض الدول القطرية كـان جوهره تحجيم الخطر الصهيوني أولا ، ثم حصره ومنعه من الانتشار في مرحلة لاحقة ، ليكون ما حدث لفلسطين الاستثناء ، وليس القاعدة ٠ والحقيقـــة ان اشتراك بعض الاقطار العربية في حرب فلسطين كان يهدف **رسميـــا** ، علـــى صعيد القيادات ، الى حصر الخطر الصهيوني في فلسطين نفسها ، ومنعه مـــن الامتداد الى الاقطار المجاورة ، خاصة وان برنامج الحركة الصهيونية كان ينذر بمثل هذا الاحتمال ٠ أما الشعارات التي طرحت آنذاك ، رسميا ، حول التحرير فكان الهدف منها تضليل الجماهير وضبط حركتها ، وايهامها بان كل شيء قـد صنع لتحرير فلسطين ، ولكن ٠٠٠ ليس بالامكان أبدع مما كان ٠

تلك كانت المرحلة الثانية في موقف الدول القطرية من المسألة الفلسطينية ٠ في المرحلة الاولى ادى تفكك « الحركة » القومية ، الآيلة الى اقامة دولة قطرية ، الى ترك فلسطين تقاتل معركتها منفردة ، ضمن ميزان للقوى في غير صالح الشعب الفلسطيني ٠ وفي هذه المرحلة ، الثانية ، تم التسليم بضياع فلسطين ، وتركـز الجهد على حماية الدول القطرية من ان تلاقي المصير الفلسطينـــي ، وهنـــاك مرتكزات كثيرة تجت بها هذه السياسة ، أولها طريقة بناء الجيوش ، وليـــس آخرها السلوك الدفاعي الثابت تجاه الاستفزازات والاعتـــداءات ومحـــاولات التوسع الصهيونية ٠

في نهاية هذه المرحلة انكشف الغطاء عما كانت تحتويه طنجرة السياســـات القطرية ، ورأى الناس بأم اعينهم ان سياسة اقامة الدول القطرية لم تكـــن تعني تأجيل النضال القومي الى مرحلة لاحقة ، بل عنت عمليا التخلي النهائـي عنه ، وظهر أيضا ان الاقطاعية الحاكمة بالتحالف مع البرجوازيـة ـ وهـــذه استسلمت بدورها للحلف الاقطاعي ـ الاستعماري بعد معاهدات ١٩٣٦ ـ لـم تعجز عن انقاذ فلسطين لانها كانت تريد تحرير اقطارها اولا ، بل عجزت ، لانها رأت في الاستعمار منقذها العام ، حتى داخل اقطارها نفسها ، فلم تتحرر هـذه الا شكليا ، وبقيت في الواقع تابعة وخاضعة ٠

**مرحلة ما بعد ١٩٤٨**

**كانت حرب ١٩٤٨ الامتحان الذي رسبت فيه تحالفات الاقطاع والبرجوازية ، وظهر جليا ان مهمات الثورة الديمقراطية ، وفي مركزها الموقف من الامبرياليـة وفهم التناقضات المترتبة عليه ، لا تحلها الا قوى ديمقراطية معادية للامبريالية ،**

ولقد كانت التبدلات السياسية التي شهدتها بلدان التماس مع المشكلة الفلسطينية فرصة لبروز هذه القوى ووصولها الى السلطة • وكان مميزا لهذا البروز انه جاء على يد قوى عسكرية اشتركت اشتراكا مباشرا في حرب ١٩٤٨ ، وخبرت ، بتجربتها المحسوسة ، نقاط الضعف العملية لسياسة الحلف الاقطاعي ــ البرجوازي حيال هذه المسألة الهامة ، وفي مقدمتها نظرته الى المعركة في فلسطين بوصفها محصلة للتناقض مع اليهود والحركة الصهيونية . وليست أحد اشكال التناقض الاوسع والاعم ، مع الامبريالية نفسها • وبما ان الحلف الاقطاعي البرجوازي خاض « معركته » مع الصهيونية على ارضية تحالفه مع الامبريالية ، على الرغم من أن هذه هي التي أقامت الكيان الصهيوني ، او خلقت له ، على الاقل ، شروط الحياة والوجود ، فان مجيء القوى الجديدة الى السلطة عبر بوابة فلسطين رافقه تقدم في النظرة الى التناقض الرئيسي ، كتناقض بين الامة العربية والامبريالية العالمية وفرعها الصهيوني المحلي • ولكن هذا التقدم لم يلبث ان عانى من نقطة ضعف اساسية ، حين توسعت المعركة مع الامبريالية واشتدت ، ثم امتدت الى الطبقات الداخلية الموالية لها ، وانتشرت لتشمل مشكلة التجزئة العربية • فقد سارت هذه القوى على خط أساسه تأجيل حل التناقض مع العدو الصهيوني ، ريثما يحل التناقض مع القوة المعادية الرئيسية ، وهي الامبريالية • هكذا سارت القوى الجديدة ، رغم ضربة ١٩٥٦ ، التي برهنت على ان حل التناقض الرئيسي مع القوة الاساسية يجب ان يشمل حتما الفرع المحلي للامبريالية ، والا استخدم كاحتياطي ميداني ضد حركة هذه القوى الجديدة ، في سياسة حصر الخطر الصهيوني ، وجعله مقتصرا على فلسطين ، وعدم استفزازه بأي شكل جدي ، ريثما تكون المنطقة قد تحررت من الامبريالية ، ومال ميزان القوى لصالح الحركة الثورية الديمقراطية العربية • هذا الفصل العملي ، يذكرنا بالفصل السابق الذي اجرته القوى الاقطاعية والبرجوازية ، حين تحالفت مع الامبريالية وخاضت معركة دفاعية ضد الصهيونية ، وان اختلفت طبيعته عن الفصل السابق ، اذ لم يقم هنا حلف مع الامبريالية ، بل قامت جبهة ضدها ، وان بقي النضال ضد العدو الصهيوني سلبيا وفي طور الدفاع •

وعلى الرغم من ان القوى الجديدة كانت ترى بأم عينيها كيف تتحول معركتها في المنطقة مع الامبريالية الى معركة مع مرتكزاتها المحلية ، وخاصة مع الكيان الصهيوني ، فانها لم تنجح في نقل سياستها الهجومية المباشرة حيال الامبريالية الى المجال الفلسطيني ، بل بقي وضعها هنا متسما بالجمود والسلبية • لكنه سيكون من قبيل التضليل الزعم بأن سياستها لم تكن تؤثر على الموضوع الفلسطيني ، او تصب فيه بصورة من الصور ، اذ ان معركة هذه القوى مع الامبريالية كانت ، في حال نجاحها ، ستخلق الاساس الوطيد لمعركة اخرى تؤدي الى حسم الصراع العربي ــ الصهيوني لصالح الامة العربية ، بمرور الزمن •

ان لم يكن مرة واحدة · لكنه من الضروري القول ، من جهة اخرى ، بأن نقاط ضعف هذه القوى ، كانت تترجم عمليا لصالح الامبريالية ، وبالتالي لصالح الكيان الصهيوني · صحيح ان هذه القوى طرحت مهمات مركزية لثورة ديمقراطية معادية للامبريالية ، ولكنها طرحتها بصورة ناقصة ، وطرحتها طرحا غير جذري ، فكان موقفها الاجتماعي وسطيا ، حين سمحت للقوى المضادة بان تنمو في احضانها ، في وقت كانت تحجم فيه حركة الجماهير وتقيدها عن وعي ، وموقفها من الامبريالية نفسها لم يكن جدليا ، فلم تر في حركة الطبقات داخل المجتمع العربي أبعادها الدولية ، بل رأت فيها أمرا يضعف او يعزز سلطتها هي · كما انها نظرت الى مسألة الوحدة العربية من زاوية « تجمع القوة » ، ولم تناضل في سبيلها كمسألة تحتوي مسائل أخرى ، مع انها هي نفسها متضمنة فيها · انها لم تر جدل العلاقة بين مهمات الثورة الديمقراطية ، كما لم تعتبر هذه المهمات رافعة لتغيير اجتماعي ثوري ، يؤول الى مجتمع اشتراكي موحد ، بل رأت فيها مهمات قائمة بذاتها ، فأخذت تفتش لها عن أطر تنظيمية تكيسها بداخلها ، وعن قوى سياسية واجتماعية تتبناها ، فلم تجد سوى تلك الطبقات البينية ، التي لم تلبث ان انقضت على الجانب الراديكالي والمعادي للامبريالية في التجربة كلها ، وأخذت تجهز عليه خطوة بعد أخرى ·

جملة القول : ان هذه القوى لم تر ايضا جدل العلاقة بين الامبريالية والصهيونية ، بل اعتبرت هذه العلاقة مجرد علاقة سيد بتابع ، دون ان تلاحظ الانتقال الذي حدث في الحركة العامة لمعركتها مع الامبريالية ،حين عجزت القوى المحافظة العربية عن التصدي ، وانتقل مركز ثقل التصدي الى اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ تقريبا ، وفي حرب ١٩٦٧ بخاصة ·

## مدلولات حرب ١٩٦٧

اظهرت حرب ١٩٦٧ ان المصير الذي واجهته فلسطين لم يكن استثناءا ، بل كان القاعدة التي ستخضع لها كل الاقطار العربية · فقد اقتحم الجيش الاسرائيلي حدود ثلاث من الدول العربية ، لينقل اليها « المشكلة الفلسطينية » ، ويفرضها عليها كمشكلة داخلية ايضا · لقد واجهت الاقطار العربية خلال أيام ستة حقيقة طالما تجاهلتها وفرت منها ، وهي ان التناقضات العدائية لا تحسم بالتأجيل ، وان أحد اطرافها يجب ان يخرج خاسرا منها · كما واجهت خلال أيام الحرب القصيرة مسألة جدوى الدول القطرية نفسها ، وفتحت عينيها على أربعة انواع من الاسئلة :

- سؤال حول صحة الاطار العام الذي خاضت فيها معركتها مع الامبريالية ·

ـ وسؤال حول الادوات الدولية التي استخدمتها خلال هذه المعركة ٠

ـ وسؤال ثالث حول برنامج عملها الذي ترجمت فيه طموحاتها القومية والطبقية ٠

ـ وسؤال اخير حول القوى التي تصدت لتنفيذ هذا البرنامج ، وخوض المعركة ٠

وكانت الفاجعة ان الاجوبة على هذه الاسئلة الاربعة لم تكن في صالحها ، وان معركة حزيران قد أكرهتها على مراجعة نشاطها كله ، وهي في وضع المهزوم ، وبعد ان ديست قدسية الدولة القطرية بصدمة عسكرية قاسية من الخارج ، نقلت الى داخل كل قطر مهزوم* الجرثومة* الفلسطينية ، ومعها السؤال التالي : ما جدوى كل ما فعلناه ، اذا كان مهددا بالانهيار ، اثر ضربة عسكرية اسرائيلية خارجية ؟٠ ان اسرائيل لم تعد مشكلة خارجية بهذا المنظور ، بل غدت قوة داخلية عربية قادرة على حجز التطور الديمقراطي والثوري العربي ٠ ولقد كان عدوان حزيران ، بهذا المعنى ، البرهان القاطع على ترابط مهمات الثورة الديمقراطية أولا ، وعلى خطأ الفصل بين وجهيها الداخلي والخارجي ثانيا ، وعلى صعوبة انتزاع تقدم في أحد مجالاتها ، ان لم يؤمن بما فيه الكفاية في المجالات الاخرى ثالثا ٠ ولقد اكتشفت القوى الجديدة ان تغيرا عميقا كان يجب ان يصيب بنى دولها القطرية ، لتتناسب قدراتها مع المهمات النضالية المطروحة عليها ، وان الطريق القديمة التي سارت عليها ، والنهج الذي مارسته ما عادا صالحين ، ان هي شاءت مواصلة النضال ٠ وانها مكرهة على اتخاذ قرار حاسم تتخلص به من سياستها الوسطية ، او تعود بعده الى الارضية التي وقف عليها حلف الاقطاع والبرجوازية في سياساته حيال مسألة الامبريالية والقضية الفلسطينية ، علها بذلك « تنقذ ما يمكن انقاذه » ٠

بعد مرحلة قصيرة من المقاومة ، انهار الجناح الراديكالي الديمقراطي ، ذو الاصل البرجوازي الصغير الفلاحي ، وحلت محله في السلطة تلك الشرائح التي صعدت معه في الحكم ، ووصلت الى وضع صار حسم الصراع فيه يلحق اشد الضرر بمصالحها ، ومصالح الطبقات والقوى الوسطية والبينية في المجتمع برمته ٠ مع سقوط القوى من النمط الراديكالي سقط الخيار الجذري ، وانسدت المساومة والتكييف، كما عبر عن نفسه فر حرب ١٩٦٧ ، وما تلاها من تطورات عسكرية وسياسية ٠

كان صعود التيار الجديد الى مركز القرار السياسي تطورا هاما في الحياة السياسية العربية ، كما كان حدثا نوعيا بالنسبة للقضية الفلسطينية بالذات ،

التي شهدت قواها مع تقهقر التيار الاول ، وصعود التيار الجديد عمليات قمع وتصفية وصلت حد الابادة عسكريا وسياسيا ٠

هذا الصعود مثل ارتدادا الى سياسة الاقطاع والبرجوازية التقليدية في مسألتين :

الاولى : الايمان بان القضية الفلسطينية لا يمكن ان تجد لها حلا خارج اطار التحالف مع الامبريالية ٠

والثانية : هي ان القضية الفلسطينية لا تعدو كونها خلافا بين كيانات سياسية داخل المنطقة العربية ، وليست موضوع استراتيجية للنضال ضد الامبريالية ، وهي بهذا المعنى غير صالحة لان تكون محكا لجدارة الدولة القطرية في الوجود ، لان مبررات هذاالوجود يجب ان تتجاوزها ، بعد أن كانت القضية الفلسطينية هي القضية الوحيدة التي خسرت بهاالدولة القطرية ، وكانت المسألة الاساسية التي امتحنت بها ، وساقتها من فشل الى آخر ٠

المهم ، ان هذه السياسة التقليدية قد صاحبها تبدل جذري في موقع القضية الفلسطينية من مهمات النضال ، كما رأته القوى الجديدة ، التي صعدت بعد ١٩٦٧ ، فلم تعد القضية التي تقاس بها عروبة هذا النظام أو ذاك ، بل صارت قضية خارجية وهامشية بالنسبة لمعظم الانظمة ، لانها فقدت تلك الدرجة من التمفصل مع المهمات الداخلية والقومية للنضال ، التقدمي والمعادي للامبريالية ، وتحولت من « قضية » الى « مشكلة » ، ودرجت تسميتها الاخيرة فعلا ، على كل لسان رسمي وشفة ٠ وكان الستار الذي مررت من تحته هذه العودة عن الطابع النضالي للقضية الفلسطينية هو ذلك الفصل بين مهمات التحرر الوطني التي وزعت على مرحلتين سميت الاولى منهما « ازالة آثار العدوان » والثانية «تحرير الارض المغتصبة » ٠ ونحن لا نعترض على هذا الفصل اعتراضا شكليا ، لانه لا مانع لدينا ان يمرحل النضال العربي ، لكننا نؤمن ان ازالة آثار العدوان ليست مهمة منفصلة عن « تحرير الارض المغتصبة » ، وان قوة العدو داخل هذه الارض المغتصبة هي التي تحمي العدوان في اراضي الاقطار العربية المجاورة لفلسطين ٠ وان تدمير هذه القوة شرط ضروري لازالة آثار العدوان ، ولكن تدمير القوة المعادية سيعني ، او يجب ان يعني ، تحرير الارض المغتصبة ٠ هذه المرحلة التي تتحدث عنها قوى ما بعد ١٩٦٧ ، بحجة ان العالم يفهمها اكثر مما يفهم شعارات التحرير ، لا تريد الوصول الى العالم حقا ، بوصفها المرحلة الاولى من تحرير الارض ، بل تريد امرا آخر ، هو الايحاء بان مشاكل الانظمة ومهماتها ( ازالة آثار العدوان ) ، تختلف جذريا عن القضية الفلسطينية ( تحرير

الارض المغتصبة ) ، ولهذا فانها لا تفهم « ازالة آثار العدوان » كمفهوم يعادل في الواقع مفهوم « تحرير الارض المغتصبة » ، بل تطرحه كشعار مضاد لمفهوم التحرير ، لان ازالة آثار العدوان قد يتم بصورة سلمية ، عبر المفاوضات والتسويات ، والتحرير لا يتم بالمفاوضات ولا بالتسويات السلمية ، بل بالقوة دون سواها . ريما ان « ازالة آثار العدوان » تتم هذه الايام بالمفاوضات ، فانها تتم عمليا على حساب التحرير ، خاصة بعد ان منعت سائر القوى العربية من النضال في سبيله بالقوة ، باي حجم كان ولاي سبب كان · ان « ازالة آثار العدوان » قد غدت نقيض « تحرير الارض » ، ولان الاراضي التي سيزال العدوان عنها هي اراضي الدولة القطرية ، فان مطلب ازالة آثار العدوان يعني بالنسبة لها « الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كل شبر منها » ، اما « التحرير » ، هذه المسألة القومية العامة ، فهو لا يعني شيئا بالنسبة للبعض ( نوافق على ما يوافق عليه شعب فلسطين ، وهذا مسلوب الارادة غدا اكثر من اليوم ، وبعد غد اكثر من الغد !! ) ، او انه يعني « قرارات الامم المتحدة » ، ولكن دون تحديد كاف لها ، مع اننا أول امة تربط قولا وفعلا حقوقها القومية بارادة دولية ، بدل أن نربطها بارادتنا القومية نفسها ، ونجعل منها بالتالي رائزا لتبلور كياننا ووجداننا القومي نفسه !!·

هكذا تحولت ارادتنا في القضية القومية ، قضية فلسطين ، الى الحق الدولي عالميا ، والجغرافيا محليا ، بينما بقيت القضية الوطنية منصبة على هدفها الاساسي ، وهو المسألة السياسية المرتبطة باندماج الشخصية الدولية القطرية واستكمال قوامها التاريخي الذي ورثته مرة اخرى · وقد قال احد زعماء العرب ذات مرة ما معناه : ان حدود بلاده مهددة بان تتغير لاول مرة منذ عدة آلاف من السنين ،ولم يخطر بباله أن تسليمه في المسألة القومية يهدد **وجود أمته** ، وليس حدود بلاده ،لعدة مئات قادمة من السنين ، ويضع حدود بلاده نفسها تحت رحمة الغزاة الذين سمح لهم بامتهان كرامة امته من اجل حدود بلاده ·

وقد بلغ التراجع في المسألة الفلسطينية حدا صرنا نرجو معه الامبريالية ان تجد حلا لمشكلتنا هذه ، بعد ان خضنا معها معارك لا ترحم طوال العقدين والنصف الماضيين ، لانها هي التي تسببت بغرز الاسفين الصهيوني في عمق صدر أمتنا · ولم يعد أحد يحس بالجرح ، حين يقول علنا ان حل القضية برمتها قد صار في يد واشنطن بنسبة تقارب ١٠٠٪ ( ترى ما هو دورنا نحن كأمة وكارادات واعية ان القت اميركا بدورها لصالح اسرائيل ، هل نقول عندئذ ان دورنا لا زال هو الصفر ؟!· في هذه الحالة ما معنى كلمة « التحريـــو » و « المعركة » ؟! ) ·

*بل ان بعضنا اخذ يحاول شراء قسم من الاراضي المحتلة من الصهاينة*

أنفسهم ، حين حاول اغراءهم بالايدي العاملة العربية الرخيصة ،وفائض الاموال العربية ، اللذين يجب ان يقرنا « بالعبقرية الاسرائيلية المبدعة » ليتغير شكل المنطقة ، وتسير نحو التقدم والازدهار ·

هذا التحول العميق نحو الاستراتيجية التقليدية للاقطاع والبرجوازية يعني عمليا العجز الكامل عن استرداد اية قطعة من الارض العربية المحتلة بالقوة ، وهو يعني المساومة التقليدية التي دخلها الاقطاع والبرجوازية مع الامبريالية ، ولكن على أرضية اكثر خطورة وعمقا من الارضية التي تلت الحرب العالمية الاولى · وهو يعني ثالثا العودة بالعرب الى وضع ميؤوس منه حيال الامبريالية والصهيونية ، علهما يؤمنان للكيانات القطرية شيئا من الحماية العسكرية ، او جوا من الامن الخارجي يمكنها من الانصراف لقضاياها الداخلية والعربية ، في اطار من مصالح القوى المتحكمة بها : وهي الرأسمالية الدولية والكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة · ان التخبط الذي تعيشه الانظمة الان ليس نابعا من عجزها عن التقدم في القضية الفلسطينية ، كما يدعي بعض وجوهها ، بل هو عائد ، اولا واخيرا ، لعجزها عن التقدم في مسألة استرداد اراضيها · والامبريالية لا تمكنها من انجاز اي تقدم حاسم على هذا الصعيد ، لانها تعلم ان هذا العجز هو مقتل الدولة القطرية ، وانه السبيل الى ابتزازها حتى النهاية، وتحويلها من كيان قد يرتبط بحركة قومية صاعدة ، الى اداة للتدهور والانهيار العام ، ومن تعبير عن الوحدة السياسية والاجتماعية كمجموعة بشرية ما ، الى تعبير عن التفكك والانقسام والعشائرية والطائفية · وهي تدفع بالكيانات القطرية في هذا الاتجاه ، بعد أن استنزفتها بالوعود الكاذبة حول عزمها على تمكينها من استرداد اراضيها ، فلا هي اعادت لها الارض ، ولا هي تركت لها القوة لاستردادها ، وغدت روحها معلقة بيد رجل القرار الامبريالي ــ الصهيوني ، الذي يستطيع ان يجهز عليها ، متى رأى في ذلك مصلحة له ·

ان العودة الى استراتيجية الاقطاع ــ البرجوازية في القضية الفلسطينية ، والتخلي عن النظر الى هذه القضية بوصفها أحد روافع التقدم والثورة العربيين، قد صحبهما صعود حقيقي لقوى شبه برجوازية الى السلطة في اقطار عربية عديدة ، وتخل عن الثورة والتقدم في معظم هذه الاقطار · ومع ان هذه الرابطة بين الامرين تستحق دراسة خاصة ، فاننا اردنا التأكيد عليها فقط ، قبل ان ننتقل الى النقطة التي تليها ·

**قضية فلسطين ، في منظار مستقبلي**

لم تنجح اية قوة عربية ، بعد الحرب العالمية الاولى ، في اخراج القضية *الفلسطينية* من وضعها *الداخلي* ، فقد تحولت هذه *القضية* *الى* عنصر من

العناصر الداخلية لحل مجتمع عربي ، وبهذا القدر أو ذاك ، لانها صارت أحد الاوجه الداخلية للموقف الخارجي من الامبريالية والصهيونية ، كما صارت احد الاوجه الخارجية للموقف الامبريالي والصهيوني من التطورات الداخلية للمجتمعات العربية المعاصرة . ان القضية الفلسطينية ، كفرع من المسألة القومية الاعم ، وكجزء مركزي من التناقض مع الامبريالية صارت تتجلى في كل فعالية سياسية ـ اجتماعية عربية ، وغدت متداخلة في مجمل تركيب المجتمع العربي المعاصر ، ومتفاوتة مع طموحاته وكوابحه ، مع تقدمه وتراجعه ، ومع تحرره وعبوديته .

بهذا المعنى لن تجد القوى الثورية مهربا من القضية الفلسطينية ، فهي ان تصدت للمشكلة القومية وجدت أمامها القضية الفلسطينية ، وان تصدت للعلاقة مع الامبريالية ، وجدت أمامها القضية الفلسطينية ، وان تصدت لمسألة التقدم والتحرر ، وجدت أمامها قضية فلسطين . ان قضية فلسطين كانت ولا تزال مسألة لا تحتمل التأجيل ، وهي كانت ولا تزال مسألة تتسم بالشمول والاتساع . وستجد القوى الثورية نفسها ، في موضوع القضية الفلسطينية ، حيال الامرين التاليين :

١ ـ اذا كانت الامبريالية تحول القضية الفلسطينية الى عامل مساعد في يدها ، فماذا نفعل لكي ننزع منها هذا السلاح ، ونحوله الى عامل لصالحنا ، وضدها .

٢ ـ اذاكانت القضية الفلسطينية قادرة على كبح تطورنا ، فماذا نفعل لكي نحولها الى عنصر من عناصر التقدم والوحدة العربيين ؟!.

هاتان المسألتان ليستا من طبيعة نظرية ، بل هما عمليتان حتى العظم . وهما ليستا عمليتين بمعنى ان حلهما ممكن مرة واحدة ، بل هما عمليتان بالمعنى الآخر الذي لم تمارسه السياسة العربية حتى الآن . فقد كانت هذه السياسة تعتقد ان « تحرير » فلسطين سيأتي بعد سلسلة من الاستعدادات ، تمهد له وتكون شرطه اللازم والضروري . وكانت تجيز لنفسها الحديث النظري عن التحرير ، ما دامت الاستعدادات العملية تتخذ من أجله . ذلك كان معنى « العملية » في السياسة . أما ما عنيناه هنا فهو مفهوم آخر يقوم على اعتبار تحرير فلسطين قضية يومية ، تدخل في البناء الداخلي للدولة والمجتمع ، وتتشابك مع العلاقة لدولية التي يقيمانها ، وتتقاطع فيها سائر الجهود المبذولة لوضع صورة بديلة ومستقبلية للتنظيم السياسي والاجتماعي للوطن العربي ، كما تتبلور فيها هذه الجهود ، يوما بيوم وساعة بساعة . ان المسألة لن ترتبط اذن بانتهاء عملية بناء المجتمع ، ولن تتوقف على هزيمة الامبريالية تماما ، بل ستكون جزءا من عملية بناء المجتمع البديل ، وقطعة من الدرب المفضية الى هزيمة الامبريالية ،

وهذا سينعكس بدوره على موضوع الاولويات السياسية بأسره ، فالاولوية لن تكون للبناء الداخلي الذي يعقبه تحرير خارجي ، بل ستكون للمعركة في أوجهها المختلفة ، ولمراكز الثقل الاكثر تاثيرا من سواها بين العناصر المختلفة لهذه الاوجه · هكذا لن يكون هناك بناء داخلي ومعركة خارجية كقطاعين منفصلين ، بل سيكون ثمة عملية واحدة مترابطة ، ذات مراكز ثقل متحولة من فترة لاخرى ، وضمن سيرورة متدفقة الى أبعد حد ممكن · لكن خلق مثل هذا الوضع يتطلب شرطا اوليا واحدا لامهرب منه :

فمن المعروف ان قضية فلسطين هي جزء من ثورة ديمقراطية عربية معادية للامبريالية ، وان هذه القضية هي احدى روافع التقدم الاشتراكي العربي ، والا فانها ، في الحالة المعاكسة ، ستصبح قيدا على التقدم ، وحاجزا امام الثورة الديمقراطية ( بعضهم يريد بناء الاشتراكية وهو مستسلم ديمقراطيا امام الامبريالية !! ) · لكن الثورة الديمقراطية تعني التحرر من السيطرة الخارجية أولا ، والتخلص من آثار هذه السيطرة على الصعيد الداخلي ثانيا · وهذه الآثار تتجلى في التجزئة والتخلف العربي الذي ينتج نفسه ويتكاثر · وقد كان شائعا حتى الآن ان حل هاتين المهمتين هو في الوقت نفسه حل ، غير مباشر ، للقضية الفلسطينية ، ولكن ضمن ترتيب للاولويات يضعها في نهاية لائحة المهمات · أما الآن ، وبعد هزيمة ١٩٦٧ ، فان هذه الفكرة قد اثبتت خطلها ، وصار جليا ان القضية الفلسطينية ليست ذات وجه عربي وحسب ، بل هي ذات بعد دولي ايضا تكمن وراءه قوى قادرة على ترجمته دوما الى هجوم معاكس صاعق على انجازات الثورة الديمقراطية في بعديها الخارجي والداخلي ·

لكن هزيمة ١٩٦٧ أثبتت امرا آخر ، وهو ان القوى القائدة للثورة الديمقراطية قد عجزت عن السير في هذه الثورة الى نهايتها ، بل وعجزت حتى عن حمايتها ، وعن رسم الخطط الصحيحة لمسارها ، وعن تصور مجرياتها ولو تصورا تقريبيا · والآن نجد انفسنا أمام قوى أخرى تتنطح لقيادة مهمات ثورة ديمقراطية « معكوسة » الى حد كبير ، تقوم على ان انجاز مهمات هذه الثورة ليس ممكنا ، من الناحية الواقعية ، الا بالاستناد الى نفوذ الامبريالية ، وهذا يدل عمليا على الطبيعة الطبقية لهذه القوى ، التي صرفت الثورة الديمقراطية عن طابعها المعادي للامبريالية ، وسارت بها في طريق **برجوازي** ، محولة اياها الى ثورة ديمقراطية ( على الصعيد النظري ، مركوبة على الصعيد العملي ) برجوازية سندها الاساسي هو الامبريالية ·

هذان التطوران ، على صعيد القوى القائدة للثورة الديمقراطية ، وعلى صعيد *التحول الذي اصاب هذه الثورة* ، ونقلها من رافع للتقدم نحو الاشتراكية الى بوابة للتطور البرجوازي ـ الرأسمالي ، كان وراء الهبوط الذي شهدته

القضية الفلسطينية في العقد الاخير ، وكانا وراء تحول هذه القضية من صاعق ثوري الى عبء يتهدد القوى الجديدة ومخططاتها ، وجب بالتالي الخلاص منه ٠ وعلى كل حال ، فاننا لا نريد ان نثبت هنا ان صعود القضية الفلسطينية مرتبط بصعود قوى طبقية ثورية الى السلطة في البلدان العربية وحسب ، بل اننا نريد ان نثبت ان التشوه الذي أصاب القضية الفلسطينية نابع بالاساس من التشوه الاكبر الذي اصاب الثورة الديمقراطية ومهماتها ، وحولها الى ثورة ضد مستقبلها ، والى تطور مقطوع الرأس ، يتعارض حاضره مع غده ، وتتناقض قيادته مع جماهيره ٠ وبكلمات اخرى : ان القضية الفلسطينية قد غدت جزءا من ثورة ديمقراطية منفتحة على الاشتراكية وآيلة اليها ، وبما ان هذه ليست ممكنة ( بدليل فشل سابقتها ) ان لم تكن قيادتها للطبقة العاملة وحلفائها ، فان انتصار الثورة الديمقراطية برمتها قد غدا جزءا من انتصار الثورة الاشتراكية وقواها، كما صار انتصار الثورة الديمقراطية مرهونا بانتصار قوى الثورة الاشتراكية . لان الحديث عن انتصار الثورة الاشتراكية التام ، ينقلنا مرة اخرى الى مفاهيم البرجوازية التقليدية حول ضرورة وجود مرحلتين للنضال من أجل فلسطين ، واحدة غير فلسطينية ، والثانية فلسطينية تبدأ بعد نهاية المرحلة الاولى ( الاستعدادات ) هنا ، ستسير مهمات الثورتين الديمقراطية والاشتراكية يدا بيد ، وستتزامل مهمات التحرر الوطني والقومي مع مهمات البناء الاشتراكي ، وستنشأ علاقة جدلية بينهما ، ليس في المآل الاخير ، بل وفي المهمات اليومية ، وليس في العموميات ، بل وفي التفاصيل ، ولن يكون هناك من حاجة لانتصار الثورة الاشتراكية انتصارا تاما وناجزا ، بل سيكون بالامكان تصور تطور مركب ، يؤثر التطور الثوري الديمقراطي في شكل التطور الاشتراكي ، ويتحدد التطور الديمقراطي بالصورة التي تحل بها المهمات الاشتراكية ، وبآفاق هذا الحل ٠ انها مرحلة مركبة ومعقدة ، سيترافق فيها النضال من أجل تحرير فلسطين ، مع النضال في سبيل الوحدة العربية ، مع النضال في سبيل حل مشكلة التاخر العربي ، مع النضال في سبيل ايجاد حلول ثورية للمشكلة السياسية ، كما تتجلى في العلاقة بين الدولة والطبقة والجماهير ٠ وبمقدار ما نتقدم ، عندئذ ، على طريق حل المهمات الديمقراطية سينفتح الدرب امامنا لحل المهمات الاشتراكية للثورة وبالعكس ٠

ان السياسة الراهنة تقوم على فصل القضية الفلسطينية عن الاوضاع الداخلية للكيانات القائمة ، اما السياسة المستقبلية فستقوم على دمج القضية الفلسطينية بالاوضاع الداخلية ، وربط هذه بالقضية الفلسطينية الى ابعد حد وأكبر درجة ، بحيث تنشأ بينهما تلك ألوحدة العضوية الوثيقة ، التي تقوم في العادة بين مهمات الثورتين الديمقراطية والاشتراكية ، كيما تصبح كل واحدة منهما شرطا للاخرى ، تفترضها وتتحقق بها ٠

محمد المجذوب

# حياد لبنان : عَزله وعُزلته

النائب ادوار حنين ، امين عام « الجبهة اللبنانية » ، كتب مرة عن الحياد اللبناني ، فاعتبر « الخارجين على الحياد خارجين على لبنان بالذات » ، وحدد مفهومه للحياد بالعبارات التالية :

« الحياد الذي ينشده اللبنانيون اصيل ومعقد ، فهو حياد عن الشرق والغرب ، حياد عن الابعدين والاقربين ، حياد في كل آن وحين ، في حالة حرب ، في حالة سلم ، وفي حالة تحضر وتحضير · حياد كامل ناجز ، لا ثغرة فيه ، ولا شائبة ، ولا عيب · حياد صادق ، مخلص ، نزيه ، حكيم ، محكم ، امين ··· حياد يكون حيادا وحسب · فلا هو حياد ايجابي ، ولا هو حياد عطوف ، ولا هو حياد جماعي · حياد يكون ، بالنسبة الينا ، حكومة وشعبا ، كنجم القطب ، به نهتدي وعلى ضوئه نسير » ·

ورد على مآخذ المعارضين للحياد فقال اننا نطالب بالحياد ليصير من حقنا ان نقول : « ليس لبنانيا اي لبناني لا يكون الا لبنانيا » !! (١) ·

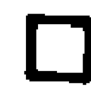
وفي البيان الذي وجهه رئيس الكتائب الى المؤتمر الخامس عشر للحزب ، طالب بحياد لبناني « يكون حيادا خاصا ، وليس كأي حياد اخر ··· » (٢) ·

والقى النائب الكتائبي ، ادمون رزق ، محاضرة بعنوان : « في سبيل حياد لبناني » ، فطالب بحياد لبناني دون تعريف ولا حصر ولا تخصيص · واعتبر ان لبنان المحايد « هو الانفع لعياله ، والابر باخوانه ، يفتح آفاق المجد لشعبه ،

والامان والبحبوحة ، ويخدم العرب ، بان يكون ملتقى لهم وموعدا ، ياتونه اصفياء ومتصافين ، يحفظونه خارج الخلافات والنزاعات ، ليوم مصالحة وتفاهم ، لمساع حميدة وجلسات انس ومودات » (٣) ٠

بهذه البلاغة الكلامية ، وبهذا الاسلوب العاطفي المنمق الغامض ، يعالج معظم اركان « الجبهة اللبنانية » وانصارهم فكرة الحياد اللبناني ٠ ومع ان هذه الفكرة ليست بالجديدة ، فهي تطرح علينا اليوم ، لاعتقاد انصارها ان الظروف السياسية الراهنة تسمح بتحقيقها ٠

ومشروع الحياد ، كمشروع التدويل او القوات الدولية او الكانتونات ، من وحي واحد ، ويستهدف اغراضا متشابهة ٠ وطرح هذه المشاريع في فترات معينة ، واثارة الجدل حولها ، وتجنيد بعض الاقلام للدعوة لها ، اصبح خطة معروفة ومفضوحة ٠ ولعل وضع الحركة الوطنية ، في لبنان وبقية الاقطار العربية ، هو المؤشر الصحيح لمعرفة توقيت ظهور هذه المشاريع او اختفائها ، فعندما تكون هذه الحركة في مرحلة مد وانطلاق تختفي كل دعوة مشبوهة ، فاذا ما اصيبت بنكسة او تعرضت لانحسار ، اطلت الافكار والمشروعات الخبيثة من جحورها وسعت الى فرض وجودها وترسيخ اقدامها ٠ وسنلمس هذه الحقيقة في **القسم الثاني** من بحثنا ، المخصص للحديث عن الدعوة للحياد كما ظهرت في السياسة اللبنانية والفكر الانعزالي اللبناني ٠ اما **القسم الاول** فسنكرسه لحديث موجز عن مفهوم الحياد وتطوره ٠



---

## القسم الاول : لمحة عن مفهوم الحياد وتطوره

---

### اولا ـ مفهوم الحياد قبل الحرب العالمية الاولى

الدولة الحيادية او المحايدة هي الدولة التي تمتنع ، بمحض اختيارها ، عن الاشتراك في حرب قائمة بين دولتين او اكثر ٠ وليس في القانون العام ما يلزم الدول بالتزام الحياد ، فلكل دولة ، بما تملك من سيادة ، مطلق الحرية في الاشتراك في الحروب المشروعة او البقاء بمعزل عنها والاحتفاظ بعلاقاتها السلمية مع الجميع ٠ غير انه يترتب على الدولة التي تفضل التزام الحياد اتباع سلوك معين تجاه الدول المتحاربة وتحمل بعض التصرفات الصادرة عنها ٠ وهذا ما يعرف بقانون الحياد ٠ ولا علاقة لهذا القانون بقانون الحرب الذي يحكم وينظم العلاقات بين المتحاربين ٠

ونظام الحياد يقوم على ركيزتين : واجبات المتحاربين التي تقضي باحترام

السيادة الاقليمية ، وحرية التنقل والاتصال للدول المحايدة ، وواجبات المحايدين التي تقضي بالامتناع عن كل تدخل في النزاع ، وبالتعامل مع المتحاربين دون تحيز او انحياز ٠

ومفهوم الحياد لم يتبلور ، قانونا وممارسة ، الا منذ زمن قريب ٠ ففي الفترة التي كانت فيها العلاقات الدولية تخضع لسيطرة القوى البحرية الكبرى ( مثل انجلترا وهولندا ) ، لم يكن للحياد وجود ، لان هذه القوى كانت لا تعترف بحياد الاخرين ولا تقيم وزنا لمصالحهم ٠

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر ، ومع حدوث شيء من توازن القوى بين الدول الكبرى ، اخذ الحياد يظهر وينمو ويرتدي اشكالا مختلفة ٠ وكان لموقف الولايات المتحدة الاميركية ، في هذا الصدد ، اهمية خاصة ٠ فالبيانات التي صدرت عن الرئيس جورج واشنطن في عامي ١٧٩٣ و ١٧٩٤ ، وقانون الحياد الاميركي الصادر في ٥ـ٥ـ١٧٩٤ ( والمجدد في العام ١٨١٨ ) تشكل العناصر الاساسية للممارسة الدولية في حقل الحياد ٠

وجرت محاولات لتحديد القواعد التقليدية للحياد ، وتقنين واجبات المحايدين، لم تكلل بالنجاح ، فبقيت هذه القواعد والواجبات مطاطة تسمح للمحايد بتقديم كل المساعدات الى المحاربين ، ومنها مرور جيوشهم في ارضه والتحاق مواطنيه بجيوشهم ٠ ان اعتماد الدول الاوروبية في حروبها على المرتزقة السويسريين قد استمر حتى العام ١٨٤٨ ، اي الى ان حرم ذلك الدستور الفدرالي ٠ وكان اعلان باريس لعام ١٨٥٦ حول الحرب البحرية اول اتفاق دولي يعالج موضوع الحياد ٠ ولكن الفضل في اقرار التنظيم الدقيق والتفصيلي لحقوق المحايدين وواجباتهم يعود الى المؤتمر الثاني للسلام ، الذي عقد في لاهاي في العام ١٩٠٧ ٠

ثانيا ـ مفهوم الحياد في القرن العشرين

تعرض مفهوم الحياد ، في الحرب العالمية الاولى ، لانقلاب في القيم ٠ لقد انتشرت فكرة جديدة تنادي بالزام كل دولة باتخاذ موقف من المعتدي ٠ فالحرب لم تعد مجرد مبارزة دموية لا علاقة للمحايدين بها ، بل اصبحت موجهة ضد الاسرة الدولية جمعاء تحتم على كل دولة التعاون والتضامن لقمعها ٠

وتسربت هذه الفكرة ، ولو بشكل متواضع ، الى ميثاق عصبة الامم ٠ فواضعو الميثاق لم يجرؤوا ، في الحقيقة ، على اعلان الغاء نظام الحياد لئلا ينالوا من مبدأ سيادة الدول ، فتبنوا حلا يعتمد مبدأ التمييز بين الحروب المشروعة ، اي الحروب التي يجيزها الميثاق ، والحروب غير المشروعة ، اي

الحروب التي تنتهك حرمة الميثاق · ففي الحالة الاولى يتم تطبيق المفهوم القديم للحياد التقليدي ، وفي الحالة الثانية يعمل بالمفهوم الجديد للحياد الذي سمي بالحياد « الموصوف » ، او الحياد الذي تنص عليه المادة ١٦ من الميثاق ، ومفادها ان اعضاء العصبة ، ممن يعفون من الاشتراك في انزال العقوبات العسكرية بالمعتدي ، ملزمون بالاشتراك في التدابير الجماعية ذات الطابع المالي او الاقتصادي ، وبالسماح للجيوش الاجنبية المتعاونة على قمع المعتدي بالمرور في اقاليمها · اما بالنسبة الى الدول غير الاعضاء في العصبة فتستطيع التزام الحياد حتى في الحروب التي لا يقرها الميثاق ·

وفي بداية الحرب العالمية الثانية ، اصيبت الاصول التقليدية للحياد بنكسة من جراء العمل بقواعد تتعارض مع المفهوم التقليدي للحياد · لقد طرأ تغيير واضح على وضع بعض الدول المحايدة ، وفي طليعتها الولايات المتحدة ، فقامت ، في فترة حيادها في بداية الحرب ، بدور « اللامحارب » ، فلم تشترك فعلا في العمليات الحربية الدائرة بين المتحاربين ، ولكنها تدخلت في النزاع باتخاذها تدابير دبلوماسية واقتصادية لصالح احد الطرفين المتنازعين ·

فقانون الحياد الاميركي الصادر في ٤ـ١١ـ١٩٣٩ اجاز ، مثلا ، تصدير الاسلحة للمحاربين مشترطا دفع ثمنها ونقلها بوسائلهم الخاصة ·

ومع ظهور الامم المتحدة خيل الى البعض ان المفهوم التقليدي للحياد قد زال . لان الميثاق الاممي قد تولى تنظيم الامن الجماعي الذي يجعل الرد على كل تهديد للسلام مهمة جماعية تشترك فيها كل الدول الاعضاء · غير ان الفقهاء الدوليين على خلاف حول هذه الفكرة ·

ويبدو لنا ان احكام الميثاق نفسه ، بالاضافة الى الممارسة التي سارت عليها الامم المتحدة ، منذ العام ١٩٤٥ ، تثبت ان قانون الحياد التقليدي لم يطرأ عليه اي تغيير منذ توقيع اتفاقيات لاهاي · فمن حق الدول غير الاعضاء في المنظمة العالمية الالتزام بحالة الحياد في كل حين · واذا عجز مجلس الامن عن اتخاذ قرار حاسم ضد دولة معتدية بسبب استعمال حق النقض ، فمن حق الدول الاعضاء اعتماد الحياد ، بل ان الامم المتحدة نفسها قد شجعت ودعمت موقف الدول الحيادية ، ففي اتفاقيات جنيف ، المبرمة في ١٢ـ٨ـ١٩٤٩ ، عهدت الى هذه الدول بالسهر على تنفيذها · وعند ابرام الهدنة في كوريا ، دعت المنظمة السويد والهند ( اللتين اعلنتا حيادهما ) وسويسرا ( ذات الحياد الدستوري الدائم ، وغير العضو فيها ) الى تأمين المراقبة على الهدنة ووقف اطلاق النار · وفي العام ١٩٥٥ ، وافقت المنظمة على انضمام النمسا اليها بعد اعتراف الدول بحيادها *الدائم* (٤) ·

**ثالثا ـ الحياد الدائم**

والحياد ، في القانون الدولي العام ، نوعان : مؤقت ودائم ، فالمؤقت موقف تلتزمه الدولة ـ كما راينا ـ تجاه حرب معينة · اما الدائم فوضع قانوني تتعهد فيه الدولة الحيادية بعدم اللجوء الى القوة ، كما تتعهد الدول الكبرى او المجاورة باحترامه وضمانه · والدول المحايدة ، بشكل دائم او مؤقت ، تخضع لنفس الواجبات وتتمتع بنفس الحقوق · وواجباتها على نوعين :

ـ واجبات منع تقضي بمنع اي من المتحاربين من القيام باي عمل من اعمال الحرب في اقليم الدولة المحايدة ·

ـ وواجبات امتناع تفرض على الدولة المحايدة الامتناع عن تقديم اية مساعدة لاحد الاطراف المحاربة ·

اما حقوقها فتتلخص بما يلي :

ـ احترام سيادة الدولة المحايدة وسلامة اقاليمها ·

ـ وحرية العلاقات التجارية بين الدول المحايدة ، او بينها وبين المحاربين ·

ـ واحترام رعاياها وصيانة اموالهم في حال وجودهم في اقاليم الدول المحاربة ، او في الاقاليم التي تحتلها هذه الدول · واحترام الرعايا يستلزم عدم تحميلهم من الاعباء والقيود اكثر مما يتحمله الاشخاص الاخرون · الا ان الدول المحاربة تصبح في حل من احترامهم اذا قاموا باعمال تتنافى مع حياد دولهم ·

ومن الدول التي وضعت في حالة حياد دائم في القرن الماضي : سويسرا في العام ١٨١٤ ، وبلجيكا في العام ١٨٣١ ، ولوكسمبورج في العام ١٨٦٧ · وكان لكل حياد ظروفه واغراضه · ومع ان المانيا كانت من ضمن الدول الضامنة لحياد الدولتين الاخيرتين ، فلم تتورع عن غزوهما في الحرب العالمية الاولى ، مما دفعهما الى التخلي عن نظام الحياد · وفي السنوات الاخيرة فرض الحياد الدائم ، لاسباب تتعلق بالمساومات والخلافات بين الكبار ، على دولتين : النمسا في العام ١٩٥٥ ، واللاووس في العام ١٩٦٢ ·

والحياد الدائم نظام اوجدته السياسة الاوروبية في القرن التاسع عشر لتحقيق غرضين : حماية الدول الضعيفة التي يعتبر وجودها ضروريا للمحافظة على التوازن الدولي ، ثم حماية السلام العالمي باقامة حاجز عازل بين دولتين قويتين لتجنب الاحتكاك او التصادم بينهما (٥) ·

فالمصلحة الخاصة للدول الكبرى هي العامل القوي الذي يملي عليها فرض الحياد على بعض الدول الصغرى ، والتعهد بضمانه واحترامه · والتاريخ ينبئنا بان مصلحة المانيا هي التي كانت السبب في احترام حياد بلجيكا

ولوكسمبورج ، والسبب كذلك في انتهاكه · وحياد سويسرا ، ان كان قد حظي في البداية ، بشيء من الاحترام فلان جيرانها ( او اثنين منهم على الاقل ) كانوا اقوياء ، وكان لكل منهم مصلحة خاصة في الحفاظعلىهذا الحياد · ولكن ، ما ان تغير الوضع واستطاعت احدى الدول المجاورة ( وهي فرنسا النابليونية ) التغلب على الاخرين حتى اصبح حياد سويسرا ، بالنسبة اليها ، « كلمة جوفاء » ، فعمدت الى ضم قسم من الكانتونات السويسرية اليها · واحجام هتلر عن مهاجمة سويسرا لم يكن بدافع الاحترام لحيادها ، بل لانه كان يصعب عليه ، قبل اجتياح هولندا وبلجيكا وفرنسا ، احتلال بلد كسويسرا يتكون من جبال شاهقة ويتمتع بجيش شديد المراس · وبعد ان احتل معظم اوروبة لم يعاود التفكير في غزو سويسرا لانه لم يعد لها ولحيادها اهمية استراتيجية (٦) ·

رابعا ـ **الحياد والتحييد**

المطالبون بالحياد اللبناني يستعملون غالبا كلمة : تحييد · والفرق شاسع بين الحياد والتحييد في القانون الدولي العام · فالحياد يطبق على دولة مستقلة بكاملها ، بينما لا يطبق التحييد الا على جزء من اقليم دولة معينة · والحياد لا يعني حرمان الدولة من حق التسلح ، بينما يحتم التحييد تجريد الجزء المحيد من السلاح ·

وللتحييد اغراض ، اهمها : ابعاد الخصومات العسكرية عن منطقة متنازع عليها ، او حماية بلد من خطر الاعتداء المفاجيء عليه ، او توفير ضمانات امنية لدولة مجاورة ·· وقد ينشأ التحييد باتفاق جماعي · وقد يفرض احيانا على دولة دون ان تكون طرفا في المعاهدة · وكثيرا ما يكون التحييد من اجل تطبيق بعض الانظمة الدولية على القنوات والمضايق والانهار ·

ومن اشهر الامثلة على التحييد : تحييد منطقة السافوا الفرنسية ( ما بين عامي ١٨١٥ و ١٩١٩ ) ، وتحييد جزر اولاند بين روسيا وفنلندا بعد حرب القرم ، وتحييد المنطقة الواقعة بين السويد والنروج بعد زوال الاتحاد بينهما في العام ١٩٠٥ ، وتحييد قناة السويس والمضايق التركية في بعض الفترات الزمنية ·

ومما لا شك فيه ان المنادين بتحييد لبنان لا يقصدون البتة تحييد قسم منه · انهم يجانبون التعبير الصحيح · فهم يبغون تحييد لبنان كله ، اي تحويله الى دولة حيادية تعلن حيادها في دستورها ، وتعترف به وتضمنه بقية الدول · ان كلمة تحييد ، في مخيلاتهم وامانيهم ، مرادفة لكلمة حياد قانوني ·

## القسم الثاني : فكرة الحياد في السياسة والفكر اللبنانيين

### اولا ـ سياسة الحياد اللبناني بعد الاستقلال

فكرة الحياد اللبناني يعود تاريخها الى الايام الاولى للاستقلال · وقد اثيرت آنذاك بمناسبة البحث في تحديد معالم السياسة الخارجية · وتحمس لها زعماء الاستقلال لسببين : دولي وعربي · ففرنسا ، التي رضيت مكرهة بمنح الاستقلال للبنان ، ارادت تقييده بمعاهدة تحفظ لها بعض الامتيازات دون بقية الدول · ورفض لبنان ذلك واصر على عدم التمييز بين فرنسا وغيرها من الدول التي كان لها دور في نيل الاستقلال · وكانت فكرة الحياد وقتئذ تعني عدم التمييز ، من حيث التعامل الخارجي ، بين دولة واخرى ·

اما المبرر العربي لاتباع سياسة الحياد في لبنان فيتلخص في تجنب الصراع الذي كان قائما بين المعسكرين : الهاشمي ( الاردن والعراق ) والسعودي ( السعودية مدعومة بنظام الملك فاروق ) · فالخلاف لم يكن عقائديا ، بل تسابقا وتهافتا على الزعامة والسيطرة · ولهذا فضل لبنان التزام الحياد ازاء المعسكرين ، والقيام بدور حمامة السلام ، والاستفادة من خيرات العرب · وعادت هذه السياسة بالفوائد الجمة على الطبقة الحاكمة في لبنان فجعلتها شعارا للدولة ·

فالحياد اللبناني اذن « ليس حيادا ايديولوجيا ، بمعنى انه حكم على سياسة ما انها خير وعلى اخرى انها شر ·وهو ليس حيادا طموحا ، بمعنى انه مساهمة في حل مشاكل العالم عن طريق السياسة الحيادية ، كما هو الامر بالنسبة الى الهند مثلا ·وهو ليس حيادا قانونيا ، كالنمسا وسويسرا · ولكنه حياد عملي واقعي ، هو اشبه ما يكون بسياسة نفض اليد وعدم حرق الاصابع بنار الخصومات والمشاكل الدولية · فالعمل ، اي عمل ، مجازفة · والرأي ، اي رأي، يسبب مشاكل ومتاعب · والحكمة كل الحكمة في حركة باطنها سكون ، وكلمة باطنها التنصل » (٧) ·

غير ان هذه السياسة التي كان لها ما يبررها في السنوات الاولى لعهد الاستقلال لم تعد صالحة للاستمرار ، ولم تعد قادرة على مواكبة الاحداث المستجدة وارضاء الطموح اللبناني ، ولا سيما بعد بروز عاملين : قيام اسرائيل التي اصبحت تهدد ، باطماعها التوسعية ، لبنان وبقية دول المنطقة ، ثم تغير طبيعة الخلافات العربية التي اصبحت خلافات حول العقائد والمبادىء والاتجاهات السياسية والاجتماعية ·

وكان من المفروض ان تقلع الطبقة الحاكمة عن خطة الحياد السابقة ، ولكنها

لم تفعل ، لاسباب تتعلق بمصالحها ومكاسبها المادية · بل انها في منتصف الخمسينات ، حاولت خداع الرأي العام اللبناني والعربي وتمويه حقيقة انحيازها الى الغرب الامبريالي ، فادعت ان الحياد اللبناني ليس سوى امتداد طبيعي للميثاق الوطني الذي يدعو الى تخلي لبنان عن الارتباط العضوي بالشرق والغرب على حد سواء · وهذا الادعاء الذي يرمي الى ربط سياسة الحياد اللبناني بالميثاق الوطني ذكر زميلنا الدكتور جورج ديب بقصة عمرو ابن العاص وابي موسى الاشعري ، التي انتهت بخلع الامام علي وحده ، لان الحياد ، كما ارادوه وطبقوه ، ادى الى التخلي عن العرب فقط والانحياز الى الغرب ، وحافظ على الفكرة اللبنانية القديمة القائلة بان لا حماية للبنان بغير الضمانات الاجنبية (٨) ·

## ثانيا ـ ارتباط فكرة الحياد بالاوضاع السياسة

وعندما تعرض الوطن العربي ، بعد نجاح الثورة المصرية وتحقيق التقارب بين مصر وسوريا الذي انتهى بالوحدة ، لاشرس هجمة امبريالية استهدفت تفتيت وحدته القومية والمصيرية وزجه في احلاف عسكرية غربية ، بادر البعض في لبنان ، متسترا باقنعة براقة ، الى اقتراح تدويل حياد لبنان · وكان الرئيس شارل حلو ( الذي كان يكتب في الصحافة في العام ١٩٥٨ ) اول من عالج هذا الموضوع معتبرا ان تدويل الحياد مخرج للبنان من المازق السياسي الذي يتخبط فيه · والمازق لم يكن ، في الحقيقة ، مازق الشعب · لقد كان فقط مازق الخائفين من نتائج اول خطوة وحدوية ، واللاهثين وراء الضمانات الاجنبية باي شكل من الاشكال ·

ومنذ ذلك الحين ، ارتبطت فكرة الحياد اللبناني بالاوضاع والمتغيرات السياسية في المنطقة العربية ، فواكبت ، بخفر وحياء ، كل حدث مهم ، حتى اذا ما هدأ او زال ، اعتلت المنابر تقنع الناس بفضائلها · والحدث قد يكون انتصارا للحركة العربية ، وقد يكون انهزاما · لا فرق في ذلك ، ففي حالتي المد والجزر ينشط المنادون بالحياد · ان المد العربي يرهبهم فيتوهمون انه موجه ضدهم · والجزر العربي يريحهم فيسارعون الى اغتنام الفرصة لانتزاع لبنان من « الخلية » العربية وانقاذه من « الورطة » الفلسطينية ·

فطرح فكرة الحياد كان اذن ، منذ اواخر الخمسينات ، يعقب الاحداث العربية البارزة · ومعرفة هذه الاحداث مؤشر ضروري يساعدنا على تفسير سلوك المبشرين بالحياد · فرئيس الكتائب تقدم بمشروع رسمي لتحييد لبنان الى مجلس الوزراء عندما كانت الوحدة المصرية السورية في عزها · وانار فكرة الحياد في بيانه الافتتاحي للمؤتمر العاشر للحزب ، المنعقد في اواخر

ايلول ( سبتمبر ) ١٩٦٧ ، عندما كان العرب في فترة انهيار وتفكك على اثر هزيمة حزيران ( يونيو ) · والنائب الكتائبي ، ادمون رزق ، القى في مستهل العام ١٩٦٨ ، وفي النادي الثقافي العربي ، محاضرة دعا فيها الى تدويل الحياد اللبناني ، بعد موافقة الدول العربية والدول الكبرى ، ثم ابلاغ ذلك الى الامم المتحدة التي تعتبر موافقتها ضمنية بمجرد تسلم الاعلان الدستوري للحياد دون الاعتراض عليه (٩) · وقد فعل ذلك عندما كانت القضية العربية تمر بأحلك الظروف · والدكتور شارل مالك ، القى محاضرة في الجامعة اليسوعية ، بعد ضرب مطار بيروت بأقل من شهر ، طرح فيها ، باسلوبه « الفلسفي » المبطن ، فكرة الحياد اللبناني (١٠) · وامانة سر « لجنة البحوث اللبنانية » ، المنعقدة في جامعة الروح القدس ( الكسليك ) ، اصدرت في اثناء الحرب الاهلية ، دراسة تنادي بالحياد الدائم للبنان (١١) · وقد تبنى الكتائبيون ما جاء فيها ونشروها ، دون الاشارة الى مصدرها ، في كتاب « العمل » الشهري الذي وزع مؤخرا (١٢) ·

وكما تتأثر الدعوة للحياد بالاوضاع السياسية العربية فانها تتأثر ، كذلك ، احيانا بالاعتبارات والمصالح الشخصية · ويكفينا الاستشهاد بالرئيس حلو الذي اضطر ، في العام ١٩٦٤ ، اي بعد ست سنوات من طرح اقتراحه بتدويل حياد لبنان ، الى اعلان التراجع عنه واصدار بيان توضيحي نشر في صحيفتي ( الاوريان والجريدة ) وجاء فيه : « ان مشروع تدويل حياد لبنان قضت به ظروف معينة ، وقد انتفت هذه الظروف ولم يعد المشروع واردا في ذهنه بتاتا » · وتفسير هذا التراجع يكمن في ان الرئيس حلو كان ، في هذه الفترة ، مرشحا لرئاسة الجمهورية · « وبعد اذاعة هذا البيان بـ ٣٦ ساعة . وافق المجتمعون في فندق كارلتون على انتخاب شارل حلو رئيسا للجمهورية » (١٣) ·

والموضوعية تقضي بان نعترف بالتزام الرئيس حلو ، خلال مدة ولايته ، بالتعهد الذي يقطعه على نفسه ، وبتحذيره ، في بعض المناسبات ، من مخاطر فكرة الحياد في النزاع العربي الاسرائيلي · وقد ادلى مرة بحديث لمجلة « الاكسبريس » الفرنسية قال فيه : « كان البعض يتمنى ، امام مصاعبنا الحلية ، ان نعلن حيادنا في النزاع · ان ذلك وهم · موقعنا الجغرافي وروابطنا المختلفة مع العالم العربي تجعلنا ، بالطبع ، متضامنين مع العالم العربي · ان الانعزالية فكرة خاطئة وملجأ خاطىء · ان مصيرنا مرتبط ، الى حد كبير ، بمصير المنطقة كلها » (١٤) ·

ولكن الموضوعية تقضي كذلك بالاعتراف بانه غير ، خلال الحرب الاهلية ، موقفه وعاد الى الحديث عن « لبنان سويسرا الشرق » ، والتساؤل : « ولماذا لا يكون لبنان سويسرا الشرق على الصعيد السياسي ؟ » (١٥) ، مما يثبت

تأثر دعوة الحياد ، احيانا ، بالعوامل والانفعالات الشخصية الآنية ٠

### ثالثا ـ التشبه بحياد سويسرا

وعلى ذكر سويسرا نشير الى ان المنادين بالحياد اللبناني يضعون دائما نصب اعينهم واعين مواطنيهم المثل السويسري ، ويطالبون بالاقتداء به ، مع ان التشبه بسويسرا ، في هذا المضمار ، لا يجوز ٠ وذلك لاسباب عديدة :

ان حياد سويسرا كان نتيجة اوضاع اوروبية وحصيلة ملابسات سياسية خاصة لم يعرفها لبنان ٠ وحيادها لم يحمها من الغرو النابليوني ٠ ولا علاقة لحيادها بتعفف هتلر عن اجتياحها ٠ وحيادها سلبي انعزالي انكماشي يهدف الى التنصل من كل قضية دولية ، ولو كانت انسانية ، والى تجاهل كل خلاف دولي ، ولو كان فيه هلاك العالم ، والى تجنب المشاركة في اي مجهود بناء ، ولو كان الغرض منه توفير الرفاهية للناس وتأمين المزيد من السلام والوئام في الكون ٠ وهذا النوع من الحياد المقيت يتعارض مع ما يتمناه انصار الحياد للبنان من انفتاح على العالم لنشر رسالته « الحضارية » ٠ وحياد سويسرا مادي نفعي اناني ، غرضه الرئيسي اجتذاب الرساميل الاجنبية لتوظيفها في خدمة الامبريالية العالمية وصنع الاسلحة الفتاكة (١٦) ٠ ثم ان سويسرا ليست مهددة بخطر صهيوني جاثم على الحدود يترقب الفرص للانقضاض عليها ٠ ومع انها ليست مهددة بأي خطر في الوقت الحاضر ، فهي تحرص دوما على ان يكون لديها جيش نظامي قوي (١٧) ٠ ولعل ذلك يتنافى مع ادعاء البعض من انصار الحياد بان قوة لبنان في ضعفه ، وبان الصداقات الدولية قادرة على حمايته من كل اعتداء ٠

### رابعا ـ حجج المنادين بالحياد اللبناني

ما هي الحجج التي يدلون بها لدعم موقفهم ؟ ان حججهم لا تتسم دائما بالوضوح والترابط ٠ انهم يخلطون غالبا بين الحياد كنظام قانوني وبين السياسة الحيادية التي تمارسها الحكومة في بعض المجالات وتجاه بعض القضايا ، مما يدل على عدم معرفة عميقة بقواعد الحياد واسسه ، وعدم وضوح في الصورة المرسومة للحياد ٠ والغريب ان بعضهم يتحدث عن الحياد اللبناني كأنه سياسة ينص عليها الدستور ، او سلوك متفق عليه من قبل الجميع ، او امر مسلم به لا يقبل الجدل ٠ ولا نستبعد ان يكون ذلك من نتائج طغيان احلامهم وامانيهم على تفكيرهم ، وحجب معالم الواقع عنه ٠ ولو القينا نظرة على آرائهم لوجدنا ان حججهم تتلخص بالنقاط التالية :

١ ـ المطالبة بالحياد ليتمكن لبنان من تادية دوره الاقليمي ورسالته الكونية ، « فأول ما يفترض فيه ان يكون امينا نحو نفسه ، غير متنكر لشخصيتــه ، او مساوم عليها ، او متهرب منها ، او مزيف لها ، او خجول بها ! » (١٨) ·

وتعابير : الدور الحضاري ، والرسالة الكونية ··· تتردد كثيرا في كتابات البعض · ولعل مصدرها حب المبالغة والاغراق في الخيال الجامح او المجنح · وتلك صفة غير مستحبة تنطوي على عدم استقرار نفسي · والمرحوم كمــال يوسف الحاج كان يتحدث عن « رسولية لبنان » ويقول ان « لبنان مكلف اكثر من غيره · لقد دعاه القضاء والقدر الى رسولية عاجلة في الوقت الحاضر ··· أن يلعب الدور الحضاري الذي تحتاج اليه الشعوب انطلاقـــا من قضيــة فلسطين » (١٩) ·

٢ ـ اعتبار مبدأ الحياد اللبناني مبدأ يفرضه الواقع اللبناني ، ومبدأ كيانيا يرسخ قواعد الكيان · « وعندما يكون الحياد مبدأ كيان يصير الحياد ، فـــي مراتب القيم ، مثله مثل كل قيمة اخيرة من اجلها يحيا ابناء الشعوب ، ومـــن اجلها يموتون » (٢٠) ·

٣ـ الاعتقاد بان حرص لبنان على الحرية والديمقراطية ، والوضع الداخلي فيه يفرضان عليه الحياد (٢١) ·

٤ ـ الايمان بان في الحياد « خير مخرج للبلاد من ازماتهـــا السياسيـــة والاجتماعية والروحية » (٢٢) ·

٥ ـ المناداة بالحياد ليكون للبنان علاقات طيبة مع جميع الدول ·

اننا نعتقد ان هذه الاهداف او المزايا التي ينسبها انصار الحياد اليه يمكـن ان تتحقق دون ان يكون لبنان دولة حيادية · ان بامكان لبنان ان يوطد علاقاته بكل الدول ، ويؤدي مهمات خيرة على الصعيدين العربي والدولي ، ويعزز مكانة الحرية والديمقراطية في مؤسساته ، ويجد حلولا عادلة لازماته ، دون ان يضطر الى اتباع النظام الحيادي · ولو افترضنا ان الحياد كفيل بتحقيق هذه الاهداف، فهل تتوافر الشروط المطلوبة للحياد في الوضع اللبناني ؟

خامسا ـ شروط الحياد

هل بامكان لبنان ان يصبح دولة محايدة ؟ او ما هـــي شروط الحيـــاد ؟ وللتبسيط نقول ان الحياد يتطلب ، بشكل عام ، اربعة شروط اساسية :

الاول هو موافقة جميع رعايا الدولة او غالبيتهم الساحقة على مبدا الحياد ·

وهذا الشرط غير متوافر ، حتى الان ، في لبنان · بل انه يصبح مستحيلا اذا اتبعنا رأي بعض الانصار الذين يشترطون ، بالاضافة الى موافقة لبنان والدول العربية ، موافقة دول العالم على الحياد ·

والشرط الثاني هو موافقة الدول المجاورة على الحياد · ومن الصعب ان نتصور قبول سوريا ، التي تخوض صراعا قوميا مصيريا مع اسرائيل ، بنظام حيادي للبنان من شأنه ان يعزله عن قضايا الامة العربية · واذا اعتبرنا الدول العربية دولا مجاورة فان موقفها لن يختلف عن موقف سوريا · اما اسرائيل فلن توافق على حياده لان هذا الحياد سيقف عائقا في وجه اطماعها التوسعية · ولو افترضنا انها تساهلت ووافقت فسيكون غرضها من ذلك انتزاع الاعتراف بها منه ، واخراجه من المجموعة العربية ، واستفراده عندما تسنح الفرصة ·

والشرط الثالث هو قدرة الدولة المحايدة على حماية حيادها بنفسها · وسويسرا هنا تقدم الينا المثل الصالح ، فقد قدر الخبراء العسكريون ان هتلر كان بحاجة الى عشر فرق على الاقل لاحتلال سويسرا · وفي التقرير الذي رفعه رئيس اركان الجيش السويسري الى حكومته ، عقب الحرب ، اعلن « ان سلسلة من الظروف المؤاتية جعلت الدول المتحاربة الكبرى تنتهي في حساباتها الى ان اي عمل عسكري ضد سويسرا يحمل بين طياته احتمالات للخسائر تفوق مجمل الارباح المبتغاة · وكان العامل الاهم في حساباتها ··· صلابة جيشنا ومزاياه القتالية » (٢٣) · واذا كان لبنان المتعاون مع الاشقاء العرب يجد صعوبة في الدفاع عن نفسه ، فكيف سيكون شأنه عندما يصبح محايدا ومسؤولا وحده عن حماية ارضه وصيانة حياده ؟

والشرط الرابع هو ان يكون الحياد في مصلحة الوطن وملائما لحاجاته · فالبعض يعتقد ان للحياد اللبناني ميزتين اساسيتين : تجنيب لبنان شر اسرائيل، وبالتالي تخفيف عبء الاستعداد العسكري عن كاهله ، ثم تأمين اسباب الازدهار له · ولكن الحياد الذي يستدعي المزيد من القوة العسكرية يزيد اعباء لبنان ولا يخففها · واما الازدهار المنتظر فلن يكون من نصيب لبنان الحيادي · فالرساميل التي تتدفق على لبنان عربية في معظمها . وهي ستتوقف او تقل عندما يشعر اصحابها بابتعاد لبنان عن مسيرة العروبة · والدول الغربية تتعامل اقتصاديا مع لبنان لانه مركز انطلاق نحو المجالات العربية ، فان فضل العزلة بحثت عن منطلق اخر لنشاطها · ثم ماذا سيكون موقفه من المقاطعة العربية لاسرائيل ؟ وهل من مصلحته التخلي عن تعاطفه مع العرب ليعزل نفسه في حياد لا مبرر له سوى التهرب من مسؤولية الاستعداد لمجابهة الخطر

الاسرائيلي ، اي التضحية ببعض المكاسب الآنية في سبيل ضمان مستقبلــــه وكيانه وازدهاره في المنطقة ؟ (٢٤) ٠

فهذه الشروط كلها غير متوافرة بالنسبة الى لبنان ٠ وقد وافق الدكتــــور شارل مالك على ذلك عندما استعرض هذه الشروط واستنتج ان « ليس واحـد من هذه الاسس الاربعة قائما حتى الان بالنسبة للبنان » (٢٥) ٠

وابان اشتداد الدعوة للحياد ، كرس الصحافي ميشال ابو جودة احـــدى افتتاحياته لهذا الموضوع ، فعرف الحياد بانه الاستغناء او الاكتفاء الذاتي . وتساءل عما اذا كان هذا الشيء الاساسي متوافر لدى الشعب اللبناني ليكــون على الحياد المطلق ٠ واجاب بالنفي مؤكدا ان لبنان ، منذ تكون الجمهوريـــة اللبنانية ، وخلال الانتداب ، وبعد الاستقلال ، وحتى الان . لم يكن بلد الاكتفاء الذاتي اقتصاديا او اجتماعيا او ثقافيا او سياسيا (٢٦) ٠

سادسا ـ **النزعة الانعزالية وراء دعوة الحياد**

اذا كان المنادون بالحياد يدركون ( على الاقل في اعماقهم ) صعوبة الوصول الى هذا النظام ، فلماذا يصرون ، من وقت الى اخر ، على طرحه والدفـــاع عنه ؟ او ما هي الاغراض والدوافع الحقيقية الكامنة وراء دعوتهم ؟

الاغراض كلها تنطلق من مصدر واحد ، هو النزعة الانعزاليـــة القديمـــة المتجددة ٠ وغالبية اصحاب النزعة اناس متحجرون يعيشون ، فكرا ووجدانا ، في عصر غير عصرنا ٠ وهم يريدون عزل لبنان عن محيطه العربي ، ومنعـــه بالتالي من التفاعل مع الحركة القومية العربية والاسهام الجدي في حل القضية الفلسطينية ٠ وهم يسعون كذلك الى عزله عن قضايا الدول النامية والتيـــارات والتحركات الانسانية في العالم ، والحيلولة دون اسهامه في الانتفاضـــــات التحررية التي يحفل بها العالم ، ودون تكتله مع الفئات الخيرة في مختلـــــف الاقطار لتكوين قوة ضاغطة او رادعة تقف في وجـــه العابثيـــن بمستقبـــل البشرية ٠

ومحاولات الانعزاليين اخذت ، في الآونة الاخيرة ، تتجه شطر عزل لبنـــان عربيا ، لان عزله عربيا ، اي قوميا ، يؤدي ، حكما وآليا ، الى عزله فلسطينيا ٠ اما مسألة عزله عن العالم النامي والتيارات التحررية العالمية فتتم ، في رايهم ، تدريجيا وبشكل طبيعي ، بعد قطع وشائجه وصلاته بمحيطه العربي ٠

وتهيبوا ، في البداية ، الكشف مباشرة عن نياتهم ، فعمدوا الى اسلـــوب ذكي يبعد عنهم الشبهات ٠لقد اخذوا ، خلال دعوتهم للحياد ، يطنبون فـــي

امتداح دور حمامة السلام الذي يقوم به لبنان بين الاقطار العربية ، ويؤكدون على ان حياده لا يتنافى مع عضويته في الامم المتحدة ، لان الميثاق الاممي « يفسح للحياد مجالا اكيدا » (٢٧) . ولان في الميثاق « ما يمكن تفسيره بانه تشجيع على اختيار النظام الحيادي » (٢٧) ، ولا يتعارض كذلك مع عضويته في جامعة الدول العربية « ما دامت الجامعة ليست منظمة وحدوية ولا اتحادية ، ولا خوف منها على استقلالنا ... » (٢٩) .

وذهب البعض الى ابعد من ذلك ــ بغية القاء المزيد من الاطمئنان او التخدير في قلوب الواجفين الحذرين ــ فاشترط موافقة الجميع ( اللبنانيين والعرب والعالم ) على الحياد ، واوحى بان تحقيقه سيكون لخير العرب وسيتم بارادتهم . فعندما تحدث رئيس الكتائب في مؤتمر الحزب عن « الحياد اللبناني الخاص » ، سئل عن كيفية التوفيق بين هذا الحياد وكون لبنان عضوا في الاسرة العربية ، فأجاب : « ليس ما يمنع ان يكون لبنان حياديا بالاتفاق مع الدول العربية ، فيكون الاخ المصلح بينها والترجمان بين العرب والخارج ، ولا احد غير لبنان يستطيع القيام بهذا الدور » (٣٠) .

وحاول البعض الاخر ايهام العرب بان حياد لبنان مؤقت او ظرفي ، وبانه لم يقم الا بسبب كثرة الخلافات بينهم ، وبان « لبنان سيتخلى عن حياده في العالم العربي يوم يصبح فيه هذا العالم على وئام ... » (٣١) . وهذا الاجتهاد في تفسير مبرر قيام الحياد اللبناني لا ينسجم مطلقا مع فكرة « الرسالة الكونية » وضرورة الحياد لتعزيز الديموقراطية والحرية . وفي ذلك برهان على اضطراب مفهوم الحياد لدى انصاره .

سابعا ــ **موقف لبنان المحايد من الجامعة واسرائيل**

وعندما اتسعت الحملة المنادية بالحياد ، طرح على رجال الفكر السؤالان التاليان : هل يؤدي حياد لبنان الى انسحابه من جامعة الدول العربية ؟ وهل يقود الى الاعتراف باسرائيل والتعامل معها ؟

وعبر بعضهم بصدق ووضوح عن رأيه ، فأجاب الاستاذ باسم الجسر ، مثلا ، بالايجاب عن السؤالين واعتبر « الحياد الذي لا يعترف باسرائيل ولا ينسحب من الجامعة من المفارقات والمضاربات الفكرية » (٣٢) .

وادرك العميد ريمون اده المغزى الحقيقي للحياد فأكد ان معناه « اقامة العلاقات السياسية والتجارية مع اسرائيل ، وهذا ما لايمكن ان نوافق عليه » (٣٣) . ورفض شقيقه ، الاستاذ بيار اده ، فكرة « الحياد تجاه قضايا الدول العربية » مؤكدا ان « هذا ما لايقبله العقل والمنطق والمصير المشترك

بين لبنان والدول العربية » (٣٤) ·

واضطر اقطاب الحياد الى الافصاح عن رأيهم ، فترددوا في البداية ثم قرروا مسايرة التيار المعارض مكرهين · فالنائب ادمون رزق طمان « المصابين بالهواجس العربية الشكلية الى ان الحياد لا يتعارض مع عضويتنا في الجامعة» واكد ان موقف لبنان من اسرائيل ، عند اعلان حياده ، سيظل كما هو (٣٥) · وكان الدكتور شارل مالك اشد صراحة عندما استنتج ان تحييد لبنان يحتم علينا « الخروج من عضوية الجامعة ، او على الاقل من الالتزام ببعض بنودها » · غير ان نباهته جعلته يستدرك ويضيف : « وهذا شيء مستحيل ، وحتى اذا كان ممكنا فلا يجوز » (٣٦) · ويبدو ان النتيجة كانت معبرة عما يدور في النفس اكثر من الاستدراك · ولعل الدكتور منوال يونس كان اشدهم صدقا وذكاء عندما طالب الدولة اللبنانية بان تتبنى حيادا اقليميا ، قانونيا ، علنيا ، متكافئا ، ازاء جميع الدول العربية فقط ، دون ان يؤدي ذلك الى انسحابها من الجامعة (٣٧) ·

والظاهرة الغريبة التي تطالعنا لدى دراستنا للتصريحات او البيانات الصادرة عن المنادين بالحياد هي التناقض بين الاقوال والافعال ، والتعارض بين مواقف المنتمين الى حزب او اتجاه واحد ، والتباين بين التصريحات التي يدلي بها الشخص الواحد في فترات زمنية متباعدة · ولتقديم مثل واضح نكتفي باستعراض شيء مما جاء في كتاب « العمل » الشهري ، الصادر مؤخرا عن الكتائب ، والحامل لتاريخ آذار ( مارس ) الماضي · وما يعنينا منه بيان ودراسة · اما البيان فصادر عن احدى خلوات الكتائب ، المنعقدة في ١٧ـ٨ـ١٩٧٥ · واما الدراسة فمتعلقة بالحياد الدائم للبنان ·

في البند الثامن من البيان اكد الحزب « حرصه على الوفاء بالتزامات لبنان العربية ، كمقررات ومؤتمرات القمة ومجلس جامعة الدول العربية ومجلس الدفاع العربي المشترك ، وما انبثق عنها او تفرع منها » · ولكن الدراسة تناقض كل التناقض مع ما ورد في البيان ومع ما ورد في العديد من البيانات والتصريحات الحزبية ·

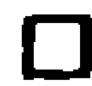
ان الدراسة تطالب ، بصراحة متناهية ، بحياد لبنان لتحقيق غرضين . تحييد لبنان عربيا ، اي اخراجه من الجامعة ، وتحييده فلسطينيا ، اي نفض يديه من قضية العرب الاولى ·

تقول الدراسة : « لا تستطيع الدولة ذات الحياد الدائم ان تكون عضوا في اية منظمة سياسية اقليمية ··· » · وبما ان جامعة الدول العربية ينطبق عليها هذا الوصف ، فليس بامكان لبنان ان يبقى عضوا فيها · ان الدراسة لا تعلن ذلك

بوضوح ، بل تفضل استعمال جملة تؤدي الى نفس النتيجة ، لانها تحول لبنان في الجامعة الى عضو مراقب او مستمع عن طريق مسخ دوره وتقزيم وجـوده · فهي تقول : « ··· وهكذا لن يكون بوسع لبنان البقاء فريقا في معاهدة الدفاع العربي المشترك او الاشتراك في اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الـــدول العربية » ·

وبالنسبة الى علاقة لبنان باسرائيل ، تنص الدراسة على ان لبنان المحـايد « لا يستطيع ان يعلن كونه في حالة حرب مع اسرائيل » ، وانه « لن يعلن بقاءه في حالة حرب مع اسرائيل ، ولكنه لن يكون في حالة سلم معها » · والدراسة تشير الى بعض احكام الميثاق الاممي التي تمنع اللجوء الى الحرب وتلزم اعضاء الامم المتحدة بتسوية نزاعاتهم الدولية بالطرق السلمية ، كانها تريد التاكيد على ان لبنان لن يخوض حربا ضد اسرائيل في المستقبل ·

وكل من يتأمل هذا الكلام السافر ، الذي لم يعترض عليه احد من المهللين للحياد او ممن زعموا ان حياد لبنان لا يغير شيئا من التزاماته العربية ازاء العدو الاسرائيلي ، يكتشف النتيجة التي يقود اليها تحييد لبنان ، وهي التخلص نهائيا من كل الالتزامات المترتبة على لبنان كعضو في الجامعة وطرف فـــي معاهدة الدفاع المشترك وشريك في مهمة الذود عن المصير العربي · وكل ذلك تمهيدا لمصالحة اسرائيل بعد مهادنتها ، والتعامل معها بعد الغاء الهدنة وانهاء حالة الحرب ·



ويبقى لنا ، في ختام البحث ، ان نبدي بعض الملاحظات :

الاولى هي ان الحياد اللبناني الذي ينشده البعض ليس غاية لخير الوطن ، بل وسيلة لتحقيق حلم انعزالي · وبما ان الداعين له يريدون بلوغه بأي شكل او ثمن ، فقد اهملوا ، في معرض شرحهم لمحاسنه ، كل حديث عن مضمونه واسسه وتطبيقه ونتائجه · كل ما يهمهم من الحياد هو تحييد لبنان ليتسنى لهم «اقتلاع» جذور الفلسطينيين منه ( كما يقول سعيد عقل في برنامج حزبه « التبادعي » ) ، وقطع دابر العروبة فيه ، لان القومية العربية ( كما كان يدعي كمال الحاج ) تتساوى في خطرها على لبنان مع القومية الصهيونية (٣٨) ، ولان «كلمة عربي تعني الاسلام » ، ولان علماء التاريخ والجغرافيا لم يتمكنوا بعد من تحديد مسالة عروبة لبنان ( كما يردد اليوم رئيس الكتائب ) (٣٩) ·

ولشدة اندفاعهم في سبيل انجاز مخططهم باقصى سرعة ارتكب معظمهم اخطاء جسيمة في معالجته لموضوع الحياد · بل ان غالبيتهم ( كما لاحـظ

الدكتور نعيم ) لم تفهم تماما ما تعنيه كلمة حياد (٤٠) وفي غمرة حماستهم لشروعهم لم يتنبهوا الى ان مبدأ الحياد يقضي بعدم الانحياز الى الشـرق والغرب ، فبالغوا في هجائهم للشرق وتحاملهم عليه وبالغوا في ارتمائهم في احضان الغرب حتى طالبوا ( بلسان بشير الجميل ) باقامة « جسور صريحة ومتينة مع الغرب لكي تشعر دول الغرب اننا امتداد لحضارتها في الشرق ونمثل جزءا من القيم التي تمثلها هي ، وانها تمثل تطلعاتنا المستقبلية » (٤١) ٠

وعلى الرغم من كل هذه العثرات والهنات لا يسعنا الا الاقرار بوجود فئة من اللبنانيين تنادي بالحياد عن صدق وحسن نية لانها تتصور ان فيه كل الخير للوطن ٠ ولكن هذه الفئة قلة لا اثر لها في حياتنا السياسية ٠

**والملاحظة الثانية** هي ان معظم اللبنانيين يطمحون ( وان كانت سياسـة حكوماتهم تخيب آمالهم في كثير من الاحيان ) الى ان يتبع بلدهم سياسة حيادية ازاء المعسكرات والاحلاف الاجنبية ، وازاء الخصومات والعنعنات الشخصية التي تندلع ، من حين الى اخر ، بين الحكام العرب ٠ والتزام الحياد هنا هو الحكمة بعينها ٠ ولكن الحياد يصبح مرفوضا وينقلب الى اهمال وتقصير وتهرب من المسؤولية عندما يكون سبب الخلافات او الانقسامات قضايا قومية او انسانية او تحررية ٠ ان الشعب اللبناني الذي يفاخر الدنيا بتعشقه للحرية يعز عليه ان يقف على الحياد عندما تتعرض الحرية للاضطهاد في اي بلد كان٠

ونستشهد هنا بتعليق دبجه الشهيد كمال جنبلاط ردا على تصريح منسوب الى رئيس الجمهورية (شارل حلو ) نشرته احدى الصحف في العام١٩٦٧ (٤٢)٠ وكان التصريح يتحدث عن سياسة لبنان المحايد التي تسعى الى التوفيق بين جميع الاطراف دون انحياز لفئة ضد اخرى ٠ وبين الشهيد جنبلاط في تعليقه ان لبنان لا يمكن ان يكون على الحياد في المجال العربي « لانه كبلد وشعب ودولة ينزع الى توكيد الخط الوطني العربي المتحرر ، والى تحقيق سياسـة التطور الاجتماعي دون ان يدخل فريقا مباشرا في الخلافات العربية التـي تخرج عن تأييد وتوكيد هذين الخطين الرئيسيين ٠٠٠ لا يمكن الانسان ان يكون على الحياد بين مجتمع التأخر والاسترقاق السياسي والاجتماعي وبين مجتمع الحرية والتقدم والكرامة البشرية ، اي لا يمكن للانسان ان يكون على الحياد بين سيف الاسلام الوارث للتراث التوراتي القبلي المتأخر حيث لا يزالون يبتاعون العبيد من البشر ، وبين الجمهورية الديموقراطية اليمنية (٤٣) ٠

**والملاحظة الثالثة** هي ان حياد لبنان ازاء اسرائيل مستحيل ٠ بل هو ، قوميا، وضميريا ، خيانة ٠ ويكفينا ان نسوق الفقرة التالية من كتاب الاستاذ هنري ابو خاطر :

« تنزع بعض الفئات في لبنان الى المطالبة بحياده سلما وحربا بضمانات

توفرها الدول ويستقر معها البلد واحة طمانينة في بقعة مضطربة من الشرق، عله يباعد بين الخطر الصهيوني وبين نفسه ٠٠٠ ان الحياد لا ينقذ لبنان ، في عرفنا ، على المدى الطويل من خطر التوسع الصهيوني على ارضه ومياهه ، بل يفتح ثغرة في الجبهة الامامية بمواجهة اسرائيل ، تفك معها هذه الاخيرة قيود الحصار لتنفذ ، خطوة خطوة ، الى سوريا والاردن والعراق وما اليها ، والى وادي النيل ، تصطنع الدويلات العرقية والدينية تبريرا لوجودها وتحقيقا لنهم في السيطرة على مرافق الحياة في بقعة رحبة تمتد من النيل الى الفرات ، وما وراءه » (٤٤) ٠

والملاحظة الرابعة والاخيرة هي ان نجاح مشروع الحياد في لبنان ( الـذي ينطوي حتما على حياد تجاه اسرائيل والدول الامبريالية المناصرة لها ) قـد يغري الانظمة العربية الاخرى بالاقتداء بلبنان ( حبا بالتقليد ، او رغبة في التملص من كل مسؤولية قومية ) ، فماذا سيحل بالقضية الفلسطينية ان عمم الحياد ؟ وكيف ستكون طبيعة العلاقات بين الاقطار العربية ؟ وكيف ستصبح علاقات العرب بالولايات المتحدة ، الحامية لاسرائيل والضامنة لعنصريتهـا واطماعها ؟ لقد انحازوا اليها دون حياد ، فالتزمت هي الحياد تجاههـم ، وانغمست في الانحياز لاسرائيل ٠ لقد اعطوها شيكا على بياض فأعطتهم شيكات بلا رصيد (٤٥) ٠ فماذا ستعطيهم اذا اختاروا فعلا نظام الحياد ؟

---

**الحواشـي :**

١ ــ راجع مقاله في صحيفة الحياة ، ١١ــ٣ــ١٩٦٧ ٠

٢ ــ النهار ، ٢٣ــ٩ــ١٩٧٢ ٠

٣ ــ راجع نص محاضرته في مجلـة الثقافة العربية ، عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ ٠ والمجلة تصدر عن النادي الثقافي العربي في بيروت ٠

Louis Delbez

٤ ــ راجع ص ٥٦٤ ــ ٥٧٠ من كتاب : Les principes généraux du droit int. pub. , Paris 1964.

٥ ــ القانون الدولي العام ، للدكتـور علي صادق ابو هيف ٠ منشاة المعـارف بالاسكندرية ، ١٩٦٢ ، ص ٢١٨ ٠

٦ ــ راجع مقال الدكتور ادمون نعيم عن اسباب الحياد الدائم وشروطه ، فـي كتابه :

Points de vue, Beyrouth, 1959 pp. 45 - 46.

٧ ــ راجع محاضرة الدكتور جورج ديب عن استحالة الحياد اللبناني ، في مجلة الثقافة العربية ، العدد المذكور، ص ١٥ ٠

٨ ــ نفس المرجع السابق ، ص ١٧ و٢٤ ٠

٩ ــ الثقافة العربية ، المذكورة ٠

١٠ ــ العمل ، ٢٩ــ١ــ١٩٦٩ ٠

١١ ــ نشرتها الصحف في ٢٩ ــ ١١ ــ

١٩٧٥ ·

١٢ ـ يحمل تاريخ اذار ( مارس ) ١٩٧٧ ص ٣٤ ـ ٣٩ ·

١٣ ـ الحوادث ، ٤ـ٧ـ١٩٦٩ ·

١٤ ـ النهار ، ٢٣ـ١٢ـ١٩٦٩ ·

١٥ ـ راجع تصريحه لاذاعة هولندا في السفير ، ١٢ـ٨ـ١٩٧٦ ·

١٦ ـ راجع بحثنا عن نظام الكانتونات السويسري ، في شؤون فلسطينية ، عدد ٦٣/٦٤ ·

١٧ ـ راجع مقالنا عن : التدويل والتحييد والبوليس الدولي ، في مجلة الطريق ، عدد شباط ( فبراير ) ١٩٦٩ ·

١٨ ـ راجع محاضرة ادمون رزق ، المذكورة ، في الثقافة العربية ، ص ٨ ·

١٩ ـ راجع محاضرته عن : قوميات ازاء القومية اللبنانية ، في كتاب : ابعاد القومية اللبنانية ، من منشورات جامعة الروح القدس ( الكسليك ) ١٩٧٠ ، ص ٥٦·

٢٠ ـ راجع مقال ادوار حنين المذكور·

٢١ ـ راجع اجوبة د· جورج حكيم . ود· منوال يونس ، في تحقيق مجلة الاسبوع العربي حول الحياد اللبناني ، في ١٧ـ٤ـ١٩٦٧ ·

٢٢ ـ مقال ادوار حنين المذكور ·

٢٣ ـ من محاضرة للزعيم شوكت شقير بعنوان : كيف ندافع عن وطننا تجاه اسرائيل ، نشرت المحرر ، في ٢٥ـ١ـ١٩٧٣ ، مقتطفات منها ·

٢٤ ـ راجع كتاب : لبنان والتحدي الاسرائيلي ، لباسم الجسر وداود الصائغ، من منشورات نادي ٢٢ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١١٦ ـ ١١٩ · وراجع ما كتبه باسم الجسر في الحوادث ، ١٧ـ١ـ١٩٦٩ ، ص ٦ـ٧ ، وما قاله في ندوة « قضايا الدفاع عن الوطن »، المنشورة في مجلة الثقافة العربية ، عدد شباط ( فبراير ) ١٩٦٩ ، ص ٨٣ وما بعدها ·

٢٥ ـ راجع محاضرته ، المذكورة ·

٢٦ ـ راجع افتتاحية النهار في ١٢ـ٣ـ١٩٦٧ ·

٢٧ ـ العمل الشهري ، المذكور ، ص ٣٦ ·

٢٨ ـ محاضرة ادمون رزق ، المذكورة، ص ٧ ·

٢٩ ـ نفس المرجع السابق ·

٣٠ ـ النهار ، ٢٣ـ٩ـ١٩٧٢ ·

٣١ ـ راجع مقال الدكتور وليم حداد عن : الحياد في مفهوم السياسة اللبنانية ، في مجلة السياسة الدولية ، عدد ابريل ١٩٦٩ ، ص ١١٥ ـ ١٢٢ · وقد سبق للكاتب ان ناقش ، في فرنسا ، في العام ١٩٦٧ ، اطروحة دكتوراه بعنوان : لبنان بين سياسة الحياد والسياسة العربية ·

٣٢ ـ راجع ندوته في الثقافة العربية لعام ١٩٦٩ ·

٣٣ ـ النهار ، ٢٩ـ٦ـ١٩٦٨ ·

٣٤ ـ من محاضرة له القاها فيطرابلس بعنوان : الوجود اللبناني فيالمحيط العربي ودوره · النهار ، ٣٠ـ٣ـ١٩٧١ ·

٣٥ ـ راجع محاضرته المذكورة ·

٣٦ ـ العمل ، ٢٩ـ١ـ١٩٦٩ ·

٣٧ ـ راجع تحقيق الاسبوع العربي ، المذكور ·

٣٨ ـ راجع محاضرته المذكورة ، ص ٣٦ · ومع انه يزعم ان « القومية اللبنانية

هي وحدها الموجودة في لبنان فعـــــلا وقولا » ( ص ٣٢ ) ، فانه يناقض نفســـه عندما يؤكد بعد ذلك ان لبنان حتى الان « هو البلد العربي الوحيد الذي اعتـــرف رسميا بالفداء » و « ان لبنان اقوى عروبة من اي بلد عربي اخر » ( ص ٦٠ ) ·

٣٩ ـ راجع تصريحاته الاخيرة فـــي السفير ، ٩ و٣٠ـ٦ـ١٩٧٧ ·

٤٠ ـ راجع كتابه المذكور ، ص ٤٥ ·

٤١ ـ راجع نص خطابه في احـــــد الاحتفالات الحزبية · النهـــار ، ١٢ـ٥ـ١٩٧٧ ·

٤٢ ـ راجع الجريدة ، ٦ـ٣ـ١٩٦٧ ·

٤٣ ـ الانباء ، ١١ـ٣ـ١٩٦٧ ·

٤٤ ـ راجع ص ٦٥ من كتابه : فلسطين والخطر المصيري ·

٤٥ ـ راجع افتتاحية النهار ، ١١ـ٨ـ١٩٧٧ ·

نـاجي عـلوش

# بنـدلي جوزي
# الفلسطيـني الذي اعتبروه مستشـرقـاً

**لماذا لم يكن معروفا :**

لم يكن بندلي جوزي معروفا لكثيرين من القراء العرب ، خلال العقود الثلاثة الماضية • ويعود ذلك الى الاسباب التالية :

١ ــ ان بندلي من كتاب العقود الاربعة الاولى من هـذا القـرن ( ١٨٩٩ ــ ١٩٤٣ ) • وبالتالي فهو من جيل الرواد الثاني ، الذي خلف الافغاني والكواكبي والزهراوي الخ ••• وهذا الجيل الثاني لم يلق كثير من ابنائه الاهتمام اللائق بهم ، فأهملوا واهمل تراثهم ، ونسيتهم الاجيال التي تبعتهم ، فيما نسيت •

٢ ــ ان بندلي عاش في روسية القيصرية في الاتحاد السوفياتي ، ولم يعش في البلاد العربية • ومع انه كان دائم الاتصال دائم الكتابة للمجلات العربية ، فانه لم يكن حاضرا • وحياته في الاتحاد السوفياتي ابعدته عن اضواء الثقافة والاعلام في الوطن العربي • وجعلت كثيرين يظنونه مستشرقا •

٣ ــ ان بندلي توفي سنة ١٩٤٣ ، ومنذ وفاته لم يجد مؤسسة او دولة تهتم بتراثه • ولذلك ظل ذكره مطويا ، لولا بعض المريدين ، ولولا كتاب « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » الذي ظل متداولا • وهو الكتاب الوحيد الذي نشره من مؤلفاته في القدس سنة ١٩٢٨ اول مرة ، ثم اعيد طبعه في بيروت مرارا •

٤ ــ ان بندلي لم ينشر اي كتاب اخر بالعربية ، ولا جمع مقالاته التي نشرها

في المجلات والصحف ، كما لم تنشر عنه الجامعات التي عمل فيها (باكووقازان) اية معلومات يمكن ان تكون مرجعا ·

ونتيجة ذلك ظل بندلي جوزي مجهولا ·

ولقد حاولنا ان نساهم في بعث تراثه ، فاصطدمنا بعقبات كبيرة · اولهـا ان المادة غير مجموعة ، وثانيها أن مفاتيح معرفة تراثه مفقودة · فلم يكـن ممكننا حتى الآن التعرف على احد من ابنائه ، وان كنا قد علمنا ان له بنتـا تسكن موسكو ، وتدرس في احدى جامعاتها · ومع ذلك سرنا قدما · وكـان الصديق الشاعر الكبير ابو سلمى من المنبهين دائما للاهتمام بالاديب المـؤرخ بندلي جوزي ، فاشار علينا ان نتصل بمعهد الاستشراق للتعاون في انجـاز هذه المهمة ·

ولقد فعلنا ذلك ، ووجدنا تجاوبا كبيرا · وكان من نتيجة ذلك أن أرسل لنا معهد الاستشراق ما توافر لديه من آثار بندلي مصورة في افلام مصغرة ، ثم تم الاتفاق بعد ذلك على ان نحتفل هذا العام بذكرى بندلي جوزي وكلثوم عودة ·

وبذلك خطونا خطوات الى الامام ، وضمن هذا الاطار اخرجت انا والزميـل جلال السيد بعض كتابات بندلي في كتاب اسميناه : « دراسات فـي اللغـة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب » · والكتاب يضم ما استطعنـا الوصول اليه من الدراسات التي نشرت في الصحف والمجلات العربيـة ، او ضمن كراسات خلال العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن · وقد جـاء نتيجـة اوسع عملية بحث ممكنة لاثنين او ثلاثة ان يقوموا بها ، ومع ذلك فنحن لا ندعي انها تامة ·

صار لبندلي الآن كتابان في السوق ، ومع ذلك فبندلي ما زال مجهولا · اننـا لا نعرف تاريخ حياته ، لا نعرف مؤلفاته ، العربية والروسية ، وليس لدينـا كتاب مرجع واحد نعود اليه في دراسة هذا الرجل الكبير ·

ولذلك فاننا ما زلنا نعمل لسد هذه الثغرات كلها ·

فعلى صعيد حياته ومؤلفاته : قررنا ان نجري كـل الاتصـالات اللازمـة لجمع اوفر المعلومات وادقها عن هذا كله · ومن أجل ذلك كتبنا الى جامعتـي باكو وقازان ، حيث عاش وعلم ، والى معهد الاستشراق حيث له اصدقـاء ومحبون ·

ونامل ان تثمر هذه الجهود ، بما يقود الى ايفاء الرجل حقه ·

**ما نعرفه عنه :**

ما زلنا لا نعرف اين ولد بندلي ، في القدس ام في بيت لحم · وهناك مصادر مختلفة وآراء مختلفة ، وان كان المرجح انه ولد في القدس وهذا ما يؤكـــده اقاربه · كما اننا لا نعرف في اية سنة ولد ، سنة ١٨٦٨ ام سنة ١٨٧١ ، وعـلى هذا خلاف ايضا · (١)

واذا كان هناك خلاف على هاتين القضيتين ، فهناك جهل تام بالمعلومـــات الخاصة بدراسته · اين درس اولا ، ثم كيف انتقل الى روسيا القيصرية · كانت هناك مدارس روسية في فلسطين ولبنان · وتكاد تجمع المصادر على أنه درس في كليةالمصلبة ( أو دير المصلبة ) للروم الارثوذوكس . ثم في مدرسة كفتيـــن قرب طرابلس ·

ثم انتقل بعد الدراسة الابتدائية والثانوية الى روسية . حيث نال شهـــادة الدكتوراه على بحث عن المعتزلة سنة ١٨٩٩ · ولو فرضنا انه انهى دراستـــه الجامعية خلال أربع سنوات ، على اساس انه درس الروسية من قبل ، ودراســة الدكتوراه خلال ثلاث سنوات . فهذا يعني أنه سافر الى الاتحاد السوفياتـــي سنة ١٨٩٢ او ١٨٩١ · ومن المفروض انه كان آنذاك في حوالي العشرين مـن عمره · ولو صح ذلك لكان ميلاده سنة ١٨٧١ · ولا نستطيع ان نحسم هـــذه النقطة ما لم نعرف تاريخ ميلاده بالضبط . او تاريخ وصوله الـــى الاتحـــاد السوفياتي ·

ولقد عين استاذا في جامعة قازان ، بعد تخرجه مباشرة ، حيث ظل الـــى سنة ١٩١٧ · ثم نقل بعد ثورة اكتوبر الى باكو ·

يقول انه زار فلسطين وسورية عام ١٨٩٤ ·

ثم عاد الى الوطن سنة ١٩٠٨ حيث زار فلسطين وبيروت وبغداد (٢) وبقـي حتى سنة ١٩٠٩ · وفي هذه الزيارة تعرف الى الاب انستاس ماري الكرملـي في بغداد وكراتشكوفسكي في بيروت ·

ثم زار القدس مرة ثانية سنة ١٩٢٨ ، حيث طبع كتابه « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » ، كما زار بيروت والقاهرة ايضا · كما عاد وزار القدس سنة ١٩٣٠ ·

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : المقدمة بقلم جلال السيد والمصادر المذكورة هناك ·

٢ ـ بندلي الجوزي : دراسات ص ٢٥٢ · اشار بندلي الى هذه الزيارة في مقالته : هل اللغة العربية مفتاح اللغات ·

وكان خلال هذه المدة يراسل اصدقاء عديدين ومجلات وصحفا نذكر منها الهلال والمقتطف والرابطة الشرقية والكلية التي تصدر عن الجامعة الاميركية وغيرها ·

وكان خلال هذه المدة مكبا على دراسة التاريخ العربي بكل جوانبه ، وخاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ودراسة اللغات وفقهها المقارن ·

**ما نعرف عن مؤلفاته :**

ليس لدينا أيضا معلومات دقيقة عن مؤلفاته ، لاننا لم نستطع بعد احصاء ما كتب ، لا بالعربية ولا بالروسية · وبما أنه كتب بالعربية والروسية ، وترجم الى العربية ، وربما من العربية ، فاننا سنقسم مؤلفاته الى :

١ ـ كتابات بالعربية ·
٢ ـ كتابات بالروسية ·
٣ ـ ترجمات ·

أ ـ الكتابات بالعربية :
لبندلي بالعربية ما يلي :

١ ـ من الحركات الفكرية في الاسلام : نشرة اول مرة سنة ١٩٢٨ ، واشار اليه بندلي باسم « من تاريخ الحركات الاشتراكية في الاسلام » (١) وتذكر معظم المصادر ان طبعته الاولى الصادرة في القدس سنة ١٩٢٨ ، تشير الى انه الجزء الاول ، وانه يتناول الحركات الاجتماعية · (٢)

٢ ـ المقالات المنشورة في الصحف والمجلات ، وقد نشر منها في كتابه الجديد المشار اليه ·

ـ الجزية والخراج في اوائل الاسلام ـ دراسة نشرها في المقتطف مايو ، يونيو ١٩٢٩ ·

ـ الجزية والخراج دراسة نشرها في الكلية تشرين الثاني ١٩٣١ ·

ـ حنين العرب الى بني امية ودراسة نشرت في المقتطف يونيو ( حزيران ) ويوليو تموز ١٩٣١ ·

ـ السفياني : دراسة نشرت في المقتطف يونيو ( حزيران ) ويوليو ( تموز ) ١٩٣٣ ·

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : اشار لذلك اكثر من مرة ص ٤٨ وفي اماكن اخرى ·
٢ ـ مكسيم ردونسون : الاسلام والرأسمالية، ترجمة نزيه الحكيم ص ١٢٥ دار الطليعة·

ـ من خرافات العرب قبل الاسلام : دراسة نشرت في مجلة الآثار ( ايــار ) ١٩١٣ ·

ـ من المصيب ؟ : دراسة نشرت في المقتطف نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٢٩ ·

ـ هل اللغة العربية مفتاح اللغات : دراسة نشرت في مجلة الكلية ، نوفمبــر ديسمبر ١٩٢٩ المجلد ١٦ ·

ـ حقائق وخواطر في اللغة : دراسة نشرت في الكلية ايار ( مايو ) ١٩٣١ ·

ـ مواد لغوية : دراسة نشرت في الكلية ( ايلول ) ١٩٣٢ المجلد الثامــــن عشر ·

ـ تاريخ الالفاظ : دراســة نشــرت في الهلال ( نيسان ) ١٨٩٧ مجلد ٥ جزء ١٥ ·

ـ تاريخ الالفاظ ( شلبي او جلبي ) : دراسة نشرت في الهلال مجلد ٥ جــزء ١١ ، ١٥ نيسان ١٨٩٧ ·

ـ صفحة من تاريخ التمدن عند العرب : المفردات اللاتينية في اللغة العربية : الهلال ، المجلد ٣٦ ، جزء ١٠ اول آب ١٩٢٨ ·

ـ المستشرق الروسي كراتشقوفسكي واشهر آثاره في خدمة الادب العربي : دراسة نشرت في المقتطف نوفمبر ١٩٣١ ·

٣ ـ رسالته التي نال عليها شهادة الدكتوراه حول المعتزلة · وهي مــا لا نعرف عنها شيئا حتى الآن · ويرجح ان نسخة منها موجودة فــي جامعـة قازان ·

وهناك اشارات الى مقالات وعد بكتابتها ولكننا لم نجدها · لقد وعد مثــلا في نهاية دراسته عن الجزية والخراج بمقال عن الاقطاع في اوائل الاسلام . ولكننا لم نعثر عليه · (١) كما اشار الى مقالة اخرى له عن بناء مسجد علــى قبر النبي ، نشرها في الشرق المسيحي ، جـ ٦ ص ٢١٠ · ولم نهتد بعــد الى هذه المجلة · (٢)

وهو يشير في مقالته : « هل اللغة العربية مفتاح اللغات » التي نشرها فــي الكلية ( نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٢٩ ) الى انه ارسل دراسة اخرى في المــوضوع

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٥٨ ·

٢ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ١٠٩ ·

عينه الى المقتطف (١) · ولم نجد هذه الدراسة الى الان ·

ثم ان بندلي يعد بكتابة دراسة عن القصاص عند العرب ، ولم نجد هذا المقال ايضا · (٢)

كما أن صحيفة الشورى اشارت الى انه يعد الجزء الثاني من كتابه من تاريخ الحركات الاجتماعية عن الحركات الفكرية السياسية في الاسلام · (٣)

ب ـ الترجمات ·

ما عرفناه من ترجماته الى العربية يتلخص بالتالي :

١ ـ امير اموي من سلالة مسيحية : ترجمها عن الروسية . وهي للعلامة بارتولد ، ونشرها في المقتطف ، اكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٣١ ·

٢ ـ الامومة عند العرب : بحث ترجمه عن الالمانية . مؤلفه ( G. Wilken ) الهولندي الاستاذ في كلية ليدن · وقد قدم بندلي له ، ونشره في قازان سنة ١٩٠٢ في كراس مستقل ·

٣ ـ القران والبحر : ترجمها عن الروسية ، وهي للعلامة بارتولد المشار اليه اعلاه ونشرها في المقتطف . يوليو ( تموز ) ١٩٢٩ ·

٤ ـ مسيلمة الكذاب ، ترجمها عن الروسية . وهي للعلامة بارتولد . نشرت في الرابطة الشرقية ، الاعداد الثاني والثالث والرابع ١٥ـ١٢ـ١٩٢٨ . ١٥ـ٢ـ٢٩ و١٥ـ٣ـ١٩٢٩ ·

٥ ـ الامراء الغساسنة من بطن جفنه : مؤلفه المستشرق الالماني نولدكه . وقد ترجمه بالاشتراك مع قسطنطين زريق · ويقول الدكتور زريق ان الترجمة صدرت سنة ١٩٣١ في بيروت · ( ويظهر من ملاحظات الدكتور زريق انه راجع الترجمة فقط ، لانه لا يذكر انه تعرف الى بندلي جوزي او قابله ) · وصدر الكتاب عن المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣١ · (٤)

أما ترجماته من العربية الى الروسية ، فلم نعرف عنها شيئا بعد ·

---

١ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ٢٥٢ ـ ٢٥٤ ·

٢ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ٢٨٩ ·

٣ ـ محمود علي الطاهر : الثوري : ٢٦ـ١٢ـ١٩٢٨ ·

٤ ـ نجيب العقيقي : المستشرقون : ج ٣ ص ٩٣١ ·

ج ـ مؤلفاته بالروسية ٠

ان ما عرفناه يتلخص بالتالي :

١ ـ تعليم اللغة الروسية لاولاد العرب ، ( ١٦٤ صفحة ) الفه سنة ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩ ٠ وهو من جزئين ، كما يشير في مقدمة الجزء الثاني ، ويسميه : « مبادىء اللغة الروسية » ٠ يقول في مقدمة الجزء الثاني : « كنت اشرت في مقدمة الجزء الاول من مبادىء اللغة الروسية الذي صدر في العام الماضي في كازان ، باني عاقد النية على الحاقه بجزء ثان يتضمن قواعد اللغة الروسية ، فلم يكد ينشر هذا في انحاء سورية وفلسطين ، حتى وردتني منها عدة رسائل ، تظهر شدة احتياج البلاد المذكورة في الوقت الحاضر الى مثل هذا الكتاب ، وتلح علي بسرعة اظهار الجزء الثاني الى عالم الوجود ٠ فقياما بما وعدت ، وتلبية لطلب بعض الاصدقاء ، وخدمة للوطن العزيز ، بادرت الآن الى نشر الجزء الثاني من مبادىء اللغة الروسية ، على امل ان ينتفع طلاب هذه اللغة به مهما فيه من النقصان ٠

هذا وقد كان في الخاطر ان اضيف اليه معجما جامعا لمفردات الجزئين ، فأخذت في اعداد المواد وهيأته للطبع ، لكني رأيت بعد اعمال الفكر ان انشره على حدة ، بعد توسيع حجمه ، وموعدنا ان سمحت الظروف وشاء المولى ، العام الآتي ٠ قازان ١٢ ايار ١٨٩٩ بندلي بن صليبا الجوزي » ٠

٢ ـ تحفة العروس في لغة الروس : وهو معجم روسي- عربي : عنوانه بالروسية : « قاموس عربي روسي تام » ، وبالعربية كما هو مذكور اعلاه ٠ وعلى الغلاف : تأليف العبد الفقير : بندلي صليبا الجوزي ٠ طبع في قازان ، في مطبعة كلوجينكوف ، سنة ١٩٠٣ ٠ وعلى الغلاف : « الى حضرة الاديب الفاضل الاستاذ الشهير سعاتلو جورجي اف مرقص صاحب الجود والكرم ٠ تذكار اقامتنا في موسكو ومحاربتنا عجوز الشؤم ٠ قازان من مؤلفه » ٠

٣ ـ مقالة نشرها سنة ١٩٠٧ حول عروبة رسالة محمد وانه ارسل للعرب خاصة ٠ (١)

٤ ـ الاسلام والعلم : مقالة نشرها بالروسية على ما يبدو سنة ١٨٩٨ ، لانه يشير في كتابه من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام (٢) انه نشرها قبل ثلاثين سنة ٠

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : صفحة ٢٠٦ ٠

٢ ـ بندلي جوزي : من تاريخ : صفحة ١٥ ٠

٥ ـ بابك والبابكية : اشار اليها في الفصل الخاص ببابك في كتابه « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » (١) ويذكر انها نشرت سنة ١٩٢١ ٠

٦ ـ المطابع الاسلامية في روسية : دراسة نشرها سنة ١٩١١ ، بطرسبرج ، روسيا ، بالروسية ٠

**د ـ مؤلفات متنوعة**

وهناك مؤلفات وجدنا اشارات عنها ، ولم نعرف بأية لغة صدرت ، وربما كانت بالعربية :

١ ـ علم الاصول في الاسلام ٠
٢ ـ اصل الكتابة عند العرب ٠
٣ ـ جبل لبنان ، تاريخه وحاله الحاضرة ٠
٤ ـ ديوان لغات الترك محمود الكاشغري ( ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ ) ٠
٥ ـ قضية المصطلحات العلمية عند العرب المعاصرين ( ١٩٣٠ ) ٠

٦ ـ رباعيات ابي العلاء ونقلها الى اللغات الاوروبية ( المقتطف « ٢٩ : ٧٥٦ » ) ٠ (٢)

٧ ـ أصل سكان سورية وفلسطين المسيحيين ٠
٨ ـ خطبة في الاسلام والتمدن ٠
٩ ـ رسالة في الطاعون : اعراضه والوقاية منه ٠
١٠ ـ رحلة البطريرك مكاريوس ابن الزعيم الى بلاد الكرج ٠ (٣)

**ما يجب ان نذكره لبندلي :**

هناك مزايا لبندلي لا بد من ان نذكرها هنا :

اولها : قناعته الراسخة بالامة العربية ، وحديثه المستمر عنها ٠ وانه لا يلجأ الى محاولة اثبات وجودها ، كما فعل العريسي مثلا ، او الحصري بعده ، بل يتحدث عنها وعن وجودها بثقة كاملة ٠

---

٢ ـ بندلي جوزي : من تاريخ : صفحة ٩٠ ٠
٢ ـ نجيب عقيقي : المستشرقون : الجزء الثالث ص ٩٣١ ، دار المعارف بمصر ٠
٣ ـ يوسف اسعد داغر : مصادر الدراسة الادبية : ج ٢٠ ـ بيروت ، ١٩٥٥ ـ بندلي ٠

يقول بندلي : « فقد عرف عنا نحن العرب انا ميالون الى التطرف في كل شيء الى تضحية النفس ، الى الانانية الزائدة ، الى الحب العذري والى التهتك ، الى الصداقة النادرة والى الحقد اللانهاية له . الى التاله ( Idealism ) والى الشغف بالماديات ، الى الديمقراطية الحقة والى عبادة الشخصيات البارزة، الى الاعتداد بالنفس وشدة الاعتماد عليها . والى سرعة اليأس والسقوط في القنوط عند اول صعوبة نجدها في طريقنا · وبعبارة اخرى ان في الامة العربية قوى عظيمة تارة تدفعها الى اشرف الاعمال وطورا الى اسفلها واخسها ، وسبب ذلك على ما يظهر لي ان هذه الامة العظيمة الذكية العاقلة على الاطلاق ، تعيش وتتمسك بعواطفها القوية اكثر منها بعقولها ، وتسير في حياتها واعمالها اليومية بقوة المصالح الشخصية التي لا تترك سبيلا للحصول عليها الا طرقته » · (١)

وبندلي لا يتحدث عن وجود الامة العربية المعاصرة فحسب . انه يتحدث عن العرب والامة العربية ، خلال تاريخها الطويل ، من ظهور الاسلام ، وخلال عهوده المختلفة · فهو يشير مثلا الى « تشعب المؤامرة ضد السلطة العربية » في عهد المعتصم ، وان الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد » ويشير الى « ضعف العاطفة القومية في قلوب عرب ذلك العصر ··· » · (٢)

وعندما يتحدث بندلي عن أسباب فشل البابكية يقول « واهمها في نظري أن البابكيين حصروا دعوتهم في الامة الايرانية ، ولم يشركوا فيها الامة العربية ، ولا التركية ، وهما يومئذ اعظم الامم الاسلامية » · (٣)

ويرى بندلي « أن الامة العربية تتحفز اليوم للدخول في دور جديد من حياتها التاريخية الطويلة ، تأمل ان تستعيد فيه وحدتها القومية المنشودة ، وتوحد كلمتها المفقودة التيفرقتها شتى العوامل بين داخلية وخارجية ··· » ·

ويضيف بندلي : « فمن أراد ان يؤمن مستقبل هذه الامة الذكية الغبية ، الغنية الفقيرة السعيدة الشقية ، وضمن لها وحدتها القومية ، وجب عليه ان يبين لها بكل اخلاص وصراحة اسباب سقوطها المستمر ، حتى اذا تم لها ما تريد لا تقع مرة اخرى في ما وقع فيه اجدادها من الاغلاط التي أدت بها الى حالتها الحاضرة · هذا ولما كنت اعتقد ان من اهم الاسباب سقوط الدولة العربية ، بل

---

١ ـ بندلي جوزي ـ تاريخ ٥٠ ـ ٥١ ·

٢ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ٨٠ ·

٣ ـ بندلي جوزي : المرجع السابق : ص ١١٦ ·

اعظم هذه الاسباب هو سياستها الاقتصادية ، رأيت ان افتتح ابحاثي في اسباب سقوط الدولة المذكورة ، بمقالة عن سياسة الخلفاء الاقتصادية ، ومـــا نتـــج عنها » · (١)

وهكذا يكون بندلي من رواد النهضة الاوائلالذين كان وجود الامة العربية ، بالنسبة لهم امرا مقضيا · انها قضية ليست بحاجة الى اثبات ، ولا الى بحث ، وهذا الوجود تاريخي قديم ·

وهو عندما يتحدث عن كراتشقوفسكي ويذكر فضائله يضيف «واهم من ذلـك في نظري ان الاستاذ العزيز لا يفرق في حبه بين الآداب العربية والامة التـــي انتجت هذه الآداب · فهو يحب امتنا حبا جما ، لا يقل عن حبه لآداب لغتنـــا وثقافتنا ، ثم هو يحبها حبا فعالا عمليا لا نظريا فقط · فكم له من اياد بيضـــ على بعض افراد هذه الامة . وكم له من دفاع مجيد عن مصالحها الحيوية وحسن سمعتها ·· » · (٢)

ثانيها : منهجه العلمي وروحه العلمية : ان بندلي من اوائل مؤرخينا وبحاثينا الذين التزموا المنهج العلمي في البحث · فهو اولا ليس باحثا تقليديا ، ولا جامع معلومات ، ولا مدعيا ·

انه :

أ ـ حريص دائما على المعرفة ، يلهث وراءها ، ويقرأ المؤلفات المختلفة . فهـو ذو علم واسع · والذي يقرأ كتاباته يلمس هذا الحرص على المعرفة . وهذا الدأب على القراءة ، وهذا الاطلاع الواسع ·

ب ـ انه باحث مدقق ، يقرأ ويقارن ويبحث . ويحاول دائما أن يصل الـــى الحقائق ·

جـ ـ انه باحث يتسم بالتواضع الجم : فهو يقول مثلا : « ان نبين ذلك على قدر ما تسمح لنا به معارفنا والنصوص التي توفقنا الى جمعها ودرسها » · (٣)

كما يقول في مكان آخر : « واني اوكد لحضرته باني لا اقصد من كل مـــا

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٢١ ـ ٢٢ ·

٢ ـ بندلي جوزي : دراسات ص ( ٣١٦ ـ ٣١٧ ) ·

٣ ـ بندلي جوزي : من تاريخ : ص ١٤١ ·

اكتبه الا الحقيقة ، على قدر ما تنكشف لي وتساعدني معارفي وحالة العلم على ادراكها » ٠ (١)

د ـ انه يلتزم « بالنواميس الطبيعية التي يقبلها العقل » وليس لحضرتـــه ( يقصد عبد اللطيف الطيباوي ) الذي : « يميل الى الماوراء طبيعي كما يؤخذ من بعض عبارته » (٢) وهذه القوانين العلمية التي يقبلها العقل . هي التي يؤمن بها ٠

ولهذا كله اكب على الدراسة . واشتغل بالبحث ، ولم يكن له هـــدف غيـــر الحقيقة ٠ وكان مثالا للباحث الامين ، المكب على المعرفة . الجاهد في التحصيل٠

وثالثها : معرفته بالعديد من اللغات ٠ فلقد اتقن الى جانب العربية ، الروسية والفرنسية والانجليزية والالمانية واليونانية ٠ ومن اللغات القديمة السريانيـــة والعبرية ٠ وهو يشير في دراساته المقارنة في فقه اللغة الى الآرامية ، كما يشير الى اللاتينية ٠ (٣) وهذا يدل انه كان يعرف شيئا منهما ٠

ان معرفة العديد من اللغات ، تساعد على سعة الاطلاع . وبالتالي غـزارة المعرفة ٠ ولهذا نجده يترجم من لغات مختلفة ٠ ٠ويكفيه ان يكون متقنـا لاهم اللغات الاوروبية الحديثة ٠

ورابعها : اهتمامه بدراسة التاريخ العربي : لقد كان بندلي من اوائل الذيـن درسوا التاريخ العربي دراسة علمية ، واهتمـــوا بجوانبـــه الاقتصاديـــة والاجتماعية ٠ ان دراساته حول الجزية والخراج . وحنين العرب الى بني امية والسفياني وخرافات العرب قبل الاسلام وترجماته عن الامومة عنـــد العـــرب وغيرها تبقى من الدراسات الهامة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي العربي ٠

وقراءتها اليوم تفتح العديد من المجالات للدراسات الاقتصادية والاجتماعيـة المختلفة ٠ ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الدراسات قد كتبه بندلي . ليساهم في تبيان اسباب سقوط السلطة العربية . وليكون ذلك دليلا للاجيال القادمـة . فلا يتهدم ما يبنى . وكأنه اراد ان يقول : ان الظلم والاضطهاد لا يبنى عليهمـا سلطان ثابت ، وان العدل اساس العمران . ولا عمران دون سياسة اقتصاديـــة صحيحة ٠

---

١ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٢٠٢ ٠

٢ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ٠

٣ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٣٠٠ ٠

**بندلي يثير ردودا :**

كانت مقالات بندلي بجرأتها في الاهداف والاسلوب ، وبما تطرحه من قضايا، تثير مناقشات وردودا ٠ فالاستاذ عبد اللطيف الطيباوي يرد على بندلي وتفسيره الاقتصادي للتاريخ ٠ يقول الطيباوي : « وقد مهد ( اي بندلي ) بمقدمة قال فيها ان اعظم اسباب سقوط الدولة العربية هي سوء سياستها الاقتصادية ٠ فلم نستغرب منه ذلك ، لان هذه ليست المرة الاولى التي يقف فيها الاستاذ مدافعا عن التفسير الاقتصادي للتاريخ ، ونحن نعرفه جد ميال الى هذه النزعة ، متطرفا بتطبيقها قسرا على مختلف نواحي تاريخ العرب ، منذ نشر كتابه في الفكر الاسلامي » ٠ (١)

وتناقشه المقتطف في باب الاخبار العلمية ، حول كلمة خراج ٠ (٢)

وتعلق الرابطة الشرقية ، على ترجمته لبحث بارتولد حول مسيلمة الكذاب ، بتعليقات متعددة جاء في احدها : « تلك كلمة تخرج من افواه الذين لا يؤمنون اذا ما عرضوا للبحث في دين الاسلام » ٠ (٣)

وقد علق عدد من المجلات على كتاب : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ٠ وهذه مجلة الزهراء (٤) تعرض الكتاب باختصار ثم تعلق عليه قائلة : « والكتاب على الاجمال يكاد يكون سلسلة من تاريخنا المنشور ، لولا انه نظر اليه بعين اخرى ، ومع اختلاف وجهة النظر ، فانه لا غنى لقارىء هذا الكتاب عن مراجعة الاصول المعتمدة في التاريخ الاسلامي ، والا وقع في خطأ الحكم على الوقائع تبعا لوجهة نظر المؤلف » ٠

وهاجمت مجلة الكلية الصادرة عن الجامعة الاميركية الكتاب بسبب تحليله المادي وقالت : « وقد رأينا هنا ايضا ان الاستاذ يؤثر التعليل الشيوعي على غيره ، حتى في نشوء الآراء ونمو المعتقدات بين تلك الجماعات السرية والفئات الفلسفية ٠ ولسنا ندري فلعل ذلك نتيجة ما يحيط بنا اليوم من تاثير الدعاية الشيوعية الروسية » ٠

---

١ ـ عبد اللطيف الطيباوي ـ المقتطف ، يونيو ١٩٢٩ ، ص ٨٥ـ٩٨ ٠

٢ ـ عبد اللطيف الطيباوي ـ المقتطف ، يونيو ١٩٢٩ ، ص ١١٨ ٠

٣ ـ بندلي جوزي : دراسات : ص ٢٢٨ ـ ٢٣٣ ٠

٤ ـ الزهراء ـ المجلد (٥) ذو القعدة ١٣٤٧ هـ٠

وتنهي المجلة نقدها بقولها : « على ان هذه الملاحظات لا تقلل من قيمة الكتاب الذي يشكر عليه مؤلفه الفاضل » ٠ (١)

ولقد علمنا انه ابدل عنوان كتابه من الحركات الاشتراكية الى الحركات الفكرية ، لان سلطات الانتداب لم تسمح بنشره بذلك العنوان ٠

ان النقد الذي وجه الى بندلي ودراساته في ذلك الحين كان مختلفا عن مستواها وجديتها ، حتى من حيث الدراسة الاكاديمية ٠

**ملاحظات حول افكاره ودراساته :**

ان دراسة افكار بندلي وتقويم دراساته قضية كبيرة ، لانه كتب في التاريخ والاجتماع والفلسفة وفقه اللغة ٠ واذا كان خطه علميا واتجاهه تقدميا ، فهذا لا يعني انه لم يخطىء احيانا ، كما ان دقته وأدبه لا يعنيان انه لم يرتكب هفوات في دراساته وابحاثه ٠

الا ان هذا كله لا يمكن ان يمس أهمية اعماله وجديتها ، او ان يطعن في منهجه العلمي واتجاهه التقدمي ٠

ان تناول قضايا التاريخ العربي ، من اكثر القضايا تعقيدا وحساسية ٠ ومع ذلك فقد تناول بندلي اكثرها حساسية وهي قضايا البابكية والاسماعيلية والقرامطة ٠ ولقد كان هؤلاء اعداء للخلافة العباسية ، ولمذهبها الرسمي : السنة ٠ وقاد ذلك الى اعتبار كل من يتحدث عنهم بغير اللغة من الرافضة ، ان لم يكن من الكافرين ٠

ومع ذلك فقد عالج بندلي هذه القضايا بدقة ، وبموضوعية ، رفعت ابحاثه ، على الرغم من بعض الثغرات فيها ، الى مستوى الابحاث الجادة ، العظيمة الفائدة ٠ ونستطيع ان نقول بان كتابه من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، من أهم الدراسات حول القضية المعينة ٠

هذا بالاضافة الى ان تعدد المجالات التي طرقها : سياسة ، اقتصاد ، اجتماع، لغة ، دين ، فقه ، لغة مقارن ، جعلت ابحاثه تتسم بالشمول والتعدد ، مما يحتاج بحثه وتقييمه الى اكثر من تخصص ٠

وهذا كله يجعل مسؤولية التحقيق والتقويم صعبة وكبيرة ، وتحتاج الى

---

١ ـ ع٠ط : الكلية : المجلد (١٥) تموز ١٩٢٩ ٠

الوقت والجهد ، وحتى الجهود المشتركة ٠

**خاتمة :**

اننا ما زلنا نبحث عن آثار بندلي جوزي ، وسنبذل كل الجهود للحصـــول عليها ، ولاعادة نشرها ٠ ولنعترف ان المهمة شاقة ، لان الوصول الى آثـــاره بحاجة الى مراجعة العديد من الصحف والمجلات ، والجامعات والمكتبات فـــي العديد من اقطار العالم ٠

ولكننا مع ذلك سنسعى جهدنا لجمع هذه الآثار ولتحقيقها ولنشرها ، تقديرا واجلالا لجهوده وعلمه ٠ وسوف نعيد نشر آثاره مع فهارس للاعلام والبلـدان وتعريفات للذين استشهد بهم او ترجم لهم من الكتاب والمستشرقين ٠

# الكتابة اللهب

**من الصعب ان تضبط الكاتب الكبير يوسف ادريس في سؤال ٠ فهو المتدفق الرائع يحدد مساره وينطلق ٠ بعد دقائق يبعثر الاسئلة الجاهزة ويفيض ٠ زارنا في مركز الابحاث وقال : « ان المركز ساعدني على معرفة ابعاد في القضية الفلسطينية لم اكن اعرفها » ٠ ويتحدث عن الادب الفلسطيني في شغف ٠ لا تتواضع ! قل لنا من انت !**

**وكانت هذه المقاطع ، بلا عناوين لاننا رمينا الاسئلة في منفضة السجائر :**

اذكر ، انه عام ١٩٥٦ ، وكنا خارجين في مصر من العدوان الثلاثي ٠ جاء شاب فلسطيني ، وطلب مني ان اكتب مقدمة لرواية يريد اصدارها ٠ فرحت بهذا الشاب ، لان قضية فلسطين ، كانت في ذلك الوقت قضية صامتة ٠ ورغم ان الرواية كانت متوسطة القيمة ، لان مؤلفها كان يريد ان يكتب مثل طه حسين والعقاد ، ولم يكتب تجربته الخاصة ٠ فقد فرحت بقيمتها المبدئية ٠ ومن يومها بدأت اتتبع ما يمكن ان اسميه التهتهة المتقطعة للتعبير عن اعظم قضايا العصر ٠ ثم ما لبثت هذه التهتهة ان انفجرت ٠ وفجأة ولد جيل كامل في نفس اللحظة التي حمل فيها شعب فلسطين السلاح ٠ حمل هؤلاء الاقلام كما يحملون البنادق ٠ وابتدأت قصص غسان كنفاني تكشف كنه الانسان الفلسطيني ٠ كنفاني ، في قصصه ، كشف ابعاد الانسان الفلسطيني واحلامه ٠ وبعد ذلك ، جاء الشعر من حيث يجب ان يأتي ٠ من الارض المحتلة ٠ حيث نشأ ذلك الجيل

المجيد الذي رفض الهزيمة ٠ هذه الانتفاضة الشعرية ، هي اعظم ثـورة ثقافية اجتاحت العالم العربي ٠

وعندما نطقت القضية شعرا ، وتحولت الكلمة الى رصاصة ، بدأ مـا هو اعظم من الكفاح المسلح : تعبير الشعب عن نفسه ٠ ومن المعروف ان الشكل الاول للتعبير هو الشعر ، لانه ابسط الفنون واكثرها صعـوبة ٠ فهو اما ان يكون صادقا بشكل حقيقي فيصل الى القلـب ، او يكـــون لا شيء ٠

ان حقيقة الانسان هي ان يكتشف نفسه ، وان تتسع امامه مجالات الرؤيا ٠ لذلك ، فأنا اعتقد ان القضية الفلسطينية حين نطقت شعرا ، ثم حين انطقت الامة العربية كلها ، فشملتها موجة من التعبير عن النفس ، فانها قد فتحت واحدة من اهم فترات تاريخنا ٠ فالنصوص الادبية التي كتبت وتكتب في ظل هذه الثورة العربية بالغة القيمة والاهمية ٠

والواقع ، ان النص الادبي يحمل بعدين مهمين : **البعد الآني** . الـذي يحدث الاثر المباشر **والبعد الخالد** ، الذي لا يسعى اليه الكاتب لكنـــه يحدث ، لانه ينفجر في داخله ٠

من اجل ان اتعرف على شعب ما ، علي ان الخصه ٠ كيف الخصه ؟٠ ان اخطر ما في الانسان هو عقله ووجدانه ٠ وعندنا في « الشرقية » مثل يقول : « مصيبة في المال ولا مصيبة في العيال ٠ مصيبة في العيال ولا مصيبة في الجسم ٠ مصيبة في الجسم ولا مصيبة في العقل » ٠ فالموت ينهي الحياة ، لكن العقل المضطرب يقود الاجيال القادمة الى هـــوة سحيقة ٠ وانا اعتقد ، ان النقطة التي يمكن ان يضرب منها العرب هي عقلهم ووجدانهم ٠ اي ثقافتهم ٠ نحن في المجتمع العربي . جسم كبيـر جدا ٠ من المحيط الى الخليج ٠ اناس لا يعدون ولا يحصون ٠ اجساد ، اجساد،اجساد، وعقل صغير جدا ومرهق .وحس رغم ضآلته يضرب تقريبا في كل مكان ٠ فالكلام حول الثقافة ، ليس نزهة فكرية ، انها عملية دفـاع مشروع عن النفس ٠ المسألة الاساسية ، ليست مسألة ارض ، انها مسألة ضرب العقل العربي في الصميم ٠ فنحن الذين نزعم اننا جزء من هـذا العقل ، او احدى خلاياه ٠ نقف ضد ان نتحول الى اجساد بالاكوام ولا عقل ٠ هذه هي المسألة التي تحدثت عنها في مقدمة كتاب كنفاني شـهيد كتاب العرب ٠ كنت اريد ان اقول ، ان المسألة ليست في استشهاد كاتب ،

الذي نخشاه ، هو الاطاحة بالعقل العربي ٠ وللاسف ، فقد كانت تنبؤاتـي صحيحة ٠ فنحن منذ سنة ١٩٦٧ ، نتراجع بخطوات فلكية الى الوراء ، الى درجة اننا وصلنا الى مرحلة العشائرية في اقل من سبع سنوات في

القرن العشرين · ويمكن ان نصل الى مراحل اكثر بدائية · وسنصل الى هذا المستوى طالما ان هذا العقل العربي الواحد غير موجود ·

ونحن لسنا في فراغ · هناك اوطان في العالم العربي · ورغم الاحتلال الاجنبي ، هناك تاريخ وتراث وثقافة · واستطيع ان ازعم ، ان لنا شبه ثقافة عربية موحدة · ففكرة انتمائنا العربي ، لم تكن محسوبة منذ عشرين سنة · اما الآن فهي حقيقة ، ويذهب من اجلها الشهداء والضحايا ، ويدور حولها صراع في العالم · وايضا ، عندما اتكلم ، اتكلم كمصري او كانسان ، ولد وعاش في مصر ، وهو يدرك ان وطنه اكبر من مجرد قرية البروج في محافظة الشرقية · اننا لم نصل بعد ، الى ادراك هذه الحقيقة البسيطة : حقيقة كوننا ننتمي الى وطن واحد · اما الحقيقة الثانية ، فهي ضرورة ان ندرك ، ان هذه الامة ، ارادت ذلك او لم ترده،وهي طرف في معركة واحدة : الصراع بين الشرق والغرب ،او الصراع بين العالم الثالث والعالم الاول ·

نحن لا نزال في مرحلة المقدمات · مرحلة ما قبل بدء تاريخ التفكير العربي · نحن في مرحلة الدويلات الفكرية والاقطاعيات الفكرية والمذهبية · وكان اعداؤنا من الذكاء ، بحيث انهم روجوا لخدعة بسيطة ·

لقد سموا العدوان الشامل على الامة العربية : القضية الفلسطينية · اي انهم فلسطنوا القضية العربية · نعم هناك قضية فلسطينية · وهناك قضية مصرية وسورية ··· لكن الموضوع هو عدوان شامل على امتنا · لانه لو كان هناك قضية فلسطينية بينما بقية جسد الامة سليم ، كان الحل بالغ البساطة · لكن المشكلة اساسا ، هي في ضرب العقل العربي حتى لا يدرك ابعاد مشكلته · فنحن نواجه مشكلة واحدة ذات ابعاد متعددة · والمشكلة الثانية هي في هذه الانظمة العربية التي تصادر فكر هذه الامة ، ونحن نعلم ان اتجاهها واضح واتفاقها مع العدو واضح كذلك ·

اي نحن نواجه عدوين · عدو في الداخل هو التخلف ، وعدو في الخارج هو تقدم الاعداء · وتخلفنا اشد خطرا من تقدم عدونا · لذلك فان للثقافة والمثقفين والمبدعين دور بالغ الاهمية · ولكن للاسف ، فان الرابط الوجداني بين المثقفين العرب غير موجود · وليس صدفة ان تكون مؤتمرات الثقافة العربية بالغة الهامشية · فهناك محاولة جدية لعزل الثقافة عن الحياة · وكأن الثقافة لا علاقة لها بالاستشهاد او الخبز او العمل · الخطير ، هو تحويل الثقافة الى تمارين ارادية يمارسها بعض المختصين · وتصبح مقياس شاعرية الشاعر فحولته وليس صدقه في التعبير عن لحظة معينة ·

**عزل الثقافة عن الحياة ، ثم عزل الثقافة عن الفكر ، ثم عزل مثلث الفكر ، الثقافة الابداع عن الحياة اليومية والنضالات السياسية ٠**

**هذا هو الاشكال الخطير ، والتحدي الفعلي الذي يواجهنا ٠**

**ان حقيقة واقعنا ، الاكثر خطورة ، هي هذه الازدواجية في حياتنا العربية ٠ السياسة في ناحية ، والفكر في ناحية اخرى ، الكتابة في ناحية ، والقتال في ناحية ثانية ٠ الحياة اليومية في ناحية ، والشعر في ناحية اخرى ٠**

**انا احاول تشخيص الداء ٠ لذلك لا اتهم احدا ٠ ارى قضية كبيرة ورئيسية ٠ لا يوجد ، لا بين القادة ولا بين الجماهير اهتمام حقيقي بالفكر ٠ الفكر بوصفه حاجة شاملة بالنسبة لنا ٠ الاشكال الكبير ، هو في وجود امة لا تهتم بالفكر ٠ الفكر بالنسبة لي ، هو جميع مجالات الخلق والابداع والثقافة ٠ ان فصل الابداع عن الحياة ، وعدم النظر اليه بوصفه حاجة مصيرية هو الاشكال ٠ مثلا ، قصيدة « احمد الزعتر » لمحمود درويش ٠ قصيدة رائعة تركت صداها في جميع ارجاء العالم العربي ٠ ولكن كيف نعامل الشعر ؟ نعجب به ، وبعد ذلك لا شيء ٠ المفروض ان تعتبر هذه القصيدة نشيد امة ٠ هذا غناء امة ٠**

من مآسي الحركة الوطنية العربية ، انها تتميز بمسألة خاصة ٠ تحارب عدوا وتعتنق ثقافته ٠ نحارب الانجليز ، واحمد لطفي السيد يؤلف كتابا يظهر فيه الانجليزي بوصفه سوبرمان العالم ٠ الجزائريون يحاربون فرنسا ، وثقافتهم هي الثقافة الفرنسية ٠ ان جيل طه حسين ينتهي الآن في العالم العربي ، ولكن ينبت بعده جيل اشد خطرا ٠ فالغرب في تطوره ، يعزز ادبا وفكرا مذهلين ٠ ونحن نقاد الى تقليدها تطوعا ٠ فكثيرون ممن يكتبون الشعر والقصة والرواية ليسوا سوى طاهات حسينات وتوفيقات حكيمات ٠ ولكن عوض تقليد موباسان يقلدون روب غرييه وساروت ٠٠ وهنا يكمن الخطر الحقيقي ٠ فأنا اعتقد ان اعظم ما ستنتجه هذه الفترة ، الفن الحقيقي النابع من الواقع ٠ **فالفن ، هو كالقوانين العلمية لا يمكن دحضه او الغاؤه ، انه نبض الكون ٠** فالمكون الرئيسي للانسان ، ليس انتسابه الى ارض فقط ٠ لان **الثقافة هي الازهار والثمار** التي ينتجها الجذع والساق ، الوطن والارض ٠ فنحن ، **هذا القليل** من الكتاب والشعراء ، الذين ندرك هذه الحقيقة نشكل **كتيبة مبعثرة** ، تكافح في الاتجاه نفسه : البحث عن ثقافة عربية حديثة ، حقيقية ، اصيلة ، تصلح كي يحيا بها عقل الانسان العربي ٠

انا لا اعرف ماذا امثل بالضبط · لكني احاول ان اقول ما اشعر انه الحقيقة · يمكن ان تعتبرني ممثلا لرغبتي في قول الحقيقة ·

انا ضد التواضع المزيف · كان يجب ان يقوم احدهم بالدور الذي قمت به في مجال القصة العربية · انه لفت نظر المبدع العربي اولا والقارىء ثانيا ، الى ان الواقع نفسه يحمل منابع خصبة للجمال والابداع والانسانية · بين فلاحينا وكادحينا واطفالنا ، توجد الملهاة والمأساة · وتوجد طريقة تعبير مختلفة عن طريقة تعبير الغرب عن نفسه ، وهي طرائق واساليب يمكن ان تضاف الى التراث الانساني · كان مهما جدا للقصة المصرية ، ان تصبح مصرية · انا لم انشأ ككاتب قصة عندما ادركت ان رسالتي في الحياة هي الكتابة القصصية ، تساءلت اية قصة اكتب ؟ وقرأت القصص الموجودة ، فوجدتها قصص خواجات يتنكرون بثياب ابناء البلد · قرأت القصص الاجنبية فوجدت انها حدثت في بلاد اجنبية ، وابطالها اجانب يتكلمون بطريقة اجنبية · قرأت قصة السرد فوجدتها مختلفة عن الف ليلة وليلة ، وعن الطريقة التي يتكلم بها الناس · اذن علي ان اكتشف واقعي · وقد قال لي كتاب عرب منهم غسان كنفاني والطيب الصالح : الى اني لفت نظرهم الى واقعهم · هناك اشياء لا يعرفها احد سوى الذين يعيشون هذا الواقع · فهم يستطيعون اكتشاف حقيقة الانسان وتقديمها للعالم · انا اعتقد ان حقيقة الانسان العربي حقيقة عظيمة جدا ، كل ما في الامر انها تقدم اليوم للعالم بشكل فردي وسخيف وغير صادق وغير حقيقي ومشوه ·

اذا كنت قد انجزت شيئا في هذا الاتجاه ، يكون هذا جيدا ·

انا لا اوافق على التقسيم النقدي بين شاعر وقصاص ومسرحي · الفواصل التي نضعها عادة بين الفنون ، اكتسبت مع الزمن ، نوعا من القداسة · مع انها كاذبة ومزيفة · النقد الجديد ، هو الذي يحاول ان يكتشف الرؤيا التي تصدر عنها الكتابة · هل توجد رؤيا او لا وجود لها · بعض النقاد يقسمون نتاجي الى ثلاث مراحل · المرحلة الواقعية ، التي كتبت فيها عن القرية · المرحلة التجديدية ، التي كتبت فيها عن المدنية · المرحلة الغيبية او الفوضوية · ولكن من الصعب ان نحكم على كاتب ما زال منتجا · ربما ، سوف نعتبر على اساس ما سيكتب ، ان كل كتابته السابقة كانت مجرد تمارين ·

من الصعب ان يجيب الكاتب على سؤال يتعلق بكتابته · لانه لا يعرف ماذا يفعل · الشاعر ، لا يجرؤ على القول ان ما يكتبه هو الشعر ، لانه يكتب من اجل ان يعرف ما هو الشعر · من اجل ان يصل الى روح

الشعر ونواته · كذلك في القصة · انت تكتب من اجل ان تعرف ما هي القصة · تكتب تحت الحاح البحث عن حقيقة القصة وحقيقة الشخصية التي تعالجها · وليس من المصادفة ان اكون قد بدأت بكتابة العديد من قصصي ، دون ان اعرف كيف سأنهيها او لماذا اكتبها · انا ، تحت الحاح قوي جدا ، اريد ان اكتب في هذا الموضوع · وكمن يدخل القصر المسحور اكتشف · واحاول ان استكشف عالما لا اعرفه مسبقا · التقسيم النقدي يكون صحيحا في حالة واحدة ، عندما يملك الكاتب وعيا مسبقا للذي يريد ان يقوله قبل ان يكتب ، عندما يكتب بناء على نموذج · انا اكتب بطريقة مختلفة · الكتابة عندي هي عملية بحث مستمرة عن شيء لا اعرفه · لكنه بحث مثمر لسببين : فأنا استمتع به اولا ، ثم اعثر على اشياء لم اكن اتصور انني سأعثر عليها ، وبالتالي فالقارىء يعثر عليها معي ·

احيانا ابدأ القصة وانا اعرف كيف سأنهيها · ابدأ ، ثم اصل الى نهاية ثانية · احيانا ، اعرف كيف تبدأ القصة لكني لا أعرف كيف ستنتهي ·

ففي قصة « الرحلة » كنت اعرف ان الرجل مصر على ان والده لم يمت وهو مصر على الباس جثته ربطة العنق · لكني لم اكن اعرف كيف سأنتهي · الاحساس العام هو الذي يبقى · هنا نختلف قليلا عن الشعراء · الشاعر يملك حساسية خاصة يسمونها الفصاحة · اي القدرة على التحكم في الدفقة الشعرية · اما بالنسبة للقصاص فالمهم هو التدفق ·

انا اكتب بناء على الحاح نغم او معنى او شيء مرهف جدا لا استطيع القبض عليه · اكتب من اجل الامساك به · احيانا تأتي الفكرة كاملة لحما وعظما ، وعندها تكون مهمتي كتابتها فقط · يكون العقل الباطني هو الذي كتبها · هناك حوالي خمس عشرة قصة حلمتها كاملة · انهض من الحلم واكتب الذي رأيته · انا اعتقد ان هذا الشيء الذي يسمونه موهبة ، حقيقي وموجود · هكذا نجد سمات مشتركة بين اشياء غريبة · بين اعمال مايكل انجلو وسمفونيات بيتهوفن · تشعر ان الطبيعة او القوى الحيوية تعبر عن نفسها في لحظات صدق · لذلك فالفن خالد · وهذا يعني ان الفن لو لم يكن خالدا ، لكانت اعمال القرن العشرين تقوم بنسخ الاعمال التي سبقتها · **العمل الفني مثل الكائن الحي ، الكائن الحي لا ينسخ** ·

الحقيقة ، انني قررت مرة ان اتوقف عن كتابة القصة · قلت سوف اكتب شيئا اسمه « من مفكرة يوسف ادريس » ، واتناول فيه مشاكلنا

بطريقة اكثر مباشرة · عوض اللف وخلق بطل وحكاية · نفذت المشروع لافاجأ بحالتين مذهلتين :

الحالة الاولى : استجابة شعبية لم ارها في حياتي · اي وصل بريدي الى ٥٠٠ رسالة في الاسبوع ·

الحالة الثانية : وهي المفاجأة الاعظم · جاء ناشر وقال لي انه يريد اصدار مفكرتي في كتاب · وطلب مني ان اعطيه اياها كما كتبتها انا اسبوعيا دون اعادة ترتيب · اخترت له اثنتي عشرة حلقة · عندما اخذت البروفات لاراجعها ، اكتشفت انها رواية · لقد ضحكت على نفسي وعلى الاخرين وسميت الرواية مفكرة · لكنها رواية بكل ما في الكلمة من معنى · رواية على شكل مقالة مباشرة · فهناك تيار واحد يمسك بها من بدايتها حتى نهايتها ·

هذا يدفعني الى التأكيد من جديد ان الاشكال التي اتفقنا على تسميتها رواية وقصة وقصيدة ومسرحية ، هي تقسيمات شكلية ، ومتى توفر وعي نقدي حقيقي ، سوف تصبح تصنيفات قديمة · فأنا اؤمن ، ان كل لحظة صدق هي فن ··كل لحظة صدق يعيشها الانسان هي الفن ، سواء سجلت على شكل قصيدة او قصة او مقال ، او لم تسجل · وكم من فن ضاع ويضيع على البشرية لانه لم يسجل ·

انا لا اختار ولا اصنع · هناك شيء في الداخل ، احساس بأني سأقوم بعمل ما في مكان ما ، في لحظة ما · عندما اصل الى هذا الاتجاه اتفاعل معه · تحصل اشياء واحداث وكأنها مصادفة ، لكنها تكون لا ارادية ، لا ارادية لاننا نأخذ الارادة بوصفها القشرة الارادية الظاهرة ، التي هي القشرة العقلية ، لكن الارادة اعمق بكثير من هذا · انها في العظم وليست في اللحم ·

انا لا اكتب القصة · ولم اختر ان اكون قصاصا ·

عندما اكتب ، لا يوجد شيء ثابت يقود كتابتي · هناك اشياء عديدة · هناك اولا ما اسميه القيادة التناسبية · اكتب سطرا في قصة ، لنفترض انه السطر الاول ، يخلق هذا حالة معينة من الشعور الذي يستدعي خلق حالة ثانية مناسبة تكمن في الاولى · هكذا · تقوم بعمليات لتكتشف في النهاية انك وصلت الى شكل لم يكن في ذهنك · هذا الذي اسميه الشكل الموضوعي ·

وهناك شيء اهم من هذا · انه كاحساس ماجلان وهو يقود مركبه ، مؤمنا انه اذا سار في هذا الاتجاه فسيصل · انه ما فوق حب الاستطلاع

اذ تشعر ، انه هناك في ركن قصي من الفكر او القصة شيئا ما · مغامرة ما · واذا تبعت هذا التيار سوف تصل · تذهب في رحلتك من اجل اكتشاف جزيرة صغيرة ، فتفاجأ بأنك اكتشفت قارة · انا في « الفرافير » اكتشفت المسرحية اكتشافا · كنت لا اريد كتابة مسرحية عادية · حوار بين فرفور وسيده · كنت اريد خادما يمازح سيده · « قوللي يا سيدي انت سيدي ليه » · عندما كتبت هذا السؤال على الورق ، توقفت عن الكتابة ، واكتشفت مسرحية « الفرافير » · الناس تهزأ او تبتسم ، عندما نقول لها ان الكاتب ليس « كاتبا » بقدر ما هو « مكتوب » · هناك ناحية لم يبحثها احد · ما هو الكاتب ؟ هل هذا هو نوع من المزايا الفردية ، ام هو ظاهرة اجتماعية احصائية · اي كما ان نصف المواليد تقريبا هم من الاناث او الذكور · اعتقد انه في كل نسبة معينة من السكان يجب ان نجد شاعرا وكاتبا · انها خاصية تفرزها الجماعة البشرية · انها قيمة اجتماعية ·

وقفت قرب الموت · لكن طبعا ، لم يحدث انني اردت ان اموت · الاقتراب الشديد من الموت يختلف عن تجربة المقاتلين ، لانه يعني ان جميع الظروف قد تآمرت دفعة واحدة من اجل ان تقطع خيط الامل · الموت لا يعني ان تموت · حين تموت تكون قد مت وانتهى الامر · الموت يعني ان تكون محاصرا تماما · الخطير هو ان تنفذ بعد هذه اللحظة · هنا تحدث تغيرات خطيرة جدا في شخصية الانسان · توقظ مشاعر كانت كامنة ، وربما كانت بحاجة الى مثل هذه اللحظة كي تظهر · هنا يفقد الجهاز العصبي في احايين كثيرة قدرته على الاحتمال ·

انا لا اخاف من الموت الفني · انا لست كاتبا محترفا · عندما اكتب اكون كاتبا ، اما حين لا اكتب فأكون انسانا عاديا جدا ، يتفرج على ما كتبه الانسان الآخر · لقد حاولت ان اربط بيني وبين انتاجي ، لم استطع · وحاولت ان اربط بيني ككاتب وبين يوسف ادريس . ولم يكن هذا ممكنا · لذلك فأنا لا اخاف الموت الفني · الذي لم يعش لا يخاف الموت ·

همنغواي لم ينتحر لانه شعر بالعجز الفني · همنغواي انتحر لسبب بسيط جدا · لانه اصيب بالجنون · كان في آخر ايامه يعالج بالصدمة الكهربائية في احد مستشفيات الامراض العقلية · الانتحار لا علاقة له بالمسألة الفنية · كاتب الرواية الحقيقي يبدأ انتاجه الحقيقي في سن متأخرة · بين ٥٥ و ٦٥ · وكلما تأخر الروائي في الكتابة ، كلما جاءت اعماله اكثر نضجا ···

حيدر حيدر

# من هنا تمر الحرب "قصة"

## ١ ـ بيروت الحرب

من هنا تمر الحرب الآن · تأخذ معها الاطفال والشجر ، الرجال والحجارة ، الفقراء والخبز ، وسائر الذين ليست حربهم ·

وقبل اعوام مرت الحرب من هناك · اجتاحت الصحراء والمرتفعات ، ثم اغتالت الجنود والارض والفقراء ، والذين لم تكن حربهم ·

حزين انا لان حربي لم تشرق شمسها بعد · سألتها وهي تحاذيني : متى تكونين حربي ؟

عن اسنانها الدامية كشفت · سألتني : وكيف أكون حربك يا صغيري ؟ قلت وأنا أمتطي صهوة حصان من خشب : عندما تجتاحين عواصم الطغاة والتجار والكهنة والبوليس والكتب القديمة ·

ضحكت الحرب مني متابعة حصادها المجاني الاحمق ، واذ از رصاصها الاعمى قرب دمي اكتأبت · قلت لحصاني الخشبي المندفع : زمان طويل سيمر قبل أن يشرق فجرنا الارجواني الجميل ·

## ٢ ـ خبز بلون الشمس

الايدي التي امتدت كانت ترتعش · منذ الفجر الاول وهي ممدودة · الايدي التي تمتد لم تكن تستجدي خبزا · بين الاصابع كانت النقود تلوح امام باصرتي أبي حسن الفران المنتصب فوق منصة ·

امام الفرن احتشد البشر · كانوا يرتعدون خوفا وحقدا واشمئزازا ·

صوت : ابو حسن · رحماك · ·من جوعهم صار الاطفال يرسمون شكل الرغيف على التراب والحيطان ·

صوت : ابو حسن · انا بعرضك · والله · تحت الرصاص والقنابل من الخامسة صباحا · ستة اولاد ينتظرون ويتضورون ·

صوت جديد : ابو حسن · ابو بلوط · ابو ابليس · رد علينا يلعن ··· بين الحشد يضيع صوته · بعد لحظة يرتجل خطبة غريبة ، غامضة ، مفعمة بحنق : يا عمي ابن زانية من يتزوج ، **تشتهي رغبتك ثقبا فتفتحه** · بعد فتحه ينفتح لك الف ثقب يطلب خبزا · من اين تطعمهم ؟ يقولون لك رزق الغد يأتي مع الغد وابن آدم يأتي الى الدنيا ومعه رزقه · آ · رزقكم في السماء وما توعدون · هوذا وعد السماء يمطركم بآيات الرصاص · هذا رزقكم الدائم ·

صوت : طول بالك · الرزق من الله · واما بنعمة ربك فحدث ·

ـ وعندما يكون رزقك من ابي حسن ولا يرد عليك ؟ يا عمي العربي مغفل · حياته أكل ونوم ونسوان · أرنب يلد ويرمي في الازقة · رأس فارغ محشو بالخبز والجنس ولا حساب لايام الضيق ·.

كان يزحف ويزحم من آخر الحشد وهو ينادي بعد أن نفد صبره : يا عمي من يأخذ هؤلاء الاطفال ويريحني · لا السماء تنعم ولا العبد يرحم · ثم هذه الحرب الملعونة · آه · آه · الحمد لله الذي جاءتكم ايام الضيق اخيرا ·

صوت : ما لك يا عم ؟ جننت ! الصبر مفتاح الفرج · الوقت وقت حرب والناس كلها محروقة ·

كان الصوت يوجه كلامه لجاره الخطيب ، للرجل الغاضب اجتماعيا · انفجر الفيلسوف الغاضب : مصيبة · يا عمي لا دخل لنا بهذه المحنة · حرب انتخابات وزعامات وعرب وامريكان واسرائيل وطوائف · الشعب خارجها · من لم يمت بالرصاص منا سيموت بالجوع · لبنان صار اخيرا مخبر تجارب لجثث الفقراء · ليذهبوا الى اسرائيل ويقاتلوها · عربان امريكا عجزوا عن تحرير فلسطين · حولوها ضد لبنان والفدائيين · انظر · انظر · العسكري وحامل البندقية وابن العائلة يأخذون الخبز امام عيوننا ونحن نتفرج ، ومع ذلك تقول لي : طول بالك · الحمار والحجر من لا يثور في هذه الايام السود ·

بدا الآن في قمة غضبه وهو يخترق الحشد ويصيح : ·يا أبا حسن · يا أبا كلب · يا ابن الزانية · رد علينا ·نحن بشر أم حيوانات ؟ ابو حسن الفران صامت · اخذته الضوضاء والزحام · عيناه تبرقان وهو يرى النقود ترفرف ·

خلال ساعات استمر يوزع أكياس الخبز الورقية · وزعها على مراحل : الاولى للعساكر والشرطة ، والثانية لرجال الامن والمخابرات ، والثالثة لحاملي الكلاشنكوف بعد أن أطلقوا رشقة رصاص ارهابا وانذارا ·

الاصوات تعلو · الاصوات تمتزج محتدمة : الخبز · الخبز · الخبز ·

الايدي المرتعشة ما تزال ممدودة ·

همهمات تحتج على توزيع الخبز غير العادل ·

ابو حسن يخرق الصمت : لم يبق الا الكعك ·

اصوات : اعطنا كعكا ·

الشمس الآن في الضحى ·

فجأة انفجرت المدينة · القنبلة التي سقطت وسط الحشد ، اخمدت الاصوات،

بترت الايدي الممدودة · رسمتها اشكالا سريالية فوق الخبز والجدران التي تصدعت ·

كان الخبز الآن منثورا كأزهار القرنفل فوق الجثث ، بينما كان اطفال الآباء المقتولين يحلمون بخبز حار ، يرسمون اشكالا له بلون الشمس ·

## ٣ ـ غابة الفزع

الرجل الذي ينهب الشوارع جريا ، رجل غريب · وفي هذه المدينة الغرباء مكروهون أو مقتولون · الرجل الغريب المستتر بالليل وجدران الابنية ، قتيل مؤجل ·

كانت جراثيم الكراهية ، تنمو وتنتشر طيلة اشهر الرعب والحقد الاعمى ·

كانت تتغلغل في الشوارع والاحياء والنفوس ، ثم تنطلق لتسمم الريح ، تاركة بصمات الدم على بطاقة الهوية ·

صمت · سكينة المدينة هدوء مقبرة تدفن موتاها بلا طقوس · لقد تحولت المدينة الى غابة ·

بين الثانية والثانية ينبثق برق في جسد كان انسانا . فيتشظى · هوذا الموت اله المدينة الاعمى يطوف الليل باحثا عن احبائه · الرجل الغريب ، عابر الشوارع يتوجس البرق في الثانية القادمة ·

ان ليل المدينة المرتجف ، يعزف موسيقا جنائزية يرتجف القلب منها ·

ـ في غير مكانها وغير أوانها تندلع الحرب ٠ حربهم !

افكاره وهو يندفع هاربا نحو البيت السعيد ، كانت مفككة ٠ لقد شوشه الفزع والشعور بأن طلقة الموت المجاني جاثمة في منعطف ما ٠ في المنعطف القادم : أن يموت في غير معركته ٠

وفكر بأن أسعد المخلوقات الآن : الخفافيش والجرذان والصراصير ٠ وداهمته حالة تحول ٠ صار صرصارا ٠

كان يدب الآن على الجدران المظلمة ٠ ينعطف نحو الاخاديد والثقوب ، ثم لا يلبث ان يتشمم رائحة البالوعات : لا بد انها اكثر أمانا الآن ٠ ينحدر على حواف البواليع متحسسا بقرنيه مواقع الخطر والامن والمياه الملوثة ٠ بعد أن يعبر الجدران الملساء العارية ، يفكر بأنه ربما اخطأ طريق النجاة ٠

وهو يعبر حافة البالوعة ، يبهره ضوء فيهرب نحو ظل حصاة ٠ يسمع وقع اقدام قادمة فيندفع نحو جذع شجرة ٠ من عب الشجرة يثب هر نحو الارض مذعورا ٠ الصرصار الهارب يملؤه الجزع ٠

كان الرجل يهرول الآن ، فارا نحو خرابة مهجورة ٠ عندما يقترب منها تنفجر الارض بدوي هائل يغطيه بترابه المتناثر ٠

## ٤ ـ المسيح يتبرأ

صباح يوم الاحد نزل المسيح ليتفقد المدينة الهلعة ورعاياه ٠ كان قلقا طيلة اعتكافه في صومعته ٠ لقد جاءه الاطفال العراة الجياع والامهات الثكالى ، والمشردون ، والمشوهون الجرحى ، والذين ليست حربهم ٠ قالوا له : ان كنيستك قد تقوضت ٠

دهش يسوع واصابه حزن عميق ، فقرر مغادرة صومعته والنزول الى المدينة التي تحترق ٠

تجول المسيح في الاحياء والساحات والشوارع ، ورأى بعينيه البريئتين كيف تهدمت المدينة واحترقت ٠ بكى ابن الله حتى بلل الدمع وجنتيه الوديعتين ولحيته الجميلة ٠ قال كسيفا : ابي الذي في السماء كيف تحولت المحبة الى رصاص ؟

عندما عاد من المدينة نحو صومعته ، كان وقت منع التجول قد بدأ ٠ انطلق الرصاص ٠ سار المسيح هادئا باتجاه احد الجدران ليحتمي من النار ٠

من الطابق العاشر كان القناص الفاشي يسدد بندقيته ، عندما تطابق صليب التسديد الاسود مع رأس المسيح ، ضغط القناص على الزناد ٠

بالجدار ارتطم جسد يسوع الضعيف · زحف ، ثم تكوم على نفسه فرأى دمه يسيل · مد أصابعه فغمسها بدمه الحار وكتب على الحائط : انا لست مسيحيا · اغفر لي يا أبي الذي ····

طلقة القناص الفاشي الثانية ، أسقطت يد يسوع قبل أن يتمم جملته فهـــوى ميتا ·

## ٥ ـ الرأس المطلـــوب

القنبلة التي انفجرت في أحد شوارع المخيم ، صهرت الوحل بالدم · تبعتهـــا قنابل راحت تتساقط كقناديل ·

كان المخيم يصد الآن الهجوم المشترك ، مشرعا صدره العاري ورأسه في وجه احقاد الفاشيست ·

المخيم الصامد صمود ستالينغراد ، يرسم في هذه البرهة المضيئة من الوقت ، علامة النصر بالدم ، ثم يرسم بالوحل تاريخ العار ·

كانت الارض تهتز تحت عنف ووحشية الدوي ، بينما رؤوس الاطفال وأذرع النساء تتناثر كبذار في حقل يحرث ·

بعد هدأة من القصف ، تخترق الطائرات جدار الصوت في سماء بيـــروت الناصعة ·

شظايا القنابل التي أطلقها الفاشيون ، جمعها من بقي من أطفال المخيـــم ، قرؤوا عليها : صنعت في اسرائيل ·

بقوة الرعد ينطلق رصاص وزغاريد وراء نعوش شهـــداء كفنـــوا بعلـــم فلسطين ·

يسأل طفل امه التي تزغرد : لماذا بدل البكاء يطلقون النار في جنازة الشهداء يا أماه ؟

تقول الام : نسي الفلسطينيون البكاء · دمعهم تحول الى رصاص يا بني ! يدهش الطفل · يجتاحه انفعال كموج البحر · يرنو الى الجنازة ثم يرفع بصره الى السماء · بابهامه وسبابته يشكل مسدسا ، يســـدده نحـــو الطائـــرات التي تخترق الفضاء : دي · دي · دي · الفلسطينيون لا يبكون ·

**باريس ١٩٧٧**

# دفاتر فلسطينية "٢"

## الدفتر الثاني

وصلت الى غزة في صيف ١٩٥٣ ، والمناضلون الشيوعيون الذين حوكموا ، كان من المقرر ان يحكم على بعضهم بالسجن المؤبد ، لولا الضابط المصري الوطني ( ل٠و ) الذي اعتبر في حيثيات الحكم ان عصبة التحرر الوطني في قطاع غزة ، منظمة وطنية وانه يحكم على مسؤولها الاول بخمس سنين وعلى بعض اعضائها بأربع سنوات وسنتين وعلى البعض الاخر ببضعة اشهر ، لانهم لم يتقدموا بترخيص لطباعة وتوزيع النشرات ـ هؤلاء المناضلون الفلسطينيون كانوا جميعا خارج ارضهم في سجون مصر ٠ وعقوبة الفلسطيني الدائمة كانت وما تزال النفي خارج ارضه ، ان يخرج الفلسطيني من ترابه ٠

وغزة التي لوت ذات يوم قرني « شمشون » وأرغمت هذا الثور الامي الصهيوني الذي كان في عضلاته اول بذور الصهيونية ، ارغمت هذا ـ القوة الهمجية ـ الذي كان يربط قصاصات النيران في ذيول بنات آوى ويطلقها في زمن الحصاد ، لتحرق قمح اجدادنا الفلسطينيين القدامى ٠

غزة ارغمت هذا الشمشون على ان يفعل رغم ارادته شيئا مفيدا ، ان يجر طاحون المعصرة ، وان يكتب معادلة موته :

ـ الدم الصهيوني ضد الزيت الفلسطيني ٠

وعلى كعب من الكاوتشوك ظهر الكليشيه الاول لنشرة « الشرارة » ٠
وبدأ الحزب نشاطه ٠

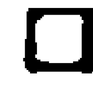
هم في دمي ابدا . فقد كانا كسنبلتي قمح في حقل من الجراد (س٠ب) و

( م·ن ) · فمن يدي هاتين السنبلتين ومن يدي تالفت في غزة اول خلية شيوعية، بعد ان تحولت عصبة التحرر الوطني في فلسطين الى ( الحزب الشيوعي الاردني ) ، بعد الحاق الضفة الغربية بالاردن ، وتحول اجمل واشجع الشيوعيين الفلسطينيين الى شيوعيين اردنيين :

ـ فؤاد نصار ، عبد العزيز العطي ، فائق وراد واخرون كثيرون ·

وهكذا كان علينا في قطاع غزة ، المحاصر بين الماء والاسلاك الشائكة ، ان نكون شيوعيين فلسطينيين في قطاع غزة ·

مسألة التحول من حزب شيوعي فلسطيني ( ع·ت·و ) ، الى ( ح·ش·ف· ) اتركها الان وانا في زنزانة في الطابق الثاني من السجن الحربي ـ الطابق الثاني والاخير ـ ·



انا الحائز على شهادة ليسانس الاداب من الجامعة الاميركية بالقاهرة قسم الاداب ، كان علي ان انتظر شهرين لكي اقبل مدرسا للغة الانجليزية في مدرسة « البريج » الاعدادية التي تشرف عليها وكالة التعليم للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة . ورغم هجرة الاصابع التي تكتب الى الخارج · بدأنا نكبر كشيوعيين ، وانضم الينا عامل كان يوزع مسحوق الحليب المجفف المخلوط بالماء على اطفال المدارس في مخيم « البريج » ، وبعده انضم الينا عامل كان يخلط الاعشاب بالتراب ويصنع القرميد الاحمر في مخيم ( النصيرات ) ، ورفض ان يلعب بالتراب ·

فلسطيني من غزة كان اسمه ( نمر هنيه ) ، كان يحب المطر ويكره الوحل ·

لم يكن يريد ان يخترع حجرا ، ولكنه كان يريد ان يقول لهم :

ـ ان الحجر المزور اكثر خطرا من ورقة البنكنوت المزورة ·

ولقد كافاته وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة بالطرد من عمله لانه رفض ان يزور التراب وان يحوله الى حجارة قرميد ·

بدأت اعلم ابناء الفلسطينيين اللاجئين في مخيم البريج اللغة الانجليزية · ولكنني كنت اعلمهم لغة اخرى ·

المؤامرة ضد الفلسطيني بعد ١٩٤٨ كانت تبدأ دائما بالمخيم ، كانت المخيمات حتى وهي خالية من السلاح ، تشكل خطرا دائما على اولئك الذين يريدون ان يشطبوا هذه الرقبة الفلسطينية ، تلك الاصابع ، وهذا الفم ·

ففي المخيم علق الفلاحون المطرودون من قرى الجنـوب ، والذيـن جردهـم « المراوي باشا » من اسلحتهم ، علقوا شراشرهم في سقوف الطيـن المـزورة وانتظروا طويلا ان يعودوا الى اشجارهم واخذوا يحتالون على انفسهم ، فزرعوا الاشجار في المخيم ، زرعوا الدالية ولكن عنقود العنب في قرية ( بربرة ) يختلف عن عنقود العنب في مخيم ( المغازي ) ٠ والمفـاتيح الخشـبية والحديدية التي حملوها معهم من بيوتهم القديمة ، طال الوقت عليها ، لقد تحولت الى مسامير في عظامهم ٠

وبداوا يتكلمون ٠ بدأ صوت الشرشرة ، وصوت المفتاح الخشبي ، وصـوت عنقود العنب المزور يرتفع ٠ لقد تم طرد شعب من ارضه ٠ صحيح ان القـرى والمدن تحولت الى مخيمات ، ولكن اللاجئين قد تجمعوا ٠ ولقد حاولت وكالـة الغوث ابادتهم بالماء ، ولكنهم في الشتاء عرفوا كيف يحولون اجسـادهم الى سفن صغيرة ٠

كانوا يعرفون دائما ان اعداءهم ضد الاصابع الفلسطينية ، الاصـابع التـي تضغط على الزناد او الاصابع التي تضغط على اصابع الطباشير ٠

وارسلوا اولادهم لكي يتعلموا في العراء ، وارتفع صوت اليد الفلسـطينية التي تعلم ٠ تحولت الصحارة الى لوح ، وبقطعة مـن الكلـس كان المدرسـون يكتبون على تلك الالواح التي صبغوها بايديهم ٠ وبدأوا يعلمون الاطفال ٠ وبدا الامل يدب ٠ فحينما كان الطفل الفلسـطيني في مخيم ( البريج ، النصيـرات ، المغازي ، الرمال ، جباليا ، رفح وخانيونس ، دير البلح وبيت حانون ) ، حينما كان الطفل يمسك بالقلم ويظهر صوته فوق الورقة ، كان الاب يحس ان لحمه قد بدأ يخضر وان يده ستحمل السلاح ذات يوم ٠ الابن يضغط على القلم والاب اصبح يحلم بالضغط على الزناد ٠

آخر الشهر كانت مكافأة المدرس : حزمة من البصل ولفة من السمك المقدد ٠ ورغم ذلك فقد واصل المدرسون في المخيمات الكتابة بالكلس ٠ ولم يتركوا اصابع الاطفال الفلسطينيين قصاصات من الاوراق في الهواء ٠

من قطعة الكلس ، ومن الواح الخشب الرديئة ومن الدفـاتر الرديئة ومـن الحليب المخلوط بالماء ظهر المدرسون الفلسطينيون الذين مضوا يعلمون بالقلم في شرق وغرب وشمال وجنوب الارض العربية ٠ لم يموتوا ولكنهم تحولوا الـى تلاميذ ٠ وعند العصر وحين كان يعود التلاميذ بكتبهم ودفاترهم ، كانوا يعلنون انتصارهم على الجراد الابيض الآتي في الصناديق الاميركية ٠

وكان على المؤامرة ان تاخذ وجها جديدا ، وبدات الصحف المصرية تكتب عن المخيمات ، عن مستشفى السل في البريج ، عن هذه العصافير الفلسطينية التي

تشبه رقابها الخيوط · لقد بدأ التحضير لتنفيذ المؤامـرة · وهنا بـدأ عصـر الغارات الاسرائيلية على المخيمات ، في الوقت الذي اكتشف فيه قباطنة وكالة غوث اللاجئين جزيرة وسط رمال سيناء تصلح لتوطين واسكان اللاجئين فـي قطاع غزة ·

وهكذا بدأت اول غارة اسرائيلية على مخيم البريج · كان لا بد من تفكيـك المخيمات وترحيلها الى سيناء · وهكذا حينما توقف بنا الباص في ذلك الصباح امام بوابة مدرسة البريج الاعدادية للاجئين كانت الغارة الاسرائيلية قـد تـم تنفيذها : ٣٦ قتيلا وعشرات الجرحى والبيوت التي تم نسفها · ومن بوابة مدرسة البريج الاعدادية خرجت التظاهرة الاولى · طردنا الشرطة من مركـز بوليس البريج واندفعنا الى مخيم النصيـرات . وجردنا جنـود المبـاحث مـن اسلحتهم ، كانوا يكتبون التقارير بأقلامهم ضد المخيمات في حماية بنادقهم ·

وحينما رأت الفلاحات في مخيم النصيرات البنـادق في ايدينا ، انطلقـت الزغاريد ·

الفلاحة الخرساء ، جعلتها البندقية تنطق حينما رأتها في يد ولدهـا · فـي اليوم الثاني ظهر جاويش المباحث « العكاوي » وقد ربط وجهه ، اصابه حجـر احد الاطفال فوق انفه تماما ، هذا الانف الذي كان يكره دائما رائحة اللحـم الفلسطيني · ظهر في مخيم النصيرات وكنا في سجن غزة المركزي · كانت المرة الاولى التي ادخل فيها السجن · وهكـذا جمعتني الزنزانة مع طلابي بعـد ان جمعتني بهم حجرة الدراسة ولمدة شهرين في مدرسة البريج الاعدادية ·

ـ التهب دمهم فتظاهروا ·

هكذا كان يقول بعض المعتدلين ·

ـ معركتنا ليست من اجل المخيمات ولكن من اجل القرآن ·

ـ كانوا ضد القرآن وضد « فتحي البلعاوي » ايضا ·

ـ اطلقوا سراحهم ولكن ابعدوهم عن المدارس ·

وهكذا وجدت نفسي مطرودا من مدرسة البريج · ولكن الحزب كان قد اخذ يمشي في المخيمات ·

الشيخ « عز الدين » كان اخا مسلما ولكن من طينة اخرى ، فقد جمع طـلاب الفصل الابتدائي وقادهم من شط النصيرات الى شط غزة وهو يخاطبهم :

ـ انها رحلة في سبيل الله واخيكم « معين بسيسو » ·

واعتقلوا الشيخ « عز الدين » وتركوا التلاميذ ، لم يتعلموا في ذلك الوقـت

كيف يعتقلون الطفل الفلسطيني في السابعة او الثامنة من عمره ٠

غير ان الاطفال الفلسطينيين الذين علمهم الشيخ عز الدين كيف يقطعون المسافة بين شط النصيرات وشط غزة ، اطفال تظاهرة البريج ، اصبحوا فيما بعد يقطعون نهر الاردن والبنادق في ايديهم ٠

وهكذا بعد تظاهرة البريج وجدت نفسي كاتبا في ورشة سيارات الوكالة في غزة ـ الاميون ـ خلعوني من بين التلاميذ وزرعوني بين العمال ٠ وهكذا بدأت علاقتي بطيور البجع ٠

في عربة « لوري » ، كنت امضي في الخامسة والنصف صباحا الى الورشة ، مع العمال الميكانيكيين ، وكان علينا ان نسبق موعد انطلاق الباصات ، لحمل المدرسين والمدرسات الى مدارس الوكالة ٠

كنت الف الفطور في ورقة جريدة وامضي لانتظار اللوري على رأس الشارع المواجه لبيتنا في منطقةالرمال بغزة ٠ وكمن يخبيء ديكا في صدره ، علمني العمال الميكانيكيون كيف اصحو تماما عند الخامسة ٠

على كومة من الرمال ، كنا نجلس ، نفتح اوراق الجرائد ونتناول طعام الفطور ، وهكذا اصبح يجمعنا معا رغيف واحد ٠

كان الميكانيكيون يحاولون ان يخففوا عني الى اقصى حد وطأة عذاب العمل في الورشة ، ولكنني افهمتهم انني سعيد بوجودي معهم ٠

بعضهم كان لا يفهم ، كيف اقبل بوظيفة كاتب في ورشة ، وانا خريج الجامعة الاميركية والطريق مفتوحة امامي الى خارج القطاع ٠

في ذلك الوقت كان « سعد حمزة » حاكم غزة العسكري ، ومدير المباحث العامة ايضا ، يذهب الى المخيمات الوسطى ـ البريج ـ النصيرات ـ المغازي ـ ويصرخ في اللاجئين :

ـ الافضل ان تذهبوا الى سيناء في اللوريات بدل ان تذهبوا اليها مشيا على اقدامكم ٠؟

وقلت للعمال ، ان ذهابي الى الخارج كذهاب اللاجئين الى سيناء ٠

واخذ العمال يصغون الي اكثر ٠ احدهم كان ميكانيكيا بارعا ، ولكنه لا يعرف الا اللغة العربية ٠ فطلبت منه ان اعلمه اللغة الانجليزية ، فوافق بفرح ٠ وانضم اليه عاملان ، وهكذا تحولت الورشة الى حجرة دراسة ٠

اعطيت لاحدهم نشرة « الشرارة » كنا لا نزال نطبع الكليشيه بواسطة كعب الكاوتشوك ، ولا نزال نكتب بقلم الكوبية ، وكنا ما زلنا نستخدم الكربون ، في

اليوم التالي ارجع لي « النشرة » ـ كنا دائما نسترجعها ـ حتى لا تتسرب نسخة الى البوليس ٠

مد يده بها وقال :

ـ هل الى هذه الدرجة تحبون العمال ، وانا اقراها أحسست بالخوف ، فكيف الذي يكتبها ويوزعها ٠٠؟

اجل ايها الرفيق ، لقد اصبح نصف لحمنا من الورق ، من اجل ان تقرأ ما نكتب ٠ وكان الورق عزيزا وصعبا ٠ فالمكتبات كلها تحت الرقابة البوليسية ، وكان المطلوب من كل صاحب مكتبة ، ان يبلغ البوليس عن اية لفة من الورق يبيعها ٠

وحل الرفاق المدرسون المشكلة ، فصرنا نستورد الورق والحبر والكربون واقلام الكوبية ، من مخازن مدارس الوكالة ٠

اربعة اشهر في الورشة ، كان يناضل فيها ـ خليل عويضة ـ المشرف على التعليم في مدارس اللاجئين . هذا الصافي والصلب كحجر الماس ، من اجل اعادتي ثانية الى الطلاب ٠ ونجح اخيرا ، صدر القرار بنقلي من الورشة الى مدرسة « جباليا الاعدادية » ٠

كانت نشرة « الشرارة » قد طارت في ذلك الوقت الى مصر ، وقدمت تظاهرة البريج ، اوراق اعتمادها الى الشيوعيين الفلسطينيين والشيوعيين العرب ، وقرروا مساندتنا ٠

وجاء ( خ ٠ ش ) من القاهرة ، وكان يحمل اجمل هدية ، يمكن ان يحملها شيوعي الى شيوعيين في مثل ظروفنا ، وكانت الهدية ، آلة رونيو بدائية ٠ ومع ذلك فقد كانت شجرة الحزب ، التي تم بها طبع منشور الحزب التاريخي والذي تنبأ فيه بمذبحة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ٠

واتخذنا قرار عقد اول مؤتمر للحزب ، فعصبة التحرر الوطني ، اصبح اسمها ، الحزب الشيوعي الاردني بعد الحاق الضفة الغربية بالاردن ٠ واعضاء العصبة في الارض التي احتلتها اسرائيل اصبحوا في حزب ( راكاح ) ، ولم يبق غير الشيوعيين الفلسطينيين في قطاع غزة ٠

واعددنا اللائحة الداخلية للحزب ، والبرنامج المرحلي ، والذي كان على رأسه اسقاط مشروع سيناء ، والذي كان وقد وقعه وزير الخارجية المصري : محمود فوزي ، وبالحروف الاولى ، مقابل حفنة من الدولارات ٠

وانعقد المؤتمر الاول في اواخر عام ١٩٥٣ ، في بيارة ( خ ٠ ش ) ٠ كنا

خمسة مندوبين ، وتمت الموافقة على اللائحة الداخلية ، وعلى البرنامج السياسي المرحلي ، وشكل المندوبون الخمسة ، لجنتهم المركزية الاولى ، وانتخبت سكرتيرا عاما لها ، وهكذا تم التحول التاريخي من (ع·ت·و ) الى ( الحزب الشيوعي ) في قطاع غزة · وتم الانتقال من ورق الكربون الى ورقة « الستانسل »

ودارت آلة الرونيو · وقدمت الطاحون التي كنا نلقي فيها ورق الستانسل والحبر ، الرغيف الجديد للحزب وانضم رفيقان جديدان للحزب ، انهيا مدة الحكم عليهما : الرفيق « فايز الوحيدي » ، هذا المناضل العزيز ، الذي حينما توقف به القطار عند محطة رفح الفلسطينية ـ بعد الافراج عنه ـ نزل من العربة يستند الى ذراع سجانه ، وسقط فوق الارض ، وراح يمسح وجهه بالتراب وهو يصيح :

ـ آه ايها التراب الفلسطيني ·

اما الرفيق الآخر فكان « عبد الرحمن عوض الله » ، لقد عاد من السجن ، دخله طالبا صغيرا ، فعاد يحمل شهادة التوجيهية ، درس في السجن ونجح ، كان ابن مخيم النصيرات ، واجمل من شهادة التوجيهية التي عاد يحملها ، كان صوته الشيوعي · وفور الافراج عنه ، جاء الى الحزب ، وقدم يده وصوته ودمه ، هذه شهادة · اجل ، فالقبطان فوق السفينة هو الذي يقوم بمراسم الزواج ، والسفينة تمضي الآن في البحر ·



الحصار اخذ يشتد من اجل تمرير مشروع سيناء ، وكالة الغوث من جهة ، ومعها بعض المخاتير في بعض المخيمات ، والذين اختاروا ان يقدموا عيون الاطفال الفلسطينيين في المخيمات ، بيضات مسلوقة للمخابرات المصرية وغيرها، والحزب الشيوعي واصدقاؤه الوطنيون ، ومنهم ـ عبد الله ابو سته كان المسؤول عن اللاجئين الفلسطينيين ، اعطوه مكتبا من الخشب في مواجهة مركز البوليس ، لكي يظل في حالة تهديد دائم · كان علينا ان نذهب الى المخيمات ، والى الفلاحين الذين تحولوا الى « متسللين » وكانوا من فلاحي غزة · كان الواحد منهم ، حينما يرى الزرع ينمو في ارضه ، وراء الاسلاك الشائكة ، كان يمضي ويقص بأصابع يده الاسلاك ، ويمضي لزرعه ·

حينما تتوقف الطاحون ، فهذه ليست ابدا دليلا على خيانة القمح ·

صهيوني دبر حالك نفدوا الثوار ·

معهم فوزي القاوقجي ، البطل المغوار ·

اشرعة السفينة تطرد هذا الصوت :

ـ ما اكثر ابناء وبنات آوى ، في تاريخ الشعب الفلسطيني ٠

عبد القادر الحسيني ، يعود من دمشق ، في اصعب الايام عام ٤٨ ، كل ما اعطوه له كان رصاصا فاسدا كعيونهم تماما ، رصاصا فاسدا كعيونهم ، وقنابل فاسدة كقلوبهم ، كان معه : ـ فخري مرقه ـ جر كيس الذخيرة الفسدة والى جانبه كان فخري مرقه ، وراح عبد القادر الحسيني يصيح :

ـ لا بد ان يموت شيء معروف للناس ، لكي يعرف الشعب وجه ويد المؤامرة ٠

كان يردد تماما ما كان يقوله لنا فؤاد نصار ، كان ينظر الى عامل مصري مسحوق من العريش :

ـ انهم سيدخلون « بجيوشهم » من اجل ان نتحول الى لاجئين ، تماما مثل هذا العامل من العريش ٠

الفلاح من غزة ، يقص باصابع يديه الاسلاك الشائكة ، ويذهب لزرعه ، يعود بحزمة سنابل ويسقط مثقوبا بالرصاص ، وفي صباح اليوم التالي يعلنون : عن قتل متسلل ٠

لم يكن كل شيء هادئا في الميدان الغربي في غزه ٠

اول لقاء بالفلاحين من غزة ، كان في بيارة : الشيخ علي دلول ٠ كان مصابا بصداع دائم ، ولكنه كان يريد ان يكون شيئا جديدا ٠ وعرفني من خلال تظاهرة البريج ، فاراد ان يلتقي بي ٠ والتقيت به ، كنت مع رفيق ، كان اباه وجده لامه وابيه من الفلاحين في غزة : (أ ٠ ع ٠ م ) ٠ كان الشيخ علي دلول قد احضر شاعرا بربابته الى ديوانه في البيارة ٠ حينما يشتد العذاب يذهبون الى الشعراء ، تماما كما نمشي الى الله حينما نركب الطائرة ٠

وبدأ الكلام عن مشروع سيناء ، وبالنسبة الى الفلاحين ، فالارض التي تحت اقدامهم ، الارض التي يروونها ، الارض التي يشقونها بالمحاريث ، ويلقون فيها بالبذور ، الارض التي يترعرع فيها الزرع ، الارض الموجودة برائحتها ، هي الارض المقنعة ، كانوا فلاحين من غزة ، ولكنهم كانوا ضد ان يذهب اي فلاح ـ خارج قدميه ـ ٠

ـ انه الموت بالنسبة للفلاح ، ان يمشي خارج قدميه ، وخارج يديه ٠

والفلاح دائما كالديك ، يصيح بحوصلة مملوءة بالقمح ، ويصيح بحوصلة فارغة ، وما اكثر ما علموه الصياح وحوصلته فارغة ٠

الفلاحون كانوا ، مع كتابة مذكرة ضد مشروع سيناء ، كانوا مع المذكرة التي

كتبتها ، وكانت موجهة الى الحاكم الاداري العام في قطاع غزة ٠

ورفع « الشاعر » ربابته وصاح :

ـ هذا لا يجوز ، لا يمكن مخاطبة اصحاب الامر بهذه اللغة ٠

كان يرهب الفلاحين بربابته ، بصوته ، بحركات يديه ، وفوق كل هذا فقد كان يرهبهم « بالزير سالم » ٠ عندها صرخت :

ـ لو كان الزير سالم معنا ، لوقع هذه المذكرة ، ضد مشروع سيناء ٠

وسقطت الربابة من يد الشاعر ، كان يريد ان يظل يعيش بصوته على امجاد الزير سالم ٠ من يدري ، ربما كان الزير سالم ضد مشروع سيناء ٠ ووقع الفلاحون على المذكرة ، بعضهم « بصم » ، وبعضهم اخرج « الختم » ، والقليل وقع ٠

وعدت في منتصف الليل ، تحت المطر ، وانا احمل بصمات واختام وتوقيعات الفلاحين ، فوق اول مذكرة ترفع لمسؤول مصري ، وهو الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، ضد مشروع سيناء ٠

بعد ايام ، رأى الفلاحون توقيعاتهم ، رأوا اسماءهم واختامهم ، وفرحوا رغم تهديد المباحث والمخابرات لهم ، بشطب اسمائهم من المذكرة ٠

وبدأت عملية جمع الاسماء ضد مشروع سيناء ، واذا كان المخيم هو الرئة ، فالمدرسون في المخيم هم الهواء ٠ وبدأ تجميع الهواء ضد مشروع سيناء ٠ بدأ التحضير لجمع المدرسين والمدرسات في مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين في نقابة واحدة ٠

الهواء والرئة ، وكان علينا ان نتنفس وبشكل علني ٠ ورحنا نحضر لاول نقابة للمدرسين والمدرسات في قطاع غزة ٠

فتحي البلعاوي ، كان قد وصل الى قطاع غزة ، كان الاخوان المسلمون يراهنون عليه كحصان ذي جناحين يطير ولا يمشي ، ولكن ـ فتحي البلعاوي ـ حينما كان عليه ان يقرر ان يقف فوق الارض او فوق الهواء ، اختار الارض ٠ وهكذا اصبح فتحي البلعاوي في القلب ٠

مثل اخي ـ ابن امي وابي ـ كنت احبه ـ ولا زال ـ وكنت امسك بيده واذهب اليـنا واقول لامي :

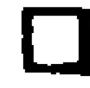
ـ يجب ان يتزوج فتحي البلعاوي ٠

كان الحزب قد اتخذ قراره ان يخوض انتخابات نقابة المعلمين ، وبصوته

الخاص ، بيده الخاصة ، وعلى ارضه ، رغم اننا كنا نعلم جميعا ، ان الانتخابات ستاتي باغلبية « فتحي البلعاوي » · ونجحت في انتخابات النقابة ، المدرسون من الاخوان المسلمين اعطوني صوتهم ، لانهم كانوا يريدون صوتا ما يرتفع باسمهم ، فلقد اختاروا ـ فتحي البلعاوي ـ صوتا لهم ، لان المطلوب في ذلك الوقت ، لم يكن الوقوف ضد معاوية بن ابي سفيان ـ في التاريخ ـ ولكن ضد مدير المباحث ـ في الجغرافيا ـ في قطاع غزة ·

واخترنا مقر النقابة ، في مواجهة ادارة الحاكم لقطاع غزة · كان البيت الذي اخترناه منخفضا ، فقررنا ، صنع سارية طويلة ، نعلق فيها العلم الفلسطيني ·

التنظيمات الاخرى ، لم تكن ، قد خرجت من البيضة بعد · كانت لا تزال في « دور التفريخ » · بعدها ، خرجت تلك الصيصان من البيض عام ١٩٥٩ ، لتشعل النار في مدارسنا ، ولكي تطالب بهتاف ضد « عبد الكريم قاسم » وضد الشيوعية ··· ؟



وانعقد المؤتمر الثاني للحزب ، اصبحنا ثلاثة عشر مندوبا في المؤتمر ، وخلايا الحزب اصبحت في كل المخيمات ·

والمؤتمر الثاني انعقد ، في بيارة ايضا ، في بيارة الرفيق « فايز الوحيدي » · وللمرة الثانية ، انتخبت ، سكرتيرا للجنة المركزية · وفي ذلك الوقت ايضا ، اصبحت ناظرا لمدرسة جباليا الاعدادية ·

وطني لن نهاب
الصعاب والعذاب

هكذا كان التلاميذ يقفون فوق منصة الاسمنت في ساحة مدرسة جباليا وينشدون ، اول نشيد كتبته لهم · « خليل لبد » ، كان يقود تلك الجوقة ، اين هو الآن ··· ؟

وكان يوم افتتاح نقابة المعلمين لمدارس اللاجئين يوما مشهودا في تاريخ غزة ·

ارسمي من دمي ومن اصفادي
يا ايادي خريطة لبلادي ···

كان رجال المباحث والمخابرات يحيطون بالدم وبالخريطة ، وفي ايديهم الاصفاد حول مبنى سينما السامر في غزة ، حيث اقمنا يوم الافتتاح ·

الضحايا قد عانقتها الضحايا
والايادي تشابكت بالايادي

فنهـــوضا الـــى النضـــال نهـــوضا
لا يعيـــش البركـــان تحـــت الرمـــاد ...

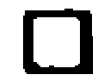
بعدها خرج المدرسون والمدرسات في تظاهرة من بوابات سينما السامر في غزة ، وحينما رأى جنود المباحث والمخابرات الدم فـوق الاصـابع ، سـقطت الكلبشات من ايديهم ، وهربوا .

كان عصرا فلسطينيا كبيرا .

لم ترض المباحث ولا المخابرات ، على نتيجة الانتخابات لنقابة المعلميـن ، ورغم ان اومباشي المباحث « موسى ابو قنيبه » كان هو المشرف على صناديق الانتخاب ، وكان يتولى عملية الفرز .

اطلق لحيته بعد ذلك ، ربما احتجاجا على انتخابي ، او انسجاما مع طلـب العضوية للاخوان المسلمين .

غير ان الناس في القطاع ، كرهوا هذا الاومباشي اكثر ، وبالذات بعـد ان اطلق لحيته . فالفلاحون يحبون لحية الارض ، يحبون ان تطلق الارض لحيتها او شواربها ، ولكنهم لا يحبون لحية جندي المباحث . لا يحبونه ، لا عريان . ولا مكسوا بالشعر . فالمباحث كانوا دائما قمل الفلاحين .



كنت احمل « نشرة الشرارة » ، الى الشيخ ـ محمد خلوصي بسيسو ـ ليرحمه الله كثيرا ، فقد علمني الكثير . فعمي احمد القاني في البحر ، وهـو القاني في الحبر .

ـ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

كان يصيح شيخي ، كلما قدمت له نشرة الشرارة ليقراها ، كان قاضي غزة الشرعي ، فكيف يقرأ ما يكتبه الشيوعيون .

يرفض الشرارة علنا ، ولكنه حينما ياوي لغرفته ، كان يخرجها من تحـت وسادته ، يقراها اكثر من مرة ويهمس في وجه صديقه : جعفر فلفل :

ـ هؤلاء الشيوعيون ، انهم يعرفون كيف يكتبون .

كأنه اراد ان يكافئني ، ويقول لي :

ـ استمر .

اهداني كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم · كان مخطوطا نادرا ، وصادرته المباحث ، لانه كان كتابا مكتوبا بخط اليد ، ولا بد ان يكون منشورا ٠٠؟

الكتب المطبوعة ، كانت هي الكتب الشرعية بالنسبة لهم ·

كان شيخي يريد ان يقول لي :

ـ اقرأ ابن حزم ، وسوف تفرح كثيرا ، لا توجد ابدا قضية بدون عشق ، ولا ثورة بدون فرح ·

لو عاش لقال لنا اكثر ، وبكيت كما لم ابك فوق رأسه ·

كنت امشي اليه دائما ، وكان يقول :

ـ اجمل من السباحة في البحر ، السباحة في رذاذ المطر · تذكر هذا دائما ·

كان يقول لي هذا وهو يهزني بيديه من كتفي :

ـ لن تخترع حرفا جديدا بعد حرف ( الالف ) ، فحرف ( الباء ) موجود ، ولكن حاول ان تتصور شيئا ما ، لا بين الالف والباء ، ولكن بعد الحروف كلها ، حاول ان تتصور وحذار ان تكتب ٠٠ ؟ بعد اللغة يوجد الشاعر صورة ، وهو قبلها يكون اسما ٠٠

وحينما توجد الة الرونيو ، يكون المنشور وهو قبلها كان ·

بواسطة صديقة للحزب ، تمكنا من الحصول على تقرير مشروع سيناء ، الذي كتبه خبراء الوكالة ، وكان تقريرا وقحا ومشؤوما ، ورغم اعتراف المهندسين في الوكالة ـ عن استحالة الحياة في تلك القطعة من جهنم ـ في سيناء ـ لقلة المياه والتكاليف الباهظة لاستصلاح الرمال ، ورغم ما كتبه الاطباء عن الامراض التي ستداهم اللاجئين ، والتي ستهدد حياتهم ، وبالذات حياة الاطفال ، حيث لا تستطيع لا عيونهم ولا رئاتهم تحمل ذلك الهواء المثقل بالغبار ، الا ان التقرير حمل موافقة الخبراء على المضي في تنفيذ المشروع ، ولكنهم اقترحوا ان تتم التجربة على عشرين الف لاجيء ، يدرس الخبراء بعدها على الطبيعة ، ارسال الدفعات الاخرى من اللاجئين ٠٠٠؟

وصدر قرار الحزب ، بطبع التقرير وتوزيعه على كل الشخصيات الوطنية في القطاع ، وفي الوقت نفسه ان يقوم المدرسون الشيوعيون واصدقاؤهم الوطنيون ، بتحويل حصة التاريخ ، الى حصة فضح لتقرير مشروع سيناء ·

قرر الحزب النزول الى المخيمات بمنشور جماهيري ، وكان هو المنشور الجماهيري الاول للحزب ، وبعد غياب اكثر من خمس سنوات ·

وكلفت من ( ل٠م ) بكتابة المنشور فوافقت ( ل٠م ) عليه ، وسلمته للرفيق ( ٠٦ف ) مسؤول الجهاز الفني ـ عضو اللجنة المركزية ـ لطباعته ، وكنا قد حددنا يوم توزيع المنشور وكان ذلك في منتصف فبراير ١٩٥٥ ، الساعة السابعة مساء ، وكان على راس القرار ان يقوم اعضاء ( ل٠م ) ، بتوزيع المنشور مع كافة الرفاق ، واستثنينا فقط الرفيق فايز الوحيدي ، لعجزه عن الحركة ٠

في اليوم التالي جاءني الرفيق مسؤول الجهاز الفني ، واعلمني ان آلة الرونيو لا تعمل ، وقررت النزول بنفسي لفحص الجهاز ، ورغم معارضته الشديدة ، وانه لا يتحمل مسؤولية ظهوري في حارة « الفواخير » حيث كان يقيم ٠

في حارة الفواخير ، وتحت حوض من الاسمنت ، فوقه حنفية ، كانت آلة الرونيو ممددة ، كفلاح ينتظر يوم القيامة ، لكي يعود يحرث الارض ٠

تركني ( ٠٦ف ) وحدي في الحجرة الوحيدة في البيت وخرج وهو لا يزال يردد :

ـ لم يصدر قرار من ( ل٠م ) بأن تقوم بطباعة المنشور وانت السكرتير العام للجنة المركزية ٠

ولكن المؤامرة كانت قد اصدرت قرارها وبدات العمل ، وجربت الآلة ، وخرج اول منشور من بطن ورقة الستانسل ، خرج وهو ينطق ٠

المنشور يتبعه المنشور ، والآلة تعمل ، والليل يتقدم ، وكلما كان النعاس ياتي الي من رائحة الحبر ، كنت احس بالهواء المثقل بالغبار القادم من سيناء يقتحم النافذة ، فاتذكر انه سيكون مسامير الرمل في رئات اطفالنا ٠

بعد منتصف الليل ، انتهيت من طباعة المنشور ، عشر ساعات وانا وراء ذلك الصندوق من الخشب ٠ الحجرة كلها كانت مغطاة بالمنشورات ، لكي تجف ٠ وبين هذه المنشورات رقدت ، لاصحو عند الفجر ٠ في سلتين كبيرتين ، وضعت المنشورات ، واكتشفت ان بصمات اصابعي كانت على عدد كبير من المنشورات ولكن ما الذي يمكن عمله ، والصباح يتقدم ولم يطل ترددي ، ملأت السلتين وكان غطاء كل سلة من ورق التين ، من ورق تلك الشجرة صديقة الاطفال ذات الطفولة النادرة ، التي تخبىء يد الحزب الآن ٠

وخرجت بالسلتين من حارة الفواخير ، ولم يتصور احد من الذين رأوني اعبر الحارة ان في هاتين السلتين تلك المناشير التي ستلعب بعد اسبوعين دورا تاريخيا في حياة قطاع غزة ، وان يوما قريبا سيجيء يعلن فيه « جمال عبد الناصر » ان يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، كان يوم كسر احتكار السلاح ٠ وتم توزيع المنشور في الوقت المحدد تماما ، من بيت حانون الى رفح الفلسطينية ٠ رفيق

وضع المنشور في صندوق بريد الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، ورفيق آخر رماه فوق حائط مدير المباحث فسقط في ساحة البيت ، ورفيق ثالث ألصقه فوق حائط امام مركز الباصات الرئيسي في غزة ·

بعد توزيع المنشور ، وفي الطريق الى بيتنا ، اعترضني احد تلاميذي القدماء في مدرسة البريج ، لقد ترك المدرسة ليعمل شيئا ما ، فأعطاه والده كل ما يملك ، ثلاثة او اربعة جنيهات مصرية ، فاشترى صندوقا خشبيا وبعض برطمانـــات الدهان وفرشاتين ، كانت الدموع تطفـح من عينيه ، نكبة ما حلـت بأسـرته لا اذكرها الآن ، ولكنني اذكر انه كان في حاجة الى ثلاثة جنيهات او يكون مرغما على بيع صندوقه الخشبي · كيف اقول له انني وانا ناظـر مدرسـة البريــج الاعدادية لم اكن املك الجنيهات الثلاث ، وما زلنا في منتصف الشهر ··· ؟

وبشكل تلقائي خلعت حذائي وقدمته له ، وكان حذاء جديدا ، ارسله لي اخي من الكويت ، وكان اول مرة امشي به ، هو هذه الليلة احتفالا بتوزيع المنشور ·

ـ خذه بعه ، انه يساوي جنيهين او ثلاثة ، هذا كل ما املك · واخذه الصبي ومضى ··· وعدت الى البيت بجوربين مرصعين بالوحل ·

بعد اطلاق سراحي في تموز ١٩٥٧ ، جاء والد الصبي للتهنئة ومعه ديكان ·

ـ يا الله ، الحذاء يتحول الى ديكين ··· ؟

في الصباح ، عقد شرطة المباحث والمخابرات اجتماعا مشتركا ، وقد اشعل المنشور النار في عيونهم وايديهم · لم يتصوروا ابدا ان وثيقة خبراء الوكالة حول مشروع سيناء ستصل الى يد الحزب ، وانه سيترجمها ويطبعها ويوزعها في منشور ·

وقاموا بحملة تفتيش مسعورة ، ولم يكتفوا بقلب كل شيء في الحجرة ، بـل قاموا في بعض البيوت ، بحفر الارض ، وفي احد البيوت خلعوا البلاط بحثـا عن آلة الرونيو ·

ولكن آلة الرونيو كانت تحت حوض من الاسـمنت مملـوء بالمـاء ··· والحنفية فوق الحوض كانت ترشح قطرة قطرة ··· تسقط فوق حوض الاسمنت كأنها هي الاخرى كانت تطبع فوق الاسمنت منشور الماء ·

في ليلة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حدثت الغارة الاسرائيلية على محطة السكة الحديد في غزة ، لقد بدأ تنفيذ المؤامرة ، وكان صباح اول مارس صباح مئات الالوف من رفح حتى بيت حانون والتي انطلقت ايديها تصيح :

« لا توطين ولا اسكان

يا عملاء الاميركان » ·

انهم يجلسون على الارصفة ، ويتوهمون أنهم يعرفون كل الذي يجري فـــي الكابيتول · ولكن الجماهير في غزة التي كانت تمشي فوق الارصفـــة ، كانت تعرف الذي حدث في محطة السكة الحديد في غزة · عشرات الجنود المصريين والسودانيين تم ذبحهم بالسناكي وآخرون قتلوا تحت الانقاض · واللاجئـــون الذين تظاهروا في مخيم البريج ضد الغارة الاسرائيلية التي كان ضحيتهـــا عشرات الفلسطينيين ، يتظاهرون الآن ضد الغارة الاسرائيلية على محطة السكة الحديـــد في غــزة ·

كأن الاسرائيليين أرادوا ان يقولوا :

ـ ليس هناك من يحميكم من مشروع سيناء ·

وأخطأت الساقية الاسرائيلية الحساب فلم يمش اليهـا ، الحليب المغشوش بالماء في حواصل أطفال اللاجئين ·

من مدرسة فلسطين الثانوية الرسمية في غزة ، ومن لجان الطلاب الوطنية انطلقت التظاهرة الاولى · تجاوزت مركز البوليس العام في الرمال وانضـــم اليها بعض الاهالي وهي في طريقها الى شارع عمر المختار · وحينما نظر اليها كل من سعد حمزة مدير المباحث والحاكم الاداري العام لغزة ، ومصطفى حافظ مدير المخابرات العامة ، ابتسم كل واحد منهمـا للآخر وعـاد الى مكتبه وهــو يقـــول :

– انهم مجرد طلاب يتظاهرون لانهم يرفضون الاجابة على أسئلة الامتحان الصعبة ·

غير أن طلاب مدرسة فلسطين والذين كانوا الشرارة الاولى للتظاهرة ، لم يهربوا من أسئلة الامتحان · وناهض الريس أحد قادة التظاهرة الطلابية كان يصيح وهو يردد الشعار الذي أطلقه الحزب :

– كتبوا مشروع سيناء بالحبر ·

وسنمحو مشروع سيناء بالدم ·

كنت مع مجموعة من الرفاق المدرسين والطلاب قرب مستشفى ( تل السكن ) أو المستشفى الانجليزي الذي أطلقوا عليه فيما بعد مستشفى تل الزهور ·

عشرات الجنود المصريين يخرجون من عربات الاسعاف فوق النقالات · أحد الرفاق بادر وحملني على كتفيه ، والتف طلاب مدرسة فلسطين الثانوية حول الذي ارتفع فوق الكتفين · سائقو السيارات الخاصة والباصات في ساحة التاكسيات انضموا للتظاهرة · بعض الدكاكين أغلقت أبوابها وانضمت بزبائنها ·

من الذي يقول أن الجماهير لا تحب الموسيقى ، حتى وهي تتظاهر وتواجه بنادق البوليس ؟؟ ويرتفع الصوت :

– « لا توطين ولا اسكان يا عملاء الاميريكان · »

في هذا الوقت أبلغ مسؤول اللجنة الطلابية في مدرسة فلسطين الثانوية ، مسؤول اللجنة الطلابية في كلية غزة بقرار التظاهرات المفتوحة الذي اعلنه الحزب ، ونفذ طلاب كلية غزة قرار الحزب وانضموا الى التظاهرة ·

الرفيق ( ح·أ·ش ) كان قد عاد من سجن مصر منذ ثلاثة ايام وانضم الى التظاهرة · وهكذا أخذ النهر يكبر ، فكلما مشت التظاهرة مترا ، كانت عشرات الامتار تنضم اليها · وجاءني صوت فتحي البلعادي كان رفيقي ( حسني بلال ) الى جانبي ، وورائي كان أخي (س·ب) (م·آ·ر) (ج·ف) (خ·ل) (ع·س) ( س·ب ) ( م·ن ) (أ·ح ) ( ع·ع )·

املأ كأسي برذاذ البرق وأشربه نخب تلك الاسماء ·

وتقدمت التظاهرة · رأسها عند سينما السامر ، كتفاها في شارع عُمر المختار ، صدرها قرب كلية غزة وقدماها في حي الشجاعة ·

حينما ينضم فلاح الى تظاهرة طالب فهو يعطيه المطر ، وحينما ينضم عامل الى تظاهرة الطالب والفلاح فهو يعطيهما : البرق ·

للمرة الثانية خيل للمباحث والمخابرات في قطاع غزة ، أنها تظاهرة عابرة· فورة دم ، بعض الاحجار تلقى في البركة ، ثم يعود الماء يأخذ شكل الاناء الذي يوضع فيه ·

ولكنهم بدأوا يخافون حينما لم يأخذ الفلسطينيون في تظاهرة غزة شكل الاناء الذي وضعوا فيه ، منذ أن جاء المواوي باشا ، في منتصف ليل ١٥ أيار ١٩٤٨ . برتبة لواء على رأس الجيش المصري ليعلن فور ( استيلائه ) على غزة؟

ـ حل التنظيمات السياسية في القطاع ، حل عصبة التحرر الوطني الفلسطيني بالاسم ـ تسليم الاسلحة · بعد غزة بثلاثة أيام أعلنت الصحافة المصرية في ذلك الوقت :

ـ خبر تحرير مدينة المجدل ، تحت ضوء القمر ··؟!

مشت التظاهرة حتى بلغت منتصف بيارة الترزي ، على بعد خمسين مترا من سينما السامر · عندها جاء لوري عسكري · وظهرت البنادق في أيدي المباحث والمخابرات ، البنادق التي لم تظهر ، حينما اغار الاسرائيليون على مخيم البريج عام ١٩٥٣ ، ولا حينما اغاروا على محطة سكة الحديد في غزة عام ١٩٥٥ · لقد ظهرت الآن لتعترض طريق تظاهرة من الطلاب والمدرسين والفلاحين والعمال ·

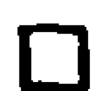
بعض جنود المباحث والمخابرات كمن وراء اللوري العسكري · البعض الآخر كمن تحت أشجار البرتقال في بيارة الترزي ·

الجماهير التي تحب البنادق في أيديها ، تكره السلاح حينما يكون في أيدي شرطة المباحث والمخابرات · ودائما كان الفرق بين البنادق في أيدي الجماهير والبنادق في أيدي البوليس ، هو الفرق بين حبة الرمان وبين الجرادة ·

الفلاحون الفلسطينيون ، شأنهم شأن أي فلاحين في الارض لا يشترون بوليصة تأمين من البعوض ، ولا شهادة حسن سلوك من الجراد ·

حينما رأى الطلاب والمدرسون البنادق والمسدسات في أيدي البوليس ارتفع الصوت :

ـ أين كنتم يا جبناء ؟؟؟



كان على التظاهرة ان تتقدم او تكسر كبيضة فوق خوذة فولاذية · أصبحنا

على بعد عشرين مترا من اللوري العسكري الذي يقف في منتصف الشـــارع ويغلق طريق التظاهرة ٠

عشرة امتار بين اللوري العسكري والتظاهرة ، خمسة أمتار ٠ عندها صدر الامر ٠ وانطلق الرصاص دفعة واحدة من وراء اللوري ومن تحت أشجـــار البرتقال ٠ البنادق التي كانت مريضة تماما ودمها ملوث عام ١٩٤٨ ضـــــد الاسرائيليين ، أصبحت في عنفوان شبابها ضد الفلسطينيين عام ١٩٥٥ ٠

يغرس أصابع كفيه في البلوفر الرمادي . يشقه نصفين ويتقدم عريان الصدر٠ وتتقدم التظاهرة وراءه ٠ حينما رأى الطلاب والمدرسون ذلك الذي يتقدم عريان الصدر ، فاتحا ذراعيه للمسدسات والبنادق ، اندلعت النيران في أيديهم ٠

أصبح بين التظاهرة والبنادق خمسة امتار ٠ ولكن العصافير في بيـــارة البرتقال قد تحولت الى حجارة في تلك اللحظة ، والهواء تحول الى حصى ٠

وانطلق رصاص ٠ الهواء مثقل بالبارود ومشحوذ كالسكين ٠

أخي (أ٠ب ) كان الى جانبي مع حسني بلال ٠ لا أزال أتذكر جسده النحيل الذي يشبه النخلة ، لا أزال اتذكره واتذكر جسده ، كالزورق الذي يخرج لتـوه مـــن المـــاء ٠

ـ لم يبـق لديهـم رصاص ٠

ولكن جندي البوليس (أ٠أ ) أطلق كل رصاص بندقيته في تلك اللحظة ٠

وفي هذه اللحظة تماما كانت هناك يد تدفعني ، كانت يد حسني بلال ٠ يـد الحزب ٠ دفعتني تلك اليد لكي تنقذني وأنهض ثانية ٠ أما حسني بلال عامـــل النسيج في المجدل واللاجيء الى غزة ، والمقيم في حارة الفواخير فلن ينهض أبدا ٠ لقد اعطاني حياته ٠

كان كل رصاص جندي البوليس (أ٠أ ) في رأسه وصدره وفخذيه ٠ لقـــد رأيت النخاع الابيض يخرج من عظمه ٠ لماذا لا يقولون في مؤتمرات الكتابـــة الفلسطينية أن الكتاب الفلسطينيين يكتبون بالحبر الابيض ٠

احترق اللوري العسكري وهرب الشرطة وتقدمت التظاهرة حتى بلغت مركز بوليس الرمال ٠ عند بوابة المركز المواجهة تماما لمقر نقابة مدرسي ومدرســات وكالة غوث اللاجئين ، اجتمع كل الشرطة السريين والعلنيين :

ـ عضوان من مجلس بلدية غزة . قاضي غزة الشرعي ، مختـار الرمال ، عضو المجلس الاسلامي ، ناظر هذه المدرسة الرسمية أو تلك ، مدير المباحث ، مدير المخابرات ٠

ويصرخ مدير المباحث ـ الحاكم ألاداري العام لغزة ـ سعد حمزة :

ـ عودوا الى مدارسكم ٠

ويرتفع صوت التظاهرة :

ـ لا توطين ولا اسكان

يا عملاء الامريكان ٠

أري أصابعي وأرى فوقها دم حسني بلال ويرتفع الصوت :

ـ سال الـــدم

عـــاش الـــدم

قاضي غزة الشرعي ( م٠ن٠أ٠ش ) وبتكليف من سعد حمزة مدير المباحـــث يرفـــع صوتـــه :

ـ الى الجامع الى الجامـــع ؟؟

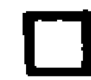
ولكن بيت الله لن يكون بيت سيناء ٠

ويرتفع صوت الذي شق قميصه :

ـ الى الشجاعية الى الشجاعية الى الفلاحين ٠

بالنسبة للمتظاهرين كان عنق اصغر طفل فلسطيني اطول من كل مئذنة ٠ ولم يستطيعوا ابدا ان يخدعوا لا المتظاهرين ولا فتحي البلعاوي ٠ فحينما طلبوا من فتحي البلعاوي ان يختار بين عنق الطفل الفلسطيني وبين المئذنة ، اختـار هذا المناضل الفاسطيني ـ الغفاري ـ اختار عنق الطفل الفلسطيني ، واخـــذ مكانه الجليل في تظاهرة مارس ١٩٥٥ ، دفاعا عن رموش تلك العنق التي من خلالها يمكن ان نرى الله الذي هو الارض والذي تجيء بعد ذلك ثورة لتعلن :

ـ انه الوطـن ٠



مات حسني بلال٠ في بيت اخته وراء سينما السامر في غزة ٠ كان ممددا فوق النعش ٠ كان لا يزال هو ، ذلك الشيوعي الذي راح يوزع منشور الحـــزب في منتصف شباط ١٩٥٥ في حارة الفواخير ٠

حسني بلال عامل النسيج من المجدل حيث قد تم احتلال كل شجرة تـوت ،

يجيء الى غزة وفي يده خيط من حرير كأنه قبل ان يموت برصاصة من يـد جندي بوليس فلسطيني يريد ان يقول :

ـ تذكروا دائما ان دودة القز التي تصنع الحرير هي شيوعية ٠

في صباح اليوم التالي كان علينا ان ندفن شجرة توت ، ان ندفن جسـدا اصبح حله شبابيك ٠

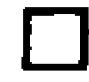
فوق راسه كنت اصرخ :

ـ يا فم حسني بـلال

الـــدم سال وقـال

والدم في صباح اليوم الثاني من تظاهرة مارس ١٩٥٥ رفع بين يديه كتفي حسني بلال ٠ اول شهيد فلسطيني ، أول شهيد شيوعي يسقط ضد مؤامـرة التوطين والاسكـان ٠

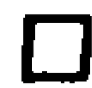
وحينما أصبح رأس حسني بلال مرفوعا فوق ايدي رفاقه وهم يمشون به الى المقبرة اطلقت شجرة توت إحدى وعشرين طلقة من خيوط الحرير ، ومشـت التظاهرة الى بستان الاحجار ٠



فوق سطح مستشفى تل السكن حيث كان يتمدد في حجراته عشرات الجنود الجرحى اخذ شرطة المباحث والمخابرات يطلقون الرصاص على التظاهـرة ٠ وبدأ الرصاص يسقط فوق النعش ٠ كانوا يريدون ان يسقطوا النعش ويسقطوا التظاهرة ٠

عشرات الايدي راحت تمسك بالنعش وتجاوزت التظاهرة مستشفى تل السكن حتى بلغت المقبرة ٠

ان سفينة فلسطينية جديدة تنزل الى التراب ، وهكذا نزل حسني بلال ، نزلت شجرة التوت المثقلة بفاكهة الحرير ٠



في ساحة التاكسيات قرب السكة الحديد انتخب المتظاهرون من الساحـة لجنتهم الوطنية العليا لقيادة التظاهرة ٠ كـان المتظاهرون يرفعون ايـديهم ويرشحون اسماء مندوبيهم للجنة ، وكانت الموافقة على اسم المندوب تتـم بواسطة رفع الايدي ٠

من فوق عربة لوري مكشوفة وقفت اللجنة الوطنية العليا للتظاهرة وقررت عقد اجتماعها الاول في مقر نقابة المعلمين الذي اتخذتـه اللجنة العليا مقـرا لهـا طيلة أيام الانتفاضة ٠

في كل مخيم بدأت الجماهير تؤلف لجانها الوطنية ، وكان كل مخيم قد أرسل مجموعات من ابنائه لحراسة مقر نقابة المعلمين ٠ عبد الرحمن عوض اللـــه يأتي بالمتظاهرين من مخيم النصيرات ٠

امتلأت شوارع غزة من الشجاعية حتى الرمال باللاجئين من كافة المخيمات٠ كانوا فوق كل الارصفة ، تحت كل شجرة ، في ساحات المدارس ، تحت أعمدة الكهرباء ، وحول مقر النقابة المواجه لمركز البوليس ٠ كانت الالوف تضـرب جنزيرا وتسهر طول الليل ٠ لم تكن اللجنة الوطنية العليا تملك مسدسا ، وكانت الجماهير تعرف هذا جيدا فعرفت كيف تقوم بالحراسة ٠

اللواء عبد الله رفعت الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، هرب الى العريش ٠ أحد الحرس الوطنيين يدخل ويعلن :

ـ ان سعد حمزة حاكم غزة الاداري ومدير المباحث يريد أن يقابل أعضـاء اللجنة الوطنية العليا ٠

فلينتظر :

وانتظر سعد حمزة ساعة كاملة حتى سمح له بالدخول وبعد ان اتخـــذت اللجنة العليا قرارها السياسي ٠ كان سعد حمزة يريد ان نغادر مقر النقابة وفي الصباح نذهب لمدارسنا وينتهي كل شيء ؟؟

ـ ولماذا قتلتم حسني بلال ؟

ـ انكم مخطئون تماما فحينما تجعلون الموت شيئا فلسطينيا عاديا ، تصبح الحياة صعبة تماما بالنسبة لكم ٠ ورحت املي عليه مع فتحي البلعاوي قرارات اللجنة الوطنية العليـا :

ـ ان تعلن كافة اجهزة الاعلام الرسمية الغاء مشروع سيناء ٠

ـ تدريب وتسليح المخيمات الفلسطينية حتى تتمكن من الدفاع عن نفسهـــا في مواجهة الغارات الاسرائيلية ٠

ـ محاكمة المسؤول عن قتل الرفيق حسني بلال والمسئولين عن اطـــلاق الرصاص على المتظاهرين من فوق سطوح مستشفى تل السكن ٠

ـ اطلاق الحريات العامة وعلى راسها حرية النشر والاجتماع والاضراب ٠

ـ عدم المساس بحرية الذين تظاهروا في اليوم الاول والثاني والثالث من ١٩٥٥ ، هؤلاء الذين يجسدون قلب وروح الشعب والوطن ٠

وحمل سعد حمزة قرارات اللجنة الوطنية العليا ومضى ٠



منع التجول كان قد فرض على قطاع غزة كله من رفح الفلسطينية حتى بيت حانون ، ولكن الجماهير كانت قد ملأت الشوارع وفرضت حظر التجول على شرطة المباحث والمخابرات ، وفي كل غزة لم تكن تتجول غير عربة جيب واحدة اهداها احد الاصدقاء للجنة الوطنية العليا ، وكنا نتجول في عربة الجيب التي يرفرف فوق مقدمتها قميص حسني بلال المصبوغ بالدم ، والذي أصبح علم الانتفاضة ٠

ـ سعد حمزة مدير المباحث جعلوه ينتظر ساعة ونصف قبل ان يسمحوا له بالدخول ؟ ـ لقد هرب اللواء عبد الله رفعت الحاكم الاداري العام لقطاع غزة الى العريش ؟ ـ هكذا كان اللاجئون يتكلمون :

مصطفى حافظ قائد المخابرات الحربية لقطاع غزة يصرخ في وجه احد معاونيه :

ـ قلت لي انهم عشرون شيوعيا ، هل تستطيع ان تحصيهم الآن ؟

وكنا اكثر من عشرين شيوعيا ، ولكن النجمة الواحدة بملايين عيدان الكبريت المشتعلة ٠

وجاء سعد حمزة للمرة الثانية الى مقر النقابة ليبلغنا انه مفوض من قبل الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ـ اللواء عبد الله رفعت ـ لمناقشتنا في صيغة البيان الذي ستصدره ادارة الحاكم العام ، ومناقشة قرارات اللجنة الوطنية العليا ٠

في مكتب سعد حمزة ، كان قد اقترح واصر على الاجتماع وصرخ لكي يؤكد ما يقول :

ـ انها مهابة الحكومة ٠

وقررت مع فتحي البلعاوي الذهاب الى مكتب سعد حمزة ومعنا بعض اعضاء اللجنة الوطنية العليا ولمدة ساعة واحدة ، من الساعة الحادية عشرة ظهرا حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا وان يعلن هذا للمتظاهرين لكي يكونوا على استعداد لاقتحام مركز البوليس اذا لم نخرج في الوقت المحدد ٠

وبالفعل ذهبنا الى مكتب سعد حمزة ، وكانت الجماهير تحيط بمركز البوليس من كافة الجوانب ·

وبدا سعد حمزة يتكلم عن هيبة الحكومة ، وعن الحرائق التي اشتعلت في بعض السيارات والمباني ـ احرقها عملاء المباحث ما عدا اللوري العسكري ـ وشارع عمر المختار الذي كان شارع التظاهرات ، لم يرتفع في وجهه عـــود كبريت واحد ·

في الساعة الثانية عشرة تماما بدأ هدير المتظاهرين وبدأ صدى الصـــوت يضرب الاسمنت ويشقه ليصل الينا ونحن في مكتب حاكم غزة الاداري ـ مدير المباحـث ـ ·

ـ مـا هـــذا ؟

ـ انهم المتظاهرون ·

ونخرج من مكتبه الى بوابة مركز البوليس لكي يحملنا المتظاهرون فـــوق الاكتاف حتى مقر النقابة ·

عند العصر يأتي سعد حمزة ومعه مسودة البيان الذي سيعلن على اهالـي قطاع غـــزة ·

وكانت المسودة تتضمن :

ـ أصبح مشروع سيناء غير ذي موضوع ·

ـ موضوع تسليح المخيمات وفرض قانون التجنيد الاجباري لحمل السلاح بالنسبة لكافة المواطنين سينفذ في وقت قريب ·

ـ يقسم الحاكم الاداري العام لقطاع غزة بشرفه العسكري ان لا يحجز او يعتقل كل من تظاهر سلميا وبالذات بالنسبة الى اعضاء اللجنة الوطنية العليا·

ـ أن تعمل ادارة الحاكم الاداري العام على ضمان حريات سكان القطاع·

في اليوم الثالث من التظاهرات في قطاع محاصر من الاسلاك الشائكـــة للاحتلال الاسرائيلي ومن البحر ·

في اليوم الثالث حيث توقف كل شيء ، وكان الاضراب عاما ، لا مدرسة ولا فرن ، ومن العريش بدأت تتدفق قوات عسكرية لتعزيز مواقع الشرطة والمخابرات في غزة · امتنعت القوة السودانية في قطاع غزة منذ اللحظة الاولى عن اطلاق الرصاص على المتظاهرين ·

خليل عويضة المشرف العام على مدارس اللاجئين تحول قلبه الى صـــوت يقول لنا :

ـ اقبلوا فقط ببيان مكتوب تعلنه ادارة الحاكم الاداري العام بمكبرات صوت، لم يعد امامكم وقت طويل · فحشود عسكرية من العريش قد وصلت الـــى مشارف غزة ·

( المستقلون الوطنيون ؟ ) « والمثقفون جدا ؟ » يريدون ان يقبلوا بأي شيء لكي يغسلوا ايديهم نهائيا من عرق أصوات الجماهير ·

واتخذنا قرارنا مع البيان المكتوب ، ووافق سعد حمزة على ان يقوم بطبـع البيان واعلانه بالوسائل الرسمية على ان تقوم اللجنة الوطنية العليا بتوزيـع البيان واعلانه بوسائلها الخاصة ·

كان الشيء الوحيد الذي يتحرك بالنسبة للجنة الوطنية العليا ، هو عربـــة الجيب وفي مقدمتها يرفرف قميص حسني بلال المصبوغ بدمه ·

في الصباح تم تبليغ بيان ادارة الحاكم الاداري العام لقطاع غزة للجماهير· أحد السائقين قدم لنا سيارته فانطلقت بها مع الرفيق (س·ب ) ـ سلام عليه ـ الى مخيم جباليـا ·

فوق حائط وقفت وأعلنت باسم اللجنة الوطنية العليا ، سقوط مشروع سيناء·

ـ سال الـــدم ·

عـاش الـــدم ·

هكذا كان صوت مخيم جباليا · كانت كل رؤوس اللاجئين في المخيم تريـد ان تدخل دفعة واحدة في شباك السيارة وتصيح ؟

ـ لقد انتصرنا ، وسقط مشروع سيناء ·

بعد سبع سنوات من طحن الملح بالكوع ، ومن أكل هواء الاذاعات العربيـة بأصابع اليدين ، بعد سبع سنوات من لف رأس الوطن بورق الجرائد التـــي تكذب ستين دقيقة في الثانية ، يحس الذين لم يكتبوا ولم يقرأوا طول حياتهـم من سكان المخيمات انهم هم الذين كتبوا وقرأوا بيان سقوط مشروع سيناء ·

الحاكم الاداري العام لقطاع غزة عاد من العريش يسبقه بيان الغاء مشروع سيناء ، وصوت القسم بالشرف العسكري الا يعتقل احدا من المتظاهرين الذيـن قادوا التظاهـــرة ؟

وبدأت محطات المباحث والمخابرات ، تملأ حناجر عملائها ومخبريها بالبنزين،

لكي يبدأوا سيرهم في المخيمات ، التي طردوا منها طيلة ايام الانتفاضة ، حيث فرضت اللجنة الوطنية العليا ، قرار حظر التجول بالنسبة لهم ·

وهكذا في اليوم الخامس من الانتفاضة من مارس ١٩٥٥ ، بدأ المخبـــرون يظهرون في غزة وفي المخيمات · في غزة بعض الناس حينما رأوا شرطـــة المباحث والمخابرات : رسموا اشارة الصليب على صدورهم ، والبعض الاخـر راح يتمتـــم :

ـ أعوذ بالله ···

كان يوم ظهورهم ، يوم نحس من ايام مارس ، وبالذات في الوقت الذي كانت تعلن فيه اذاعة اسرائيل وفي كل نشراتها باللغة العربية ، ان البوليس يجـــد الآن في قطاع غزة ، في مطاردة واعتقال ، قيادة التظاهرات ···؟

وبالفعل ، فلقد بدأ مكتب المباحث في غزة ، يتبادل قوائم « المشبوهين » مع مكتب المخابرات بالاضافة الى قوائم جديدة ·

وبدأت التقارير ترد الى الحزب ، عن حملة اعتقال سريعـــة قادمة ، وان القائمة في دور الترتيب النهائي ·

حينما سألتني أمي عن صحة تلك الانباء عن حملة الاعتقال المقبلة ، رغـــم القسم بالشرف العسكري الذي قدمه الحاكم الاداري العام لقطاع غزة : ( اللواء عبد الله رفعـت ) ·

ابتسمت ، ففهمت كل شيء ·

وحينما سألتني عن الاجراءات التي سوف نتخذها لحماية انفسنا قلت لها :

ـ انهم يريدون منا ان نهرب الى الخليل عبر الارض المحتلة ، لقد اعدوا لنا الكمائن على الحدود ، وهم في انتظارنا ، ولكننا لن نسقط في المصيدة ، لكي نتقدم للمحكمة العسكرية كمتسللين ، يريدون الاتصال بالعدو ···

واصدر الحزب قراره بالتحذير من ( كمائن الحدود ) « ومن عملاء المباحث والمخابرات الذين تحولوا الى متطوعين ، لتهريب الشيوعيين عبر الحدود الى الخليل » ·

أبي حينما كانت المناقشة تشتعل بينه وبين امي كان يصيح :

ـ انه لواء في الجيش ، وأقسم بشرفه العسكري ··؟

ولكن امي كانت تعرف جيدا هذا الشرف العسكري ·

□

محجوب عمر

# أيلول في جنوب الاردن

مرت بنا الشهر الماضي الذكرى السابعة لاحداث شهر ايلول ـ سبتمبر ١٩٧٠ ٠

ومنذ عام ١٩٧٠ حتى الآن ، تناول الكثيرون هذه الاحداث سردا وشرحا وتحليلا وتعليقا وتذكيرا ٠ ورغم ذلك فان هذه الاحداث لم تؤرخ بعد ، بل لم يكشف عن الكثير من اسرارها حتى الآن ٠

والصفحات التالية تتناول ساحة من ساحات « ايلول » لم يتعرض لها أحد من قبل ، باستثناء تعليق قصير نشرته جريدة « فتح » بعد مرور عام على احداث ايلول بعنوان « ايلول بدأ في الثامن عشر من حزيران » تناول فيه الكاتب المظاهرات المعادية للثورة الفلسطينية والتي دبرتها الشعبة الخاصة الاردنية في مدينة معان في جنوب الاردن في ١٨ـ٦ـ١٩٧٠ ٠

ما عدا ذلك فان ما يشاع عن احداث ايلول في جنوب الاردن هو في مجمله شائعات غير صحيحة وحوادث مبالغ فيها ٠ كأن يقال مثلا ان البدو قد ذبحوا الفدائيين باسلحة الفدائيين ، أو ان بعض المسؤولين من فتح قد قتلوا ضربا بالعصي او شنقوا على الاشجار ، او ان البدو غدروا بالفدائيين وانهم موالون للملك الذي استخدمهم في الذبح والتقتيل ، الى آخر هذه القصص التي تروى بلا تفاصيل لينتقل الراوي بعدها الى استخلاص نتائج غريبة كأن « لا أمان للبدو » أو « ان البدو جميعا موالين للملك » أو « ماذا فعلت فتح عندما سلحت

البدو في الجنوب فها هم قد غدروا بها بأسلحتها ·· » الخ ··

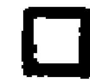
والحقيقة ان كل ما يشاع حتى الآن لا يستند الا الى تعليقات اذاعية او صحافية تحريضية أذيعت وكتبت من مسافة مئات الكيلومترات عن الاحداث نفسها دون تحقيق او تدقيق وانما انسياقا وراء شائعات تناقل بعضها ، وساهم في صنع بعضها الآخر ، البدو انفسهم بما طبعوا عليه من مبالغة وشاعرية في الرواية ·

الحقائق التي سأحاول تذكرها وتأكيدها سجلتها مرتين قبل هذه المرة · المرة الاولى ضمن تقرير مفصل بالاسماء قدم لقيادة الثورة في عمان يوم ١٥ـ٩ـ٧٧ عقب وصولنا من الجنوب مباشرة · وقد فقد هذا التقرير ولا يعرف مصيره ، والمرة الثانية في محاولة لاكمال الحقائق التي جمعها ورتبها وحللها الكتاب القيم الذي صدر عن مركز الابحاث بعنوان « المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني » ( ١٩٧١ ) ، ولا أدري مصير بضع صفحات كتبتها على عجل تتضمن بعض ما فات الكتاب من حقائق ، وهذه هي المرة الثالثة ·

ولهذه المرة عيوب وميزات · من عيوبها ان الزمن يمحو الذاكرة ولا يمحو الحقائق ، ومن ميزاتها ان الزمن يخفف التعصب لتنجلي الحقائق ·

ولعل ما يهون مسؤولية الكتابة في ما سأكتب انني لن اتعرض لما هو مختلف عليه ، ولا لكل ما حدث في أيلول وقبله وانما لرقعة محدودة في الزمان وفي المكان وفي الاشخاص ولتجربة لم تكن سائدة وقتذاك وان كانت مختبرا لما تبلور بعدئذ ·

كما ان ما أرويه ليس رواية ولا تقريرا وانما مساهمة في اكمال صورة اصبحت في التاريخ وللتاريخ · ولعل المساهمة تفيد ·



**في الطريق الى ايلول :**

مرت أزمة شباط ـ فبراير ١٩٧٠ بين الثورة الفلسطينية والسلطة الاردنية دون ان يشعر بها جنوب الاردن تقريبا · ففيما عدا الانتقال الهادىء لبعض وحدات العاصفة الى الشمال نحو العاصمة واتخاذ بعض المجموعات مواقع لها عند المفارق الهامة لطرق الجنوب دون ان تظهر على هذه الطرق او تعترض احدا ، فيما عدا ذلك فقد مضت الحياة في الجنوب دون أي تغيير او تأثر برغم ما كان سائقو « السرفيس » يحملون من اخبار عما يجري في العاصمة ·

لا يمكن القطع بأن الناس لم تكن تتبادل فيما بينها أخبار أحـــداث شبـاط ـ فبراير ١٩٧٠ ، فمعظم قرى وعشائر الجنوب لها أبناء في الجيش الاردني ، وكلها بلا شك تتابع الاخبار لتطمئن على أبنائها · ولكن من المؤكد انه لم يتبدر من اي من سكان الجنوب أي بادرة عداء او امتعاض من الوجود الفدائي في جنوب الاردن ·

لهذا الموقف أسبابه بالطبع ، فليس معنى عدم تحرك سكان وعشائر الجنوب لتأييد الملك بالبرقيات والمظاهرات والوفود كما هي العادة ، انهم كانوا قد تخلوا عنه أو بدلوا مواقفهم منه ، بل يمكن تفسير هذا الموقف لعدد من الاسباب اهمها :

١ ـ الاستقلالية النسبية ( مادية ومعنوية ) عن السلطة الاردنية التي تمتعت بها جماهير جنوب شرق الاردن سواء من البادية او الحضر ، حتى ذلك الوقـت على الاقل · فالغالبية تدين بالولاء للعشيرة ولا تتعامل مع السلطات الا مـــن خلال شيخ العشيرة · وغالبية السكان بدو رحل وحتى المدن يحكمها قانـــون العشائر ·

٢ ـ قلة عدد السكان وتوزعهم ، وقلة عدد الفدائيين ( نسبيا ايضا ) وتوزعهم والاوامر والاجراءات الضارمة التي طبقتها قيادة القطاع الجنوبي لقـــوات العاصفة وأهمها عدم اقامة أي قواعد داخل اي قرية ، مهما كان المبرر ، وعدم تجول المقاتلين ، مهما كان السبب ، في المدن والقرى تحاشيـــا لاي خطـــأ او احتكاك [ اي خطأ فردي كان سيتحول الى خصومة عشائرية فورا ] ، ادى ذلك الى انعدام اي احتكاك عدائي من أي نوع مع السكان طوال السنوات الثلاثـــة التي قضاها الفدائيون في جنوب الاردن ·

٣ ـ باستثناء مدينة الكرك ، لم يكن للتنظيمات الفدائية الفلسطينية غيـــر قوات العاصفة وجيش التحرير الفلسطيني ( قوات عين جالوت ) أي وجود ممـــا ساعد كثيرا على عدم اعطاء اي فرصة لانصار الملك لاستغلال التناقضــــات والصراعات بين المنظمات او التصرفات غير المسؤولة · وحتى في مدينة الكـرك كان لسيطرة قوات العاصفة المتفوقة عددا وعدة ومكانة اثر كبير في ضبط اي خروج على التقاليد او أي استفزاز سياسي وتصحيح آثاره فورا ·

٤ ـ اشتراك بعض زعماء الجنوب في الحكم وقيادة الجيش [ بهجت التلهوني واللواء مشهور حديثه ] واتخاذهم مواقف معتدلة خلال الازمة ، كان له اثـره الكبير عند سكان الجنوب خلال هذه الازمة وما تلاها ·

٥ـ نجاح الفدائيين في اكتساب اعجاب الاهالي بدورياتهم الاسطورية فـــي وادي عربة ، مقبرة القوافل وارتداد اثر الغارات الجوية الاسرائيلية على عكس

ما كان العدو يهدف اليه اذ استنفرت نخوة وشهامة العشائر والقرى لنجدة اخوانهم المجاهدين من أجل فلسطين · وأخيرا اثر النشاط المكثف ـ برغم صعوبة الواقع الجغرافي والبشري ـ لشرح أهداف الثورة ولكسب ثقة الاهالي ولخدمتهم [ «١٤» عيادة شعبية منتظمة ، ووحدة سينمائية متنقلة ، ووحدة اسعاف متنقلة ، ونشاط تنظيمي دعائي في المدن والقرى ] واقامة علاقات وثيقة مع بعض شيوخ العشائر حسب التقاليد السارية ·

هذه هي أهم الاسباب التي يمكن ان نفسر بها ذلك الموقف « المحايد » ـ ان جاز التعبير ـ خلال أزمة شباط ـ فبراير ١٩٧٠ ·

وكما لاحظ الفدائيون هذا الموقف بالتقدير ، لاحظته السلطات الاردنية بالقلق · ويبدو أن قرارا قد اتخذ لمعالجة هذا الوضع اذ بدأت المعلومات ترد عن زيارات مشبوهة يقوم بها مسؤولون كبار للعشائر والقرى،ليعرضوا عليهم خلالها التسلح والانتظام في ما سمي « المقاومة الشعبية » ، وبالطبع كان الاهالي يتسلحون · ولم يكن مطلوبا منهم اي موقف من الوجود الفدائي في ذلك الوقت ، فلم لا يتسلحون ؟·· « البارودة احسن منهم » · وأبرز هذه الزيارات كانت ولا شك زيارة الامير حسن ولي العهد لمدن الجنوب ·

ففي صيف ١٩٧٠ وصل الامير حسن الى الطفيلة حيث اجتمع بشيوخها ورئيس بلديتها الشيخ عبد الله العوران · وتم الاجتماع في مبنى موتور الماء والكهرباء على بعد اقل من خمسين مترا من بيت صغير كان بمثابة عيادة شعبية فدائية ومقر للقيادة العسكرية لوحدة عين جالوت · خلال الاجتماع حاول الامير حسن استفزاز مشاعر الشيوخ عندما قال « كنا فاكرينكم اهل شهامة ، تاركين بناتكم لايدي الاغراب » ، وكان يقصد الاطباء · عندئذ أجابه أحد الشيوخ : « ان هؤلاء اشرف ناس » · وعندما تطور النقاش طلب الامير حسن من الشيوخ ان يعملوا على اخراج الفدائيين من المنطقة فاجابه رئيس البلدية : « عندما تخرجونهم من عمان نخرجهم نحن من هنا » فغادر الامير حسن الاجتماع غاضبا ·

ومع ذلك فقد كانت الاخبار تصل عن نشاطات الشيخ فيصل الحجازي شيخ الحويطات الذي لعب دورا كبيرا في التعبئة ضد العمل الفدائي في اجتماع العشائر الذي تم في اوائل ايار ـ مايو ١٩٧٠ في بلدة سحاب بالقرب من عمان · والشيخ فيصل الجازي هو اكبر شيوخ العشائر في الاردن نفوذا واكثرهم طموحا وخال اللواء مشهور حديثة رئيس الاركان في الجيش الاردني · وقد بنت السلطات الاردنية له ولعشيرته قرية حديثة البناء هي « الحسينية » التي تقع على الطريق الدولي بين عمان والعقبة بين مثلث جرف الدراويش ومثلث عنيزة ·

تقررت مضاعفة الجهود وتكثيفها في سبيل توثيق العلاقات مع العشائر وسكان القرى والمدن · ثم تغيير عدد من مواقع القواعد الفدائية الى مواقع اكثر ملاءمة حيث كانت القاعدة الفدائية تشكل قاعدة للخدمات الطبية والعلاقات السياسية والعشائرية وتستقطب الشباب من بين السكان ، « وتخلق حالة من النشاط الاجتماعي حولها » · وفيما بين ازمة شباط ـ فبراير ١٩٧٠ وأحداث ايلول تضاعف عدد العاملين في مجال الخدمات الطبية لقوات العاصفة وتضاعف ثلاث مرات عدد العيادات الشعبية المنتظمة ، كما اتخذت عدة قرارات خاصة بالتنشيط التنظيمي في القرى ·

ثم وقعت أحداث ٩ـ٦ المعروفة باسم ازمة حزيران ـ يونيو ١٩٧٠ · وكالازمة السابقة مرت هذه الازمة أيضا دون أي تحرك في الجنوب · ومضى أسبوعان قبل ان تصل برقيات التأييد المعتادة الى الاذاعات والقصر ، بعد ان تم الاتفاق بين المقاومة والقصر · وحين توجه وفد من عشائر الجنوب الى القصر الملكي للاعراب عن تأييده للملك ـ وهو اجراء بروتوكولي مألوف ـ رفض الملك مقابلة الوفد ، وبعد انتظار دام اكثر من ساعة قابلهم الامير حسن الذي قال لهم صراحة : « لقد تأخرتم » ·

بالطبع لم يظهر زعماء العشائر اي تأييد لنا ، ونحن لم نطلب ذلك مراعاة للظروف · وقال واحد من شيوخ العشائر :« المشكلة انكم تصطدمون بالملك ونحن نقع في المأزق · اذا أيدناه يكون ذلك موقفا ضدكم واذا سكتنا يغضب هو ، وفي الحالتين أنتم ستتفقون معه ونحن نواجه غضبه » ·

ولكن السلطات الاردنية كانت قد عزمت أمرها · فقدت آلامل في أن تؤدي عفوية الاحتكاكات الى اشتباكات بين أهل الجنوب وبين الفدائيين فقررت افتعال تظاهرة معادية للفدائيين في بلدة معان ، فكانت هذه التظاهرة أخطر انذار لما حدث في أيلول · في ١٨ـ٦ـ١٩٧٠ وفي معان ، مدينة الحدود الاردنية ، استطاعت السلطة الاردنية تسيير مظاهرة من الجنود المجازين (!!) معها عدد من عملاء السلطة على رأسهم صباح كريشان الذي قفز من سائق باص الى مالك كبير تجري بين اصابعه الدنانير · لم يكن للمنظمات الفدائية في ذلك الوقت الا ثلاثة مكاتب : واحد لفتح وثان للجبهة الشعبية وثالث للصاعقة، وكلها تعمل في مجال الارض المحتلة ، فمعان تقع على الطريق التاريخي للقوافل بين الخليل والحجاز وبين غزه والحجاز · من هنا اهميتها الاستراتيجية بالنسبة للفدائيين ·

ولاول مرة في تاريخ العرب علت أصوات تهتف ضد الفدائيين والوجود الفدائي · وسرعان ما اتضحت خطة المتظاهرين اذ توجهوا نحو بيوت

الفلسطينيين المقيمين في البلدة وهم من المهاجرين اليها منذ ١٩٤٨ ، ومعظمهم من بلدة يسطا ، قضاء الخليل ، وبعضهم من غزة ٠

طرق المتظاهرون أبواب البيوت وسبوا الفلسطينيين وطالبوا بطردهم من البلد ، وأطلقوا عيارات نارية في الهواء وتوتر جو المدينة كلها وتبودل اطلاق النار ـ في الهواء ايضا ـ كما تبودلت الاتهامات ، واستمرت حالة الاضطراب المفتعل ثلاثة أيام أمكن بعدها السيطرة على الاوضاع بالتعاون بين قيادات قوات العاصفة في القطاع الجنوبي ، وبين رئيس بلدية معان الشيخ معن الشراري وبين محافظ معان ومدير الشرطة فيها اللذين ابديا تعاونا كبيرا لتقريب وجهات النظر والسيطرة على حالة الامن ٠

لا بد من الاعتراف بأن هذا الحدث الخطير مر دون ان يلاحظه الكثيرون ٠ كانت عمان تستقطب كل الاهتمام ٠ قررت قيادة القطاع الجنوبي بعد هذه الواقعة تكثيف النشاط السياسي في مدينة معان ٠

بدأنا نبحث عمن يؤجرنا مكانا لاقامة عيادة شعبية ٠ لم يكن ذلك سهلا بعد الذي حدث ٠ ولكننا في النهاية وجدناه عند مدرس عائد من الخارج ، ورث بيتا قديما في حارة الشرارية في معان ، وكان على استعداد لتقديمه لنا دون مقابل ٠ كنا نرفض باستمرار أخذ أي شيء بدون مقابل وأصرينا على ان نحرر عقدا بالايجار وأن ندفع مقدما ٠ ووافق أخيرا وبدأنا نستعد ، ولكن قبل مرور ساعات اتصل بنا ليبلغنا ان عشيرته كلها ترفض تأجير البيت لنا ٠ وكانت فرصتنا ٠ طلبنا الاجتماع مع شيوخ العشيرة لمناقشتهم ٠ وتم الاجتماع واستمر اكثر من يومين كنا نتبادل فيه الحديث وقد قررنا ان نخرج بقرار منهم بتأجير المكان ٠ لم نستعمل حقنا أبدا باعتبارنا نملك عقدا بالايجار ولكننا أثرنا حقنا كعرب نجاهد من أجل فلسطين في أن نقيم في البلد وفي حماية اهلها ايضا ٠٠ وبعد يومين وافق شيوخ العشيرة واستأجرنا الدار بدون شروط ٠

بدأ العمل في العيادة ثلاثة أيام في الاسبوع وهو نظام مكثف ، لكونها مدينة ، ولكوننا نريد استباق العناصر المعادية التي كانت تنشط في تجنيد عناصر جديدة ٠ وسرعان ما انتقلنا من العمل الطبي الى اقامة الندوات الجماهيرية السياسية ٠ وتم دعم المجموعة العاملة في المدينة بعدد من الكوادر المدربة والتي تقوم في الوقت نفسه بتأدية خدمات طبية او اجتماعية ٠

### في معان قبل ايلول وقائع صغيرة ذات دلالة ٠٠٠٠

الندوات الجماهيرية التي حضرها اخوة مسؤولون من عمان وقيادة القطاع لجنوبي لقوات العاصفة طاف الاخوة حسب العادة على بعض بيوت الوجهاء

والشيوخ تلبية لدعواتهم لشرب القهوة · في احدى هذه الزيارات لاحظ واحد من الحاضرين من أهل معان باستنكار ان أحد الاخوة الفدائيين قد أرسل بذلته العسكرية للمصبغة للغسيل والكي ودفع ٤٠ قرشا لقاء ذلك · تقرر فورا نقل الاخ المذكور من المنطقة كلها وشكرنا الشيخ على ملاحظته ·

وأصيبت ابنة مفتي الجيش الاردني ـ وهو الذي كان يلعب دورا كبيرا في التعبئة ضد الفدائيين في صفوف الجيش ـ أصيبت بنزيف تطلب اجراء جراحة عاجلة لها في مستشفى معان وقرر الاطباء ضرورة نقل ١٠٠٠سم مكعبمن الدم لها قبل العملية · ولم يكن هناك سوى الفدائيين الذين لم يتأخروا بتلبية هذا الطلب مما دفع بالمفتي أن يدعو لهم علنا أثناء صلاة الجمعة التالية ·

ودبرت السلطة عن طريق احد عملائها استفزازا مباشرا للفدائيين في قرية وادي موسى التابعة لمعان ، وللاسف وقع بعض الاخوة في الفخ فاعتقلوا العميل الاستفزازي الذي كان يطلق النار في الهواء وهو يسب فلسطين والمقاومة والفدائيين · قبل فجر اليوم التالي كان قد تم الافراج عنه والاعتذار · ولكن ذلك لم يمنع عددا من شيوخ وادي موسى من التوجه في وفد الى معان للشكوى، وهناك وجدوا عددا من المسؤولين الفدائيين في مكتب المحافظ وبحضور رئيس البلدية وهم يعرضون حل المشكلة عشائريا ، وتعاون المحافظ ورئيس البلدية وانتقل الجميع الى قرية وادي موسى وانتهت المشكلة ·

وهكذا ·· كلما سعى العملاء للاستفزاز كان الموقف هو محاصرة هذا العمل بالناس وحسب التقاليد دون الوقوع في فخ استخدام القوة او الرد على الاستفزاز ·

واستمر الحال على هذا المنوال حتى شهر آب ـ اغسطس ١٩٧٠ : توسع في النشاط والعلاقات لدرجة افتتاح عيادة شعبية في الحسينية معقل الشيخ فيصل الجازي . وفي « ادرح » المقر السكني لعشيرة كبيرة من الحويطات · وأرسي تقليد هام هو حل اي مشكلة فردية عن طريق الاحكام العشائرية ، وكان معنى ذلك ابعاد السلطة ورجالها وسد الطرق عليهم وعلى استغلالهم لمثل هذه الحوادث ·

**مقدمات ايلول الاولى :**

في أواسط آب ـ اغسطس ١٩٧٠ قررت القيادة العامة لقوات العاصفة تدعيم القوة العسكرية الموجودة في عمان بوحدات من القطاع الجنوبي ، بعد ان بينت قيادة القطاع ان من الخطر الانسحاب كليا من الجنوب اذ يؤدي ذلك الى اختلال في الموازين بين العشائر الصديقة للثورة وتلك الموالية للملك ، كما يؤدي الى

تشجيع القوى العميلة على التحرك العلني ضد الوجود الفدائي ·

ثم سحب الوحدات المقاتلة واحدة بعد الاخرى باكبر قدر من الهدوء الممكن وحل محلها مجموعات من « ميلشيا » البدو من عشائر « العزازمة » و « التياها»، اساسا الذين يقيمون في بيوتهم على طول سلسلة الجبال وتم تجميعهم لمواجهة الاوضاع الجديدة ·

وبقي في الجنوب كله غير هذه الجموعات ، قسم من جهاز الخدمات الطبية ، وبعض مراكز التموين ، وقوة من قوات عين جالوت التابعة لجيش التحرير الفلسطيني · وهذه الاخيرة تمركزت في الطفيلة والكرك ·

في هذا الوقت كانت الشعبة الخاصة ـ الجهاز المكلف بتنفيذ خطة السلطة الاردنية لضرب المقاومة قد فشلت في الرهان على احتكاكات عفوية بين اهالي الجنوب والفدائيين · وباقتراب ايلول ١٩٧٠ ، وازدياد هذا النوع من المشاكل العفوية والمدبرة في عمان والمدن الاخرى في الشمال ، لوحظت في الجنوب احداث غريبة مثيرة ·

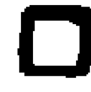
فجاة اعلن الشيخ فيصل الجازي ان اثني عشر رأسا من الغنم قد سرقت من بيته في الحسينية !! وان الآثار تدل انها نقلت في سيارة لاندروفر خارج المنطقة · لم يصدق الناس · فالبدو اعرف من غيرهم بهذه الروايات · ان الذي يمكن ان يصل الى بيت الجازي في الحسينية يمكنه ان يفعل أي شيء ، فالبيت تحت الحراسة ، وبه عشرات العبيد [ العبيد فعلا !! ] المسلحين ، ولا يمكن لغريب ان يقترب منه · ومع ذلك كان مجرد الاعلان عن هذه الواقعة امرا مثيرا ··

بعد ذلك بأيام سرقت بالفعل أعداد من رؤوس الغنم من المدعو هويمل العوران الذي تقع أرضه على الطريق الى الطفيلة ، والذي يمت بصلة قرابة لرئيس بلديتها · تكثفت جهود من تبقى من الفدائيين ومسؤوليهم لمعرفة الفاعل اذ كان واضحا ان المقصود هو تشويه سمعة الفدائيين وتوريطهم في صدام مع السكان · ثم حجزت سيارة لاندروفر وعثر على آثار اغنام بها ، وكانت تخص شخصا من معان على صلة بصباح كريشان [ العميل السابق ذكره ] ولكن اثبات الواقعة كان مستحيلا في ظروف الجنوب · فكل السيارات لاندروفر وكل السيارات تحمل اغناما !!

ثم حدث ان صدمت احدى سيارات الفدائيين طفلا من الطفيلة وقتلته وكادت المشكلة ان تتطور على غير العادة · اذ جرت العادة ان تحل مثل هذه المشاكل حسب قانون العشائر ، ولكن رجال السلطة حاولوا هذه المرة تحريض اهل الطفل

على عدم القبول بالحق العشائري ، ومع ذلك فقد فشلوا لسرعة تحرك الفدائيين وحل المشكلة ، ودفع الدية قبل مضي ساعات ٠

كان من الواضح ان هناك محاولات مقصودة لافتعال الصدام بين من تبقى من الفدائيين والاهالي ٠ ولوحظ في هذا الشهر كثرة تردد الشيخ فيصل الجازي على الحسينية وعلى قرى الجنوب المختلفة بعد أن كان يمضي معظم وقته في عمان ٠



**الايام الخمسة الاخيرة :**

انعكست الاحداث اليومية في عمان على الحالة العامة في الجنوب ٠ توتر وقلق وشائعات ينقلها السائقون عند عودتهم من عمان ٠ السير أصبح قليلا على الطرق حتى الطريق الدولية بين عمان والعقبة ٠ ولكن لم تحدث بادرة علنية واحدة ضد الوجود الفدائي واستمر التحرك الخاص بهم كما هو وان كان قد قل بعد رحيل معظم القوات الى عمان ٠

ازداد الشعور بالتوتر بعد ان اذيع نبأ عن محاولة اغتيال الملك وأذيع تعليق من اذاعة الثورة يكذب هذا الادعاء مما يشير الى انه ربما كان اشارة للبدء بتحرك عام ضد الفدائيين بدعوى تأييد الملك ٠ ومع ذلك ، مر يوم ٣١ــ٨ ، و ١ــ٩ بهدوء ولم يحدث النبأ ولا التكذيب اي ردود فعل ، وكان ذلك دليلا هاما على ان عملاء السلطة عاجزون عن استثارة الاهالي ضدنا ٠

**حتى كان يوم ٢ــ٩ــ١٩٧٠ ٠٠**

كان يوم أربعاء ، وككل يوم أربعاء يلتقي الاطباء العاملون في الجنوب في عيادة الطفيلة لعرض الحالات المؤجلة التي تتطلب تشاورا جماعيا او تدخلا جراحيا ٠

في ذلك اليوم كانت ابنة رئيس المجلس البلدي تشكو من التهاب في الثدي وقد نصحت من قبل باجراء جراحة فرفضت وحاولت الذهاب الى عمان ، وهناك وجدت الاحوال غير هادئة فعادت ، وكان لا بد أن نقوم نحن بالجراحة ٠

قام بالجراحة زميلنا الدكتور ــ يسري هاشم وقمت بمعاونته في التخدير ٠ واثناء وجودنا في المستشفى الحكومي حيث اجريت الجراحة جاء من يبلغنا ان السائقين العائدين من عمان يقولون ان جنديا اردنيا من منطقة الشوبك قد

قتله فدائيون اثناء عودته من عمان الى قريته وان التوتر يسود الجنوب كله ٠

تاكد لنا النبأ ، فطلبنا من كل الاخوة عدم التحرك على الطرق حتى نتبين ما حدث وتركت الطفيلة متوجها الى الشوبك بسرعة ومعي أخ يسوق اللاندروفر كان مقاتلا وأصيب في ساقه وآثر البقاء في القطاع ٠

وكان هذا آخر عهدي بالطفيلة ٠



لم نقابل أي حادثة تذكر في الطريق ولكننا لاحظنا ان الطريق خالية تماما من أي سيارات مما جعلنا نتوقع انها مقطوعة في مكان ما شمال مثلث جرف الدراويش ٠

عند وصولنا الى « نجل » وهي مقر مديرية الشوبك لاحظنا تجمع الشيوخ عند مكتب البريد والدكان وهذا معناه ان ثمة خبرا خطيرا يتوقعونه او يتشاورون بشأنه ٠

وسرعان ما وصلت الانباء وتحققت قصة مقتل الجندي وهي قصة غريبة ومريبة لم تتضح حقيقتها حتى الآن :

اثناء خروج سيارة سرفيس من عمان الى معان تقل الجندي واخاه ، وزوجة اخيه وابنة اخيه الشابة وراكبا خامسا غير السائق اعترضها حاجز لمسلحين يرتدون زي الفدائيين عندما كان يسمى وقتئذ بملجأ العجزة ، او قاعدة الشهيد حسن سلامة ٠

كان الوقت حوالي العاشرة صباحا ، والجندي يحمل بندقيته كما كانت اوامر الجيش وقتها ٠ أمره المسلحون بالنزول واطلقوا عليه النار في منتصف الطريق واخذوا بندقيته وطوحوا بها داخل الحرش المجاور ثم أمروا السيارة بمواصلة السير وهي تحمل بقية الركاب ٠ وهم أسرة الجندي والراكب والسائق ٠ الواقعة مؤكدة ولكن الذي لم يتضح حتى الآن هو من هم هؤلاء المسلحون ؟ ولماذا فعلوا ذلك ؟ ولماذا تركوا السيارة تواصل سيرها وفيها أهل القتيل الذين سيروون الواقعة بلا شك بمجرد خروجهم من تحت ارهاب الرصاص ؟؟

مضت السيارة في طريقها ، توزع النبأ على كل مكان ، بل وتستوقف السيارات الذاهبة الى عمان وتروي لها القصة ٠ وبدات السيارات في العودة ومعها القصة الرهيبة ، وانتشر النبأ في كل قرى الجنوب وجباله وبيوته وضياعه ٠

كان أول رد فعل هو تحرك عرب « الحجايا » عند منطقة القطـــران لقطـــع الطريق الدولي · وتصادف مرور سيارة تموين لفتح من عنصرين مسلحيـــــن فاحتجزوهما والسيارة · [ كان لمجرد احتجازهما دون قتلهما دلالة على ان رد الفعل عفوي وغير حاد ، وقد أفرج عن المسلحين في اليوم التالي وما تــزال السيارة امانة لدى شيخ عرب الحجايا حتى الآن حسبما اعلم ] ·

أما ردود الفعل التالية فقد تركزت في منطقة الشوبك ، فالجندي القتيل مــن عشيرة الروافعة من قرية بيرضداد من منطقة الشوبك ·

ومنطقة الشوبك تقع على مشارف وادي عربة ولكنها منطقة زراعية غنية ، وفيها مدرسة زراعية عليا وقراها متناثرة وتسكنها عشائر حضر ويتجول فــي أراضيها وحواليها عشائر بدو وفيها قلعة الشوبك الصليبية الشهيرة · وكــان لقوات العاصفة في المنطقة ثلاث قواعد اختصرت الى قاعدة واحدة بعد رحيــل القوات ولم يكن في هذه القاعدة اكثر من خمسة عشر مسلحا من مليشيـــا البدو ·بالاضافة الى هذه القاعدة كان في احدى القرى ( ابو مخطوب ) مستودع تموين وعنصران فقط ، كما كان في قرية نجل نفسها مقر العيادة الشعبية الفيها الطبيب والسائق وشبل متدرب ، وانضم لنا يوم ٢ـ٩ أخ من التنظيم كان يعمل معلما ـ وسنلقبه « بالمدرس » · وعلى بعد أربعة كيلومترات من العيادة كانــت المدرسة الزراعية التي تضم عددا من المدرسين الفلسطينيـــــن والاردنييـــن المتعاطفين مع الثورة الفلسطينية وهم يقيمون مع أسرهم داخل المدرسة ·

في منطقة الشوبك ايضا مشروعات زراعية سكنية تبنيها السلطة الاردنيـــة وتملكها لضباط الجيش خصوصا ضباط المدرعات الذين كان معظمهم مـــــن عشائر الحويطات · وفيها كانت مزرعة لقائد سابق للحرس الملكي مكنى بأبي جميل ·

دعا ابو جميل هذا شيوخ العشائر في الشوبك للاجتمـــاع مساء يـــــوم ٢ـ٩ـ١٩٧٠ للبحث في حادثة مقتل الجندي ·

قبل مغيب الشمس جاء منهم من يسألني عن الاخبار فأكدت له انه لو صـــح هذا الحادث فان الفاعل جاسوس وعميل ولا يمكن ان يكون من فتـــح أو مـــن الفدائيين عموما ·

غابت الشمس وكنا أربعة ، والصمت العادي أصبح صمتا متوترا مشحونا ، لم نضيء الانوار في مقر القيادة [ كوخ من سقف وثلاثة جدران والجـــدار الرابع هو كتف الجبل وأمامه باحة مسورة بسور من احجار مكونة سلسالا ] ووزعنا انفسنا للحراسة اثنين اثنين · عند الحادية عشر مساء جاء الشبـــل

باثنين من أهل الشوبك الشباب وجدهما يتسللان الينا ٠عرفتهما وجلسا وأبلغاني قرارات اجتماع الشيوخ كما سمعاها من أبويهما وهي :

ـ اجلاء قواعد الفدائيين من المنطقة ٠

ـ اجلاء الفلسطينيين من المدرسة الزراعية واهانتهم ٠

ـ الثأر بقتل الطبيب ٠

ولكنهما أكدا لي ان هذه اقتراحات « ابو جميل » ولم يستطع الشيوخ معارضتها علنا خوفا منه ومن علاقاته مع القصر ٠ وان شيئا من ذلك لن ينفذ ولن يسمح احد بوقوعه ٠ ارسلتهما الى المدرسة لتحذير الاخوة هناك طالبا منهم عدم التحرك واختيار من يمكن ان يحمل رسالة الى عمان دون ان يعترضه أحد ٠

في الثانية عشر ليلا حضر من معان عدد من الاخوة الذين سمعوا بالحادث وخافوا أن يحدث رد فعل فوري ضدنا في الشوبك ، فجاؤوا ومعهم سيارة مسلحة عليها رشاش جرينوف ٠ وكانت هذه غلطة استفزازية ولا تفيد على أي حال ٠ قضينا بعض الوقت نتداول ثم اتفقنا على ما يلي : رغم وضعنا الحرج وعدم وجود وسائل اتصال بين المناطق ولا بيننا وبين القيادة في عمان علينا ان نتصرف لا كمتهمين ولكن مراعين مشاعر السكان ، ونحن لن ننسحب من أي موقع مهما كان الخطر عليه لان الانسحاب معناه نهاية ما بنيناه ، واننا لن نطلق النار على الجماهير حتى لو كانت تطلق النار علينا ، واننا سندافع بالسلاح عن مواقعنا في حال هجوم من قوات الامن او الجيش علينا٠٠

لم يكن الوصول الى هذا الاتفاق بيننا سهلا ، بعضنا كان يقدر الامور باننا يمكن « نربيهم » ، والبعض كان يرى ان لا فائدة وعلينا الانسحاب الى عمان ٠ ولكن النقاش اكد اننا لن نتعامل مع الناس من موقع القمع والقوة ولن ننسحب من مواقع هي في الاساس سياسية اكثر منها عسكرية ، وانه حتى لو حدثت خسائر فعندما تدرك الجماهير انها كانت مخطئة فستأتي الينا أفواجا ٠

عند فجر اليوم التالي ، ٣ـ٩ ، تحرك اثنان من الاخوة الى عمان عبر طرق فرعية كانت مفتوحة وحملا معهما رسالة الى الاخوة هناك تشرح الوضع وتقترح تفويت الفرصة على اي عميل بأن تطلب ما يسمى في أعراف البدو « بعطوة تفتيش » اي ان نقبل الاتهام ، ولكننا نطالب بتحقيق من المشايخ وذلك بدلا من اعتبار الامر كأنه شيئا لم يكن ٠ للاسف جاء الرد بعد يومين بأنه لا ضرورة لذلك مع تبرير استفزازي عن عواقب أي مساس بنا ٠ ولقد فضلت عندها الا ابلغ مضمون الرد لبقية الاخوان ٠ ولا أعرف حتى الان من الذي أرسل هذه الاجابة !!

٣ـ٩ـ١٩٧٠ :

مضى النصف الاول من النهار فيحوار مرهق مع شيوخ العشائـــــر فرادى ومجتمعين · اكد كل منهم على انفراد عدم موافقته على قرارات الامس بعد أن عرفوا انني عرفتها ولكنهم ، مجتمعين ، كانوا يصرون على ضرورة فعل شـــيء ما ينقذ الموقف بعد حادثة القتل هذه ·

كانت السيارة المسلحة التي جاء بها الاخوة من معان لا تزال تقف بجـوار العيادة وقد لاحظها الاهالي ، وعندما صعد الشبل اليها وانزل رشاش الجرينوف جاؤوا واحدا بعد الآخر واعتبروا ان هذه البادرة دليل النوايا الطيبـة مـــن ناحيتنا ودليل الثقة فيهم أيضا ·

بعد الظهر أخذت حركة السير تنشط قليلا بين الشوبك ومعان وكانت فرصـة لعودة الاخوة مع سيارتهم ولكن بدون تركيب الرشاش الا بعد الوصول الـــى الطريق الدولية ، أي خارج منطقة الشوبك · كما أمكن ارسال رسالة أخـــرى الى عمان مع أحد الاخوة الطلاب من المدرسة الزراعية الذي اكد لي أنه سيمر بأمان لاسباب عشائرية باعتباره من ابناء عشيرة أردنية كبيرة في الشمال ·

عند الغروب توجهت لزيارة القاعدة القريبة في المنطقة [ ٧ كم ] وعنــد مروري بقرية « الجاية » دعاني شيخها ولما جلسنا اجتمع حولنا أهلها · وحين ابلغني أننا يجب ان نرحل في أمان بدلا من المشاكل انقسم أهل القرية وتصايحوا، فذكرت له انني مطمئن لاننا لم نفعل ما يسيء وانني لن اتصرف الا بأوامر من القيادة ·

في هذه الليلة اتصلنا تليفونيا بالطفيلة · كان الوضع متوترا ولكن دون ان يحدث شيء · اما في الكرك فقد عرفنا انه تمت محاولة استفزاز من جانــب جنود يرتدون ملابس مدنية [ اصطلح على تسميتهم بالجنود المجازين ] حاولوا التظاهر ضد العمل الفدائي والوجود الفدائي واطلاق النار ولكن القوة المتمركزة بالقرب من الكرك [ سرية جيش التحرير وبعض عناصر من فتح والصاعقـــة والجبهة الشعبية ] أسرعت بالتمركز في القلعة · وفي الوقت نفسه تحركت القوى الوطنية في المدينة وهي قوى ذات نفوذ سياسي وعشائري وأوقفت محاولـــة الاستفزاز وطردت العناصر الاستفزازية من المدينة وهدأت الحالة ·

٤ـ٩ـ١٩٧٠ :

كان اليوم يوم الجمعة : موعد عيادة معان ، وموعد اجتماع اكبر مؤتمـــر للعشائر دعا اليه الشيخ فيصل الجازي في « الحسينية » · وكان لا بد مـــن

الذهاب الى معان حتى لا يفسر عدم فتح العيادة في هذا اليوم كبادرة انسحاب وحتى تكون متابعة أخبار توتر العشائر أولا بأول ٠

وصلت الى معان عند الظهر ، لم يكن هناك أي شيء على الطريق من الشوبك حتى معان ٠ لاحظنا يومها ان عدد المرضى الذين جاؤوا قد انخفض الى الثلث ومعظمهم حذرنا مما يدبر لنا ٠ اكدت تقارير « الرصد » ان وجوها غريبة كثيرة موجودة في البلد ، وان سيارات لاندروفر مسلحة وتحمل مسلحين تجوب البلدة أيضا تستفز الفلسطينيين بالشتائم والاهانات ٠ أما أخبار مؤتمر العشائر فقد وصلت في السادسة مساء ٠

عقدنا اجتماعا في مقر مكتب « فتح » في معان وتداولنا في الاوضاع وعرفنا ان قرارات مؤتمر العشائر تتضمن اجلاء الفدائيين عن الجنوب وغير ذلك من قرارات تدعم الملك ٠ وأعلن واحد من الشيوخ انه في حال عدم تنفيذ المطالب « نفصل من القطران وجنوب وننضم للسعودية » ٠ قدرنا أنه في حال بدء اي هجوم ستكون منطقة الشوبك هي هدف المهاجمين لوجود قاعدة فدائية هناك ٠ وأكدنا اتفاقنا السابق : لا انسحاب ولا اختفاء ولا اطلاق نار على الجماهير ٠ وعدت الى الشوبك فبلغتها في المساء ٠ وهناك عرفت ان جثمان الجندي القتيل سيصل المنطقة في اليوم التالي وكأن الامر مرتب لكي يتوافق وقرارات مؤتمر العشائر ٠

٥/٩/٧٠ :

منذ الصباح الباكر تواردت شائعات عن تظاهرات معادية للوجود الفدائي في الجنوب تطوف شوارع معان وتطلق النار في الهواء ، وان هناك تظاهرة مماثلة تتجمع في ساحة الطفيلة ولكنها لم تنجح في جمع احد حولها ٠

اما في الشوبك فقد عقد شيوخ العشائر اجتماعا في ساحة امام العيادة الشعبية عند مكتب البريد ، ثم ارسلوا في دعوتي اليهم ٠

ذهبت حيث وجدت معهم من قدموه باسم الزعيم علي م من الجيش ومن ابناء المنطقة ٠ دار الحديث حول ضرورة عمل شيء [ اي اخذ عطوة ودفع دية ] بالنسبة لحادث القتل حتى يمكنهم تفويت الفرصة على « اولاد الحرام » ٠ لم يكن الرفض المباشر ممكنا ولا معقولا ولكنني طلبت منهم انه « اذا اقسم اربعة من العقال على ان القاتل هو من « فتح » او حتى من الفدائيين فانني على استعداد لطلب العطوة فورا بل وافوضهم هم كجاهة لطلبها من اهل المغدور » ٠ بالطبع لم يقبل واحد منهم بأن يقسم على ما طلبت ٠ فليس من بينهم من شاهد الحادث ولا تحقق من تفاصيله ٠ انتهى الاجتماع بأن استأذنت منهم

وتركتهم يتداولون وعدت الى العيادة · ومضى النهار في اتصالات مع اهــل الشوبك انفسهم الذين كانوا يتصرفون جميعا كانهم يبحثون عن مخرج يضمــن عدم المساس بالفدائيين وفي الوقت نفسه يهدىء ثائرة عشيرة المغدور ويغلق الباب امام الذين يحاولون تفجير منطقة الشوبك من خارجها ·

طوال الوقت كانت الشائعات تصل عن احداث دامية في معان ·

وعند الغروب اتصل محافظ معان بي تليفونيا وابلغني بصوت متأثر انــه حدثت احداث مؤسفة وان هناك اربعة قتلى وسبعة جرحى من الفدائيين وسألني عن كيفية التصرف بجثث القتلى : هل يدفنون في معان ام سننقلهم الى عمان ؟· سألته عن هوية القتلى فقال بعد تردد : احدهم كان يعمل ممرضا معك · عرفت انه سمير عزام·لم استطع السيطرة على انفعالاتي ·بكيت·ورفضت دفن الشهداء في معان وطلبت منه ضرورة تسهيل وصولي الى معان حتى ارى الشـــهداء والجرحى قبل ان اقرر اي شيء ·

احداث معان :

هذه هي احداث معان كما رواها لي من شهدوها والذين شاركوا فيها فــي اليوم الثاني :

في السابعة والنصف من صباح يوم ٥/٩/٧٠ دخل الى المدينة حوالــي « ١٥٠ » من الجنود الذين يرتدون ملابس مدنية [ « جنود مجازون » ] وانضم اليهم صباح كريشان وعدد من رجاله في سيارات مسلحة ، وطافوا في البلدة يهتفون بشعارات معادية للفدائيين والثورة وبحياة الملك حسين · اغلقت المدارس وخلت الشوارع من الناس خوفا مما سيحدث وتجمع عدد من تلاميذ المدارس حول التظاهرة التي توجهت الى مقر المحافظ · هناك خرج اليهم المحافظ والقى فيهم كلمة حاول فيها تهدئتهم وطالبهم بالعودة الى اعمالهم والكف عن اعمــال الاثارة ووعدهم بأن ينقل مطالبهــم [ اجــلاء الفدائيين ] الــى « سيــدنا » [ الملك ] · ولكن التظاهرة تركت مبنى المحافظة وتوجهت نحو مكتب « فتح » ·

طلب المحافظ انزال قوات الجيش الموجودة بالقرب من معان ولكن هذا الطلب لم ينفذ على الفور وارجىء البت فيه ·

في هذه الاثناء كانت عناصر مكتبي الجبهة الشعبية والصاعقة ( وهم ثلاثة في مجموعهم ) قد انتقلوا الى مكتب « فتح » واصبح عدد الموجودين فيه احد عشر اخا ·

اخذت مظاهرة الجنود تطلق النار وقذائف الانيرجا نحو المكتب وقد ساقـت

امامها مجموعة من اطفال المدارس · لم يطلق احد من الموجودين في المكتب النار · ولم يكن ذلك ممكنا ليس لاننا اتفقنا على عدم اطلاق النار على الجماهير فقط وانما لانه : « على من نطلق النار ، على اولاد وبنات صغار ؟! » حسب ما قاله لي احد الاخوة الجرحى في اليوم الثاني ·

استمر اطلاق النار نصف ساعة · طوال الوقت كان الشهيد سمير عزام [ كادر من التنظيم الطلابي لفتح التحق بالقطاع الجنوبي في اول حزيران ١٩٧٠ وارسل الى معان لدعم النشاط فيها بالكوادر ] يردد بأعلى صوته الامر بعدم اطلاق النار على الجماهير · استشهد اثنان من الاخوة · نزل سمير من فوق سطح المكتب وفتح الباب وخرج الى المتظاهرين ، وتقدم حتى وقف بينهم · توقف اطلاق النار وسمع سمير وهو يقول بصوت عال : « نحن اخوة · جينا هنا لمحاربة الاسرائيليين وتحرير فلسطين ··· » ثم سمعت طلقة واحدة [ اطلق احدهم النار من الخلف على الشهيد ] · سقط سمير على الارض وتقدم عميل وداس على رقبته بالبسطار وقال : « جول يعيش سيدنا » · حاول سمير ان يرفع جسمه على ذراعيه فأطلق عليه العميل النار فاستشهد ···

في هذه اللحظة انتشر اطلاق النار في المدينة كلها · خرج الاهالي من البيوت وخرج من بقي حيا من الفدائيين من المكتب واخذت العائلات تدفع بهم الى البيوت · واطلق رجال الامن النار على بعضهم البعض وعلى المتظاهرين والفدائيين وكاد الامر يتحول الى حرب اهلية · عندئذ وصلت كتيبة من الجيش وفرض حظر التجول · ونقل اربعة شهداء وسبعة جرحى الى المستشفى · وبدأت الاتصالات مع شيوخ العشائر للسيطرة على الموقف · وانسحب الجنود المجازون ·

الشهداء في هذه المذبحة هم الشهيد سمير عزام ( سبق تعريفه ) والشهيد صبحي جبريل ( مساعد صيدلي ـ كادر في القطاع الجنوبي ـ ) والشهيد حسن سليم ( من التنظيم الطلابي ـ فتح ـ معان ، من اسرة فلسطينية تقيم في المنطقة منذ ١٩٤٨ ) والشهيد محمود حسن ( من التنظيم الطلابي ـ فتح ـ معان ـ من اسرة فلسطينية تقيم في المنطقة منذ ١٩٤٨ ) ·

لا بد ان نذكر ان جميع الاخوة في المكتب كانوا مسلحين بأسلحتهم الفردية ، بالاضافة الى رشاش متوسط مع ذخيرته ، و ١٠ صواريخ ٥ر٣ بوصة · وهو قدر من السلاح كاف اذا استخدم لايقاع اصابات كبيرة بين المهاجمين · كما لم تحدث حوادث سلب ونهب لاي مقر او مكتب باستثناء المكتب الذي هوجم واحترق نتيجة قذائف الانيرجا · ظلت العيادة بما فيها سليمة لم يقترب منها احد ·

**احداث الطفيلة :**

في الطفيلة كانت المحاولة نفسها التي تمت في معان ، ولكن الاوضاع في الطفيلة كانت غير الاوضاع في معان · فالطفيلة منذ بداية الوجود الفدائي في جنوب الاردن ، كانت مركزا للقيادات والنشاطات كما انها سكانيا تتكون من عشائر غير بدوية وذات تاريخ وطني وفيها عناصر نشطة سياسيا لعدد من الاحزاب العقائدية ·

صباح يوم ٥/٩/٧٠ لم يكن في الطفيلة سوى اربع عناصر حراسة موجودين في العيادة ومقر قيادة جيش التحرير الفلسطيني · دخلت مجموعة من « الجنود المجازين » القادمين من خارج الطفيلة وبدأوا الهتاف ضد الوجود الفدائي في ساحة البلدة ثم اطلقوا النار في اتجاه مقر العيادة والقيادة · خلت الشوارع من الناس تماما وكان واضحا ان مجموعة « الجنود المجازين » معزولة عن اهل البلدة · استخدم الفدائيون مكبر صوت يدوي في توجيه نداءات وانذارات تطالب بوقف هذا العمل الاستفزازي ولكن « الجنود المجازين » استمروا في اطلاق النار · اصيب اصابة قاتلة رجل بسيط كان في حديقة مبنى البلدية الواقع بين ساحة البلدة وبين العيادة · حاول الفدائيون الاربعة الوصول اليه وسحبه الى العيادة لعلاجه ، ولكن الجنود اطلقوا النار تجاههم · عندئذ اطلق الاخوة قذيفة « ب ٧ » انفجرت في الهواء [ العيادة تقع اسفل تلة والساحة عند منتصفها ] ثم وجهوا نداءاتهم بمكبر الصوت · توقف اطلاق النار ، ثم حضرت امرأة الى العيادة وابلغت الشباب ان الشيخ رئيس البلدية يطلب منهم عدم اطلاق النار وانه سيتم ابعاد « الجنود المجازين » من البلدة ·

في هذا الوقت كانت مجموعة من مجموعات جيش التحرير المتواجدة على طريق الكرك ــ الطفيلة قد بلغها ما يحدث في الطفيلة فتحركت نحو مثلث الطفيلة الواقع على قمة الجبل واغلقت الطريق اليها · وعند وصول باص من الكرك الى الطفيلة احتجزته بركابه واطلقت ثلاثة صواريخ على الوادي المجاور للطفيلة كانذار ثم ارسلوا وفدا من ركاب الباص الى البلدة يحمل رسالة الى شيوخها ·

ثم وصل من الكرك عدد من الاخوة المسؤولين بينهم طبيب الخدمات الطبية بقوات العاصفة المتواجدة في منطقتي الكرك والطفيلة وساهم ذلك في عدم تصعيد الرمايات وتهدئة خواطر ركاب الباص الذين سمح لهم بمتابعة السير الى الطفيلة ·

اعقب ذلك اجتماع عقد في مبنى المديرية في الطفيلة حضره ممثلون عن الفدائيين بينهم الطبيب كماحضره شيوخ عشائر الطفيلة ورئيس المجلس البلدي

فيها وقائمقام الطفيلة وقائد شرطتها ٠

اتضح في هذا الاجتماع ان ما حدث كان من تخطيط وتنفيذ قوى من خارج الطفيلة لتنفيذ قرارات مؤتمر العشائر الذي عقد في اليوم السابق ٠ ولكن سكان البلدة تمسكوا بوجود « فتح » وجيش التحرير وواجهوا المطالبين بابعـــاد الفدائيين بحزم ٠ وتم الاتفاق على ذلك ، اذ لم يكن موجودا في المنطقة بالفعل سوى فتح وجيش التحرير ولكن لسبب لم افهمه حتى الآن قرر الاخوة العسكريون من جيش التحرير ضرورة سحب المتواجدين في الطفيلة الى الكرك بحجـــة التجمع وعدم الانتشار في هذه الظروف والتركيز على مدينة الكرك ٠

وهكذا خرج الفدائيون من البلدة ، وقد ادى ذلك ـ كما ابلغني واحد مـن شيوخ الطفيلة فيما بعد ـ الى اضعاف موقف العشائر المؤيدة للفدائيين وسمح لانصار الملك بأن يعيثوا فوضى وفسادا في البلدة ، فهاجموا العيادة ومقـــر القيادة المجاور ونهبوهما وعندما حاول رئيس المجلس البلدي وقفهم ، صفعـه على وجهه في ساحة البلدة واحد من « الجنود المجازين » ٠ فانسحب الرجل الى قريته خارج الطفيلة بعد ان ادرك ان هذه هي اوامر القصر عقابا عـــلى موقفه السابق ٠

١٩٧٠/٩/٦

قبل الفجر وصلت من معان الى عيادة الشوبك سيارة جيب تابعة للامن العام وفيها اربعة جنود مسلحون ٠ كان الاتفاق قد تم مع محافظ معان ان لا يتم دفن الشهداء الاربعة قبل ان اراهم ، فأرسل السيارة في هذا الوقت لاصطحابي الى معان ٠ كان الجنود متوترين وعندما خرجت معهم طلبوا مني ان احمل سلاحي كاملا معي واكون مستعدا في الطريق ٠ اجلسوني في المقعد الخلفي بين اثنين منهم ٠ من الواضح انه تم اختيار الجنود بعناية على اساس موقفهم من العمل الفدائي ٠ كان اثنان منهم فلسطينيين والآخران من منطقة الشمال ٠

وصلنا الى معان وتوجهنا على الفور الى منزل رئيس شرطة المحافظ الزعيم نواف سعود القاضي ٠ هناك تركت سلاحي وتوجهت في السيارة نفسها مـــع الجنود ذاتهم الى مستشفى معان ٠

كنت اعرف المستشفى جيدا ، والعاملين فيه بـل وبعض المرضى ايضـا ٠ اسرعت الى القاعة التي خصصت للشباب الجرحى الذين اصيبوا في اليـوم السابق ٠ احدهم اجريت له عملية بتر تحت الركبة والباقون في حالة جيـــدة نسبيا ٠ بكى واحد منهم عندما ذكر سمير عزام وما جرى له ، وقال الآخـر : « ما طخيناش ولا كان ممكن نطخ ، نطخ على مين ، على اطفال سايقينهـــم

قدامهم !! » · طلب مني احدهم ان اطمئن عائلته ونبهني ان اذاعة الثورة قد اذاعت في مساء اليوم السابق ان جميع الموجودين في معان قد ذبحوا وعائلته تعرف انه في معان · طمأنتهم ووعدتهم بالعودة مرة اخرى ، ونزلت الى حيث قيل ان الشهداء اودعوا ·

كانت غرفة كبيرة نسبيا في الطابق الارضي ·· ليست هي غرفة الموتى في المستشفى ولا بد انها مخزن افرغ على عجل ·· كانت عارية من كل شيء · ليس فيها الا الشهداء الاربعة الذين وضعوا على الارض بجوار بعضهم وبين كل منهم والآخر مسافة متر تقريبا · امام الباب الذي يفتح مباشرة على الساحة الخلفية للمستشفى كان صبحي جبريل ، بشعره الاحمر ووجهه ذي النمش وصرامته المعهودة · بقعة صغيرة من الدماء كانت تحت الرأس مباشرة · على يساره كان سمير عزام · ازداد وجهه سمرة وهدوءا · ذراعاه مثنيتان على صدره ولكن دون ان تتقاطعا ، بنطلونه مخضب بالدماء من الناحية اليمنى وقد انزاح قميصه الخارجي والداخلي عن بعض صدره وخاصرته ومخرج الرصاصة القاتلة واضح · على يسار سمير كان واحد من الشهيدين محمود حسن او حسن سليم كان يميل بوجهه نحو الحائط الايسر ولم استطع رؤيته جيدا فقد كان في زاوية الغرفة البعيد المعتم ولكن مؤخرة الرأس كانت مهشمة تماما ، ثم الشهيد الرابع ·

اقتربت من صبحي ومن سمير ووقفت بينها ، وقبل ان انحني عليهما سمعت صوت المرضة خلفي وهي تناديني « الحق يا حكيم ·· الحق يا حكيم واحدة بتولد وحالها نزيف » ·· استدرت وتبعتها · في الطابق الثاني ، في غرفة الولادة كانت امرأة على طاولة التوليد شاحبة الوجه وفي جوارها طفل حديث الولادة ، وهي تنزف · ادركت ان الحبل السري قد انقطع من المرضة اثناء التوليد · طلبت من المرضة ان تجهز كفوفا طبية واسرعت اربط الحبل السري للطفل بملقط جراحي · وربت على رأس المرأة مهدئا فتمتمت بدعوات لم اسمعها ثم ارتديت الكفوف واخذت احاول الامساك بطرف الحبل السري الآخر الذي ارتد الى رحم المرأة نازفا · بعد دقائق امسكت به وربطه بملقط جراحي آخر وطلبت من المرضة تركيب مصل للمرأة · وعندما كنت انزع الكفوف سمعت المرأة تمتم بصوت اعلى بالدعوات · استدرت قبل ان اغادر الغرفة وقلت لها : « الحمد لله على السلامة » ·

نزلت الى مدخل المستشفى حيث الجنود ينتظرونني · سمعتهم يتحدثون عن توجه شاحنات تحمل اعدادا كبيرة من بدو وادي القويرة [ لم نكن نصل الى هناك ابدا ولا صلة سابقة لنا بهم ] الى الشوبك حيث سيقومون بحصار القاعدة والعيادة · طلبت من الجنود ان نسرع بالعودة فأخذوني الى منزل

الزعيم نواف القاضي ( ابو عرب ) حيث تركت سلاحي · حاول ان يقنعني بالبقاء عنده ولكنني اقنعته ان وجودي في الشوبك ضروري لحماية بقية الاخوة هناك وان عدم عودتي سيقلقهم على اي حال · امرهم باعادتي بسرعة والاحتياط في الطريق · وعندما قطعنا مثلث ابو مخطوب على طريق عنيزة ـ الشوبك شاهدت احد الاخوة من ميلشيا البدو المفترض وجودهم على مسافة « ٤ » كم من هذا المكان · كان وحده ومتجها نحو الجنوب · ادركت ان شيئا ما قد حدث للقاعدة ·

عند وصولي الى العيادة اصبحنا اربعة : السائق والشبل والمدرس وانا · على بعد سبعة كيلومترات كانت القاعدة وبالقرب منها كان مستودع التموين ، وعلى مسافة اربعة كيلومترات جنوبا كانت المدرسة الزراعية حيث اقرب تجمع غير عشائري ·

سلاحنا كان اربعة بنادق آلية مع كل منها وحدتان ناريتان ومسدسان ورشاش متوسط « الفا » مع سبعة مخازن · كان لدينا طعام محفوظ وبطاطا ·· لم يكن لدينا خبز ·

اشرقت الشمس من وراء التلة الواقعة امام العيادة · كانت الساعة قد بلغت حوالي السابعة صباحا ··· حضر قائمقام الناحية معزيا في شهداء معان وطلب مني بلطف ان نضبط اعصابنا وقال انه سيبذل اقصى ما يستطيع ·

عند خروجه تقابل في الطريق امام العيادة مع جرار يسحب مقطورة مليئة بالبدو القادمين من خارج المنطقة · اشار لهم بالوقوف فأجابوه باطلاق الرصاص في الهواء ·

لاحظنا من باحة العيادة أن المسلحين ينتشرون في حرش التلة الواقع امام العيادة وحتى الساعة العاشرة كنا نسمع طلقات نارية من مسافات بعيدة ولكن لم يكن اطلاق النار من الحرش ··

بعد حوالي نصف الساعة سمعنا هرجا شديدا على الطريق وصيحات ، ثم لاحظنا ازدياد عدد المسلحين في الحرش امامنا · وبدأ اطلاق النار في الهواء بكثافة · جاءنا من يقول ان القاعدة لم يعد فيها احد منذ الصباح وان الجيش قد اخلى مستودع التموين واعتقل الاخوين الموجودين هناك ·

تقدم نحونا رجل مسن يحمل بندقية انجليزية قديمة · لم يكن من اهالي الشوبك · كنا نحن الاربعة متوزعين داخل وخارج غرفة العيادة في الظل وخلف الجدران ولم يكن سهلا على الواقفين في الخارج تحت الشمس ان يرونا ·· بسرعة خلعت الجعبة الصدرية ووضعت البندقية جانبا وخرجت لملاقاة الرجل ·

عندما وصل الى باحة العيادة سأل عن الحكيم فلما اجبته اخذ يهدد ويتوعد ويلوح ببندقيته ويطلب منا ان نرحل . كانت كلماته : « اجلب ( اقلب ) وجهك » تتكرر كأنما لا يعرف غيرها .

في لحظات ، وكأنما هبطوا من السماء ، وجدت عددا من رجال ونساء الشوبك وقد احاطوني بحيث يصعب اطلاق النار من على التلة دون اصابتهم . علت اصواتهم جميعا تطالب الرجل بالرحيل وتطيب خاطرنا وتنصحنا بالابتعاد عن الخطر . عندما خرج الرجل مهددا بقي عدد من اهالي الشوبك معنا .

قال لي شيخ جليل منهم : « نحن لم نقتل الاتراك كغيرنا وقت ان جاء لورنس . انتم خدمتمونا ولم نر منكم شرا ولا يمكن ان نسمح لاحد بأن يمسكم » .

عرفت ساعتها ان هذا هو قرار اهل الشوبك .. بقينا في العيادة حتى الواحدة ظهرا . لاحظنا وصول سيارات مسلحة من الامن والبادية والجيش . وعرفنا من اهل الشوبك ان المحافظ ومدير شرطة معان وشيوخ العشائر مجتمعون في مقر مديرية الشوبك التي تبعد حوالي مئتي متر عن العيادة .

ثم حضر الى العيادة ملازم اول يدعى رياض ومعه سيارة مسلحة برشاش « ٥٠٠ » ، وابلغني ان « سعادة المحافظ يطلب حضوري الى مقر المديرية » .

خرجت معه فأسرع واحد من جنوده بالسير بجواري فأصبحت بينهما وفهمت ان ذلك لحمايتي من اي محاولة قنص . ورغم ان المسافة قصيرة ركبنا السيارة المسلحة .

امام مبنى المديرية لاحظت ان عددا من اتباع الشيخ فيصل الجازي وحراساته يقفون على الجانب الايسر من الطريق . نزلت من السيارة فسمعت احدهم يقول بلهجة مصرية متعمدة : « هوه ده الجدع .. معاه فرد على وسطه ... خده منه » .

هي لحظات ، وامامي درج من خمس درجات كنت على اولها عندما سمعت وقع الاقدام خلفي وكنت على آخرها عندما دفعت اليد التي امتدت الى مسدسي . ودخلت غرفة الاجتماع .

كان محافظ معان يجلس خلف طاولة قائمقام الناحية ، بجواره جلس الزعيم نواف سعود القاضي . وكان الشيخ فيصل الجازي جالسا امام الطاولة وفي الغرفة الصغيرة اجتمع كل شيوخ عشائر الشوبك وعدد من شيوخ الجنوب .

دار حوار متوتر ٠٠ وفهمت ان هناك بعض العشائر تطلب رحيلنا من المنطقة ، ولكن عشائر الشوبك ترفض ان تطلب منا ذلك ، ولا ان يمسنا احد بسوء ٠ والمشكلة ان هذا الموقف قد يؤدي الى اقتتال العشائر ٠ عندما تحدث الشيخ فيصل الجازي حاول ان يفصل بين العيادة ومن فيها وبين وجود القواعد الفدائية فأوضحت لهم أن وجود العيادة هو نتيجة وجود الفدائيين ٠٠ ثم سألته :« لنا ثلاث سنوات في الجنوب ، هل يمكن ان تذكر خطأ واحدا ارتكبناه في حق سكانه ؟ » ٠ قال : « اشهد لله ابدا ٠٠ ولكن اخوانكم في عمان ذبحوا ولادنا » ٠ قالها باشارة من يده تدل على الذبح ٠٠

قلت على الفور : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ٠ فصاح الشيخ هارون الجازي شيخ حويطات ادرح « صدق الله العظيم ٠٠ صدق الله العظيم » ٠٠ وتمتم الحاضرون بها ٠

هدأ الجو قليلا ٠ سألت عن مصير الاخوين اللذين اعتقلا ، فأخذني الزعيم ابو عرب ( نواف القاضي ) الى غرفة اخرى حيث وجدتهما جالسين وامامهما طعام الغداء ٠ كما عرفت انه تم تفتيش المدرسة الزراعية ومنازل الاسر الفلسطينية بحثا عن السلاح ٠

اما عن القاعدة القريبة ، فعندما بلغ من فيها من الاخوة نبأ الانسحاب من الطفيلة انسحبوا باتجاه الكرك عبر الجبال تاركين وراءهم الاخ الذي رأيته في الصباح ليبلغهم بما سيجري ٠

الح المحافظ ومدير الشرطة على ضرورة مغادرة المنطقة ضمانا لامننا ، ونبهانا الى حرج عشائر الشوبك التي لا تريد الدخول في قتال ضد عشائر اخرى وبالذات ضد فيصل الجازي ٠ وفي الوقت نفسه لا تريد اخراجنا من عندها ٠ اتفقنا اخيرا أن اعلن رغبتنا في مغادرة المنطقة مؤقتا حتى نحول دون اقتتال الاخوة شاكرين لاهل الشوبك ما قدموه ، وان يعلن المحافظ من جانبه استضافتنا عنده حتى تهدأ الاحوال ونعود ، وان نخرج بكامل سلاحنا وسيارتنا العسكرية معنا ٠

عدنا الى مقر الاجتماع حيث اعلنا ما اتفقنا عليه ٠ بالطبع مانع اهل الشوبك من قبيل المجاملة والحفاظ على الكرامة ولكن كان واضحا انهم قد ارتاحوا للقرار ٠

رتب المحافظ ومدير الشرطة « موكبنا » ٠٠ عدنا الى العيادة ، ومعنا الاخوان اللذان كانا قد احتجزا من مستودع التموين ٠ حمل كل منا سلاحه ووزعنا مدير الشرطة على السيارات المسلحة بين جنود البادية وضباطها ٠ اما سيارتنا فقد قادها احد شيوخ الشوبك وجلس بجواره الاخ السائق وعلى يمينه بجوار

النافذة شيخ آخر · كما تعمد مدير الشرطة ان يعلن عن الطريق الذي سنسلكه الى معان امام الحاضرين والمتجمهرين · ودعنا بعضنا وبكينا جميعا وانطلق الموكب ·

غير ضابط القوة طريق الموكب المعلن وقال لي ـ وكنت اجلس بينه وبين سائق السيارة : « هذه هي الاوامر الحقيقية » ـ

كان مدير الشرطة يخشى الكمائن على الطريق وقد رأينا واحدا منها ينتظر عند مدخل معان الشمالي من حيث كان يتوقع وصولنا ، ولكننا دخلناها من الجنوب ·

افردت لنا قاعة كبيرة في الطابق الثاني من مبنى المحافظة امام مكتب مدير الشرطة وبجوار مكتب المحافظ · فرشت بالفرشات والبطاطين · وفيها اقمنا تسعة ايام حتى رحيلنا الى عمان يوم ١٥ـ٩ـ١٩٧٠ ·

في مساء يوم ٦/٩/١٩٧٠ زارنا في مقرنا الجديد في محافظة معان الشيخ محمد الشراري وعدد من شيوخ معان ومعهم مدير الشرطة وكانت مناسبة نشرح فيها وجهة نظرنا فيماحدث · كانوا متأثرين لاستشهاد الشباب الاربعة وانكروامرارا ان يكون اي واحد من ابناء معان قد شارك في هذا العمل · اكدنا لهم اننا نعرف الفاعل بالاسم وانه حتى لو كان من معان فليس معنى ذلك ان عشيرته او ابناء بلده يوافقونه ·

سألنا الشيخ الشراري عن السبب الذي جعل الشباب لا يطلقون النار على « المظاهرة » فقلت له : « لاننا نريد تحرير فلسطين ، ومعان مدينة هامة في الطريق اليها · ولو كنا اطلقنا النار لقتلنا على الاقل عشرين قبل ان يستشهد الشباب ، ولكننا كنا قد اقمنا بذلك عشرين حاجزا من الدم العشائري بيننا وبين اهل معان · الآن نحن لنا حق ·· نؤجله حتى تحرير فلسطين ، وقد نتنازل عنه لوجهها بعد ذلك » ·

قال واحد من الشيوخ : « سيبقى دم الشباب على رؤوسنا في معان وحق لكم ·· عار علينا وعلى اولادنا » ·

ثم استأذننا الشيوخ في دفن شهدائنا الاربعة نظرا لانقطاع طريق عمان · وافقنا شرط ان يودع كل منهم في تابوت ويكتب عليه الاسم حتى يمكن نقله فيما بعد ··

وانتهى يوم ٦/٩/١٩٧٠ ، وقد انتهى الوجود الفدائي العلني في جنوب الاردن باستثناء قوة جيش التحرير الفلسطيني ومن لحق بها المتمركزة في مدينة الكرك ·



### خاتمة بدون تفاصيل :

بقينا تسعة ايام في « ضيافة » المحافظ · كنا « معتقلين » فيما يخص التحرك ولكن كان معنا سلاحنا ، ونستقبل زوارنا ونتلقى الطعام من منازل الانصار والعشائر الصديقة ·

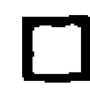
زارنا كل شيوخ العشائر التي كانت لنا بها علاقة تقريبا · استنكروا ما حدث وجددوا تأييدهم لنا ، وكان ابرز الزائرين الشيخ محمد ابو تايه الذي لم نكن قد اتصلنا به من قبل لوجود عشيرته الكبيرة شرقي الطريق الدولي في الصحراء الممتدة حتى العراق ·

تجمع معنا في القاعة عدد من الاخوة الذين خرجوا من المستشفى بعد شفائهم واثنان آخران كانا مختبئين ·

في يوم ٩/٩/١٩٧٠ عرفنا من اذاعة الثورة انه قد تقرر الدعوة الى الاضراب العام حتى اقامة حكم وطني ديموقراطي في الاردن · كان معنى ذلك ضرورة الاسراع بالوصول الى عمان قبل صدام محتوم ونحن في عزلة في معان ·

ألحينا على مدير الشرطة ان يسهل لنا ذلك قبل موعد بدء الاضراب [ ١٧/٩/١٩٧٠ ] وقد فعل · رتب لنا موكبا مسلحا ، انتقى له ضباطا وجنودا من البادية ليضمن ان يحافظ علينا خلال الطريق الدولية الطويلة المهجورة والمقطوعة الى عمان التي وصلناها في عصر يوم ١٥/٩/٧٠ ونقلنا على الفور الى مقر قيادة الكفاح المسلح ، ومنها الى مقر القيادة العامة لقوات العاصفة ، ومن ثم التحق كل منا بوحدته وقطاعه ·

اما القوة المتبقية في مدينة الكرك ، فانها قرب انتهاء احداث ايلول وتوقف القتال تركت الكرك بدون سبب واضح لي حتى الآن ، وتمركزت في وادي الموجب السحيق · وهناك شن الطيران الاردني غاراته عليهم وتم الاتفاق على انتقالهم الى عمان برعاية اللجنة العربية ·



### اعتذار ضروري

بعض التفاصيل كان من الضروري ذكره ، والكثير منها اغفل عمدا رغم تذكره ·

لم تكن ايام ايلول في جنوب الاردن ثمرة جهود افراد معينين وانما جهـود مجموعة كبيرة من الاخوة الذين لا يزال بعضهم يمارس مسؤولياته والذين قدم بعضهم حياته على الطريق في ايلول وبعد ايلول ٠

كما ان عدم ذكر مواقف واسماء اولئك الذين وقفوا الى جانب الفدائيين في جنوب الاردن دافعه الخوف عليهم فهم لا يزالون هناك ، وهم لا يزالون معنا ٠٠ لم ننقطع عنهم ولم ينقطعوا عنـا ، وبعضهم دفع الثمـن مـن راحته وحريته ورزقـه ٠

يقول « الخبراء » ان البدوي لا يحترم الا احد احمرين : الدم او الذهـب ، وتقول خبرة الثورة الفلسطينية في جنوب الاردن ان شيئا آخر يحبه البـدوي ويحترمه اكثر كثيرا من هذين الاحمرين : ذلك هو الانتمـاء الفعلـي للنـاس وللارض وللقضية ٠

حسين أبو النمل

# الاحصائيات الاسرائيلية : بيانات محذوفة ، وحقائق سياسية

تستعمل المصادر الاحصائية لاي دولة من الدول ، مجموعة من الرموز والمصطلحات ، التي ترد في الجداول المنشورة ، وفي العادة توضع معاني هذه الرموز في مقدمة السلسلة الاحصائية · والمتتبع للاحصائيات الاسرائيلية يلاحظ استعمال رمز معين الا وهو (··) ( نقطتين ) مكان بعض الارقام وذلك في الاحصائيات الخاصة بسنوات ما بعد ١٩٧٢ · بالنسبة لبعض المواضيع ، وللعام ١٩٧٥ ، بالنسبة لمواضيع اخرى ·

بالعودة لمقدمة كتاب الاحصاء السنوي سنة ١٩٧٦ اتضح ان الرمز المشار اليه يعني ( UNOBTAINABLE OR NOT FORPUBLICATION ) اي ما معناه « غير ممكن الحصول عليه او ليس للنشر · » ومن الطبيعي ان لا تكون الارقام واضحة ، ولكن من المهم ايضا معرفة عما اذا كان السبب عدم الوضوح ، او ان البيانات ليست للنشر · واذا كانت البيانات ليست للنشر ، فماذا تمثله من اهمية وهل من الممكن معرفة خلفياتها ، واسبابها ؟

علينا اولا استبعاد سبب « عدم الوضوح » ، بالذات بالنسبة للاحصائيات الاسرائيلية وهي المعروفة بدقتها ووضوحها ، وبتبويبها بشكل تفصيلي وسليم · وطالما فسر توجه بعض الباحثين نحو الدراسات الاسرائيلية بسبب توفر البيانات على عكس غيرها من المواضيع · والامر الثاني هو الفترة الزمنية ، التي بدىء بها حجب البيانات ، تحت حجة عدم الوضوح ، او ليست للنشر ، وهي الفترة التالية للعام ١٩٧٣ · والامر الثالث المجالات التي تحجب المعلومات الخاصة بها · وهي بالذات موضوعي مصادر الهجرة الاسرائيلية ، والواردات الاسرائيلية وبالاخص من بعض المناطق ، كالسوق الاوروبية المشتركة مثلا وواردات اسرائيل منها ·

ورب متساءل ، قد تكون البيانات الخاصة ببعض السنوات غير واضحة ، ومن هنا يوضع الرمز المشار اليه مكان البيانات الناقصة ؟ ومع وجاهة مثل هذا التساؤل ، ولكن

من خلال مقارنة البيانات الخاصة ببعض السنوات حسب ما وردت في السلسلات المختلفة يتضح ان بيانات خاصة بعام معين ، قد وردت بشكل كامل في السلسلة الخاصة بعام معين ، ولكن عندما وردت بيانات العام نفسه في سلسلة اخرى غيبت البيانات المشار اليها واستبدلت بالرمز المشار اليه·وعلى سبيل المثال لا الحصر، البيانات الخاصة بالهجرة للعام ١٩٧٢ ، عندما وردت في السلسلة الاحصائية الصادرة عام ١٩٧٣ وردت بشكل كامل ، سواء بالنسبة لمصادر الهجرة او ارقام الهجرة ، ولكن عندما وردت بيانات عام ١٩٧٢ في السلسلة الصادرة عام ١٩٧٤ وعام ١٩٧٥ وعام ١٩٧٦ غابت اسماء بعض مصادر وارقام الهجرة ·

بالاضافة الى ما تقدم يستعمل عادة في الاحصائيات تعبير « غير معروف » او متفرقات او « غير محددة » وذلك للاشارة الى بعض التفصيلات غير الملحة او غير معروفة المصدر· وبالاجمال فان نسبة ما يتدرج تحت مثل هذه العناوين ، يكون عادة غير مهم ، كما ، ونوعا ، ولا يشكل نسبة يعتد بها ، ويتكون في العادة من الامور التي لا يمكن تصنيفها او ليست من الاهمية بحيث تصنف · وبالنسبة للاحصائيات فقد درجت على استعمال تعبيرين خاصين بمصادر ما يرد اليها ، وهما « بلدان اخرى » و « بلدان غير مصنفة » وفي شأن صادراتها ووارداتها تستعمل تعبير « متفرقات » · وحتى العام ١٩٧٢ كان ما يدرج تحت بلدان اخرى ·· وغير مصنفة ·· ومتفرقات من بيانات ، هي تلك التفاصيل التي لا يعتد بها ولا تشكل من المجموع العام نسبة ذات قيمة · ولكن بعد ١٩٧٢ لم يعد معنى غير مصنفة وبلدان اخرى ومتفرقات يحمل المعنى التقليدي والمتعارف عليه ، اي وضع البيانات التي لا مكان آخر لها ، ولكنها اصبحت « محلا » للبيانات التي من الصعب تصنيفها لاسباب سياسية ، وليس لاسباب فنية كما هو متعارف عليه ··

ان قراءة دقيقة ومقارنة للاحصائيات الاسرائيلية لسنوات عدة ما قبل ، وما بعد ١٩٧٢ يكشف لنا اشياء كثيرة تحاول اسرائيل التستر عليها ، ليس حرصا على مصالح الاخرين، بل حرصا على مصالحها بالدرجة الاساسية · وتمس هذه المسألة قضيتين في منتهى الخطورة ، الاولى الهجرة لاسرائيل ، ومصادر الهجرة ، والثانية واردات اسرائيل · وسواء الاولى او الثانية فانها تمس اخطر عقدة تجابه اسرائيل الا وهي ندرة الموارد الاقتصادية لديها ، الموارد البشرية او غير البشرية ··

## مصادر الهجرة من بلدان اخرى

في كافة السلاسل الاحصائية الاسرائيلية تقسم مصادر الهجرة الى المناطق التالية : آسيا ، افريقيا ، اوروبا ، امريكا واوقيانيا ، غير معروفين · ويرد تحت كل منطقة الارقام الخاصة بـ ١ ـ اجمالي المهاجرين من المنطقة · ٢ ـ يفصل المهاجرون حسب الدول التي قدموا منها · ٣ ـ المهاجرون الذين لا يردون تحت اسم اية دولة يردون تحت عنوان مستقل هو « بلدان اخرى » · وفيما يلي جدول يوضح نسبة المهاجرين من بلدان اخرى حسب المناطق المختلفة منسوبين الى اجمالي المهاجرين من المنطقة المعينة وللفترة بين ١٩٤٨ ـ ١٩٧٢ حسب ما وردت في الاحصائيات الخاصة بالحقبة ما قبل ١٩٧٢ وللفترة من ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ كما وردت في الاحصائيات الخاصة بها ·

| المهاجرين من « بلدان اخرى » | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الفترة | (٦) | (٧) | (٨) | (٩) | (١٠) | (١١) | (١٢) | (١٣) | (١٤) | (١٥) |
| المنطقة | ٤٨ـ٥١ | ٥٢ـ٥٤ | ٥٥ـ٥٧ | ٥٨ـ٦٠ | ٦١ـ٦٤ | ٦٥ـ٦٨ | ٦٩ـ٧١ | ١٩٧٢ | ١٩٧٣ | ١٩٧٤ | ١٩٧٥ |
| اسيا | ٨ر١٪ | ٦ ر٨٪ | ٩ر٦٪ | ١ر٣٪ | ١ر٣٪ | ٢ر٣٪ | ٥ر١٪ | ٥ر٢٪ | ٥ر٣٦٪ | ٧ر٢٩٪ | ٢ر٣٦٪ |
| افريقيا | ٨٪ | ١٨ر٠٪ | ٣ر٠٪ | ٥ر٠٪ | ٢ر٠٪ | ٩ر٠٪ | ١٪ | ٨ر١٪ | ٦ر٧٩٪ | ٦٤٪ | ٧ر٣٩٪ |
| اوروبا | ١ر١٪ | ٧ ر٣٪ | ٩ر٠٪ | ٩ر٠٪ | ١ر١٪ | ٣٪ | ١ر٣٪ | ٩ر٠٪ | ١٠٪ | ٦ر١٥٪ | ٥ر١٧٪ |
| امیرکا واوقيانيا | ١١٪ (١٦) | ٣ ر٩٪ | ١١٪ | ١٠٪ | ١٠٪ | ٥ر٨٪ | ٢ر٨٪ | ٢ر٦٪ | ٦٪ | ٦ ٪ | ٥ر٥ ٪ |

من خلال الجدول السابق يتضح لنا طبيعة النسبة التي تشكلها « بلدان اخرى » وبالذات بالنسبة لاسيا وافريقيا واوروبا ، وفيما عدا نسبة تخص آسيا للفترة ٥٢ ـ ٥٤ وافريقيا للفترة ٤٨ ـ ٥١ فان جميع ما تبقى من النسب لم تتجاوز العشرة بالمائة وعلـــى العكــس من ذلك فان غالبية النسب كانت دون الواحد بالمائة ٠٠ وهي نسبة منطقية كونها تتنـــاول المصادر غير المهمة ٠

لكن في الاحصائيات الخاصة لفترة ما بعد ١٩٧٢ انقلب الوضع رأسا على عقب ، وتحسنت بشكل ملحوظ « بلدان اخرى » حتى بالنسبة لتلك السنوات التي كانت مشمولة باحصائيات ما قبل ١٩٧٢ والنسب الهزيلة « لدول اخرى » ٠ فنسبة ١٩٧٢ مثلا وردت مرتين ، الاولى التي كانت توضع بها الاحصائيات ضمن مقاييس ما قبل ١٩٧٢ ، والثانية حسب الاساس الذي اتبع ما بعد ١٩٧٢ ٠٠ فما هو الحجم الذي احتلته بلدان اخرى على اساس ما بعد ١٩٧٢ ٠٠

| بلدان غير مصنفة في : | سنة ١٩٧٢ على اساس ٧٢ | سنة ١٩٧٢ على اساس ٧٣ |
|---|---|---|
| اسيا | ٥ر٢٪ | ٧ر٤٨٪ |
| افريقيا | ٨ر١٪ | ١ر٧٨٪ |
| اوروبا | ٩ر٠٪ | ٩ر٧ ٪ |
| امريكا واوقيانيا | ٢ر٦٪ | ٢ر٦٪ |
| | (١٧) | (١٨) |

ولكن ما هو سر ارتفاع نسبة « دول اخرى » في اسيا من ٥ر٢٪ فقط بناء على مقاييس ١٩٧٢ الى ٧ر٤٨٪ ، لنفس العام ولكن بناء على مقاييس ١٩٧٣ ، وكذلك الامر بالنسبة لاوروبا التي ارتفعت من ٩ر٠٪ الى ٩ر٧٪ ٠

التبدل الكبير جدا في النسب ، مرده الى اختلاف معنى « دول اخرى » بين العامين ١٩٧٢ و١٩٧٣ ٠ والتي يوضحها لنا الجدول التالي والذي يتضمن « تفصيلات خاصة » بالنسبة لآسيا وافريقيا واوروبا ٠

## جدول بالدول التي تمت منها الهجرة في كل من اسيا واوروبا وافريقيا في الفترة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥

| | ١٩٦٥_١٩٦٨ | ١٩٦٩_٧١ | ١٩٧٢ احصائيات ١٩٧٢ | ١٩٧٢ احصائيات ١٩٧٣ * | ١٩٧٣ | ١٩٧٤ | ١٩٧٥ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| اجمالي اسيا | ١٥٥٢٨ | ٢٠٢٥٦ | ٢٣٦١ | ٣١٤٣ | ٢٠٢٥ | ١١٧٧ | ٩٣٦ |
| تركيا | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| سوريا ولبنان | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| العراق | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| اليمنين | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| ايران | ٥٣٢٤ | ٥٢٢١ | ٩١١ | ٩١٦ | ٧٢٥ | ٣٧٠ | ١٩٥ |
| الهند | ٥٠٠٩ | ٥١٦٠ | ٧١٠ | ٦٩٦ | ٥٦٠ | ٤٥٧ | ٤٨٨ |
| بلدان اخرى | ٤٩٨ | ٣٠٤ | ٨٦ | ١٥٣١ | ٧٤٠ | ٣٥٠ | ٢٤٣ |
| اجمالي افريقيا | ٢٨٢٧٧ | ١٩٩٣٧ | ٤٢١١ | ٢٧٦٦ | ٢٨٣٩ | ١٢١٦ | ٦٨٩ |
| مراكش | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| الجزائر | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| تونس | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| ليبيـا | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| مصر والسودان | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| جنوب افريقيا | ٨٢٩ | ١٩٥١ | ٥٢٧ | ٦٠٥ | ٥٧٧ | ٤٣٢ | ٤١٥ |
| بلدان اخرى | ٢٥٧ | ٢٠٧ | ٨٠ | ٢١٦١ | ٢٢٦٢ | ٧٨٤ | ٢٧٤ |
| اجمالي اوروبا | ٣١٢٧٥ | ٥٠٠١١ | ٤٠١٩٢ | ٣٩١٤٥ | ٤٠٤٩٢ | ٢٣١٢٦ | ١٣٤١٧ |
| الاتحاد السوفياتي | ٦٠٨٥ | ١٨٦٤٥ | ٣١٦٤٩ | ٣١٦٥٢ | ٣٣٤٧٧ | ١٦٨١٦ | ٨٥٣١ |
| بولندا | ٤٢٦٧ | ٥٧٠٧ | ١٥٢٣ | ٩٤ | ٣٦ | حذفت | حذفت |
| رومانيا | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| يوغوسلافيا | ٩٠ | ١٣٢ | ٣٤ | ١٥ | ٧ | حذفت | حذفت |
| بلغاريا | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| المانيا والنمسا | ٩٠٤ | ٢١٩١ | ٦٠٥ | ٢٣٢ | ٢٠١ | ١٨١ | ١٢٢ |
| تشيكوسلوفاكيا | ١٠٨٢ | ٧٦٨ | ٢٨٧ | ٢٠ | ١١ | حذفت | حذفت |
| هنغاريا | (٠٠) | (٠٠) | (٠٠) | حذفت | حذفت | حذفت | حذفت |
| بريطانيا | ١١٤٠ | ٤٠٥٢ | ٩١٦ | ١٠٣٠ | ٧٦٠ | ٨٢٢ | ٧٠٧ |
| هولندا | ٣١٥ | ٨٠٦ | ١٩٨ | ٢٠٠ | ١٤٦ | ١٣٤ | ١٣٠ |
| بلجيكا | ٢٠٠ | ٦٧٢ | ١٩٥ | ٢٢٤ | ١٥٤ | ١٠٩ | ٩٤ |
| فرنسا | ١٧٩٥ | ٥٠٦١ | ٨٤٨ | ٢٣٥٦ | ١٤٧٣ | ١٣٤٥ | ١٣٨٢ |
| ايطاليا | ١٩٧ | ٥٢٦ | ١٠٧ | ٢٠٦ | ١٧٣ | ٩٨ | ٩٥ |
| بلدان اخرى | ٦٦٨ | ١٥٧٢ | ٣٩٢ | ٣١١٦ | ٤٠٥٤ | ٣٦١١ | ٢٣٥٦ |
| | (١٩) | (٢٠) | (٢١) | (٢٢) | (٢٣) | (٢٤) | (٢٥) |

من الجدول السابق يتضح لنا انه قد حذفت من قائمة الدول الآسيوية سنة ١٩٧٣ ، تركيا ، سوريا ولبنان ، العراق ، اليمن الشمالي واليمن الجنوبي ، واضيفت جميعا الى « بلدان آسيوية اخرى » ولذا ارتفع نصيب « دول اسيوية اخرى » من ٨٦ مهاجر بناء على التصنيف المتبع سنة ١٩٧٢ الـى ١٥٣١ مهاجـر بناء علـى تصنيف ١٩٧٣ · ومن افريقيا حذفت جميع الدول العربية الافريقية ، المغرب ، الجزائر ، تونس ، ليبيـا ، مصر والسودان ، واضيفت لـ « بلدان اخرى » ، ولذا ارتفع نصيب بلدان اخرى من ٨٠ مهاجر اي ما يساوي ٨ر١٪ الى ٢١٦١ اي ١ر٧٨٪ ، ومن اوروبا حذفت رومانيـا وبلغاريا وهنغاريا ، ولذا ارتفع نصيب « دول اوروبية اخرى » الى ٩ر٧٪ بعد ان كان ٩ر٠٪ فقط بناء على اسس التصنيف المتبعة عام ١٩٧٢ ··· (٢٦) ·

**حذف جديد**
**يضخم نسبة دول اخرى**

ان ضم رومانيا وبلغاريا وهنغاريا الى « دول اوروبية اخرى » في العام ١٩٧٣ والذي ادى الى رفع نسبة دول اوروبية اخرى من ٩ر٠٪ الى ٩ر٧٪ استتبع بعملية حذف جديدة في العامين ١٩٧٤ و١٩٧٥ ، حيث اسقطت بولندا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، وضمت بالتالي الى « دول اوروبية اخرى » · هذا الضم ساهم برفع نسبتها مرة جديدة من ٩ر٧٪ سنة ١٩٧٢ ، و١٠٪ سنة ١٩٧٣ الى ٦ر١٠٪ سنة ١٩٧٤ و٥ر١٧٪ سنة ١٩٧٥ · الامر الذي يؤكد وجود دوافع وراء عمليات الحذف ، وليس عدم وجود هجرة بدليل تضخم نسبة « الدول الاخرى » ·

والمقابل ، وفي حين كانت نسبة الدول الآسيوية والافريقية والاوروبية الاخرى تتزايد بالنسب المشار اليها ، كان نصيب « الدول الاخرى » الخاصة بأمريكا واوقيانيا تهبط من ١١٪ للفترة ٤٨ ــ ٥١ الى ٥ر٥٪ سنة ١٩٧٥ ، محققة بذلك قدرا من الثبات النسبي طيلة الفترة بين ١٩٧٢ ــ ١٩٧٥ ، وتركزت حول النسبة المئوية ٦ · الامر الذي يؤكد وجود اعتبارات معينة وراء رفع او خفض نسبة « الدول الاخرى » ·

**اعادة توزيع مصادر الهجرة :**
**والبولنديون يصبحون فرنسيين**

لا بد من الاشارة الى ظاهرة اخرى تتكشف لنا عندما نقارن ارقام الهجرة سنة ١٩٧٢ ، على اساس تصنيف ١٩٧٢ بأرقام الهجرة للسنة نفسها ولكن على اساس تصنيف ١٩٧٣ · حيث لم تقف المسألة عند حدود حذف اسماء بلدان معينة ، واضافة مهاجريها الى مهاجري بلدان اخرى · بل ابقاء مصادر الهجرة كما هي ،ولكن مع احداث تبديلات اساسية على عدد المهاجرين من هذه البلدان ·

ورب قائل : ولكنه من الطبيعي ان تحدث تعديلات ، وطالما أظهـرت الاحصائيـات الاسرائيلية زيادة او نقصا لعام معين ، حين وروده في اكثر من سلسلة احصائية · واذ انه من الطبيعي ان تعدل الارقام في ضوء ظهور اية اخطاء ·· ان التعديلات التي تحدث غالبا ، ما تكون تعديلات طفيفة ، ولكنها لا تصل لدرجة ان تقلب الامور رأسا على عقب ·

الملاحظة الثانية ، هي ان الاحصائيات الاسرائيلية لعام معين ، تصدر عادة ، بعد ما

يزيد على عام كامل ، وهي فترة كافية لتدقيق المعلومات بشكل كاف ، الامر الذي لا يترك مجالا الا لاخطاء طفيفة ٠

الملاحظة الثالثة : من الطبيعي ، ان لا تكون مصادر جزء من الهجرة معروفة ، ولكن من الطبيعي ان تتوفر مستقبلا معلومات عن المصادر المجهولة ، وقد لا تتوفر ٠٠ لكن من غير الطبيعي ، وغير المنطقي ، وغير المعقول ان تكون بعض مصادر الهجرة ، معروفة في عام معين ، ولكن في العام التالي تصبح مجهولة ٠٠٠

في ضوء هذه الملاحظات الثلاث يهمنا الاشارة الى ان الهجرة سنة ١٩٧٢ بناء على تصنيف سنة ١٩٧٣ . وبالنسبة للهجرة من اوروبا ، قد بدلت ارقامها كليا ، ولكـــن باتجاهين مختلفين ، فقد « خفضت » الهجرة من جميع دول اوروبا الشرقية ، و « ضخمت » من جميع دول اوروبا الغربية ، وفيما يلي جدول مستخرج من الجدول السابق يوضح ذلـــك ٠

| اسم الدولة | المهاجرون سنة ١٩٧٢ على اساس تصنيف ١٩٧٢ | المهاجرون سنة١٩٧٢ على اساس تصنيف ١٩٧٣ |
|---|---|---|
| بولنـــدا | ١٥٣٣ | ٩٤ |
| يوغوسلافيا | ٣٤ | ١٥ |
| تشيكوسلوفاكيا | ٢٨٧ | ٢٠ |
| اجمالي | ١٨٥٤. | ١٢٩ |
| بريطانيا | ٩١٦ | ١٠٣٠ |
| هولندا | ١٩٨ | ٢٠٠ |
| بلجيكـــا | ١٩٥ | ٢٢٤ |
| فرنســـا | ٨٤٨ | ٢٣٥٦ |
| ايطاليـــا | ١٠٧ | ٢٠٦ |
| اجمالي | ٢٢٦٤ | ٣٨١٦ |

(٢٦)

وبالتاكيد ، فانها ليست مصادفة ، وان كانت مصادفة ، فهي ملفتة للنظر ، ان تزيد اوروبا الغربية وان تنخفض اوروبا الشرقية ، واكثر من ذلك فان تكون زيادة الاولى قريبة من نقصان الثانية ( ١٧٢٦ : ١٦٥٤ ) ٠

اضافة لما تقدم ، فان تفاصيل الزيادة والنقصان غير طبيعية ، فبالنسبة لبولندا مثلا ، هبط الرقم من ١٥٣٣ الى ٩٤ اي بنسبة تبلغ ٩٤٪ ٠ فهل هنالك من خطأ يبلغ ٩٤٪ ؟!

ولعل فرنسا قد حملت عبء الزيادة ، التي اقتطعت من بولندا فزادت من ٨٤٨ الى ٢٣٥٦ مهاجر ٠

### هجرة اليهود من البلاد العربية :

ان المشكلة ليست في كيفية تصنيف اسرائيل لمصادر الهجرة اليها ، وليس فـــي رفـــع او خفض نسبة هذه المنطقة أو تلك بل في معاني هذا التبديل وأهدافه ٠٠ فاسرائيل تحـــاول

من وراء هذا ، اخفاء اكثر منحقيقة ، وعلى رأسها ، استمرار هجرة يهود البلاد العربية اليها ، رغم الصيحات والادعاءات المستمرة عن العمل على اعادة يهود البلاد العربية الذين هاجروا الى اسرائيل · وفيما يلي جدول مستخرج من الجدول السابق يوضح حجم الهجرة من البلاد العربية ، الاسيوية منها والافريقية · وذلك للفترة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ ·

| الفترة | اجمالي المهاجرين | يهود عرب اجمالي (٢٩) | يهود عرب آسيا | يهود عرب افريقيا |
|---|---|---|---|---|
| ٦٥ ـ ٦٨ | ٨١٢٣٨ | ٣١٨٨٨ | ٤٦٩٧ | ٢٧١٩١ |
| ٦٩ ـ ٧١ | ١١٦٤٨٤ | ٢٧٢٥٠ | ٩٤٧١ | ١٧٧٧٩ |
| ١٩٧٢ (٢٧) | ٥٥٨٨٨ | ٥٢٥٨ | ١٦٥٤ | ٣٦٠٤ |
| ١٩٧٣ | ٥٤٨٨٦ | ٣٠٠٢ | ٧٤٠ | ٢٢٦٢ |
| ١٩٧٤ | ٣١٩٧٩ | ١١٣٤ | ٣٥٠ | ٧٨٤ |
| ١٩٧٥ (٢٨) | ٢٠٠٢٨ | ٥١٧ | ٢٤٣ | ٢٧٤ |
| المجموع | ٣٦٠٦٠٣ | ٦٩٠٤٩ | ١٧١٥٥ | ٥١٨٩٤ |

ان الجدول السابق يبين لنا ان المهاجرين اليهود من البلاد العربية يشكلون اكثر من ٢٥٪ من اجمالي الهجرة التي تدفقت على اسرائيل بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٢ و١٩٪ من اجمالي الهجرة للفترة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ · وكان نصيب أفريقيا العربية منها ٧٥٪ ·

### الهجرة من رومانيا

ان اسرائيل وهي تحاول عبر « تحوير » احصائياتها تضييع الحقائق التي تبينها التفاصيل بشأن هجرة يهود البلاد العربية ، تحاول ايضا ، وللسبب نفسه ان تعطي مصداقية لما قالته السلطات الرومانية والتي نقل عنها السيد ابو مازن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ما يلي « اكدت لنا السلطات الرومانية انها لا يمكن ان تقوم بتهجير اليهود من اراضيها باعتبارهم مواطنين رومان ، من غير المعقول ان نطرد مواطنا من ارضه الا اذا اعلن عن رغبته في هجر وطنه ، وفي هذه الحالة يستوي الروماني اليهودي وغير اليهودي . وقد تاكد لنا انه نتيجة لهذا الموقف فان خمسة وستين يهوديا فقط اعلنوا عن رغبتهم في الهجرة الى اسرائيل وان بعضا منهم قد سحب طلبه في وقت لاحق · » (٣٠)

كي تعطى مصداقية لتاكيد السلطات الرومانية هذا ، فقد اختفت من الاحصائيات المعدة بناء على تصنيف ١٩٧٣ ، رومانيا وهنغاريا وبلغاريا (٣١) ، ولكن هل الاختفاء كان لانه لم يعد من مهاجرين يهود من هذه البلدان؟ *واقع الامر ان المسالة كانت مجرد تحوير فقط*· لانه في حين كانت توضع البلدان المشار اليها في قائمة الدول التي تشكل مصدر الهجرة ، وحفاظا على السرية كان يوضع في الخانة الرقمية المقابلة لها الرمز المعروف ( ·· ) كانت نسبة « بلدان اخرى » لسنة ١٩٧٢ لا تشكل سوى ٩ر٠٪ . ولكن عندما حذفت *البلدان المشار* اليها تضخمت نسبة « بلدان اخرى » نسبيا من ٩ر٠٪ الى ٩ر٧٪ اي من ٣٩٢ مهاجرا الى ٣١١٦ مهاجرا (٣٢) · *وارتفعت النسبة في عام ١٩٧٣ لتبلغ ١٠٪ اي ٤٠٥٤ مهاجرا من* اصل ٤٠٤٩٢ مهاجرا ·

**واردات اسرائيل من دول « غير مصنفة » و « دول اخرى » :**

مقابل تضخم نسبة « دول اخرى » من المهاجرين ، حدث الشيء نفسه بالنسبة لواردات اسرائيل ولكن اضيف هذه المرة عنوان جديد هو « دول غير مصنفة » · والذي يرد عـادة في نهاية قائمة الدول المستوردة من اسرائيل · وبالاضافة لذلك فهنالك عنوان فرعي آخر هو « دول أخرى » والذي يوضع بعد عرض قائمة الدول المستوردة من قارة معينـــة · فهنالك دول اوروبية اخرى ودول افريقية اخرى ودول اسيوية اخرى · واذ كان من الممكـن لنا ان ننسب « دول اخرى » لقارة معينة · فمن المستحيل علينا ان ننسب دولا غير مصنفة الى اي منطقة ·· وفيما يلي جدول يوضح نسبة الدول غير المصنفة والدول الاخرى وغير المصنفة لاجمالي واردات اسرائيل :

| العام | اجمالي الواردات | الواردات من دول اخرى وغير مصنفة | نسبتها المئوية لاجمالي الواردات | واردات من دول غير مصنفة | نسبتها المئوية لاجمالي الواردات | واردات من النفط | واردات من الالماس | النسبة المئوية للنفط من اجمالي الواردات | النسبة المئوية للنفط من الواردات من دول غير مصنفة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٩٦٥ | ٢٤٤ر٨٣٢ (٣٤) | ٤٢٤ر٨٥ (٤٥) | ٢ر١٠٪ | ١٢٩ر٧٦ (٥٦) | ١ر٩٪ | ٢ر٥٢ (٦٧) | ٧٥٢ر١١٠ (٧٨) | ٢٩ر٦٪ | ٦٩٪ |
| ١٩٦٦ | ٩٤٠ر٨٣٤ (٣٥) | ١١٥ر٩٦ (٤٦) | ٥ر١١٪ | ٠٢٦ر٧١ (٥٧) | ٥ر٨٪ | ٥ر٥٨ (٦٨) | ٨٨٢ر١٢٨ (٧٩) | ٧٪ | ٨٢٪ |
| ١٩٦٧ | ٥٠ر٧٧٥ (٣٦) | ٥٧٢ر٩٢ (٤٧) | ٩ر١١٪ | ٧٣٨ر٧٢ (٥٨) | ٢ر٩٪ | ٤ر٥٥ (٦٩) | ٩٢٠ر١٢٧ (٨٠) | ١ر٧٪ | ٧٦٪ |
| ١٩٦٨ | ١٤١ر١١١٥ (٣٧) | ٠٨٠ر١١٤ (٤٨) | ٢ر١٠٪ | ٣٦٩ر٨٩ (٥٩) | ٨٪ | ٨ر٦٢ (٧٠) | ٥٥٥ر١٨٠ (٨١) | ٦ر٥٪ | ٧٠٪ |
| ١٩٦٩ | ٠٩١ر١٣١٩ (٣٨) | ٦٠١ر١٢٩ (٤٩) | ٨ر٩٪ | ٣٩٦ر٩٩ (٦٠) | ٥ر٧٪ | ٩ر٦٩ (٧١) | ٥٥٠ر٢١٠ (٨٢) | ٢ر٥٪ | ٧٠٪ |
| ١٩٧٠ | ٩٧٥ر١٤٦١ (٣٩) | ٨٣١ر١٤٦ (٥٠) | ١٠٪ | ٠١٨ر١٠٩ (٦١) | ٦ر٧٪ | ٨ر٦٩ (٧٢) | ٦١٥ر١٧٦ (٨٣) | ٧ر٤٪ | ٦٤٪ |
| ١٩٧١ | ٢٨٥ر١٨٣٣ (٤٠) | ٤١٢ر١٨٢ (٥١) | ٩ر٩٪ | ٤٥٤ر١٤٢ (٦٢) | ٧ر٧٪ | ٤ر٨٩ (٧٣) | ٥٦١ر٢٤٣ (٨٤) | ٨ر٤٪ | ٦٢٪ |
| ١٩٧٢ | ٩٨٠ر١٩٨٦ (٤١) | ٨٧٩ر١٨٨ (٥٢) | ٥ر٩٪ | ٧٧٩ر١٤٤ (٦٣) | ٢ر٧٪ | ٣ر٩٧ (٧٤) | ٩٢٠ر٢٣٦ (٨٥) | ٨ر٤ | ٦٧٪ |
| ١٩٧٣ | ٢٧٥ر٢٩٨٧ (٤٢) | ٩١٨ر٣٥٩ (٥٣) | ١٢٪ | ٢١٣ر٢٧٨ (٦٤) | ٣ر٩٪ | ٢١١ (٧٥) | ٤٨٨ (٨٦) | ٧٪ | ٧٥٪ |
| ١٩٧٤ | ٣٣٧ر٤٢١٥ (٤٣) | ٠٤٨ر٧٨٩ (٥٤) | ٧ر١٨٪ | ٧٨٣ر٧٣٩ (٦٥) | ٥ر١٧٪ | ٠٢ر٥٩٧ (٧٦) | ٤٤٣ (٨٧) | ٦ر١٤ | ٨٠٪ |
| ١٩٧٥ | ٢٥١ر٤١٧١ (٤٤) | ٨١٤ر٧٦٣ (٥٥) | ٣ر١٨٪ | ٠٨٢ر٦٩٥ (٦٦) | ٦ر١٦٪ | ٠٩ر٦٣٧ (٧٧) | ١ر٤٦٩ (٨٨) | ٢ر١٥٪ (٨٩) | ٩١٪ |

★ الواردات بالمليون دولار

ومن خلال الجدول السابق يتضح لنا الارتقاع الكبير في نصيب واردات اسرائيل مـــن « دول اخرى » و « دول غير مصنفة » ، من ٢ر١٠٪ سنة ١٩٦٥ الى ٣ر١٨٪ سنة ١٩٧٥ ، مع ذبذبة في بعض السنوات ما قبل ١٩٧٣ بحد ادنى ٥ر٩٪ وحد اقصى ٩ر١١٪ . ولكـــن فيما بعد ١٩٧٢ بدأت النسبة عملية صعود خلال سنوات ١٩٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ · ومن المهـم بهذا الصدد الاشارة الى حجم الارقام التي تنتسب اليها نسب السنوات المشار اليها · فحين تنتسب نسبة الـ ١٠٪ سنة ٦٥ لواردات تبلغ ٢٤٤ر٨٣٢ مليون دولار ، فان نسبة العـام ١٩٧٥ (٣ر١٨٪) منسوبة لاجمالي واردات يبلغ ٢٥١ر١٧١ر٤ مليار دولار · اي ما يساوي ٨١٤ر٧٦٣ مليون دولار ···

وفيما لو استبعدنا نصيب « الدول الاخرى » ، يبقى نصيب الدول « غير المصنفة » يشكل نسبة عالية ، فهي تشكل ٦ر١٦٪ من اجمالي الواردات للعام ١٩٧٥ و ٥ر١٧٪ مـــن اجمالي الواردات سنة ١٩٧٤ ·

**دقة متناهية ولكن !:**

ان هذه النسبة المرتفعة هي نسبة غير طبيعية وغير منطقية · فاسرائيل التي تورد عادة ارقاما تفصيلية جدا تبلغ حد تصنيف واردات من ايسلندا قيمتها ١٦ الف دولار فقط (٩٠) او واردات بـ ٥٩ الف دولار من نيجيريا ( ٩١ ) و٤٩ الف دولار من كوستاريكا (٩٢) من غير المنطقي ان تستورد سنة ١٩٧٥ بما قيمته ٨١٤ر٧٦٣ دولار من « دول اخرى » و « دول غير مصنفة » نصيب الدول غير المصنفة منها ٠٨٢ر٦٩٥ مليون دولار ·

بالاضافة الى ما تقدم فهنالك عدم وضوح اي تفصيلات بخصوص الدول غير المصنفة ، وعدم انتسابها الى اي من القارات التي تستورد منها هذه البضائع · وحين يقال بلـــدان امريكية اخرى او اسيوية اخرى ، كانت توضح ولو بشكل عام هوية المصادر · وكذلـــك فالاحصائيات الاسرائيلية تورد تفصيليا اسماء الدول التي تتعامل مع اسرائيل ، مهمـــا بلغت ضآلة وارداتها منها ، الامر الذي لا يترك مجالا لمثل هذه النسبة الكبيرة من الصادرات من بلدان « غير مصنفة » ، او « بلدان اخرى » · الا اذا كان هنالك اسباب اخرى لا تمت للاقتصاد او التصنيف بصلة ، وهذا ما سنحاول البحث عنه ·

بالاضافة الى كل ما تقدم تجدر الاشارة الى ان الارقام الخاصة بواردات اسرائيـل من السوق المشتركة عموما ، ومن بريطانيا والمانيا الغربية خصوصا قد حذفت من الجداول الاحصائية للعام ١٩٧٥ ووضع مكانها الرمز الشهير (٠٠) اي (غير واضح او ليس للنشر)· علما بأن هذه الاشارة قد وضعت امام السنوات ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ فقط · وتجدر الاشارة الى ان كتب الاحصائيات الخاصة بالاعوام ما قبل ١٩٧٥ كانت قد قدمت بيانات الســوق المشتركة والمانيا وبريطانيا بشكل كامل (٩٤) ·

في البداية لا بد من استبعاد سبب « عدم الوضوح » في البيانات الخاصة بواردات اسرائيل من السوق المشتركة عموما ، والمانيا وبريطانيا خصوصا ، ونحن نعلم مــــقدار الاهمية التي تعطيها اسرائيل لعلاقاتها مع هذه الاطراف الثلاث بالذات ·

**دور الحوار العربي ـ الاوروبي :**

وبالتاكيد فهنالك علاقة وثيقة جدا بين توقيت تغييب المعلومات بشأن علاقات الســـــوق الاوروبية المشتركة واسرائيل · وكون العام ١٩٧٥ هو العام الذي وقعت فيه الاتفاقية الهامة بين السوق المشتركة واسرائيل (٩٥) والتي كانت ان توقف الحوار العربي ـ الاوروبي (٩٦) والذي شهد ذروته في ذلك العام ايضا · الامر الذي يوضح الابعاد السياسية الكامنـــــة وراء سياسة تغييب المعلومات ·

ان الامر الملفت للنظر هو تغييب البيانات الخاصة بالعام ١٩٧٤ حين ورودها في كتاب الاحصائيات الخاص بالعام ١٩٧٥ ( ٩٧ ) · حيث درجت العادة ان يتضمن الكتاب الخاص بستة من السنوات بيانات بالسنة السابقة وذلك للمقارنة · وفي حين وردت البيانات كاملة في كتاب الاحصاء السنوي ١٩٧٥ ، والذي يتضمن المعلومات الخاصة بشأن العام ١٩٧٤ · دون اي حذف (٩٨) · فان البيانات الخاصة بالعام ١٩٧٤ حين وردت في كتاب الاحصائيات السنوي ١٩٧٦ كانت محذوفة ووضع مكانها الاشارة المعروفة (٠٠) الامر الذي يؤكد ان السبب ليس عدم الوضوح بدليل ان البيانات موجودة وسبق لها ان نشرت ·

الامر الملفت للنظر ان البيانات المحجوبة هي تلك البيانات الخاصة بواردات اسرائيل من السوق المشتركة · في حين قدمت البيانات الخاصة بصادراتها كاملة · علما بانه من المتعارف عليه ، ان حجة السوق المشتركة للتصدير هي اقوى من حجتها لتبرير وارداتها من اسرائيل ، لسبب اقتصادي هو ان السوق المشتركة تريد تصريف منتجاتها . ولذا من الممكن لها ان تدافع عن نفسها بالنسبة لهذه المسألة ، بينما العكس صحيح بالنسبة لوارداتها من اسرائيل ، فهذا يعني تشجيعها للمنتجات الاسرائيلية ، في حين ان زيادة صادراتها لاسرائيل تعني تشجيع الصناعة الاوروبية المحلية · ولكن رغم هذا فان العكس هو الذي حدث وحجبت البيانات الخاصة بالواردات الاسرائيلية وليس تلك الخاصة بالصادرات ، لماذا ؟ ·

**اوروبا الغربية : مصدر للمواد الخام !!**

لنحاول اعادة قراءة الارقام الخاصة بالواردات الاسرائيلية من السوق المشتركة ،وتدقيق هذه الارقام من خلال الجدول التالي ، الذي يوضح حجم ومكونات واردات اسرائيل من السوق المشتركة خلال الفترة بين ٦٥ ـ ٧٥ ·

**واردات اسرائيل من السوق المشتركة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ بملايين الدولارات**

| العام | | اجمالي واردات | مواد خام | ٪ مواد خام ★ | واردات من سوق مشتركة | نسبتها المئوية من اجمالي الواردات | مواد خام من سوق مشتركة | نسبتها المئوية للواردات من السوق المشتركة | النسبة المئوية لمواد خام من السوق المشتركة لاجمالي الواردات من المواد الخام |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٩٦٥ | (٩٩) | ٨٣٢٫٢٤٤ | ٥٧٠٫٧٧٢ | ٦٨٪ | ٣٧٢٫٤٦٦ | ٤٤٪ | ٢٥٧٫٧٧٩ | ٦٩٪ | ٤٥٪ |
| ١٩٦٦ | (١٠٠) | ٨٣٤٫٩٤٠ | ٦٠٤٫٩٠٤ | ٧٢٪ | ٣٦٣٫٧٠٢ | ٤٣٪ | ٣٦٦٫١٥٤ | ٧٣٪ | ٤٣٫٩٪ |
| ١٩٦٧ | (١٠١) | ٧٦٨٫٤٨٦ | ٥٦٥٫٢٠١ | ٧٣٫٥٪ | ٣٣٣٫٦٦٥ | ٤٣٪ | ٢٥١٫٦٩٩ | ٧٥٪ | ٤٤٫٥٪ |
| ١٩٦٨ | (١٠٢) | ١١١٥٫١ | ٧٧٣٫١ | ٦٩٫٣٪ | ٥٥٦ | ٤٩٫٨٪ | ٣٨٩٫٥ | ٧٠٪ | ٥٠٪ |
| ١٩٦٩ | (١٠٣) | ١٣١٩٫١ | ٨٦٩٫٢ | ٦٧٫٩٪ | ٦٥٠٫١ | ٤٩٫٢٪ | ٤٤٤٫٥ | ٦٨٫٣٪ | ٤٩٫٥٪ |
| ١٩٧٠ | (١٠٤) | ١٤٥١ | ٩٠٢٫٥ | ٦٢٫١٪ | ٦٨٢٫٢ | ٤٧٪ | ٤٤٧٫٦ | ٦٥٫٦٪ | ٤٩٫٦٪ |
| ١٩٧١ | (١٠٥) | ١٨٣٣٫٣ | ١١٣٦٫٢ | ٦١٫٤٪ | ٨٥٠٫٢ | ٤٦٫٣٪ | ٥٣٦٫٩ | ٦٣٫١٪ | ٤٧٫٦٪ |
| ١٩٧٢ | (١٠٦) | ١٩٨٧ | ١٢٧٣٫٥ | ٦٤٪ | ١٠٧١٫٦ | ٥٣٫٩٪ | ٦٦٥ | ٦٢٪ | ٥٢٪ |
| ١٩٧٣ | (١٠٧) | ٢٩٨٧٫٣ | ١٨٨٣٫٢ | ٦٣٪ | ١٦٠٨٫٨ | ٥٣٪ | ٩٤٨٫٧ | ٥٨٪ | ٥٪ |
| ١٩٧٤ | (١٠٨) | ٤٢٣٦٫٧ | ٣١٦٩٫١ | ٧٥٫٤٪ | ٢٠٠٠ | ٤٧٫٢٪ | ١٤١٣٫٨ | ٧٠٪ | ٤٤٪ |
| ١٩٧٥ | (١٠٩) | ٤١٧١٫٣ | ٣١٩٦ | ٧٦٫٦٪ | ١٩٣١ | ٤٦٫٣٪ | ١٣٨٧٫٦ | ٧١٪ | ٤٣٫٤٪ |

★ بالمليون دولار

من خلال الجدول السابق تتبين لنا تفاصيل هامة وغير مألوفة بشأن صادرات السوق المشتركة لاسرائيل ، فمن المعروف ان السوق المشتركة تضم الدول الصناعية المتقدمة في اوروبا ، ومن الدول الصناعية الاولى في العالم · والتي لم تعودنا الا على تصدير السلع المصنعة واستيراد المواد الخام · وهذا هو المبدأ الذي حكم علاقات الدول الصناعية المتقدمة ( اوروبا ، امريكا ، اليابان ) مع غيرها من الدول ·

الجديد هو تبدل هذا الدور رأسا على عقب في علاقة اسرائيل مع السوق المشتركة . حيث يتضح من خلال الارقام المعطاة ، والارقام المستخرجة ان السوق المشتركة هي اكبر مورد للمواد الخام لاسرائيل · وفي العام ١٩٧٥ مثلا فان ٧١٪ من صادرات السوق المشتركة لاسرائيل كانت من المواد الخام ، ولعشرة سنوات خلت ( ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ ) فان النسبة لم تقل كثيرا عن ٧٠٪ عدا العام ١٩٧٣ حيث هبطت النسبة الى ٥٨٪ ، وهو على اية حال عام شاذ في تاريخ اسرائيل الاقتصادي ، وهبوط النسبة يعني ان اسرائيل قد استوردت في ذلك العام موادا اكثر حيوية واهمية ، ولها ارتباط بالحرب · مقابل هذا فان نسبة ما تستورده اسرائيل من مواد خام من السوق المشتركة يتراوح بين ٤٢٪ و ٥٢٪ من اجمالي ما استوردته من مواد خام للسنوات ١٩٦٥ـ١٩٧٥ · الامر الذي يوضح لنا

طبيعة الصادرات الاوروبية لاسرائيل ، ناهيك عن ان النسبة العالية مما تبقى من صادرات اوروبية لاسرائيل انما هي عبارة عن سلع استثمارية ·

**اوروبا ، منتجة للمواد الخام ·· ام وسيط ؟!**

السؤال الذي يطرح ؟ من غير الطبيعي ان تكون اوروبا مصدرة للمواد الخام ، لسببين ، انها تفضل تصنيع موادها الخام ، والثاني انها مستوردة للمواد الخام ، اذا من اين لها ان تصدر لاسرائيل ؟

الواضح ان اوروبا تقوم بمهمة الوسيط بالنسبة لتوريد المواد الخام لاسرائيل ، اي انها تقوم باعادة تصدير المواد التي تستوردها · ولكن لماذا لا تستورد اسرائيل مباشرة من المصدر الاساسي ؟ هنا تأتي العقبة السياسية والتي تتكفل اوروبا بتذليلها ، حيث تلعب دور الطرف الثالث والذي هي صديق المورد المجهول والمستورد ·· وليس ضروريا ان تبحر السفينة من البلد المورد الى احدى دول السوق ويعد ذلك الى اسرائيل ، فمن الممكن ان تسجل السفينة المحملة ان وجهتها هذا البلد الاوروبي او ذاك ، وليس من احد يمكن له ان يراقبها بعد ذلك ، ومسألة الاوراق الثبوتية عن وجهة سير السفينة ، وشهادة التفريغ وغيرها ، مسائل يمكن « تظبيطها » بسهولة · وفي هذا الصدد لا بد من اعادة التذكير بأن اكثر من دولة عربية ترتبط بعلاقات واتفاقات اقتصادية مع السوق المشتركة ، وبناء على اتفاقية ياوندة (١١٠) ·

ان الحديث عن صناعة اسرائيلية ، هو حديث عن سوق المواد الخام ·· وبدون مواد خام مستوردة لا يمكن ان تستمر الصناعة الاسرائيلية نظرا لفقر فلسطين في المواد الخام ·· ولذا فان ٧٦ر٧٦٪ من واردات اسرائيل هي من المواد الخام ، اي ٣١٩٦ مليون دولار ، من اصل اجمالي واردات تبلغ ٤١٧١ر٣ مليون دولار سنة ١٩٧٥ · وبهذا تكون اوروبا قد تعهدت توفير المواد الخام لاسرائيل بعد سنة ١٩٦٥ بعد ان تعهدت بناء المصانع قبل العام المذكور ·

**الواردات من دول غير مصنفة :**

الاعتبارات التي كانت وراء تغييب المعلومات الخاصة بالهجرة الى اسرائيل وبالبيانات الخاصة بواردات اسرائيل من السوق المشتركة ، توضح لنا سر الـ ٧٦٣ر٨١١ مليون دولار الخاصة ببلدان غير مصنفة والتي هي دول مصنفة اقتصاديا ولكن ظروفا غير اقتصادية هي التي الغت تصنيفها ·

فيما لو استبعدنا الاسباب التقنية التي تكون سبب عدم التصنيف ، فلا يبقى امامنا الا البحث عن اسباب غير فنية · وهذا لن يأتي الينا الا من خلال رصد ومقارنة الظواهر الاقتصادية الاسرائيلية · ومحاولة استخلاص ما يمكن استخلاصه من نتائج ·

في البداية تستوقفنا ظاهرة هبوط واردات اسرائيل سنة ١٩٦٧ (٧٧٥ر٠٥٠ مليون) بالقياس لوارداتها سنة ١٩٦٦ ( ٨٣٤ر٩٤٠ مليون ) ب ٥٩ر٨٩٠ مليون دولار ( ١١١ ) وهو عام نافر وشاذ في كل تاريخ واردات اسرائيل · والقاعدة كانت هي في الارتفاع المضطرد بواردات اسرائيل · ( راجع الجدول ) · السبب واضح وهو ان المناطق المحتلة ١٩٦٧

وفرت فيما وفرته للاقتصاد الاسرائيلي بعض ما كانت تستورده من الخارج خصوصا النفط · ولان صعود الواردات من الدول غير المصنفة ارتبط بالسنوات ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ · وهذا يجعلنا نستبعد مسبقا ان تكون واردات اسرائيل من الالماس الخام والتي لا تورد مصادر توريدها هي سبب ارتفاع بند الدول غير المصنفة نظرا لان اسرائيل تحرص على اخفاء علاقاتها الاقتصادية مع جنوب افريقيا ·

**النفط حاضر ابدا :**

لماذا نستبعد ؟ · لانه من الطبيعي ان تكون قيمة الواردات من دول غير مصنفة مساوية او اكبر من واردات اسرائيل من الالماس · فيما لو كانت هذه الواردات هي السبب · ولكن الملاحظ ان لا علاقة نسبية بين الالماس والدول غير المصنفة ( ١١٢ ) بل على العكس من ذلك فالالماس الذي كان يتزايد المستورد منه بنسب سنوية معقولة . كانت قيمته حتى سنة ١٩٧٣ اكبر بكثير من واردات اسرائيل من دول غير مصنفة والعكس صحيح بالنسبة للسنوات ما بعد ١٩٧٣ · وعلى سبيل المثال فحين كانت نسبة الالماس سنة ٦٦ تساوي ١٩٥٪ من الواردات من دول غير مصنفة و ٢٣٤٪ سنة ١٩٧٢ ، فانها لم تشكل سوى ٥٩٪ سنة ٧٤ و٦٧٪ سنة ١٩٧٥ · الامر الذي يبين عدم تبعية العلاقة بين حجم الواردات من الالماس والواردات من دول غير مصنفة ··

وفي حين تورد اسرائيل ارقام وارداتها من الالماس الخام وصادراتها من الالماس المصقول فان الرمز الشهير ( ··· ) يحتل المكان المخصص لرقم صادرات اسرائيل من المنتجات النفطية (١١٣) فهل النفط هو السبب ؟

بالعودة للمعدلات التي تزايدت بها واردات اسرائيل من النفط ، نلاحظ ثلاثة مراحل مرت بها واردات اسرائيل من النفط ·

الاولى بين ١٩٦٥ و ١٩٧٢ ارتفعت بها واردات اسرائيل السنوية من النفط بزيادات سنوية طفيفة ، اذ ارتفعت من ٢ر٥٣ مليون دولار سنة ١٩٦٥ الى ٣ر٩٧ مليون دولار سنة ١٩٧٢ · نقول زيادة طفيفة ، اخذين بعين الاعتبار الفترة التي تبلغ ثمانية اعوام ، وارتفاع عدد السكان ونمو الاقتصاد وحاجته اكثر للطاقة ·

ـ المرحلة الثانية وتشمل السنة ١٩٧٣ وخلال عام واحد ارتفعت قيمة الواردات من ٣ر٩٧ الى ٢١١ مليون دولار اي بنسبة ٢١٦٪ ·

ـ المرحلة الثالثة وتغطي ١٩٧٤ـ١٩٧٥ ، وبها قفزت واردات اسرائيل النفطية بالقياس للعام ١٩٧٣ بـ ٢٨٢٪ للعام ١٩٧٤ ، وحققت في العام ١٩٧٥ زيادة جديدة عن العام ١٩٧٤ لكنها زيادة طفيفة حيث لم تبلغ سوى ٦٪ · وفي ذلك العام استقرت تقريبا اسعار النفط ·

المراحل الثلاث المشار اليها يمكن لنا اعتبارها مرحلتين مرحلة الزيادة العادية وتشمل السنوات ١٩٦٥ـ١٩٧٢ ، ومرحلة الزيادات غير العادية وتغطي السنوات ١٩٧٣ و ١٩٧٤ ·

هذه المراحل ، والزيادات التي حققتها تنطبق تماما على المراحل التي مرت بها واردات اسرائيل من دول غير مصنفة ·· مرحلة اولى وتشمل الفترة ١٩٦٥ـ١٩٧٢ ، ومرحلة ثانية تشمل العام ١٩٧٣ ، ومرحلة ثالثة تشمل العامين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ·

تلازم المراحل التي مرت بها واردات اسرائيل من النفط ، ووارداتها من دول غير مصنفة تبدو لنا من خلال تطابق المراحل ونسب التزايد · وفيما يلي نسبة تزايد واردات اسرائيل من النفط ومن دول غير مصنفة ·

| السنة | ١٩٦٥ | ١٩٧٢ | ١٩٧٤ | ١٩٧٣ | ١٩٧٥ |
|---|---|---|---|---|---|
| نفط ( مليون دولار ) | ٥٣ر٢ | ٩٧ر٣ | ٥٩٧ر٠٢ | ٢١١ | ٦٣٧ر٠٩ |
| النسبة المئوية للواردات من النفط في العـــام الحالي للعـــام السابق | ـ | ٪١٨٢ | ٪٢٨٢ | ٪٢١٦ | ٪١٠٦ |
| واردات غير مصنفة ( مليون دولار ) | ١٢٩ر٧٦ | ١٤٤ر٧ | ٧٢٩ر٧ | ٢٧٨ر٢ | ٦٩٥ |
| النسبة المئوية للواردات من دول غير مصنفة في العام الحالي للعام السابق | ـ | ٪١٩٠ | ٪٢٦٥ | ٪١٩٢ | ٪٩٤ |

تطابق المراحل ، وتقارب النسب ، بين واردات اسرائيل من النفط ووارداتها من دول غير مصنفة تظهر لنا اكثر حين نلاحظ الارتفاع المضطرد في نسبة واردات اسرائيل من النفـــط فيما لو اخذت بالقياس للواردات من دول غير مصنفة ، حيث ارتفعت النسبة من ٦٧٪ سنة ١٩٧٢ الى ٩١٪ سنة ١٩٧٥ · هذه النسبة المرتفعة تجعل من الممكن القول ، بان المصـــادر غير المصنفة هي المصادر التي تزود اسرائيل بالنفط ···

لما تقدم نضيف حقائق جديدة تؤكد ما تقدم ، الحقيقة الاولى تقول قـــررت الحكومـــة فرض الرقابة على نشر الانباء عن تحركات حاملات النفط من اسرائيل واليها منذ اذار سنة ١٩٧٠ ·· (١١٤) · اي ان موضوع النفط يمس الامن القومي الاسرائيلي ·

الحقية الثانية : محاولات اسرائيل ، والتي يبدو انها قد نجحت بها ، في دخـــول مجال الصناعة النفطية من خلال توسيع وانشاء معامل تكرير النفط وانشـــاء صناعـــة بتروكيماوية ودخول مجال نقل النفط وانشاء خط الانابيب بين ايلات وحيفا وبيـــن ايـــلات وعسقلان · والذي اعتمد له مبلغ ١٧ر٥ مليون جنيه استرليني في ميزانية سنة ١٩٦٨ ـ سنة ١٩٦٩ (١١٥ ) والفترة بين ٦٨ـ٦٩ و ١٩٧١ كانت كافية لانجاز الخط ، ودخول مرحلة التشغيل ··

في هذا الصدد يهمنا الاشارة الى ان القفزة في قيمة واردات اسرائيل من النفط قـــد ترافقت مع « القفزة » في اسعار النفط بعد حرب تشرين ١٩٧٣ · ولكن القفزة في قيمـــة الواردات هي في حقيقة الامر قفزتان ، الاولى سعرية وتشمل الزيادة بين ١٩٧٢ و ١٩٧٣ . والثانية كمية وتغطي زيادة ١٩٧٤ او ١٩٧٥ ·

يطرح ما تقدم ، تساؤلا جوهريا هو ، هل تحتاج اسرائيل التي يقدر استهلاكها سنـــة ١٩٦٧ بـــ ٣ر٣ مليون طن ( ١١٦ ) من النفط ، لواردات نفطيـــة بـ ٦٣٧ر٠٩ مليـــون دولار ···؟

في ضوء استهلاك اسرائيل ، وفي ضوء قيمة وارداتها ، الامر المؤكد ان اسرائيل قد دخلت مع السنوات ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ، مجال الصناعة النفطية من تكرير وتصنيع وتصدير ..

ان ما تقدم يطرح جملة من المسائل والتي تتعلق بموضوع الهجرة ، الصناعة الاسرائيلية مصادر اسرائيل من المواد الخام . والطريقة التي تتكتم بها اسرائيل حول بياناتها ، ومصادر مواردها . وطبيعة هذه المصادر كما اكدت الدراسة ، تؤكد ان المواضيع المشار اليها ليست خارج القدرة العربية على ممارسة الضغط . سواء لان بعض هذه المصادر عربية او لانها صديقة للعرب فعلا ، او لانها تحاول ان تبدو صديقة للعرب .

ان هذا الامر من الخطورة بحيث يستدعي طرحه على كافة المستويات الرسمية والشعبية. واساليب العمل لا بد وان تكون محل اعادة نظر ، وعلى كافة الاصعدة ولممارسة الضغط المطلوب . والضبط المطلوب لانفسنا اولا . لاصدقائنا ثانيا ، للباحثين عن صداقتنا ثالثا . ونحن حين نطالب ببذل الجهود ، ففي اذهاننا حجم وسعة التأثير الذي تستطيع ان تتركه حملة منظمة وهادفة ومدروسة .. ومخلصة .

**الهوامش :**

سوف نستعمل S. A. I اختصارا لـ : Statistical Abstract of Israel

١ ـ راجع S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٧٣٢ .

٢ ـ راجع S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٢٦ S. A. I سنة ١٩٧٥ ص . ١٢٦ و S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ١٢٥ و S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٧ و

٣ ـ المصدر السابق و S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٩٨ .

٤ ـ المصدر رقم و S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٢٠٠ .

٥ ـ المصدر رقم و S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ٢٠٠ .

٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٧ ـ ١٢٦ .

٧ ـ المصدر نفسه .

٨ ـ المصدر نفسه .

٩ ـ المصدر نفسه

١٠ ـ المصدر نفسه .

١١ ـ المصدر نفسه .

١٢ ـ المصدر نفسه .

١٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ص . ١٢٥ .

١٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٢٦ .

١٥ ـ المصدر نفسه .

١٦ ـ جميع النسب مستخرجة .

١٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ النسب مستخرجة .

١٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ١٢٥ ـ النسب مستخرجة .

١٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٦ ـ ١٢٧ .

٢٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص .

٢١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص . ١٢٦ ١٢٧ .

٢٢ - S. A. I سنة ١٩٧٤ ص . ١٢٥ .

٢٣ - S. A. I سنة ٧٤ ص ١٢٥

٢٤ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص . ١٢٦ .

٢٥ ـ .... المصدر نفسه .

٢٦ ـ S. A. I سنة.١٩٧٣ ص . ١٢٦ ـ ١٢٧ .

٢٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص ١٣٦ ـ ١٢٧ .

٢٨ ـ سنة ١٩٧٦ ص ١٢٥ ٠

٢٩ ـ استخرج عدد المهاجرين اليهود من البلاد العربية للسنوات ١٩٦٥ ـ ١٩٧٢ ، باستبعاد المهاجرين من جنوب افريقيا وبلدان افريقية اخرى ، وايران والهند وبلدان اسيوية اخرى ٠ واما في الفترة بعد ١٩٧٢ فلم يستبعد من اجمالي المهاجرين سوى جنوب افريقيا ، ايران الهند ، وذلك لان المهاجرين العرب اصبحوا يندرجون تحت « بلدان اخرى » وكانوا سبب التضخم ، وفي هذا الصدد ، يهمنا تسجيل تحفظين ، الاول ، هو حول احتمال ان يكون بين المهاجرين من بلدان اخرى لما بعد ١٩٧٢ ، مهاجرون غير عرب، لكن ، وبالاخص وبالاستدلال بالسنوات الماضية فان عددهم ضئيل جدا ، وعلى سبيل المثال ، فان عددهم بين ٦٥ـ٦٨ كان ٤٩٨ ، وبين ٦٩ـ٧١ ، ٣٠٤ ، وسنة ١٩٧٢ ، ٨٦ ٠ مهاجر ، اي ان ٨٩٠ مهاجر غير مصنف هاجروا طيلة سبع سنوات ، وبمتوسط سنوي يبلغ ١٢٧ مهاجر ، اي ٣٧١ مهاجر للسنوات ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ٠ وهو رقم لا يؤدي الى تغيير المعدلات والارقام المستخرجة ، اضافة لذلك فان هذا كله مجرد احتمال ٠

٣٠ ـ اسرائيل بداية ونهاية ـ تأليف ابو مازن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ٠ اصدار سنة ١٩٧٧ ٠

٣١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٠ ١٢٥ ٠

٣٢ ـ سنة ١٩٧٣ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ٠

٣٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ١٢٥ ٠

٣٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٣٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٢ ٠

٤٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٢ ٠

٤١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٢ ٠

٤٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٢ ٠

٤٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨ ٠

٤٤ ـ نفس المصدر ٠

٤٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٤٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٤٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٤٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٤٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٨ ٠

٥٠ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٨ ٠

٥١ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٨ ٠

٥٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٨ ٠

٥٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٨ ٠

٥٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ٠ ١٩٨ ٠

٥٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ٠ ١٩٨ ٠

٥٦ ـ S. A. I سنة ١٩٦٧ ص ٠ ٢٢٠ ٠

٥٧ ـ S. A. I سنة ١٩٦٧ ص ٠ ٢٢٠ ٠

٥٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٠ ٢٢٠ ٠

٥٩ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص· ٢٢٠ ·
٦٠ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص· ٢٢٠ ·
٦١ - S. A I سنة ١٩٧٣ ص· ٢٠٨ ·
٦٢ - S. A. I سنة ١٩٧٤ ص· ٢١٠ ·
٦٣ - S. A. I سنة ١٩٧٤ ص· ٢١٠ ·
٦٤ - S. A. I سنة ١٩٧٤ ص· ٢١٠ ·
٦٥ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص· ١٩٨ - ٢٠٠
٦٦ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨ - ٢٠٠
٦٧ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٥ ·
٦٨ - S. A. I سنة ١٩٦٧ ص ٢١٢ ·
٦٩ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٥ ·
٧٠ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٥ ·
٧١ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٥ ·
٧٢ - S. A. I سنة ١٩٧٣ ص ٢١٣ ·
٧٣ - S. A. I سنة ١٩٧٣ ص ٢١٣ ·
٧٤ - S. A. I سنة ١٩٧٣ ص ٢١٣ ·
٧٥ - S. A I ١٩٧٦ ص ٢٠٥ ·
٧٦ - S. A. I ١٩٧٦ ص ٢٠٥ ·
٧٧ - S. A. I ١٩٧١ ص · ٢٠٥ ·
٧٨ - S. A. I سنة ١٩٦٧ ص ٢١٤ ·
٧٩ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٤ ·
٨٠ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٤ ·
٨١ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٤ ·
٨٢ - S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢١٤ ·
٨٣ - S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٥ ·
٨٤ - S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٥ ·
٨٥ - S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢٠٥ ·
٨٦ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ٢٠٥ ·
٨٧ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ٢٠٥ ·
٨٨ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ٢٠٥ ·
٨٩ - جميع النسب مستخرجة ·
٩٠ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨_٢٠٠ ·
٩١ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨_٢٠٠ ·
٩٢ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٨_٢٠٠ ·
٩٣ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٩ ·
٩٤ - على سبيل المثال S. A. I سنة ١٩٧٤ و S. A. I سنة ١٩٧٣ و سنة ١٩٧٠ ·
٩٥ - لمزيد من التفاصيل راجع شؤون فلسطينية ، عدد (٤٤) ، حول « ابعاد الاتفاقية الاخيرة بين السوق الاوروبية المشتركة واسرائيل » ص · ص ·
٩٦ - لمزيد من التفاصيل راجع شؤون فلسطينية عدد ( ٤٨ ) ، على هامش الحوار العربي - الاوروبي ·· اوروبا الغربية والعرب واسرائيل » · ص ص ·
٩٧ - S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ٢٠٦ _ ٢٠٧ ·
٩٨ - S. A. I سنة ١٩٧٥ ص ٢٠٦ _ ٢٠٧ ·

٩٩ ـ S. A. I سنة ١٩٦٧ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ·

١٠٠ ـ S. A. I سنة ١٩٦٨ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ·

١٠١ ـ S. A. I سنة ١٩٦٨ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ·

١٠٢ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ·

١٠٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٠ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ·

١٠٤ ـ S. A. I سنة ١٩٧١ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ·

١٠٥ ـ S. A. I سنة ١٩٧٣ ص ٢١٥ ـ ٢١٦ ·

١٠٦ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ·

١٠٧ ـ S. A. I سنة ١٩٧٤ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ·

١٠٨ ـ S. A. I سنة ١٩٧٥ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ·

١٠٩ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ·

× جميع النسب مستخرجة ·

١١٠ ـ اتفاقية « ياوندة » ، هي الاتفاقية التي وقعت سنة ١٩٦٣ ، بين السوق الاوروبية المشتركة والمستعمرات السابقة لدول السوق الاوروبية المشتركة · وبناء على هذه الاتفاقية رفعت الحواجز الجمركية بين دول السوق المشتركة ودول اتفاقية ياوندة · وبناء على هذه الاتفاقية اعطيت السلع المصنعة والمصدرة من دول السوق الاوروبية افضلية الدخول لدول السوق · وكذلك فقد اعطيت الدول المرتبطة بالسوق بناء على اتفاقية ياوندة ، اولوية تصدير المواد الاولية لدول السوق ـ · وبرغم التكافؤ الظاهري في التعامل ، فاتفاقية ياوندة ، نموذج من عقد استعماري جديد بين دول متخلفة ودول متقدمة ·

١١١ ـ يلاحظ اختلاف الارقام المعطاة لبعض السنوات من مصدر احصائي لاخر· ولكن التغير هو في حدود طفيفة والفروق لا يعتد بها ، وعلى سبيل المثال ، واردات اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، فقد وردت في بعض المصادر ، على انها ٧٧٥ مليون دولار وفي مصدر اخر ٧٦٨ر٤٨٦ مليون دولار اي بفارق يبلغ اقل من ٧ مليون دولار ·

١١٢ ـ راجع الجدول على ص ١١٠ الاستشهادات رقم ٧٨ـ٨٨ ·

١١٣ ـ S. A. I سنة ١٩٧٦ ص ١٩٢ ـ ص · ١٩٧ ·

١١٤ ـ نشر نص القرار في الجريدة الرسمية ، مجموعة النشرات ، رقم ١٦١١، ١٩ـ٣ـ١٩٧٠ ، ص· ١٥٩ ذكرها صبري جريس في « الحريات الديمقراطية في اسرائيل » مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت سنة ١٩٧١ ، الطبعة الاولى ص· ٨١ ·

١١٥ ـ الدكتور عاطف سليمان ، « اسرائيل والنفط » ، « مركز الابحاث » ، بيروت سنة ١٩٦٨ ، ص ٩٥ ·

١١٦ ـ المصدر السابق ص ١١٤ ·

# شهادات

أ. بـابـا سـيدي

## يهــود مغــاربــة

لا نستطيع ان ندفع عنا شعورا بالحزن الممض ونحن نعاين اليوم مدى تقلص الوجود اليهودي ، لدرجة التلاشي ، في المغرب · ذلك ان العشائر اليهودية الكبيرة في طنجة والصويرة وفاس ، ومراكش والرباط ، اصبح عددها لا يتجاوز عشرات الاشخاص بعد ان كان يحسب بالآلاف في الامس القريب · والذين يصادفهم الزائر في معظم الاحيان ، هم شيوخ اشبه بالظلال الهاربة ، لهم طابع كاريكاتوري احيانا ، ويقدمون شهادة مؤلمة على حضور يصعب انتزاعه من التراب المغربي · لقد غابت الحياة اليهودية بنزوح الشباب وبهجرتهم المكثفة · ولتدعيم هذا الانطباع ، يكفي ان نذكر بأنه لم يعد هناك سوى ثلاثين الف يهودي بعد أن كان عددهم ٣٥٠ ألف نسمة · ومعنى ذلك أنهم أقلية جد ضئيلة وسط ١٨ مليون من سكان المغرب ·

هل يتحتم ، في مثل هذه الشروط ، أن نعتبر بأن الصفحة قد طويت نهائيا وبأن الوجه اليهودي المغربي ينتسب ، منذ الان ، الى التاريخ والى عالم النسيان ؟

اذا كان الامس على ما صورناه ، فما هي الحظوظ التي يمكن اعطاؤها لحركة العودة التي بدأت اليوم بين المغاربة اليهود النازحين ، والتي تعمل اوساط مغربية واسعة على تشجيعها بما في ذلك الحكومة نفسها ؟

ان هذا التساؤل المزدوج ، يقودنا في الواقع ، الى صياغة لعبة معقدة من الاسئلة العديدة النابعة من آفاق جد متباينة · وموضع التساؤل قبل كل شيء ، هو الشخصية اليهودية المغربية وما يتصل بامتلاء تمثيلها الملموس ، وبالكثافة المادية لكينونتها · أليس وجود هذه الشخصية ، المفصولة عن جذورها الحقيقية ، مهددا بأن يختزل الى مجرد هلوسة ورغبة نوستالجية ؟ ان اليهود المغاربة ، سواء كانوا في اسرائيل او في كندا او في فرنسا ، فانهم يعبرون عن حنين قوي الى وطنهم · وهو وضع منفى يعيشونه بدرجات مختلفة من الانبهام ، في مجموع تفاصيل الحياة اليومية ، بعيدا عن كل موقف مسنود

ثقافيا او مبرر سياسيا · والتحسر على الماضي ما هو الا امارة رد فعل من جانب الشخصية ، وعلامة منذرة بموت محتمل · وفي هذا الاطار ، نفهم دلالة مبادرة السلطات الاسرائيلية التي عمدت مؤخرا الى تنظيم تظاهرات مختلفة احتفالا وحفاظا على تقاليد وفولكلور اليهود الشرقيين ، ظانة انها تستطيع بذلك ان تسجنهم في ثنايا ماض مجيد · وهي محاولة بدون جدوى ، لان الشخصية اليهودية المغربية ، هنا او هناك ، لا يمكن ان تعثر على ذاتها من خلال الاعتراف السكوني بهوية قد يحيلها التآكل الى غبار متناثر كالحلم والوهم · ذلك ان حقيقة هذه الشخصية لا تكمن في اتباع طريقة رشيدة وعالمة ذات نوايا حسنة ، كما انها ليست فقاعة او مظهرا سطحيا لايديولوجية ظرفية · ان شيئا عجيبا قد حدث في أعماق لم تخطر ببال ، ولا يزال يحدث ، مواجها التحدي الصهيوني · ومن ثم فان الستراتيجيات الكلاسيكية لطرائق التناول ، قد اصبحت ادوات مشلولة ومن غير فعالية · ذلك انّ المؤقت يسيطر على النهائي · والماضي لم يعد مجرد ذاكرة محافظة ، بل هو قبل كل شيء ، قوة للتحطيم ولاخصاب المستقبل · لكن ، لكي نتفهم جيدا المعنى الذي نتوخاه من هذه الدراسة ، سيكون من الضروري ان نرسم منظورا سريعا للطريق التي قطعها اليهود المغاربة ، وان نسجل المعالم الاساسية فيها ·

عقب الحرب العالمية الثانية ، تدفقت الصهيونية كأنها موج متلاطم ، لتغمر اليهود أينما كانوا · وبالنسبة للمغرب الذي نتخذه مثالا لدراستنا ، فان العديد من سكانه اليهود الذين تعود جذورهم الى الاف السنين ، مثل سكان قرى الاطلس الكبير ، قد انتزعوا من مسقط رأسهم ، تاركين كل ما يملكون ، متخلين عن مهنهم وعن جميع الاشياء المكونة لحياتهم · ولحد الان ، فان الغموض ما يزال قائما امام عرامة هذه الحركة التهجيرية التي تستعصي اكثر اجزائها ، على كل تأويل عقلاني ، خاصة وانه لم يكن هناك اي خطر حقيقي عاجل او آجل يهدد وجود اليهود المغاربة ، حتى في أشد الظروف حلكة عندما اعلن عن تأسيس دولة اسرائيل ، وباستطاعة اليهود الذين عاشوا تلك السنوات واستمروا يعيشون بالمغرب ، أن يدلوا بشهادتهم على ما نقول · انه لشرف للشعب المغربي أن حافظ على برودة دمه ، ولم يرد في اية لحظة على الاستفزاز الدائم للنشاط الصهيوني · وقد حاولت دعاية كاذبة انْ تثبت عكس ما قلناه ، وسننصف الحقيقة فيما بعد ·

لماذا ، اذن ، تلك الهجرة الواسعة ولو أنها امتدت على عدة سنوات ؟ لماذا هذه المأساة الصامتة ، السرية ، تحت تأثير رقابة ملتحمة بالايديولوجية الصهيونية ؟ مأساة كادت ان تمحو ، والى الابد ، الحضور اليهودي من على أرض المغرب ، ولا تزال الى اليوم تنتصب عائقا أمام حظوظ ميلاد جديد لحضور اليهود المغاربة · ·

في اي مكان ، عندما يهاجر يهودي اختيارا او قسرا ، يختلف آليا وجود العداء للسامية · وهذه ، حسب الرأي المتداول ، حقيقة بديهية ومسلمة ذات قيمة كونية لا تستدعي أي تدليل حتى تقبل على انها صحيحة · وكون التاريخ عرف اضطهادات مأساوية كان اليهود ضحيتها ، وعرف حركات استئصال وابادة كما كان الحال في المانيا الهتلرية ، فان احدا لا يفكر في نكران تلك الوقائع او التشكيك فيها · الا ان الفضيحة تبدأ عندما يلجأ البعض ، استنادا على ما كان صحيحا في شروط تاريخية محددة ، الى الخلط والى تحويرات ايديولوجية وضعية يمررونها منّ وراء هذا القناع · فاذا لم يكن هناك خطر مميت وراء رحيل اليهود المغاربة ، فانهم يستحضرون مع ذلك ، صورة اللاسامية في أشكالها الاكثر تباينا مما يجعلنا نضعها في خانة غيوم التاريخ ·

والنية الواضحة وراء هذا التفكير ، هي تبرير وجود دولة اسرائيل وتبرير سياستها التوسعية والامبريالية ، عن طريق حملة تريد التدليل على انه ، خلافا للرأي الشائع المقبول ، فان اليهود لم يجدوا قط في العالم العربي ، أرضا صديقة ، كما انهم لن يستطيعوا أبدا ان يعتبروا جزءا لا ينفصل عن الشعوب العربية التي استوطنوها . ونحن ندرك هنا أن هذه الحجة تشكل عنصرا حاسما في الستراتيجية الصهيونية ورهانا على جانب كبير من الاهمية . وقد تولى البير ميمي الاضطلاع بهذا العمل الفريد جاعلا من نفسه ضمير العصور الحديثة ، مغرقا في الادعاء والصلف . مما يجعله لا يستحق أكثر من هزة كتف ، لولا ... فلنناقش موقفه اذن . في مقدمة كتابه : « يهود وعرب » كتب يقول :

« اكتشف في نفسي الان ، ان شهادتنا ، نحن اليهود المولودين في البلدان العربية ، لم تجد ، عمليا ، آذانا صاغية » . وبالامكان أن نسأله عمن كلفه بأن يتحدث باسم مئات الالاف من اليهود العرب . لنتابع ، مع ذلك ، رأيه : « الا ان هذه الشهادة هي مع ذلك شهادة اساسية » . يا له من تواضع جم يدشن به ميمي حربه الصليبية التي يريد من ورائها التدليل « على ان الحياة المثالية لليهود في الاقطار العربية ما هي الا اسطورة » . وتبلغ هذه الشهادة اوجها حينما يصطنع هذه اللهجة المؤثرة :

« صحيح أن العرب تعرضوا للاستعمار ، ولكن ماذا نقول اذن عن انفسنا نحن ! ألم نعش طوال قرون مستعبدين ، مهانين مهددين ، ومعرضين للمجازر في فترات منتظمة ؟ من جانب من ؟ ألم يحن الوقت ليسمع الناس كلمتنا في هذا الموضوع : من جانب العرب المسلمين » . امام ضخامة هذا الافتراء المقصود ، نفهم كون الصمت أضحى مستحيلا ، والفضيحة لا تقف عند مستوى الزعم والادعاء ، بل تتمثل ايضا وخاصة في الاحكام المستترة التي يستتبعها مثل هذا الحكم .

ان نية البير ميمي ، رغم تسترها ، لا تدع مجالا للشك ، فهو عندما يصرخ مطالبا بكشف الحقيقة عن اليهود العرب ، بينما تركز الاهتمام ، لحد الان ، على مصير يهود اوروبا الوسطى ، يرمي من وراء ذلك الى اقامة تواز بين الوضعيتين . الا يقول في نفس الكتاب :

« ومنازلنا أيضا ، لا منازل ( اليهود ) الالمان والبولونيين فحسب ، قد اقتلعت وحطمت وتشتتت ... » ، انه يريد بهذا القول ان يقيم توازيا بين وضعية اليهود العرب حتى اذا سلمنا لحظة بأنها مطابقة لما وصفه ميمي ، وبين التأسيس المنهجي والمقصود ، لمخيمات الابادة الهتلرية التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا .

ان اي بلد عربي لم يعرف ، على غرار ألمانيا الهتلرية ، مثل هذه السياسة الابادية التي تحولت الى مؤسسة للدولة تكون أحد أسس ومبررات وجود النظام النازي ، ونحن نتحدى البير ميمي ان يبرهن على عكس ما نقول . وليست محاولة دحض تهمة بدون أساس عن العرب هي التي يجب ان تثير الغضب .. فالايحاء ، عن طريق الزعم ، بامكانية عقد المقارنة بين شيئين لا تصح المقارنة بينهما ، يشكل سبة في حق ذكرى الضحايا ، كما يشكل تسامحا ضمنيا مع النازيين لانهم ، حسب منطق ميمي ، ليسوا الوحيدين الذين ارتكبوا جرائم باسم لا سامية كونية . قد يدعي صاحب « تمثال الملح » بانه قصد الى الحديث عن وضعية اليهود العرب فقط ، ولكن هذه التجزئة هي التي توحي

بسياق كامل يصعب معه خداعنا ولا يجعلنا نصدق براءة الكاتب ٠

ولا يفوتنا أن نسجل بأن مما يدخل في منطق الدولة الصهيونية ، اللجوء الى تغيير مركز القضايا ومحاولة تقديم العالم العربي على انه العدو الاساسي ملقية وراء ظهرها بالشهادات القوية لتاريخ حديث ٠

لكن لنكمل مناقشتنا لاهم حجج وأفكار ميمي ٠ يقول عن المغرب : « وفي نفس هذا المغرب ، سنة ١٩٠٧ ، وقعت مذبحة كبيرة ليهود الدار البيضاء مع ما يصاحبها عادة من انتهاكات ، ومن اختطاف النساء في الجبال ، وحرق مئات المنازل والدكاكين ٠ وفي ١٩١٢ وقعت مجزرة كبيرة في فاس ، وفي ١٩٤٨ في وجدة وفي مدن اخرى ٠٠٠ »

من أي مورد استقى هذه الاحداث ؟ وما هي البراهين التي تدعم مزاعمه ؟ لا شيء ٠ انه يلقي بتأكيداته وكأنها حقيقة لا يجادل فيها ، ولا يمكن ان تبدو كذلك وبالذات ، الا لكونه تجنب كل تدليل او تحليل ٠ على ان طريقة التحوير والتزييف هنا ، صارخة يسهل فضحها ٠ فالامر يتعلق عند الكاتب في كل مرة ، بأن يعزل الحدث عن سياقه وان يقدمه وكأنه فريد ثم يضفي عليه دلالة لا يتوفر عليها مطلقا ٠ اولا وأساسا ، نجد ان كفاح الشعب المغربي ضد النظام الاستعماري هو السياق الذي تندرج فيه الاحداث التي اشار اليها ميمي ، وهو السياق الذي يمكن ان يوضح دلالتها الحقيقية ٠ ففي سنة ١٩٠٧ كان الامر يتعلق بقضية ميناء الدار البيضاء ابان بداية الاشغال الاولى لبنائه ٠ ذلك ان الفرق العسكرية الفرنسية ، متعللة بالاضطرابات المثارة من طرف عملاء الامبريالية ، احتلت الميناء بعد ان سبق احتلال وجدة وبركانت وفكيك ٠ وحاولت قبائل الشاوية بدون جدوى ان تلقي بالمحتل الى البحر وذلك بمهاجمة الدار البيضاء التي لم تكن آنذاك سوى مدينة صغيرة ٠ سيكون من المحتمل ان بعض الضحايا من اليهود قد سقطت في هذه الاحداث ، لكنهم لم يكونوا وحدهم الضحايا ٠ انهم لم يكونوا مطلقا المقصودين بالهجوم ٠

وفي سنة ١٩١٢ ، نشبت الاحداث المؤلمة المتصلة بتوقيع معاهدة الحماية الفرنسية ٠ وهي أحداث جد معروفة لا تحتاج الى تحليل ٠ وهذه الاضطرابات الدامية شملت البلاد كلها وخلفت ضحايا يعدون بالالاف بين صفوف الوطنيين المغاربة الذين هبوا لمقاومة الغزو الأستعماري ، غير أن ميمي لا يتحدث عن ذلك ، وهو اهمال من جانبه ، لانه لا يريد ان يبرز سوى حالة اليهود الذين كانوا ايضا ضحايا لهذه الاحداث ٠ ( يورد الباحو ايلون في احصائية تاريخية بعنوان « اليهود في افريقيا الشمالية » ، نشرت سنة ١٩٧٥ بالقدس تحت رعاية قسم الشبيبة الاسرائيلية ، عدد الضحايا ويقدرهم بمائة شخص ) ٠

ان مثل هذا الموقف يقدم أحسن دليل على عنصرية ميمي ، كما يوضح تزييفه المكشوف الرامي الى تجنب الحدث البارز للغزو الاستعماري ، والى تحميل الشعب المغربي مسؤولية وضعية كان هو أول ضحاياها ٠٠

اما عن احداث ١٩٤٨ ، فاننا نؤكد بكيفية جازمة ، لكوننا عشنا وتتبعنا عن قرب هذه الفترة السياسية بالمغرب ، انه باستثناء حوادث وجدة وهي ليست خطيرة ، لم يقع شيء ٠٠ في حين انه منذ ذلك التاريخ أخذت دولة اسرائيل تشوه كثيرا العلاقات بين

المسلمين واليهود · يكفينا هذا القدر من « الحقائق » لنحكم على صفات الموضوعية والاستقامة الثقافية لمن يزعم بأنه « مؤرخ يهودي شرقي » ، مضطلع بكشف النقاب عن « مأساة يهود الاقطار العربية » ، وهو الذي يجسر على ان يكتب : « واذا ما استثنينا محارق الجثث ، فان مجموع ضحايا المذابح الروسية والبولونية والالمانية ، لا يتجاوز في الغالب مجموع ضحايا المذابح الصغيرة المتعاقبة التي تعرض لها اليهود في الاقطار العربية » · انها قمة الخزي المتستر وراء الموضوعية الظاهرة للارقام · ونصفه بالخزي لاكثر من سبب ، لانه يقتبس طريقة احصاء الضحايا مثلما فعل النازيون في مخيمات الابادة ، ليقيم بها وضعية مختلفة في كل اجزائها ·

لا فائدة من الاستمرار في مناقشة ميمي ، وقد آن الاوان لنقطع الصلة مع نموذج الفكر الكلي القسري المميز لكل ايديولوجية ، والذي رأينا مثلا منه فيما عرضنا من أفكار ميمي · ان الانغلاق داخل وضعية مانوية ، وعدم قبول اي شيء اخر بالنسبة لليهود المغاربة خاصة ، سوى الخيار بين جهنم وعدن ، يوضح طريقة التفكير الخاصة بالفكر التعميمي المولد للاستلاب وبالتالي للخطأ · وهي لا تستطيع ان تقود الى الحقيقة أكثر مما تستطيعه الطريق الوسطى المصنوعة من الحل الوسط ومن النسبة الملائمة · ان كل مفهومية متوخية بكيفية تعسفية للكليات ، تقودها حركتها الخاصة الى نكران ما هو اخر غير مختزل ، وما هو نوعي في مغايرته وفي حقيقته ، وذلك لكون الفكر الكلي يعتمد على المطابقة وعلى اختزال الاشياء الى الهوية · وقد رأينا نموذجا لذلك عندما حاول البير ميمي أن ينكر وضعية متعددة مرتبة حسب تاريخية متقطعة ، وذلك عن طريق مجرد تأكيده لوجود نزعة لاسامية أصبحت اداة فعالة على المستوى العالمي ·

ما هي حظوظنا ، اذن ، في الافلات من شباك هذا الاغراء وتجنب هذا المنحدر القدري للتفكير الكلي القسري ؟ ألا توجد طرق اخرى نسلكها ، تساعدنا على الالتقاء باليهودي المغربي ، وعلى الاحاطة بالشخصيات الملموسة المعبرة عن حضوره ؟ لنعد الان الى الماضي والى التاريخ · انه لا يكفي أن نفضح رؤية سلبية ، مغلوطة قدمت لخدمة دعاية معينة ، بل من الضروري ان نستحضر شهادة التاريخ وان نتأكد من ثقل حضوره · ان هجرة اليهود المغاربة قد خلفت فراغا محزنا · ولا تكاد الاجيال المغربية الجديدة بما فيها الشبيبة اليهودية ، تعرف شيئا عن الماضي الذي يشكل جزءا لا ينفصل عن تاريخ الامة المغربية · ومن هنا يبرز خطر رجحان الفكرة القائلة بأن الاقلية اليهودية لم تكن سوى حدث عارض في الصيرورة التاريخية وبأن مآلها الى زوال ·

لكن ما هي العناصر التي نتوفر عليها اذا اردنا الوقوف في وجه هذا الخطر ، ونفي التشويه الذي يلصق بتاريخ المغرب ؟

اننا نعرف الصعوبات الكبيرة التي يصادفها مشروع كتابة تاريخ أقطار المغرب كتابة متحررة من الرؤية التي فرضتها الاسطوغرافيا الاجنبية · وقد تعرض لذلك عبدالله العروي في محاولته التركيبية : « تاريخ أقطار المغرب » · الا أننا نأسف كثيرا لكون العروي لم يتحدث عن اليهود المغاربة رغم انهم كانوا على صلة وثيقة بتاريخ المغرب منذ أقدم الفترات · ان هناك مواد اولية متصلة بهذا الموضوع ، وهي متباينة ومشتتة بسبب الحوافز الكامنة وراء الدراسات المختلفة التي نصادفها في هذا المجال · وينوب للمؤرخين القيام باحصاء هذه المصادر وبالتثبت من صلاحيتها · وبامكاننا ، من غير أن نضر بالبحث العلمي الذي ينتظر الانجاز ، أن نسوق بعض المعلومات عن تاريخ

اليهود المغاربة اذا كنا نريد الخروج عن الصمت المجحف في حقهم من جميع وجهات النظر ·

ان تعلق اليهود المغاربة بأصلهم ، واستيقاظ الوعي السياسي قد ساعدا على ازدهار الدراسات التاريخية المختلفة المتصلة بهذا الموضوع في اسرائيل · ويمكن ان نذكر من بين هؤلاء الباحثين دافيد كورس المتوفر على شخصية أصيلة · انه من مدينة الصويرة المغربية ، حصل على تكوينه التاريخي خارج الجامعة ، ونذر نفسه للدفاع عن الحقيقة فيما يتصل بالوضعية اليهودية المغربية · واليه يعود فضل نشر تاريخ اليهود المغاربة باللغة الانجليزية ، واعمال اخرى اكسبته صيتا في بريطانيا والولايات المتحدة · نشير ايضا الى كتاب « اليهود في افريقيا الشمالية » لايلياحو أيلون المنشور سنة ١٩٧٥ بالقدس ، ومن مزاياه انه جمع عددا كبيرا من الاحداث التي تظهر الى أي حد امتزج تاريخ اليهود المغاربة بتاريخ البلاد كلها منذ أقدم فترة يمكن الرجوع اليها · وعلى سبيل المثال ، ومع تحفظنا بانتظار التأكد من صحة الوقائع ، نسوق من هذا الكتاب بعض العناصر التي يمكن ان تصلح كمعالم : يعود الوجود اليهودي في المغرب الى فترة دخول الفينيقيين لافريقيا الشمالية · وبعد تأسيس قرطاجة ، تطور سوق الذهب القرطاجي وساهم اليهود في ذلك · ومن القرن الخامس الى القرن الثالث قبل الميلاد ، كانت منطقة ايران Irane هي مكان استقرار اليهود · ومجموع تاريخ افريقيا الرومانية بصراعاتها واحداثها ، تشهد على هذا الحضور · وحسب نفس الكتاب ، فان نقوشا على شواهد القبور ، عثر عليها في الاطلال الرومانية ، تقدم لنا أول كتابة نقشية تبرهن على الوجود اليهودي في المغرب ؛ وهذه الكتابة موضوعة باللغة العبرية في مدينة وليلي ، وباليونانية في مدينة سلا · كذلك ، فان ابن خلدون في كتابه تاريخ البربر ، وكتابات تيرتيليان Tertulien ( ١٥٥ ـ ٢٢٠ ) والقديس أوغسطين بعد ذلك بقرن ، كلهم أثبتوا وجود اليهودية ( العبرانية ) منذ تلك الفترة · ان اليهودي البربري المنحدر من قبائل الاطلس الكبير او من منطقة سوس ، قد حافظ الى الان على خصائص تميزه بسهولة عن اليهودي النازح الى المغرب عقب الاضطهادات التي مارستها محاكم التفتيش في اسبانيا · وهي خصائص فيزيقية وثقافية معا ، فاللغة التي يتكلمها هي البربرية · وقد نشر حائيم زفراني نص « الهاكادا » ( صلاة تتلى مساء عيد الفصح اليهودي ) منقولا من البربرية الى حروف عبرية · وايضا فان اسماء الاعلام تفيدنا كثيرا في هذه النقطة ، اذ نجد اسماء أسر ، مثل أفريات ، وافرغان ، ذات أصل بربري · واذا كنا نسجل هذه الخصوصيات ، فاننا لا نقصد من وراء ذلك مطلقا السير في ركاب سياسة استعمارية معروفة تهدف بواسطة اشخاص مدسوسين ، الى استدامة معارضات تؤيد فكرة كون الغزو العربي للمغرب كان مصيبة أصابت اليهود البرابرة كما اصابت اليهود الذين جاءوا بعدهم ·

والواقع ان استحضارنا لهذا الماضي ، وابرازنا للاثر العميق الذي خلفه الى اليوم ، يستجيبان لغرض اساسي يحتل الصدارة عندنا ، وهو ابعاد الشكوك والالتباسات التي اوجدها تاريخ السنوات الاخيرة وخاصة التيار الصهيوني · وهي شكوك والتباسات كثيرا ما تعاش في شكل تمزق واستلاب · والذي يغذي هذا الاحساس المعقد ويحفز ويغري في نفسي الان تبرير عدد من القرارات الاساسية ، هو فكرة كون اليهود في وضع خارجي بالنسبة للواقع الوطني المغربي ، وبأنهم يشكلون اضافة اجنبية بدون

جذور حقيقية ، ولا تعدو ان تكون في نهاية الامر نوعا من الحثالة يتحتم على التاريخ ان يبيدها ٠

وأمام هذا الوعي اليهودي المغربي المتناقض والشقي ، الذي كثيرا ما يعاد توظيفه في حديث ايديولوجي يخون قضيته ، سيبدو خفيف الوزن استحضارنا لماض تاريخي معرض لاعادة نظر جدالية ٠ ان هذا الوعي اليهودي المغربي المنغلق ، في حدود معينة ، أمام النظام الخارجي للتاريخية وللعقلانية السياسية والايديولوجية ، لا تمكن مساءلته من خارج ذاته ٠ وعندما يكون حاضرا بكليته ، فانه لا يقدم اية فجوة يمكن ان تتسلل منها اشارة ما ، تكشف عنه في صورة غير التي يتقدم بها ٠ وانطلاقا من هـذا المنظور، يمكن ان نحاول القيام بتناول مبرز للتناقضات التي تطبع الوعي اليهودي المغربي ٠ فالصفة المغربية التي يعيشها ذلك الوعي ويطالب بها في أشكال جد متباينة ، سرعان ما يرفضها اذا ما حددت موضوعيا وظهر ان الخصوصية الروحية اليهودية مهددة بسبب ذلك ولو بكيفية جد غامضة ٠ وعلى العكس ، فان هذه الهوية الروحية اليهودية لا يمكنها ان تتخلى من تلقاء نفسها عن المغايرة التي تشكلها والتي تتأكد في الوجه الاصيل لليهودية المغربية ٠

هذا هو السياق الذي أتاح للصهيونية ان تستوطن وان تتناسل كخلية سرطانية ، ومن ثم وجهت ضربتها القوية التي قل نظيرها في التاريخ ، وهي مصادرة القيم الاساسية اليهودية لصالح الايديولوجية الصهيونية ٠ ان الايديولوجية الصهيونية ليست ايديولوجية مكتوبة ، بمعنى ان رجوعها الى كتب مذهبية جد محدود لكي لا نقول منعدم ٠ والكتابات السياسية الظرفية ، مثل كتاب تيودور هرتزل ، لا تشكل قاعدة نظرية يمكن اتخاذها كمرجع ٠ وهذا عنصر ضعف وعنصر قوة في نفس الوقت : فالحديث الصهيوني لا يوجد في أي مكان ، وهو موجود في كل مكان ٠ انه متعدد الاشكال ، متنافر ، وطفيلي ٠

طفيلي لانه يتغذى بالتقليد الروحي اليهودي ، ويزعم انه وجد في التوراة مثلا ، تبريره النظري والوجودي ٠ انه خطاب يتجول بين فضاء الاسطورة والروحية وبين فضاء النظام السياسي ونظام الدولة ٠ والادعاء الذي يخلق الالتباس ويسند وجوده ، يرمي الى الجمع بين الفضاء الاول والثاني ، والى التلويح بأن المسيحية قريبة مـــن ملامسة الارض ٠

ان الصهيونية كايديولوجية للرجعية وللحقد ، حسب المعنى الذي يعطيه نيتشه لهذه الكلمة ، تزعم بأنها تمثل الوجه الاصيل الوحيد لليهودية ، والكلمة الحق الوحيدة التي يمكن ان تصدر عنها ٠ ومن ثم الضرورة الاكيدة عندها في محو المغايرة التي تشكل أصالة بل وكينونة اليهودية المغربية والشرقية ٠ وبعد استعمال كل هذه الالتباسات ، حاولت الصهيونية في الاخير ، ان تلجأ الى منطقة القدس لتبعد كل نقد مهما كانت طبيعته ٠ وهكذا فان كل يهودي يرفض الاندماج في الصهيونية ، يعتبر خارجا عـن الدين ويصنف على أنه معاد للسامية ٠ لكن حقيقة دولة اسرائيل سرعان ما كذبت ادعاءات هذا الحديث المنمق العجيب ٠ لقد كتبنا في مطلع هذا المقال بأن شيئا لم يخطر على بال قد حدث ولا يزال يحدث في اعماق المجتمع الاسرائيلي ، فكيف نصف مسلسل هذا التغيير الذي تتأكد علاماته يوما بعد يوم ؟ وما هو الثقل الذي يمكن ان يمارسه ليحول سياسة الاوساط القائدة في الكيان الاسرائيلي ؟

من الصعب الاجابة على هذا السؤال · ونحن لا نتوخى في هذا المقال القيام بمثل هذا التحليل السياسي · الا اننا مع ذلك ، نتوفر على عناصر كافية لتقييم كثافة هـــذه التحولات التي تتهيأ في العقول ، وداخل المجتمع الاسرائيلي وخارجه · ووسط العشائر اليهودية التي أعربت في أقطار مختلفة وباستمرار ، عن انتمائها الى الصهيونية · وكل ما يجري ، كأنما هو انعكاس لمرآة متعددة ، حيث الحقائق انقاسية للحياة السياسية الأسرائيلية ، تعكس لليهود الشرقيين ، وبخاصة أولئك الذين نزحوا من المغرب ، صورة هويتهم رغم جميع المحاولات التي بذلت لتشويهها واخفائها · وتعتبر قضية وادي الصليب بداية الفتـرة الاساسية لليقظـة السياسية لليهود الشرقيين · ذلك انهم ، في سنـة ١٩٥٩ ، تظاهروا ضد البؤس والتمييز العنصري خاصة في وادي الصليب وهو الحي الذي يعيش فيه خمسة الاف يهودي من شمال افريقيا ومن المغرب خاصة ، في شروط مزرية · ( اننا نأخذ هذه المعلومات من تصريحات دافيد بن هروش التي نشرت في ملف الفهود السود بمجلة « أقليات » Minorités ، العدد الاول ، فبراير ١٩٧٦ ) · وفي ذلك اليوم ، يوم الاربعاء ٨ تموز ١٩٥٩ ، سقط اليهودي المغربي اقريف عقيبة تحت رصاص البوليس قتيلا ، وحوصر وادي الصليب من طرف « حرس الحدود » ، واتهم اتحاد يهود افريقيا الشمالية وسجن قادته · لقد مرت السنوات ، ويمكن الاعتقاد بأن الزمن قد محا ذكرى هذه الحادثة ، غير ان ميلاد حركة الفهود السود يكفي وحده للتدليل على العكس · لكن هناك ما هو اكثر ، هناك القيمة الرمزية والنموذجية لهـذا الحادث التي لا يمكن محوها · لنتخيل لحظة تلك الحقيقة الرهيبة التي انبثقت أمام العينين الجريحتين لاقريف عقيبة ، وذلك الحلم الذي تهاوى وسط الدم · الحلم الصوفي الذي كان يتغذى بالكلمة القديمة : « السنة القادمة في القدس » والذي كان يشكل الملجأ الروحي لليهودية الشرقية بدون ان يرتسم المشروع السياسي قط في افقه ·· هذا الحلم، اذن ، ضرب بدوره ضربة قاضية · تبين للجميع ان يهوديا يمكن ان يقتله يهودي اخر ، وان القمع والاضطهاد يمكن ان يكونا يهوديين ، وان السلطة ، رغم انها تمارس من طرف أشخاص يهود ، فانها لا تكف عن أن تظل سلطة · هناك ، اذن ، عنصرية يهودية ليست موجهة هذه المرة ضد الاجنبي ، بل ضد اليهودي الشرقي باعتباره ينتمي الى عرق مختلف عن عرق اوروبا الوسطى او « الاشكيناز » · ·وهناك لاسامية يهودية مؤسسية· قد يقال ، سذاجة أن تكتشفوا اخيرا ما كان مكتوبا في دستور دولة اسرائيل منـــذ تأسيسها · بدون شك · لكن ، سذاجة اكثر خطورة ايضا ان نستمر في عدم رؤية هذه الحقيقة ، هنا وفي الخارج ، وهي ان التسميم الايديولوجي ، والتهديد بالخطر الخارجي ينيخان بثقل حاسم ويعوقان وعي الجوهر العنصري للحركة الصهيونية ·

ان وادي الصليب يشكل احدى علامات ظهور وضعية ملتصقة بطبيعة دولة اسرائيل ذاتها · وهذا ما يتيح لنا ان نجعل منها حادثة نموذجية وأن نستخلص منها نتائج مشروعة ·

هناك اعتباران يستحقان التسجيل في هذا الصدد · ان تحليل واقع الدولة الاسرائيلية لا يمكن تجنبه باسم منظور اخلاقي او روحي · واذا كان هناك مجال لا يمكن ان تستبعد منه السياسة والايديولوجية ، فهو مجال الدولة ، ولو كان مغمورا ـ كما هو حال اسرائيل ـ برغبة قديمة ، ومدثرا بدثار الاستشهاد ، فالهروب هنا لم يعد ممكنا بعد ان انكشفت الحقائق ·

والاعتبار الثاني ، هو استحالة تجنب وضع الصهيونية موضع التساؤل لان بنيتها الاصلية تتكرر من خلال بنية دولة اسرائيل التي ، في النهاية ، تتعدى الاولى وتغير وجهها ومعناها حسب المسار الذي يقود من المشروع الى الانجاز .

ان الصهيونية التي ولدت في الشروط النوعية لاقفاص اوروبا الوسطى ، قد ورثت عن جذورها محددات يمكن اليوم التعرف على جزء كبير منها في مظاهر تعبيرها الايديولوجي . وقد لاحظ ذلك ايلي المالح عندما كتب : « ان المعضلات الاجتماعية والسياسية التي تواجهها دولة اسرائيل ، غير منفصلة عن أسس الصهيونية كما عرفت وسادت منذ تأسيس اسرائيل . وهذه الصهيونية المحدودة عند المفاهيم السياسية للقرن التاسع عشر ، قد ألغت من مشروعها البعد الشرقي ( اليهودي والعربي ) ، لانها تعتمد على مفهوم يعقوبي للسلطة ، وعلى رؤية تاريخية متمركزة حول اوروبا ، وعلى تحديد ترابي فقط للحق » ( دراسة نشرها بصحيفة لوموند الدبلوماسي ، ديسمبر ١٩٧٥ ) .

ونجد موني يكيم يؤكد نفس الشيء خلال الندوة الصحفية التي نظمها الفهود السود لاسرائيل ، بباريس في شهر مارس ١٩٧٥ : « ان الصهيونية كحركة سياسية ، قد توسعت في اواخر القرن الماضي ودعمت أسسها اعتمادا على الوضعية ذات الخصوصية الكبيرة للعشيرة اليهودية في اوروبا » .

هذه الاحكام على الصهيونية تتوزع وتتأكد من خلال عدد كبير من الاحداث والاعمال السياسية والمواقف المتباينة . ذلك ان الصهيونية قد قدمت نفسها ، منذ الوهلة الاولى على انها قومية يهودية ، مما جعلها مطبوعة منذ ميلادها بالتباس مثقل بالعواقب . وقد كانت مطالبتها بالارض تتم حسب خط ملتو ، مليء بالتشابكات وبالرجوع الى الوراء الى محو الخطوات الاولى . فأحيانا يتعلق الامر بمكان للهروب من الاضطهاد ، وأحيانا — وهذا هو التمفصل الاساسي — يرتكز المشروع على العودة الى الارض الموعودة وعلى تكوين دولة في فلسطين . هكذا ترتبط الصهيونية ارتباطا مزدوجا بسياق تاريخي محدد . والتاريخ بالنسبة لها يسير وفق الطريقة المزدوجة للشهوة وللواقع . وهذا هو مصدر الجدلية المليئة بالتناقضات التي تعتمل في داخلها ولن تتأخر عن الانفجار . ان الصهيونية لكي تبرر مطالبها الترابية ، تستحضر التاريخ ، لكنها تخفي كونها ظرفية ليس لها من واقع موضوعي سوى الرغبة للحفاظ على الهوية الروحية اليهودية الا انها تنتهي عبر الوقائع ، الى نكران وجود فلسطين ووجود الفلسطينيين . ان الصهيونية تريد ان تقدم نفسها كأنها الكلمة الوحيدة والمبعوث النبوي لشعب يهودي وامة يهودية بالرغم من وجود الدياسبورا . لكن ، ما هي حقيقة الامر في الواقع ؟ نجد ان اليهود الاشكيناز ( الغربيين ) هم مؤسسو الصهيونية . وهذا ظرف تاريخي كان بالامكان ان يؤدي الى احداث قليلة ، ففي داخل الديانة اليهودية ، لم يكن اليهود الشرقيون واليهود الغربيون يشكلون فرقا متنازعة ولم يدخلوا قط في صراعات بقصد فرض هيمنة ما . لذلك فان مسؤولية الصراع القائم بين اليهود الاشكيناز السفارديم الان ، في المجتمع الاسرائيلي ، تعود بدون شك الى زعامة اليهود الغربيين . وكون الحديث الاسرائيلي لا يزال يتكلم الى يومنا هذا ، عن الاشكناز والسفاراديم والشرقي ، والاجناس المفصولة ، هو دليل ساطع على انه يحمل في ثناياه بذور التمييز العرقي والعنصري . لكن علينا الا نستبق الاحداث . سأنقل اليكم تصريحا جد هام بالنسبة للموضوع الذي نعالجه . خلال المؤتمر الصهيوني الثامن الذي انعقد بمدينة بال سنة ١٩٠٧ ، صرح الدكتور ماركوز ايهرنبريس.

الحاخام الاكبر لبلغاريا وأحد اوائل انصار هيرتزل : « ماذا تم خلال السنوات العشر الاخيرة ، لنقرب منا ذلك الجزء الهام من الشعب اليهودي ، ولنكسبه الى جانب فكرة التحرير القومي العظيمة ؟ لا شيء ! فالسكان السفاراديم في الشرق يجهلون كل شيء عن الصهيونية · الا ان من واجبنا أن نولي كل عنايتنا لهذه الجماعة من اليهود ، وذلك لسببين اثنين : خلال تطور اللغة والطقوس اليهودية الشرقية ، انحفرت هوة بين اليهودية الغربية وبين اليهودية الشرقية ··· والشغل الشاغل لحركة قومية مثل الصهيونية يتحتم ان يكون هو توحيد تلك الاجزاء المتفرقة من جسدنا ، وليس ذلك من اجل المصلحة السياسية للصهيونية فحسب ، وانما من اجل مصلحة اعمق هي ادراك الوعي القومي اليهودي » ·

ما يمكن ان نقرأه بين سطور هذا التصريح ، وبوضوح ، هو ان جماعة اليهود الغربيين تعطي لنفسها وضعية امتيازية وتبنيها على مشروع قومي خاص ، لا يشاطرهم اياه جميع اليهود · ونلاحظ ، في هذا الصدد ، انزلاقا حاسما بالنسبة للمستقبل ، ذلك ان الديانة اليهودية ، منذ الان ، ستحكم على نفسها حسب مقاييس سياسية ·

على ان ما كان يتراءى في مختلف تعبيرات الحركة الصهيونية ، سرعان ما تجسد بتضاريس واضحة في الواقع السياسي الاسرائيلي · والادلة على ذلك متعددة ، نكتفي منها بهذا التصريح البالغ الدلالة :

« ماذا يجب ان يكون هدف « تجمع المنفيين » ؟ ليس فقط احضار اليهود الشرقيين الى ارض اسرائيل ، بل ان يرجع لهم كذلك قيمتهم الاولى الاصلية · وهذا ينطبق على جميع فئات الشعب المشتتة ــ لسوء حظهم من جانب القدر ــ بين شعوب ذات مستوى ادنى · وكل يهودي يعتقد اننا غير قادرين على النجاح في تطهير اخواننا الشرقيين من وصمة الاستشراق التي لحقت بهم رغما عنهم ، سيكون مسؤولا عن ذلك امام الله · والمسألة تبعث على القلق الكبير ··· كيف نستطيع ان نرفعهم الى المستوى الغربي لليهود ··· » ( من كتاب : « R. Patai : « Israel between East and West » )

انطلاقا من اسطورة الوحدة الاصلية للشعب ، في معناها الحرفي هذه المرة ، تلجأ الصهيونية الاشكينازية ذات التمثيلية ، الى القيام بقطيعة شبه اخروية : فهناك اليهودي الطاهر ، الاشكيناز ، المكلف برسالة فدائية ، ثم من جهة ثانية ، اليهودي السافارادي، المتهاوي ، المشرف على فقدان يهوديته اذا لم يطهر من الوصمة الشرقية · وهذه التفرقة القائمة داخل الديانة اليهودية نفسها توضح ان الصعيد الديني لا يمكن ان ينغلق على نفسه وانه معرض لاتخاذ مواقف توجد حوافزها في المجالين السياسي والايديولوجي · في هذه الحال ، فان المغايرة الدينية لا ترتكز على اختلاف في التاويل ، بل على مقاييس قيمة ستكشف لنا اصلها ·

مرة اخرى نضع ايدينا على مظهر العمل الاستلابي الذي تمارسه الصهيونية داخل الديانة اليهودية · وانطلاقا من موقف محدد ، تحدده الجماعة الصهيونية الحاكمة ، يبعد أناس آخرون ، يهود ، ويوصف السكان الذين يأتون منه بانهم « شعوب وضيعة ذات مستوى وضيع » ·

اننا لسنا سذجا حتى نعتقد بأن ديانة ما ، كيفما كانت ، يمكن ان تحافظ على نفسها

ظاهرة ومنغلقة امام كل تأثير سياسي او ايديولوجي · لكن ما يهمنا قبل كل شيء ، هو ان نبين انه ، عندما نمحص حديث الدولة الاسرائيلية تتبدى لنا بسرعة كبيرة كخلفية للكلمة الروحية ، اللغة القاسية للسلطة · ذلك ان الاستعمار والعنصرية ليسا بضاعتين خاصتين بالاستعمال الخارجي · وليس هذا التأكيد من اختراعنا ، يكفينا هذه المرة أيضا ، ان نترك الكلمة للاسرائيليين انفسهم ، لنقتنع بصحة هذا القول · كتب صحفي اسرائيلي هو اري جيلبيوم مقالا نشره سنة ١٩٤٩ جاء فيه : « مسألة جادة ومهددة طرحتها هجرة افريقيا الشمالية وهي هجرة عرق لم نعرفه بعد في هذه البلاد (اسرائيل)· اننا امام شعب بلغت بدائيته القمة ، فمستواهم التربوي يقترب من الجهل المطلق . وعجزهم عن تناول اي موضوع ثقافي اخطر مما نتصور · ان يهود شمال افريقيا خاضعون تماما لاهواء بدائية ومتوحشة ··· في الاحياء الافريقية ( باسرائيل ) ستجدون الوساخة والمقامرة بلعبة الورق ، والعربدة والفسق · وكثيرون منهم يشكون من امراض خطيرة في العيون والجلد والامراض التناسلية بدون ان نذكر اللاأخلاقية والسرقة · لا شيء في امان مع هذا العنصر الاجتماعي ، وليس هناك قفل باب يستطيع ان يقاوم مفاتيحهم » ·

ان اليهود المغاربة الذين خدعتهم السياسة الادماجية للحماية ، يستطيعون اخيرا ان يكتشفوا معنى الاستعمار · فالمغاربة على الاخص ، يعتبرون في اسرائيل محرضين ، خطرين وخالي الذهن من كل معرفة ثقافية ·وقد اصبح « المغربي ذو السكين Morroco - Sakin » نمطا شعبيا في اسرائيل · يقول رفائيل باتاي في هذا الصدد : « ان اليهود الغربيين في اسرائيل يتخذون تجاه اليهود الشرقيين نفس الموقف العام الذي كان يتخذه الاوروبيون المتنورون في علائقهم مع « المولودين » الاستعماريين عندما التقوا اول مرة بشعوب ما وراء البحار ، ذات الثقافات والقيم الاجتماعية المختلفة » ·

هذا الموقف التمييزي المحتقر ، وصفه احد ممثلي العشيرة اليهودية الشرقية في القدس ، بأنه « استئصال ثقافي » · وهو موقف يتبلور بالذات حول مشكلة اللغة · ذلك ان ( اليديش ) وليست العبرية ، هي التي يعتبرها الكثيرون لغة الدين اليهودي لدرجة ان وزيرا اسرائيليا سابقا قال : « كل من لا يتكلم اليديش ليس يهوديا حقيقيا او كاملا » · على ان مختلف المؤتمرات الصهيونية ، وخاصة في بداية الحركة ، قد عرفت صعوبات كبيرة فيما يرجع للتواصل وبالاخص عند اليهود الشرقيين الذين ، مثلما هو الحال بالنسبة للمغاربة ، يجهلون اللغة اليديشية ، ويتحدثون العربية · ان يهود الاقطار الاسلامية ، المحتقرين في ثقافتهم وفي اصالة حياتهم الدينية ، يشكلون في الجوهر ، فئة البروليتاريا باسرائيل مع ما ينتج عن ذلك من عواقب : استغلال ، تفاوت على كل الاصعدة ، شروط حياتية مزرية · وان الدخل العائلي حسب القارة الاصلية وفترة الهجرة ، يتيح لنا تدقيق هذا التفاوت وما يستتبعه من فروق · ففي سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ، كان الدخل لعائلة من اصل افريقي ـ آسيوي يمثل ٦٨٪ من دخل عائلة اصلها اوروبي او امريكي · ولا داعي لسرد احصائيات اخرى ستكون جميعها مدينة للنظام الصهيوني · لنختتم هذه النقطة بما كتبه ايلي المالح قائلا :

« نلاحظ ليس فقط ان الاوالية الكلاسيكية للحديث القمعي تختزل المهانين الى رجال مشبوهين بلا جدارة لتبرر بذلك ابقاءهم على حالتهم ، بل نلاحظ على الاخص فداحة

الامارات الدالة على موقف عنصري ينفي كل ما هو شرقي ( يهوديا كان او عربيا ) خارج النسق الاسرائيلي ، وذلك عن طريق اقامة علاقة داخلية بين الاصل العرقي وبين الموقف المطلبي » . ويضيف الكاتب فيما بعد : « هم اذن ، داخل اسرائيل بمثابة يهود اليهود : دائما على خطأ ، ومهما فعلوا فان افعالهم لا تزيد على ان تؤكد ، في اعين الضمير الطيب اليهودي الاوروبي ، وضعيتهم الدنيا . وعن طريق تزحلق للمعنى ، خاص بالمجتمعات العنصرية او الاقطاعية فان « الدونية الاجتماعية تعتبر دونية داخلية » ( نفس المقال المشار اليه سابقا ) ..

هناك عدة استنتاجات يمكن استخلاصها من هذا التحليل السريع . وفيطليعة ذلك ، ما نحاول اظهاره : وهو ليس فقط تأكيد الشخصية اليهودية التي تسمى خطأ بالشرقية ، بل اكتشافها . فأمام النكران العنيف من جانب الدولة الاسرائيلية ، والشكوك المتولدة من الهجرة والمذكاة من طرف الايديولوجية الصهيونية ، نجد انّ الهوية اليهودية السيفارادية ( الشرقية ) قد تأكدت بقوة ومعها تأكدت ، ولو بدرجة أقل وضوحا ، الثقافة التي تحملها وتغذيها : اي ثقافة العالم العربي . ان هذا الوعي يتأكد قبل كل شيء على الصعيد الديني والروحي . نكتشف ان يهودية الاقطار الاسلامية ليست ديانة بدائية ولا ديانة منبوذين ومسترقين حسب الرؤية الصهيونية ، بل هي تعبير عن ارقى الروحيات. وقد شهد بذلك الدكتور ايروين روزنتال المستشرق والمؤرخ ، عندما كتب يقول : « باستثناء عهد التلمود ، لم تكن هناك ، بلا أدنى شك ، فترة اكثر ابداعا وايجابية في تاريخنا الطويل المليء بالمرتفعات والمنخفضات ، من الفترة التي وصلت فيها الامبراطورية الاسلامية الى البحر المتوسط والى المحيط الهندي » .

وفيما يتعلق خاصة بالمغرب وتونس ، فاننا نسجل في اواخر القرن العاشر الميلادي مثلا ، ازدهارا استثنائيا في مجال تجويد النصوص التشريعية الحلقية والتلمودية التي تطورت في افريقيا الشمالية . وكان مركز الدراسات التلمودية الممتاز يوجد في القيروان ويليه مركز مدينة فاس ، والى جانبهما مراكز سبتة ومكناس ودرعة ، وسجلماسة ، وأغمات ، وتلمسان وغفصة . كذلك ازدهرت الدراسات اللغوية بشكل لم يتقدم له نظير وكان من نتائج ذلك وضع النحو العبري ، واللسانيات المقارنة . ( عن كتاب اليهود في افريقيا الشمالية ، سبق ذكره ) . وكان يهودا ابن قريش من تاهرت هو الذي قدم ، في رسالة بعثها الى عشيرة فاس ، نظرة اجمالية عن اللسانيات المقارنة . وكان الشاعر اليهودي المغربي دوناش ابن لبرات يعرف العبرية والعربية ، ويتمتع شعره بأصالة تتمثل في صياغته على طريقة الشعر العربي . وتذكر ايضا اسحاق الفاسي (١٠١٣ ـ ١١٠٣) الذي نقل من القيروان الى فاس المركز اليهودي للتشريع وهو في اوج ازدهاره . ان مجموع تاريخ المغرب وافريقيا الشمالية يشهد على هذه الحياة الثقافية والروحية الكثيفة والتي لا يمكن ان نعتبر الفيلسوف ميمونيد هو نموذجها الوحيد كما يظن البعض .

لكن ، اذا كان لم يعد بالامكان مناهضة الهوية اليهودية الشرقية على الصعيد الروحي ، واذا كانت خصوبة التقائها بالاسلام وبمجموع الحضارة العربية أصبحت واضحة اكثر فاكثر ، فان جميع المعضلات لم تحل بعد ، فاذا كانت هذه الهوية مطلوبة بصوت مرتفع داخل اسرائيل وخارجها على السواء ، فان ذلك لا يتخذ شكل مشروع وحيد ، واضح وصريح . علينا ان نحترز من الاعتقاد بأن هذا الوعي قادر على تكوين حركة متجانسة ذات اهداف محددة خاصة على الصعيد السياسي . نكون أقرب الى

الحقيقة ، اذا اعتبرناه نقطة اتفاق بالنسبة لحركة فكرية ولاراء معقدة ومتباينة · ان هذا الوعي يسجل بدون شك ، بالنسبة لدولة اسرائيل وبالنسبة لجميع الذين يشاطرون الصهيونية معتقداتها ، قطيعة مع الماضي ، واعلانا عن آفاق جديدة · وطبيعي ان كل شيء يدور حول المسألة الحاسمة المتصلة بالاعتراف بالشعب الفلسطيني وبحقوقه في الاستقلال القومي · وما حاولناه في الصفحات السابقة ، هو اظهار كون اليهودي والعربي مرتبطين ارتباطا وثيقا داخل نطاق مغايرتهما نفسها · انهما يمثلان « الآخر » تجاه النظام الالغائي للدولة الاسرائيلية التي تمارس ، في نهاية الامر ، وظيفة استلابية ازاء جميع اليهود سواء كانوا شرقيين او غربيين · وبعيدا عن الاسباب الايديولوجية ، والحسابات السياسية الخاطئة ، واذا سلمنا جدلا بأن هناك معنى اليوم للمطالبة بالرسالة العرقية للشعب اليهودي ، فانه لا يمكن ان نكون يهودا وان ننكر في نفس الوقت ، وجود الفلسطيني · ان جميع الذين حافظوا – وهم كثر – على الحضور الصامت لاصلهم اليهودي ، يشعرون ربما لاول مرة في حياتهم ، بأنهم يهود ، وذلك بقدر ما يرفض ضميرهم المجروح ، قتل الفلسطيني · وبدون هذا الاحساس ، يتحتم علينا ان نعترف باننا لسنا شعبا ساميا ، وباننا لا نقتسم ميراث ابناء سام ، وبأن ارض اسرائيل هي دولة اسرائيل ·· فيكون في ذلك خراب اصالة الكلمة الروحية ·

يقدم الينا ايلي الباشار ، مؤسس ونائب رئيس فدرالية اليهود الشرقيين ، شهادة هامة عن هذا الاحتياج الذي ظهر لدى وعي اليهود الشرقيين ، فقد اوضح في مقال نشره بمجلة اقليات « Minorités » ، انتماء اسرائيل الى الشرق الادنى ، ووحدة الاسرة الكبيرة للشعوب السامية ، تلك الاسرة التي ينتمي اليها اليهود والعرب على السواء · ومن ثم تعرض لضرورة الاعتراف « بوجود شعب فلسطيني متوفر على كيان خاص » · وهذا اعلان يدل على تغير في العقول ، الا انه لا يزال ضئيلا تجاه الايديولوجية السائدة · غير ان الحقيقة تعرف كيف تشق طريقها مهما كان الثمن ، من خلال العقبات التي تبدو لاول وهلة صعبة التجاوز · ويمكن تلخيص هذه الحقيقة في العبارة الممتازة التي كتبها ايلي المالح : « حق اسرائيل في الوجود ، مقترن بالاعتراف بالهوية السيفارادية وبالهوية الفلسطينية ، وباحترامهما » ·

بعبارة اخرى ، وبصفة عامة ، فانه اذا كانت سياسة الاوساط القيادية الاسرائيلية توضع موضع التساؤل الان ، فان الفضل في ذلك يعود ، بدون شك ، الى ذلك الوعي الذي تبلور وسط العشائر اليهودية الشرقية · وما حركة الفهود السود سوى احدى علاماته الخارجية · ومهما يكن مستقبل هذه الحركة ، فاليها تعود جدارة الكشف عن الوضعية التي فرضت على اليهود الشرقيين ، وطرح مشكلة تحول البنيات السياسية لدولة اسرائيل ، واظهار كون الكيان الاسرائيلي يعتمد في استمراره على الحرب ·

غير ان الامر بالنسبة لنا ، وهنا تبدو كل تعقيدات المعضلة ، لا يتعلق بالبقاء سجناء في فضاء تحدده الحوادث المقترنة بهذا الوعي السيفارادي وبرأي اليهود الشرقيين في مستقبل المجتمع الاسرائيلي · ذلك ان الرهن الصهيوني قد اضر ولا يزال بمستقبلنا نحن اليهود المغاربة · وطوال المدة التي كان فيها نسق التفكير الصهيوني يقدم الينا خاليا من الثغرات ، وكانت قوة ايديولوجيته تمارس تأثيرها بدون رد ، لم يكن هناك اي امل يتراءى لنا في الافق لتغيير مجرى تطور الامور · وبالنسبة لجميع الذين لم يكفوا ، من بيننا ، عن المطالبة بانتمائهم الى الامة المغربية ، وترجموا هذه الارادة من

خلال كفاحهم في سبيل الاستقلال ، فان هذه الوضعية كانت تعاش بكيفية ماساوية · لم يكن كافيا ان نحدد انفسنا بالسلب تجاه الصهيونية ، وان نقول اننا مغاربة مخاطرين بالتخلي عن تلك المغايرة التي تشكل اصالة تجربتنا الوجودية نفسها : ان نكون يهودا وجزءا لا ينفصل عن بلاد اسلامية · لكننا اليوم ـ وهذا ما نحرص على التنبه اليه ـ نلاحظ ان الحديث الصهيوني الكلي قد بدأ يتبعثر ويتفتت بعد ان مر بتجربة الدولة ، فغدت تناقضاته واكاذيبه ومسلسلاته الاستلابية ، وطبيعته التضليلية ، تزداد وضوحا يوما بعد يوم · ومن ثم فان التوحيد ، بواسطة عنف هذا الحديث الصهيوني ، بين اليهودي والاسرائيلي ، وبين اليهودي والصهيوني ، يمكن ان يرفض اليوم وان تكون لهذا الرفض ، حظوظ في النجاح · على ان هذا الرفض لم يعد يقتصر على موقف احتجاجي · انه يتجسد في الاحداث . وهنا نلتقي بمشكلة العودة · لقد طرح قانون العودة داخل اسرائيل، وهو يرمي الى منح كل يهودي اصبح اسرائيليا ، حق مغادرة اسرائيل ليعود الى بلاده الاصلية · ومن جانب البلدان العربية ، مثل المغرب مثلا ، فان حركة العودة تحظى رسميا بالتشجيع · الا ان الخطأ سيكون فادحا اذا اعتبرنا هذه العودة مجرد حركة آلية · ذلك ان الالتقاء من جديد بالهوية السيفارادية لا يمثل سوى نصف الطريق · والاقتصار على الصعيد الديني بدون تحمل اعباء مختلف الثقافات الوطنية التي غذت تلك الهوية ، يعتبر قطيعة لا مناص من التغلب عليها · انه من الصعب ، الاعتقاد بأن الديانة اليهودية السيفارادية تكون كيانا منفصلا ، وبان تعايشها مع الاسلام ومع بنياته الاجتماعية والقومية هو مجرد ظاهرة قائمة على التقابل الالي · ان موقفا منتبها للمميزات الاساسية لليهودية الشرقية ، سيبرهن بسهولة ، بانه لا يمكن اعتبارها كشريحة جامدة وضعت في واقع لن تقيم معه اي تبادل · لقد اسهبنا القول لنوضح باننا في نفس الحركة وبنفس الخطوات ، نتعرف على ذاتنا كيهود شرقيين وكمغاربة ، وبانه لا يمكن فصل احدهما عن الآخر ·

اذا كان الرهن الصهيوني قد شكل تهديدا خطيرا لهذه الهوية المزدوجة ، فان الادماج الذي دعا اليه وشجعه نظام الحماية الفرنسية ، يكون بدوره خطرا لم يختف بعد اثره

ان النموذج الغربي الذي حمله الغزو الاستعماري ، قد مارس تأثيرا عميقا على المستعمرين الذين افتتنوا به افتتانا كبيرا · وهذا الافتتان الذي لم يعش بنفس الطريقة من كون الجميع ، والذي كانت تأثيراته تخضع لايقاعات مختلفة ، لم يبدأ الشعور به حقيقة ، في بعض الحالات ، الا عندما انتهت السيطرة الاستعمارية سياسيا · ولا شك ان قوة الفتنة هي ابعث على الخشية من الاسلحة · وفي هذا المجال ، نجد ان اليهود المغاربة ، ومعظمهم من الفئات الموسرة ، قد استسلموا بسرعة لفتنة النموذج الغربي ، وذلك لاسباب تحتاج الى تحليل خاص لا يسمح به المقام · ان جميع الذين عاشوا وتحملوا هذه التجربة هي أخص صميميتهم ، يعرفون الى أي حد كان من الصعب التحكم في هذه الحركة البطيئة والمتحايلة « للتمدين » الغربي ، وبالتالي اصدار حكم تقييمي دقيق لها · ولم تبدأ عملية التقييم النقدي الا بعد فترة الاحتلال · لكن مثل هذه العملية ، كي تكون ممكنة ، لا بد لها ان تتصل في العمق بتحليل نقدي يشمل المجتمع الصناعي الاستهلاكي والمجتمع الجديد الذي يولد في المغرب بعد الاستقلال · اليوم فقط نستطيع ان ننظر الى الاشياء اذا انسقنا مع التيار على امتداد منحدرات الماضي · اربعون سنة من الحماية عملت كأنها مختبر عجيب بدون جدران ولا آلات ، وبدون سمات ولا طرائق محددة ولا ادنى فكرة واضحة ·

ان الحداثة ، والان فقط يمكن التلفظ بهذه الكلمات ، كانت تتسلل بكيفية لم يعرف نظيرها من قبل ، وبصمت ، الى الاشياء والكائنات لتحمل اليها انعكاسات ذلك الغرب البعيد المستثمر في عالم الحلم المرتاب وفي اجواء الجمال والقوة ·

والوجه الآخر للغرابة التي لا تخلو من فتنة مثل الوجه الاول ( الحداثة ) والذي لم ينتبه اليه الا قليلا رغم ان عهده قريب ، وهو ذلك المظهر المتصل بالحياة اليومية المبتذلة والمتعلق باحداث التغيير فيها قسرا : لا تضحك بقوة ، لا تتحدث بصوت مرتفع ، خفف من حدة الالوان الصارخة ، اقطع الصلة المباشرة بالاكل ، لا تأكل بأصابعك ( اي حصر المتعة في فم منغلق ) ، لا تقل : آه ! بل : آي الفرنسية المهذبة ، وعندما تشعر بالالم لا تقل يما ، بل ماما ··· محرمات كثيرة ليعلموننا الا نعيش · وكانت هناك رقابة قاسية تنغرس كل يوم في الاعماق لتراقب داخل كل واحد الحركات والسكنات ، واقل اشارة يمكن ان يعرف من خلالها اليهودي المغربي · انه عمل تأكلي لتدجين حساسية غنية ، كانت المدارس الاولى للرابطة الاسرائيلية هي بوتقته · وشيئا فشيئا اخذ الشعور بالعار لكون الانسان يهوديا يتبلور ، ولم يكن يعبر عن نفسه الا عن طريق الاحساس بالعار لكونه مغربيا · كانت القضية الكبرى بالنسبة للاستعمار ، هي محو ملامح وجه اصيل ، وتعويضها بقناع غفل لرجل غربي صغير · كان يتوجب بسرعة التخلي عن الثياب التقليدية او الاحتفاظ بها لارتدائها في لحظات الصميمية داخل البيت · ممنوع الكلام بالعربية خارج المنزل ، وتكفي ادنى لهجة او نبرة موشية ليعتبر اليهودي نفسه ضائعا ·

لقد كانت العربية ، وهي لغة الحياة العائلية ولغة الرغبة والالم ، لغة الحب والغضب ، او ببساطة لغة الثرثرة ، كانت للاستعمال الخاص · وكان من علامات الظرف ، اتخاذ اسماء مسيحية بدون الشعور بالضيق عند ارتداء هذه الثياب المستعارة الغريبة ·

وهكذا انفتح طريق « المنفى الداخلي » حسب تعبير رولاند جاكار ، فالحساسية المتآكلة من جراء هذا المجهود الزجري الداخلي ، والشخصية المهددة في حيويتها المتدفقة ، والبنيات العقلية وطرائق التفكير ، كل ذلك كان ينبيء ايضا بتحولات عميقة · وعلى المستوى الاكثر مباشرة ، فان العقول كانت تتعرض ، عن طريق التعليم ، لتأثير ايديولوجية خليط الا انها ذات طابع استعماري سائد · وكانت جميع المظاهر المبتذلة للعمل الحضاري الفرنسي ، ولمحاسن الاستعمار ، تستقبل ، وكثيرا ما تقلد ، بسذاجة تظهر الى اي حد كانت اواليات ( ميكانيزم ) الاستلاب تدور عجلتها جيدا ·

الاكثر خطورة ، هو ان هذا الوضع قد ولد عند عدد كبير من اليهود ، خاصة في الطبقات العليا ، احساسا بالتفوق العنصري تجاه المسلمين · ولم يكن غريبا ان نجد اليهودي يتحدث باحتقار عن الآخرين ، الاهليين ، ناسيا انه هو نفسه « اهلي » ( اندجين ) ومستعمر مثل بقية المغاربة · ولا شك ان الحماية الفرنسية قد زرعت بحذاقة بذور التقسيم ، فحققت تمدرسا مرتفعا بين الاطفال اليهود عن طريق مدارس الرابطة الاسرائيلية · الا ان هذه النتيجة الايجابية استعملت في اخفاء تمييز عنصري كان احد اسس سياسة الحماية ، والذي بدأ فوق مقاعد الدراسة · كان الطفل اليهودي مفصولا عن الطفل المسلم. يدخل هو الى المدرسة ، ويلقى بالثاني الى الشارع · ونفس التفاوت الصارخ ، لكن المقنع ، كان يوجد في مجالات اخرى مثل مجال الصحة · لكن علينا الا نغفل الشيء الاساسي ، وهو ان اليهودي المغربي لم يكن يتمتع باي حق ولا باية ضمانة او حرية اخرى

سوى السماح المنوح له بممارسة ديانته في اطار مراقب · كان يتلقى فئات ادارة متعالية محتقرة ، معادية للسامية بقوة ، ولا تدع اية فرصة تسنح لتذكره بوضعيته اليهودية ·

وباختصار ، فان وضعية اليهودي المغربي ، كانت وضعية مستعمر ، مضطهد ، غير انها كانت محجبة وراء بعض امتيازات وهمية ووراء امان لم يكشف قط عن معناه · ذلك ان نظام الحماية دخل الى المغرب وقد عمته الفوضى واشرف على الخراب نتيجة للحملات الامبريالية · واستطاع النظام الاستعماري ، بمساعدة ظروف معقدة ، ان يبدو في اعين السكان اليهود ، بمثابة الضامن للامن الذي لم يكن مهددا في الواقع الا من طرف التوسع الاستعماري · والحقيقة انه كلما حدث صراع او تجابه عنيف بين المسلمين واليهود ، الا وتقاعست السلطة الاستعمارية عن التدخل في اي شكل من الاشكال ، على ان سياسة التمييز التي وضعتها الحماية لم تؤد الى وضع صراعي ، لان تضامن العشيرتين كان مسجلا في الحياة اليومية ، ومن خلال طريقة متشابهة في العيش ، باستثناء صفوة قليلة من اليهود كانت تنعزل على هذه الحياة بتأثير من فكرة الاندماج مع المستعمر ·

وكان جزاء الخوف من « العربي » الذي نماه النظام الاستعماري ، يدفع غاليا ليس فقط عن طريق الحُرمان من جميع الحقوق والحريات ، بل ايضا عن طريق الاهانة المستمرة في شكل معاداة قوية للسامية ترجمت الى افعال من جانب السكان الفرنسيين بالمغرب ·
لقد كان ذلك العالم الاستعماري الصغير ، المضحك بعجرفة ادعاءاته ، والمكون خاصة خلال الفترة البطولية من نفايات الميتروبول ومن الوصوليين الفظين ، الى جانب الناس الطيبين التائهين في سراديب المغامرة الاستعمارية ، كان ذلك العالم يعيش في حلقات مقفلة محظور ارتيادها على اليهود المغاربة مع استثناءات قليلة · بل ان القبول في الثانويات الفرنسية لم يكن يسمح به الا في شكل امتياز لبعض المحظوظين الذين توسل اباؤهم بالتوصيات · وعقب الحرب العالمية الثانية بدأ الوضع يتغير ، لكن ذلك كان اعلانا عن نهاية النظام الاستعماري ·

ان هذه النظرة السريعة التي القيناها على شروط حياة اليهود المغاربة ابان الحماية ، من شأنها ان تساعدنا على ان نفهم لماذا ظلوا ، باستثناء عدد محدود من الاشخاص ، على هامش الحياة السياسية ، جاهلين للحقائق الوطنية وللاهداف التي سعت حركة التحرير الوطني الى تحقيقها · ومع ذلك ، فان هذا التأخر ، وهذا النقص في الوعي السياسي لم يترجم قط الى اتخاذ موقف معاد من جانب او من آخر · على العكس ، اصبحت حظوظ اندماج اليهود في الحياة السياسية ، غداة استقلال المغرب ، حقيقية ومرغوبا فيها من طرف جزء كبير من العشيرة اليهودية نفسها · ساهم في ذلك قرارات ووقائع كثيرة ، في طليعتها التدخل الشخصي للملك محمد الخامس الذي الغى الاجراءات المتخذة ضد اليهود من جانب حكومة فيشي ·

ثم كانت هناك المساهمة في نشاط مختلف الاحزاب السياسية ، وتكوين جمعية لتشجيع التبادل والعلائق الودية بين العشيرتين المسلمة واليهودية · وهناك ، اخيرا ، على المستوى الحكومي ، تعيين وزير يهودي هو الدكتور بن زاكين ، وهو تعيين له سوابق في تاريخ المغرب ، وليس مجرد بادرة ظرفية · وفي مختلف الوزارات والادارات ، نجد مهندسين واطباء ومحامين واطراف عليا · واذا كان هذا الحظ قد اتلف مؤقتا ، واذا كان اليهود الذين بقوا بالمغرب قد عادوا الى الانطواء على انفسهم بعيدا عن الحياة السياسية ، فان

ذلك يعود الى نوعين من الاسباب المرتبطة · اولهما عمل المنظمات الصهيونية المضطلعة بتنظيم الهجرة والتي بذلت فوق ارض المغرب ، جهودا منهجية لانتزاع اليهود من بلادهم ، ويتواز مع ذكر سياسة دولة اسرائيل القائمة على العدوان التي غيرت تغييرا عميقا العلاقات بين اليهود والمسلمين في جميع الاقطار العربية · ومع ذلك ، فرد الفعل على هذه التغيرات كان اقل ظهورا في المغرب ، حيث حافظ اليهود على تمام حقوقهم ولم يعانوا لا من التمييز العنصري ولا من الاضطهاد · وثاني الاسباب ، يرجع الى المشاكل المتولدة غداة الاستقلال والتي واجهها جميع المغاربة على كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية · في هذا المناخ المضطرب وامام الجهود المطلوبة للتكيف مع الوضع الجديد بالمغرب ، استسلم عدد من اليهود الى القلق وآثروا النزوح الى كندا أو فرنسا ·

حظ مجهض ولكن ضياعه غير نهائي ، فجميع الذين بقوا في المغرب يتأكدون اليوم من صحة قرارهم · والمطمح الذي يتبلور بينهم الآن ، هو الخروج من العزلة وعدم اعتبار انفسهم في وضعية انتظار · ومهما بدا قولنا متناقضا فاننا نعتقد ان العودة الى المغرب ترتسم ملامحها على ضوء تصور المستقبل · ومعنى ذلك ان موضوع العودة الذي يطرح اليوم كحركة مرتقبة ، يتعدى الدلالة الضيقة التي قد تعطى له ، ولا يهم فقط اليهود المغاربة الذين هاجروا اساسا الى اسرائيل ولم يتمكنوا من العودة · انه يسجل ، في اعتقادنا ، الامكانية الحرة لتجديد الحياة اليهودية المغربية ، والحظوظ في الحفاظ على التجربة النموذجية لتلك الحياة · هل نحن مضطرون الى الالحاح من جديد على ان هذا المشروع لن يكون له معنى كبير اذا اقتصر على استنساخ وضعية ماضية ، واستئناف تقاليد من حيث توقفت مؤقتا · سيكون ذلك عبثا بالاضافة الى ان المغرب يمر بتحولات عميقة في جميع المجالات · غير ان حديثنا لا يرمي الى دراسة الاجراءات العملية لهذا الادماج الجديد في الحياة القومية المغربية · ذلك ان الزعم باننا نتحدث باسم الجميع ، وبأننا نعرف ما يجب فعله ، سيكون مجرد ثرثرة باعثة على السخرية ·

ان ما هو موضوع موضع التساؤل في هذه المقالة ، هو الرغبة في الحديث عن تجربة معينة بعد ارجاعها الى بعدها الوحيد ، ثم الدفاع عنها لانه يتحتم الدفاع عن هذه التجربة · هل هي صدى غانم لذاتية متهمة بالتعسف والزيف ؟ نعم اذا استمرينا في الخلط بين الذاتية وبين التعبير عن انفعالية قصيرة النظر وخادمة لكل الايديولوجيات · لكن الجواب يكون نفيا اذا اقررنا بانه من اعماقنا يمكن ان تنبثق الكلمة التي يمكن ان يعرفها الآخر وان يتقبلها في اصالتها ، بعيدا عن وهم الحقيقة المطلقة · وهذا الامر مشروط بانجاز عمل توضيبي ( مثل الذي حاولناه في هذه المقالة ) لازالة كل العراقيل التي تحول دون الارساء فوق هذه الارض الاولى · وليس هذا بالعمل السهل · لقد اصبح اليوم من المألوف مساءلة الذي يكتب لان النص لم يعد يتمتع باستقلاله الخاص الذي يتيح له الاكتفاء بذاته · ونحن نستشعر منذ الآن المساءلة التي تحاول ان تفاجئنا من الخلف : من هو اذن هذا الذي يكتب هنا ؟ ومن اي مكان يكتب ؟ وتستمر هذه اللعبة الى ما لا نهاية تبعا للذوق المصطنع للبلاغة المعاصرة ، فيؤول الامر الى ان يكتب المرء نفسه بدلا من ان يكتب عن شيء · لكن هل كان الامر على غير هذه الصورة !

اننا نحمل في ذواتنا شيئا ما ، كلمة ، منذ امس ، والغد ، وفي كل زمان ·· فهل ستحظى بان تتجسد في كتابة ما ؟ هل سيكون لها حظ التعريف بذاتها ليتقبلها الآخرون ؟

لكن في هذه الحالة سنعطيها صفة قانونية خارجية وسنربط مصيرها بمغامـــرة شاهـــد شخصي · وسيكون ذلك بمثابة منح الكتابة سلطة متفردة ، سلطة غريبة عن واقعنا ، لان ما يفتح ويغلق سلسلة الاسئلة في الواقع ، هو، انني يهودي مغربي · منذ خمسين او ستيـن سنة ، لم تكن نعرف الكتابة ، ولا نزال لا نعرفها : بل نعرفها على كل حال · وامام بصري رسالة بعثها جدي الى احد اصدقائه ، والواقع انه لم يكن يكتب ، كان يتحدث اليه بالعربية ليخبره بان شؤونه على احسن ما يرام ، وبأنه يفكر في ان يتزوج مرة ثانية ، وكان ينقـل هذه المحادثة بحروف عبرية · ( وهذا التعبير الخطي كان متداولا الى عهد قريب ) · لكنني لا اتصوره قادرا على ان يحمل القلم ليؤكد بأنه يهودي مغربي · لا احد يستطيع ان يضـع موضع التساؤل ما لا يستحق ان يوضع ·

**ترجمة : محمد برادة ـ الرباط**

# رسائل

رسالة الأرض المحتلة :

## ملامح من حركة الشّعر الفلسطيني بَعد عشر سَنوات من الاحتلال

تقتصر هذه الرسالة على دراسة ملامح عامة من حركة الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال في الضفة والقطاع من خلال مجلة « البيادر » التي صدر العدد الاول منها في آذار ١٩٧٦ وبالتحديد من خلال ستة عشر عددا من هذه المجلة : العدد الاول ـ آذار ١٩٧٦ الى العدد السادس عشر ـ حزيران ١٩٧٧ ، فقد استقطبت « البيادر » معظم الجيل الادبي الفلسطيني الجديد الذي ظهر تحت الاحتلال ، والذي لم يجد امامه اي سبيل للنشر · كانت قد صدرت عدة مجلات عربية مختلفة بعد الاحتلال ، مثل : الوان (١٩٧١) ، فتاة فلسطينية (١٩٧١) . الصنارة ( ١٩٧٢ ) ولم تستمر الا لبضعة اعداد فقط ، فلم تحرك اي واقع او تؤثر فيه . وبالتالي لم يكن لها اي علاقة بحركة الادب ·

ان اقتصار المقال على مجلة « البيادر » هو ، بالتاكيد ، اقتصار تعسفي حتى نستقرىء من خلالها حركة شعرنا الفلسطيني للشبان الجدد بعد عشر سنوات من الاحتلال . خصوصا وان نشر الكتب الادبية ما زال ضعيفا جدا وخاضعا لدور النشر القليلة . وبالتالي فأن حفنة من الكتب والاسماء لا تستطيع ان تقنع الناقد بأهميتها امام عشرات القصائد على صفحات مجلة واحدة ·

**عوامل محددة وحاسمة :**

ما معنى ان تستوعب القصيدة الجديدة قضية سياسية ؟ وهل استطاعت القصيدة الجديدة ان تستوعب زمنها في التناقض والصراع ؟ اين تكون القصيدة الفلسطينية في ذلك ؟ وهل هناك قصيدة فلسطينية بالتخصيص ؟ ما وجودها الفعلي ؟ ما اثرها فيما حولها ؟ لماذا تكون ؟ كيف نمت وتطورت خلال الدهشة والاكتشاف وخلال الموت والحياة والفداء والحب ؟ هذه التداعيات تنطرح عميقة في صلب قصائد « البيادر » · وحين يحاول

الناقد ان يكون في داخل وعي السؤال ، تتوفر عوامل محددة وحاسمة في تجذير الموقف النقدي :

١ ـ القصيدة الفلسطينية موجودة ومتميزة لا بوجودها المستقل ، ولكن بقضيتها الانسانية التي اخترقت الوجدان البشري ، فالتحمت بتراث الشعوب المقهورة والمناضلة معا ٠

٢ ـ القصيدة الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر قضية عربية تتوفر في عمق الوجدان العربي بعد ان هزته وصقلته وغيرته كليا في ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ٠٠٠ فاكتشف فلسطين فعليا الى حد التوهج الذهني ، ثم اكتشف الانسان الفلسطيني منذ صار هذا الانسان دما مخصبا وشجرا وعصافير وفؤوسا وسواعد عمال ، فهدأ الاضطراب والذهول، وبدأت القصيدة الجديدة تعشق الشمس والقمح والبحر ، فلا البكاء التقليدي ولا وله الذكريات ٠ ولكنه العشق الصباحي الرائع ٠ ان القصيدة الفلسطينية الجديدة هي قصيدة العشق الجديد ٠

٣ ـ القصيدة الفلسطينية ذاتها هي ذات الشاعر الفلسطيني تطورت معه ، وبالتالي كونت واقعه المتغير في الصراع ٠ انها لا تؤرخ ولا تعتبط اعلامها ، ولكنها بالتأكيد تحرض وتنفخ في الكور ٠ تبصر وتحدق في الجرح ٠ تشرح وتفلسف وتستفز ٠ تحزن قليلا على سعة حزنها ، وتتفاءل رغم الكوى الصغيرة المحدودة في عالمها المعتم ٠ ترمز ولا تغمض ، فالرمز الجديد هو انسانها الجديد ، وهي تحمل رموزها وتنزرع في لغة متطورة تتجاوز قاموسها الشعري التقليدي ، وتتجاوز حقدها العاطفي الملتهب الى وعي شامل ٠ هكذا يتجادل المضمون والشكل في تطويرها ٠

٤ ـ القصيدة الفلسطينية موجودة بين الجماهير ، تتفاعل وتفعل ، وهي بذلك لا تعاني ، عامة ، مشكلة الاتصال والتوصيل ، مثلما تعاني القصيدة المعاصرة من الابهام والتلفيق والثرثرة كقياس لهموم الانسان البرجوازي الصغير ٠ ان القصيدة الفلسطينية تفهم عصرها وتفهم مرحلتها ، وبالتالي تعرف طريقها الى الناس ٠

كل ما سبق هو نتائج محسومة من تراكمات الشعر الفلسطيني المعاصر خلال مراحله المتعددة ٠ اين تقف قصائد ـ البيادر ـ من كل ذلك ؟ لقد استقطبت « البيادر » غالبية الطليعة من جيل جديد من الشعراء الفلسطينيين ، فقدت على مدار ستة عشر شهرا ٤٢ شاعرا فلسطينيا مقابل ٩٨ قصيدة ، كلهم متواجدون تحت الاحتلال ، بالاضافة الى قصيدة واحدة لشاعر فلسطيني مغترب ، وثمانية شعراء عرب ، وشاعرين اجنبيين ٠ لقد اخذ الهوى الصحفي « البيادر » حينا ، فتعاملت مع بعض الاسماء باخراج براق مصقول ، واهملت اسماء مهمة اخرى ، وحينا حاصرت نفسها بنفسها ضمن اطارات مزاجية ، ولكنها رغم كل اخطائها كانت المجال الوحيد المتوفر لهذا الخضم من الشعراء الجدد الذين يطمحون الى تكوين مرحلتهم الجديدة في الشعر الفلسطيني ٠ هكذا يجب ان نحاسب هذا الشعر بتواجده داخل حركة الشعر العربي والانساني ، وداخل واقعه الخاص المميز بوضوح ، اساسا ، بالاحتلال والصراع : ـ

● **الارض** : تلتصق القصيدة بـ « الارض » فتصير خميرتها ويصير الشاعر حراثا متشقق القدمين والكفين وهو يرفض الرحيل حين يصبح زارعا يحلم بالمطر والقمح ،وممتلئا

بالعشب والتراب ، يغني حزينا ، واعيا حزنه ، امام الذين رحلوا :

**رحلوا ـ تركوني مسبيا ـ اجمع حبات القمح**

**وانتظر الاتي ـ اخباري تعرفها ـ ما زلت اقاوم ـ**

**طير الرخ يحاول سلب البيدر ـ زينب حلفت الا**

**تذبح فرختها ، الا في يوم لقاء احبتها ـ والفرحة تكبر ··· (١)**

والشاعر يرتكز الى تراثه الشعبي ، فينهض ، ويعترف ، ويكشف الاعماق :

**يا صاحب الطير اسهر على طيرك**

**عجل عليه بالعلف ليوخذوا غيرك**

**الله يجازي الحصيدة اللي حصدناها**

**لا زرع اكلنا ولا ميه شربناها ··· (٢)**

وهو ايضا يحمل قلبه وفأسه معا ، متناقضا مع اهتزازه الرومانسي **اليائس** :

**انني اغرق في اليأس الى قمة رأسي**

**حاملا قلبي وفأسي ··· (٣)**

وفي هذا التوتر قد يغرق الشاعر في حوار محبط ، فيستخدم مقاطع من التراث تعبر عن موقف يتداعى الى « بقايا » اقطاعية :

**يا طيـــور طايـــره ‏ ‏ ‏ ‏ يا وحوش سايـــره**

**سلمن ع امـــي وابوي ‏ ‏ ‏ ‏ وقلن جبينه راعيه**

**ترعى غنم ترعى نوق ‏ ‏ ‏ ‏ ونقيل تحت الدالية (٤)**

ان هذا المقطع من « حدوتة الست جبينة » يخبىء عنصرية تفوق اللون الابيض فـــي شخصية « جبينة البيضاء » التي خدعتها ، الى حين ، جاريتها السوداء ، فبكت وضعها · والشاعر هنا يعزز دور « الاميرة » ـ الاقطاع ـ ويستدعي « الارض » من خلالها ، وهــو استدعاء خاطىء حتما · الشاعر اساسا لا يقصد الى مضمون رجعي ، ولكن عـدم التعمق في دراسة التراث الشعبي هو الذي قاده الى نتيجة خاطئة ·

الارض هي كل القوى المسحوقة المضطهدة ، وهي مخزون ضخم يتجاوز في ذاكــرة الشاعر ، وهو الذي يلتصق بها . انتماءه الطبقي الى الفلاحين ،الى انتماء شامل لجماهير العمال والفلاحين ، ومعاناة مستمرة داخل وخارج ذاتيته **المتوهجة** :

**يلونني اصفرار الارض**

**يا ويلاه**

**ما أقسى اصفرار الارض في الجسد (٥)**

الارض هي الواقع وهي المخيلة : قمح ، شجر ، ماء ، تراب ، حجارة ، خصيـــب ·

امرأة ، عصافير ، ليل ، نهار ، مواسم ، موت ، صحراء ، شهداء ، دم ، حياة ، حب . تتكاثف وتندفع الى حد التراكم والتفجر · ان الاحتلال في وجدان الشاعر ، هو ،اغتصاب الارض كليا واغتصابه شخصيا · ولذلك يرى الشاعر ان اساس وجوده مندمج مع عـناصر الارض · هو الشاعر ، ·عنصر ، وهاج من عناصرها · كلما تصاعد حلمــه من خلالها ، ازداد وعيه لقيمها · لا ينفرط هذا التراكم برومانسية « الطبيعة » التقليدية · فالشاعر المقهور لا يصف الشجرة او النهر او الاعشاب ، بل تنفرز كل همومــه الكبيــرة الواقعية في هذا الرمز الكبير :

**وحين تشجرت حولي**

**وارخيت نصف غدير من الشعر فوق ذهولي**

**بكيت ·**

**تشابك في الذهن لون التراب**

**وطعم غريب طفولي (٦)**

كل شيء في وجدان الشاعر الفلسطيني مرتبط بالارض · فلسطين هي الارض · وحين تتراخى هذه العلاقة قليلا ، يثور ، ثم يناقش حزنه · ويفلسفه · ان هذه العلاقة لا تخضع لاي تجريد · انها لا تتراخى ، في حدود المفردة الضيقة · انها تنسحب على مسافــات واسعة · هي الام ، وهي الانسانية كلها ، لا جغرافيا ، لا خرائط فحسب ، ولكنها قارات باكملها ، ومستقبل بعيد ·

قد يكون « البيت » ملكية البرجوازي الصغير ، هو الحلم السطحي في القصيدة :

**اني محتاج للراحة ، اني محتاج للدفء**
**اني محتاج ان املك موطىء اقدامي**
**اني محتاج ان اغسل ذاتي بعبير الارض**
**اني محتاج ان احضن غلات الارض ·· (٧)**

ولكن هذا السطح يناقض انسانا مقهورا في العمق ، لا يحقد بقدر ما ينتشر صراعا ضد الموت ، وضد القهر ، وضد ثبات الواقع المرير ، حتى انه يتصور قدرته الفائقة فـــي البحث عن عالم خال من التناقضات ، عالم مثالي بحت :

**سابحث عن عالم لا تموت به النفس**
**للمأثة في الحياة ،**
**فلا خوف لا بؤس لا كبرياء**
**ولا رهبة من عقاب السماء (٨)**

الجزيرة الخيالية التي ينتفي فيها كل الصراع · هي ردة فعل رومانسية للواقع الثقيل المعقد الذي يحمله الشاعر هما يوميا تحت سطوة الاحتلال · وهي ردة خاطئة تبتعــد عن « الارض » الواقعية التي تحترق وتجدب وتخصب وترتوي بالدم ، فلا رحيل عنها بحثا عن عالم اخر ، بل اقتراب المنفيين المغتربين ، ودعوتهم اليها :

باسمك باسمي ، باسم جميع الاشياء
ادعو الطائر ان يرجع للوكر ، فان الوكر
تقمص روحي ، عذبني ، وانا لا انكر
ان عذابي صار النوم على حذر يعلو
عن وجه الارض ··· (٩)

الارض هي الشمل · ولكن ذلك لا يكفي ليكون الموضوع السياسي واضحا ومرتبطا بحركة الى الامام ·

● الوعي الطبقي :

يتراجع الوعي الطبقي امام الحس الوطني العام . فيغيب حينا ، ويتوهج حينا ، ولكن السائد اهتزاز الوعي الطبقي وتناثره في الجملة الشعرية المضطربة :
الويل للوسائد الطرية

اذا نسيت يا رفيق عبرها عيونها البهية
الويل للوسائد الطرية

اذا نسيت يا رفيق عبرها حرارة القضية (١٠)

التقريرية المباشرة الفجة ـ الوسائد الطرية ـ في تحديد وصنع البرجوازية الصغيرة ، و ـ عيونها البهية ـ في تحديد شكل الوطن ، و ـ حرارة القضية ـ في فهم الالتزام ، حالة سائدة هنا في محاولة الشاعر لربط وعيه الطبقي بحسه الوطني العام · ان «الطبقة» صيغة ضائعة لا يمكن تلمسها او قراءتها او التعرف عليها :

مشرعة ارصفتي للشحاذين وكل المخلوقات

الممنوعة في السر ، اتيت الى وطن
فاجأني بالناس ، تزاحمت الناس
على ارغفة تتساقط من ارحام الاهل ،
وقلت انتظري يا امرأة اعرفها !
هذا زمن الجوع ، وفقدان الاسماء (١١)

حين يريد الشاعر ان يتحرك مع « الشحاذين » تعبيرا عن الطبقة المسحوقة ، يتآكل في حالات صوفية لا علاقة لها بالوعي الطبقي · هذا هو تاثير ـ مظفر النواب ـ في وترياته الليلية على الشعراء بأغلبيتهم الساحقة :

منتقلا في مطر الليل الغولي يبددني الله
وحب الله وهذا الوجد الصوفي
اغادر هذا الضيق المفعم بالاشياء
احمل سيف الجوع ··· (١٢)

ونلاحظ سيطرة غنائية بحر الخبب ـ المتدارك ، وسيطرة مفرداته ، خصوصا : الليل ، البكاء ، الجوع ،الوجد ، الله ، ···وقد وجدت مفردة « الليل » الحزينة تنتشر كالجرثومة في مطالع معظم القصائد ، او في ثناياها · هذه السيطرة تصادر اي وعي تقدمي لمصلحة

تصوفية جديدة توغل في الشعر ، فيكون الطرب الزائف . وتكون عتمة الاحاسيس :

منذ تدور في نهد الورق صليب الجذر
ومنذ تفرغ في رحم السنوات الوقت
وصارت في الامكنة الابعاد ، جرى في ذرات
الارض العرق الطيب واستمطر رب الخصب
من الغيم الماء ·
.....
علمني يا وقت الزيف الزيف ، وقل لي
كيف انافق ، اتعبني وجع الصدق
....
خلصني من سمك القرش الوطني
...
أمسح جرحي بالحزن الخالص (١٣)

هي وتريات النواب الليلية تستفحل ، وتناطح عقول الشعـــراء الشبـــان الجـــدد ، فتلغيهم الى حد مأساوي . ويتحول الاحتلال الى مناكفات صوفية تتميع داخل المراهقـة المكبوتة :

كيف ساقتل هذا الوحش الساكن في قلبي
اجمل منك ضباب الشارع ، اشهى
من شفتيك الظامئتين الى الصدق
خصور التلميذات ، وانعم من خدك
هذا المطلي صباغ الزيف طباشير الحور
ترسم في قلب اللوح الاسود
وجه المستقبل بالحناء (١٤)

كيف يمكن ان نفهم ثورة الطلاب . كيف يمكن ان نحس بثورة الطلاب هنا ، من خلال هذه التهويمات المختلطة ؟ ان مظفر النواب بريء من مقلديه ، وبريء من التيه الـــذي يوغلون فيه :

شكرا يا حكام القمة
والخمرة من تحت العمة
··· يا اولاد القحبة
ما زالت انهار الويسكي
تجري في الدار البيضاء
والمبعوثون الى الامم المتحدة
فزاعات تحمل اسماء الدول العربية
···· ما زلنا نزني في الثورة ··· (١٥)

نثر تقليدي ، وتكرار هجين هابط لا قيمة له ولا مدلول سوى عقاب النفس واذلالها امام الاحتلال ، وامام تقاعس الشاعر عن الوصول الى لب الصراع ·

ان الركالة والخيال الفج وميوعة الالفاظ والتقريرية التقليدية والغنائية المفرطة تسلب الشعر كل مبرر لان يكون شعرا !

● **الاستلاب :**

يعاني الشعر ، بالاضافة الى فقدان الوعي الطبقي ، معاناة واضحة من استلاب الشاعر · فهو مغترب في ارضه ، حائر ، ضائع ، في الوقت الذي عبر فيه عن التصاقه في الارض ، وعشقه المتفاني لها· يتوفر هذا الاستلاب من تسلل الاحاسيس الوجودية والدينية والنزعات المتطرفة ، فيفقد الشاعر طريقه . ويعلن ، صراحة ، حيرته :

**أنا سيزيف**
**يا بطلا بلا نصر بلا موت (١٦)**
**غابة عمري موحشة**
**ادخلها في الليل وحيدا**
**فيكبلخطواتي الرعب**
**ويحاصرني شوك الدرب**
**وانادي في جوف الليل**
**يا عمري الضائع في سنوات الرعب**
**يا عمري الضائع في سنوات الرعب (١٧)**

ينعكس هذا الاستلاب على معالجة الموقف الوطني ، فيفشل الشاعر ، ويرتبك · فاذا أراد ان يتحدث عن « بيروت الحرب الاهلية » احتار . ووقف دون التصاعد نحو الموقف الايجابي :

**اركض خلفك يا بيروت**
**واسأل عن شارع فردان**
**واسأل عن قمر ضائع**
**صلى الخلفاء بحاراتك**
**صلى الشيطان ، وصلينا**
**هل كنت مسجاة حقا قدام الموت (١٨)**

بيروت بعيدة جدا طالما ان الشعر لم ينبش الركامات ، ولم يكشف عن وجهها الجديد ·

**بيروت هناك بلا ربان**
**والماء تحجر في النبعة وتحجر في عين الرمانة**
**تحجر ملء عيون الشعب الثائر**
**في تل الزعتر ··· (١٩)**

خلط متعثر ومتخلف تفترسه الاسقاطات الذاتية دون اي معاناة لاكتناه الموقف التقدمي ·

ان الرقابة الصهيونية تقمع وتصادر وتمنع ، ولكن الشاعر الواعي المتمكن من لغته ، يستطيع ان ينتزع موقفه التقدمي بمزيد من المعاناة ، ومزيد من التثقيف ، والكتابة الجيدة ·

ع · خ ·

## هوامش

١ ـ اسعد الاسعد : اغنية الحصادين ـ البيادر آذار ـ ١٩٧٦

٢ ـ ذاته

٣ ـ عبد القادر صالح : حاملا قلبي وفأسي ـ البيادر حزيران ـ ١٩٧٦

٤ ـ ذاته

٥ ـ علي مبارك : مقاطع عن لقاء البحر ـ البيادر تموز ـ ١٩٧٦

٦ ـ وليد هليس : كتابة على جدار المقبرة ـ البيادر كانون اول ـ ١٩٧٦

٧ ـ علي لبد : ما زالت في العمر بقية ـ البيادر نيسان ـ ١٩٧٧

٨ ـ موسى علوش : سابحث عن عالم ـ البيادر حزيران ـ ١٩٧٧

٩ ـ ناجي ظاهر : الطائر والوكر ـ البيادر حزيران ـ ١٩٧٧

١٠ ـ علي مبارك : مدركات عن الحب ـ البيادر تموز ـ ١٩٧٧

١١ ـ محمد حمزة غنايم : الغفران ـ البيادر ايار ـ ١٩٧٧

١٢ ـ ذاته

١٣ ـ عبد اللطيف عقل : احزان عاشق مات صغيرا ـ البيادر ايار ـ ١٩٧٦

١٤ ـ ذاته

١٥ ـ سميرة الخطيب : رجع الوتريات الليلية ـ البيادر نيسان ـ ١٩٧٧

١٦ ـ عبد الناصر صالح : صفحة من آلام عاشق ـ البيادر ايار ـ ١٩٧٦

١٧ ـ علي لبد : ما زالت في العمر بقية ـ البيادر نيسان ـ ١٩٧٧

١٨ ـ ليلى علوش : بيروت ١٩٧٦ ـ البيادر اذار ـ ١٩٧٧

١٩ ـ للي كرنيك : بيروت ثمرة الموت والاحتراق ـ البيادر تشرين ثاني ـ ١٩٧٦ ·

رسـالـة مـدريـد

# الاسـتشـراق الاسـباني

١ ـ

اسبانيا · الفصائل الامية · جثة فرنكو · الانتخابات · كان صديقي الفلسطيني يقودني في الشوارع بين الغجر واقبية النبيذ ، حيث مدريد القديمة · والغجري يجلس نصف ممدد وسط الساحة ، وحوله الفضوليون والعشاق وزجاجات النبيذ الفارغة · لا تستطيع ان تعتبر مدريد مستشفى · الاعلام في كل مكان · قالوا انها الانتخابات · لكني كنت ارى اعلام مصارعي الثيران ، وقد لبسوا ثياب همنغواي وهم يركضون بين الفرح والدهشة والموت ·

العرس الاسباني هو عرس الديمقراطية · لكنها ككل الديمقراطيات · غدا يفوز الوسط قال صديقي الفلسطيني · جاء الغد ، ومثل كل الديمقراطيات فاز الوسط · لكن « الباسيوناريا » كانت هناك · هذه المرأة التي تخرج من الكتب وتصبح شاشة تلفزيون· المح تجاعيد وجهها وفي حركة اليدين حيث الاصابع المليئة بالشرايين الزرقاء ، آثار الاحلام التي تتخاطفني وانا اقرأ القصص التي لا تنتهي عن الحرب الاهلية الاسبانية · لكنها هناك · شاشة صغيرة شبه مستطيلة ، ووجه هذه المرأة يمتلىء بدهشة الاطفال · واطفال مدريد ، الذين عاشوا الحرب الاهلية وهم يرون جثة تحكم الى ما لا نهاية ، يفاجئون بالكتب والتلفزيون والرايات ·

وبيكاسو مات · ومالرو مات · وهمنغواي اطلق رصاصة على رأسه قبل ان ينتهي الصيف الحار في داخله ·

سألت صديقي عن لوركا · قال لي اشياء لم اعد اذكرها · حدثني عن جراد البحر والاسماك والشعر الفلسطيني الذي يترجم الى الاسبانية · لكنني كنت متأكدا انني سأقابل لوركا · فمدريد ليست مستشفى · وبرشلونة ميناء للاسماك وليست نصف مستشفى ، كما حاولوا اقناعي · ولم اقتنع · لا يمكن ان تأتي الى اسبانيا دو ن ان ترى لوركا · من مدريد الى الاندلس ، لا يظهر لوركا الا ليختفي · ولا اراه · المدة الاخيرة التي

لحته فيها ، كان مصلوبا داخل دمه · ولوركا ليس فلسطينيا · على الشاشة الصغيرة لاحدى دور السينما في الحي اللاتيني بباريس كان « ارابال » يرقص على ايقاع الموت ، ولوركا يصلب والماء يرتفع كالمحيط وسط المدينة وبيوت الصفيح · قلت لصديقي الفلسطيني الذي سألني عن تل الزعتر ، أن تل الزعتر يشبه « اسبانيا في القلب » ، وان لوركا صلبوه ، وان الاشياء لا تتكرر وان تشابهت لحظة بشكل عجيب : من الداخل حيث « الفالانج » ومن الجوار حيث هتلر او بيغن · لكن هوشي منه قال مرة ان احذية المطاط تنتصر على الدبابات والطائرات · وهوشي منه لا يكذب · والفقراء يصدقون الفقراء ·

لكن العدس هو عدس الديمقراطية التي عادت اخيرا · اخر قلاع الفاشية يسقط كالكرتون ، بعد أن مات الحارس · يستطيع فرنكو ان يموت · لكن الشعب الاسباني لا يستطيع ان يموت · وفي النهاية تصبح الفاشية مجرد جثة · حتى البرجوازيون الذين خضعوا او ساعدوا الفاشية عن « قناعة » ، يهربون الان من الرائحة · وبيكاسو كان يعرف ان الريشة لن تسقط ابدا · وحده نيرودا الذي احب اسبانيا ، لم ير هذا الضوء ، لان سماء التشيلي كانت تواجه اقدام الجنرالات · وبينوشه سوف يموت · وستعود سانتياغو لتهتف لاليندي ونيرودا والديمقراطية التي ذبحت ·

في شارع خوسيه انطونيو الذي يشبه شارع الحمراء في بيروت ، او شوارع الدار البيضاء التجارية ، كانت الاعلام تتقدم وسط ابواق السيارات وايقاع اقدام رجال الشرطة الذين لم يخلعوا الكرباج الفاشي عن وسطهم ، لكنهم لا يستعملونه الان لضرب المتظاهرين او لسحق العمال · بعضهم كان يهتف ، وبعضهم الاخر كان يصفق · الشرطي يمكن ان يكون جميلا قال صديقي · لكنه شرطي على اي حال · اجمل شيء هو صفارات رجال الشرطة التي تتحول من جرس انذار الى آلة موسيقية في خوسيه انطونيو، كنت ارى الرايات واستمع الى النشيد الاممي يخرج من الحناجر والاكف · كأن مدريد عادت مدينة · وكأن هذا القبر الذي اقامه فرنكو لم يتسع لغير جثته ·

اسبانيا تعني الذكريات · من ابن عباد الى الموشحات · ومن قرطبة الى الحمراء · العربي الذي يدخل اسبانيا يواجه بأن هذه البلاد هي اجمل مرآة يراها في حياته · كأنك في فاس او الدار البيضاء او دمشق · لكن اللهجة تختلف · بلاد وانهار وغابات من المرايا · لا بد من التمتعة باسم طارق بن زياد ، او الكلام عن عبد الرحمن الداخل · لكن اسبانيا ، الاندلس ، شيء اخر واكثر عمقا · انها عروبة من نوع اخر · لا اتكلم عن الفتح ولا عن الذكريات · اتكلم عن المرايا · نفس الرائحة الدموية · رائحة لوركا وتل الزعتر · نفس الاصوات والمآذن · والذين قتلوهم يقتلوننا ·

في شارع خوسيه انطونيو ، كنت ابحث مع كارمن رويث المستعربة الشابة ــ ٢٩ سنة · عن الوجه العربي الذي لم يغب عن اسبانيا · ففوجئت بكلام جديد · كلام لا يشبه كلام المستشرقين او الرهبان : « *احب ان اعرف وافهم الواقع العربي* · فانا اشعر أن العلاقة بين الشعوب ليست شيئا من الماضي · فنحن في اسبانيا ننتمي فعليا الى العالم الثالث تاريخ اسبانيا المعاصرة ، وتاريخ اميركا الجنوبية هو تاريخ استعمار ثقافي وازمات اقتصادية وسياسية · ومحاولاتنا لحل مشاكلنا ، تتشابه الى حد كبير مع محاولات حل مشكلات العالم العربي والاسلامي · عندما اتابع المفكرين الاميركيين الجنوبيين ، يتأكد لدي *ان المشاكل تشبه مشكلات القومية العربية والوحدة* · يحاول الجيل الجديد من

المستشرقين الاسبان ، ان لا يرى العالم العربي كثقافة هامشية أو كالف ليلة وليلة . لكن كواقع موجود وقريب ، نحبه ونحترمه » .

٢ ـ

**لوحة سريعة لتاريخ الاستشراق الاسباني .**

تقدم كارمن رويث ، هذه اللوحة عن تاريخ الاستشراق الاسباني :

يوجد ثلاثة اجيال من المستشرقين :

**الجيل الاول .**

ويتمثل اساسا بثلاثة مستشرقين : اسين بلاثيوس ، غومثالث بالينثيا وريبيرا . قاموا بتوسيع مجال ونطاق الدراسات الاستشراقية . وبحثوا في علاقات الثقافة الاسبانية المسيحية المغربية ، بالحضارة الاسلامية الشرقية . وتتركز الدراسات حول الاندلس باعتباره ارضا للقاء الحضارتين .

**اسين بلاثيوس** . وهو كاهن كاثوليكي . درس وعمل في مجال الافكار الفلسفية والدينية . بحث في تأثير الافكار الاسلامية في دانتي من خلال اثر « رسالة الغفران » . الف كتابا بالغ الاهمية هو : Eseatalogia de la Diuinia Comedia درس تأثير الافكار الاسلامية في الكوميديا الالهية .

**غومثالث بالينثيا** . درس في مجال الادب والقصة . وقارن بين تقاليد الحكاية الاسبانية ، وتقاليد الحكاية العربية كما في « الف ليلة وليلة » .

**ريبيرا** درس الموسيقى والفولكلور والتقاليد . اي آثار الحضارة العربية على تقاليد الشعب الاسباني .

**الجيل الثاني .**

المستشرق **غارثيا غوميث** . هو وريث الجيل الاول . وقد تابع البحوث السابقة ، وقدم للمجتمع الاسباني في الثلاثينات ، الشعر الرومانسي ، الزجل والموشحات ( نص عربي ـ اسباني ) كما درس ابن قتمان .

اصبح غوميث سفيرا في انقرة . وكان اهم مستعرب في زمنه . لكن لم يفعل شيئا من اجل ايقاف القانون الذي حذف اللغة العربية من الدراسة الجامعية . وهنا دخلت الدراسات العربية في ازمة حقيقية . وقد تعمقت هذه الازمة عند اعلان قانون التعليم في اسبانيا ١٩٧٢ . حيث اخرجت اللغة العربية من التاريخ والفلسفة وبقيت فقط في قسم اللغويات وبشكل اختياري . والان لا يوجد في اسبانيا سوى حوالي ٤٠٠ طالب يدرسون اللغة العربية .

**الجيل الثالث**

ويتمثل اساسا بالاستاذ **بترو مارتينز موفتابث** . فهناك مسؤولية اجتماعية في دراسته . وقد فتح مجال الدراسات المعاصرة . خرج من مجال الاندلس والتراث ،

واقام اتصالا بين المجالين القديم والحديث ، وكان وحيدا في محاولته هذه · يقوم الاستاذ مارتينز بدراسة الشعر العربي المعاصر · فهذا اول من درس نزار قباني · والشعر الفلسطيني ، والسياب وادونيس والبياتي · كما اصدر كتابا صغيرا هو « مقدمة للادب العربي الحديث » · كما اصدر عام ١٩٦٩ بالتعاون مع محمود صبح كتاب « الشعر الفلسطيني المقاوم » · مقدمة ونصوص · والمهم في هذا الكتاب انه كان بالغ الاثر على البنية الطلابية الاسبانية ·

كما ان هناك مجموعة اخرى من الدارسين :

**مارثيليو بيغراس** ويهتم بالسينما والقصة · درس السينما والصورة ·

**ماريا خيسوس بيغيرا** درست في السنوات الاخيرة قصص نجيب محفوظ وزكريا تامر ·

**كارمن رويث** تقوم بدراسة الفكر القومي العربي · تعد اطروحة عن القومية العربية و «القوميات القطرية » في المشرق العربي ·

**برناجييه لوبيث غارثيا** اعداد دراسة عن الاستعراب والاستعمار ·

**سيرافين فاغول** · قام بدراسة الموال المصري والاغاني الشعبية ·

يترافق هذا النشاط البحثي مع اصدار مجلة « المنار » · ومع اعداد كتاب ضخم عن الادب العراقي المعاصر · واخر عن الادب التونسي ·

تشير هذه اللوحة الى مسالة اساسية · هي وعي الدراسات العربية وتقديمها من منطلق جديد · فلقد تعاون المستشرقون الاسبان مع الاستعمار بشكل عام · وقد تركز التعاون في قطاع الدراسات الافريقية · حيث كان الدارسون في اغلبيتهم من العسكريين السابقين الذين عاشوا في المغرب الاقصى · بعض المستعربين كانوا كهنة · وقد تعاونوا مع الاستعمار بمعنى انهم لم يظهروا العرب بوصفهم شعبا مستقلا ·

هذه اللمحة السريعة تكتفي بالعرض · اذ لا بد من الاهتمام بجدية اكبر بالدراسات العربية في اسبانيا · فهذا ليس بالاستشراق القديم الذي عرفناه مع الضباط الفرنسيين وازلامهم وكهنتهم الذين حولوا بيروت الى مستنقع · واسبانيا في البداية والنهاية هي مرآة عربية · انها تمتد من الاطلسي الى القارة الاميركية ، حيث عالم يشبهنا وثورات تشبهنا وهزائم تشبهنا وانتصارات نريد ان نشبهها ·

الاف الطلبة العرب في اسبانيا ، بين دراسة الطب ودراسة الادب · واسبانيا تولد من جديد · والاعلام التي ارتفعت مرة اخرى لن تسقط ·

عندما غادرت مدريد الى بيروت كنت اشعر انني انتقل داخل مدينة واحدة · الاشارات نفسها والرايات نفسها · لكن الوحش في بيروت لم يمت بعد ·

**الياس خوري**

# شهريات

## المقاومة الفلسطينية

### الوضع الامني في الجنوب :

واجهت المرحلة الثالثة من اتفاقية شتورا المتعلقة بالجنوب ، صعوبات لم تواجهها المرحلتان الاولى والثانية اللتان نفذتا على التوالي يومي ٣٠ تموز و ٦ آب ، بالرغم من التسهيلات الكاملة التي وضعتها المقاومة الفلسطينية تحت تصرف السلطات اللبنانية وتحت تصرف قوات الردع العربية ، لانجاز عملية التنفيذ ، وهي تسهيلات اعترفت بها جميع الاطراف المتعاملة مع الموضوع ، بحيث لم يعد احد قادرا على القول بعد ذلك ان المقاومة تعرقل عودة الامن الى الجنوب بأي شكل من الاشكال ٠

وقد برزت الصعوبات في وجه هذا التنفيذ من اسرائيل بالدرجة الاولى ، ثم من اطراف « الجبهة اللبنانية » المتعاونين معها ٠ الطرف الاسرائيلي يهمه بقاء الازمة مفتوحة ليضغط بها على سوريا وعلى محادثات التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط ، « والجبهة اللبنانية » تستغل الازمة لمساومة الرئيس سركيس والمسؤولين السوريين على مستقبل الحل السياسي للازمة اللبنانية ٠ وكلاهما اسرائيل و « الجبهة اللبنانية » يلتقيان عند هدف ضرب المقاومة وانهاء الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان ، وهو ما يظهر واضحا من استعراض الوقائع ٠

فعلى صعيد الاستعداد للتنفيذ بدأت منذ ٨/١٥ الاجتماعات الرسمية لهذا الهدف ، فعقدت اللجنة اللبنانية ـ الفلسطينية المنبثقة عن اتفاق شتورا ، اجتماعا في صيدا ناقشت فيه بعض الاجراءات الممهدة للتنفيذ في الجنوب ، ثم عقدت اللجنة الثلاثية ( اللبنانية ـ السورية ـ الفلسطينية ) اجتماعا بحثت فيه قضية التنفيذ ( ٨/١٨ ) ، واتفقوا على ان كل الاطراف جاهزة للتنفيذ بانتظار بعض الاتصالات ( الاميركية ) ، وتلا ذلك لقاء بين فؤاد بطرس وزير الخارجية اللبناني وعبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري في شتورا ( ٨/٢٣ ) اعلن خدام بعده ان « الجانب الفلسطيني يبدي

استعداده للتنفيذ ، وقيادة الجيش اللبناني اتخذت الترتيبات لتنفيذ الاتفاق ، ولكن اسرائيل تريد استمرار الوضع في الجنوب ، وتريد استمرار هذه الازمة لاستغلالها وابتزازها » ، كما اعلن بطرس ايضا « تداولنا في جميع الامور التي تتعلق بتنفيذ الجدول الزمني والتفصيلي الموضوع في شتورا ، والتي ينبغي اتخاذها بأسرع وقت ممكن لوضع ما اتفق عليه موضع التنفيذ في الجنوب » ٠

في هذه الاثناء بدأت تبرز اعتبارات محلية تعارض التنفيذ في الجنوب ، وتطلب من خلال « الجبهة اللبنانيه » حل مسألة الوفاق اللبناني اولا ، الامر الذي دفع الدكتور سليم الحص لان يعلن ( ٨/٢٠ ) معارضته لربط الوفاق بالحل الامني بالجنوب ٠ وبرزت ايضا اعتبارات اسرائيلية لها الهدف نفسه كشف النقاب عنها عبد الحميد البعيجان سفير الكويت حين حذر من هجوم اسرائيلي على الجنوب ( ٨/٢٠ ) ، بينما كان ياسر عرفات وصلاح خلف وزهير محسن يؤكدون معا وفي يوم واحد ( ٨/٢١ ) على ضرورة تنفيذ المرحلة الثالثة من اتفاق شتورا ٠ ودعما للمواقف الرافضة للتنفيذ بدأت حملة القاء المتفجرات في مختلف المناطق اللبنانية ، وافتعلت احداث طائفية في الشوف ، وبدأ الحديث عن ضرورة موافقة اميركية على التنفيذ تضمن عدم تدخل اسرائيل واستغلالها للوضع ٠ وفي هذا السياق التقى في دمشق خدام وابو اياد واستعرضا المسائل المتعلقة بتنفيذ الاتفاق ( ٨/٢٦ ) ، وترددت انباء ان سوريا ولبنان ( ٨/٢٧ ) لم يوافقا على شروط اسرائيلية نقلتها اميركا للموافقة على دخول قوات ردع عربية الى الجنوب ، بينما اعلن احمد اسكندر احمد وزير الاعلام السوري ان اسرائيل هي التي تشجع استمرار القتال على حدود لبنان الجنوبية ٠

واصبح من الواضح ان قضية التنفيذ الامني في الجنوب قد خرجت من النطاق الفلسطيني واصبحت قضية تخص السلطة اللبنانية والتناقضات العالقة فيها محليا ودوليا ، وبدأت تعطيها اهتماما خاصا ، فشهد القصر الجمهوري في ٨/٢٩ اجتماعا ثلاثيا ضم سركيس والحص وبطرس بحث « الاجراءات التي هي قيد التحضير » ، ونفى بطرس قبل الاجتماع انه تم الحصول على ضمانات اميركية ٠ واوضح ابو اياد من جهته ، وبعد اجتماع ثان بينه وبين خدام في دمشق ان « الجانب اللبناني هو الذي طلب مهلة للتنفيذ في الجنوب » وان طلب المهلة كان لاجراء اتصالات دولية ، ومن اجل خلق اجواء محلية لوقف اطلاق النار (٨/٣٠)، وفي اليوم التالي ( ٨/٣١ ) عقد اجتماع فلسطيني ـ لبناني وضعت فيه الصيغة النهائية لتفاصيل التنفيذ المطلوب ، واتفق على ان يتحدد يوم التنفيذ في اجتماع لاحق ، بانتظار قرار لبناني ، واعلن مصدر فلسطيني قيادي استعداد المقاومة للتنفيذ فى الجنوب من جانب واحد ، اذا تأخر الجانب الآخر ٠

وبانتظار القرار اللبناني لموعد التنفيذ كان ابو اياد يكثف اتصالاته شارحا لمختلف الاطراف حقيقة الموقف الفلسطيني ، فعقد في ٩/١ اجتماعا مع الرئيس سركيس واعلن انه « اتفق معه على كل شيء » ، وفي ٩/٢ اجتمع مع لجنة الطوارىء في الحركة الوطنية التي اعلنت بعد الاجتماع انها « مستعدة للتعاون مع جميع الاطراف الساعية لاستعادة السلام في الجنوب » ، وفي ٣ـ٩ زار « المرابطون» و « الجبهة القومية » ٠

ويبدو ان شيئا ما طرأ على صعيد الاتصالات الدولية ، دفع السلطة اللبنانية الى تغيير لهجتها واعلان شيء من التفاؤل ، فأعلن بطرس ان « ساعة

التحرك اصبحت قريبة الى حد ما » ( ٩/١ ) ، وكان قد اجتمع في اليوم نفسه مع جورج لاين القائم بالاعمال الاميركي ، واعلن كامل الاسعد رئيس مجلس النواب من جهته ( ٩/٢ ) ان « حل المشكلة الامنية في الجنوب قريب ، والفلسطينيون ليسوا السبب في التأخير »، بينما اعلن اللواء مصطفى طلاس في وقت لاحق ( ٩/٣ ) ان « القوات اللبنانية ستتولى خلال ايام مهمات الدفاع عن الجنوب » ·

ولكن هذا التفاؤل اللبناني الرسمي رافقته حملة مضادة من قبل اسرائيل و « الجبهة اللبنانية » ففي ٩/٣ اعلن موردخاي غور رئيس الاركان الاسرائيلي « نحن حريصون على ان لا يتمكن الفلسطينيون من التمتع بقاعدة في لبنان تتيح لهم امكانية شن هجوم ضدنا ·· ان اسرائيل تراقب عن كثب تطورات الموقف في جنوب لبنان » · وفي اليوم التالي مباشرة اعلن كميل شمعون « ان الخطر محدق بالجنوب طالما ان هناك وجود فلسطيني مسلح » · وامام تناقض المواقف هذا وجه كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة نداء « الى كل اطراف النزاع الدائر في جنوب لبنان بأن يشاركوا في الجهود التي تبذل حاليا لوقف اطلاق النار » ( ٩/٨ ) ·

وبينما بات واضحا ان السلطة اللبنانية تضع كل رجائها على تلقي ضمانة اميركية للتنفيذ ، لم تفعل اميركا سوى نقل الشروط الاسرائيلية الى الحكومة اللبنانية ، وفي ٩/٨ تسربت انباء عن تنسيق اميركي ـ اسرائيلي بشأن الجنوب ، ابلغت فيه تل ابيب واشنطن انها « لا تعترض على وجود قوات نظامية لبنانية في جنوب لبنان » بشرط ان تبتعد القوات الفلسطينية عن الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية ، وذكرت مصادر فلسطينية مطلعة ان هناك ثلاثة شروط اسرائيلية ·

١ ـ انسحاب القوات الفلسطينية لمسافة ١٥ كلم اي الى خلف نهر الليطاني ·

٢ ـ ان تكون غالبية القوات اللبنانية التي ستتوجه الى الجنوب من المسيحيين ·

٣ ـ ان لا يتعرض احد بعد دخول القوات الى مجموعات سعد الحداد الذي يقود القوات الانعزالية في الجنوب ·

وعلى ضوء هذه الشروط سربت السلطة اللبنانية الى الصحف معلومات مفادها انه لم يجر حتى الآن تسلم اي ضمان اميركي ، وان الرئيس سركيس ينتظر هذا الضمان قبل ارسال قوات نظامية لبنانية الى الجنوب · وفي ٩/١٥، وبعد لقاء بين سركيس وشمعون ، اعلن شمعون ان الضمانة الاميركية للجنوب لم تتوفر بعد · ويبدو ان هذا اللقاء الذي سبق زيارة شمعون الى دمشق ، كان الاشارة الشمعونية لتصعيد توتر الوضع في الجنوب ، اذ بدأت بعده مباشرة هجمات انعزالية مدعومة بقصف مدفعي اسرائيلي كثيف استهدفت العودة للسيطرة على التلال الاستراتيجية وعلى محاور الطرق ، في ظل حديث متواتر عن استعداد اسرائيل لاحتلال الجنوب ، بينما كان المراقبون يميلون للاعتقاد بأن هدف التوتير العسكري الانعزالي ـ الاسرائيلي ، هو دعم مهمة شمعون في دمشق ، ودعم مهمة موشي دايان وزير الخارجية الاسرائيلي في محادثاته المنتظرة في نيويورك مع سايروس فانس وزير الخارجية الاميركي ·

وبهذه التطورات بقيت قضية الجنوب اي المرحلة الثالثة من اتفاق شتورا ، معلقة دون تنفيذ ، تهدد الوفاق اللبناني ، وامن سوريا ، والعلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية ، بحيث يمكن القول ان المقاومة نفذت كل ما طلب منها في اتفاق شتورا ،

بينما لم تنفذ الاطراف الاخرى اي بند من البنود المترتبة عليها ·

**تمثيل « الفلسطينيين »**

النشاط السياسي الفلسطيني المتعلق بالقرار ٢٤٢ ودعوات الولايات المتحدة للاعتراف به ، استمر لشهر اخر ، حتى بعد صدور بيان اللجنة التنفيذية برفضه . وذلك من خلال المجلس المركزي الفلسطيني الذي عقد دورة خاصة لهذا الغرض في دمشق في ٨/٢٥ · وقد بدأ المجلس اعماله بتصريح ادلى به عبد المحسن ابو ميزر الناطق الرسمي بلسان المنظمة قال فيه : ان المجلس لن يبحث في موقف المقاومة من القرار ٢٤٢ ، وبأن القرار اساسا ليس على جدول اعماله · وفي ٨/٢٦ انهى المجلس اعماله ببيان مركز على القضايا التالية :

١ ـ شجب المناورات الاميركية والصهيونية الهادفة الى الالتفاف حول حقوق شعبنا في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني ، وتمثيل شعبنا المستقل والمتكافىء ··

٢ ـ تأكيد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني ··· وخاصة فيما يتعلق بالقرار ٢٤٢ الذي يتجاهل حقوق شعبنا الوطنية ويتعامل مع قضيتنا كقضية لاجئين ، والتأكيد على تنفيذ قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية ، وخاصة القرار ٣٢٣٦ ·

ولكن هذا الموقف لم يجمد النشاط السياسي المتعلق بهذه القضية ، فبعد صدوره اصدرت جريدة « الاهرام » القاهرية على القول بأن مسؤولين مصريين اتصلوا على وجه السرعة بمنظمة التحرير ، بشأن اجتماع مقترح بين الولايات المتحدة والمنظمة ( ٨/٢٧ ) ومع ان مثل هذا اللقاء لم يتم ( حتى الآن ) ،

فان ثلاثة احداث هامة تجمعت لتعطي للحوار الدائر حول الموقف من « الفلسطينيين » ابعادا جديدة وهامة :

الحدث الاول : وصول عرفات الى موسكو على رأس وفي فلسطيني لاجراء محادثات مع المسؤولين السوفيات · وقد التقى عرفات في هذه الزيارة مع اندريه غروميكو وزير الخارجية مرتين ولساعات طويلة ، وادلى اثناء ذلك بتصريحات قال فيها : ان الولايات المتحدة تحاول احباط جهود التسوية بالسعي لاخراج الاتحاد السوفياتي من هذه الجهود ، وتجاهل المشكلة الفلسطينية ، ثم صدر عن الزيارة بيان مشترك يؤكد المواقف السوفياتية المعروفة لجهة عقد مؤتمر جنيف بحضور منظمة التحرير وتأييد حقها بانشاء دولتها المستقلة · وانهى عرفات زيارته يوم ٣١ـ٨ ·

الحدث الثاني : قيام الحكومة الاسرائيلية باقرار شرعية الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة ، واعلانها عن تطبيق القوانين الاسرائيلية على المواطنين العرب ، وكشفها النقاب عن « معاهدة سلام » أقرها الكنيست رسميا فيما بعد ، مع قرار اخر اتخذ بالاجماع يؤكد على رفض التفاوض مع منظمة التحرير ·

الحدث الثالث : اعلان مواقف اميركية جديدة بشأن تمثيل الفلسطينيين · ففي ١٢ـ٩ اعلنت وزارة الخارجية الاميركية في بيان رسمي · « انه من أجل ان يكون السلام دائما ، فان اتفاق السلام يجب ان يكون مدعوما ايجابيا من قبل جميع اطراف النزاع بما في ذلك الفلسطينيون ·· وهذا يعني ان الفلسطينيين يجب ان يشاركوا في عملية السلام · ان ممثليهم يجب ان يحضروا جنيف من أجل حل القضية الفلسطينية » · وذكر البيان أن الولايات المتحدة « تقوم بالمشاركة مع دول المواجهة

بالاضافة الى السعودية باستطلاع عـــدد من البدائل بالنسبة لمشاركة الفلسطينيين في مفاوضات السلام » ٠

وفـــي ١٥ـ٩ صدر بيان جديد عـــن الخارجية الاميركية اعلن ان « الولايـات المتحدة تدرس بجدية اقتراح تشكيل وفـد عربي موحد الى مؤتمر جنيف ٠٠٠ هناك بالطبع خيارات اخرى ، ونحن سنبحـث هذه الخيارات » ٠ وقال البيان « تركنا للاطراف اتخاذ قرار حول كيفية تمثيـــل الفلسطينيين ٠٠ ونحن لا نحاول ان نفرض رأينا حـــول من سيشكل هذا التمثيـــل الفلسطيني » ٠

وفي اليوم نفسه اوضح فانس الموقف الاميركي بتفصيل اكثر فقال ان بـــدائل تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف هي : فلسطينيون ضمـــــن وفد اردنـــي ٠ او فلسطينيون ضمن وفد عربي ٠

وقد اطلق الموقف الاميركي كما ورد في البيان الاول ردود فعل فلسطينية عـــديدة اتسمت بايجابية متحفظة ، وكانت ابـرز الردود :

ـ رد ياسر عرفات الذي قـــال ان « تصريـــح الناطـــق الرسمـــي لوزارة الخارجية الاميركية حول أهمية الـــدور الفلسطيني وعدم جدوى اي تسوية بدون حـل المسألـــة الفلسطينيـــة ومشاركة الفلسطينيين في عمليـــة السلام كشرط لنجاحها ، يشكل انطلاقا من ذلك ، خطوة ايجابية تؤكد حقيقة موضوعية ، وهي ان قضية فلسطين هي جوهر الصراع فـــي الشرق الاوسط ، وهي تأكيد على صحـة موقف منظمة التحرير الذي اكده المجلس الوطني الفلسطيني » ٠

ـ رد وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » الذي قال « رغم ان التصريح الاميركـي الرسمي جاء عاما ، ولم يسم الاشيـاء بأسمائها ، ولم يلامس حقوق شعبنـــا الثابتة والمعترف بها ، والمتمثلة في حق العودة وتقرير المصير وانشاء الـــدولة الفلسطينية المستقلة ، الا انه وكما قال ابو عمار ، خطا خطوة الى الامام علـى هذا الطريق ٠٠ » ٠

ـ رد مكتب العلاقات الخارجية فـــي المنظمة الذي قال « ان المبادرة الاميركيـة خطوة متقدمة تظهر ان واشنطن تتخـــذ موقفا اكثر ايجابية وموضوعية فـــي نزاع الشرق الاوسط٠٠ ان منظمة التحرير تعتبر ذلك خطوة متقدمة على طريق السلام، لقد بدأت الادارة الاميركية تتخذ موقفـا اكثر ايجابية واكثر موضوعيـــة محـــل النزاع في الشرق الاوسط ، بدلا من دورها السابق والمؤيد تماما للعدوان الاسرائيلي والتوسع » ٠

ـ رد الدكتور جورج حبش أمين عـام الجبهـــة الشعبية الـــذي قال ان البيان الاميركي « هو الطعم المقدم الى المقاومة الفلسطينية كي تقع في الفخ » واكد رفض الجبهة للقرار ٢٤٢ ٠

ـ رد الجبهة الديمقراطية الذي قـال « ان البيان الاميركي لا يأتي بجديد ، لانه لم يذكر ان منظمة التحرير يجب ان تذهب الى جنيف بصفتهـــا المثل الشرعـــي الوحيد » ٠

وبالرغم من أهمية هذا الموقف الاميركي الا ان التحفظـــات حوله كانت كثيـــرة ولاسباب عديدة ابرزها :

١ ـ عدم الثقة بالموقف الاميركي مـن القضية الفلسطينية ومن منظمة التحـرير الفلسطينية بالذات ، والتحسب الى عنصر « المناورة والخداع » في هذا الموقف ٠

٢ ـ تعمد الموقف الاميركي ان يتحدث عن تمثيل « الفلسطينيين » دون تحديد لمضمون الكلمة والتطـــرق الى منظمـــة التحرير كممثل شرعي لهم ، الامر الـــذي

يترك هامشا واسعا للمناورة الاميركية يلتقي مع مساع كثيرة مبذولة لاستبعاد منظمة التحرير والالتقاء بذلك مع الموقف الاسرائيلي ٠

٣ ـ ارفاق الحديث الاميركي عن تمثيل « الفلسطينيين » بالحديث عن البدائل التي تدعو لتمثيلهم ضمن وفد عربي او اردني الامر الذي قد يعني رفض توجيه دعوة رسمية خاصة للمنظمة لحضور مؤتمر جنيف ، تلبية للمطلب الاسرائيلي الدائم ٠

٤ ـ تعمد عدم الالتزام والربط بين تمثيل الفلسطينيين ٠ وبين الحقوق التي يطالبون بها ، بحيث يكون المجال مفتوحا لان تكون قضية التمثيل في النهاية قضية شكلية بحتة ، او انها لا تخرج عن اطار الفهم الاميركي لحل القضية الفلسطينية ٠ والمتمثل بانشاء كيان في الضفة الغربية تحت اشراف اردني ـ اسرائيلي مشترك وعلى مدى فترة زمنية طويلة قد تصل الى عشر سنوات ٠

**مؤامرة « البدائل » الدائمة :**

في الوقت الذي كانت فيه قضية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية تتفاعل دوليا وتصبح مسألة مركزية في محادثات الامم المتحدة بين فانس ووزراء خارجية دول المنطقة ، برزت بشكل ملفت للنظر جملة من النشاطات المعادية للمنظمة ، تطرح كلها ضرورة تشكيل بديل لها يتولى الحديث باسم الفلسطينيين وتشير كثير من الدلائل الى ان بعض الجهات العربية يقف وراء مثل هذه الحملات ويشجعها ، اما لانه يريد هذا البديل فعلا لخدمة اهداف خاصة يريدها ، واما كعملية ابتزاز لمنظمة التحرير على أمل ان تندفع نحو تقديم التنازلات لاميركا ، تحت ضغط التلويح بفرقاء اخرين مستعدين لتقديم هذه التنازلات ٠

وهكذا ٠٠ وبشكل مفاجيء ، برز محام مجهول في الضفة الغربية يدعى حسين الشيوخي ، واعلن في حديث من الاذاعة الاسرائيلية ( ٢١ـ٨ ) ان منظمة التحرير قد افلست ، وان عرفات لا يمثل الفلسطينيين ، وان على عرب المناطق المحتلة ان « يأخذوا الامر بأيديهم » ٠

وفي ٨ـ٩ تولت الاذاعة الاسرائيلية ابراز نبأ يقول ان مجموعة من الشخصيات في الضفة الغربية يعملون على عقد مؤتمر فلسطيني ، ويرون « ان الوقت قد حان لكي يتكلم الفلسطينيون في الضفة الغربية ويسمعون صوتهم » ٠

وكشف التلفزيون الاسرائيلي في اليوم التالي مباشرة ( ٩ـ٩ ) هوية هذه الشخصيات حين اجرى مقابلة مع مصطفى دودين الوزير الاردني السابق ، اعلن فيها ان وفدا من شخصيات الضفة الغربية يعتزم زيارة الدول العربية للمطالبة بأن يستأنف الاردن مسؤولياته نحو الضفة ، وابرام معاهدة ثنائية بين الاردن واسرائيل بالاشتراك مع ممثلين عن الضفة ٠

والجدير بالذكر ان موشي دايان وزير الخارجية الاسرائيلي ، اعلن اثناء توجهه الى نيويورك ، وفي نطاق رفضه للقبول بتمثيل الفلسطينيين المستقل في جنيف بأي صيغة من الصيغ ، موافقته على التفاوض مع فلسطينيين من الضفة وقطاع غزة ، وهو ما يلتقي مع مطالب دودين لقاء كاملا ٠

وقد كان رد الفعل الفلسطيني الوحيد على هذه المحاولات قول وكالة « وفا » ان « هذه ليست هي المؤامرة الاولى ، ولن تكون الاخيرة ، وتحرك دودين يتم بتنسيق كامل مع اسرائيل والاردن » ٠

**العمليات الفدائية :**

وفي وسط هذا الصخب السياسي المليء

بأجواء المناورات والتآمر واصل الفدائيون الفلسطينيون اعمالهم ، واستطاعوا ان يقدموا انجازات كثيفة في مختلف المناطق المحتلة لفتت انظار المراقبين ، ونفذوا في فترة لا تتجاوز الشهر ١٤ عملية فدائية في ١٤ منطقة امتدت من تل ابيب الى نابلس والقدس ، الى غزة وبئر السبع ، وتسببت بعدد ملحوظ من الجرحى والقتلى الاسرائيليين ، وبعدد كبير جدا من المعتقلين العرب الذي تجمعهم اسرائيل بشكل عشوائي للتحقيق معهم ، بعد كل عملية فدائية · ( راجع جدول العمليات الفدائية ) ·

**بلال الحسن**

# المناطق المحتلة

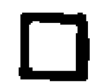
لعل ما حدث خلال الفترة الاخيرة في المناطق المحتلة هو عملية اختزال امينة وصادقة لقصة تاريخ فلسطين ، فالاحداث الاخيرة هي في جوهرها نسخة مكررة عن جوهر الاحداث السابقة · وربما يكون واقع التكرار اشد ألما على النفس من واقع المأساة ، ذلك ان التكرار يجعل المرء يمضغ المأساة يوميا ويراوح مكانه اي في نقطة البداية ، مع ان المسافة بينه وبين البداية خمس وسبعون عاما ونيف !

النسخة المكررة التي عادت وفرضت ظلها على المناطق المحتلة هي :

١ ــ اجراءات اسرائيلية ذات شقين ، الاول استهدف الارض ، بواسطة النقاط الاستيطانية الجديدة ، والثاني استهدف الانسان بواسطة القرار الخاص بمساواة السكان العرب في مجال الخدمات بالسكان الاسرائيليين · وهذه الاجراءات بمجملها تستهدف تكريس الاحتلال والتمهيد للضم·

٢ ــ اجراء عربية في المقابل ، ذات شقين هي الاخرى ، الاولى ، الاستنكار التظاهري للاجراءات الاسرائيلية ،والثاني العمل بصمت ، وتحت غطاء الصراخ التظاهري ضد الاحتلال ، لخلق مجموعة من العملاء في المناطق المحتلة ترضى عنهم اسرائيل ، بهدف خلق « البديل » للممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، لتقفز من خلال هذا البديل الى تسوية يتم فيها تثبيت السيادة الاسرائيلية على الارض ، وتثبيت السيادة « العربية » على صاحب الارض · وقد تمثلت الاجراءات « العربية » هذه في مجموعة الشيوخي التي برزت مؤخرا في الضفة الغربية ·

٣ ــ صمود الجماهير الفلسطينية في وجه الاجراءات الاسرائيلية التي تحدث في وسط النهار ، والاجراءات العربية التي تحدث تحت ستار الليل ·



**القرار الخاص بالمساواة في مجال الخدمات** : وسط النشاط الاستيطاني المحموم في المناطق المحتلة ، وفي غمرة التصريحات الاسرائيلية القائلة بان الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ ١٩٦٧ هي جزء لا يتجزأ من « ارض اسرائيل » ، وانه من غير المعقول ان يقدم المرء على ضم اراض تخصه ، اقدمت الحكومة الاسرائيلية في الرابع عشر من شهر اب على اتخاذ قرار بمساواة سكان الضفة الغربية وقطاع غزة بالسكان في اسرائيل في مجال الخدمات ، وذلك بهدف تكريس الاحتلال وتمهيد الطريق امام الضم الرسمي ٠

وقبل التطرق الى مواقف الكتل السياسية في اسرائيل تجاه هذا القرار ، وردود الفعل في الضفة الغربية عليه ، سنقف قليلا حول المجالات التي يمسها والتكاليف التي يتطلبها ٠

من بين الامور التي تشملها الخدمات ، توسيع شبكة الكهرباء في المناطق المحتلة وضمها لشبكة الكهرباء الاسرائيلية ، ومد شبكة مياه جديدة تكون قادرة على تزويد جميع المناطق بالمياه ، وبناء مدارس ومستشفيات ، واقامة مؤسسات ، وسن قوانين خاصة بالعمال العرب ، وكذلك منح مخصصات للاطفال والمسنين ، ومخصصات اخرى مثل مخصصات الولادة والتامين ضد البطالة ٠ ومن الجدير بالذكر انه يوجد في المناطق المحتلة قرابة ٦٠٠ الف طفل ، وتبلغ مخصصات هؤلاء في العام الواحد ٤ر١ مليار ليرة ، كما ويوجد قرابة ٦٠٠ مليون ليرة في العام الواحد ٠ اي ان تكاليف عملية المساواة تكلف الخزينة الاسرائيلية في حال تطبيق القرار اكثر من ملياري ليرة ٠

ولكن هل ستتحمل اسرائيل هذا العبء المالي ؟

لقد صرحت المصادر الحكومية في اسرائيل ان تمويل خطة المساواة في الخدمات لن « يكون من ميزانية الدولة » كما وانه لن يكون على حساب دافع الضريبة في اسرائيل ٠ واشارت الى انه يمكن تغطيته من النسبة المقتطعة من العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل ، وتبلغ ٥ر٢٪ من معاش العامل ، ومن مصادر اخرى لم تفصح عنها ٠ واعرب كبار الموظفين عن اعتقادهم بأن « القصد هو مناورة سياسية فقط » ٠

وقد انكر رئيس حكومة اسرائيل مناحيم بيجن ان يكون القرار مناورة سياسية ، وركز على انه صدر من خلال دوافع انسانية محضة ، وقال « ليس له اي معنى سياسي » واضاف « ان القرار ليس بداية ضم ، وصدر لاسباب انسانية ٠٠٠٠ والقصد هو تحسين اوضاع السكان العرب » ( هآرتس ١٦-٨-٧٧ ) ٠

وهذا وزير الدفاع عيزر فايتسمان ، وهو صاحب الفكرة ، يحذو حذو بيجن مركزا على الاعتبارات الانسانية الكامنة وراء اتخاذ القرار ، معيدا الى الاذهان الاوضاع المزرية التي يعيشها العمال العرب الذين يعملون في المرافق الاقتصادية في اسرائيل والذين « يتلقون معاشا زهيدا ويرغمون على المبيت في المزابل والمخازن او مساكن خربة » ومعترفا ايضا « بموت عشرة عمال عرب من جراء انهيار منزل عليهم وهم نائمون » ( انظر يديعوت احرونوت ١٩-٨-٧٧ ) ٠ ومن الجدير بالذكر ان قادة الليكود عادوا وكرروا في كل مناسبة « الدوافع الانسانية » للقرار ٠

الا ان تعقيبات رجالات التجمع العمالي المعارض اتسمت بالاستهجان ، فقد وصف شمعون بيرس زعيم حزب العمل القرار

بانه « غير جاد وغامض ومسرحي » واشار الى ان تطبيقه يستلزم مبالغ مالية ضخمة، اما مئير تلمي احد قادة « مبام » فوصفه بـ « الخطوة الخطيرة » بينما قال عضو الكنيست يهوشوع رابينوفيتش انه « يجب ازالة اقنعة الورع التي تتستر بها حكومة الليكود » وقال اهارون يدلين ان « قرار الحكومة هو قرار سياسي ، مع اوراق تين انسانية ٠٠٠ » ( انظر هآرتس ١٦ـ٨ـ ٧٧ ) ٠

وانقسم الكتاب والمعلقون الاسرائيليين الى فريقين تجاه القرار الخاص بالمساواة في مجال الخدمات ، الفريق الاول انبرى للدفاع عن وجهة نظر بيجن وفايتسمان ، معتبرا القرار بمثابة « عمل خيري » ولا يعني بالضرورة ضم المناطق المحتلة او خطوة نحو الضم ، وعزا الشبهات التي تحوم حول القرار الى « التقصير الاعلامي » مثل الكاتب اريه تسيموكي ( انظر يديعوت احرونوت ١٩ـ٨ـ٧٧ ) ومثل الكاتب يديديا باري ، المعروف عنه بانه من غلاة الداعين الى ضم المناطق المحتلة ، والذي حاول جاهدا ابعاد شبهة سياسة الضم عن القرار بقوله في مقال له ( يديعوت احرونوت ١٧ـ٨ـ٧٧ ) « ان من يعتقد ان رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للسكان يدفعهم للتمشي مع سيادة امة اخرى يقع في خطأ مرير ٠وتثبت التجربة التاريخية في العالم الرحب وفي اسرائيل عكس ذلك ، فمع ارتفاع المستوى الاجتماعي والاقتصادي لاقلية قومية ، يحكم اشقاؤها دولا مستقلة مجاورة ، يتعاظم مطلبها في حق تقرير المصير والانضمام الى الدول المجاورة ٠٠ » ٠

وقال ان تحقيق هدف اقامة دولة يهودية ذات سيادة في جميع ارجاء « ارض اسرائيل » وضمان استمرارية هذا الوجود يتوافق مع تشجيع هجرة السكان العرب ، وتساءل « هل يؤدي تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية لعرب المناطق الى تشجيع هجرتهم ، او على العكس من ذلك ، يعزز من رغبتهم في البقاء في اماكنهم » ؟

اما الفريق الآخر فيرى في هذا القرار توجها نحو « ضم زاحف » للمناطق المحتلة مثل الكاتب شموئيل شمطوف (عل همشمار ١٨ـ٨ـ٧٧ ) الذي وصف القرار بانه « خطوة نحو ضم الضفة الغربية وتطبيق القانون الاسرائيلي عليها » ٠ ومثل مردخاي اورن ( عل همشمار ١٧ـ٨ـ٧٧ ) الذي وجه نقدا شديدا ولاذعا للقرار معتبرا اياه خطوة لضم الضفة الغربية وقطاع غزة « ان قرار حكومة بيجن حول السياسة الجديدة في المناطق ما هو الا مشروع ليست فيه ذرة من الحقيقة ٠ امامنا اعلان ذو معنى سياسي متحرش ، موجه لحكم كارتر ، او الدول العربية والاتحاد السوفياتي والعالم كله ، ينص على ان دولة اسرائيل بزعامة بيجن وفايتسمان وديان عاقدة العزم على عدم اعادة مناطق الضفة الغربية الى حكم اجنبي ، وتحويلها الى جزء لا يتجزأ من دولة اسرائيل ، رغما عن أنف وسخط العالم كله ٠ وهذا هو المعنى الحقيقي لقرار الحكومة حول سياستها الجديدة تجاه المناطق » ٠

واعاد الكاتب الى الاذهان ادعاءات الدول التي تحكم شعوبا اخرى « اننا هنا، من اجل تطوير بلادكم ، وجلب الرخاء لكم ، واقامة مستشفيات ومدارس وطرق » ليقول « ونعرف اليوم بان هذه التصريحات لم تفد في شيء » وبعد ان اشار الى ان الشعوب التي رزحت تحت الحكم الاجنبي رفضت هذا المنطق ، وقاتلت من اجل تقرير مصيرها قال ان « ردود الفعل الاولية التي تصدر في المناطق تثبت ان الجماهير

الفلسطينية ابعد من ان تقع اسيرة تصريحات السيد بيجن ، ولن تكف عن العمل من اجل حقها في تقرير مصيرها الوطني في اطار احلال السلام في المنطقة ٠٠٠ » ٠

**ردود الفعل في المناطق المحتلة :** على الرغم من ان زعماء حكومة الليكود انكروا بأن يكون القرار يحمل معنى سياسيا ، وانه صدر لاسباب « انسانية » لم تقع جماهير المناطق المحتلة « اسيرة تصريحات السيد بيجن » فقد اجمعت وسائل الاعلام الاسرائيلية على ان ردود الفعل في المناطق المحتلة تراوحت بين « الريبة والشك » وبين « الغضب والغليان » تجاه القرار ٠ فصحيفة « القدس » التي تصدر في القدس العربية ، اعتبرت القرار بانه « بمثابة خطوة جديدة لتغيير الوضع الراهن في الضفة » واعادت الى الاذهان قول سكرتير الحكومة اريه نيؤور بانه « لا يجب تفسير القرار كضم ، لانه لا يمكن ضم ارض اسرائيل الى شعب اسرائيل »٠

اما صحيفة « الفجر » فقد اعتبرته قبل كل شيء « فرض ضرائب باهظة جديدة » كما وانه « خطوة اخرى في الضم الزاحف » واعتبرته ايضا بمثابة « حلقة في مؤامرة اسرائيلية اردنية ٠٠٠ » لفرض وصاية مشتركة على المناطق المحتلة ٠

وعلى صعيد ردود الفعل عند رؤساء البلديات ، اعلن رئيس بلدية غزة رشاد الشوا رفضه للقرار « جملة وتفصيلا » لاعتقاده بانه يتغاضى عن الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ، وذكر بانه سيرسل برقيات استنكار للمسؤولين الاسرائيليين والاميركيين والى الامم المتحدة ٠ كما واعلن رئيس بلدية الخليل فهد قواسمة انه سيعارض القرار بكل قوة اذا ما اتضح له بانه يحمل بين طياته ضما للمناطق المحتلة ، اما رئيس بلدية طولكرم حلمي حنون فاعتبره « خطوة نحو الضم » وذكر « ٠٠٠ اننا سنوضح للسكان ما يستتر وراء هذا القرار ، سنوضح لهم ان هذا لا يعني اقامة مستشفيات ومدارس اخرى ، بل خطوة نحو الضم ٠٠٠ واليوم جاء القرار كخطوة اولى لتحقيق فكرة جبوتنسكي »٠

ومن الجدير بالذكر انه لم يظهر احد في المناطق المحتلة يتعاطف مع القرار ، وان الذين يعارضونه بقوة كما تقول وسائل الاعلام الاسرائيلية هم رؤساء البلديات و « شخصيات اخرى معروفة بتطرفها وبتأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية » ٠

**النشاط الاستيطاني :** شهدت المناطق العربية المحتلة نشاطا استيطانيا محموما على صعيد البرامج المستقبلية ، والتطبيق العملي ٠ ففي الضفة الغربية اقيمت مؤخرا مستوطنتان ، الاولى بالقرب من ام الريحان في منطقة جنين والثانية في حوش عتسيون في منطقة الخليل ٠ ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية حرصت هذه المرة على احاطة اقامة هاتين النقطتين الاستيطانيتين بالكتمان ، ثم سمحت بالاعلان عن اقامتهما ٠ فقد كشف مراسل دافار ( ١٢ــ٨ــ٧٧ ) النقاب عن قيام مستوطنة جديدة تحمل اسم « مجدال عوز » في غوش عتسيون ، على الجانب الشرقي من طريق بيت لحم الخليل ، وذكر بان المستوطنة اقيمت سرا وسمح الان بالاعلان عن قيامها كما وافاد ، بأن المؤسسات الاستيطانية قررت اقامة مستوطنة اخرى شرقي الطريق على بعد بضعة كيلومترات الى الشمال من المستوطنة الجديدة ، في منطقة الشيخ عبد الله ابراهيم ٠

كما واعلن في اواخر شهر آب عن قيام مستوطنة ناحال جديدة تحمل اسم

« ريحان » شمال قرية يعبد في منطقة جنين على بعد ٤ كم من «الخط الاخضر»· وكان عضو الكنيست توفيق طوبي (راكاح) قد تقدم عند منتصف شهر تموز باقتراح لبحث تصرف سلطات الاحتلال ضد سكان قريتي طورا وام الريحان ، و « استيلائها بالقوة على اراضي القريتين » ونقلت عن الاتحاد (١٩-٧-٧٧) ان « سلطات الاستيطان تحاول منذ وقت طويل ارغام سكان القريتين - ويربو عددهم على الالف نسمة - على التنازل عن اراضيهم المشجرة المقدرة باربعة آلاف دونم » ·

وفيما يتعلق بالاستيطان المستقبلي في الضفة الغربية ، فقد كشف النقاب عن خريطة استيطانية (انظر عل همشمار ١-٨-٧٧) تضم ١٢ مستوطنة ، يعتزم جوش ايمونيم اقامتها في مناطق مختلفة من الضفة بهدف الاسراع في عملية التهويد ، وهذه المستوطنات هي :

(١) دوتان : في منطقة قباطيا (٢) شومرون : شمال غرب نابلس بالقرب من الطريق الى جنين (٣) ترسا : شمال شرق نابلس على الطريق الى الغور (٤) قرني شومرون : جنوب غرب الون موريه (٥) تبوح : على الطريق الامني بين مسحة وحوارة (٦) شيرا (٧) نبي صاع (شمال غرب مستوطنة عنوة) (٨) بيت ال (٩) بيت حورين (١٠) جبعون (١١)يريحو (ضواحي القدس) (١٢) زيف: - جنوب كريات اربع في منطقة الخليل ·

وفي غضون ذلك نشرت الصحف الاسرائيلية ان مجموعة من يهود الولايات المتحدة تعتزم اقامة مستوطنة جديدة تحمل اسم « قلب صهيون » لتنطلق بعد ذلك لاقامة ١٢ مستوطنة اخرى ·

- اما في قطاع غزة ، فقد تم الاحتفال في ١١-٨-٧٧ بوضع حجر الاساس لمستوطنة جديدة بين دير البلح وخانيونس، تحمل اسم قطيف ، وقالت دافار (١٢-٨-٧٧) ان هذه المستوطنة ستستقبل مهاجرين متدينين من الولايات المتحدة · والى جانب ذلك تعتزم سلطات الاحتلال اقامة مستوطنة اخرى في تلك المنطقة في غضون بضعة شهور ·

وفيما يتعلقبالنشاط الاستيطاني في الاراضي المصرية المحتلة ، فقد احتفلت سلطات الاحتلال في ١١-٧-٧٧ بقيام مستوطنة ناحال تحمل اسم « حوليت » في مشارف رفح · وبذلك يصل مجموع ما اقيم من مستوطنات في مشارف رفح ١٢ مستوطنة ، ومن المقرر اقامة اربع مستوطنات اخرى في هذه المنطقة ·

ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال منهمكة منذ مدة في اعمال التنقيب عن البترول في سيناء · وتجري اعمال التنقيب في ثلاث مناطق · (١) منطقة مشارف رفح ، وقد تم العثور في حقل « سدوت » على الغاز دون النفط (٢) منطقة العريش داخل البحر ، وقد تم العثور في البئر البحري الذي يحمل اسم « زيف١» على بعد ١٨ كم من شاطيء العريش على دلائل نفطية على عمق ٣٠٠٠ م ·(٣) منطقة· خليج السويس ، مقابل شاطيء الطور ، حيث تم حفر ثلاثة آبار داخل البحر ويجري العمل الآن لحفر البئر الرابع بحثا عن البترول هناك · واعلن المسؤولون الاسرائيليون ان تكاليف اعمال التنقيب هذه ستصل خلال هذا العام ٤٤٠ مليون ليرة ، وتم تجنيد ١٦٠ مليون ليرة من « جهات اجنبية » · ولم تحدد هوية هذه الجهات ·

وبالنسبة لهضبة الجولان ، جرى عند منتصف شهر تموز ، الاحتفال بدخول طلائع المستوطنين - ٥٠ عائلة - مدينة

كتسرين التي يراد لها ان تصبح المدينة المركزية في الهضبة السورية ٠

ومن المعروف ان هضبة الجولان تعتبر اكثر المناطق العربية المحتلة تأثرا من اعمال الاستيطان والتهويد بسبب ضالة عدد السكان العرب هناك ٠ ويوجد فيها الآن ١، مستوطنة تضم قرابة ٣٦٠٠ مستوطن ، ويأمل هؤلاء المستوطنون ان يصبح عدد اليهود في الهضبة بعد اربعة اعوام ٣٠ الف مستوطن ٠

رؤساء البلديات يفشلون مخطط ديان :
عشية مجيء وزير الخارجية الاميركية الى اسرائيل في نطاق رحلته الاخيرة للشرق الاوسط بغرض تمهيد الطريق لعقد مؤتمر جنيف ، وجه موشيه ديان وزير خارجية اسرائيل دعوة الى رؤساء البلديات في الضفة الغربية والى عدد من « الوجهاء » هناك لحضور حفل استقبال سايروس فانس وزير خارجية الولايات المتحدة ، في محاولة منه منح رؤساء البلديات دورا سياسيا معينا يتناقض وسياسة م٠ت٠ف بهدف الالتفاف حول مسألة التمثيل الفلسطيني ، وخلق زعامة منافسة لمنظمة التحرير الفلسطينية، واحداث خلافات وبلبلة بين صفوف رؤساء البلديات ٠ الا ان محاولته هذه باءت بالفشل تماما ، ولم يلب دعوة ديان الا شخصيات هزيلة ، ومن المشكوك فيه ان ينظر نحوها ديان نفسه نظرة احترام ٠

عقب الدعوة ، وفي الثالث من آب عقد رؤساء البلديات الرئيسية في الضفة اجتماعا تدارسوا فيه مسألة الدعوة التي وجهها وزير خارجية اسرائيل اليهم ٠ وذكرت معاريف (٧ـ٨ـ٧٧ ) ان المجتمعين اتفقوا على عدم تلبية الدعوة باعتبار ان « م٠ت٠ف هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ، ويجب الاستمرار في الخط الذي سار عليه رؤساء البلديات في الضفة منذ مدة : عدم القيام بأية مبادرة لا تباركها م٠ت٠ف » ٠

وعلل رئيس بلدية رام الله كريم خلف رفضه لدعوة ديان بالقول انه يعتقد ان على رؤساء البلديات ان يعملوا فقط في الشؤون البلدية ، وليس لهم اي دور سياسي « والجهة الوحيدة المخولة بالتحدث باسم الفلسطينيين هي م٠ت٠ف الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ٠٠٠ وان محاولة التغاضي عن هذه القيادة واقامة بديل لها هي محاولة مفضوحة ، وليست مقبولة لدى جماهير الشعب » ٠

وفي العاشر من آب اقام ديان حفل الاستقبال لوزير الخارجية الاميركي ،ووجد الاخير في استقباله بالاضافة الى الاسرائيليين ، مذكرة وقع عليها رؤساء عشر بلديات في الضفة الغربية ، ارسلت نسختان عنها الى وزير خارجية الاتحاد السوفياتي ، والى السكرتير العام للامم المتحدة ، تضمنت كما ذكرت دافار ( ١١ـ٨ـ٧٧ ) « الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني ، وحق اقامة دولة فلسطينية ، وتوجيه انتقادات للسياسة الاسرائيلية في الضفة الغربية » ٠ ووقع على المذكرة رؤساء بلديات نابلس ، الخليل ، رام الله، قلقيلية ، طولكرم ، البيرة ، بيت لحم ، حلحول ، طورا وبيتونيا ٠

ووجد ايضا ، بالاضافة الى المذكرة ، بين الحضور « وجهاء » عربا اجتمعوا به وطرحوا على مسامعه امورا ترضي صاحب الدعوة ، و « من بينهم المحامي عزيز شحادة من رام الله ، واحد ابناء الشيخ الجعبري من الخليل ، اكدوا انه يجب الاخذ بعين الاعتبار في كل حل في

المستقبل للضفة الغربية ، الحفاظ على علاقة ما بين الضفة والاردن » ·

**ولادة عميل :** يحدث عادة ، ولكن على فترات متباعدة تمتد احيانا سنوات ، ان تشهد المناطق العربية المحتلة ولادة عميل · ففي الجزء الثاني من شهر آب ، وفي الوقت الذي ازدادت فيه حرارة مساعي التسوية ، والحديث عن ضرورة ايجاد بديل لمنظمة التحرير الفلسطينية ، سواء من قبل اسرائيل او اطراف عربية ، تمت عملية ولادة قيصرية ابصر النور فيها عميل · قامت اسرائيل فيها بدور القابلة ، واطراف عربية خارج الضفة بالدور الاساسي الآخر ! وسمي المولود الجديد : الشيوخي · ولم تغفل الاطراف ذات العلاقة بالولادة عن الحاق نسبه بالفلسطينيين ، واعداده ليقيم منظمة فلسطينية جديدة مناوئة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومؤيدة بطبيعة الحال للاب والقابلة !!

وقبل التحدث عن مواقف الشيوخي ومجموعته والجهات الخفية المستترة وراءه ، تجدر الاشارة الى ان اسمه ــ وهو شخص مغمور ــ ظهر مرتين في الصحف الاسرائيلية في مناسبتين ، قبل ان يردد صباح مساء في وسائل الاعلام الاسرائيلية · ولعل في ذكر هاتين المناسبتين التي اقترن فيها اسمه ما يساعد على القاء الضوء على جوانب هامة من ولادته واهدافه · المرة الاولى التي يظهر فيها الاسم ــ وقد اخطأت في كتابته صحف اسرائيلية كثيرة ــ عندما رئس في اوائل شهر آب مجموعة من « وجهاء » منطقة الخليل وتوجه الى عمان لحضور احتفالات الاردن باليوبيل الفضي للملك حسين ، والتي قاطعها معظم رؤساء بلديات الضفة الغربية باستثناء رئيسي بلديتي بيت لحم وبيت ساحور · والمناسبة الثانية ، عودته من الاردن واعلانه للصحف في اسرائيل بأن الاردن سمح بمرور المنتوجات الزراعية عبر الجسور المفتوحة بعد ان كان قد فرض عليها قيودا في بداية شهر آب · وكان لهذا القرار الذي بشر به الشيوخي وقع حسن على مسامع عدد كبير من اصحاب كروم العنب في الضفة الغربية ·

بعد ذلك ، لم يعد اسمه يقترن بتصدير العنب ، بل بالحديث عن تزعمه لمجموعة من سكان الضفة الغربية ، وعقد المؤتمرات الصحافية ، والمقابلات الاذاعية ، والحديث عن ظهور البديل لمنظمة التحرير الفلسطينية ! اشار الصحفي الاسرائيلي يهودا ليطاني ( هآرتس ٢٢ــ٨ــ٧٧ ) الى ذلك بقوله : « ان مجموعة من سكان الضفة الغربية معروفة بولائها للاردن ، تنظمت مؤخرا بغرض عقد مؤتمر فلسطيني يضم معارضي م·ت·ف في احدى العواصم العربية ، وعلم ان النية تتجه لعقد المؤتمر في عمان او دمشق او بيروت » · وقال ان المنظم الرئيسي للمجموعة هو المحامي حسين الشيوخي من رام الله ومن سكان الخليل سابقا ، كما وذكر بان مصطفى دودين وهو وزير سابق في حكومة الاردن بين افراد المجموعة · كما ورددت وكالة الانباء الاسرائيلية « عتيم » ، كما جاء في يديعوت احرونوت ( ٢٣ــ٨ــ٧٧ ) القول بانه يقف خلف مجموعة الشيوخي « فلسطينيون يؤيدون الملك حسين ، عيل صبرهم ، بما يصفونه «تصرفات عرفات» الذي الحق حسب رأيهم كارثة بالفلسطينيين ، من بينهم شخصيات معروفة ، منهم وزراء سابقونفي حكومة الاردن » ·

كما رددت الصحف الاسرائيلية ادعاء الشيوخي ومجموعته بان له انصارا

ومؤيدين بين صفوف شخصيات فلسطينية تقيم خارج المناطق المحتلة ، داخل وخارج م·ت·ف . تعارض النهج السياسي الذي تسير عليه م·ت·ف ·

ماذا يقول الشيوخي ؟

في المقابلة التي اجراها معه مراسل يديعوت احرونوت ( ٢٤ـ٨ـ٧٧ ) ركز الشيوخي على القول ان م·ت·ف لا تمثل الفلسطينيين في المناطق المحتلة ،وان هنالك جهة واحدة مهيمنة على المنظمة · وهي منظمة فتح بزعامة عرفات · كما واعرب عن معارضته للكفاح المسلح الذي تنتهجه المقاومة ، ودعا الى الابتعاد عن اساليب العنف « انني لا ادعو الى نضال حسب الطريقة الجزائرية ··· علينا ان نكون انسانيين ، وان نحسن الصورة التي الصقت بنا بسبب الحرب في لبنان »·

واعرب عن معارضته لحضور الفلسطينيين مؤتمر جنيف في حال انعقاده، لاعتقاده بان ذلك من مسؤولية الدول العربية « لا ينبغي على اي فلسطيني ان يذهب الى جنيف ··· بل يجب ان يحضر فقط مندوبون عن الدول العربية التي عقدت الشكلة الفلسطينية وأدت الى الوضع الذي نعيش فيه ، ويجب على الدول العربية ان تتحمل العبء . وعلينا ان لا ندعها تتنصل من ذلك » ·

وردا على سؤال وجه اليه اذا ما كان يؤيد اجراء مفاوضات مع اسرائيل . قال « يتعلق الامر قبل كل شيء بالجماهير، فاذا ما ارادت ذلك ، سأعمل باسمها · انني لا اسعى لحكم الفرد » · وقال ان آلافا من الفلسطينيين جاءوا الى بيته للاعراب عن تعاطفهم معه « واعتقد ان معظم الفلسطينيين يشاركونني في مواقفي· ان مبادرتي ليست بنت ليلة وضحاها ، فنحن نمهد الطريق منذ قرابة اربعة اعوام ، والآن حان الوقت لدق الاجراس، واعتقد ان الجماهير ستستجيب لهذه الصرخة » وقال انه لا يخشى م·ت·ف ، ووجه انتقادات شخصية لرئيس م·ت·ف ·

وبعد ذلك عاد الشيوخي واجرى مقابلة اذاعية ( انظر هآرتس ٢٨ـ٨ـ٧٧ ) اكد فيها ان « م·ت·ف انحرفت عن اهدافها الاصيلة ، عندما اخذت تتدخل في شؤون دول عربية اخرى مثل لبنان والاردن ···· » واشار الى انها الحقت اضرارا بالقضية الفلسطينية « باستخدامها سلاح الارهاب » ودعا المنظمة الى تركيز نشاطها في الميدان السياسي فقط ، وتترك ميدان القتال للدول العربية · وانكر ان يكون له ولمجموعته ارتباط بالاردن ، واكد على ان ذلك لا يعني انه ضدالنظام الاردني· ولم ينس توجيه انتقادات شخصية لياسر عرفات ·

ووسط الحديث عن تصريحات المحامي حسين الشيوخي ومجموعته التي لم يجرؤ اي فرد من افرادها على الافصاح عن هويته . علق مدير مكتب رئيس حكومة اسرائيل على ظاهرة « البديل » الاخذ بالنمو في الضفة الغربية بقوله انه « يعلق عليها اهمية كبرى » ·

في هذه الاثناء ، وفي ٢٤ـ٨ـ٧٧ وزعت مناشير في مدن الضفة الغربية تدعو « الدول العربية الى تشكيل لجنة في طرق صرف المبالغ المالية على يد ياسر عرفات زعيم م·ت·ف » وطالبت ايضا زعماء الدول العربية تشكيل لجنة اخرى للتحقق من نسب ياسر عرفات الذي هو « ليس فلسطينيا وليس مصريا ، ولا حتى عربي » واشارت الى « ان ياسر عرفات عميل للمخابرات الاميركية ، القيت عليه مهمة زرع بذور التفرقة في صفوف الشعب الفلسطيني ، وتوتير العلاقات بين الدول

العربية » ٠

وحذرت المناشير مؤيدي م٠ت٠ف في الضفة « يجب على هؤلاء الناس ان يدركوا باننا لن ندعهم ، وسنضربهم بيد من حديد ٠ انهم مطالبون بالكف عن عمالتهم لعرفات في الضفة » وحملت المناشير توقيع « جبهة القوى الفلسطينية الموحدة » ( انظر يديعوت احرونوت ٢٥ـ٨ـ٧٧ ) ٠

ومن المعروف انه لا يوجد في المناطق المحتلة تنظيم فلسطيني يحمل هذا الاسم ، ولذا ، يبقى من غير الواضح هوية الجهة المتسترة وراء اسم وهمي ، الا انه يبقى من الواضح ان الهوية لا يمكن لها الا ان تعود الى احد اثنين ويرضى الاثنين : سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، وسلطات عربية ٠

كانت ردة الفعل في المناطق المحتلة على تصريحات الشيوخي شديدة ، فقد وزعت الهيئات الوطنية هناك مناشير في نابلس استنكرت فيها ظهور العملاء في الساحة ، ودعت الجماهير الى الاتحاد في « وجه اعداء الوطن » الذين بدأوا ينشطون لشق الصفوف ٠ ووصف مراسل معاريف ( ٢٢ـ٨ـ٧٧ ) ردود الفعل في الضفة بانها اتسمت بالغضب وتوجيه الانتقادات الشديدة للمجموعة التي يرئسها الشيوخي و « نعتها بأوصاف قاسية ٠

لقد وصفوها بانها ثمرة مؤامرة اسرائيلية اردنية تستهدف صرف انظار السكان عن الاستيطان في الضفة » ٠

ويبدو ان ردة الفعل القوية في الضفة جعلت افراد المجموعة يتخوفون من الكشف عن هويتهم ٠ واشار المراسل الى ذلك بقوله ان مجموعة الشيوخي التي يتراوح عدد افرادها ما بين ٧ـ١٠ اشخاص « يخشون الكشف عن هويتهم » ٠

ومما يلفت النظر ان الصحفيين الاسرائيليين ، امام رفض رجال المجموعة الافصاح عن نفسها ، توجهوا الى شخصيات معروفة بولائها للنظام الاردني ، لعلهم يجدون عندها الخبر اليقين ٠ وجل ما وجدوه استنكار مبادرة الشيوخي ، وامتداح م٠ت٠ف ! فقد علق رئيس بلدية بيت لحم الياس فريج بالقول : « هذا بالون ربما يقصد منه مصالح جهة ما ـ ولكن بالتأكيد ليس الفلسطينيين ٠ انها خرافة قد ينجم عنها فقط الحاق الضرر بسكان الضفة » ٠

اما المحامي عزيز شحادة فقال : « لم اسمع عن مبادرة كهذه ٠ ومن الغريب طرحها في الوقت الذي يعترف فيه العالم باسره بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويعتبرها الممثل للشعب الفلسطيني » أما ابو الزلف رئيس تحرير صحيفة «القدس» فذكر ان هذه المبادرة « هراء ٠ اشخاص غير جادين ٠ ومبادرة غير جادة ٠ لن ينجم عنها شيء ٠ ولا يستحق هؤلاء الانتباه » ٠

ومع ذلك فقد بقي هؤلاء يحظون باهتمام الصحفيين الاسرائيليين الذين كشفوا النقاب عن شخصيتين مركزيتين في مجموعة الشيوخي ، وهما مصطفى دودين من الخليل ، وزير الشؤون الاجتماعية سابقا في الحكومة الاردنية ، ورمضان خوجه من دورا عضو في البرلمان الاردني سابقا ٠

ولم يكن امام هاتين الشخصيتين ، بالرغم من اشارة الصحف الاسرائيلية الى انهما عصب مجموعة الشيوخي ، الا التبرؤ من الشيوخي نفسه ٠ فقد قال الاول في سياق تبرؤه : « لقد هاجمتني م٠ت٠ف دون ذنب اقترفته ٠ لقد وصلتها معلومات دون اذني ، ودون ان اسأل حول

ذلك ، والنتيجة كانت تصويري كشريك للشيوخي في آرائه · هذا غير صحيح · لم اتحدث معه حول آراء سياسية ، ولم اجتمع معه في عمان ، ولا توجد بيننا علاقة سياسية او شخصية » ·

اما الثاني فتبرأ على الشكل التالي : « يجب ان يكون واضحا انه لا يوجد بيني وبين الشيوخي اي شيء · لم اتحدث معه، ولم انسق معه اي موقف سياسي ···· » ( انظر معاريف ٢٩_٨_٧٧ ) ·

ويبدو ان الشيوخي وجد نفسه بعد ان اصيب بنوبة قلبية في غمرة حملته ضد م·ت·ف والتبشير لمجموعته ، وقد تبرأ منه اقرب المقربين ، مضطرا الى التبرؤ هو الآخر من نفسه · فقد اشارت آخر المعلومات التي نشرتها الصحف الاسرائيلية ان الشيوخي اخذ يتبرأ من مواقفه السابقة حين عاد واعلن « ان م·ت·ف هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني » على مسمع من الاب الصامت والقابلة الثرثارة ·

**عبد الحفيظ محارب**

# اسرائيليات

## أ- المخططات الاقتصادية الجديدة وعلاقة الهستدروت بالحكومة

اثبتت نتائج الانتخابات الاسرائيلية للكنيست التاسع التي جرت في شهر ايار الماضي ان الوضع الداخلي الاقتصادي والاجتماعي كان من الامور الحاسمة في هذه الانتخابات التي اسفرت عن فوز كتلة « ليكود » اليمينية وتسلمها السلطة في اسرائيل · وتشير النتائج الرسمية للانتخابات ان كتلة « ليكود » قد فازت في الاساس،بفضل اصوات ابناء الطوائف الشرقية الفقيرة التي تسكن غالبيتها في المدن الكبيرة ومستوطنات الحدود . في وضع اجتماعي واقتصادي صعب للغاية ، يعكس الهوة الاجتماعية القائمة بينها وبين ابناء الطوائف الغربية الذين يشكلون في غالبيتهم الطبقة المتوسطة والغنية في اسرائيل · وقد نجح « ليكود » في كسب اصواتهم ، بفضل الوعود الكثيرة التي قدمها لهم في مجال تحسين اوضاعهم · وهناك من بات يعتقد في اسرائيل ، ان استمرار تولي « ليكود » السلطة في المستقبل ، سيكون مرهونا الى حد بعيد بموقف هؤلاء السكان الذي يتوقف اساسا على مدى تنفيذ الوعود التي قدمت لهم ، رغم ان هذا الامر يبدو صعبا جدا الآن بسبب المشاكل الاقتصادية المتازمة التي تعيشها اسرائيل ، بحيث ان اقصى ما يمكن عمله في هذا المجال هو استمرار الخدمات والمساعدات التي كانت تقدم لهذه

الطبقات أيام حكم « المعراخ » ٠

وليس الوضع الاجتماعي الصعب لهذه الطبقات الفقيرة هو الامر الوحيد الذي ورثه « ليكود » عن « المعراخ » في المجال الداخلي ، وانما هناك مشاكل اقتصادية متأزمة ، لا بد من التوقف عندها قبل التطرق الى الحلول التي يعرضها « ليكود» وامكانية تنفيذها ٠ وقد اشار وزير المالية الاسرائيلي السابق يهوتشواع رابينوفيتش، في مجال عرضه لاعمال وزارته في الجلسة الختامية لحكومة « المعراخ » ، « ان هناك مشكلات اساسية املت سياسة حكومته الاقتصادية ( حكومة رابين ) ٠ وتتمثل هذه المشكلات في «الزيادة الضخمة في نفقات الامن المحلية وفي الاستيراد الامني في الفترة التي تلت حرب « يوم الغفران » ، ارتفاع اسعار الوقود الذي سبب اهتزازا في الاقتصاد العالمي كله ، ارتفاع اسعار الواردات الاخرى ، خاصة المواد الغذائية المستوردة من الخارج ، والمواد الخام ، ثم الركود في النشاط الاقتصادي وفي الطلب في الاسواق داخل البلدان الاساسية التي تتاجر معها اسرائيل ٠ وقد ادت هذه المشاكل الى تطورين اقتصاديين اساسيين : ارتفاع ليس له سابق في العجز الجاري في ميزان المدفوعات الذي ارتفع من ١ر١ مليار دولار في سنة ١٩٧٢ حتى ٠٤ر٤ مليار دولار في سنة ١٩٧٥ . وارتفاع كبير في الاسعار ، حيث بلغت نسبة ارتفاع الاسعار للمستهلك خلال السنين الثلاثة المذكورة ١٦٦٪ ٠ ثم ازدياد ديون اسرائيل الخارجية وارتفاعها من ١ر٤ مليار دولار في نهاية ١٩٧٢ الى ٣ر٩ مليار دولار في نهاية سنة ١٩٧٦ » ( دافار ، ١٣ـ٦ـ٧٧)٠ وباختصار يمكن تلخيص المشكلة الاقتصادية في اسرائيل ، في انها ناتجة عن الثغرة القائمة بين الموارد الاساسية المتوفرة للاسرائيليين ، وبين متطلباتهم واستهلاكهم ، بحيث يمكن القول ان مستوى المعيشة المرتفع نسبيا المتوفر لهم ، هو على حساب المساعدات الخارجية خاصة الاميركية ، والقروض التي يحصلون عليها في الاسواق الخارجية ، وليس على حساب انتاجهم ، رغم كل احاديثهم عن التفوق الزراعي والصناعي لديهم ، فهم مجتمع يقوم على التسول وليس على الكفاية الذاتية ٠

ويشير رابينوفيتش ( المصدر السابق ) الى ان هذه المشاكل الاقتصادية هي التي املت سياسة « المعراخ » في هذا المجال ، التي تمثلت حسب قوله ، في النقاط التالية: « ١ ـ الهدف الاساسي كان ولا يزال تقليص العجز في ميزان المدفوعات ، لان عجزا كهذا يشكل خطرا على الاقتصاد وعلى العمالة والقوة الامنية ، ويزيد من التعلق السياسي ٠ ٢ ـ تقليص الطلبات المحلية وفي الاساس تقليص الاستهلاك الفردي والعام ٠ ٣ ـ تغيير بنية الاقتصاد، من خلال منح افضلية للفروع التي تساهم في تحسين ميزان المدفوعات سواء بواسطة زيادة الصادرات او انتاج مواد بديلة للمواد المستوردة ٠ ٤ ـ خلق توازن في وضع العمالة من خلال الغاء وضع العمالة القائضة ، وتجنب الانزلاق الى بطالة كبيرة ٠ ٥ ـ كبح ضغوط التضخم المالي ، مع خفض سرعة ارتفاع الاسعار من سنة الى اخرى ٠ ٦ ـ تحسين الظروف من اجل تجديد الانعاش الاقتصادي ٠ ٧ ـ تحسين وضع الطبقات الاجتماعية الفقيرة ، من خلال تقليص تدريجي للثغرات الاجتماعية القائمة » ٠ وتنفيذا لهذه السياسة ، عملت حكومة المعراخ على ثلاثة مستويات : اولا عملت مباشرة على مركبات ميزان المدفوعات بواسطة زيادة

رقمية الصادرات وغلاء الواردات · ثانيا، عملت على تقليص الطلبات المحلية ، من اجل خفضّ الواردات ، وتوفير مصادر يمكن توجيهها الى فرع الصادرات، وسوية مع ذلك تخفيف الضغوط التي تؤدي الى رفع الاسعار · ثالثا ، تم تنفيذ عدد من الاصلاحات الاساسية في مجال الضرائب المباشرة وغير المباشرة ( ضريبة القيمة الاضافية ) ، مع اتباع خطوات اقتصادية خاصة مثل خفض علاوة غلاء المعيشة حتى ٧٠٪ بالاتفاق مع الهستدروت ، واتباع اسلوب التخفيض الزاحف في قيمة الليرة الاسرائيلية ، ثم خفض تدريجي في قيمة المساعدات الحكومية للمنتوجات والخدمات الحيوية ·

هده هي اهم اسس سياسة الحكومة السابقة في الحقل الاقتصادي ، ورغم انها استطاعت تحقيق بعض المكاسب ( مثلا انخفاض العجز في ميزان المدفوعات في سنة ١٩٧٦ بقيمة ٧٨٠ مليون دولار ) الا انها تبقى مكاسب هزيلة بالمقارنة مع ضمانة المشكلات التي ذكرت اعلاه · ويلاحظ ان فترة ما قبل الانتخابات قد تميزت بالتوقف عن اتخاذ اي اجراءات اقتصادية جديدة ، الامر الذي زاد من تفاقم سوء الوضع ، وادى الى تقليص فاعلية الاجراءات التي اتخذت في السابق، وزيادة العجز في ميزانية الدولة ، بحيث فاق كل ما كان متوقعا في السابق · وباختصار يمكن القول ان « الليكود » قد ورث وضعا اقتصاديا صعبا ، تبدو خططه البديلة السابقة التي عرضها في فترة ما قبل الانتخابات وايام كان في المعارضة ، وكأنها بعيدة كل البعد عن الواقع ·

**اقتصاد حر وتقليص دور الحكومة في الحقل الاقتصادي**

ركزت كُتلة « ليكود » في برنامجها الاقتصادي البديل الذي عرضته قبل الانتخابات الاخيرة للكنيست على خمسة نقاط اساسية على النحو التالي :

اولا ، اقتصاد حر وتقليص تدخل الحكومة في النشاط الاقتصادي · ثانيا ، كبح التضخم المالي بواسطة تقليص العجز في ميزانيات الحكومة وفي مجمل السيولة في القطاع العام · ثم تقليص الاجهزة الزائدة من خلال التمويل المنظم للمستخدمين الى الفروع الانتاجية · ثالثا ، تقليص العجز في ميزان المدفوعات بواسطة الزيادة الفعلية للصادرات وخفض الواردات ، بما في ذلك الاستيراد الامني · رابعا ، تبسيط السياسة الضريبية ، بانتهاج نوعين من الضرائب فقط : ضريبة تصاعدية على الدخل وضريبة على القيمة الاضافية كنسبة موحدة على الانفاق · خامسا ، استقرار علاقات العمل وايجاد صلة مباشرة بين الانتاج والاجر ، ومقابل ملائم للوظيفة والخبرة والمبادرة والزيادة الانتاجية الفعلية وللجهد والمسؤولية · ( معاريف ، ٢٢-٤-٧٧ ) ·

وبعد فوز « ليكود » في الانتخابات ، بادر وزير الاقتصاد الجديد سيمحا ارليخ الى شرح السياسة الاقتصادية الجديدة التي تنوي حكومته اتباعها وفق الاسس العامة المذكورة اعلاه · وقد اثارت اقواله ردود فعل غاضبة بين مختلف القطاعات الاقتصادية داخل اسرائيل ، خاصة بين اعضاء الهستدروت وتنظيمات العمال ، نظرا لما تحمله بين طياتها ، من تغيير كبير في الوضع القائم الذي اعتاد عليه الاسرائيليون ايام حكم « المعراخ » رغم كل ما يحمله من اخطاء وتشويهات · فمثلا يفسر ارليخ مبدأ الاقتصاد الحر والحد من تدخل الحكومة في النشاط الاقتصادي بقوله : « ان المبدأ هو ان توفر الحكومة

والدولة خدمات للمواطن لا تستطيع شركة خاصة تقديمها له : مثل الامن ، المطارات الجوية والموانىء ، المياه ، والطرق وما شابه ذلك · وحسب هذا المبدأ ، فان كل ماتستطيع شركة خاصة تنفيذه ، على الحكومة ان تتوقف عن القيام به على حساب الجمهور ومن صندوقها · وبالطبع لا انكر حق الحكومة في الاشتراك في مشاريع طلائعية لا يستطيع رأس المال الخاص او لا يرغب في تنفيذها ،ولكن هذا امر خارج عن القاعدة· ففي الولايات المتحدة ، حتى صناعة السلاح هي بين ايدي شركات خاصة ، وامن الولايات المتحدة لم يتضرر نتيجة لذلك » ، ( في مقابلة مع معاريف ، ٢٧_٥_٧٧ ) ·

ويتهم ارليخ حكومات « المعراخ » السابقة في ان سياستها الاقتصادية كانت تهدف في الاساس الى زيادة تعلق المواطنين بها لخدمة اهدافها ، « فما حدث عندنا خلال سنين _ وهذا جزء هام وبارز في اخطاء الحكم « المباني » في تنوعاته _ هو ان الحكومة تحولت الى منافسة لمواطنيها · فمن جهة واحدة تحصل ضرائب عالية من المواطن ، ومن جهة اخرى تستعمل هذه الاموال في اقامة مشاريع تنافس بها المواطنين دافعي الضرائب · وامثلة على ذلك : الحكومة هي اكبر مستورد محتكر للمواد الغذائية الاساسية ، مثل الزيوت واللحوم والسكر والطحين والعلف والحبوب · والحكومة هي التي تتاجر بمقا_ ں ضخمة · فهي تستثمر الاموال في ذلك ، وتقيم المخازن والادارات والموظفين ، والسيارات والسائقين ·وعليها ان تنفق مليارات من الليرات على التبريد والخزن · لماذا ؟ لكي يكون المواطن متعلقا بالجهاز الحاكم، ومستعبدا له · اما نحن فسنوقف ذلك كله · سنوجد لقب « المستورد المرخص » · كل من يستطيع ان يبرهن ، على انه يملك المال الكافي والمخازن ، والبرادات ، ويكون ملزما بالاحتفاظ بكميات وافية من الاحتياط ، بحيث يقتصر دور الحكومة على مراقبة الاسعار فقط ، من اجل منع التلاعب بها » · وتنفيذا لهذه السياسة ينوي ارليخ بيع الشركات الحكومية مثل شركة الكهرباء والمعامل الكيماوية والبترو

_ كيماوية ومعامل تكرير البترول ، حيث تطرح اسهمها في السوق للبيع · « كذلك ليس هناك سبب لان يكون للحكومة سيطرة مطلقة على مديرية عقارات اسرائيل ، وليست هناك حاجة الى وزارة للاسكان تتوسط بسعر مرتفع جدا بين المواطن ومسكنه · يجب تسليم الاراضي للاشخاص . واعفاء مواد البناء من الضرائب ، من اجل جذب مستثمرين لبناء مساكن للايجار ··· وبهذه الطريقة، سيتحرر المواطن من التعلق بالنظام ،الامر الذي احدثه حكم المعراخ طوال اعوامه من اجل الاحتفاظ بالحكم : سيكون هناك تدخل ادنى من جانب الحكومة في التطورات الاقتصادية ، وستمنح حرية المبادرة للاشخاص والشركات ، من اجل البناء والتطوير وربح المال ثم دفع ضرائب كثيرة · واعتقادي هو ان مساكن للايجار هي الحل الوحيد لانتقال العمال من مكان عمل الى آخر » · ( المصدر نفسه ) ·

وبالنسبة للبند الثاني في برنامج « الليكود » الاقتصادي ، اي كبح التضخم المالي بواسطة تقليص ميزانيات الحكومة فقد ذكر ارليخ انه اذا استمرت نسبة التضخم الحالي من ٤٠_٥٠٪ في السنة، فسيحدث في اسرائيل انهيار اقتصادي وبطالة جماهيرية · « سنحارب التضخم سواء بواسطة تقليص نفقات الحكومة او بواسطة خفض مستوى المعيشة والاستهلاك الفردي والعام خلال السنتين المقبلتين على الاقل · وعلى المواطنين

ان يدركوا ان مجرى الاصلاح وتصحيح الاخطاء سترافقه آلام وتنازلات ... » .

ولا بد هنا من الاشارة الى نقطتين اساسيتين اعلن عنهما ارليخ في سياق حديثة حول سياسته الاقتصادية للسنين المقبلة ، اثارتا موجة عارمة من الاستياء والاستنكار ، خاصة ان اقواله هذه جاءت قبل انتخابات الهستدروت ، الامر الذي استغله دعاة « المعراخ » افضل استغلال . فقد اعلن ارليخ انه تنفيذا لهذا البند في سياسته ، اي كبح التضخم المالي لا بد من اجرائين اساسيين : اولا خفض الاعانات الحكومية التي تمنح بوجه خاص للمواد الغذائية الاساسية ، ثم للقطاعات الانتاجية المختلفة خاصة للصناعيين ، لتشجيع فرع الانتاج . ثانيا، حدوث بطالة على نطاق واسع نتيجة خفض الميزانيات العامة وتجميد ملاك المؤسسات الرسمية ، وتقليص النشاط الاقتصادي العام ، خاصة في فرع الخدمات . وقد دافع ارليخ عن افكاره هذه بقوله : « عندما اتحدث عن خفض الاعانات الحكومية ، فإن الامر يجب الا يخلق فزعا . فالعادة عندنا ، انه عندما يجري الحديث عن هذه الاعانات ، فان المتحدثين لا يرون امامهم سوى الزيت والارز ومنتوجات الحليب والخبز والسكر ( وهي المواد الغذائية التي تدفع الحكومة اعانات من اجل المحافظة على اسعارها المنخفضة ) . اريد ان اعلن بوضوح ، ان الاعانات لهذه المواد ما هي سوى نسبة ضئيلة ، ربما ١٥٪ من سائر الاعانات التي تدفعها الحكومة ... انها امر ثانوي جدا . والمشكلة لا تتمثل في دفع اعانات من اجل المحافظة على اسعارها المال ( التسليف والتسهيلات التي تمنح للمستثمرين من اصحاب رؤوس الاموال). اريد ان اعلن اننا لن نمس الطبقات الفقيرة والضعيفة ، وانما الطبقات القوية ... » ( في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ٨ـ٧ـ٧٧ ) . واعلن ارليخ ايضا ان سياسته تهدف الى خفض التضخم المالي الذي وصلت نسبته الى ٣٨٪ في السنة الماضية ، بنسبة ١١ـ١٢٪ في السنة المقبلة ، وذلك بواسطة سلسلة من الخطوات الاقتصادية التي ستنفذ خلال الاشهر المقبلة ، واولها تجميد مستوى المعيشة ثم تخفيضات كبيرة في ميزانية الحكومة والنفقات العامة . ولا تختلف تطلعات ارليخ هذه عن سياسة حكومة « المعراخ » ، سوى في القدرة على التنفيذ ، فالدعوة الى تجميد مستوى المعيشة وخفض ميزانيات الحكومة قائمة منذ سنين ، الا ان تنفيذها كان محدودا جدا ، الامر الذي زاد من تفاقم التضخم الاقتصادي ، حتى وصل الى ٣٨٪ خلال السنة الماضية .

اما في بند الضرائب فان ارليخ يتطلع الى تبسيط الاجراءات والاجهزة ، والغاء البيروقراطية القائمة في هذا المجال ، الا ان هذا الامر لن يؤدي الى تخفيف عبء الضرائب عن الاسرائيليين . وقد تولد هذا الانطباع عقب الانتخابات ، حيث انتشرت اخبار مفادها ان وزير المالية الجديد سيخفف الضرائب على السفر الى الخارج، وبعض الضرائب الاخرى كضريبة الامن . وقد انكر ارليخ هذا الامر بقوله : « ان من يعتقد انني انوي الغاء ضريبة السفر من اجل تسهيل سفر الاسرائيليين الى الخارج هو مخطىء . ان ما ننوي صنعه هو تسهيل الاجراءات . واذا الغيت ضريبة السفر ، فسيتم ادخالها في ضريبة القيمة الاضافية ... سيتم تبسيط الاجهزة وتبسيط الاجراءات » ( المصدر نفسه ) . وفي هذا المجال تنوي الحكومة الجديدة ، الغاء معظم الضرائب غير المباشرة ،

ودمجها في ضريبة القيمة الاضافية ، التي فرضتها الحكومة السابقة خلال السنة الماضية ٠

اما الامر الاكثر اثارة في مخططات وزير المالية الجديد ، فهو اعلانه انه سيعمل على الغاء الرقابة على العملة الصعبة خلال سنة اذا استطاع ذلك (اعلن ذلك في مقابلة مع ملحق هآرتس ، ٢٢ـ٧ـ٧٧ ) ٠ وهذا احد الامور التي نصحه بها الخبير الاقتصادي الاميركي ميلتون فريدمان الذي استقدمته حكومة « ليكود » بهدف الاستشارة ، الامر الذي اثار استياءا شديدا بين اوساط المعراخ والهستدروت ، بسبب ارائه المتطرفة التي ستؤدي ،في حال تنفيذها الى تغيير الوضع الاقتصادي الاسرائيلي من جذوره ٠

**فريدمان : الغاء الاعانات الحكومية وتقليص تدخل الحكومة في الاقتصاد**

يعتبر البروفسور ميلتون فريدمان وهو يهودي اميركي ، اكبر المتطرفين بين الخبراء الاقتصاديين في العالم الذين يعارضون كليا كل تدخل حكومي في الاقتصاد ٠ ومهمات الحكومة ، حسب نظريته ، تبدأ وتنتهي في المجال الضيق ، الذي كان قائما في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر : الامن ، القضايا الخارجية ، الشرطة والقضاء ٠ انه يعارض تماما عبارة «ميزانية تطوير»، وحسب رأيه على الحكومة الا تطور شيئا ، لان ما لا تستطيع الطاقات الاقتصادية تطويره ، فانه لا يستحق التطوير ٠ كذلك يدعي ان الحكومة يجب ان تمتنع عن الاهتمام بقضايا التعليم والصحة والبريد وما شابه ذلك ، لان هذه الامور جميعها يمكن ان تنفذ على نطاق خاص ، واسعارها يجب ان تحدد حسب طاقات الاقتصاد ٠

لقد دعي فريدمان من قبل حكومة « ليكود » للاستشارة وتقديم الحلول لمشاكل اسرائيل الاقتصادية ٠ وقد اجتمع حال قدومه الى المسؤولين الجدد في اسرائيل ، والى زعماء الهستدروت وممثلي الصناعيين ٠ وتركزت اقتراحاته على النحو التالي ، كما جاءت على لسانه في مقابلة مع صحيفة يديعوت احرونوت ( ٨ـ٧ـ٧٧) : اولا ، الغاء الرقابة على العملة الصعبة ، وابطال تحديد نسبة تبادل العملة ( بحيث تعين نسبة التبادل حسب السوق بصورة حرة ) : « اعتقد انكم انتم الاسرائيليون يجب ان تقاسوا من الم الضمير ، لانكم بواسطة اسلوب الرقابة على العملة الصعبة ، تحتفظون بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار تخص مواطنين يهود تركوا اسرائيل ــ وفي نفس الوقت تغضبون على روسيا ، لانها لا تسمح للمهاجرين اليهود ، بنقل ممتلكاتهم معهم٠ كيف تبررون ذلك ؟ » ( المصدر نفسه ) ٠

ثانيا : تخفيض نفقات الحكومة ، من اجل توفير مصادر اكثر للاستعمالات الخاصة ولتشجيع الانعاش ، والعمال وتحقيق مستوى معيشة اعلى ٠

ثالثا ، الغاء القروض التي تمنحها الحكومة بدون ارتباط بقيمة العملة ٠ واذا كانت الحكومة مهتمة بمنح قروض لاصحاب المبادرة ، فعليها ان تخضع ذلك لارتباط ما بالعملة ٠ وينطبق هذا الامر على الرقابة على التسليف المصرفي ايضا، وعلى الاعانات الحكومية ٠ اما السلف الموجهة ( تمنح مثلا للمشاريع في مناطق معينة مثل مناطق الحدود ) فيجب استبدالها باعانات حكومية علنية ، وهكذا يتم اعفاء البنوك من المهمة ٠ بهذه الطريقة يمكن تشجيع القيام بنشاطات مالية دولية في اسرائيل كفرع صادرات ٠ بعد ذلك يأتي دور الغاء الرقابة على الاسعار

تدريجيا · اما بالنسبة للضرائب فيعتقد فريدمان ان عبء الضرائب يمكن تخفيضه بواسطة تقليص نفقات الحكومة لان « الضريبة الحقيقية المفروضة على السكان هي مجموع نفقات الحكومة » ·

اما اشهر اقوال فريدمان في اسرائيل ، التي تعبر عن عدم واقعية هذا الخبير ، هو انه ليس صحيحا ان اسرائيل تعاني من عجز بقيمة ٣ر٣ مليار دولار في ميزان مدفوعاتها ، حيث ان « دخل الجباية وسندات البوندس تمنح كبديل للامن والاعتزاز الذي توفره اسرائيل ليهود العالم · اما المساعدات الاميركية ، فتمنح كبديل لما توفره اسرائيل من نفوذ للولايات المتحدة في الشرق الاوسط · لذلك يوجد هنا مساعدة مقابل مصالح ، وهذا جزء من صادرات الخدمات · واذا اخذنا هذا الامر بالحسبان ، فان عجز اسرائيل قليل جدا » ( هآرتس ، ٦ـ٧ـ٧٧ ) ·

وقد اعلن الوزير ارليخ فيما بعد ( في مقابلة مع ملحق هآرتس ، ٢٢ـ٧ـ٧٧ ) ان حكومته تبحث بجدية مقترحات فريدمان هذه . خاصة فيما يتعلق بالغاء الرقابة على العملة الصعبة ، اذ يمكن تحقيق ذلك خلال سنة ·

## اجراءات اقتصادية جديدة

في هذه الاثناء يبدو ان هناك هوة عميقة بين تصريحات وزير المالية الجديد بشأن الاقتصاد الحر وتشجيع المبادرة الحرة من خلال الحد من تدخل الحكومة

في النشاط الاقتصادي والغاء الرقابة على العملة الصعبة الخ · وبين امكانية تنفيذ هذه الامور نظرا للواقع الاقتصادي الصعب الذي اصطدم به وزير المالية بعد فترة التريث والجمود التي سادت نشاط وزارة المالية قبل الانتخابات للكنيست ·

وقد اعلن ارليخ بعد توليه منصبه « علي ان ابدأ باطفاء الحرائق ··· فالوضع الاقتصادي صعب جدا » · وبناء على ذلك اقرت حكومة « ليكود » سلسلة من الاجراءات الاقتصادية تتضمن تخفيضا كبيرا في نفقات الحكومة ، ورفع اسعار المواد الاستهلاكية الضرورية بواسطة الغاء الاعانات الحكومية التي تدفع مقابلها ( للحفاظ على انخفاض اسعارها ) ثم اجراء تخفيض اخر في قيمة الليرة بنسبة ٢٪ ، بحيث اصبحت قيمة الدولار ٨٩ر٩ ليرة اسرائيلية · وقد اعلن وزير المالية ارليخ في مؤتمر صحفي ان الاجراءات ستؤدي الى رفع معدل الاسعار بنسبة ٦ر٤٪ بحيث يبلغ معدل ارتفاع الاسعار العام خلال هذه السنة ٢٨٪ مقابل ٣٨٪ في سنة ١٩٧٦ ، لانه « بدون تخفيض في الاعانات الحكومية ورفع اسعار المنتوجات الاستهلاكية الاساسية ، وبدون تخفيض ليس له سابق في ميزانية الدولة ، فاننا سنعود الى تضخم مالي سريع وانخفاض كبير في فائض العملة الصعبة·ان هذه الاجراءات معناها انه ابتداء من اليوم ستدفع اسعار المواد الاساسية التي تدفع الحكومة اعانات مقابلها ، بمعدل ٢٥٪ على الاكثر ··· وقد رأينا ان هناك حاجة ملحة لاستخدام هذه السياسة ، لان العجز في ميزانية الدولة يزداد في كل يوم ، الامر الذي سيلزمنا في المستقبل برفع الاسعار بصورة اكبر · ولولا هذه الاجراءات لوصلت ميزانية الدولة لهذه السنة الى ١٣١ مليار ليرة بدلا من ٥ر١٢٢ مليار ليرة كما كان مخططا ( اي زيادة بمقدار ٥ر٨ مليار ليرة ) ، الامر الذي كان سيؤدي الى تدفيق ١٣ مليار ليرة جديدة الى السوق ( اصدار اموال جديدة ) ، بحيث تتحول الليرة الى ورقة عديمة القيمة » ( هآرتس ، ١٨ـ٧ـ٧٧ ) ·

وتتلخص الاجراءات الجديدة التـــي اتخذت على النحو التالي :

١ ـ التخفيض في الميزانية : خفض مباشر في ميزانية الدفاع بقيمـــة ٤ر١ مليار ليرة ، وفـي ميزانيات الوزارات الاخرى بمبلغ ٩٠٠ مليون ليرة ٠

٢ ـ الغلاء : ارتفاع اسعار المــواد الغذائية بنحو ٢٥٪ ( ما عدا السكر ) ٠ والبنزين والمواصلات العامة بـ ٢٥٪ ٠ المياه ـ اكثر من ٣٠٪ ، الكهرباء ٢٥٪ ٠ رسوم البريد والهاتف ـ من ٢٠ ـ ٣٠٪ ٠

٣ ـ منح تعويض فوري للطبقـــات الفقيرة بنسبة ٥ ـ ٦٪ ٠

٤ ـ استقرار التخفيض الزاحف بحيث يتم تخفيض الليرة بنسبة ٢٪ ، ليصبـــح الدولار ٨٩ر٩ ليرة اسرائيلية ٠

٥ ـ تجميد ملاك الموظفين في الوزارات

الحكومية باستثناء وزارتي الصحـــــة والتعليم ودوائر جباية الضرائب فـــي وزارة المالية ٠

٦ ـ رفع نسبة الفائـدة عـلى قروض التطوير بـ ٢ ـ ٣٪ ٠ والامر يتعلق هنـا بالقروض التي تضمها لاهداف التطويـر الصناعي والزراعي والسياحي ( يديعوت احرونوت ، ١٨ـ٧ـ٧٧ ) ٠

وافاد المراسلون الاقتصاديون فـــي اسرائيل ان هناك اجراءات جديدة على هذا القرار متوقعة في المستقبل القريب : تتمثل في خفض اخر للاعانات الحكومية، وزيادة اسعار المواصلات العامة والكهرباء ورفع قيمة ضريبة القيمة الاضافية من ٨ الى ١٠٪ على الاقل ، مع الغاء ضريبـة الشراء ٠

ورغم ان هـــذه الاجـراءات اثارت معارضة شديدة داخل اروقة الهستدروت وبين صفوف المعارضة ، رافقتها اضرابات محدودة للعمال ، الا ان هذه المعارضة بقيت محدودة ، ولم تتجاوز النطاق الذي كانت تصل اليه ايام حـكم المعـــراخ ، والسبب في ذلك يعود الى ادراك الجميع، سواء داخل حزب العمل او الهستدروت، لخطورة الوضع الاقتصادي ، وان هـذه الاجراءات كانت ضرورية في وضع كهذا، ولا تعبر عن السياسة المتكاملة التي تنوي الحكومة الحالية انتاجها في المستقبـــل، كما عبر عن ذلك الوزير ارليخ ٠

واذا كانت معارضة الهستدروت قـــد جاءت محدودة هذه المرة ، ولم تتعد بيان اللجنة التنفيذية الاجتماعي ضد خطوات الحكومة الرامية الى رفع اسعار المـواد الاستهلاكية الضرورية ، فان المستقبـــل ينذر بتأزم في العلاقات بيـن الطرفين ، خاصة بعد فوز المعـــراخ في انتخابات الهستدروت ورغبته في تحويلها الى قلعة حصينة ضد خطط « ليكود » الاقتصاديـة كما عبر عنها وزير المالية ارليخ ٠

**« حكومة » الهستدروت مقابل حكومة « الليكود »**

يعتمـد تطور الوضــــع الاقتصـــادي الاسرائيلي خلال السنين القريبة المقبلة ، الى حد كبير ، على العلاقة القائمة بيـــن الحكومة والهستدروت وحالات تطورها ٠ فقد ادت الانتخابات لكل مـــن الكنيست والهستدروت ، الى انقسام مركزي القوى بعدما كانا مجتمعين في يد « المعراخ » ٠ فالحكومة في يد « الليكود » اي السلطـة الرسمية والهستدروت في يد « المعراخ » ، اي المعارضة الجديدة ٠ واذا كان زعماء « ليكود » قد راهنوا على فوزهم فـــي انتخابات الهستدروت ، بعدما فازوا فـي انتخابات الكنيست ، كشـــرط ضروري

للسيطرة على الوضع الداخلي والخارجي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، فقد جاءت نتائج انتخابات الهستدروت كضربة لخططهم هذه ، خاصة في المجال الاقتصادي ، نظرا لما تتمتع به الهستدروت من نفوذ قوي في هذا المجال . وقد بادر زعماء « ليكود » فور ظهور نتائج الانتخابات الى الاعلان ، بأن الوضع الداخلي في اسرائيل سيسوء جدا اذا استغل « المعراخ » منبر الهستدروت للطعن في الحكومة وسياستها ، خاصة بعد تصريحات ارليخ حول امكانية حدوث بطالة على نطاق واسع ، وحول الغاء الاعانات الحكومية للمواد الغذائية الاساسية وما شابه . وقد اعلن شمعون بيريس زعيم المعارضة ، عقب ظهور نتائج انتخابات الهستدروت ان المعراخ « سيحارب حكومة « الليكود » من على منبر الكنيست، بينما ستناضل الهستدروت في المجالات المخصصة لها . ولن نوافق على المس بحقوق العمال والمأجورين وسنعارض كل محاولة للقضاء على مكاسبهم . ان الهستدروت تعارض بحزم خطط « ليكود » الرامية الى تركيز اقتصاد اسرائيل على البطالة ، وستناضل ضد التضخم المالي ومحاولات الغاء الاعانات الحكومة على المواد الاستهلاكية الاساسية» ( ملحق معاريف ، ٢٤ـ٦ـ٧٧) .

وكانت انتخابات الهستدروت التي جرت يوم ٢١ـ٦ـ١٩٧٧ قد اسفرت عن فوز « المعراخ » بنسبة ٥ر٥٥٪ من الاصوات تقريبا ، بينما فاز « ليكود » بنسبة ٢ر٢٨٪ ولم تحصل الحركة الديمقراطية للتغيير ( داش ) سوى على ٢ر٨٪ من الاصوات ( انظر نتائج الانتخابات الرسمية للهستدروت ـ دافار ، ٧ـ٧ـ٧٧) . وتمكن هذه النتائج كتلة المعراخ في الهستدروت من السيطرة على المكتب التنفيذي الذي يعتبر حكومة الهستدروت بصفته اعلى هيئة تنفيذية داخلها ، وقد اعلن ميشل انه لن يسمح بتمثيل « ليكود » في هذه الهيئة بسبب دعوته الى فصل النقابات المهنية عن قطاع الهستدروت الاقتصادي او ما يسمى بهيئة العاملين « حفرات عوفديم » ( معاريف ، ٢٤ـ٦ـ٧٧ ) . وهذه هي احدى الامور الهامة التي ادت الى فشل « ليكود » في انتخابات الهستدروت ، فقد ابرز دعاته قبل الانتخابات التناقض القائم بين المهمتين اي كون الهستدروت نقابة مهنية وفي نفس الوقت تمثل قطاعا اقتصاديا ضخما . وعلى هذا الاساس اعلن مرشح « ليكود » لمنصب سكرتير عام الهستدروت ، عضو الكنيست دافيد ليفي ، قبل الانتخابات ، عن نيته ، في حال فوزه ، بيع مصانع الهستدروت . خاصة ان سكرتير الهستدروت يصبح في حال فوزه ، رئيس « هيئة العاملين » التي بيدها صلاحية تقرير مصير ومستقبل المشاريع التي تخصها . كذلك فقد اثرت تصريحات وزير المالية ارليخ قبل الانتخابات للهستدروت ، حول البطالة المتوقعة بين صفوف العمال في المستقبل القريب، وحول تخفيض الاعانات الحكومية ورفع ضريبة القيمة الاضافية ، ثم دعوة المستشار ميلتون فريدمان ـ جميع هذه الامور اثرت على فشل « ليكود » في الانتخابات للهستدروت خاصة وان زعماء « المعراخ » احسنوا استغلالها في دعايتهم الانتخابية ، في لقاءاتهم مع العمال .

**الهستدروت ـ اكبر هيئة نقابية واقتصادية في اسرائيل .**

وقبل التطرق الى نوع العلاقة ومواضيع الخلاف التي يمكن ان تنشأ بين الحكومة والهستدروت في المستقبل ، لا بد

اولا من التعرف على مؤسسات الهستدروت ومهماتها · فهي اكبر تنظيم عمالي في اسرائيل من ناحية عدد اعضائه وقوة نفوذه الاجتماعية والاقتصادية · تأسست في سنة ١٩٢٠ في حيفا ، وورد في مبادئها الاساسية « ان الهستدروت توحد وتنظم جميع العمال بدون فرق في الدين او العرق او القومية او الرأي ، من الذين يعيشون بجهدهم الخاص بدون استغلال غيرهم ··· وتخدم الهستدروت اعضاءها بواسطة تطوير الاقتصاد وتشجيع المبادرة التعاونية على انواعها ، وتحسين ظروف عملهم ، والاعتناء بالثقافة وباللغة العبرية ، واستيعاب الهجرة وتوفير ضمان اجتماعي وايجاد علاقات صداقة مع حركة العمال الدولية » ( نقلا عن ارييه افنيري ـ يديعوت احرونوت ، ١٩ـ٦ـ٧٧ ) ·

ويبلغ عدد اعضاء الهستدروت اليوم نحو ١٫٣٦٧٫٠٠٠ عامل وعاملة ، وسوية مع ابناء عائلاتهم نحو ٢٫٣٩٠٫٠٠٠ نسمة· ولكن خصوصية الهستدروت لا تتمثل في عدد اعضائها فقط ، وانما لها مهام جوهرية في الاساس ، تشمل التنظيم المهني وتقديم الخدمات لاعضائها خاصة الخدمات الطبية، ثم تطوير قطاع اقتصادي خاص ، بالاضافة الى الاهتمام بالتعليم ومتطلبات اعضائها ·

وانطلاقا من هذه المهام ، فللهستدروت ثلاثة فروع اساسية :

١ ـ التنظيم المهني الذي يضم اليوم نحو ٩٠٪ من سائر المأجورين في الاقتصاد في اطار اربعين نقابة اقليمية · وقد شوه مظهر الهستدروت خلال السنوات الاخيرة ، وتضعضعت سيطرتها في هذا المجال بسبب تأزم علاقات العمل وكثرة الاضرابات ، الامر الذي ادى الى تجاهل متزايد لسياسة الهستدروت من جانب تنظيمات العمال القوية ، واستخفاف بصلاحياتها ، حيث ادى ايضا الى هبوط قوة « المعراخ » داخل الهستدروت ، رغم فوزه في الانتخابات ·

٢ ـ مؤسسة الخدمات الطبية او ما يسمى « بصندوق المرض » ( كوبات حوليم ) ، وهي اعلى مؤسسة طبية في اسرائيل سواء من ناحية حجم عملها او من ناحية مستواها · وتبلغ ميزانية « كوبات حوليم » هذه السنة نحو ٣٫٧٥ مليار ليرة ، حيث تمنح خدمات طبية لـ ٢٫٧ مليون شخص ، وتملك مئات العيادات و١٦ مستشفى تحوي ٥٢٠٠ سرير · وتعتبر « كوبات حوليم » من اكبر مؤسسات العاملين في اسرائيل حيث تستخدم ٢٢ الف عامل بينهم ٤٥٠٠ طبيب· وهناك ارتباط الزامي بين كل مضمون في « كوبات حوليم » وبين العضوية في الهستدروت ، اي ان كل مضمون في هذه المؤسسة هو عضو في الهستدروت ·

٣ ـ هيئة العاملين ـ وهي الذراع الاقتصادي القوي في الهستدروت ، وتعتبر اكبر جهاز اقتصادي في اسرائيل ، حيث توفر عملا لنحو ٢٠٪ من سائر الطاقة البشرية العاملة ـ نحو ٢٥٠ الف شخص، وتنتج نحو ٧٠٪ من الانتاج الزراعي . و٢٦٪ من الانتاج الصناعي ، وتسيطر على نحو ٩٩٪ من المواصلات العامة · واهم مؤسسات هيئة العاملين ، هي بنك العمال ( بنك هبوعليم ) الذي يعتبر من اكبر ثلاثة بنوك في اسرائيل ، فهو يدير ٢٧٤ فرعا ، وفروعا اخرى في الولايات المتحدة وبريطانيا وسويسرا وكندا · وقد تجاوزت ميزانيته العامة لسنة ١٩٧٦ الـ ٦٣ مليار ليرة · ثانيا ، مجمع «كور» الذي يضم ٧٦ مصنعا في مختلف الفروع، ويتوقع ان يصل حجم مبيعاته هذه السنة

الى نحو ٩ مليار ليرة ، مخصص منها للتصدير نحو ٢٧٠ مليون دولار · ويعمل في مصانعه نحو ٢٤ الف عامل · ثالثا . « مساكن العاملين » ( شيكون عوفريم ) وهي اكبر شركة بناء غير حكومية في اسرائيل · وقد انشأت منذ سنة ١٩٦٨ فقط ٤٠ الف مسكن في ٦٠ مستوطنة يسكنها اكثر من ٢٠٠ الف شخص · رابعا ، شركة التأمين « هاسنيه » وتسيطر على نحو ٢٠٪ من قطاع التأمين في اسرائيل · ويتوقع ان تبلغ اقساط التأمين التي ستدفع لها هذه السنة ٦٥٠ مليون ليرة · خامسا ، تعاونيات « همشبير همركزي » ، وهي الجمعية التي تزود « الاستيطان العامل » والجمعيات الاستهلاكية · سادسا ، شركة البناء « سوليل بونيه » بفروعها المختلفة حيث ستصل ميزانية اعمالها هذه السنة الى ٥ر٤ مليار ليرة داخل اسرائيل و٢١٤ مليون دولار في الخارج · عدد العاملين بها في الداخل هو ٢١٥٠٠ عامل ، وفي الخارج ٥٦٠ اسرائيلي و٢٠ الف عامل محلي · سابعا ، شركة « تنوفه » للتسويق الزراعي ، التي ستصل عائداتها هذهالسنة الى ٧ مليار ليرة · وتنتج الشركة نحو ٩٠٪ من منتوجات الالبان في اسرائيل وتستخدم نحو ٤٠٠٠ عامل · ثامنا ، دار النشر « عام عوفيد » التي وصلت مبيعاتها في السنة الماضية الى ٥ر١٥ مليون ليرة، واصدرت ٢١٥ كتابا ·

بالاضافة الىهذه المؤسسات الاقتصادية الضخمة ، فان الهستدروت يملك اسهما كثيرة في شركة المياه « مكوروث » وشركة الطيران « ال ـ عال » وشركة الملاحة « تسيم » ، وشركة الطيران « اركيع » . وشركة « ديلك » للوقود · وهناك ايضا فروع اقتصادية اخرى تنتمي الى « هيئة العاملين » بيد انه لا تعتبر ملكا لها ·

وينتمي الى هذه الفئة الكيبوتسات والمستوطنات التعاونية ، ومستوطنات العمال والشركات التعاونية العاملة في حقل الانتاج ، وتزويد الخدمات ، ونقل المسافرين والبضائع مثل « ايجد » و«دان» ( المعلومات نقلا عن يوسف شفيط ـ ملحق يديعوت احرونوت ، ١٧ـ٦ـ٧٧ )·

ان هذه المؤسسات الضخمة تجعل من الهستدروت حصنا قويا بالنسبة «للمعراخ» يستطيع من خلالها التأثير كثيرا على الوضع الداخلي والتصدي لسياسة الحكومة في المجالين الاقتصاديوالاجتماعي خاصة وان هناك ثلاث قوى رئيسية تقف وراءه : « الاستيطان العامل » ، الذي تزيد قوته النسبية بين اعضاء الهستدروت اربعة اضعاف عن قوته بين سائر الناخبين للكنيست · ثم موظفو وعاملو مؤسسات الهستدروت والقطاع الاقتصادي الهستدروتي ، حيث ان مصدر معيشتهم متوقف على استمرار سيطرة « المعراخ » على الهستدروت ، واخيرا ، نحو ٣٠٠ الف متقاعد معظمهم من السكان القدامى الذين ينتمون الى « المعراخ » وهم اعضاء في الهستدروت ·

## مصالح متناقضة وبوادر خلافات قوية

يجمع المعلقون الاسرائيليون ان العلاقة بين الهستدروت والحكومة ستختلف اختلافا كليا عن تلك التي كانت قائمة مع حكومة المعراخ · فرغم الخلافات التي كانت تنبت في الماضي ، خاصة في كل مرة بعد اتخاذ اجراءات اقتصادية جديدة ،فان العلاقة بين قيادة الهستدروت وبين الحكومة ، كانت بين اشخاص ينتمون الى حركة واحدة ، ويمثلون مصالح متشابهة تقريبا · اما الان فان زعماء الهستدروت غير مقيدين بأي نوع من الالتزام تجا

الحكم الجديد ، فسكرتير الهستدروت ، يروحام ميشل كرجل المعراخ ، يأسف بالطبع على انهيار حركته في انتخابات الكنيست ، ولكن كرئيس كتلة « المعراخ » في الهستدروت من الجائز جدا انه ينظر الى الامر بشيء من الترحيب : ففي نهاية الامر فان السلطة التي يواجهها ليست من حزبه ، وانما جهة غريبة يمكن توجيه الضربات لها وبقوة · ولن يضطر الى المبالغة حول التأثير الذي يمكن ان تحدثه ضرباته على الامور التي يتحمل مسؤوليتها رفاقه في الحركة داخل الحكومة ، وعلى العلاقات داخل الحزب ثم على مركزه الشخصي · ان سقوط المعراخ في انتخابات الكنيست قد اكسبه حرية العمل في الهستدروت ·

« ··· كذلك فان حكومة اسرائيل اصبحت اكثر حرية الان في علاقاتها مع الهستدروت ··· فحكومة الليكود لن تستطيع بأي حال من الاحوال تجاهل الهستدروت · ولكن يمكن الافتراض انها ستشعر ــ في السنوات الاولى من حكمها على الاقل ــ بالتزام أقل تجاه زعماء الهستدروت ومؤسساتها · ستحاول تجنب مواجهة مع الهستدروت ــ ولكن من الممكن الافتراض انها لن تكون مستعدة لان تدفع مقابل منع المواجهة ذلك الثمن الغالي الذي كان يدفعه وزير المالية السابق رابينوفيتش ، والمتمثل في تشويش سياسته الاقتصادية » ( ابراهام طال ــ هآرتس ، ٣ــ٧ــ٧٧) ·

على اي حال ، فقد اعلن ميشل ان المواجهة مع الهستدروت لن تحدث لاي سبب · « فالهستدروت هي عامة ، وتمثل جميع العمال · ولن نتردد في الوصول الى اتفاق مع الحكومة ولكننا سنناضل من اجل الامور التي لا نوافق عليها ··· اننا نعمل الان على اعداد خطة للاجور والاسعار والضرائب والارباح » · ( في مقابلة مع ملحق هآرتس ، ١ــ٧ــ٧٧ ) ·

واعلن ميشل كذلك ايضا انه يعارض تجميد الاسعار والضرائب والاجور او الارباح لسنتين ، كما جاء على لسان بيغن عشية الانتخابات · « فالصادرات عندنا متعلقة بالواردات · واسعار المواد الخام تتغير بين الحين والاخر · وهناك تعلق بجهات دولية · ان رئيس الحكومة يعتقد انه بالامكان وضع خطة تجميد لسنتين · اما انا فأرى ان هذه خطة غير عملية » ( المصدر نفسه )·

بالاضافة الى ذلك هناك ثلاثة مشاريع قوانين ستطرح على الكنيست خلال الفترة القريبة المقبلة ، لها علاقة مباشرة بما يحدث داخل الهستدروت ويمستقبلها · وقد ذكرت هذه القوانين في الخطاب الاول لناحيم بيغن كرئيس للحكومة : قانون الضمان الصحي ، قانون التقاعد الرسمي، وقانون التحكيم الالزامي في فروع الخدمات الرئيسية · فقانون الضمان الصحي الرسمي سيحول الى التأمين القومي او الى مؤسسة جباية اخرى ، صلاحية جباية اقساط المضمونين في صناديق المرض · واليوم يتم هذا العمل بواسطة الهستدروت بواسطة مكتب الضريبة ، حيث ينقل مئات الملايين من الليرات من الضريبة التي يدفعها كل عضو في كوبات حوليم الى الهستدروت · و «تعتبر هذه الاموال الوقود لنشاطات الهستدروت · فهو المصدر المالي الوحيد لدفع رواتب الاف موظفي الهستدروت · وفي حال غياب هذا المصدر ستضطر الهستدروت الى القيام باقالات جماعية لموظفي مجالس العمال والنقابات المهنية ومقر اللجنة التنفيذية » ( امنون برزيلاي

ـ هآرتس ، ٢٢ـ٧ـ٧٧ ) • وقـد علـق ميشل على هذه القوانين بقوله « هـل الحكومة تريد تجاهل المشاكل الاقتصادية ومشاكل التضخم المالي والمفاوضات حول السلام ، وان ترى كافضلية اولى المس في « كوبات حوليم » وصناديق التقاعـد ؟ سيكون مؤسفا جدا اذا تصرفت كذلك ••• ماذا ستفعل الحكومة اذا قلنا لها : اهتمي بالمرض ايضا ••• انني انكر الادعاء بأننا اقمنـا « صندوق المرض » بأمـوال الدولـة ••• » ( ملحق هآرتس ، ١ـ٧ـ ٧٧ ) •

كذلك فان ميشل يعارض قانون التحكيم الالزامي ويدعو الى تشكيل لجنة برلمانية للتحكيم في القطاعات الحيوية ، في حـال نشوب اضراب بها • لذلك فان البحث في هذه القوانين سيؤدي الى نشوب صراع بين الحكومة والهستدروت في الفترةالمقبلة والى مواجهة شديدة مع العمال خاصـة فيما يتعلق بالقانون الاخير • وقد اعلن وزير المالية ارليـخ : « انني اعتبـر الهستدروت عاملا مهما من الدرجة الاولى، وكمن يدعو الى وضع مـن الثبـات الاقتصادي واستقرار في علاقات العمل آمل ان نعمل بانسجام وتفاهم متبادل ، وبشرط محدد جدا وهو ان القرار النهائي هو في يد الحكومة ، وحكومة اسرائيل هي التي ستقرر » ( يديعوت احرونوت ، ٨ـ٧ـ٧٧ ) •

**حنه شاهين**

---

## ب ـ الاستيطان من مشروع غاليلي إلى مشروع شارون

جاء في الخطوط الاساسية لحكومـة ليكود الجديدة ، ان « الحكومة ستخطـط ، وتقيم ، وتدعم استيطانا مدينيا وقرويا على ارض « الوطن » ، وفقا لاهداف الدولـة الصهيونية ومتطلباتها الامنية » •

واذا كانت الحكومة الليكودية هـي الجديدة هذه المرة ، فان هذا البند مـن خطوطها الاساسية ، لم يكن سوى بنـد قديم ـ جديد ، للحكومـات المعراخيـة السابقة ، بل ويكاد يكون منسوخا عـن قرارات حزب العمل ، التي تمخضت عنها، سلسلة الاجتماعات التي عقدهـا وزراء الحزب عشية انتخابات الكنيست لعـام ١٩٧٣ ، بشأن سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة للسنوات الاربع المقبلة ، اذ ورد في نص الاتفاق النهائي الذي صاغـه الوزير يسرائيل غاليلي ، والذي نشرتـه صحيفة دافار شبه الرسميـة في ١٦ـ٨ـ ١٩٧٣ تحت بند « المستوطنـات شبـه

العسكرية والمدنية » انه « تقام مستوطنات جديدة ، ويجري تعزيز شبكة المستوطنات القائمة ، وتحدد لدى وضع موازنة الحكومة من سنة الى اخرى ، الوسائل اللازمة للمستوطنات الجديدة طبقا لتوصيات دائرة الاستيطان ، وذلك بهدف اقامة مستوطنات جديدة في السنوات الاربع المقبلة في مشارف رفح وغور الاردن وهضبة الجولان » ٠

وما لبثت لجنة الاستيطان الوزارية السابقة والتي كان يرئسها ، الوزير غاليلي ، ان وافقت على الخطة الاستيطانية التي تقدم بها قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، للمناطق المحتلة في السنوات الاربع المقبلة ١٩٧٤ـ١٩٧٨ ، والتي عرفت فيما بعد بـ « مشروع غاليلي » ، وتشتمل على اقامة « ٢٦ مستوطنة ، و ٤ مراكز اقليمية في الضفة الغربية ، وقطاع غزة ومشارف رفح وهضبة الجولان » ( هآرتس ٢٤ـ٨ـ٧٦ ) موزعة على النحو التالي ، كما اوردته صحيفة هآرتس يوم ٢٤ـ٨ـ٧٦ ٠

الضفة الغربية

**غور الاردن**

١ ـ محولة ب

٢ ـ بقيعه ب

٣ ـ محانيه يوسف

٤ ـ فتسائيل ج

٥ ـ كوخاف هشاحر

٦ ـ مركز اقليمي

٧ ـ كاليا ب

٨ ـ فتسائيل ب ( مركز اقليمي )

**غوش عتسيون**

١ ـ حيفوريت

٢ ـ عتيسيون ب ( مركز اقليمي )

**قطاع غزة**

١ ـ سميري أ

٢ ـ سميري ب

٣ ـ مركز الكتلة

هضبة الجولان

١ ـ تل زيت

٢ ـ كيبوتس د

٣ ـ موردوت

٤ ـ مركز اقليمي مديني

٥ ـ قرية صناعية أ

٦ ـ قرية صناعية ب

مشارف رفح

١ ـ سدوت د

٢ ـ سدوت هـ

٣ ـ سدوت و

٤ ـ سدوت تـ

٥ سدوت ح

٦ ـ حروفا

٧ ـ يميت ( مركز اقليمي )

٨ ـ فتحات دفيح ( مركز اقليمي )

خليج ايلات

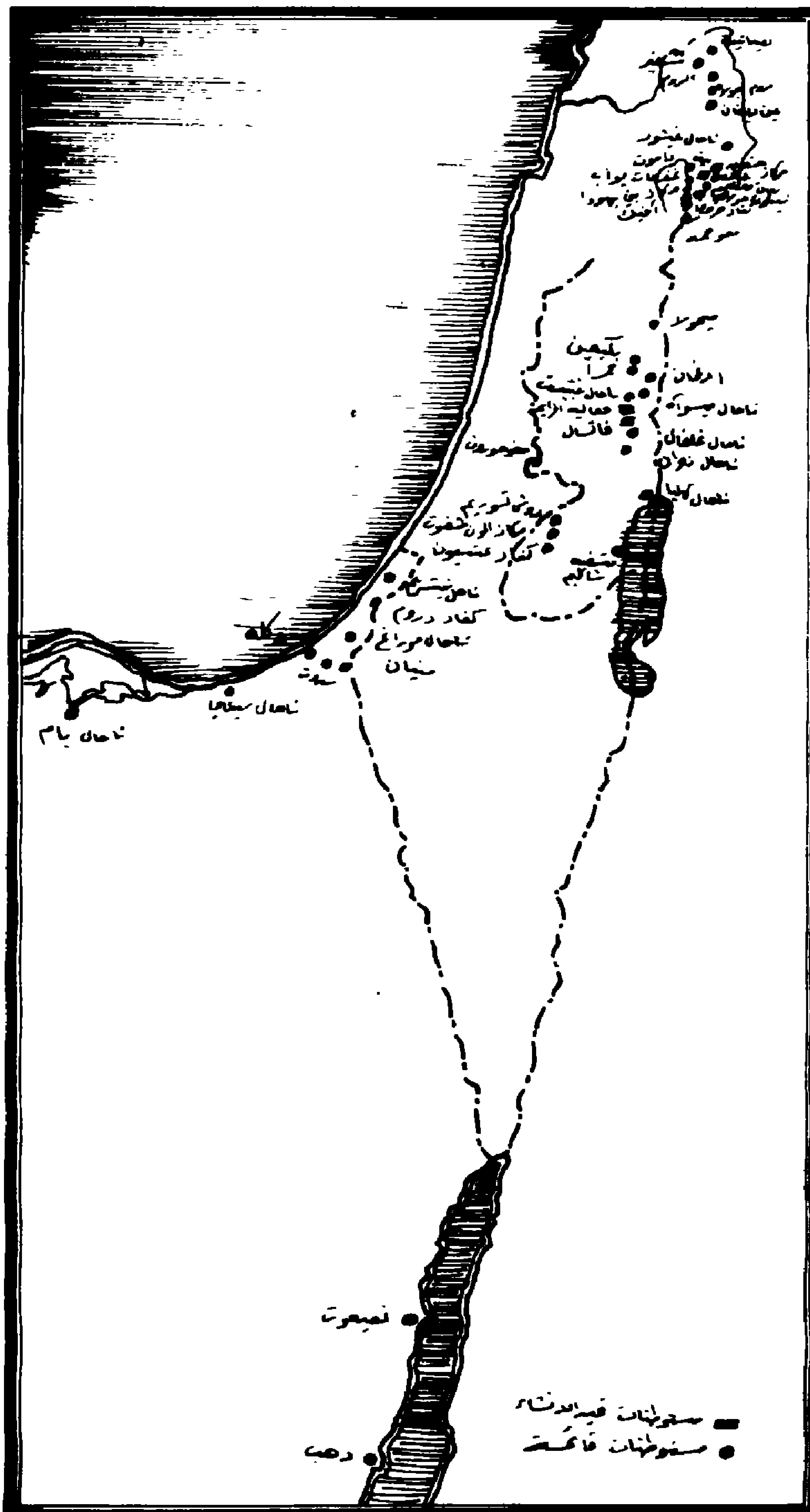
١ ـ اوفيرا أ

٢ ـ اوفيرا ب

٣ ـ الطور

وذلك « اضافة الى الـ ٤٦ مستوطنة التي اقيمت منذ حرب ١٩٦٧ حتى الان ـ ١٩٧٣ ـ » : منها ١٧ في هضبة الجولان، و ١٢ في غور الاردن ، و ٢ في غوش عتسيون ، وواحدة في الخليل ، وواحدة في سهل ايلون ـ شمالي غرب القدس ـ و ٤ في قطاع غزة ، و ، ٤ في مشارف رفح ، وواحدة في سيناء ، و ٢ في خليج ايلات ( شرم الشيخ ) » ( المصدر نفسه )٠

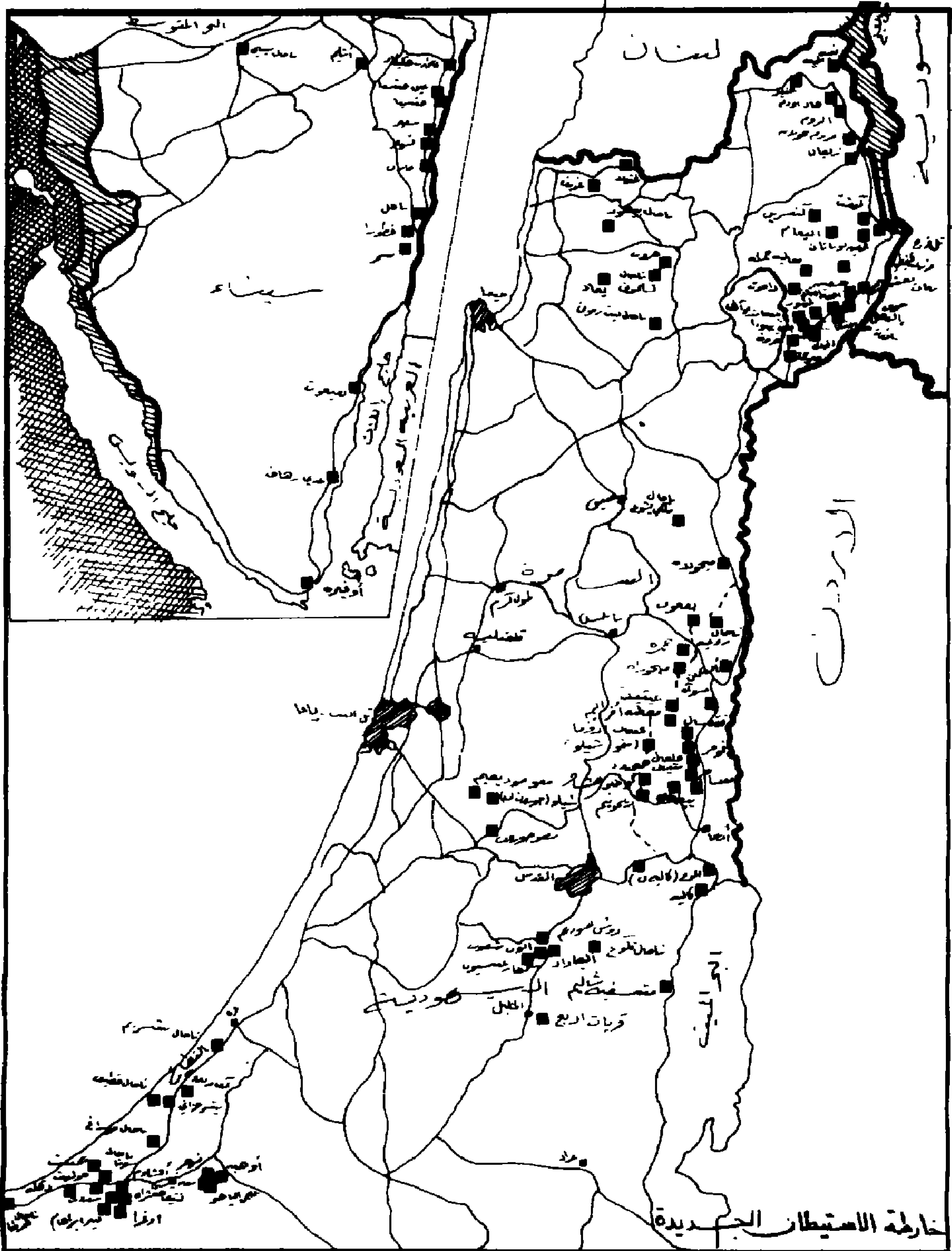
خارطة رقم «١»




المستوطنات اليهودية من ١٩٦٧-١٩٧٢

وكانت الحكومة المراخية السابقة ، قد شارفت بالفعل على تنفيذ هذه الخطة بكاملها عشية سقوطها ، كما اتضح من تقرير الوزير غاليلي نفسه ، رئيس اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ، السابق الذي قدمه في الجلسة الحكومية الاخيرة ، والذي جاء فيه بأن الحكومة قد « نفذت اقامة ٧٦ مستوطنة خارج الخط الاخضر منذ حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ » ، د أ ١ ، دافار ١٩-٦-١٩٧٧ ) .

وهذا ما تبينه أول خريطة رسمية للمستعمرات الاسرائيلية ، التي كانت حكومة رابين قد اعدتها في مطلع عام ١٩٧٧ .



ولهذا فان وزير الزراعة ، ورئيس اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان في الحكومة الليكودية الجديدة ، سارع اثر توليه رئاسة اللجنة الى التصريح بأن « حكومة الليكود ، تستعد لتنفيذ مشروع الاستيطان ، الذي اعدته لجنة الاستيطان السابقة بأكمله » ( معاريف ٢٩ـ٧ـ٧٧ ) تأكيدا منه على ما جاء في خطوط حكومته الاساسية ، ولكي يعطي نفسه الفرصة الكافية لبلورة « المشروع الاستيطاني المديني والقروي خارج الخط الاخضر » الذي كان قد تقدم به حزب الليكود ضمن حملته الانتخابية للكنيست التاسع ووزع بـ « ١٠ الاف نسخة » ( معاريف ٣ـ٧ـ٧٧ ) ، والذي يبحث في اقامة « ٥٩ مستوطنة زراعية جديدة ، تشتمل على مراكز اقليمية ، وعشرين مركزا مدينيا في كل انحاء البلاد » ( المصدر نفسه ) ٠

وهذا المشروع يدور في الاساس حول الاستيطان في الضفة الغربية ، وتقام بموجبه خلال السنوات الاربع المقبلة ١٩٧٧ـ١٩٨١ « ٦ مدن جديدة في السامرة ، في منطقة مسحة شرقي بتاح تكفا ، وفي منطقة بيت سيره ، على المحور الشمالي ، القدس ـ تل ابيب ، وفي المنطقة الواقعة شرقي قرية الطيبة على شارع طولكرم ـ قلقيلية بحيث تستوعب كل مدينة من هذه المدن ٣٠ الف نسمة ، بالاضافة الى ٣ مستوطنات جماعية شمالي شرق بيت نحميا في الون موريه ، تعداد كل واحدة منها ٣ الاف نسمة » ( معاريف ٣ـ٧ـ٧٧ ) ٠

اما في « اليهودية فستقام ٣ مدن في جفعون وتكوع ، ومعاليه ادوميم ، تعداد كل منها ١٥ الف نسمة بالاضافة الى ٣ مستوطنات جماعية تعداد كل واحدة منها ٣ الاف نسمة في عوفرا ، والون شيفوت ، وفي منطقة معاليه ادوميم ومستوطنة اضافية في قريات اربع تعدادها ٦ الاف نسمة » ( المصدر نفسه ) ٠

كما وينص هذا المشروع الذي اعده طاقم من الاختصاصيين في حزب الليكود برئاسة عضو الكنيست يجال كوهين ومشاركة مدير قسم الاستيطان في المنظمة الصهيونية يعقوب ايجلس ، على « انشاء محور مركزي في منطقة شيلو ، حيث يسكن ١٠ الاف نسمة ، و ، ٣ مراكز اقليمية في معاليه افرايم ، بالقرب من نعران وبين مستوطنة مسوآه وارغمان ، والعمل على زيادة عدد المستوطنات الزراعية الى ٢٥ مستوطنة في غور الاردن ، بالاضافة الى زيادة وحدات المرافق الاقتصادية في كل مستوطنة » ( المصدر نفسه ) ٠

اما بالنسبة لشق الطرق فان المشروع يحتوي على خطة « لاتمام شبكة مواصلات ، تصل هذه المدن الجديدة بمركز الدولة بواسطة ٤ محاور طرق ٠

١ ـ محور القدس ـ اللطرون ـ اللد ـ تل ابيب ٠

٢ ـ محور غور الاردن بتاح تكفا ٠

٣ ـ محور اشدود ـ بيت شيمش ـ جوش عتسيون ـ ومتسفيه شاليم ٠

٤ ـ محور جنوبي اخر يصل بين معاليه ادوميم ، تكوع ، قريات اربع وعراء » ( المصدر نفسه ) ٠

وقد قدم هذا المشروع الى « المجمع الزراعي الائتلافي في وزارة الزراعة حيث بحث في ٣ـ٧ـ٧٧ » ( المصدر نفسه )٠

وكانت جماعة غوش ايمونيم قد تقدمت بالاضافة الى مشروع الليكود هذا ، بمشروع استيطاني عاجل الى حكومة الليكود بعد توليها السلطة اسمته «اقتراح مشروع استيطاني في اليهودية والسامرة

في صيف ١٩٧٧ في اماكن مؤقتة » ( معاريف ١-٧-٧٧ ، ٢٧-٧-٧٧ ) .

ويتألف هذا المشروع من مقدمة و ٨ فصول ، وملحق ، وخارطة للضفة الغربية ، مزروعة بـ ١٦ مكان استيطان . تمتد من اريحا وحتى بيتاح تكفا ، ومن الخليل حتى جنين » ( المصدر نفسه ) .

وقد تعهد مناحيم بيغن الذي تسلم المشروع من سكرتارية غوش ايمونيم ، بتنفيذ هذا المشروع بنفسه قائلا « انني على استعداد لاخذ هذا الملف على عاتقي » ( المصدر نفسه ) . كما وقدم هذا المشروع الى « عزار وايزمن وارئيل شارون ووافقا عليه » ( المصدر نفسه ) .

خارطة رقم ٣٢

مشروع غوش أيمونيم للاستيطان في الضفة الغربية

أما الوكالة اليهودية ، فقد اعدت هي الاخرى خطة استيطان مفصلة قدمتها الى حكومة الليكود ، اعدها رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية البروفيسور رعنان فايس وطاقم مساعديه ·

وتنقسم هذه الخطة وفقا لما اوردته صحيفة يديعوت احرونوت يوم ٢-٩-٧٧ ، الى ثلاثة مشاريع :

١ - **المشروع الشمالي** : ويغطي منطقة الجليل من الناصرة في الجنوب وحتى الحدود اللبنانية . ويقام بموجبه ٥٠ مستوطنة ريفية تستوعب ١٢ الف عائلة تعدادها ٥٥ ألف نسمة ·

٢ - **المشروع الجنوبي** : ويتشكل من مثلث زواياه الحدود الجنوبية لقطاع غزة ، وهي منطقة حلوتساه في الجنوب وبئر السبع في الشرق · ويقام به ١٠٠ مستوطنة و ٢٠ ألف عائلة تعدادها ١٥٠ ألف نسمة · بحيث تخلق امتدادا استيطانيا من مشارف رفح الى بئر السبع ، وتعتمد في اقتصادها على الزراعة التبادلية للاستيراد والتصدير ، ومشاريع صناعية ، لتصنيع المنتوجات الزراعية ·

٣ - **المشروع الشرقي** : وينحدر في خط مستقيم من هضبة الجولان مرورا بغور الاردن وجوش عتسيون وحتى وادي عربة وهضاب النقب · وتقام فيه ٣٥ مستوطنة ريفية جديدة ، مهمتها دمج الناحية الزراعية بالناحية الصناعية ·

وبالاضافة الى هذه المشاريع الاستيطانية التي قدمت للجنة الاستيطانية الوزارية برئاسة ارئيل شارون فثمة ثلاثة مشاريع أخرى لتضخيم مدينة القدس ، قدمتها وزارة الاسكان ، ومديرية اراضي اسرائيل ، وشعبة الاستيطان التابعة للمنظمة الصهيونية ·

فشعبة الاستيطان التابعة للمنظمة الصهيونية ، تقترح في مشروعها اقامة « اربع مستوطنات في جفعوت ، بالاضافة الى توسيع الاستيطان القائم في غوش عتسيون بواسطة مستوطنات اضافية شرقي المستوطنات القائمة خلف طريق الخليل - القدس ، ومستوطنة اخرى وهي، حيفوريت ، على طريق غوش عتسيون وعيمق هألاه » ( هآرتس ٢١-٨-٧٧ ) ·

كما ويشتمل هذا المشروع على « ٣ مستوطنات ومركز اقليمي في منطقة كوخاف هشاحر ، وتجمع استيطاني في بير العبد ، بين كوخاف هشاحر ومعاليه ادوميم ، ومركز صناعي في معاليه ادوميم ، ومستوطنة مدينية في بيت حورون السفلى - كفرلوط - » ( المصدر نفسه ) ·

وبالمقابل ، فقد قدمت مديرية اراضي اسرائيل مشروعا خاصا بها هي الاخرى ، لاستكمال دائرة الضواحي البيئوية في القدس « باقامة مستوطنات قروية صغيرة، تنتشر على طول محاور العرض لظهر القدس ، في مرتفعات بيت حورون - بين حورون العليا - النبي صموئيل ومرتفعات الراس ، من الشمال · وفي جبل غيلا - تكوع - افران - حيفوريت من الجنوب » ( هآرتس ٢١-٨-٧٧ ) ·

كما ويتضمن مشروع المديرية « اقامة مدينتين خارج حدود المدينة ، في بيت حورون السفلى وبيت حورون العليا جنوبي جبل الخليل بالقرب من السموع » (المصدر نفسه ) ·

والمشروع الثالث لتضخيم القدس أو ما يسمى بالقدس العظمى ، فقد قدمته وزارة الاسكان ، وينص على « اقامة ٢ مستوطنات مدينية متوسطة ، في جفعون ومعاليه ادوميم وافرات ، بالاضافة الى مستوطنات صغيرة تنتشر في منطقة بيت -

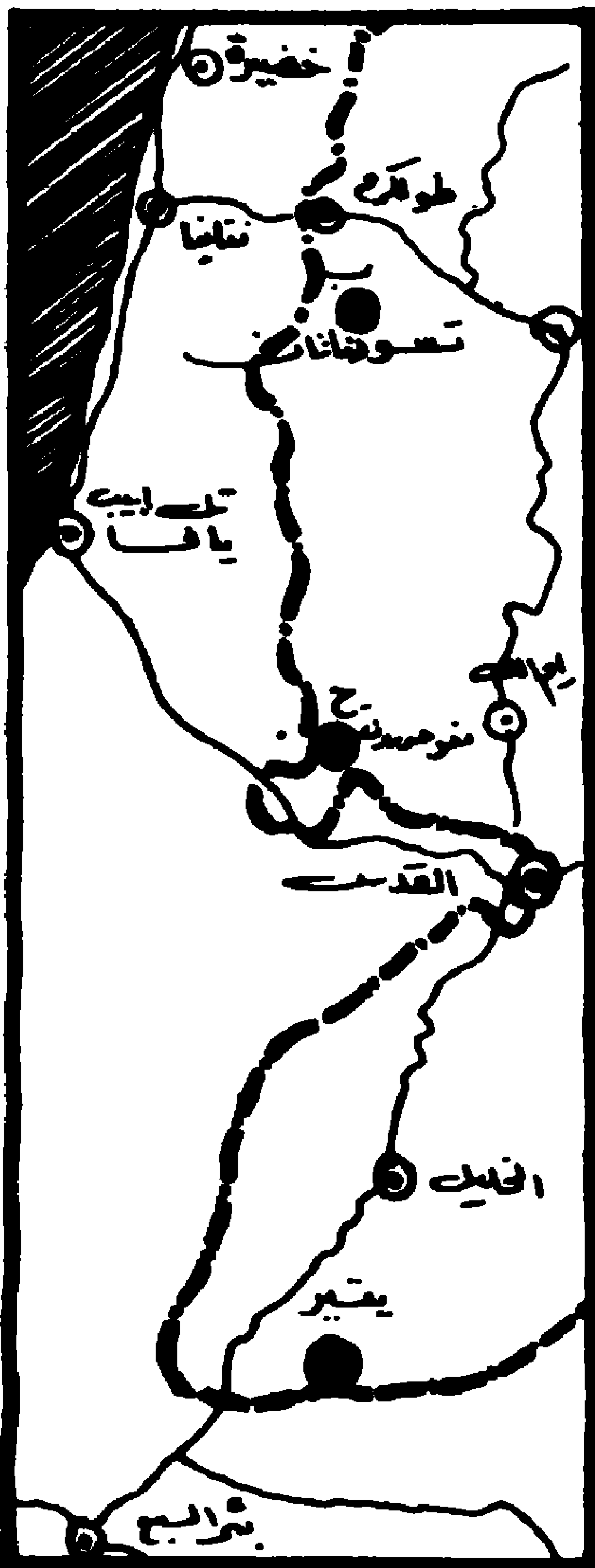
عور التحتا ، ويا عل حتسور ، وجبل طويل ، وكوخاف هشاحر ، وهاد ـ غيلا وتكوع وحفوريت » ( المصدر نفسه ) ٠

وهكذا ، فما أن عين وزير الزراعة ارئيل شارون ، رئيسا للجنة الوزارية لشؤون الاستيطان الجديدة ، واصدار الحكومة قرارها بتخويل اللجنة الوزارية ، الصلاحية في ان تقرر اقامة المستوطنات ، دون الرجوع الى الحكومة في تاريخ ٢٧ـ٧ـ٧٧ ، حتى سارع ارئيل شارون الى تعيين مجموعة عمل برئاسة المدير العام للجنة ابراهام بن مئير « لاعداد هذه المشاريع الاستيطانية المختلفة ، التي كانت قد قدمت للحكومة وللمنظمة الصهيونية » ( هأرتس ١ـ٨ـ٧٧ ) ، وقيامه باجراء مشاورات مع موظفين كبار في الوكالة اليهودية « لاقامة ١٠ مدن في اماكن عدة من الضفة الغربية » ( المصدر نفسه ) ٠ ومن ثم الموافقة على « البدء باقامة ١٥ مستوطنة في المناطق المحتلة هذا العام ١٩٧٧ ، كانت اللجنة الوزارية قد اقرتها في السنط الماضية » ( المصدر نفسه ) ، وذلك ضمن مشروع غاليلي ٠

ولكي تؤكد حكومة ليكود انها ستنتهج سياسة جديدة بالنسبة لاستيطان المناطق المحتلة ، وانها ستطبق ما وعد به رئيس حكومتها في احتفال ادخال التوراة في كفر قدوم بعد نجاحه مباشرة ، في انه « ستكون منذ الان الونات ـ موريه كثيرة ، ولن تكون ثمة حاجة الى قدوم » (معاريف ١ـ٧ـ٧٧ ) قامت في ٢ـ٨ـ٧٧ بالاعتراف بشرعية المستوطنات الثلاث التي اقامتها جماعة غوش ايمونيم الاستيطانية ، دون موافقة الحكومة في حينه ، في الون موريه ومعاليه ادوميم وعوفرا ٠

ثم ما لبثت اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ان وافقت في تاريخ ١٧ـ٧ـ٧٧ على « اقامة ٣ مستوطنات جديدة في الضفة الغربية ، واحدة في منطقة يطير جنوب الخليل واخرى في منطقة تسور ناتان ، وثالثة في منطقة مشارف حورون » ر ٠ ١ ٠ ١ ١٧ـ ـ٨ـ٧٧ معاريف ١٨ـ٨ـ٧٧ ) ٠

خارطة رقم «٤٠»




المستوطنات الثلاث التي اقرتها حكومة الليكود ٠

ورغم تسمية هذين القرارين بانهما مجرد قرارين اجرائيين ، وادعاء الحكومة بان القرار الاخير لم يكن سوى « تصديق مكرر لقرار اللجنة السابقة من يوم ١٩ـ٤ـ٧٧ » ( هآرتس ٢١ـ٨ـ٧٧ ) الا أنهما يشكلان قرارين سياسيين من الدرجة الاولى ، بل ويشكلان الطلقة الاولى التسخين بندقية الاستيطان الليكودية ، وتمهيدا لاطلاق « مشروع شارون » الاستيطاني في ٢١ـ٨ـ٧٧ في خطاب علني في مستوطنة مروم هجولان اثناء الاحتفال بمناسبة ١٠ سنوات على الاستيطان في هضبة الجولان · والذي يشكل عودة الى المشروع الاستيطاني القديم لحزب الليكود ولكن بشكل معدل بحيث يتناسب وسياسة الحكومة القاضية بضم الضفة الغربية واعتبارها جزءا لا يتجزأ من اسرائيل ·

وهذا المشروع يتركز حول اقامة مراكز مدينية كبيرة في الضفة الغربية ، محاطة بشبكة مستوطنات قروية موزعة ، طبقا لما اوردته صحيفة معاريف من يوم ١ـ٩ـ٧٧ ، على النحو التالي :

١ ـ في طريق القدس تقام ٣ مراكز مدينية في جفعون ومعاليه ادوميم وافرات الواقعة بين الخليل وبيت لحم · بالاضافة الى محور مواصلات جديد للقدس يمر عبر الخليل الى جفعون ، ومن ثم القدس · وينتهي في معاليه ادوميم ، بحيث تشكل هذه المراكز المدينية سوارا دفاعيا مدنيا دائما لمدينة القدس ·

٢ ـ **في المثلث الصغير** : تقام تشكيلة من المستوطنات اليهودية في القطاع الشرقي لهذا المثلث ابتداء من وادي عادة وانتهاء بكفر قاسم ، عرضه عدة كيلومترات لتعزيز الصلة بين الساحل المأهول بالسكان اليهود ، وبين هذا القطاع الجديد ، وذلك لمنع اي انتشار للسكان العرب المتواجدين بكثافة في هذه المنطقة ·

٣ ـ **في غور الاردن** : يشق محور مواصلات سريع يسمى « المحور القاطع للسامرة » ومحور مواصلات اخر يمتد من منطقة تل ابيب وحتى غور الاردن على اعتبار ان نهر الاردن هو الحد الشرقي لدولة اسرائيل · وتقام على جانبي هذا المحور تحتية استيطانية ، ترتكز على قواعد عسكرية ومراكز صناعية وسلسلة من المستوطنات المتفاوتة الاحجام ·

٤ ـ **في القطاع الجنوبي** : تقام تشكيلة من المستوطنات القروية في سفوح جبال الخليل ، بحيث ترتبط خدماتيا بمستوطنة قريات اربع ، بالاضافة الى مركز مديني كبير في افرات ، شمالي الخليل ، يكمل الامتداد الاستيطاني في اليهودية حتى مدخل القدس ·

٥ ـ **في المنطقة الشمالية للضفة الغربية:**

يقام مركزان مدينيان ، في القطاع الممتد على طول محور المثلث الصغير · المركز الاول في سهل « دوتان » الواقع في الطرف الشمالي للمثلث ، والمركز الثاني في تمنات حيرس ، بالقرب من السامرة ، بحيث ينتهي هذا الامتداد المديني في جفعون ·

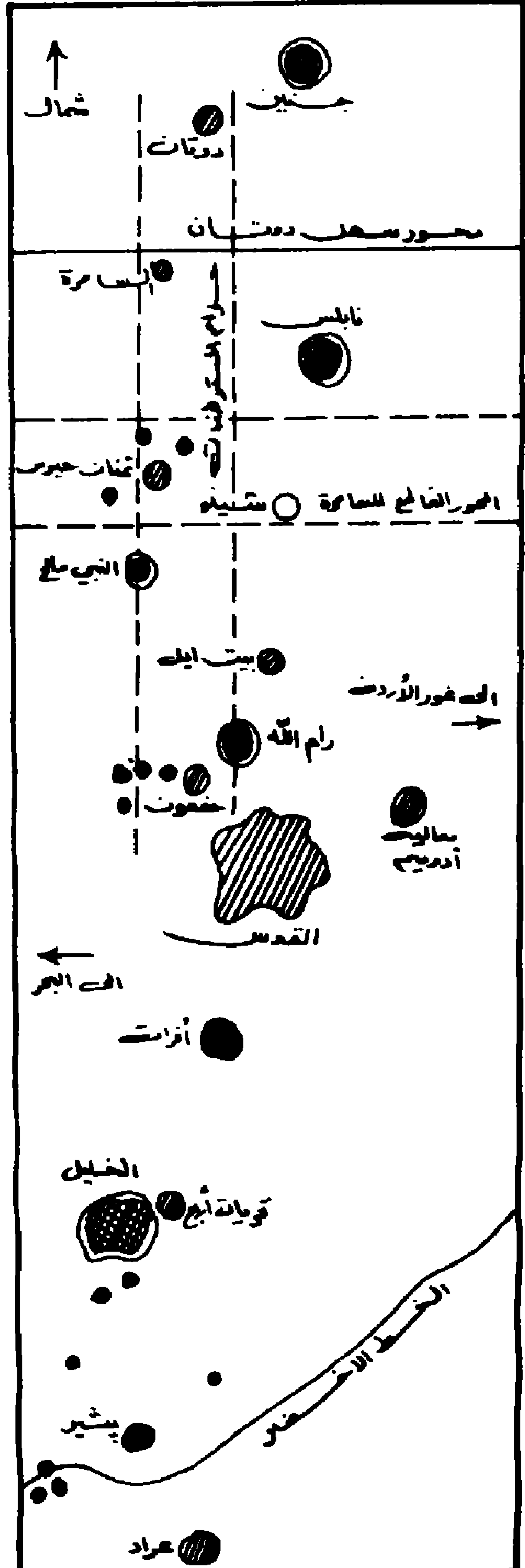
٦ ـ طريقا عرض شماليان جنوبيان في الضفة الغربية ، الاول يبتدىء من مجيدو ،ويمر عبر سهل الدوتان والسامرة، ويتصل بطريق اللطرون ويسمى « محور مفارق العرض » ·

اما الطريق الثاني فيبتدىء من مدينة العفولة، ويتجه جنوبا في موازاة سفوح الجبال حتى مدينة عراد في الجنوب ·

وبهذا تكون اسرائيل قد وضعت ، على حد تعبير الوزير ارئيل شارون « نصب عينيها هدفا تجسده خلال ٢٠ سنة ، بتوطين ٢ مليون يهودي في المنطقة الموازية للشاطىء ، من هضبة الجولان في الشمال، وحتى اوفيرا في الجنوب ، بحيث يشكل المستوطنون في هضبة الجولان ، الحلقة الشمالية والاساسية في هذا المشروع » ( معاريف ١ـ٩ـ٧٧ ) ·

هذا عن المشاريع المستقبلية لحكومة الليكود بالنسبة لاستيطان الاراضي المحتلة وتهويدها ، اما بالنسبة لما نفذته الحكومة من عمليات استيطان غير ما اعلنت عنه حتى الان فهذا غير معروف بالتحديد ، اذ أن الحكومة الاسرائيلية الجديدة « قد اقامت عدة مستوطنات في الشهر الاخير ـ آب ـ ، في منطقتي اليهودية والسامرة، دون ان تعلن عنها » على حد تعبير الوزير ارئيل شارون في مقابلة صحفية خاصة ، وتحت عنوان رئيسي في صحيفة معاريف من يوم ٨ـ٩ـ١٩٧٧ ·

**توفيق فياض**



# جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٨/٧ - ١٩٧٧/٩/٨

| الرقم | تاريخ العملية: اليوم | تاريخ العملية: الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشرية: قتيل | خسائر العدو البشرية: جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة: شهيد | خسائر المقاومة: جريح | خسائر المقاومة: مفقود | المصدر البلاغ العسكري: رقم | المصدر البلاغ العسكري: تاريخ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ٧ـ٨ـ٧٧ | ٧ر١٥ صباحا | القدس ـ بالقرب من البنك الاهلي الاسرائيلي شارع صلاح الدين | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | — | — | اكتشفت العبوات قبل انفجارها بوقت قصير | — | — | - | ٧٧ـ٧٧ | ١١ـ٨ـ٧٧ |
| ٢ | ٩ـ٨ـ٧٧ | ١٠ر٢٥ صباحا | تل ابيب ـ سوبر ماركت في المنطقة التجارية شارع بن افرايم في حي ماعوز | تفجير | عبوات ناسفة شديدة الانفجار | — | — | ـ اكتشفت العبوات على احد الرفوف في السوبر ماركت . | — | — | — | ٧٧ـ٧٧ | ١١ـ٨ـ٧٧ |
| ٣ | ٩ـ٨ـ٧٧ | ٨ر٠٠ صباحا | مخيم ، بلاطة ، ـ نابلس | هجوم | قنابل يدوية | ١ | | اصابة السيارة باضرار بالغة | — | — | — | ٧٧ـ٧٧ | ١١ـ٨ـ٧٧ |
| ٤ | ١٢ـ٨ـ٧٧ | مساء | منطقة حلحول ـ الخليل | | مواجهة اسلحة رشاشة، قنابل يدوية ، قذائف صاروخية | غير محدد | غير محدد | قتل وجرح عدد كبير من افراد العدو | ١ | — | - | ٧٨ـ٧٧ | ١٢ـ٨ـ٧٧ |
| ٥ | ١٣ـ٨ـ٧٧ | ٨ر٠٠ مساء | القدس ـ شارع ماركوس بحي الطالبية ـ مركز التحقيق التابع للمخابرات الصهيونية | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بين قتيل وجريح . ـ تصدع احد جدران المركز وتحطم معظم زجاجه واتلاف بعض محتوياته . | — | — | — | ٧٩ـ٧٧ | ١٤ـ٨ـ٧٧ |
| ٦ | ١٦ـ٨ـ٧٧ | ١٠ر١٥ صباحا | كريات شمونة ـ المحطة المركزية للباصات داخل الباصات التابعة لشركة ايجد | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ مقتل وجرح عدد غير محدد من افراد العدو ـ تحطم الباص والسيارة الصهيونية | — | — | — | ٨٠ـ٧٧ | ١٦ـ٨ـ٧٧ |
| ٧ | ١٧ـ٨ـ٧٧ | ٨ر٠٠ مساء | نابلس ـ ميدان الساعة | هجوم | قنبلة يدوية | غير محدد | ٨ | ـ اصابة جميع افراد الدورية بجراح مختلفة ـ اصابة ٨ جنود احدهم برتبة ضابط من جراء هاتين العمليتين | — | — | — | ٨١ـ٧٧ | ١٨ـ٨ـ٧٧ |
| ٨ | ١٧ـ٨ـ٧٧ | ٨ر٤٠ مسا | نابلس ـ الشارع الرئيسي | هجوم | قنبلة يدوية | — | — | ـ اكتشفت المتفجرات بواسطة الدوريات المنتشرة في المنطقة . | — | ... | — | ٨١ـ٧٧ | ١٨ـ٨ـ٧٧ |
| ٩ | ١٨ـ٨ـ٧٧ | فجرا | خط سكة الحديد بين القدس وتل ابيب | تفجير | متفجرات شديدة الانفجار | غير محدد | غير محدد | ـ قتل وجرح ما يزيد على سبعة افراد للعدو ـ اصابة بعض المحلات التجارية باضرار وتحطم معظم زجاجها | — | — | — | ٨٢ـ٧٧ | ١٩ـ٨ـ٧٧ |
| ١٠ | ١٩ـ٨ـ٧٧ | ١٠ر١٥ صباحا | بتاح تكفا ـ احد المحلات التجارية في شارع حاييم عوزير | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ مقتل وجرح ما يزيد عن سبعة افرادمنالعدو ـ تحطيم زجاج معظم المحلات المجاورة . | — | — | — | ٨٣ـ٧٧ | ٢٠ـ٨ـ٧٧ |
| ١١ | ٢٥ـ٨ـ٧٧ | ٩ر١٥ صباحا | ناتانيا ـ احد المراكز التجارية | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | | ٣ | ـ جرح خبير المتفجرات واثنين من رجال الشرطة ـ اصابة الباص باضرار بالغة | — | — | — | ٨٤ـ٧٧ | ٢٥ـ٨ـ٧٧ |
| ١٢ | | | تل ابيب ـ المحطة المركزية للباصات ـ شركة ايجد | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | تكبيد العدو خسائر مادية وبشرية كبيرة ـ قتل وجرح عدد من المستوطنين ـ اعطاب عدد من السيارات ـ تدمير عدد من المحلات المجاورة | — | — | — | ٨٥ـ٧٧ | ٢٥ـ٨ـ٧٧ |
| ١٣ | ٢٧ـ٨ـ٧٧ | ١٢ر٠٠ | بوابة يافا ـ موقف باصات شارع هشيليشيت | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ تدمير سيارة جيب عسكرية وقتل وجرح جميع من فيها . ـ اعطاب ناقلة جنود نصف مجنزرة واصابة جميع من فيها . | — | — | — | ٧٦ـ٧٧ | ٢٨ـ٨ـ٧٧ |
| ١٤ | | | الطريق العسكرية بين ايلات ومستوطنة اميرا جنوب فلسطين | تفجير | شبكةالغام مضادة للاليات | غير محدد | غير محدد | ـ تدمير السيارة تدميرا تاما واصابة جميع من فيها من افراد العدو ـ مقتل وجرح عدد من افراد العدو فيالسوق | — | — | — | ٨٧ـ٧٧ | ٢٨ـ٨ـ٧٧ |
| ١٥ | ٢٧ـ٨ـ٧٧ | ١١ر٣٠ صباحا | غزة ـ سوق الخضار المركزي | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ اصابة عدد من افراد العدو بين قتيلوجريح ـ تدمير المحل تدميرا تاما . ـ تصدع عدد من الابنية المجاورة . ـ اعطاب عدد من السيارات | — | — | — | ٨٨ـ٧٧ | ٢٩ـ٨ـ٧٧ |
| ١٦ | ٢٩ـ٨ـ٧٧ | ٨ر١٥ صباحا | العفولة ـ محل تجاري بالقرب من ميدان الاستقلال | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | | غير محدد | ـ اصابة عدد من المستوطنين الصهاينةبجراح ـ اصابة المبنى باضرار مادية بالغة وتحطم معظم زجاجه ـ تضرر معظم السيارات المتواجدة امام المبنى | - | | .. | ٨٩ـ٧٧ | ٢٩ـ٨ـ٧٧ |
| ١٧ | ٣٠ـ٨ـ٧٧ | ٧ر٥ صباحا | مستوطنة رموت ـ بالقرب من الحي صموئيل في منطقة القدس | تفجير | عبوات ناسفة شديدة الانفجار | غير مؤكد | غير مؤكد | ـ تدمير اربع مستودعات للورق والتنين الخشب وحرق جميع محتوياتها . | — | — | — | ٩٠ـ٧٧ | ٣٠ـ٨ـ٧٧ |

| الرقم | تاريخ العملية – اليوم | تاريخ العملية – الساعة | موقعهـا | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشرية – قتيل | خسائر العدو البشرية – جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة – شهيد | خسائر المقاومة – جريح | خسائر المقاومة – مفقود | المصدر ـ البلاغ العسكري – رقم | المصدر ـ البلاغ العسكري – تاريخ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٨ | ٣٠ـ٨ـ٧٧ | منتصف الليل | الحي الصناعي القريب من يافا ـ مستودعات الورق والخشب ٠ | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | وقوع اصابات | وقوع اصابات | ـ اعطاب عدد من الات مصنع الورق<br>ـ احراق عدد من الشاحنات | — | — | — | ٩١ـ٧٧ | ١ـ٩ـ٧٧ |
| ١٩ | ٥ـ٩ـ٧٧ | ٣٠ر٤ عصرا | يافا ـ شارع بيغن ٠ | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير مؤكد | غير مؤكد | ـ تدمير اجزاء كبيرة من الشقة<br>ـ تصدع عدد من جدران المبنى وتحطم زجاج بعض الابنية والمحلات المجاورة ٠ | — | — | — | ٩٢ـ٧٧ | ٥ـ٩ـ٧٧ |
| ٢٠ | ٣ـ٩ـ٧٧ | — | كريات شموئيل ـ قرب حيفا مركز الحرس المدني الصهيوني | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | — | ـ اصابة خبير المتفجرات اصابة بالغة<br>ـ جرح عدد من حرس المركز | — | — | — | ٩٣ـ٧٧ | ٥ـ٩ـ٧٧ |
| ٢١ | ٨ـ٩ـ٧٧ | ٠٠ر٢ صباحا | ايلات ـ مركز شرطة العدو | هجوم | قنابل يدوية | غير محدد | غير محدد | ـ الاستيلاء على عدد من قطع الاسلحة من المركز وبعض الوثائق السرية ٠<br>ـ تضرر المباني المحيطة<br>ـ قتل وجرح عدد من الحراس | — | — | — | ٩٤ـ٧٧ | ٨ـ٩ـ٧٧ |
| ٢٢ | ٨ـ٩ـ٧٧ | ٠٠ر٢٤ | طرق اشدود ـ جنب موقف باصات العدو العسكرية | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | ١ | غير محدد | ـ يعتقد بوقوع اصابات بين افراد العدو | — | — | — | ٩٥ـ٧٧ | ٩ـ٩ـ٧٧ |

مـــروان حـــميد

اعترف العدو في برنامج الظهيرة بان عبوة صغيرة انفجرت داخل محل لبيـــع الالعاب في دوار الاستقلال ، الـــدوار المركزي في العفولة ووقع الانفجار فـــي الساعة ٣٥ر١١ تماما ، وقال ايضا انــه تم اعتقال ٢٠ مشبوها بعد الحـــــادث مباشرة ٠

( رصد اذاعة اسرائيل ، العدد رقـــم ١٢٨٢ ، الساعـــة ٠٠ر١٢ ، ص ٢٢٦ ، الثلاثاء ٣٠ـ٨ـ٧٧ ) ٠

[ (٧) ، (٨١ـ٧٧) ]

اعترف العدو في نشرته الاخباريـــــة الساعة السابعة ، بان عبوة ناسفة قذفت على سيارة تابعة لقوات الامن في ميدان الساعة في نابلس الساعة الثامنة مساء واصابت بجروح ستة من سكان المدينة ٠

( رصد اذاعة اسرائيل ، العدد رقـــم ١٢٧٢ ، الساعة ٧ ، الخميس ١٨ـ٨ـ٧٧، ص ٢٠٢ ) ٠

[ (١٦) ، ( ٨٩ـ٧٧) ]

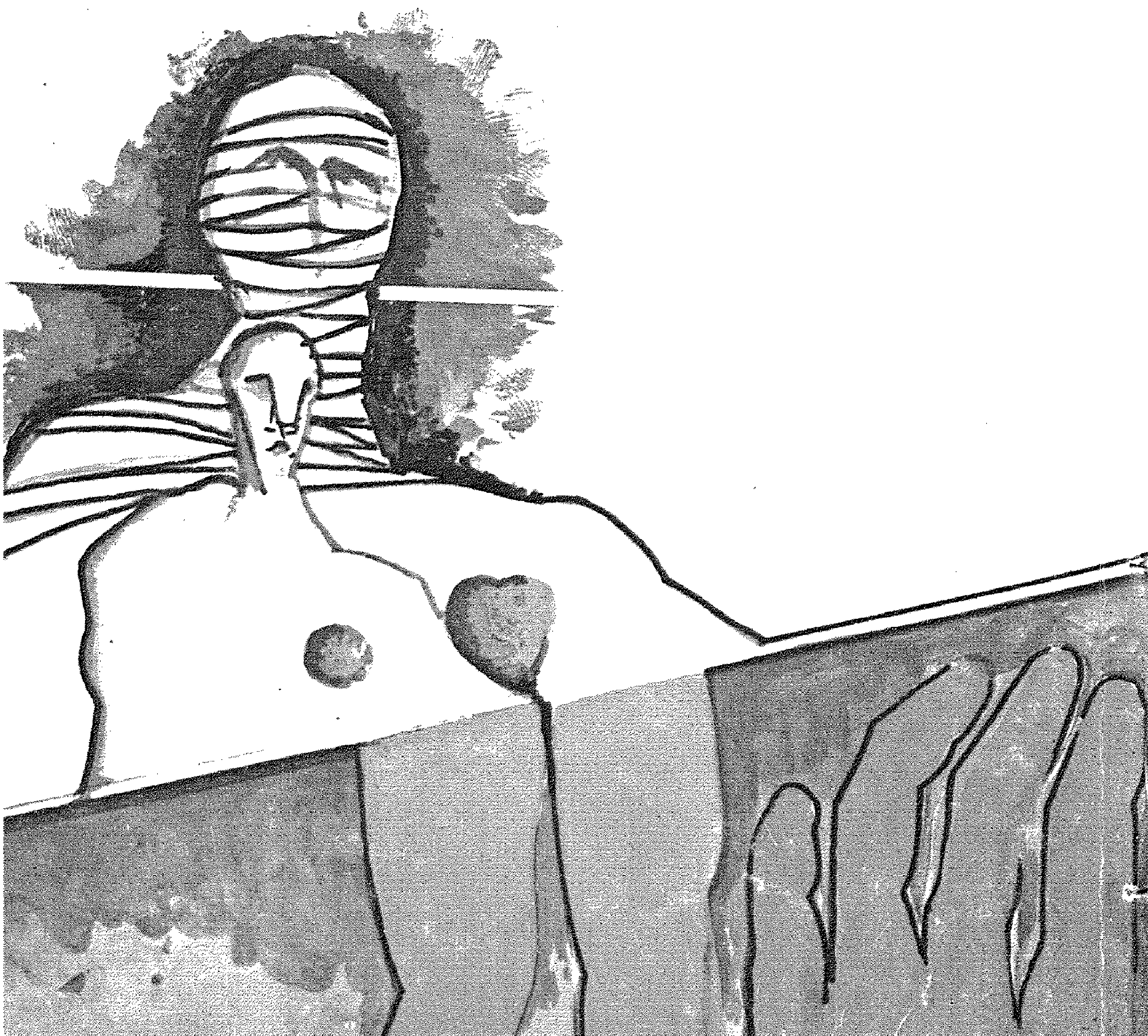
# Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center: *Editor*, Mahmoud Darwish: *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 60. other Arab countries L L 75 or equivalent, Europe L L 100 elsewhere L L 125: *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 65. *Address*: P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351261; Cables: MARABHATH.

السعر: ٥ ل.ل. في لبنان
٦ ل.س. في سوريا
٦٥٠ فلساً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولة الامارات العربية
٦ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٨٥٠ درهماً في ج.ع.ل.

# شؤون فلسطينية

٧٢ تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٧٧



# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٧٧ — ٧٢

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية





**العنوان** : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ( متفرع من السادات ) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص٠ب ١٦٩١ ٠ تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،

برقيا مرابحات ، بيروت ٠
مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٦٠ ل٠ل٠ في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل٠ل٠ في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل٠ل٠ في اوروبا ، ١٢٥ ل٠ل٠ في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٦٥ ل٠ل٠ في جميع الدول غير غير العربية ٠

الغلاف بريشة :
مؤيد الراوي

٢

المحتويات

# طريق الرمل

طريق الرمل ، طويل كالنهايات التي تدافع عن ذاتها ٠ فيه اسئلة واسئلة لا تنتهي الا باستيلاء البديل على قواه وطريقه ٠ كأن المجز الطافي على هذا الوقت يمتلك البراهين على انه عجز امة ٠ يطير سقف المحرمات ، كل شيء جائز في طريق الرمل ٠٠ الاحتماء بأسلحة العدو تجربة قابلة للاجتهاد ٠ وطريق الرمل ممتد كأنه قدر لا يقاوم ٠ يمتد من حرب الى حرب ويستأنف تعرجاته وأحتمالات السطوة ٠ وبين النصر والهزيمة خيط لا يرى الا بدليل وعصا جنرال ٠ تخرج الناس من حزيران ممتلئة بالبرق الساطع وعناد الارادة ـ هكذا تتحول الهزائم الى تجربة تؤسس مقومات نصر ٠ وتخرج الناس من تشرين ممتلئة بالدهشة والضياع واستلاب الارادة ـ هكذا تتحول امكانية النصر الى هزيمة اختيارية ٠ ويمتد طريق الرمل ٠ يستأنف تعرجاته ٠ ينتهي ولا ينتهي ٠ كأن الايام حبات من الرمل لا تمكث بين الاصابع ٠ الى أين ٠٠ الى أين ؟ نوع اخر من السراب واسوأ ، لانه يفتقر الى حيوية المحاولة والانتظار فلا يعبيء الرحلة بزخم الفرح الانساني او زخم العذاب الانساني ٠ ان الوقت يبذر بالمجان ، والدم يسيل من جرح لا يوجع الدولة ٠ والنفط الذي يكسر المفاهيم يتبخر في سماء تبتعد سنين قليلة ، ولا احد يرى أبعد من جيبه في طريق الرمل ٠ وطريق الرمل مزدحم بالذاهبين الى السدى ٠ الهدف قريب ولا احد يصل ٠ صارت جنيف ام المدن ومستشفى الجراح العربية ٠ يأتيها المسافر من أقرب مكان : من خمسين الف ضحية واكثر ، ومن سجون بلا عدد ، من التسامح مع الاعداء ، ومن الاعتذار عن لغة جيل كامل ٠ من استبدال العدو بالصديق والارض بالطائرة الشخصية ، ومن رفع اسعار الطحين والسكر وانتشار الكوكاكولا والأمية والمرض ٠ ويأتيها المسافر من اي مكان : من منع الكتابة الى محاصرة الحلم الفلسطيني، من نزع الحجاب عن وجه الطبقة الى فرض الحجاب على وجوه النساء ٠ جنيف ام المدن ٠ ولا يدري الكثيرون انها هنا ٠٠ في الكثير من العواصم العربية ٠ جاهزة لاستقبال الوفود التي جهزت نفسها لاستيعاب الشروط ٠ لقد تمت التسوية في الشوارع والعلاقات وبرامج التعليم والاذاعة والصحافة ٠ تمت تمت ٠

ولكن احدا لم يصل الى جنيف المحصلة ، لان العدو الاسرائيلي ينتظر مزيدا من السخاء العربي · ولماذا نعرف ، لماذا نعرف ان ما يصبه العرب في معدة الولايات المتحدة الامريكية يغذي شرايين الشره الاسرائيلي الذي لا ينتهي ، لا ينتهي بتصريحات الشطرنج التي يلعبها رئيس اميركي دائم الابتسامة ؟· لماذا نعرف ما دام الكل يعرف ان الحماسة الاميركية لتحرير الارض العربية لاتعرف حدودا في طريق الرمل· اسئلة واسئلة تضع البديهيات في حجم المعجزة · وجنيف ام المدن ليست الا مرآة لعلاقات القوى على ارض الصراع · العاجزون عن خوض الحرب هم العاجزون عن انجاز السلام · والقوي في الحرب قوي في السلم · وطريق الرمل طويل الى ان يلتئم طرفا الدائرة ونعود الى نقطة البداية · سنعود الى كدح البرهنة على ان القضية الفلسطينية والارض الفلسطينية والثورة الفلسطينية والثورة العربية وحدة لا تتبعثر ، مهما كانت الرؤية شاقة على عيون الذاهبين في طريق الرمل . ولم يعد من السهل عليهم ان يروا موكبهم الواحد · كل واحد على هواه والرمل كثير والوقت طويل والعمر قصير · ومع ذلك ، مع ذلك ، فان احدا لم يصل الى ام المدن · يأتيها المسافر من طريق العودة الى الوراء . فلا يصل · يأتيها من واشنطن فلا يصل · يأتيها من اعتقال احلام الامة فلا يصل · جنيف بين يديه ولا يصل · وحين سيصل في نهاية هذا العام او العام الذي يليه ، او بعد اختيار هزيمة ترضي اميركا . فانه سيكون مرهقا ، خاليا من شروط سلامه · وسيكون العدو مستعدا اكثر لخوض حرب جديدة يفرض فيها سلامه · وهذا هو سلامه : لا انسحاب من الارض · لا اعتراف بالفلسطينيين · لا دولة فلسطينية · فماذا سيفعل المسافر المتعب في طريق الرمل ؟ سيسعى الى حل ثنائي اخر · ويكتشف الجميع ان جنيف ليست ام المدن ، وسنختلف مرة اخرى ، وتندلع حرب اخرى في الداخل العربي · وتواصل فلسطين سيرها الذي لم يتوقف في طريق الثورة · ويصحو الجميع من حالة الرمل ·

**محمود درويش**

شفيق الحوت

## على هامش الدورة الحالية للأمم المتحدة

# الحرب والسلام توأمان

على الرغم من كل ما اذيع وما نشر عن المؤشرات السياسية التي افرزتها الدبلوماسية السرية والعلنية لاطراف الصراع في ازمة الشرق الاوسط وقضية فلسطين ، والتي شهدتها اروقة الامم المتحدة وكواليسها ، فان الملامح النهائية والحاسمة لصورة « المحصلة » التي انتهى اليها وعندها صراع الارادات المتباينة والمتناقضة لا تزال غامضة وغير متفق عليها ٠

وعلى الرغم من كل ما اذيع وما نشر من تحليلات وتقييمات لهذه المؤشرات ، سواء من مواقع المتفائلين والراغبين في عقد مؤتمر جنيف وتمرير حل سياسي سلمي ، او من مواقع المتشائمين الرافضين لهذا كله ، فانها لمغامرة خطرة الرهان على اي من الموقفين ٠

فالطريق الى جنيف غير سالكة ، وكذلك الطريق الى الحرب ٠ وبقدر ما يسعى البعض لتعبيد الطريق الى السلام ، فانه يجد نفسه ـ أمام تناقضات المواقف ـ وكأنه يعبد الطريق الى الحرب ٠

ان « الحرب والسلام » بالنسبة لازمة الشرق الاوسط وقضية فلسطين ، في اطار الظروف والملابسات الحالية ، يبدوان كتوأمين سياميين لا يصعب فصلهما وحسب ، بل وهناك من يريد بقاءهما على هذه الحالة تكريسا لمصالحه وسياسته ٠

وقد يكون من قبيل التفاؤل ، المبالغ به ، ان نتوقع استكمال الملامح النهائية والحاسمة لصورة « المحصلة » لصراع الارادات خلال الاسابيع الستة القادمة ، اي بعد طرح قضية فلسطين على الجمعية العامة للامم المتحدة ، وان

## ٧

كان من الممكن اعتماد ما قد يصدر عن المنظمة الدولية مؤشرا جديدا يضاف الى مجموعة المؤشرات السابقة ويساعد الى حد ما في عملية المراجعة المطلوبة للاستراتيجية العربية المتبعة منذ نهاية حرب تشرين ١٩٧٣ ٠

غير ان المؤشر الاهم هو ما قد يصدر عن مجلس الامن وليس عن الجمعية العامة ، لان ما يصدر عن الاخيرة وان كان يمثل الى حد بعيد « الضمير الدولي » ، فان ما يصدر عن مجلس الامن يمثل « الارادة الدولية » وخصوصا اذا كان موضع اتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، ويخدم سياسة الوفاق بينهما ولا سيما بالنسبة لموضوع الحد من انتاج الاسلحة النووية الاستراتيجية ٠

مع ذلك تبقى لهذه الدورة من دورات الامم المتحدة اهمية خاصة . لانها جاءت في اعقاب التحركات المكثفة التي قامت بها ادارة الرئيس الاميركي جيمي كارتر الذي اوحى لجميع اطراف الصراع العربي ـ الاسرائيلي بأنه يعتمد تفكيرا واسلوبا جديدا لحل ازمة الشرق الاوسط وقضية فلسطين ٠ وبعد زيارة وزير خارجيته سايروس فانس الى المنطقة ، وما رافق تلك الزيارة من ملابسات وارتباكات ، اتفق على استئناف الاتصالات خلال انعقاد الدورة الراهنة ٠ لذلك كان هذا الحشد من وزراء الخارجية من جميع دول العالم الذين يهمهم ويقلقهم الوضع المتوتر في الشرق الاوسط ، فجاؤوا ليكونوا على مقربة من الاتصالات الجارية ، خصوصا وان الرئيس الاميركي قد اعلن عن عزمه زيارة المنظمة الدولية والقاء خطاب في جمعيتها العامة ٠

والواقع ان ما كان يجري في فندق « «يو٠ ان٠ بلازا » الواقع على الرصيف المقابل لمقر الامم المتحدة ، حيث كان يقيم الرئيس الاميركي ومعاونوه ، أهم بكثير مما كان يجري في مقر المنظمة الدولية ٠ فهناك التقى الرئيس الاميركي بممثلي اطراف الصراع . كما قابل غيرهم من المعنيين بهذا الصراع ، بالاضافة الى الاتصالات المستمرة مع السوفيات باعتبارهم « الرئيس المشارك » لمؤتمر جنيف والقادرين وحدهم على نسف او دعم المساعي المبذولة لعقد المؤتمر المذكور ٠

وكانت الاخبار التي ترشح عما يجري داخل فندق « يو٠ ان٠ بلازا » عن طريق البيانات الرسمية ، او عن طريق الهمسات والوشوشات الدبلوماسية ، تنزل على المتربصين والمراقبين ، ولاسيما على ممثلي اطراف الصراع ، كمياه الحمامات التركية : طاسة سخنة وطاسة باردة ، لدرجة حملت بعض الدبلوماسيين على الاعتقاد بأن هذا التشويش والارباك ليس عفويا وانما هو مقصود بحد ذاته . تاركا للدبلوماسية السرية ان تتحرك بمعزل عن اصداء الضجيج الذي كان يعم المقر الدولي حتى مدينة نيويورك بأسرها ٠ ونيويورك ليست مدينة عادية كغدرها . فبالاضافة الى كونها احد أهم مراكز الاعلام

في العالم ، فهي المدينة الاميركية التي يسكن فيها من اليهود ما يعادل عـدد سكان اسرائيل مضروبا باثنين ·

ولما لم يكن بين منظمة التحرير الفلسطينية والادارة الاميركية اي اتصـال مباشر ، فلقد كانت اخبار الوفد الفلسطيني عما يجري في الفندق المذكور ، او ما يجري في واشنطن بعد ذلك ، مستقاة من الاشقاء والاصدقاء من اصحاب الاتصال المباشر · ومهما كان الراوي صادقا في روايته ، فان الصورة غيـر المباشرة تبقى باستمرار بحاجة الى التدقيق والتمحيص حتى يتم تحييدها عن مشاعر الراوي ومصالحه · ويزداد الامر صعوبة وتعقيدا عندما تكون الصورة المنقولة بحد ذاتها ، وفي اصلها وتركيبها ، معقدة وغير واضحة ، وخاضعـة لعملية المساومة والمراوغـة ·

ومن موقع المسؤولية ، كمشارك في الوفد الفلسطيني ، وكمراقب عـربي لما كان يجري في الساحة الدولية ، استطيع تسجيل الملاحظات التالية دون ان الزم غيري بها ، فسردي لها في هذا المجال لا يمنحها اية حصانة رسمية ، رغم التزامي بمسؤوليات امام منظمة التحرير بجميع مؤسساتها ·

**اولا : الموقف الاميركي**

اذا اعتمدنا المعلن من الموقف الاميركي ، يصعب علي ان لا اعترف بأنه ليس هناكمن « جديد » في هذا الموقف · وقد وصل هذا « الجديد » ذروته فـي البيان السوفياتي ـ الاميركي الذي صدر في خضم الاتصالات والمساجـلات والحرب الكلامية ، عندما سجل الاميركيون على أنفسهم الاعتراف « بشعب فلسطين وحقوقه المشروعة » · وهذه هي المرة الاولى حسب معلوماتي التـي شمل فيها تصريح يصدر عن واشنطن الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة · قبل ذلك ، كان كل ما صدر يتحدث عن « اللاجئين » ثم تطور فتحدث عن « الفلسطينيين » · اما تعبير « الحقوق المشروعة » فكان يستعاض عنه بالحديث عن « الطموحات » الفلسطينية او « المصالح » الفلسطينية ·

والذين اخذوا على البيان السوفياتي ـ الاميركي المشترك انه سجل تراجعا في الموقف السوفياتي غاب عنهم انه كان يستحيل على السوفيـات استدراج واشنطن على التوقيع على بيان يتضمن كامل بنود الموقف السوفياتي المعروف من قضيتي الشرق الاوسط وفلسطين ، ولا سيما فيما يتعلق بالفهم السوفياتي « للحقوق المشروعة » لشعب فلسطين والتي تتضمن حقهم في تقرير المصير والعودة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ·

اكثر من ذلك كل شعوب المنطقة تدرك ، ولاسيما بالنسبة للجانب العربي ،

ان المشكلة على مستواها الدولي لم تكن تعاني من الموقف السوفياتي وانما من الموقف الاميركي بسبب انحياز هذا الاخير الى الجانب الاسرائيلي وتبنيه لمعظم ما رسمته حكومة تل أبيب من سياسة عدوانية توسعية كولونيالية ٠

كان لا بد من هذا الايضاح حتى يستقيم ميزاننا في تقييم المواقف ونعطي لكل ذي حق حقه ٠

اذن هناك « جديد » في السياسة الاميركية المعلنة ، وهو « ايجابي » رغم تحفظ بعض رفاقنا في الثورة الفلسطينية حول هذا التعبير ٠ ويهمني هنا ان اوضح كذلك بأن « الايجابية » هي قضية نسبية وتقاس بالنسبة لما سبق لصاحب الموقف واتخذه من مواقف في الماضي ٠ فالمقارنة هنا ليست بين موقف موسكو او واشنطن ، وانما بين موقف واشنطن خلال عشرين سنة خلت وموقفها الحالي في هذه المرحلة من عهد الرئيس كارتر ٠

ان الدقة في التعابير هنا مطلوبة ، ولا يجوز تلبيس اي كلمة اكثر مما يحتمل معناها ٠

و « الجديد الايجابي » في الموقف الاميركي لا يعني ولا بشكل من الاشكال ان الولايات المتحدة قد تبنت مطالب شعبنا او حتى اقتربت منها مسافة ملموسة ٠ كما انه لا يعني ان ذلك «الجديد الايجابي » قد توثق بما فيه الكفاية واصبح سياسة « ثابتة » للبيت الابيض الاميركي ٠

واعتقد انه ضمن هذا الفهم للموقف الاميركي تعاملت قيادة منظمة التحرير ووفدها في الامم المتحدة مع الحكومة الاميركية عبر التصريحات والاتصالات غير المباشرة عبر الاصدقاء والاشقاء ٠

ويمكن تلخيص ذلك بالقول « هذا موقف جديد وايجابي نسبيا . ولكنه غير كاف ولا بد من استكماله حتى تصبح فرص السلام واردة في الشرق الاوسط»٠

وكان واضحا ان المنظمة ووفدها حرصا على توضيح وترسيخ التباين بين الموقفين الاسرائيلي والاميركي لكي يشهد العالم كله ان اسرائيل في تعنتها وغطرستها اخذت تختلف مع الصديق الوحيد الهام لها في العالم وهو الولايات المتحدة ٠ وهذا ما الح اليه بكل الوضوح الاخ فاروق قدومي في جوابه على الكلمة التي القاها موشيه دايان امام الجمعية العامة ٠

واذا كان « الجديد الايجابي » في الموقف الاميركي قد ظهر وبان عبر التصريحات الرسمية على لسان الرئيس كارتر ووزارة خارجيته . فلقد ظهر وبان على نفس المستوى ما يمكن اعتباره تملصا من هذا « الجديد الايجابي » واكثر من ذلك فلقد اتضح من الممارسات الاميركية خلال اتصالاتها مع اطراف الصراع بأنها لا تزال تقف الى جانب اسرائيل سواء بالنسبة للتمثيل

الفلسطيني في مؤتمر جنيف ، او بالنسبة لمصير الضفة الغربية والقطاع ٠

اي ان الولايات المتحدة تقف مع اسرائيل في القضايا الاجرائية ، وقضايا المادة السياسية ، بالنسبة لقضية فلسطين ٠

كفلسطيني لا يمكنني اغفال هذه الحقيقة رغم كل محاولات التطمينات غير المباشرة التي تحاول ، وعن طريق الارباك بالتصريحات والتصريحات المضادة، انقاذ المسيرة الاميركية في البحث عن حل سياسي سلمي ينقذ سمعتها اولا ، وينقذ من راهنوا على المسيرة بأنها وحدها القادرة على فرض الحل « العادل » في المنطقة ٠

وقبل ان تفوتني الفرصة اود ان اسجل هنا ، اجتهادي الخاص ، باعتبار ان قضية « التمثيل الفلسطيني من خلال منظمة التحرير » ليست قضية اجرائية كما سبق واشرنا على لسان غيرنا ، وانما هي في صلب المادة السياسية ٠ لان اي محاولة لقسمة التمثيل الفلسطيني بين منظمة التحرير واية جهة اخرى ، انما تستهدف في حقيقتها اما الايحاء بأن هناك اكثر من موقف سياسي فلسطيني يتعلق بمصير الضفة والقطاع ، واما خلق ذلك بالفعل وايجاد سقف جديد للمطالب الفلسطينية هو دون ذلك السقف الذي اعتبرته منظمة التحرير يمثل الحد الادنى من مطالبها للقبول بالمشاركة في الجهد السياسي المبذول على طريق مؤتمر جنيف ٠

بقي ان نقول كلمة حول « الموقف الاميركي » ، ولاسيما ذلك « الجديد والايجابي » منه : يقول البعض ان كارتر قد اعطى الفلسطينيين ، وبالتالي لقد اعطى العرب ما لم يعطهم اياه اي رئيس اميركي من قبل ٠ وانه لا بد بالتالي من دعم الرئيس الاميركي في مخططه الجديد ، لا سيما وانه يتعرض الان لحملة قاسية من « اللوبي الاسرائيلي » ومختلف مجموعات الضغط الصهيونية ٠ ويوحي هؤلاء بأن الدعم يأتي عن طريق اظهار المزيد من المرونة والتنازلات ٠

والحقيقة ان المطلوب ، ومن أجل تحقيق نفس الهدف ، اي دعم كارتر ضد الهجمة الصهيونية عليه ، هو المزيد من الضغط والتصلب ٠ وفي اجتهادي الخاص ان اي ضغط عربي جاد ، ولاسيما في مجالي المال والنفط ، يعتبر هدية للرئيس الاميركي باعتبارها ورقة هامة يستطيع ان يلوح بها الى الاميركيين مذكرا اياهم بمصالحهم الضخمة في الشرق العربي ٠

واذا كان باستطاعة المنظمات الصهيونية ان تحول مشكلة فلسطين الى مشكلة اميركية داخلية ، فمما لا شك فيه انه باستطاعة العرب الرد على هذه المحاولة وبأبسط مما يتصور الكثيرون ٠

اما المرونة والتنازلات العربية ، فان من شأنها اضعاف مركز كارتر واظهاره

بمظهر المفرط بالرصيد الاسرائيلي دون اي داع · ودليل الصهاينة على ذلك ، عندئذ . هو التنازلات العربيـــة ·

## ثانيا : الموقف السوفياتي

ليس هناك من جديد يمكن تسجيله بالنسبة لما أصبح معروفا وواضحا وثابتا بالنسبة للموقف السوفياتي من القضية العربية بشقيها الفلسطيني المتعلـق بمصر وسوريا · فالسوفيات لا يزالون عند موقفهم فـــي تفسيرهم لقرار ٢٤٢ ولاسيما بالنسبة للانسحاب الكامل من الاراضي العربية ، كما انهم عند موقفهم من قرار ٣٢٣٦ القاضي بمنح الفلسطينيين كامل حقوقهم الوطنية بما في ذلك تقرير المصير والعودة واقامة الدولة المستقلة ·

ولست في موقع من يجوز له الكلام عن العلاقات السوفياتية ـ العربية ، وما يجري بينهما من اتصالات حول الموقف من مؤتمر جنيف ومن الموقف الاميركي ـ الاسرائيلي المشترك ، ولكني استطيع القول بأن السوفيات اعلنوا لمنظمة التحرير قيادة ووفدا الى الامم المتحدة ، بأن موسكو لا يمكن ان تشارك في مؤتمر جنيف ان لم يتضمن جدول اعمال المؤتمر ما يشير الى حقوق شعب فلسطين الثابتة ، وان لم تشترك منظمة التحرير في المؤتمر ، كممثل شرعي وحيد لشعب فلسطين ، وعلى قدم المساواة مع جميع الاطراف المعنية · اكثر من ذلك لقد وقف السوفيات كذلك مع الموقف العربي الرافض للورقـــة الاسرائيلية ـ المشتركة بالنسبـــة للاتفاقيات الثنائية المنفردة ·

واذا كان لاي جهة عربية ما تقوله بصدد الموقف السوفياتي فـــان الجانـــب الفلسطيني لا يستطيع الا ان يسجل بالتقدير موقف هذا الصديق العظيم ، الذي لا يزال لثقله الدولي اكبر الاثر في تحييد الموقف الاميركي وموازنته ·

## ثالثا : الموقف العربـــي

كان الموقف العربي في الامم المتحدة انعكاسا لمجمل المواقف العربية التـــي نعرفها جميعا · وهي دون ما نتمنى ويتمنى اي مواطن عربي ·

وعلى ذمة الرواة ، ومن بينهم العرب انفسهم ، ان الولايات المتحدة قـــد وجدت اكثر من ثغرة في الموقف العربي عرفت كيف تستفيد منه وتستثمره لصالح حليفتها الاستراتيجية اسرائيل ·

ومن المؤسف فعلا ان تصب هذه الثغرات جميعها في بند فلسطين ، وفـــي المجالين الاجرائي والسياسي · وعلى الرغم من وعينـــا دسائس الاستعمار ومؤامرات الصهاينة في تفتيت الموقف العربي عن طريق الاشاعات والاكاذيب ،

الا أنه من خداع النفس الا نعترف بأنه لو لم يكن هناك من « تباين » في المواقف لما استطاعت تلك الشائعات ان تجد سبيلها الى مستوى الاخبار ٠

وكما يقولون على لسان البسطاء من ابناء شعبنـــا وامتنا ان « التطـــرف الاسرائيلي الصهيوني » يبقى في النهاية الضمانة الكبرى لتوحيد الموقف العربي ولاسيما عندمـــا يكتشف الجميع انه ليس هناك في الافق ما يبشر بأي تنـــازل صهيوني عن شبر أرض او « فقرة » حق ٠

**رابعا : الموقف الاسرائيلي**

بعيدا عن كل التفاصيل التي باتت معروفة والتي تشكل كل « كلمة » فيها عقبة على طريق الحل السياسي ، فانه يكفي لتوضيح الموقف الاسرائيلي ما ورد على لسان موشيه دايان حينما خاطب الجمعية العامة ، فقال « ان قلب المشكلة يكمن في رفض العرب الاعتراف بحق اسرائيل في السيادة والاستقلال فوق وطن الاجداد التاريخي للشعب اليهودي » ٠

هل هناك ما هو أوضح من ذلك ؟

الرجل يريد اعترافا « بدولة » ما بين النيل والفرات » ثمنا للسلام مـــع العرب ٠ فما قيمة الحديث بعد ذلك عن « ضم » الضفة والقطاع ، او « اسباغ الشرعية » على مستوطنات الارض المحتلة !

اذا كان هذا هو جوهر المشكلة كما يطرحه موشيه دايان ، لاننا لم نعترف له بحق السيادة والاستقلال فوق بغداد والبصرة ودمشق واللاذقية وعمـــان ودلتا مصر وتبوك السعودية ، فأي قيمة لاي حديث معه حول مصير القـــدس وشرم الشيخ ومرتفعات الجولان ؟

وبعـــد ،

بعد هذا العرض المغالي في ايجازه لمواقف أطراف الصراع ، ما زالت هـــذه المؤشرات بانتظار المؤشر الذي ننتظره بعد اسابيع عند طرح قضية فلسطين على الجمعية العامة وربما على مجلس الامن ٠

فاذا اتخذ مجلس الامن قرارا يستكمل القرار ٢٤٢ ويشير الى المشكلـــة الفلسطينية وحقوق شعب فلسطين الوطنية فقد يكون ذلك مؤشرا ايجابيا بالنسبة لمؤتمر جنيف ٠ حتى لو اكتفى المجلس ، في حال استحالة اتخاذ القرار المشـــار اليه ، بتبني البيان السوفياتي ـ الاميركي الاخير بعد اعتباره وثيقة دولية ، فان ذلك ايضا قد يعتبر مؤشرا ايجابيا ٠

ولكن من يضمن ذلك ؟ ليس من ضمانة على الاطلاق ولا سيما من الجانـــب

الاميركي الذي قد يستعمل حق الفيتو ضد اي محاولة من هذا النوع ·

مع ذلك ، هل اصبح الحل السياسي السلمي امام جدار مسدود ، واصبحت جنيف بالتالي وهما من الاوهام ؟ واننا بالتالي اصبحنا امام الخيار الوحيد : الحــرب ؟

في ظني ، وهذا اجتهاد ، ان الطريقين ، الىجنيف والى الحرب ، غيــر سالكتين ، وان جميع الاطراف ، ولكل اسبابه وتمنياته ، يراهن على ما ستترتب عليه الاوضاع نتيجة لانسداد الطريقين ·

الحرب والسلام ، في الشرق الاوسط ، كما قلت ، توأمــان سياسيــان ، وجراحتهما خطرة ، وغرفة العمليات غير مهيأة ·

يحي رباح

# يوميّات العرقوب

١ ـ

فتحوا بوابة للاسرائيليين ، واغلقوا كل البوابات في وجه التاريخ ، هذا هو وضع الانعزاليين في قرية القليعة الحدودية ، ثم انهم بعد ذلك ، راحوا يحاولون نفي التهمة عن انفسهم ٠

كيف ؟؟

راحوا يصرخون بأعلى الصوت

ـ خائفون

ـ العالم من حولنا يكرهنا

ـ كل الطرق مقطوعة ٠٠ الا طريق اسرائيل سالكة ٠

وكان ضابط الاستخبارات الاسرائيلي الذي يعرف نفسه لهم باسم « ابو داهود » يتحدث اليهم في بادىء الامر باللغة العربية ، ولكنه صار يتحدث اليهم الآن باللغة العبرية ٠

وكان المطران بولس في مرجعيون ينادي بأعلى صوته :

ـ هؤلاء الناس الذين في قرية القليعة ، بارعون جدا ٠٠ بارعون في الانتحار ٠ ولكي ينفي الانعزاليون التهمة عن انفسهم ، فانهم قصفوا المطرانية ، ونهبوا محتوياتها بعد ذلك ، كان ذلك في اشتباكات شهر تشرين الاول من العام الماضي ٠

وكان الدكتور شكر الله كرم يقول لكل من يسأله :

ـ يجب حماية هؤلاء الانعزاليين من انفسهم · ولكي ينفي الانعزاليون التهمة عن انفسهم ، فانهم اطلقوا عليه النار ، ثم علقوا جثته فوق عمود للكهرباء ، على حافة الشارع الرئيسي في الخيام ، كان ذلك في اشتباكات شهر نيسان من العام الحالي ·

الدكتور شكر الله كرم ، طبيب مسيحي من بلدة الخيام ، كان اول رئيس للبلدية ، اختارته بلدة الخيام ، تلك البلدة الحدودية المسلمة ، بالاجماع · وطوال خمسة وثلاثين عاما ، ظلت عيادته ، التي في داخل بيته ، تستقبل العرقوبيين من الخيام وابل السقي وكفرشوبا وراشيا الفخار والماري وعرب الجسر وحلتا وكفر حمام والهبارية وغيرها ، كان الرجل محبوبا من اهل العرقوب جميعا ، من المزارعين ورعاة الماعز وباعة الخضار وصيادي العصافير وباعة السجائر المهربة ، كان محبوبا من عناصر الحركة الوطنية ومن الفدائيين ، وعندما علقوه جثة مثقوبة بالرصاص فوق عمود الكهرباء ، كان هذا علامة على ان الاصابع الانعزالية تتحرك بنبض الارادة الاسرائيلية ، تماما مثلما تتشنج روح شريرة في جسد فاقد الارادة ·

فتحوا بوابة للاسرائيليين ،

واغلقوا كل البوابات في وجه التاريخ ،

وراحوا يحاولون نفي الاتهام عن انفسهم ،

هذا هو وضع الانعزاليين ودورهم في الجنوب اللبناني وفي العرقوب بوجه خاص ·

وخلال الستة شهور الاخيرة على وجه التحديد ، انخرط الانعزاليون والاسرائيليون في الجنوب وفي العرقوب في لعبة خطرة وعنيفة ويائسة ، اسمها لعبة تبادل الاقنعة ، الاسرائيليون يتغلغلون في الجنوب ، ويباشرون العمليات العسكرية لاخلاء السكان ، وابادة الحياة ، واخراج مقاتلي الحركة الوطنية والفدائيين ، يفعلون كل ذلك وهم يختفون وراء القناع الانعزالي ، والانعزاليون بدورهم يهددون ، ويطرحون موضوعة تحرير الجنوب من اهله واشجاره وبيوته ، يفعلون كل ذلك وهم يختفون وراء القناع الاسرائيلي ·

ولكن العرقوب ضد التداخل ،

ولكن العرقوب اوسع من ان تناسبه لعبة تبادل الاقنعة ·

فالمواطن العرقوبي يقول :

ـ من هنا تبدأ المشكلة عادة ·· وليس هنا تنتهي ·

ومقاتل فلسطيني صغير السن في الخيام اسمه فايز يقول :

ـ ان ميثاقنا المكتوب على الورق ، والمحفوظ في الذاكرة يتلخص في جملة واحدة ·· اينما وجدت اسرائيليا ·· اطلق عليه النار ·

والواقع الموضوعي يقول ان العرقوب ليس تفاحة يمكن ان يأكلها احد في غفلة من الناس اجمعين ·

·· وحين لا تبتعد المسافة بين الرصاصة والهدف ، تسقط الاقنعة ، وتسقط لعبة الاقنعة ، ويضطر كل طرف ان يكشف عن نفسه ، الانعزاليون يكشفون عن حجمهم ، والاسرائيليون يكشفون عن دورهم ، والفدائيون يكشفون عن تلك المساحة الشاسعة التي يمكن ان يصل اليها بأشكال شتى ، انفجار النيران ·

هنا العرقوب ،

في شهر آب الماضي ، انطلقت اشاعة لا يستطيع احد ان يجزم بمدى دقتها ، ان اكثر من عشرين امرأة من نساء قرية القليعة ، عبرن البوابة المفتوحة ، وذهبن للولادة في المستشفيات الاسرائيلية ، وان تلك النساء عدن وكل واحدة منهن ، تحمل على ذراعها طفلة ·· لقد سرق الاسرائيليون الاطفال الذكور من نساء القليعة ·

[ هذه الاشاعة تناقلها الناس وتحدثوا بها في قرى القليعة ومرجعيون ودير ميماس بوجه خاص ، وفي بقية قرى المنطقة بوجه عام ، وهي قد لا تتصف بالدقة ·· ولكنها تكشف عن القلق ] ·

هنا العرقوب ،

افادت معلومات مؤكدة ، ان الرائد سعد حداد قائد قوات الانعزاليين في القليعة ومرجعيون ، يعاني من ازمة حادة ، بسبب انهيار الروح المعنوية لدى جنوده الانعزاليين ، وانه عقد اجتماعا لهؤلاء الجنود في الاسبوع الاول من ايلول الماضي ، ودعا الى الاجتماع عددا من الضباط الاسرائيليين ، ليستعين بهم في تنشيط الحالة المعنوية المتدهورة لجنوده ·

هنا العرقوب ،

ليس في الامكان دائما ، ان تضبط قتالا على قدر مساحة قاع فنجان القهوة ، الطائرات الاسرائيلية بعيدة المدى ·· وكذلك الصواريخ ومدافع الـ ١٧٥ مم ومدافع الدبابات ، وفي نفس الوقت فان الدوريات الفلسطينية بعيدة المدى هي الاخرى ·

يتركز الهجوم الاسرائيلي الانعزالي على تلة الشريكي ، في محاولة للاستيلاء على الخيام وابل السقي واقتطاع العرقوب الاعلى ، ويجد الاسرائيليون ان الاشتباكات وصلت الى كريات شمونة وصفد ، وخليج عكا ·

العرقوب ليس صغيرا

العرقوب هو نقطة التماس ،

وحين تشتعل النار ، فان حدوده تصل الى قاعة الجمعية العامة للامم المتحدة ، والى طاولة الحوار الهادىء بين كارتر ودايان ، بل وتصل حتى الى كل العواصم العربية التي اتكأت على وسادة السلم ، لتستيقظ على هاجس الحرب ٠

هنا العرقوب ،

في السادس عشر من ايلول الماضي ، اشتعلت في العرقوب على نحو ما حرب صغيرة ، اعترف الاسرائيليون بخسائرهم وتورطهم وانسحبوا ، واعترف الانعزاليون بضآلتهم فسكتوا ٠

ويصرخ مذيع من محطة اذاعة الانعزاليين :

ـ ماذا يريد الفلسطينيون ؟؟؟

لا تهم التفاصيل ، المهم ان لا تبتعد المسافة بين الرصاصة والهدف ، وان يظل العرقوب نقطة التماس الاولي ٠٠ هذا هو جوهر المسألة ٠

---

ـ ٢ ـ

---

تقول احدى الحكايات التي يتناقلها الرجال الطاعنون في السن في العرقوب ، ان امرأة من نساء الزمن القديم اسمها « الشعوانة » ، اختارت لنفسها مكانا قصيا فوق قمة الجبل ، وكانت تقول للناس الذين يتوافدون اليها ، من متعبدين ومتعبين ومستضعفين :

ـ ان الايمان يصنع المستحيل ٠

وكانت تقول لكل من تراه مترددا :

ـ وطد عزمك الآن ، واحسم الامر مع نفسك ، وخذ هذه السلة الشبكية واملأها ماء من قاع النهر ، واصعد بها الى قمة الجبل ٠

ـ ولكن ٠٠ ؟

ـ ولكن ان آمنت انك قادر على ذلك ، فسوف تصنع المستحيل ٠

وقد حدث ذات مرة كما تقول الحكاية ، ان رجلا مترددا ، حسم امره مع نفسه واستطاع ان يصعد الجبل ،وهو يحمل سلة شبكية مملوءة بالماء ٠

هذا هو العرقوب في عصر الخرافة ، وفي عصر الواقع ٠

العرقوب بجباله وتلاله ونتوءات الصخور ،

العرقوب بالنهر والوادي والينبوع والشجر المثمر والشوك الدامي ، بمطره وثلجه وصيفه الحارق ،

العرقوب حقيقي للغاية ،

العرقوب ضد السهولة ،

العرقوب ضد التداخل ،

وفي العرقوب اما ان تكون في القمة او تكون في القاع ، اما ان تكون تحت سيطرة رصاص العدو ، او يكون العدو تحت سيطرة رصاصك ·

وفي العرقوب اما ان تكون قريبا الى حد التماس والحضور ، او تكون بعيدا الى حد الغياب والتلاشي ·

وكمثال على ذلك ،

فان ابناء العرقوب الذين لم يستطيعوا ان يقيموا ائتلافا مع الثلج والشمس ، والمسارب الضيقة والنتوءات الصخرية الحادة . والزيتون والشوك ، الذين لم يستطيعوا، هاجروا الى اطراف الارض البعيدة . وبقي القادرون ·

وكمثال آخر ،

فانه حين كان الفدائيون يتواجدون في رويسات العلم « قاعدة التحدي » كان العدو تحت وطأة رصاصهم وانه حين حدث العكس . صار لحم الفدائيين تحت وطأة رصاص العدو ·

وكمثال ثالث ،

فان ثوار الصالونات ومقاهي الرصيف ·· الذين يعلقون اليافطات الثورية ، ويكتبون البلاغات ووصف المعارك من وراء مكاتبهم ، لم تطـأ اقدامهـم ارض العرقوب ، في حين استطاع الثوار الحقيقيون ان يعطوا للعرقوب ملامحهـم ، وان يقترن باسمهم العظيم ، فيصبح اسم العرقوب « ارض فتح » ·

وفوق ذلك كله ،

فالعرقوب بوابة لفلسطين . وبرج مراقبة لسهل الحولة . ومخفر انذار متقدم لجبهة عربية واسعة لو قدر ان تكون ·

وكل الذين مروا الى فلسطين . مروا من هنا . الصليبيون وصلاح الدين ، الاتراك والانجليز والفرنسيون والصهاينة الذين كان الاقطاعيون الكبار ينظمون قوافل تهريب لهم ، ليسكنوهم في الارض التي باعوها لهم ، والفدائيون فـــي

عبورهم الى فلسطين يمرون من هنا ايضا ٠

كانت الموجة الاولى في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٦٨ ، حين جاء ابو علي اياد ، ونعيم وجواد ، وطه الخليلي ، وعمر زكي العسولي وصلاح ٠

تسربوا على اقدامهم عبر مسارب جبل الشيخ ، عرنة ، حيث اشتهر هـذا الممر بعد ذلك ، وعرف باسم طريق عرفات ٠ فانتقلت اخبارهم عن طريق رعـاة الماعز ، والقرويات اللواتي يجمعن الزيتون ، واجهزة اللاسلكي الموجودة فـي مراصد الجيش الاسرائيلي ٠

ـ وصل الفدائيون ،

ـ الفدائيون في الاحراش ،

ـ الفدائيون في المغر والكهوف ،

وحينئذ ابتسم سهل الحولة الفسيح ، وتمرد كثير من الصبية على ذويهم في قرى كفرشوبا والهبارية وراشيا الفخار وشبعا وكفر حمام والخيام وميمس وعين قنية وعين عطا والفريديس وشويا وعين حرشا وبكيفا والعقبة ، واضيف الـى ميزانية الجواسيس بند جديد ، اسمه مطاردة الفدائيين ، وبدأ المستوطنـــون الصهاينة في المطلة والخالصة وكفار جلعادي وكفار يوفال وبقية المســتعمرات الشمالية ، يوسعون الملاجىء ويضيفون اسلاكا جديدة الى خط الاسلاك الشائكة ٠

وحينئـــذ ،

صارت تلك البقعة الصغيرة من الارض العربية التي اســـمها العرقـوب ، الواقعة بين نهر الحاصباني غربا ، وقمة جبل الشيخ شرقا ، وقرية العقبـــة شمالا ، وقرية كفرشوبا جنوبا ، صارت تلك البقعة نشيدا من اناشيد العاصفة ، وساحة الاشتباك الاول ، ونقطة التماس الاولى ، وطموح الثوار بأن تتوحد الارض العربية في جبهة للقتال والتقدم ، وصار العرقوب اشهر آلاف المرات من العواصم المكتظة بالبشر ، المزدحمة بالوزارات والسفارات ، المحشوة بالبضائع الامريكية ٠

هنا العرقوب

فدائي وبندقية وعملية ، وخيمة وخندق وحفرة ، ومدفع وقذيفة وطائرة وقصف وانفجار ، ودخان وحرائق وشظايا وحطام ، ودم واشلاء وموت ٠

هنا العرقوب ،

اشتباك ، فتنهار ملايين الاشياء ، ابتداء من طريقة صياغة الخبر في الجريدة اليومية ، وانتهاء بطريقة ترتيب القائمة الانتخابية ٠

هنا العرقوب ،

اشتباك تتسع عيون الاطفال رعبا ، ثم تتسع دهشة لان العالم كله يتحـــدث عنهم ، تتصاعد حدة النقاش في الاجتماعات الحزبية ، يغير الحكام في خطاباتهم المعدة سلفا ، تتراجع كل البرامج السياسية ، لتفسح مكانا لبند سري سيكون فيما بعد هو البند الاول ، فحواه ان كل شيء ، ابتداء من تخفيض سعر حليـب الاطفال وزيادة وزن الرغيف ، وانتهاء باقامة نظام ديمقراطي وتحرير ارض ، وتوحيد امة ، يحتاج الى اعتماد البندقية ٠

---

ـ ٣ ـ

---

منذ زمن بعيد ، وبفعل الناس ، والاحداث ، والموقع ، والفقر ، حدد العرقوب انتماءه للعروبة ، وحدد انتماءه للثورة . يمثل العرقوب الآن نقطة التقاء الحدود السورية الفلسطينية اللبنانية ، ولكن قبل ان تكون الحدود ، كان العرقوب نقطة في وسط الارض ، وكان اهل العرقوب فصيلا في قلب الثورة المستمرة ٠

الشيخ سعد كليب من قرية العقبة ، عمره الان ٧٨ عاما ، حارب ضد الاتراك عام ١٩١٦ ، وكان قائد فصيل في الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين عام ١٩٢٥ ، ولكن الذي حدث ان الفقراء الذين كانوا مـــادة كل تلـك الثورات . صاروا اكثر فقرا ، فانضم الشيخ سعد كليب مع صديق عمره فؤاد علامـــة ، اخذا يقومان بتشليح الاغنياء الذين سمسروا للترك ثم للفرنسيين ، واعطـــاء الفقراء ، سجنوه ٦٠ يوما ، وضربوه ٤٧٠ جلدة لكي يعترف عن صديقه فـؤاد علامة ، لكنه لم يعترف ٠٠

يقول سعد كليب بمرارة :

ـ في عام ١٩٢٥ قدمت العقبة ٨٤ شهيدا ٠ في قتالها ضد الفرنسيين ، وفي عام ١٩٧٦ قدمت العقبة ٨٤ مطلوبا لانهم مع الثورة ٠

وفي قرية راشيا الفخار اعاد جورج معلوف « ابو فارس » بناء بيته الـــذي حوله الاسرائيليون الى انقاض ، اعاد بناء البيت بطريقة جديدة ، غير وبدل في اماكن كل الاشياء ، باستثناء شيء واحد وهو مكان الشرفة ٠

ذلك انه حين يكون ابو فارس جالسا في شرفة بيته في راشيا الفخار ، تكون فلسطين امامه بكل ايقاعاتها الخاصة ، قريبة الى حد الملامسة فـــي النهـــار مضاءة في الليل ، مبهورة وسط حالة من القسوة والفرح في كل الفصول ٠٠

ابو فارس عاد الى قريته راشيا الفخار من البرازيل حيث يملك والده هنـاك املاكا واموالا كثيرة ، قال للذين استغربوا عودته :

ـ يا اخي ٠٠ كل واحد يغني على ليلاه ٠٠ هناك ناس يحبـون ان يجاوروا مهد المسيح ، او قبر الرسول محمد ٠٠ انا في العرقوب اجاور فلسطين ٠

ثم بعد ذلك انهمك ابو فارس في زراعة اغراس الزيتون والعنب . ثم حين زادت وطأة الفقر على العرقوبيين . نبتت في راسه فكرة . ان يرسل يوسف « المع ابنائه » الى احدى الجامعات ليدرس الزراعة . ويشتري ارضا واسعة . ليقيم فوقها جمعية زراعية تعاونية كبيرة يشرف عليها يوسف ·· تعاونية زراعية كبيرة . تتيح العمل لكل القرويين في قريته ·· وتوفر لهم الطعام والكرامة ·· ولكن الحرب في لبنان اندلعت وتوسعت . وذهب يوسف جورج معلوف . ليقاتل الانعزاليين في المتن . استشهد يوسف . ولم يتمكن ابو فارس من تنفيذ مشروعه الكبير . كل ما حدث انه كان يزرع اغراسا من الزيتون والعنب في العرقوب . ولكنه زرع هذه المرة غرسة من الدم في الجبل ·

في السنوات الاخيرة في العرقوب . اصبح من غير الممكن ان تكتب اسم من تحب . على جذع زيتونة او بلوطة او سنديانة ·· او على جدار بيت ·· ومن غير الممكن ايضا ان تقيم الحسابات بناء على ما تتوقعه من محاصيل الشتاء والصيف ·· في العرقوب تتغير التفاصيل بسرعة مذهلة تثير الغضب احيانا . والبكاء احيانا اخرى ·· تاتي الطائرات المغيرة ·· وتاتي القذائف ذات المدى البعيد . فتجتث الاشجار . وتتهدم البيوت . ولا يبقى شيء بعد ذلك . سوى الاشياء ككل ·· يبقى العرقوب كله . والشعب كله . والثورة والفدائي والبندقية ·

في العرقوب تجف بعض ينابيع الماء في الصيف . فتتضاعف المسافات . ويسقط الثلج فتقطع خطوط الاتصال . وتقصف القرية فتتحول الى مظاهرة احتجاج . ويتشرد الناس فيتحولون الى اعتصام . ويحدث الاشتباك فيتوهج الدم . وينتهي الاشتباك فتتضاعف حواجز الجيش . ويكثر الاعتقال . ويدور القتال فتسقط المؤتمرات . وتعقد المؤتمرات فيتحول العرقوب بكل ناره وموته الى طبق شهي على مائدة السماسرة · وفيما مضى . كانت الخالصة هي سوق القرويين في العرقوب . وكانت حيفا هي مدينة عملهم وبيروت ظلت بعيدة ·· الان اصبحت الخالصة كريات شمونة . واصبحت حيفاء ميناء اسرائيليا ·· وبيروت ظلت بعيدة . وقال منظرو النظام وهم يفركون بجذل اياديهم السمينة :

ــ في الضعف قوة ··

ــ كن ضعيفا حتى لا يهاجمك الاقوياء بقسوة ··

ويصرخ اهل العرقوب :

ــ ولكن الاسرائيليين يهاجموننا بقسوة ··

ــ ····

ــ احتل الاسرائيليون ارضا لنا ·· لماذا لا تعلنون ذلك ؟

ـ ....

ـ سننتقـــم .

ـ كيــف ؟

ـ ستجر التهمة اليكم رغما عنكــم ...

وبعد معركة كفرشوبا في مطلع عام ١٩٧٥ . اعتصم اهل القرية في مدرسة مرجعيون . جاء ضباط كبار ووزراء لمقايضتهم ..

ـ اعلنوا انكم ضد الفدائيين .

ـ ولكن الاسرائيليين هم الـــذين دمروا قريتنـــا . ونحن نعلن اننـــا ضد الاسرائيليين . وفشلت عملية المقايضة . ولم يدفع لاهل كفرشوبا قرش واحــد من التعويضـات .

ولكن العرقوب كان يصنع من دمه . ومن اشلاء ابنائه وحطام بيوته . واغصان اشجاره . عبوات ناسفة وحارقة . يقذفها في كل اتجاه ليحطم كل شيء ويشعل النار العظيمة .

ـ ٤ ـ

في الايام الاربعة الاخيرة من شهر شباط عام ١٩٧٢ . كان العرقوب مسرحا لقتال عنيف بين الفدائيين والقوات الاسرائيلية . التي تدفقت بالدبابات مــن عدة محاور . تحت ستار عنيف من القصف المدفعي وقصف الطائرات التــي واصلت قصفها الى اخر حدود القاطع الشرقي ضمن ما سمي وقتذاك بسياسة الارض المحروقــة .

وكان الفدائيون قد تكاثف وجودهم في العرقوب وفي السفوح الغربية لجبل الشيخ . اثر قرار شجاع وذكي اتخذه ابو عمار بان « يتعربش » الفدائيون بالجبل . وذلك بعد ان فقدت الثورة ساحتها الرئيسية في الاردن بعد مجــازر ايلول والاحراش . والتأكد من ان كثيرا من الحكام العرب اعلنوا عن عجزهم عن تحمل مسؤولية وجود البندقية الفلسطينية مستقلة الارادة . وكانت افواه كثيرة تستعد لابتلاع الثورة واحتوائها وفرض الوصاية عليها .

كان قائد الكتيبة الاولى يرفع علم فلسطين على سارية عالية بالقرب من مقــر قيادته . حاصره القصف . وانفجر صاروخ من الحجم الكبير على بعد أمتار قليلة منه . فوجد نفسه تحت قطعة صخرية ثقيلة تضغط فوق صدره بفعل ضغط الانفجار . ثم انفجر صاروخ اخر بالقرب منه . فانزاحت الصخرة عن صدره بفعل الانفجار الثاني . حدث ذلك كله . مثل الوميض كانت أعمدة النار والدخان والغبار تتصاعد . واختلطت اشلاء المقاتلين مع فروع الاشجار المهشمة المحترقة ،

أفاق من صدمة الموقف ، كان اول شيء فعله انه نظر الى سارية العلم ، كان علم فلسطين هو وحده الذي ظل يخفق فوق ساريته ، وسط حصار الموت والدخان والحرائق ، وقال معلقا بفرح أخاذ :

ـ ليقصفوا ٠٠ ليحرقوا ٠٠ المهم ان علم فلسطين ما زال عاليا في السماء ٠

وكان قائد المنطقة الجنوبية . قد اصدر اوامره متخذا كافة الترتيبات باشعال الجبهة الممتدة من السفوح الشرقية لجبل الشيخ حتى وادي الرقاد والحدود الاردنية . وذلك لتخفيف الضغط عن مقاتلينا في العرقوب والقطاع الشرقي . وتولى قيادة العمل قادة محليون برزوا كأبطال حقيقيين امثال محمد علي والحاج حسن . وغيرهم من كوادر الثورة العسكريين . وفي القطاع الغربي استطاع الفدائيون فتح ثغرة مهمة في حزام الامن الاسرائيلي . وان يتدفق من هذه الثغرة عدد كبير من المقاتلين الى داخل فلسطين المحتلة . فلقد كان واضحا ان العمل العسكري الواسع الذي بداه الاسرائيليون في العرقوب يستهدف هرس وابادة قواتنا لفتح الباب امام مشروع المملكة المتحدة الذي اعلنه الملك حسين في ١٥ آذار من نفس العام ٠ في اليوم الاول من اذار امتد قوس القصف الاسرائيلي ليشمل جميع مواقعنا في جلين . وادي الهرير . غزالة . النعيمة . ثم توسع بعد ذلك ليشمل قواعدنا في كل منطقة حوران . والسويداء . وطرطوس على الشاطيء السوري . بالاضافة الى مواقعنا في لبنان . والمقاتلون جميعا علقوا فوق قواعدهم وعلى لحم صدورهم شعارا يقول « لنفتح ثغرة في الحصار الشامل » وكان ثمة سباق مع الزمن . والطائرات المغيرة . والموت ٠٠ أبو عادل يقطع وادي الرقاد . يقترب من مواقع العدو . يقصف بمدفع الـ ٧٥ مم . ثـم يعـود ٠٠

قالت الاذاعة الاسرائيلية : « ان رجلا يضع حول عنقه كوفيه . هاجم احد المواقع . واتجه صوب الحدود السورية . ويعتقد انه احد المخربين » ٠

ضحكنا ٠٠ الرجل هو ابو عادل وكنا في انتظار عودته . دقائق قليلة لاحقته قذائف المدفعية . وخرجت طائرات اخذت تصنع خطوطا بيضاء متقاطعة في السماء بدوي مجنون . ضحكنا ايضا . رغم التوتر الناجم عن انتظار القصف . ما اعظم ان يتمكن رجل واحد .من اشغال سرب من الطائرات ٠

كان ذلك في خريف عام ١٩٧٢ . حيث اقام محمد علي قائد الوحدة الجنوبية قاعدة داخل الحدود . وحيث اصر المقاتل الذي فقد ساقه في احدى العمليات وركب ساقا اصطناعية . ان يشترك في دورية مقاتلة . ويعبر وادي الرقاد . وينفذ عملية ناجحة . وحيث ترك الشبل ربيع قاعدته ذات يوم قائلا :

ـ سأحمل سلاحي . واهيم في الارض . واطلق النار على الاعداء اينما وجدتهم ٠

ثم انه استشهد بعد ذلك بايام قليلة . خلال اشتراكه في احدى الدوريات . حدث ذلك في خريف عام ١٩٧٢ . حيث كانت الطائرات الاسرائيلية تخرج لتستطلع . ثم تخرج لتقصف . ثم تخرج ثالثة لتقصف سيارات الاسعاف التي تحاول ان تلملم اشلاء المقاتلين . والاذاعات في نشراتها الاخبارية لا تعلق على ما يحدث .. والقرويون عند بحيرة المزيريب يضربون كفا بكف . واطفال المدارس يسألون مدرسيهم :

ـ كيف تقصف الطائرات الاسرائيلية مواقع الفدائيين ولا تقصف مرابض الجنود .

ـ لانها دقيقة .

ـ ومتى ترد مدافعنا ؟

ـ عندما يتحقق التضامن العربي .

ـ ومتى يتحقق التضامن العربي ؟

ـ عندما تتوقف المؤامرة .

ـ ومتى تتوقف المؤامرة ؟

ـ عندما يتوقف القتال .

واذكر في ذلك الخريف . ان الطائرات الاسرائيلية قصفت مواقعنا في قرية طفس . فاصيب عدد كبير من تلاميذ المدارس . واذعنا في اذاعة العاصفة من درعا خبرا يقول :

ـ لم يصب احد من مقاتلينا .

ونجم عن ذلك احتجاج ضد الاذاعة . لان اذاعة الخبر على هذا النحو يشكل استفزازا . في ذلك الخريف كان عدم موت الفدائيين يشكل استفزازا للجميع .

---

## ـ ٥ ـ

---

ابو قاسم مواطن من قرية كفرشوبا . هرقلي الجسم . شديد الايمان . طيب الملامح . صادق الفاس والعمل والتعب منذ بداية عمره . يقول ابو قاسم :

ـ انا لما بانحني فوق المنكوش . واضرب الارض . أقول يا رب . أنا صادق معك . باشتغل بكل قوتي وعرقي . يا رب اعطيني على قد الصدق .

ابو قاسم له ابن اسمه تيسير . يوشك ان يبلغ العشرين من عمره . اصيب بمرض خطير . مرض في القلب على ما اعتقد . وقال الاطباء . اذا بلغ تيسير

العشرين من عمره . فمعنى ذلك انه سيعيش . ومنذ ذلك اليوم . صار للساعات والايام والشهور . طعمها الخاص عند ابو قاسم الذي تصادق مع الفأس والتعب منذ بداية عمره . واصبح الرهان يدور على سنة ١٩٧٦ . ان عبرها تيسير بسلامة . يكون قد تخطى جسر الموت .

في يوم ١٩٧٦/٥/١١ . استطاعت قذيفة اطلقها الانعزاليون . ان تصيب تيسير الذي حمل سلاحه وكان يقاتل في الجبل . وان تحسم الرهان لصالح الموت . جاهد ابو قاسم بكل قواه حتى لا ينفجر باكيا . قال وكأنه يخاطب الله وجها لوجه :

ـ يا رب .. انا صادق معك ـ دايما اعطي كل قوتي وعرقي .. واليوم اعطيت ابني .. يا رب .. اعطيني على قد الصدق .

ابو قاسم مع عائلته . ليس الا نموذجا للقرويين من العرقوب الذين بدأوا يتدفقون على مرجعيون في السنوات الاخيرة . قرويون من كفرشوبا . وكفر حمام . والهبارية . وشبعا . يعملون باعة خضار وسجائر وماسحي احذية . وعمال بناء . وخدم في المقاهي . وجنود في الجيش . ولكن مدينة مرجعيون ظلت ترفضهم . تطحن جلدهم طيلة اليوم . ثم في المساء تقذف بهم خارجا .. في حي التعمير على الطرف الغربي . او في حي العريض على الطرف الشرقي او في الاقبية الشبيهة بالحظائر والاسطبلات هنا وهناك . وفي عام ١٩٧٤ قدم مشروع لهدم حي التعمير حيث يتكوم الحيادرة والعرقوبيون . لاقامة حديقة وقاعة احتفالات على انقاض البيوت المكتظة بالاطفال . وكان ذلك على وشك ان يحدث لولا ان حدث الطوفان . ذلك انه في السابعة والنصف من مساء يوم ١٩٧٥/١/١١ . بدأت معارك كفرشوبا .. او تلك الحرب الصغيرة التي اسمها حرب العرقوب . استمرت المعركة سبعة ايام . الاف القذائف المدفعية وقذائف الدبابات انهالت على القرية .. استشهد صبحي الذي كان بطلا . واحمد عبد الكريم الذي كان يستعد للزفاف . ومحمد عبد الرزاق الذي قاتل الاسرائيليين على بعد أمتار .. وفتحي البنا الذي كان يفتح طريق الالغام امام القرويين . ودمرت كل بيوت القرية.. واعتصم الاهالي في مدرسة مرجعيون ثم تغلغلوا بعد ذلك كالريح القوية في جوفها . وكشف الاسرائيليون في تلك المعركة عن عجز فاضح . حتى اننا وجدنا مع قتلاهم قطعا من الاوراق والعلب الفارغة اخذوها من مزبلة القرية ليؤكدوا لقيادتهم انهم وصلوا اليها . كان عنوان هذا العام كما اعلنه ابو عمار في ندائه للمقاتلين . عام التصعيد والتلاحم الثوري . وكان شعارنا في كفرشوبا : « صامدون في العرقوب ولن نتراجع » . وكان ابو فراس قائد السرية قد قاد معركة المواجهة في كفرشوبا ببسالة نادرة . وعندما وصل النازحون الى مرجعيون . حاولوا ان يقايضوهم .

ـ استنكروا وجود الفدائيين .

ـ ولكنهم ماتوا دفاعا عن قريتنـا ·

وهكذا قام الجنود باطلاق النار على مظاهرة اهل كفرشوبا ، اصابوا احـد عشر منهم بجراح ، ولكن مرجعيون اعترفت اخيرا بحزب الفقراء العرقوبيين ، واعترفت ايضا ان هؤلاء اصبح لهم الان في حياتها الدور الاول ·

هذه العزة التي حدثت في العرقوب لم تحدث للمرة الاولى ، بل انها تكررت خلال المئة عام الاخيرة ·

في احداث ١٨٦٠ ، ١٩٢٠ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٩ ، وها هي تتكرر الان ، وخلال ذلك كله كانت رقعة الشعب في العرقوب تتقلص او تتمدد ، تغير الشرائـح الاجتماعية مواقعها ، وتغير المدن والقرى لافتاتها ·· ومرجعيون ظلت طوال الوقت مغلقة ·· وهي الان مفتوحة ·· وملايين التفاصيل الاخرى تغيرت باتجاهات مختلفة ، لكن آخر صبغة ثبتت في العرقوب انـه ارض الفـدائيين والفقراء ، صار التفريق مستحيلا حتى ان اذاعة اسرائيل قالت في تعليق لها على ما حدث خلال معارك كفرشوبا ان امرأة خدعت الجنود الاسرائيليين حين اوهمتهم انها سلمت لهم هي وبقية النساء ، ولم يكن هذا سوى فخ حيث جـاء « المخربون » فأطلقوا النار على الجنود ، واكثر من ذلك فان اصحاب البنايات رفضوا تأجير الشقق لاهل كفرشوبا والعرقوب خوفا على بيوتهم من القصف ، وخوفا على حياتهم من القلاقل وقال هؤلاء :

ـ حيث يوجد ابن العرقوب ، يوجد الفدائي · وتحت مظلة القصف اليومي ، والتشريد والموت ، والتوقيف على حواجز الجيش ، والتحقيق في أقبية المكتب الثاني ، والخطف عنوة من قبل الدوريات الاسرائيلية كان السؤال يلف العرقوب من قاع الحاصباني الى قمة جبل الشيخ :

ـ ما هو الحـل ؟

ـ ما هو طريـق الخـلاص ؟

ـ السلطـة تقـول :

ـ استنكروا وجود الفدائيين ·

ـ والاسرائيليون يقولون :

ـ اطردوا المخربين من ارضكم ·

ورد العرقوبيون في كل المناسبات :

ـ نحن جزء من هذه الارض التي يدور عليها الصراع ، خلاصنا يكون مـع خلاص فلسطين ، دعونا ناخذ الهوية الفلسطينية ، دعونا نحمل البندقية ·

- ٦

لا أحد يذكر متى جاء ابو علي الحيدري الى مدينة مرجعيون ، ولا كم كان عمره حين جاء ، كل ما يعرفه الناس ان شابا اسمر البشرة ، متوهج العينين قوي الجسم ، جاء الى مدينتهم وانخرط على الفور غي صفوف عمال البناء وسفلتة الشوارع ، ترتفع الجدران والدور والقصور وتتوالى السنوات ، وابو علي الحيدري يضع مع كل لبنة جزءا من عمره وشبابه ٠

وفي آخر النهار يأكل طعاما رخيصا ، او يشرب كأسين من العرق الرديء في مقهى على طرف الساحة ، ثم ينام تحت سقف البناء الذي يعمل فيه ولم يكتمل ، وذات يوم فقد ساقه عندما هرستها مدحلة ضخمة من النوع الذي يستخدم في سفلتة الطرق ، لم يكن نظام العمل يسمح بأي تعويض ٠

وثبت من خلال التحقيق المبدئي انه هو المخطيء وهكذا فقد مكانه بين عمال البناء وساعده رفاقه بأن دفعوا له من اجورهم الرخيصة ثمن ساق خشبية تصطدم بالارض حيث يمشي ، فيتضخم الصوت في وجدانه ، فيمتليء بالغيظ احيانا ٠٠ وبالبكاء احيانا كثيرة ٠

وحمل ابو علي صندوقا وجلس في ساحة مرجعيون ، وصار ماسح احذية ٠ وحين تكاثر الفقراء مثل الطحالب في بحر مرجعيون ، تكاثرت البنادق ايضا ، وحصل هو على بندقية ، وكان يداعب الفدائيين علنا عند مرورهم بساحة المدينة ، نهره جنود الجيش عدة مرات ، بل ان ضابط الاستخبارات في المنطقة ، دعاه لشرب فنجان من القهوة في مكتبه ، ورفض ، وكان ابو علي يعرف ان الذين سلبوا منه ساقه واستبدلوها بساق خشبية ، يتراجعون الان ، يختبئون مثلما تختبيء الصراصير في الشقوق الضيقة المظلمة ، وكان هذا يسعده كثيرا لكن العرقوب صار محاصرا ٠

من الجنوب والشرق ، ومن الشمال والغرب ٠

صار العرقوب محاصرا ، لم يبق سوى فتحة صغيرة هي عرض الشارع الرئيسي الذي يمر بين مرجعيون والقليعة ، وهناك في مرجعيون من يحبسون انفاسهم انتظارا ، وكان توسع القتال في الماضي ، وتوقع الهجوم الشامل على بيروت وصيدا في الفترة الاخيرة قد استنفد كل المقاتلين ، فصار وجودهم في العرقوب محدودا ٠

في يوم ٢٠/١٠/١٩٧٦ دخلت الدبابات الاسرائيلية مع الانعزاليين مدينة مرجعيون ، كان آخر من قاتل فيها ، ابو عرب الذي فقد ذراعه ، وحسين الاسمر الذي اصيب بقذيفة مباشرة فاستشهد على الطريق ، واصبح ابو علي الحيدري وحيدا ، استفردوا به وقتلوه ، واغلقت الطريق ، وأصبح العرقوب من جديد ،

نقطة وسط دائرة من الحصار الشامل ٠

الاسرائيليون والانعزاليون ، احرقوا حي التعمير حيث يسكن الحيادرة ، وفتشوا بيوت العرقوبيين بيتا بيتا ثم اضرموا فيها النيران ٠

والفدائيون عادوا من جديد يتسربون عبر الجبال والاودية ، يحملون السلاح والذخائر والبطاطين على ظهورهم ، وكفرشوبا تمتليء بيوتها المهشمة بالحياة من جديد ، وكل قرى العرقوب تشهد الان عودة جديدة اليها كأنه الانبعاث ثانية ٠

ها هي النبوءة تتحقق ، بان العرقوبيين الذين تم تجاهلهم طيلة السنوات ، قد اشعلوا النار الكبيرة في كل اتجاه وعادوا ، تتحدث نشرات الاخبار عن اقتراب الحل ، عن بداية الهدوء ، عن استعداد لبنان كله للنوم ، بعد استيقاظ متوتر دام قرابة عامين ، انطلقت الصيحة الاولى من العرقوب في شتاء ١٩٦٨ ، واندلعت الشرارة الاولى من العرقوب في معارك كفرشوبا في مطلع ١٩٧٥ ، ويقال أن لبنان يستعد للنوم ، وان الاشتباك يوشك ان يتوقف ، لكن في العرقوب ، المدافع الاسرائيلية سجلت اهدافا جديدة ، والطائرات الاسرائيلية ترسم خطوطا بيضاء في السماء كل يوم ، والدوريات الاسرائيلية تتحرك فوق التلال وعلى مشارف القرى ترسل التهديدات تارة ، وترسل الوعود تارة اخرى ٠

في العرقوب ، عاد الناس بسلاحهم ، وبتجربة قتال ، وبانتماء اقوى ، وعاد الفدائيون كذلك ، وفي العرقوب الاشتباك مستمر ٠

غـــازي الخليـــلي

# قراءة في الوضع السّياسي الرّاهن

ما هي اهم مؤشرات الوضع السياسي الراهن ، وما هي احتمالاته ، الان ، والى سنة ، او سنتين قادمتين ؟ مؤتمر جنيف اذا عقد ، هل سيدفع باحتمـالات انجاح مساعي التسوية وصولا الى التسوية الشاملة أو شبه الشاملة ، ام سيدفع باحتمالات حرب اخرى ؟ الدولة الفلسطينية المستقلة هـل أصبحت مشـــروعا ممكنا ، ام لا تزال في اطار الاحتمالات ؟

تلخص هذه الاسئلة كثيرا من الاسئلة الفرعية والتفصيلية التي تثار في هذه الفترة لدى معظم الاوساط العربية والدولية ، الرسمية والشعبية · وهي اسئلة اكبر من ان يتناولها مقال واحد · وسنحاول في هذا المقال الاجابة على بعض جوانب هذه الاسئلة ، باستقراء ما يجري من أحداث وتحركات ، وصولا الـى محاولة فهم ما يجري ، دون تشويش او ارباك ·

## وقائع ومعطيات

احدى أهم النتائج التي اسفرت عنها حرب تشرين ، انها دفعت بالصـــراع العربي ـ الاسرائيلي ـ لاول مرة في تاريخه ـ الى ارض التسوية · لقد تحطمت كل احتمالات الوصول الى تسوية لهذا الصراع قبل حرب تشريـــن ، لاسبـاب دولية ، وعربية واسرائيلية · ولكن بعد هذه الحرب ، حرب قطع اول خطـــوة في طريق التسوية ـ وهي طريق لا يملك احد التنبؤ منذ الان الى اين وكيـــف ستنتهي · كذلك فقد تم بعد هذه الحرب ، صياغات عربية لموضوعات التسويـة تختلف كليا عن اية صياغات سابقة · وهي صياغات لم تستقر بعد ، ولم تتحدد اشكالها النهائية ، ولن تتحدد هذه الاشكال الا على ارض الواقع ، اذا كان هناك

امكانية لان تخرج الى حيز الواقع ·

لقد اقتضى دفع الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى ارض التسوية ، حربا اوحت لبعض العرب ان انتصارا عربيا ما قد حدث في هذه الحرب · واقتضى قطع خطوة صغيرة من التسوية ، جهود سنتين من الدبلوماسية العلنية والسرية مكللة ومجللة « بانتصارات » حرب تشرين · وانقضى عامان آخران حتى الان بحثا عن منافذ جديدة للتسوية ، واخراجا لها من اخر محطة توصلت اليها · وعلى هذا ، فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : كم من السنوات ستمضي ايضا قبل الوصول الى تسوية شاملة او شبه شاملة ، اذا تابعنا المسير على خطى « استراتيجية السلام العربية » ؟

لن نركض الى الاجابة السهلة ، سنترك معطيات الواقع تعطينا الاجابة ، وتحدد لنا الاحتمالات ·

## معطيات الوضع الدولي

ثمة وقائع برزت مؤخرا في الوضع الدولي ، تؤثر ـ بشكل او بآخر ـ على مجريات الصراع العربي ـ الاسرائيلي · وابرز هذه المعطيات هي :

١ ـ ثمة ادراك متزايد في الاوساط الدولية المختلفة ، بضرورة الوصول الى تسوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي · فان لم يكن بالامكان الوصول الى تسوية شاملة ، فعلى الاقل الوصول الى تسوية لبعض جوانب هذا الصراع ، تهدئه ، وتحول دون اندلاع حرب جديدة · حيث أن حربا جديدة ، قد لا تبقى محدودة ، وقد تخرج عن امكان السيطرة عليها ، وتتطور الى حرب عالمية مدمرة · ويعيد بعض هذه الاوساط الدولية الى الاذهان استنفار الولايات المتحدة لقواتها النووية في الايام الاخيرة لحرب تشرين لمواجهة اية احتمالات ممكنة لتطور هذه الحرب خارج نطاقها المحلي ·

٢ ) ثمة شعور متزايد في الاوساط الدولية ايضا ، ان صيغة قرار مجلس الامن ٢٤٢ ورديفه ٣٣٨ لم تعد كافية للتعامل مع كل جوانب هذا الصراع · والشعور يتبلور بشكل أوضح من أي فترة مضت ، بضرورة الوصول الى صيغة جديدة تأخذ المتغيرات الجديدة التي ولدها النهوض الوطني الفلسطيني بعد حرب حزيران · وهناك تفاوت ، وتناقض ، في رؤية الاطراف الدولية المختلفة ، ولا سيما المؤثرة في مجريات الصراع ، لهذه الصيغة ومضمونها ، واقصى ما تم الاتفاق عليه ، حتى الان وبشكل معلن ، هو ما ورد في البيان السوفياتي ـ الاميركي الاخير عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وضرورة اشراك ممثليه في جهود التسوية ، دون تحديد لمضمون هذه الحقوق او لمن هم ممثلو الشعب الفلسطيني ·

ولا شك ان صياغة عامة كهذه ، وان حملت تطورا ما ، الا انهـــا قابلـــة لتفسيرات عدة لدى التنفيذ ، على ضوء موازين القوى بين اطراف الصـــراع المشتركة في التسوية ٠

٣ ) ثمة مصالح متعددة في وطننا العربي ـ امـــن استراتيجي ، طـــرق مواصلات ، نفط ومواد خام ، اسواق تجارية ـ تتجاذبها أطراف دولية عديدة ، وبشكل خاص الاطراف الدولية المؤثرة في العالم ٠ وبحكم هذه المصالح ، فـان عالمنا العربي لا يعيش بمعزل عن صراع هذه القوى او الاطراف الدولية ، بـل سيظل يحمل امكانات التأثر والتأثير في صراعات هذه الاطراف ٠ وبالتالـــي فان نوع وطبيعة تحالفاتنا الخارجية ـ كدول عربية ـ ستؤثر سلبا أو ايجابـــا على مجرى ، صراعنا مع العدو الصهيوني ، وعلى احتمالات الوصول الـــى تسوية معه ٠

## اميركا والرهان على التسوية

اذا استثنينا الاتحاد السوفياتي ومنظومة الدول الاشتراكية ، كدول صديقة تؤيد وتدعم نضالاتنا وقضايانا الوطنية ، فان الولايات المتحدة تبـرز كأكثـــر الاطراف الدولية تأثيرا في مجريات الصراع العربي ـ الاسرائيلي ٠

وفي هذه الفترة ، تتحرك الولايات المتحدة باعتبارها الطرف صاحب القرار الاول في التحكم في مجريات الصراع والتسوية ٠ وعلى الرغم مـــن البيـــان السوفياتي ـ الاميركي الاخير ، والذي حدد درجة وحدود التفاهم الاميركـــي ـ السوفياتي حول موضوعات التسوية ، الى الان ، فان الولايات المتحدة لا تـزال تبدو وتتصرف ، باعتبارها قائدة عربة التسوية والمتحكمة في اتجاهاتهـــا ٠ وطبيعي انه لم يكن للولايات المتحدة ان تلبس « هذا الدور لولا التهافت » الـذي أبداه بعض العرب على الاميركيين ، وهو تهافت يجد تعبيره في قـــول بعض العرب « ان ٩٩٪ من أوراق اللعبة بيد الاميركان » ٠

لقد راجت قبيل وبعد حرب تشرين أوهام احداث تغيير في الموقف الاميركـــي ازاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ٠ وقد روج لهذه الاوهام ، بعد حـــرب تشرين ، بعض العرب الذين اندفعوا الى اميركا بقوة ، واضعين كل بيضهم فـــي سلتها لانجاح مساعي التسوية ٠ واخذ هذا البعض من العرب يروج لمفاهيـــم جديدة في العلاقات والتحالفات الدولية ، تبريرا وتفسيرا لتوجهاتهم الجديدة ٠ واخذت اوساط عربية ـ في الحكم وخارجه ـ تروج لصورة أميركا الجديدة ! ودعت لاسقاط صورة اميركا ، الدولة الامبريالية ، عدوة العرب ، واستبدالها بصورة اميركا ، الصديقة ، واحيانا الحليفة ٠ وكانت حجة هذه الاوساط ، أن المواجهة مع اميركا كدولة امبريالية لا تجدي ، في حين ان الاقتـــراب مـــن اميركا ، صاحبة المصالح في المنطقة العربية ، هو الذي يجدي اذا اعطيناهـــا

الضمانات الكافية في الحفاظ على مصالحها !

وهكذا اقتربت البوصلة العربية من أميركا ، وهكذا نما الرهان على الدور الاميركي ·

ولكن هل حقا ان اعطاء الضمانات بالحفاظ على المصالح الاميركية يغير الموقف الاميركي ؟

قبل الاجابة على سؤال كهذا لا بد من التأكيد اولا . ان نهج الحفاظ على المصالح والتحالف بدل المواجهة والعداء ، تعبر عن مصالح الطبقات السائدة ، التي تسيطر على مقاليد الحكم في اكثر من بلد عربي · وهي مصالح لا يمكن ان تنمو الا في استمرار التبعية للامبريالية · ولذا فان الحفاظ على المصالح والتحالف ، هو ، حفاظ وتحالف ، لصالح هذه الطبقات واستمرارها قابضة على مقاليد السلطة ·

ونحن لا ننكر على هذه السلطات نهجها هذا . لانه من طبيعتها . ولكن ما ننكره عليها ادعاءها ان نهجها هذا يجعل الموقف الاميركي من الصراع العربي ـ الاسرائيلي . اكثر اقترابا للحق العربي منه للاغتصاب الصهيوني · فلنبرهن على ذلك باستخدام النهج نفسه ، اي نهج التحالف بدل المواجهة . على الرغم مما في ذلك من خطأ نحن نقره ـ مبدئيا ·

## اسرائيل والمصالح الاميركية

تتركز مصالح الولايات المتحدة في المنطقة العربية. في ان هذه المنطقة تشكل جانبا مهما من امنها الاستراتيجي ، وقد ازدادت اهمية المنطقة الامنية مع ازدياد اعتماد الولايات المتحدة على النفط المستورد منها . وبشكل خاص من السعودية· ولهذا فان الامن الاستراتيجي للولايات المتحدة لم يعد مرتبطا فقط بالمحافظة على اوضاع مؤاتية وموالية لها في بلدان النفط ، بل وفي السيطرة على طريق امدادات النفط من منابعه الى الولايات المتحدة والبلدان الرأسمالية · ولهذا ارتبطت احداث جنوب افريقيا والقرن الافريقي بالامن الاستراتيجي للولايات المتحدة ، وهو ارتباط سيكون له انعكاسات واضحة وبعيدة المدى على الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، واحتمالات تطور هذا الصراع مستقبلا ، تسوية ام حربا ·

الى هنا ، قد نجد من يقول ، طالما الامر كذلك ، فاننا باعطاء الولايات المتحدة ضمانات لمصالحها وحاجتها من النفط ، فانها ستعيد النظر كليا في موقفها من اسرائيل ! ولكن ، هل هذا ممكن ؟ هذا ممكن ـ نظريا ـ اذا كانت اسرائيل مجرد دولة تابعة ، مجرد مركز جغرافي ، لا يهم من يسيطر عليه طالما كان مواليا للولايات المتحدة · فهل هذه حقيقة اسرائيل ؟ وهل هذا هو الدور

المنوط باسرائيل فقط ؟

ان اسرائيل لا تدخل في استراتيجية الامن الاميركية باعتبارها مركزا جغرافيا ، بل باعتبارها ، حلقة ، وحلقة هامة جدا ، في شبكة العلاقات الامبريالية على الصعيد العالمي · والتزام اميركا بالدفاع عن اسرائيل وعن امنها ، ليس التزاما اخلاقيا ، او التزاما لاكتساب بعض اصوات الناخبين ، انه اكبر من ذلك بكثير ، انه التزام بالمصالح الاميركية المباشرة : فاللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة لا يرتبط باسرائيل « الوطن » بل يرتبط باسرائيل المصالح الاقتصادية والاستراتيجية ·

لماذا ؟

لان هناك قانونين مختلفين يحكمان تطور الاوضاع ـ مستقبلا ـ في كل من اسرائيل والبلدان العربية · فاسرائيل محكومة بقانون المزيد من الارتباط مع الامبريالية الاميركية ، وبمزيد من الذوبان في شبكة العلاقات الامبريالية على الصعيد العالمي ، على الرغم مما يبدو من تضارب في الآراء بين الدولتين حول هذه المسألة او تلك · وهو تضارب ينبع من سعي اسرائيل لتوسيع دورها وتكبيره ، او على الاقل المحافظة عليه كما كان سابقا ، كحلقة في شبكة العلاقات الامبريالية ، ومن سعي الولايات المتحدة الى لجم هذا الطموح واستيعابه ضمن الحركة العامة للاستراتيجية الاميركية ، اي منعه من الانفلات والخروج من دائرة السيطرة المباشرة ·

اما القانون الذي يحكم تطور الاوضاع في البلدان العربية ، فهو قانون الانفلات من الهيمنة الامبريالية ، والصراع معها ، على الرغم مما يبدو الان من محاولة اميركا احكام سيطرتها على هذه البلدان ، ولا تملك الولايات المتحدة ولا الطبقات الحليفة لها ، ايقاف مفعول هذا القانون ، قد تملك امكانية وضع العراقيل ، امكانية تأجيل بعض الانفجارات الاجتماعية ، ولكنها لا تملك امكانية منع هذا القانون من التعبير عن نفسه وعن فعله ، والى مداه النهائي ·

باستيعاب هذين القانونين ، تحاول الدبلوماسية الاميركية ان تلتقط اللحظة الراهنة ، اللحظة الراهنة بالمفهوم التاريخي والتي قد تمتد سنوات ، تطول او تقصر · فهي لن تضحي باسرائيل كرصيد استراتيجي لها ، ولن تتلكأ في استيعاب التطورات الاخيرة في البلدان العربية ، فشجعت ودعمت هذه التطورات وتقدمت للدخول الى ازمة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، فارضة شروطها ، او لنقل طارحة شروطها ـ على الاقل ·

١ ـ اميركا هي صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في أي حل ·

ب ـ لا تخل اطلاقا عن دعم اسرائيل ٠

جـ ـ دعم العلاقات الاميركية ـ العربية ، بخطوات داخلية « اجتماعية واقتصادية » وخارجية « تحالفات » ، تصلب هذه العلاقات ، وتسد اية ثغرات فيها ٠

د ـ ضمان مصالح وامن الولايات المتحدة في المنطقة العربية ٠

## كارتر والتسوية في مرحلتها الجديدة

لقد كانت سياسة « الخطوات الصغيرة » التي هندسها كيسنجر ابرز تعبير عن هذه السياسة الاميركية ، فهي لا تورط الدبلوماسية الاميركية في تصادمات كبيرة في الرأي مع اطراف الصراع المحليين ، كما تولد انطباعا ان قطار التسوية يسير ولو ببطء ، وان هناك « شيئا ما » باعه الاميركيون للعرب ٠

لكن سياسة « الخطوات الصغيرة » استنفدت اغراضها ★ مع اقتراب التسوية من مسائل الصراع الاساسية : المسألة الفلسطينية ، الحدود ، طبيعة التسوية ٠ ولقد كان بريجزنسكي مهندس السياسة الاميركية للتسوية في مرحلتها الجديدة : مفهوم عام للتسوية يحدد اطرا عامة لمعالجة المسائل الاساسية وينفذ على مراحل ٠ وخلال التنفيذ او التفاوض الذي سيستمر سنوات ، تجري معالجة التفاصيل ، والتفاصيل هنا ، قد تعني ما هو بدرجة المسائل الاساسية من الاهمية ٠

الانتقال الاميركي بالتسوية من الخطوات الصغيرة الى المفهوم الشامل لها ، فرض على الولايات المتحدة ان تحدد مواقف او ترسم تصورات على الاقل للمسائل الاساسية الثلاث ، وفي هذا الاطار جاءت تصريحات كارتر عن الحدود : الحدود المفتوحة والدفاعية ، وعن طبيعة التسوية : علاقات طبيعية ـ اقتصادية وثقافية ودبلوماسية ٠ وعن المسألة الفلسطينية : وطن فلسطيني ـ دون تحديد لهذا الوطن ٠

وكانت المرحلة التالية للدبلوماسية الاميركية بعد هذه التحديدات العامة هي البحث في الخطوات الاجرائية ، مؤتمر جنيف او اطار اخر ٠ مؤتمر جنيف يصطدم بعقبة اساسية ، وهي التمثيل الفلسطيني ٠ فمن يمثل الفلسطينيين ٠ منظمة التحرير الفلسطينية مرفوضة ، الاردن لا يملك حق التمثيل وان ادعاه ، وحضوره ممثلا عن الشعب الفلسطيني قد يعقد المسألة بدل ان يحلها ٠ اطراف فلسطينية اخرى غير موجودة ، وان وجدت فانها مرفوضة من الشعب الفلسطيني ٠

حاول فانس في رحلته الاخيرة ، ان يلتف على عقدة التمثيل الفلسطيني ،

★ انظر : المسألة الفلسطينية بين احتمالات التسوية والحرب، شؤون فلسطينية العدد ٦١

**واقترح مؤيدا من بعض الاطراف العربية ، اطارا اخر : مجموعة عمل عربية ـ اسرائيلية برعاية الولايات المتحدة تلتقي في نيويورك · وسقط اقتــراح فانس ، وعادت الامور من جديد الى مؤتمر جنيف ·**

ومنذ اكثر من شهر والدبلوماسية الاميركية ناشطة لتذليل العقبات الاجرائية لعقد المؤتمر · ولا يبرز من العقبات الا عقبة التمثيل الفلسطيني · اسرائيــل واضحة وصريحة : لا لمنظمة التحرير الفلسطينية ، لا لدولة فلسطينية ولــو ارتبطت بعلاقات فدرالية مع الاردن · فقط فلسطينيون من الضفة الغربية ضمن الوفد الاردني ·

الوفد العربي الموحد ، الذي لاقى قبولا من كل الاطراف العربية على الرغــم من معارضة البعض في البداية ، والذي وافقت عليه اسرائيل بشروطها ، لــم يذلل العقبة . وبقيت المسألة معلقة : منظمة التحرير الفلسطينية ، ام اطــار اخر ، الدول العربية تبدو مستعدة للتنازل عن هذه المسألة . وتجري محــاولات « لتبليغ » المنظمة قبول حضور اشخاص واخرين ترضى عنهم وغير بارزيــن كأعضاء في المنظمة . نيابة عنها · مدعية ان هذه خطوة اجرائية . ولن ينتــج عن القبول بها اي مساس بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ·

هذه صورة الموقف حتى الان · ومن ظاهر هذه الصورة نلمس ان قطــار التسوية يكاد ان يتابع سيره وان عقبة التمثيل الفلسطيني لن تقـــف عثــرة وسيجري التغلب عليها · ولكن هل هذه هي حقيقة الموقف ؟

## الدبلوماسية الاميركية وسياسة كسب الوقت

يبدو لنا ، ان الدبلوماسية الاميركية تنطلق في تحركها من نقطتين اثنتين :

(١) ان قطع خطوة اخرى كبيرة من التسوية ، امر تكتنفه صعوبات عديــدة . ومعطيات الوضع القائم حاليا وربما الى سنتين قادمتين ، لا تبشر بامكانيــة الوصول الى خطوة كهذه · وان اقصى ما تطمح اليه الدبلوماسية الاميركيــة خلال هذه الفترة هو كسب الوقت بابقاء التوجه نحو التسوية حيا وقويا ، وجعل اطراف الصراع المحليين مشدودين الى هذا التوجه بخيوط توجه اميركية ·

(٢) الممكن في هذه المرحلة هو قطع خطوة اجرائية ، كعقد مؤتمر جنيــف ، ينقذ الدبلوماسية الاميركية من مواجهة الحكم بفشلها ، ويعطي الدول العربيــة « شيئا ما » قد تحقق او انجز · اضافة الى ذلك فان اللجان المختلفة التــي ستنبثق عن المؤتمر في حال انعقاده ، ستغرق المشاركيــن باشكالات عديدة ، وبتفاصيل كثيرة ، تستنفد الكثير من الوقت والجهد ، وتبطىء التفكير بالبحــث عن خيارات اخرى ، خارج نطاق المساعي الدبلوماسية ، وبهذا اضافة الـــى

**اشكال اخرى من العمل ـ يمكن السيطرة على الوضع ، ومنعه من الانفجار ٠**

**ولعل هذا ما يفسر لنا التركيز الكبير الذي توليه الدبلوماسية الاميركية لعقد مؤتمر جنيف قبل نهاية العام الحالي كما أشار الى ذلك البيان السوفياتي ـ الاميركي الاخير ٠ وهو تركيز جعل من الدبلوماسية الاميركية تبدو وكأنها في «سوق عكاظ» عصري تغدق التصريحات المختلفة ، تبيع هذا الطرف تصريحا ما، تبيع ذاك الطرف نقيضه ٠ تتقدم خطوة لتتراجع خطوتين ٠ ثم تعود فتجمع ما القت . في « سلة مهملات» التسوية ، من تصريحات وبيانات ، وتقدم بضاعتها بشكل جديد ٠ والهدف هو الوصول الى جنيف ٠ اما ما يمكن ان يترتب من نتائج عن عقد هذا المؤتمر ٠ فهذا ليس مهما الان ٠ وقد عبر عن ذلك فانس مؤخرا عندما قال « انه سيكون من التهور التكهن بان معاهدات السلام ستوقع في السنة المقبلة » ٠**

وفي هذا السياق من الحركة الاميركية ، جاءت تصريحات المسؤولين الاميركيين الاخيرة حول المسألة الفلسطينية ٠ وهي تصريحات لا تشكل جديدا من حيث المضمون . فقد جاءت تعبيرا عن المحاولة الاميركية لحل اشكالات عقد مؤتمر جنيف ٠ ولذا فان الدبلوماسية الاميركية لم تدمج نفسها بشيء محدد ـ حتى الان ـ بصدد المسألة الفلسطينية ٠ مجرد تصريحات ومواقف عامة وغامضة جدا عن الوطن الفلسطيني والحقوق الشرعية لشعب فلسطين ٠ وهي مواقف يجري اختزالها في اضيق نطاق ممكن حتى لا تتعارض مع الاتجاهات العامة للتسوية ٠

## الموقف الاسرائيلي

ما هي اتجاهات الموقف الاسرائيلي وما هي مساراته بعد صعود الليكود الى السلطة ؟ هل ستحكم اسرائيل ـ بيغن بنفس الخيارات والاحتمالات التي حكمت اسرائيل ـ رابين ام لا ؟

على الرغم من اختلاف واقع اسرائيل بعد صعود الليكود الى السلطة على انقاض حزب العمل . فاننا نرى ان اي حكومة في اسرائيل لا تزال محكومة بمواجهة مأزق التسوية . وهو مأزق قد لا يفيد فيه كثيرا الهروب الى الامام ، بل لا بد في النهاية من مواجهة الحقائق او الوقائع المحيطة ٠ ويبدو لنا ان اسرائيل في ظل اي حكومة كانت . محكومة بعدة اعتبارات وهي تواجه مأزق التسوية . واهم هذه الاعتبارات هي :

١ ) الالحاح العربي على ضرورة الوصول الى تسوية . ان لم تكن شاملة ، فعلى الاقل قطع بعض الخطوات ٠ فالانظمة العربية المعنية مباشرة بالتسوية لا تستطيع الانتظار سنوات اخرى . دون ان تقدم شيئا لجماهيرها ٠ واذا ما

تعنتت اسرائيل ، فان تعنتها قد لا ينتج عنه الا المزيد من الاضطرابات والصعاب امام هذه الانظمة · وهي اضطرابات وصعاب قد تحمل تغييرات كبيرة فـي الواقع العربي ، ستؤثر سلبا على الوضع الاسرائيلي برمته ·

٢ ) الالحاح الاميركي حول بيع « شيء ما » للدول العربية مقابـل الانجراف العربي الكبير نحو أميركا · ولا تستطيع اميركا الارتهان بشكل كبير الى التعنت الاسرائيلي ، لان ذلك يفقد الدبلوماسية الاميركية بعض القدرة على الحركة ، ويجعلها تدور في حلقة مفرغة · وعلى الرغم من بعض التهديدات الاسرائيليـة في الوقوف امام اي ضغط اميركي ، فتقديرنا ان اسرائيل ، التي باتت تعتمـد أكثر فأكثر على الولايات المتحدة ستبدي مرونة اكبر في التعامل مع التحـرك الاميركي ، ولكنها مرونة ستجبر اسرائيل ان لا تكون خارج اطار التنـازلات الشكلية والتي لا تمس المواقف الاساسية لها · وهذا ما برز مؤخرا في محادثات دايان ـ كارتر الاخيرة ·

٣ ) مواجهة المسالة الفلسطينية ، فعلى الرغم من مواقف اسرائيل المعلنـة والواضحة ، والمحددة جدا من المسألة الفلسطينية : لا لمنظمة التحرير حتى لـو اعترفت بقرار ٢٤٢ وباسرائيل ، لا لدولة فلسطينية ولو ارتبطت فدراليا مـع الاردن · على الرغم من هذه المواقف المعلنة ، فان اسرائيل مضطرة أن تقـدم احوبة لمسألة باتت تعكس نفسها على المجتمع الاسرائيلي نفسه ، وحتـى الان يبدو ان اللاءات الاسرائيلية هي الجواب ، ولكن هذه اللاءات ليست اكثر مـن مهرب ، ولا تعتبر جوابا · وهي أشبه بلاءات الخرطوم العربية ـ مع الفارق ·

أمام هذه الاعتبارات ، كيف ستكون مسارات الموقف الاسرائيلي ؟

يبدو لنا ، ان حكومة بيغن لن تخرج عن اطار سياسة حكومة حـزب العمل السابقة ، وهي **المناورة لكسب الوقت** ، التنازل في الامور الشكلية والثانويـة ، والتصلب في المسائل الرئيسية · وهي في هذا تلتقي مع الموقف الاميركي فـي بعض جوانبه ، ولا تصطدم معه · ترضي بعض الالحاحات الاميركية ، دون ان تتنازل عن المسائل التي تعتبرها تمس « أمنها » واستراتيجيتها · وضمـن هذا الاطار فنحن لا نستبعد مرونة اسرائيلية في عقد مؤتمر جنيف دون ان تكـون ملزمة بالاعتراف ، ان وفدا عن منظمة التحرير الفلسطينية قد حضر المؤتمر · ستغض الطرف عن حضور ممثلين محسوبين على منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكنها ستكون حازمة وصارمة في رفض الحضور المحدد والواضـح لمنظمـة التحرير الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني · وهذا ما تم الاتفاق عليه مؤخرا بين كارتر ودايان ·

**ولكن الى متى ستظل اسرائيل تناور لكسب الوقت ؟**

**هنا لا نرى الامور من منظارها الاسرائيلي فقط ، بل ومن منظارها العربـي**

والدولي · فطالما ان الاوضاع العربية القائمة لا تشكل تهديدا مباشرا لاسرائيل، فانها لن تشعر بأي حرج او ضيق ، ولكن في الوقت الذي ستجد فيه ان هذه الاوضاع تتطور باتجاه اخر ، فانها ستكون ملزمة باتخاذ احد الخيارين التاليين :

(١) مرونة اكبر باتجاه التسوية لامتصاص التطورات المحتملة للاوضاع العربية ، وتنفيسها في خطوات جديدة نحو التسوية ، وهذا خيار نستبعده ، أو نراه ضعيفا جدا ·

(٢) اللجوء الى الحرب الوقائية ، بشن هجوم واسع لتحطيم قدرة القوات العربية قبل ان تستكمل قدرتها القتالية على شن الهجوم ، وذلك بهدف كسب الوقت · وهذا الخيار هو الاوضح والاقوى · ولكن ما يجعل احتمال لجوء اسرائيل الى خيار الحرب صعبا بعض الشيء ، هو ارتباط قرار الحرب الاسرائيلي بموافقة أميركية ، او بضوء اميركي اخضر على الاقل ·

ولكن الى اي مدى تلتزم حكومة بيغن بهذا الارتباط بين قوارها بالحرب والموقف الاميركي ؟ ثمة مؤشرات تؤكد لنا ان احتمالات انفلات اسرائيل بموقف لشن الحرب على دول عربية ، ممكنة وليست مستحيلة ، او مستبعدة كليا · وهو انفلات تجد اسرائيل من يدافع عنه داخل الادارة الاميركية نفسها ، كما تجد ايضا ، داخل الادارة الاميركية نفسها ، من يعطيها التقديرات للموقف الاميركي قبل وبعد شن الحرب ، دون ان يترتب على ذلك اي التزام اميركي رسمي بالموقف الاسرائيلي ·

## معطيات الوضع العربي

باستثناء بعض المواقف العربية الرافضة للتسوية ، او تلك البعيدة عن المشاركة في جهود التسوية ، فان الوضع العربي السائد ، هو وضع يضع رجليه في ركاب التسوية ومحاولات انجاحها · ونميز في هذا الوضع اربعة معطيات رئيسية :

١ ) الافتقار الى « استراتيجية نحو السلام » عربية موحدة · فعلى الرغم مما يبدو من وحدة او تقارب في الموقف العربي بصدد التسوية ، فان الملاحظ ان هذا الموقف لا يستند الى استراتيجية موحدة تصوغ موضوعات التسوية وشروطها ، ولذا فان الموقف العربي الموحد يظل رخوا ويفتقر الى التماسك · ولقد برز عدم التماسك هذا ، في الموقف من الوفد العربي الموحد · ففي حين ايدت اطراف عربية فكرة الوفد الموحد ، فان اطرافا اخرى رفضت الفكرة في البداية ، ولم تؤيدها او تقرها ، الا بعدما تاكدت ، ان الوفد الموحد لن يحد من

حرية حركتها ومناورتها الخاصة ٠

ولا شك ان الافتقار الى الموقف العربي الموحد ، لا يعود الى تناقضات وصراعات الحكومات العربية فقط ، بل وايضا ، الى شعور بعض الاطراف العربية انها تملك فرصا افضل من غيرها لقطع خطوة اخرى من التسوية ــ منفردة ــ اذا تعقدت مساعي التسوية ، او اذا تعقد الوصول الى خطوة مشابهة مع الاطراف الاخرى ٠

٢ ) الرهان على اميركا لانجاح مساعي التسوية ٠ « فعرب التسوية » القوا بكل اوراقهم في الجيب الاميركية ، ووضعوا كل ثقلهم في العربة الاميركية لانجاح مساعي التسوية ٠ ويبدو لنا ان ارتهان « عرب التسوية » بهذا الشكل الى أميركا ، جعل عليهم من الصعب البحث عن خيارات اخرى خلال فترة قصيرة ، او في المدى المنظور اذا تعقدت مساعي التسوية او تعثرت ٠ ذلك ان الرهان المطلق على أميركا ، ليس موقفا سياسيا فقط ، بل وجاء تعبيرا عن مجموعة من التغييرات داخل انظمةالحكم العربية ، شملت جميع برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وحتى الثقافية ٠ فالرهان على الاميركيين كان تعبيرا عن انقلاب كبير في بنية هذه الانظمة وفي مجمل علاقاتها وتحالفاتها الدولية ٠

٣ ) عدم الثبات على موقف واضح ومحدد ازاء المسألة الفلسطينية ٠ فعلى الرغم مما يعلن من هذه العاصمة العربية أو تلك عن الالتزام بقرارات الرباط حول المسألة الفلسطينية ــ مضمونا وشكلا ، فان محاولات جادة تجري للالتفاف على قرارات الرباط هذه واغتيالها ، ولا سيما عندما يبرز الالتزام بقرارات الرباط كعقدة او كعقبة امام تقدم مساعي التسوية ٠

وليس سرا اذا قلنا ان ضغوطا مورست من هذه العاصمة العربية او تلك على قيادة منظمة التحرير ، لتكون اكثر اعتدالا ! وتتنازل عن بعض مواقفها ، اذا ما شاءت ان يبقى بعض العرب على التزامهم بالمسألة الفلسطينية ! وتحاول بعض الدول العربية ممارسة « الخديعة السياسية » على منظمة التحرير الفلسطينية لكي تبدي بعض التنازلات ٠

٤ ) الالحاح على انجاح مساعي التسوية او قطع خطوة اخرى منها على الاقل ٠ ويعود هذ الالحاح الى شعور « عرب التسوية » ان الخيوط قد تفلت من أيديهم اذا لم تنجح مراهنتهم على التسوية ٠ فاكثر من دولة عربية لا تستطيع تحمل استمرار حالة اللاحرب واللاسلم فترة اخرى ٠ ويبدو لنا ان هذا الالحاح العربي كان محل ابتزاز اميركي واسرائيلي ، ويبرز هذا الابتزاز اكثر ما يبرز علاقات طبيعية بين الدول العربية واسرائيل ، اي علاقات كاملة سياسية في اصرار اسرائيل ــ تؤيدها اميركا ــ على ضرورة ان ترتبط التسوية باقامة

واقتصادية وثقافية ، كما هي بين اي دولتين متجاورتين وصديقتين ·

تؤكد لنا هذه المعطيات ان الوضع العربي بسياساته السائدة ، لا يملك القدرة على الصمود امام الابتزاز الاسرائيلي والاميركي ، فالنهج السائد لا يعطي لاي طرف عربي اوراقا للمساومة ، او قدرة على الضغط ، ولذا فاننا نرى ان السير قدما باتجاه التسوية ، في شروطها الراهنه ، يحمل تراجعا عربيا للقبول بالشروط الاسرائيلية والاميركية ، ليس حول طبيعة التسوية فقط ـ العلاقات الطبيعية والمفتوحة ـ بل وحول الحدود والمسالة الفلسطينية · وحول اجراءات التسوية نفسها · والموافقة على ورقة العمل الاميركية ـ الاسرائيلية ليست الا بداية ·

## الموقف الفلسطيني : الصلابة والتفاعل

على ضوء كل هذه المعطيات الدولية والعربية والاسرائيلية ، كيف نرى مسارات الموقف الفلسطيني ، واقعا واحتمالات · هل نخشى ان تضيع البوصلة الفلسطينية اتجاهها ، بين هذا الجسر من مرونة الاعتدال ، وهذا الجسر من الصلابة المرنة ، بين محاولات الانسجام مع ما يجري او التفاعل معه ، بين المناورة بالموقف والمناورة على الموقف ؟

تساؤلات كهذه ، وكثير غيرها ، تثار الان بكثرة ، وبطريقة لا تخلو من الحذر في التعامل مع ما يجري من احداث . وما يطرح من حلول · فلاول مرة تدخل المسألة الفلسطينية باب احتمالات التسوية بهذا الالحاح ، ولاول مرة تأخذ المسألة الفلسطينية هذه الاهمية وهذا الجهد في دبلوماسية مساعي التسوية ·

لقد بات من المؤكد انه اذا اريد انجاح مساعي التسوية ـ كأجراءات وكمضمون ـ فلا بد من استيعاب المسألة الفلسطينية ضمن ما يطرح من حلول وما يرتب من اجراءات · والتعارضات لا تزال كبيرة بين اطراف الصراع المختلفة حول هذه المسألة والحلول الممكنة لها · وحتى الان ، ورغم ما صدر من بيانات وما طرح من تصورات لحلول ممكنة ، يمكن القول بكل ثقة ، ان المسألة الفلسطينية ضمن اشتراطات الموقف الوطني الفلسطيني . لا تزال عاملا غير قابل للذوبان في معادلة التسوية · فالموقف الوطني الفلسطيني حدد بكل وضوح الحد الادنى الممكن القبول به في هذه المرحلة : منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني بما فيه حقه في اقامة دولته الوطنية المستقلة على ارضه ، حق العودة ، عدم الاعتراف باسرائيل ·

هذه هي حدود الموقف الوطني الفلسطيني ، كما جرى الاجماع عليها

فلسطينيا ، وكما جرى تأكيدها عبر اوسع تأييد دولي ، عبر عن نفسه في قرار ٢٢٣٦ الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة ٠

وهذه الحدود ، مقدسة ، لا يمكن لاي جهة الالتفاف عليها او اختراقها ، وهي تمثل الحد الادنى الممكن ٠ واذا ما جرى اختراقها او الالتفاف عليها ، سواء بداعي المناورة ، او بدواعي مواجهة ما يعترضنا من ضغوطات ، فان الموقف الفلسطيني ، سيفقد تماسكه ، وتبدا مسيرة العد العكسي في اغتيال انجازات نضالات السنوات السابقة ٠

**انسجام ام تفاعل**

ثمة اوهام تسود بعض الاوساط حول ضرورة الانسجام مع ما يجري من احداث وتحركات ، حتى لا يجد الموقف الفلسطيني نفسه خارج « اللعبة » او خارج التاثير بها ، وتعديل مساراتها ٠ والانسجام هنا ، لا يعني الا مزيدا من التوريط للموقف الفلسطيني ، ليجد نفسه في النهاية محاصرا بسلسلة من التنازلات المبدئية ، فيفقد قدرته ليس على المساومة فقط ، بل وعلى الحركة وعلى الفعل في مجريات الاحداث ٠ ان المناورة السياسية ممكنة ، بل ومطلوبة للتفاعل مع ما يجري ، ولكن المناورة بالمواقف المبدئية ، المناورة بمواقف الحد الادنى الممكن ، تخرج عن كونها مناورة ، وتصبح تنازلا ، تصبح انزلاقا نحو مواقف جديدة ، مغايرة كليا لمواقف الانطلاق ٠

وعلى هذا ، فان الذين يتحدثون او يتحركون بلغة « حتى لا يفوتنا القطار » اما انهم واهمون ، واما انهم متورطون ومتواطئون ٠ وفي كلا الحالتين يغتالون الموقف الوطني الفلسطيني عن وعي او عن غير وعي ٠

ان الوضع السائد وان اتسم بشيء من التعقيد والارباك ، الا انه ليس سيئا الى هذه الدرجة التي تفرض علينا التسرع دون تبصر ، ودون رؤية المستقبل ، دون رؤية الحاضر بعيون المستقبل ، وعيون الآتي من الايام ٠ فهناك عوامل قوة ، تشد الموقف الوطني الفلسطيني ، منها ان هذا الموقف لا يقف على ارض رخوة ، بل على ارض صلبة مدعومة بنضالات ما يزيد عن عشر سنوات ، وهي نضالات فرضت على كل الاطراف التعامل مع المسألة الفلسطينية كقضية وطنية ، وكقضية شعب لا بد له وطن ولا بد له من دولة ، ومنها هذا الاجماع الوطني الفلسطيني على الالتزام بحدود واشتراطات الحد الادنى الوطني في هذه المرحلة ٠ وليس ادل على ذلك من اجماع جماهير الاراضي المحتلة ووقوفهم بصلابة وحزم ضد كل الاصوات التي تحاول الانتقاص من وحدانية وشرعية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني في جميع اماكن تواجده ٠ ومنها ايضا ، تأييد اوسع القوى الدولية لنا في موقفنا هذا ، وايضا

منها . وقوف القوى الوطنية والديموقراطية العربية معنا . وهي قوى وان لم تبرز الى حيز الفعل حتى الان ، الا انها قوى موجودة ، ويمكن تلمس بدايات حركتها على مسرح الاحداث في المنطقة العربية ·

وطبيعي ان تحاول اطراف الصراع الاخرى تطويق ومحاصرة عوامل القوة هذه . او الالتفاف عليها · فالموقف العربي الرسمي لا يتسم بالثبات ، ويحاول بشيء من الذبذبة ، وبشيء من المواربة والخداع ، ان يسهل شروط انعقاد التسوية . بتوجيه كل السهام نحو الموقف الوطني الفلسطيني ، ليتم تآكله خلال فترة زمنية قصيرة · اي حل ازمة الانظمة العربية مع العدو الصهيوني على حساب المسالة الفلسطينية وعلى حساب الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ·

أما الدبلوماسية الاميركية . فانها حين فشلت في استبعاد المسألة الفلسطينية كقضية وطنية في مجال حركتها . تحاول اغتيال الموقف الوطني الفلسطيني . بشيء من المواربة . وبالقاء « بعض العظم » في الطريق · فاعترفت بالمسألة الفلسطينية كقضية وطنية . ولكنها تحاول أن تبهت هذا الاعتراف ، وان تختزله في اشكال وتعابير عاجزة ، لا يشكل استيعابها في معادلة التسوية . اي خطر على هذه التسوية او على نتائجها المحتملة ·

وتحاول اسرائيل أن تلتقط كل هذه المعطيات . فتبدي مرونة في بعض القضايا لجر الموقف العربي الى ناحيتها . وتبدي تعنتا في المسألة الفلسطينية · وذلك لابعاد « السهام » العربيه عن اسرائيل باعتبار موقفها عقبة امام استئناف مسيرة التسوية . وتوجيه هذه السهام الى الجبهة الفلسطينية · وهذا ما يبدو انها نجحت فيه جزئيا · عندما وافقت اطراف عربية . على ورقة العمل الاميركية ــ الاسرائيلية لانعقاد مؤتمر جنيف قبل نهاية العام الحالي ·

## اجراءات التسوية ومضامينها

وفي هذا الاطار يجري ما نشاهده من فصل تعسفي لاجراءات التسوية عن مضامينها · وهو فصل القصد منه الالتفاف على الموقف الوطني ، باختزال التمثيل الفلسطيني في مساعي التسوية الى مسألة أجرائية ، للايهام ان التنازل فيها لا يؤثر على مضمون التسوية · فهل هذا صحيح ؟

لن نعيد الى الاذهان الصراعات والخلافات التي كانت تحتدم بين اطراف الصراع حول من يحق له التمثيل عند انتقال هذا الصراع من المواجهة المسلحة الى المفاوضات · ودائما تواجه الحركة الوطنية مسألة تمثيلها او عدم تمثيلها عن الطرف الاخر ــ الوطني · ودائما تواجه بانها لا تمثل مجموع هذا الطرف · جرى ذلك لدى بدء مفاوضات باريس حول الفيتنام عندما اصر ثيو على عدم

حضور وفد جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية ، وجرى ذلك لدى بدء المفاوضات الفرنسية ـ الجزائرية ، عندما ادعت فرنسا ان جبهة التحرير الجزائرية لا تمثل مجموع الشعب الجزائري ٠

لقد كان دائما التمثيل يرتبط بمضامين المفاوضات ، وليس فقط باجراءاتها واشكالها ٠ فلو وافقت جمهورية فيتنام الديموقراطية على ادعاءات ثيو وأميركا في عدم تمثيل جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية والاكتفاء بفيتنام الديموقراطية كممثلة لاختلفت نتائج المفاوضات ، ولو وافقت جبهة التحرير الجزائرية على ادخال اطراف اخرى معها خلال المفاوضات لاختلفت نتائج المفاوضات ٠

وما يجري بالنسبة للتمثيل الفلسطيني يتسم بسمات اكثر خطورة وتعقيدا ، نسبة الى مفاوضات باريس او مفاوضات ايفيان ٠ فما يطرح بالنسبة للتمثيل الفلسطيني ، ليس اشراك اطراف او قوى اخرى الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية كممثلة شرعية للشعب الفلسطيني ، بل استبعاد المنظمة كليا ، والاستعاضة عنها بأشكال او اطر ليس لها علاقة بالنضال الوطني الفلسطيني ، وولاءاتها ليست للقضية الوطنية الفلسطينية ٠ كذلك فانه ما يطرح بالنسبة لهذا التمثيل يتجاوز الشكل الى المضمون ٠ اي الى مضمون الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني واشكال التعبير عنها ٠ فاستبعاد المنظمة ـ كقيادة وطنية للشعب الفلسطيني ، يعني استبعاد التعبيرات الوطنية للحقوق الفلسطينية . والاستعاضة عنها بالكيانية الفلسطينية الهزيلة التي يمكن استيعابها بمشروعات « التقسيم الوظيفي » الاسرائيلية وبمشروعات « المملكة العربية المتحدة » الاردنية والمطعمة بزخرفات عربية ٠

اضافة الى ذلك فاننا نرى ان هذه المناورة بالتمثيل الفلسطيني ، تستهدف والى حد كبير ، ابتزاز الموقف الوطني الفلسطيني . لكي يتنازل عن اشتراطاته، حتى يصبح بالامكان استيعابه عبر منظمة التحرير الفلسطينية في اطر التسوية٠ اي ان تقبل المنظمة كما اعلن كارتر ، بقرار ٢٤٢ ورديفه ٣٣٨ ، وتعلن صراحة اعترافها باسرائيل ، اذا كان لا بد لها من تمثيل الشعب الفلسطيني في اطر التسوية ٠

وعلى الرغم من ان اسرائيل اغلقت الابواب جميعها ، امام احتمالات بروز موقف فلسطيني كهذا ، بتأكيدها ان المنظمة غير مقبولة حتى لو اعترفت باسرائيل وبقرار ٢٤٢ ، فاننا لا نستبعد ايضا ، ان الموقف الاسرائيلي هذا ، لا يعدو كونه مناورة ، يستهدف ان لا تضطر اسرائيل الى دفع ثمن كبير مقابل موقف فلسطيني كهذا ، اذا ما اعلن ٠

نستخلص من كل هذا العرض جملة من النتائج منها :

(١) ان ما يعرض بصدد المسألة الفلسطينية لا يثير شهية احد ، ليس هذا

فقط بل ولا يلبي الحد الادنى من مطالب الذين يسمون معتدلين ومرنين ٠

(٢) ان جزءا كبيرا مما يقال ويعلن هو من مقتضيات المناورة السياسية والحرب الدبلوماسية الجارية ، لسبر الغـور واكتشاف المواقف واحتمالات تطورها ٠

(٣) ان التسوية الشاملة أو شبه الشاملة لا تزال امرا بعيد الاحتمال ، على الرغم مما يطرح عن اتفاقات جرى التفاهم عليها مسبقا ٠ وهي اتفاقات نشك فيها لانها تطرح التفاصيل ، وتفاصيل التفاصيل ٠ والاحتمال الممكن ـ بنظرنا ـ لقطع خطوة اخرى من التسوية ، هو اتفاق اخر مصري ـ اسرائيلي ، على غرار اتفاق سيناء الماضي ٠ ولعل هذا الاحتمال ، هو ما جعل مصر تتحفظ بالنسبة للوفد العربي الموحد ٠ وضمن هذا الاطار فان احتمالات عقد مؤتمر جنيف قبل نهاية العام الحالي تبدو كبيرة ٠ ولكن انعقاد المؤتمر لن يكون اكثر من انعقاد احتفالي ٠

(٤) لقد فرضت المسألة الفلسطينية نفسها على كل اطراف الصراع ، ولا نرى ان هذه الاطراف قادرة على تجاوز هذه المسألة بشروطها الوطنية ، اذا ما حافظ الموقف الفلسطيني على تماسكه وصلابته ، ولم يتعثر « بالعظم » الملقى على طريقه ٠

(٥) اننا ما زلنا بعيدين عن مرحلة « استراحة المحارب » ٠ فالمرحلة القادمة مرحلة صراعية ، اكثر تعقيدا وخطرا من اي مرحلة سابقة ، انها اشبه ما تكون بـ « عض اصابع » دبلوماسيا وبالسلاح ٠

سمير كرم

# الثابت والمتغير في مبادئ السياسة السوفياتية

قد يبدو للباحث ـ من الوهلة الاولى ـ ان تحديد الثابت والمتغير في السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي عمل ايسر كثيرا من تحديدهما بالنسبة للسياسة الخارجية لاي دولة اخرى في العالم · ذلك ان الاتحاد السوفياتي يلتزم فلسفة عامة معينة تشكل طبيعة وابعاد نظرته الى العالم ـ وهي الفلسفة الماركسية ـ اللينينية · ومن ثم فليست هناك صعوبة في تحديد الايديولوجية ، التي تشكل اطر سياساته ومواقفه من القضايا الانسانية المختلفة ، بما في ذلك قضايا العلاقات الدولية ، وهي التي تعنى بها تحديدا السياسة الخارجية · وفضلا عن ذلك فانه بالنسبة للاتحاد السوفياتي يتوفر عدد لا يستهان به من الوثائق النظرية والسياسية التي تعد مرجعا ملزما للسياسة الخارجية السوفياتية على نحو لا يتوفر للدول الاخرى ، وخاصة تلك التي لا تدين بفلسفة عامة محددة ، ولا تتبع منهجا واضح المعالم في مواجهة المشكلات واتخاذ القرارات · واخيرا من الناحية العملية ـ فان ممارسات الاتحاد السوفياتي على صعيد السياسة الخارجية ـ العلاقات الدولية ـ تعكس للباحث ـ دون عناء ـ استمرارية واضحة منذ السنوات الاولى لقيام السلطة السوفياتية بقيادة لينين ·

وقد تغري هذه الاعتبارات بالاندفاع نحو استنتاج بان هناك « ثوابت » فقط في السياسة الخارجية السوفياتية ، ما دامت تلك السياسة تستند الى فلسفة عامة ونظرية علمية محددة وايديولوجية ثابتة ، وبالتالي ان وجود « متغيرات في هذه السياسة هو امر نادر ان لم يكن معدوما · ولكن « تاريخ » السياسة الخارجية السوفياتية على مدى الاعوام الستين الماضية ـ منذ قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية ـ كما يشهد بوجود « ثوابت » واضحة في السياسة الخارجية في

الحقب المختلفة التي تقلبت فيها العلاقات الدولية طوال هذه السنوات الستين ـ يشهد بوجود « متغيرات » متعددة · وما كان يمكن ان يكون الامر غير ذلك حتى بحكم كون السياسة الخارجية للدولة السوفياتية تهتدي بالفلسفة الماركسية ـ اللينينية وبالنظرية اللينينية في الثورة الاشتراكية وبايديولوجية بناء الشيوعية في العالم ·

بل الحقيقة ان الكتابات النظرية العديدة الصادرة في الاتحاد السوفياتي نفسه عن السياسة الخارجية السوفياتية لا تبتعد عن هذه النتيجة نفسها ، وهي وجود متغيرات ، وتقدم تفسيراتها النظرية والسياسية لهذه المتغيرات ·

ولابد لاي بحث في مباديء السياسة الخارجية السوفياتية ان يعنى في مقدمته بالاسس النظرية لهذه السياسة كما يعبر عنها السوفيات انفسهم · على الا يعني ذلك اخذ هذه الاسس في ذاتها كمسلمات دون مضاهاتها على واقع الممارسة العملية لهذه السياسة ، على الاقل لتحديد المسافة بين النظرية والممارسة ، ان لم يكن لتحديد مدى قابلية نظرية السياسة الخارجية السوفياتية للتطبيق عمليا ·

ويجدر بالملاحظة في هذا الصدد ان هناك نموا هائلا في الاهتمام بالدراسات النظرية للسياسة الخارجية بين الاكاديميين ورجال السياسة والايديولوجيين ، وكذلك الدبلوماسيين ، في الاتحاد السوفياتي منذ بداية السبعينات ، وهي ظاهرة يمكن ارجاعها الى مقولة رئيسية يؤكدها المنظرون السوفيات منذ بداية حقبة « الانفراج الدولي » ، وهي ان الصراع الايديولوجي ـ صراع الافكار ـ قد ازداد وستتزايدحدته باطراد بين المعسكرين الاشتراكي ( بقيادة الاتحاد السوفياتي ) والرأسمالي الامبريالي ( بقيادة الولايات المتحدة ) في هذه الحقبة التي تتلاشى فيها مظاهر الحرب الباردة وتتقلص احتمالات الحرب الساخنة بين الكتلتين ·· حيث لا يبقى غير مجال الصراع الايديولوجي في ساحة « الحرب » بينهما ·

ومن الطبيعي ان يكون مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية من اوسع واعقد مجالات هذا الصراع الايديولوجي المحتدم · بل ان مجال السياسة الخارجية يتسع في الواقع ليشمل مجالات عديدة بحيث اصبح صراع الافكار فيه لا يقتصر على المشتغلين بالدبلوماسية وشئون العلاقات الدولية ، وانما يشمل ايضا علماء الاجتماع والاقتصاديين والمؤرخين ومعظم المشتغلين بالعلوم الانسانية ، فضلا عن المشتغلين بالاستراتيجية والعلوم العسكرية وشؤون الدفاع والتسلح ·

**علم السياسة الخارجية**

ويشمل مجال السياسة الخارجية بطبيعته كل العوامل المتشابكة التي تحت تاثيرها تتكون السياسات الخارجية للدول . وعلى رأسها ـ بطبيعة الحال ـ السياسة الداخلية . وهذه العوامل تشمل الصراعات الطبقية السياسية ، ومستويات التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي بين الدول المختلفة ، ومواقعها الجغرافية . وتقاليدها التاريخية ... الخ . **ولهذا فان المنظرين السوفيات يعتبرون ان « علم السياسة الخارجية » ( وهذه ايضا تسمية سوفياتية ) واحد من اعقد العلوم المعاصرة ، ويوجهون انتقادات عديدة الى الكتاب السياسيين الغربيين ( البورجوازيين ) لانكارهم كون السياسة الخارجية علما ، وانكارهم ضرورة قيام السياسة الخارجية على اساس فهم علمي متماسك للعلاقات الدولية ، واحيانا انكارهم من الاساس وجود شيء محدد اسمه « السياسة الخارجية » لدولة ما !**

[ في هذا الصدد يسوق الكاتب السوفياتي ساناكوييف مقالا جديرا بالملاحظة، يبين ان الدكتور هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة السابق ، الذي كان استاذا للعلوم السياسية في جامعة هارفارد قبل ذلك ، هو واحد من الكتاب البورجوازيين الذين ينكرون « السياسة الخارجية » . اذ ينقل عنه قوله ـ في كتاب كيسنجر الذي يحمل عنوان « قراءات في السياسة الخارجية الاميركية » ـ ١٩٧٣ ـ انه حاول دون جدوى اقناع الفرنسيين بأنه لا يوجد شيء اسمه السياسة الخارجية الاميركية ، وان سلسلة من التصرفات التي تؤدي الى نتيجة معينة يحتمل الا تكون بالضرورة مصممة لكي تؤدي الى هذه النتيجة ] .

اما النظرية السوفياتية ـ على النقيض من ذلك تماما ـ فتقوم على اساس ان « علم السياسة الخارجية » يدرس ويعمم العمليات التي تتم في العالم الرأسمالي ، ويحلل المجموعة الكاملة من المشكلات الداخلية والخارجية في هذا العالم ، كما يحلل المجموعة الكاملة من المشكلات والعمليات في العالم الاشتراكي ، ويدرس ويحلل النشاط السياسي الثوري في كلا العالمين وفي العالم الثالث بالمثل . وتعترف النظرية السوفياتية في السياسة الخارجية ـ في الوقت نفسه ـ بالطبيعة الايديولوجية للسياسة والدبلوماسية . وترى ان الماركسية ـ اللينينية ـ وهي النظرة العامة البروليتارية الى العالم ـ قد وضعت لاول مرة في التاريخ دراسة مشكلات السياسة الخارجية على أساس علمي ، واوجدت تعاليم متكاملة حول مسائل العلاقات الدولية ، مثل الحرب والسلام ، وقدمت نظرية في علم السياسة الخارجية تقوم بأكملها على اساس قوانين التطور التاريخي .

وهكذا اصبح هناك وجود لـ « علم السياسة الخارجية » السوفياتي القائم على

اساس النظرية الماركسية ـ اللينينية في صراع الطبقات ، وفي تناقضات الرأسمالية وازماتها ، وفي الطبيعة العدوانية للرأسمالية الاحتكارية ، وفي انهيار النظام الرأسمالي ، والثورة الاشتراكية ، والتضامن البروليتاري والاممية البروليتارية ٠

ويرد منظرو « علم السياسة الخارجية » السوفياتي جذور هذا العلم الى مؤسسي المادية التاريخية ماركس وانجلز ، ثم الى تعاليم لينين ـ حتى السابقة ـ على قيام ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ، وان كان « تاريخ السياسة الخارجية الاشتراكية » قد بدأ بقيام هذه الثورة ، وقيام اول دولة يحكمها العمال في العالم ٠ فعلى اثر انتصار الثورة واجهت السلطة السوفياتية مباشرة مهمة تحديد برنامج سياستها الخارجية ، ووضع استراتيجية وتكتيكات تلك السياسة ٠ وقد اعلن لينين انه « **منذ البداية الاولى لثورة اكتوبر ، كانت السياسة الخارجية والعلاقات الدولية هي المسائل الرئيسية التي واجهتنا** » ٠ وهكذا ظهرت بعد قيام الدولة الاشتراكية سياسة خارجية جديدة تماما ، تستمد قيمها من مبادىء فلسفة محددة هدفها اقامة الاشتراكية ثم بناء الشيوعية عبر النضال من اجل ازالة اشكال الاستغلال المختلفة ، بما فيها الاستغلال في العلاقات بين الدول والشعوب ٠

**ولهذا كانت اول قاعدة نظرية للسياسة الخارجية السوفياتية هي « الاساس الطبقي للسياسة الخارجية » ٠ ذلك ان محتوى اي سياسة تحدده اماني الطبقة التي تعكس هذه السياسة مصالحها ٠ وتتبدى المصالح الطبقية ـ وفقا للنظرية الماركسية ـ اللينينية ـ في مجموع وجهات النظر والآراء التي تجسد فهم طبقة معينة للعمليات الاجتماعية ، ولمكانتها في المجتمع ، وللاهداف والمثل العليا ـ او الايديولوجيا ـ التي تتخذها اساسا لنشاطها السياسي ٠ وتذهب هذه النظرية الى انه بانقسام العالم الى نظامين يجسدان الطبقتين الرئيسيتين المتطاحنتين في المجتمع الحديث ، اتضح اكثر الاساس الطبقي للسياسة الخارجية للدول ، واتضحت بالتالي الايديولوجيتان اللتان توجهان نمطين مختلفين من السياسة في العلاقات الدولية ٠**

وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن « الثابت » الاساسي الاول في السياسة الخارجية السوفياتية هو كونها سياسة تعبر عن مصالح البروليتاريا ( الطبقة العاملة ) التي تعتبرها النظرية الماركسية ـ اللينينية الطبقة الاكثر تقدما ، في صراعها ضد البورجوازية ، وذلك على نطاق العالم كله ، وفي صراعات العلاقات الدولية وتعقيداتها ٠

### الاممية البروليتارية

ويتمثل هذا « الثابت » الاول في مبادىء اساسية تمثلها السياسة الخارجية

السوفياتية منذ اللحظة الاولى لقيام السلطة السوفياتية · واعم هذه المبادىء واكثرها اهمية **مبدأ الاممية البروليتارية** ، والتضامن البروليتاري · وهو يعد في اولويات المبادىء السياسية السوفياتية حجر الزاوية للسياسة الخارجية للدول الاشتراكية ، والمعبر عن محتواها الطبقي ، وعن اتجاهها الطبقي · وعلى اساس هذا المبدأ تقوم القاعدة التي صاغها لينين والقائلة بأن على الحزب الشيوعي « **ان يبذل اقصى ما يمكن في بلد واحد من اجل تطور وتأييد وايقاظ الثورة في كل البلدان** » · وقد جاء هذا المبدأ اول تطبيق عملي له في تحديد طبيعة العلاقات بين روسيا السوفياتية وباقي الجمهوريات السوفياتية · ولكن التطبيق الاممي الاوسع له تمثل اساسا في « **مرسوم السلام** » ، الذي اصدره لينين في ٨ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩١٧ . والذي توجه باقتراح السلام ليس فقط الى الدول المتحاربة في ذلك الوقت وانما الى « **العمال الواعين في اكثر امم العالم تقدما : بريطانيا وفرنسا والمانيا** · **وقد نص « المرسوم » على ان العمال في تلك البلدان قدموا اهم اسهام في قضية التقدم والاشتراكية ·· ان كل امثلة البطولة البروليتارية والعمل التاريخي انما هي وعد بأن عمال البلدان المذكورة سيتفهمون الواجب الذي يواجهونه ، واجب انقاذ البشرية من فظائع الحرب وعواقبها ، وان هؤلاء العمال ــ بعمل شامل ، مصمم ، وقوي لاقصى حد ، سيساعدوننا على تحقيق السلام بنجاح ، وفي الوقت نفسه تحرير الجماهير العاملة والمستغلة من شعوبنا من كل اشكال العبودية وكل اشكال الاستغلال** »(١)

وهكذا فان اول وثيقة للسياسة الخارجية السوفياتية تعكس هذا الخط الطبقي. وتؤكد في الاساس مبدأ الاممية البروليتارية . حيث طرح لينين ــ الذي صاغ هذا المرسوم ــ مسألة الحرب والسلام من زاوية تقوية تضامن الطبقة العاملة في البلدان الاجنبية المختلفة . في الصراع من اجل الحفاظ على سلطة العمال في روسيا ومن اجل تحرير الشعب العامل في كل البلدان ·

ومنذ ذلك الوقت والدولة السوفياتية حريصة على ان تؤكد التزامها بمبدأ الاممية البروليتارية والتضامن البروليتاري ، وخاصة في مضمار العلاقات بين الدول الاشتراكية ، حيث يطلق عليه اصطلاح « الاممية الاشتراكية » ، الذي يعتبره المتطرفون السوفيات اثراء لمحتوى مبدأ الاممية البروليتارية . واساسا اقوى للسياسة الخارجية السوفياتية ·

كذلك فان المبدأ نفسه يحكم العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية . والعلاقات بينه وبين حركات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية . والعلاقات مع البلدان الصغيرة التي تناضل لتحقيق استقلالها الاقتصادي ودعم سيادتها الوطنية . الامر الذي يؤكد توجه الاتحاد

---

(١) لينين : المؤلفات الكاملة · المجلد ٢٦ ، ص ٢٥١ ــ ٢٥٢ ·

السوفياتي في علاقاته الدولية نحو دعم الطبقة العاملة في كل بلدان العالـــم والتضامن معها ، على الرغم من ان الممارسات السياسية قد لا تكون في صورتها المباشرة متجهة نحو هذا الهدف بالذات · فحين يقيم الاتحاد السوفياتي علاقات مع الدول البورجوازية ـ كبيرة كانت او صغيرة ـ فانه يضع نصب عينيه هدف دعم الطبقة العاملة فيها ، وان لم يتمكن بحكم الظروف السائدة في تلك الدول او بحكم طبيعة العلاقات التي تربطه بها من تقديم الدعم المباشر ، باقامة علاقات وصلات مباشرة مع قيادات الطبقة العاملة او التنظيمات المعبرة عنها ·

وعلى سبيل المثال فان علاقات الاتحاد السوفياتي مع البلدان العربية التـــي تلقت منه عونا اقتصاديا وفنيا ذا حجم هائل على مدى السنوات العشـــــرين الماضية ، في صورة مشروعات اقتصادية كبيرة ، كالسد العالي او سد الفرات او المجمعات الصناعية ، لم تكن الا من خلال قنوات السلطة القائمة في هـــذه البلدان · ومع ذلك ففي تقدير واضعي السياسة الخارجية السوفياتية ان هذه المساعدات من شانها بالدرجة الاولى ان تقوي الطبقة العاملة في تلك البلدان ، وتعزز دورها وقدراتها ووعيها ، بصرف النظر عن موقف السلطة فيها من دور الطبقة العاملة وتنظيماتها واحزابها ·

كذلك فقد كان لمبدأ « الاممية البروليتارية » وجه آخر كثيرا ما اثار مشكلات عديدة في وجه السياسة الخارجية السوفياتية · لقد كان لينين يؤكد انه « **ينبغي على اشتراكيي الامم المضطهدة المظلومة ان يدافعوا بخاصة عن الوحدة التامة والمطلقة مع عمال الامة المضطهدة المتسلطة ، وان يحققوا هذه الوحدة بما فيها وحدة التنظيم ، وبدون ذلك يستحيل الدفاع عن سياسة البروليتاريا ، عــــن سياستها المستقلة وتضامنها الطبقي مع بروليتاريا البلدان الاخرى ··· » (١)**

كان موقف لينين في هذا الصدد مبنيا على قناعة عقائدية ماركسية بأن عمال الامم المتقدمة لا يرضون باضطهاد عمال شعوب اخرى ، وانه في حال انتصار الثورة في دولة متقدمة مثل المانيا او انجلترا ، فمن المؤكد ان السلطة الثورية ( دكتاتورية البروليتاريا ) ستعلن حرية الشـعوب التي يضطهدها الالمـان او الانجليـز ·

ولم تكن الامور دائما على هذا النحو من البساطة والمباشرة · وكانت الحالة الاولى البسيطة والمباشرة التي تحقق فيها هذا الموقف هي كشف السلطة الثورية السوفياتية ـ في اعقاب ثورة اكتوبر مباشرة ـ كل المعاهدات والاتفاقات التـي كانت حكومة روسيا القيصرية طرفا فيها ، والتي كانت تنطوي على اجحـاف بحقوق الشعوب او تقسيم لاراضيها او انتهاك لحقها في تقرير مصيرها · وكان

---

(١) لينين : مختارات ( الطبعة العربية ) ـ موسكو ـ الجزء الاول ـ ص ٢٥٥ ·

بين الوثائق التي كشفتها السلطة السوفياتية في ايامها الاولى بأمر من لينين « اتفاقية سايكس ـ بيكو » الشهيرة ، وغيرها من الوثائق السرية لـــدول الوفاق · وكان ذلك شيئا جديدا تماما في عالم العلاقات الدولية منذ عـرف التاريخ هذه العلاقات · فلم يكن العالم قد عرف دولة كبرى لا تريد استعمارا وانما تقف بالتزام الى جانب القوى التحررية في العالم ·

ومنذ ذلك الوقت سارت السياسة الخارجية السوفياتيـة في طريـق شـن الهجمات المستمرة على سياسات الامبريالية ، وقد انتهجت هذه السياسة حتى في مراحل كانت الدولة السوفياتية فيها لا تزال ضعيفة · وقد عبر لينين عن هذه الحقيقة في خطاب له امام « المؤتمر التاسع لسوفييتات عموم روسـيا » ( كانون الثاني ١٩٢١ ) حين قال : « **لقد استطعنا ، ونحن محاطين ببلدان اكثر قوة منا بكثير اقتصاديا وعسكريا ، بلدان عداؤها الصريح لنا متاخم دائمـا لحدود الجنون ، ان نرى انهم كانوا عاجزين عن تحطيم روسـيا السـوفياتية مباشرة وفورا ـ وهو امر انفقوا عليه الكثير للغاية من مصادرهم وقوتهم على مدى ثلاث سنوات ··· اننا من الناحية المادية ـ اي اقتصاديا وعسـكريا ـ ضعاف للغاية ، ولكننا معنويا ـ ولست اعني بهذا بالطبع المعنويات المجـردة ، وانما تحالف القوى الحقيقية لكل الطبقات في كل البلدان ـ نحن الاقوى بيـن الجميع** » · (١)

فهل يمكن ان نستنتج من هذا ـ بطريقة تلقائية آلية ـ ان الاتحاد السوفياتي ، وهو اليوم اقوى اقتصاديا وعسكريا بما لا يقاس بما كان عليه في عهد لينين ، يواجه وضعا اقل تعقيدا او خطورة في تطبيق سياسته الخارجية ؟ ·

لقد قوي الاتحاد السوفياتي وقوي تأثير سياسته الخارجية على العلاقـات الدولية على مدى الاعوام الستين الماضية ، بصورة لا نظير لها · ولكن ـ الى جانب هذا ـ تعاظمت قوة الدول الامبريالية وتعقدت وتشعبت اساليبها ليس فقط في مواجهة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي وحركات التحرر الوطني ، بل في مواجهة تناقضاتها وتنافساتها ، كما في مواجهة ازماتها الداخلية ·

### معاهدة بريست ـ ليتوفسك

ونتيجة لهذا فان تطبيق مبدأ التضامن البروليتاري والاممية البروليتارية من جانب الاتحاد السوفياتـي تحكمه وتحدده عوامل ومتغيرات ليست خاضعة لارادة الاتحـاد السوفياتـي وحـده · وهذه الحقيقـة ليست وليـدة التـطورات الاحدث في العلاقات الدولية او الصراع الذي يحـدده تطـور التكنولوجيـا العسكرية والنووية الحديثة ·· بل انها حقيقة اصطدمت بها الدولة السوفياتية

---

(١) لينين : المؤلفات الكاملة · المجلد ٣٢ ـ ص ١٤٤ ·

ايضا في سنواتها الاولى · فما ان صعدت الطبقة العاملة الى السلطة في روسيا حتى وجدت الدولة الجديدة نفسها تسبح في بحر من العداء يحيط بها من جميع الجهات ، محاطة بالكامل بالعالم الرأسمالي في مواجهة من نمط مواجهة معارك الحياة او الموت · واضطرت السلطة السوفياتية في تلك الظروف ان توقع معاهدة بريست ـ ليتوفسك الشهيرة ( التي لم تستغرق في الحقيقة في اعدادها وتوقيعها فالغائها الا الفترة من كانون الاول ١٩١٧ الى تشرين الثاني ١٩١٨ ) · وقد واجه توقيع هذه المعاهدة معارضات قوية داخل روسيا وخارجها، ربما لم يواجهها اي من قرارات السياسة الخارجية السوفياتية على مدى السنوات الستين التي مضت منذ ثورة اكتوبر · واذا كان « مرسوم السلام » هو حجر الزاوية للسياسة الخارجية السوفياتية ، فان معاهدة بريست ـ ليتوفسك كانت بمثابة « التعميد بالنار » لهذه السياسة ، حسب تعبير الاكاديمي السوفياتي فلاديمير بتروف (١) · اذ كانت المعاهدة اول تجربة للسياسة الخارجية السوفياتية مع « الحلول الوسط » · وكان من ردود لينين على معارضي المعاهدة في ذلك الوقت قوله انهم « ربما يعتقدون ان مصالح الثورة العالمية تمنع صنع اي سلام على الاطلاق مع الامبرياليين ··· وخطأ هذه النظرة واضح وضوح النهار · ان جمهورية اشتراكية محاطة بدول امبريالية لا تستطيع ـ من هذه الزاوية للنظر ـ ان توقع اية معاهدات اقتصادية ، ولا تستطيع ان توجد كلية ، دون ان تطير صوب القمر » (٢) · وتساءل لينين في هذا الصدد ايضا : «هل نستطيع ان نعول على اسقاط الامبريالية العالمية بمجرد القوة قبل ان تكون البروليتاريا في تلك البلدان الامبريالية قد وصلت الى المرحلة الضرورية من التطور ؟ » (٣) · واجاب على هذا السؤال : « انه لمن العبث والحماقة ان نستخدم سياسةالعنف في ظل تلك الظروف وان نخفق اخفاقا كاملا في فهم الشروط التي تحتها يمكن ان تكون مثل هذه السياسة ناجحة » ·

بل الواقع ان لينين استخدم اصطلاح « الحل الوسط » بالتحديد ، اذ قال « ان كل منعطف متعرج في التاريخ هو حل وسط · حل وسط بين القديم ، الذي لم يعد قويا بدرجة تكفي لكي يسلب الجديد سلبا كاملا ، والجديد ، الذي لم يصبح بعد قويا بدرجة تكفي لكي يسقط القديم كله » (٤) · وفي صدد الدفاع عن معاهدة « بريست ليتوفسك » بوجه خاص قال لينين : « ان رفض الحلول الوسط ـ من حيث المبدأ ـ ورفض السماح بالحلول الوسط على وجه العموم ، بصرف

(1) Petrov , v. , The Sources of Leninist Diplomacy , International Affairs , Moscow , June 1975 .

(٢) لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٧١ ·

(٣) لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ، ص ٦٠ ·

(٤) لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٣ ، ص ٢٣ ·

**النظر عن نوعها ، ضرب من الطفولية ، يصعب اخذه حتى ماخذ الجد . ان زعيما سياسيا يرغب في ان يكون مفيدا للبروليتاريا الثورية لا بد ان يكون قادرا على التمييز بين الحالات المحسوسة من الحلول الوسط التي لا يمكن انتحال المعاذير لها والتي هي تعبير عن انتهازية وخيانة ، يتعين عليه ان يوجه كل قوة النقد . والفضح الحاد الكامل بلا رحمة ، والحرب التي لا هوادة فيها ، ضد هذه الحلول الوسط المحسوسة ... وهناك انواع مختلفة من الحلول الوسط . ويتعين على المرء ان يكون قادرا على تحليل الموقف والشروط المحسوسة لكل حل وسط ، او لكل نوع من الحل الوسط »** (١) . وبوضوح في موضع آخر – رد لينين على الاتهام الذي وجه بأن الحكومة السوفياتية توصلت الى حل وسط مع الامبريالية الالمانية بتوقيع هذه المعاهدة ، حيث قال : **« نعم لقد قمنا بحل وسط ، كما فعلنا من قبل الشيء نفسه عندما توصلنا الى حل وسط مع القيصر بدخولنا مجلس الدوما الرجعي المقزز ، ودمرناه من الداخل »** . (٢)

وعلى مدى سنوات عمر السلطة السوفياتية الستين فرضت متغيرات دولية معينة على السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي اللجوء الى حلول وسط . ويمكننا – على سبيل المثال – ان نذكر ازمة الصواريخ السوفياتية في كوبا في عام ١٩٦٢ كمثال على المرونة في تطبيق مبدأ « الاممية البروليتارية » ، بالدخول في حل وسط لا يلغي المبدأ ، ولكنه يحقق ما تتصوره السياسة الخارجية السوفياتية الفائدة الاكبر لقضية الطبقة العاملة في العالم ، ولقضية صون السلام ، ولقضية كبح جماح الامبريالية ، وفي الوقت نفسه الحفاظ على المكاسب الاشتراكية . او ان نذكر ملامح تضامن الاتحاد السوفياتي مع نضال الشعب الفيتنامي ضد الحرب العدوانية التي شنتها عليه الامبريالية الاميركية طوال الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٧٣ . فمما لا شك فيه ان مقاومة الشعب الفيتنامي وصموده وانتصاره في النهاية على الحرب العدوانية الاميركية قد استفادت كثيرا من المساعدات التي قدمها الاتحاد السوفياتي للشعب الفيتنامي وفقا لمبدأ الاممية البروليتارية . الا ان المتغيرات الدولية التي لا تخضع كلها لارادة الاتحاد السوفياتي وحده ، جعلت ممارسة هذا المبدأ في هذه الحالة مختلفة مثلا عن ممارسته ازاء احداث تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٦٨ . فقد كانت الظروف السياسية والاستراتيجية وحتى الجغرافية لحرب فيتنام تشكل وضعا مختلفا عن الظروف نفسها لاحداث تشيكوسلوفاكيا ، على الرغم ان الخطر كان واقعا في الحالتين على بلد ينتمي لمجموعة « المنظومة الاشتراكية العالمية » . وفي الحالتين

---

(١) لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣١ ص ٢٧ – ٢٨ .

(٢) لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ، ص ٦٠

كان المبدأ الذي اهتدت به السياسة الخارجية السوفياتية هو مبدأ الاممية البروليتارية ٠

**الموقف من القضية العربية**

**ولعل من المناسب ان نذكر مثلا اقرب الى واقعنا العربي ٠ فالاختلاف الذي استشعره المواطن العربي بين موقف الاتحاد السوفياتي ازاء العدوان الثلاثي الامبريالي ـ الصهيوني على مصر عام ١٩٥٦ ، وموقفه ازاء العدوان الامبريالي ـ الصهيوني على مصر وسوريا والاردن عام ١٩٦٧ يشكل نموذجا لكيفية تاثير المتغيرات الدولية على ممارسة السياسة الخارجية السوفياتية لمبدأ « الاممية البروليتارية » ، وهو كما قلنا لا يحكم فقط علاقات الاتحاد السوفياتي بالدول الاشتراكية ، بل علاقاته ايضا بالامم المناضلة من اجل استقلالها وحريتها ، وبحركات التحرر الوطني في العالم الثالث ٠** وينبغي الا يغيب عن ذهننا ان اهم هذه المتغيرات ما يتعلق منها بموقف الطرف الذي تمارس ازاءه هذه المساعدة نفسها ٠ فلم يكن الموقف الدولي وحده اكثر ملاءمة للدعم السوفياتي للعرب عام ١٩٥٦ منه عام ١٩٦٧ ، بل ان الموقف العربي نفسه كان اكثر ملاءمة لهذا الدعم في الحالة الاولى اكثر منه في الحالة الثانية ٠

بل ان متغيرات السياسة الخارجية السوفياتية ازاء القضية الفلسطينية تعطي مثالا واضحا على ما نريد التدليل عليه بشأن الثابت والمتغير . بين المبدأ وممارسته في هذه السياسة ٠ لقد كان للاتحاد السوفياتي ـ بحكم اعتبارات ايديولوجية عامة ثابتة ـ موقف سلبي من الصهيونية من البداية ، بوصفها حركة رجعية ترتبط بالغرب الامبريالي (١) ٠ ولم يتغير هذا الموقف المبدئي على المستوى الايديولوجي منذ نشأة الصهيونية ، الا ان متغيرات عديدة طرأت على مواقف السياسة الخارجية السوفياتية من النشاط الصهيوني في فلسطين ٠ في البداية كانت دعوة السوفيات للبروليتاريا اليهودية الى القضاء على الغول الصهيوني ، واستمرت المعارضة السوفياتية لنشاط الصهيونية ضد فلسطين ، فشملت فكرة التقسيم التي طرحت لاول مرة ضمن مقترحات لجنة بيل عام١٩٣٧٠ الا ان مشاركة اليهود في نشاط المقاومة ضد النازي ، في الوقت الذي بدأ فيه تعاطف عربي ـ غير مبرر ولا عقلاني ـ مع دول المحور ، وظهر تعاطف زائف من جانب دول المحور تجاه النضال العربي ضد الصهيونية، ادى هذا الى موقف حرج للسياسة الخارجية السوفياتية ، بدا في صوره فتور في مهاجمة الاتحاد

---

(١) لمزيد من التفصيلات حول هذه النقطة ، انظر ماهر الشريف : قضية فلسطين ومناقشات المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ، شؤون فلسطينية ، ٧٠ ، ص ١١٩ ـ ١٤٤ ٠

السوفياتي للنشاط الصهيوني في فلسطين ، ثم في صورة قبول بقرار التقسيم ٠ وهو ما اعتبر ـ من الجانب العربي ـ موقفا ايجابيا ازاء الصهيونية من جانب السياسة الستالينية ٠ ولكن الحقيقة ان هذا الموقف الذي بلغ ذروته بالاعتراف بالدولة الصهيونية لم يقدر له العيش ألا لفترة قصيرة للغاية ، ثم تبدل تحت تاثير احداث داخلية في الاتحاد السوفياتي خاصة بالولاء اليهودي ، ثم تحت تاثير تحولات تقدمية في العالم العربي ( خاصة بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ ) افقدت اسرائيل صورة القاعدة المناهضة للاستعمار الانجليزي ، ثم تحت تاثير افتضاح علاقات اسرائيل الخاصة مع الامبريالية الاميركية ٠ وبشكل عام لقد انتقل مركز النضال ضد الامبريالية في المنطقة الى الامة العربية ، فسحب هذا الوضع الجديد البساط تماما من تحت اقدام الدولة الصهيونية التي رسمت صورتها قبل ذلك على انها دولة مستقلة ديمقراطية متحررة واشتراكية ٠ وساهمت المعارك العربية ضد مشاريع الاحلاف العسكرية الامبريالية في الشرق الاوسط في تقريب السياسة الخارجية السوفياتية اكثر الى القضية العربية ٠ فقد كانت تلك الاحلاف موجهة ضد الاتحاد السوفياتي بقدر ما كانت موجهة ضد حركة التحرر العربية ٠

## التعايش السلمي

**والمبدأ الاساسي الثاني في ايديولوجيا السياسة الخارجية السوفياتية هو مبدأ « التعايش السلمي بين البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة » ٠ وهذا المبدا يرد نظريا الى الفلسفة الماركسية ـ اللينينية ، وان كان يبدو في حقبة سياسة الانفراج الدولي الاخيرة وكأنه متلازم معها ، وليس سابقا عليها ٠**

وينبع مبدأ « التعايش السلمي » مباشرة من جوهر نظرية لينين في التطور غير المتوازن للرأسمالية ، وعن نظريته في الثورة الاشتراكية بوصفها تحولا جذريا في العلاقات الاجتماعية يقيم نظاما اجتماعيا جديدا نتيجة حركة جماهيرية قوية وعمليات اجتماعية جبارة ، وليس نتيجة هوى شخصي ٠ فالثورة هي نتيجة تطور داخلي في هذا البلد او ذاك ، وليس نتيجة تدخل من الخارج ٠ فلقد اكد لينين ان الثورة تنشأ « عن نمو حدة التطاحنات الطبقية التي تولد الثورة »، وليس نتيجة لدفعها من الخارج ، فتصدير الثورة مستحيل ٠ وعلى هذا الاساس يتفرع مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للبلدان الاخرى ٠

**وفي نظرية السياسة الخارجية السوفياتية ان مبدا التعايش السلمي لا يتناقض مع حق الشعوب المضطهدة في النضال من اجل حريتها بجميع الوسائل التي تعتبرها ضرورية ـ بما فيها الوسائل المسلحة وغير المسلحة ـ ولا تعني**

**مطلقا دعم الانظمة الرجعية · كما ان هذا المبدا لا يعني تجميد الواقع الاجتماعي والسياسي ولا اضعاف النضال الايديولوجي ، بل انها تنشط تطور النضال الطبقي ضد الامبريالية على النطاق الوطني والعالمي ، وذلك على اساس ان النضال ضد الامبريالية هو من شروط نجاح سياسة التعايش السلمي ·** كما ان هذه السياسة تخلق ظروفا اكثر ملاءمة لمتطلبات نضال الطبقة العاملة ، وكل الشعب العامل ، في البلدان الرأسمالية من اجل حياة افضل وضد الاستغلال الرأسمالي · وتذهب نظرية السياسة الخارجية السوفياتية الى ان مناخ التوتر الدولي واضفاء الطابع العسكري على الحياة الاجتماعية ، وسيادة جو جنون الحرب يتيح بشكل خاص قمع الحقوق والحريات الديمقراطية ، وفي هذا المناخ تزداد قوة آلة العنف في يد البورجوازية ، الامر الذي لا يخدم ولا يساعد نضال التحرر الوطني للشعوب المقهورة ، ولا نضال التقدم والتحرر الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية ·

ويعني مبدأ التعايش السلمي في نظرية السياسة الخارجية السوفياتية : الامتناع عن الحرب بوصفها وسيلة لحل القضايا المتنازع عليها بين الدول ، وحلها عن طريق المفاوضات ، والامتناع عن استخدام القوة او التهديد باستعمال القوة ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية ، والاعتراف لكل شعب بالحق في تقرير جميع شئون بلاده بنفسه ، وحرمة الحدود ، واحترام السيادة والمساواة والاستقلال لجميع البلدان ، وتطوير التعاون الاقتصادي والعلمي والتقني والثقافي ·

ولعل المقولة الابرز والاهم من مقولات مبدأ التعايش السلمي بالنسبة للاتحاد السوفياتي هو الدفاع النشيط عن السلام · فان السياسة الخارجية السوفياتية تعلق اهمية لا تفوقها اهمية اخرى على « **النضال من اجل تصفية بؤر العدوان ودرء تشوب حرب عالمية جديدة ، من اجل السلام الدائم والامن في العالم بأسره** » · وهي مقولة ترجع ايضا الى وقت لينين وليست وليدة انتهاج سياسة الانفراج الدولي الحديثة · فهو الذي قال : « **نحن نعلم ، ونعلم جيدا جدا ، اية بلايا رهيبة تجرها الحرب على العمال والفلاحين** » (١) ·

### هجوم السلام

وقد انعكس هذا الاهتمام بالسلام في البرنامج الذي اقره المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي المسمى « برنامج الدفاع النشيط عن السلام » ( والذي وصف بعبارة « هجوم السلام السوفياتي » ) · وقد اوضح فيه

---

(١) لينين : تقرير عن السلام ، موسكو ( الطبعة العربية ) ١٩٧٠ ، ص ٢٨٦

« ان الاتحاد السوفياتي يعارض السياسة العدوانية للامبريالية بسياسة الدفاع النشيط عن السلام وتوطيد الامن الدولي » · ويقوم هذا البرنامج على اساس ان السلم لا بد منه لبناء الشيوعية ، وضروري لكل البلدان الاشتراكية ولشعوب كل الدول ، ولهذا فان « الاتحاد السوفياتي سوف يتصدى في المستقبل لسياسة العدوان ، ويسهم في تصفية الظروف التي تولد الحرب العدوانية في العالم كله » · ولكلمة « العدوانية » هنا مغزاها · فان السياسة الخارجية السوفياتية حريصة دائما على التأكيد بأن سياسة التعايش السلمي لا تعني الوقوف موقف اللامبالاة من نضال الشعوب ضد الامبريالية · وفي هذا الصدد قال ليونيد بريجنيف الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي : « ان الجهود التي تبذلها الامبريالية لتقود مسيرة التاريخ باتجاه ملائم لمصالحها مكتوب لها الفشل ، وهذا لا يحتمل اي شك بالنسبة لنا · الا اننا نعرف جيدا ــ نحن الشيوعيين ــ ان آخر شيء هو ان نبقى مكتوفي الايدي وننتظر · فالذين يحاربون الاضطهاد الرأسمالي يجدون امامهم آخر ــ ولكن اقوى ــ الانظمة الاستغلالية التي يشهدها التاريخ ··· »

ويلاحظ بريجنيف في الموضع نفسه ان تطلع الاتحاد السوفياتي نحو السلم والتعايش السلمي ليست له أية علاقة بـ « السلمية » و « عدم استخدام العنف » بوجه المصائب التي تسببها الامبريالية للشعوب ··· ويضيف : « عندما يتعلق الامر بسياسة التعايش السلمي والتعاون السلمي بين البلدان بصرف النظر عن نظامها الاجتماعي يسألوننا دائما ــ نحن الشيوعيين ــ ما اذا كانت هذه السياسة تتوافق والمبادىء الثورية · اود ان اذكركم ان لينين ، اكبر ثوريي العالم ، قال ان الثورات لا تصنع ، لا حسب الطلب ، ولا بعد تفاهم مسبق ، ويمكننا ان نضيف في هذا الموضوع ان الثورة والصراع الطبقي وحركات التحرر لم يعد بالامكان ازالتها حسب الطلب ، او نتيجة اتفاق مسبق ··· اننا ضد تصدير الثورة ، لكن الحزب الشيوعي السوفياتي وحكومتنا وكل الشعب السوفياتي يعلنون في الوقت نفسه ، صراحة ودون مواربة ، تضامنهم مع اشقائهم الطبقيين الذين يناضلون في الخارج ، وتضامنهم مع حركات التحرر المعادية للامبريالية · وليس هناك اي تناقض مع الصراع في سبيل السلم ، والتعاون السلمي لكل البلدان » · (١)

وفي الواقع العملي فان سياسة التعايش السلمي سياسة متهمة من الجميع · « الثوريون » يعتبرونها سياسة ضعف التنازلات تقدمها السياسة الخارجية السوفياتية للامبريالية والرأسمالية عموما · و « البورجوازيون » يعتبرونها

---

(١) بريجنيف ، ل : السياسة الخارجية للحزب الشيوعي السوفياتي والدولة السوفياتية · موسكو ١٩٧٣ ، ص٥١٧ ·

سياسة مراوغة وتمويه من جانب الاتحاد السوفياتي لتغطية اهدافه التوسعية في العالم ولخدمة مصالحه الاستراتيجية والاقتصادية · وهناك اتجاه ثالث يعتبر التعايش السلمي بمثابة « سياسة تنازلات متبادلة » بين العالمين الاشتراكي والرأسمالي ، جاءت نتيجة « تقارب » بين الاشتراكية والرأسمالية ، وان هذا « التقارب » الايديولوجي نشأ بدوره عن تقارب احدثته « الثورة التكنولوجية » في المستويات الاقتصادية بين الدول الرأسمالية والاشتراكية ، وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ·

ويذكر المنظرون السوفيات فكرة التقارب على أساس ان الانتصارات التي حققتها سياسة التعايش السلمي في الفترة الاخيرة في مضمار العلاقات الدولية ليست وليدة « حسن نية » الدول الامبريالية ، وانما اضطرارها للتسليم بتعاظم قوة المعسكر الاشتراكي ، وخاصة الاتحاد السوفياتي ، استراتيجيا واقتصاديا وسياسيا · وبالتالي فان الجانب الذي يقدم تنازلات هو المعسكر الامبريالي ، الذي اضطر للتخلي عن احلام القضاء عى الدولة الاشتراكية الاولى ، وللتسليم بتأييد شعوب العالم ـ بما فيها شعوب الدول الامبريالية نفسها ـ لسياسة التعايش السلمي لالتقائها مع مصالح جميع الشعوب ·

ويصف المنظرون للسياسة الخارجية السوفياتية التعايش السلمي بأنه « **شكل نوعي من اشكال الصراع الطبقي يشن في جميع انحاء العالم ، ويجري في المجالات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية** » (١) · ويبدو التعايش السلمي بشكل خاص ، وبقوة خاصة ، في المجال الايديولوجي حيث لا يمكن في هذا المجال ايجاد حلول وسط · « **ان التعايش السلمي لا يشمل الميدان الايديولوجي ولا ميدان الصراع الطبقي** » · ولهذا يولي واضعو السياسة الخارجية السوفياتية اهمية اكبر باستمرار لما يعتبرونه جهود الامبريالية لشق صفوف البلدان الاشتراكية واضعاف وحدتها ، حيث « **يبحث الامبرياليون عن الحلقات الضعيفة في الجبهة الاشتراكية ويطبقون سياسة التشويش الايديولوجي في البلدان الاشتراكية ، ويحاولون ان يؤثروا على تطورها الاقتصادي ، وان يزرعوا الفوضى ويدقوا الاسافين فيما بينها ، وان يحركوا ويؤججوا المشاعر والاتجاهات القومية ، وان يعزلوا بلدانا اشتراكية ليشدوا الخناق عليها فيما بعد واحدة واحدة** » · (٢)

ولعل مثال احداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ يدل دلالة قاطعة على ان الاتحاد السوفياتي يضع في قمة اولويات سياسته الخارجية الا يفهم العالم

---

(1) Morkovinkov , S. , Soviet Foreign Policy : A Factor for Peace and Progres , International Affairs , Moscow Nov. 1974 .

(٢) بريجنيف : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ ·

**الامبريالي من سياسة التعايش السلمي ان لدى الاتحاد السوفياتي اي استعداد للمهادنة في وجه اي خطر يتهدد النظام الاشتراكي في دولة متاخمة للاتحاد السوفياتي ، عضو في حلف وارسو ، تحتل موقعا استراتيجيا هاما في قلب القارة الاوروبية . واذا سرنا مع هذا المثل نفسه وجدنا وجها آخر لهذه الحقيقة ، وهو ان المعسكر الامبريالي ـ برغم الضجيج الشديد الذي احدثه ابان** ازمة تشيكوسلوفاكيا ـ قد ابتلع غصته ، ولم يتوقف عن تقديم « التنازلات » للمعسكر الاشتراكي بعد ذلك مباشرة .. وهي تنازلات تمثلت في الاعتراف نهائيا بالدولة التي اوجدتها نهاية الحرب العالمية الثانية في اوروبا ، وفي الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية ـ حتى من جانب المانيا الاتحادية ( الغربية ) ـ وفي التوصل الى اتفاقات للتعاون الاقتصادي والتكنولوجي ... وكلها وغيرها خطوات لم تكن متصورة الى ما قبل سنوات قليلة من اتخاذها .

### الواقعيون .. والعدوانيون

وتعتمد السياسة الخارجية السوفياتية في اطار مبدأ التعايش السلمي التمييز بين اجنحة « واقعية معتدلة » واخرى « عدوانية » بين الدول البورجوازية . ويرجع هذا التمييز الى **لينين** ايضا . فقد كان يقول : « **لا يمكن ان نكون غير مبالين لمسألة معرفة ممثلي المعسكر البورجوازي الذين يميلون الى حل عسكري للمشكلة ، والذين من بينهم يميلون الى السلمية** » (١) . ويردد بريجنيف المعنى نفسه في عبارة اخرى : « **اننا نميز في المعسكر الرأسمالي جناحا اكثر اعتدالا ، وممثلوه ـ مع بقائهم اعداء طبقيين وايديولوجيين لنا ـ يقيمون بشكل واضح نسبة القوى الحالية في العالم ، ويميلون الى البحث عن حلول مقبولة من الطرفين للمسائل العالمية المختلف عليها . وتأخذ دولتنا هذه الاتجاهات بعين الاعتبار في تطبيق سياستها الخارجية** » (٢) . وفي عبارة ثانية يذهب الى حد القول : « **ان الدور الحقيقي والوزن السياسي لدولة ما يقاس اليوم بقدرتها على ادراك الاهمية التي يرتديها الحفاظ على السلم وتعزيزه ، وباعمالها الملموسة لحل هذه المسألة الاكثر الحاحا في عصرنا . ولا نستطيع في هذا المجال الا ان نقدر رجال الدولة في البلدان الرأسمالية الذين يحاولون تخطي جمود الحرب الباردة والانخراط في طريق جديد ، طريق الحوار السلمي مع دول النظام الاجتماعي الآخر** » .

وهكذا تظهر اثناء ممارسة مبدأ التعايش السلمي اعتبارات تتعلق بمتغيرات تفصيلية، كهذا المتغير الذي يتوقف على تقييم مواقف دول معينة او قادة ورجال

---

(١) لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٢ ، ص ٢٦٨

(٢) بريجنيف : المصدر السابق ، ص ١٩١

دولة معينين في المعسكر الامبريالي والرأسمالي ، وما اذا كانت تلك المواقف سلمية ام لا · ومرة اخرى فان الامور لا تكون عادة بهذه الدرجة من البساطة · فان رئيسا للولايات المتحدة مثل ريتشارد نيكسون ابدى اقصى الاستعدادات ، بالمقارنة بغيره ، فيما يتعلق بسياسة الانفراج الدولي ، وكان صاحب اكثر قرارات الحرب العدوانية في فيتنام تطرفا ودموية ·

**وفيما يتعلق بالقضية العربية فان الاتحاد السوفياتي ـ في هذا الجانب نفسه ـ قد عرض نفسه لكثير من التحفظات ـ ان لم نقل الاتهامات ـ لانه كانت له رؤية تسلم بضرورة الحل السلمي ، فيما بدا ان من المستحيل في ظل الموازين القائمة في الشرق الاوسط ، ارغام الدولة الصهيونية ومن ورائها التاييد الامبريالي ، على القبول بحل سلمي يقر بالحقوق المشروعة للامة العربية ، وفي مقدمتها حقوق الشعب الفلسطيني · كما كانت له رؤية تسلم بوجود دولة اسرائيل، على الرغم من مناقضة ذلك للاعتبارات الايديولوجية الماركسية التي ترفض قيام كيان ـ دولة ـ وطن على أسس عرقية او دينية ·**

وهنا فان المسافة بين التأييد الذي قدمته السياسة الخارجية السوفياتية للقضية العربية في الممارسة العملية ، وبين ما انتظر منها على أسس نظرية مجردة تحولت الى سلاح في أيدي القوى التي تعمل لابعاد الدور السوفياتي عن المنطقة ، سواء لقناعات ايديولوجية او طبقية او استراتيجية او سواء كانت هذه القوى تنتمي للمنطقة نفسها او تقع خارجها ·

ومع ذلك فانه من الجدير بالملاحظة ونحن نمس هذا « المتغير » في اتجاهات السياسة الخارجية السوفياتية ان نعي كيف استمر التأييد السوفياتي للقضية العربية مبدئيا ، برغم تقلبات عديدة تعرضت له سياسات بلدان المنطقة ونظمها نحو الاتحاد السوفياتي نفسه ، ومصالحه الاستراتيجية والاقتصادية · وعلى سبيل المثال فان موقف التأييد الذي اتخذه الاتحاد السوفياتي من العرب ابان حرب تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ جاء في اعقاب اجراء اضر ـ ولو معنويا ـ بالاتحاد السوفياتي بصورة عميقة ، وهو اجراء اقصاء الخبراء السوفيات من مصر في تموز ( يوليو ) ١٩٧٢ ، بل ان استجابة الاتحاد السوفياتي السريعة لهذا القرار نفسه حين صدوره كانت تأكيدا لمبدئية السياسة الخارجية السوفياتية ، فيما يتعلق بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى ·

وقبل ذلك فان تأييد الاتحاد السوفياتي للبلدان العربية في أعقاب الهزيمة العسكرية في حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، وكان أهم جانب فيه هو الدعم العسكري والمساهمة الكبيرة في عملية اعادة بناء القوات المسلحة المصرية والسورية ، كان تاكيدا لتبعية « التغير » في الموقف السوفياتي لعامل قدرة

الطرف المقصود بالمساعدة على الاستفادة منها ، وعلى التماسك سياسيا فـي مواجهة الضغوط الامبريالية برغم الهزيمة العسكرية .

ولا يزال الاتحاد السوفياتي ، رغم التهجمات الكبيرة التي تتعرض لهـا سياسته في اقطار عديدة من الوطن العربي ، محتفظا بموقف التأييد المبـدئي للقضية العربية ... وان كانت قد طرأت « متغيرات » غير أساسية على مواقفه ازاء بعض النظم التي تشارك في هذه التهجمات ، او التي اختارت التعاون مباشرة مع الامبريالية الاميركية ، ليس فقط في البحث عن « تسوية » لازمة الشرق الاوسط ، بل في حرب العداء للشيوعية وللاتحاد السوفياتي ، بمستويي هذه الحرب : العسكري والايديولوجي .

ويمكننا ان ندرج هذه الانواع من « المتغيرات » تحت بند واحـــد ، يشمل المتغيرات التي يفرضها مستوى نمو ونضوج حركة التحرر الوطني او التحرر الاجتماعي في هذا البلد او ذاك ، في هذه المنطقة او تلك من العالم .

ويدرك واضعوا السياسة الخارجية السوفياتية بوضوح حقيقة انه « **لا يتعلق كل شيء في السياسة الخارجية بالاتحاد السوفياتي وحلفائه فقط . ولا نتقـدم دائما ، وفي اي مكان كما نريد وبقدر ما نريد . لكن حصيلة السياسة الخارجية السوفياتية واضحة .. فمواقع الاتحاد السوفياتي الدولية هي أقوى وامتن . ونفوذه اكبر ، وهناك حماية لجهد السوفيات السلمي** » . (١)

## نجاح الاستراتيجية .. وفشل التكتيك

وتعني هذه العبارة . بين ما تعنيه ، ان متغيـــرات السياسة الخارجيـــة السوفياتية مرهونـــة بعوامل خارجية بالدرجـــة الاولى . ويصف بريجنيف « اسلوب » ممارسة هذه السياسة في مواجهة الامبريالية في هذه العبارة : « **تبين التجربة ، انه من أجل الانتصار على عدو بقوة الامبريالية وبمكرها ، يجب ـ بالاضافة الى الحزم وارادة النضال التي لا تتزعزع ، التصـدي لـــه بالحساب السياسي المنطقي وبضبط النفس وبرودة الاعصاب . فالشيوعيـون يواجهون هذا العدو باستراتيجية تستند على التحصيل العلمي لميزان القوى داخل البلاد وعلى الصعيد العالمي . يواجهونه بتكتيك واشكال ووسائل للنضال تأخذ بعين الاعتبار الظروف المحسوسة بقدر الامكان** » . (٢)

ويستطيع المرء ان يعثر في عبارة بريجنيف هذه على رد ـ يبدو وكأنه مباشر

---

(1) Zagladin, V. The Leninist Strategy of Soviet Foreign Policy, Social Sciences, Moscow, No. 4, 1974.

(٢) بريجنيف : المصدر السابق المذكور ، ص ١١٥ .

ومقصود ـ على النقد الذي يوجه غالبا الى « اسلوب » السياسة الخارجية السوفياتية ـ حتى من قبل بعض اصدقاء الاتحاد السوفياتي والمؤمنين بمبدئية سياسته ـ وهو النقد القائل بأن هذا الاسلوب يشوبه بطء الاستجابة ، وخاصة بالمقارنة بسرعة التصرف لدى القوى الامبريالية والقوى اليمينية عموما في صراعاتها ضد المعسكر الاشتراكي وضد حركات التحرر الوطني والحركات الاجتماعية التقدمية · ويمكننا ان نجد في عبارة بريجنيف تبريرات او تفسيرات لهذه الظاهرة ، تتمثل في استخدامه جملا مثل « ضبط النفس » و « برودة الاعصاب » و « الاستناد الى التحليل العلمي لميزان القوى » · فالذي يعتبره منتقدو اسلوب السياسة الخارجية السوفياتية احد عيوب « البيروقراطية » في النظام السوفياتي ، تفسره عبارة بريجنيف بأنه ضرورة يمليها التناول العلمي التحليلي الموضوعي المجرد من الانفعالات ·

فهل يمكن اعتبار هذا « الاسلوب » احد ثوابت السياسة الخارجية السوفياتية ؟

يذهب بعض التفسيرات الى ان الاتحاد السوفياتي يركز في وضع قرارات سياسته الخارجية على المسائل الاستراتيجية ـ البعيدة المدى ـ التي تستغرق بطبيعتها وقتا وجهدا ولا تعطي نتائج سريعة ، وانما تأتي نتائجها في فترات لاحقة · وان هذا هو السبب في ان الاتحاد السوفياتي يخسر كثيرا ـ ولو على المستوى الدعائي فحسب ـ في كثير من المواجهات التكتيكية مع الامبريالية ، بل حتى في مواجهات مع قوى اصغر · وان هذا يؤدي في المحصلة النهائية ـ في بعض الاحيان ـ الى التأثير على نتيجة المواجهات الاستراتيجية · وهو أمر ينطوي على اخطاء حسابية في تقدير اهمية ما هو تكتيكي ·

ويعتبر مثال العلاقات السوفياتية ـ المصرية في السنوات الاربع الاخيرة المثال النموذجي عندما تذكر هذه الفكرة عن اهتمام السياسة الخارجية السوفياتية بالاستراتيجية دون التكتيك · فقد خسر الاتحاد السوفياتي الكثير من مواقعه في مواجهات تكتيكية خلال تدهور هذه العلاقات . ولكنه لا يزال يبني مواقفه في المدى الاستراتيجي على أساس ان تأييده ـ الاستراتيجي ـ للشعب العربي في مصر ، في قضاياه القومية والاجتماعية . وما سبق ان قدمه من مساعدات واتخذه من مواقف يشكل رصيدا يعتمد عليه بالنسبة لمستقبل العلاقات العربية ـ السوفياتية · وبطبيعة الحال فانه تتدخل هنا عوامل واعتبارات اخرى خلاف اعتبار الاولوية التي يعطيها السوفيات للاستراتيجية على التكتيك ·· عوامل واعتبارات خارجة عن تأثيرات السياسة الخارجية السوفياتية نفسها · مثل عوامل تنامي الدور الاميركي ، والدور العربي التقليدي المناهض بل المعادي للسوفيات والذي نما مع تعاظم دور النفط العربي ـ عربيا وعالميا ـ وكذلك العوامل الذاتية التي لا يمكن اغفالها والتي تدل

الظواهر على انها تلعب دورا بالنسبة لتحديد سياسات بعض القادة ازاء الاتحاد السوفياتي والشيوعية ·

## العرب ·· وافريقيا ·· وآسيا

على انه رغم كل تلك العوامل يبدي مخططو السياسة الخارجية السوفياتية ـ ويؤيدهم في ذلك محللون سياسيون حتى في الغرب ـ ثقة كبيرة بأنه عندما لا يعود أمام العرب من خيار الا الحل العسكري ، فان طريق الحرب سيقودهم حتما مرة اخرى نحو موسكو · (١)

وربما ينطبق على أفريقيا ما ينطبق على العرب ، وهو ما انطبق **قبل ذلك على آسيا ·· حيث وجهت الانتقادات نفسها الى السياسة الخارجية السوفياتية ازاء حروب الهند الصينية : فيتنام ولاوس وكمبوديا · طوال الفترة التي استغرقتها تلك الحروب ضد العدوان الاميركي كان الاتحاد السوفياتي متهما بالمهادنة ، او السلمية ، او على اقل تقدير منتقدا ببطء الاستجابة · وظل تشاؤم مكتوم ـ غير معبر عنه غالبا ـ سائدا بين معظم ممجدي البطولات الفيتنامية حتى وهم يعبرون عن ثقتهم الاكيدة في ان انتصار فيتنام في النهاية آت لا ريب فيه · وكان مصدر** التشاؤم اعتقاد بأنه بدون موقف اكثر هجومية من **جانب الاتحاد السوفياتي فان حرب فيتنام قد لا تنتهي ابدا · ولكن السياسة الخارجية السوفياتية كانت تمارس مبادئها الاساسية واسلوبها ، بثوابتها ومتغيراتها ، محكومة باعتباراتها الايديولوجية والاستراتيجية والسياسية ، ومحكومة ايضا باعتبارات عالمية ، ربما كان أهمها تأثير عامل النزاع السوفياتي ـ الصيني** · وهو احد العوامل التي اسهمت في اطالة زمن المأساة ـ البطولة الفيتنامية كأحد الصراعات الاساسية التي سادت السنوات الاخيرة حتى انتهت الى نتيجتها الايجابية ·

وللسياسة الخارجية السوفياتية تقسيم محدد لانواع الصراعات الباقية في العلاقات الدولية في الوقت الحاضر ، اي في زمن النجاح النسبي لمبدأ التعايش السلمي ولسياسة الانفراج الدولي · فهناك خمسة انواع من الصراعات :

- الاول ، الصراعات الناشئة عن التناقض الرئيسي في الحقبة الحاضرة ، **بين الاشتراكية والرأسمالية** · وفيها يكاد ينحصر الصراع في المجال الايديولوجي ·

- الثاني ، الصراعات الناشئة عن التناقضات **بين الامبريالية وحركة التحرر**

(1) Dawisha , Dr. Karen , Soviet Union in the Middle East . Setback or Comeback ?' Middle East , monthly , London , July 1977 .

**الوطني**، وفيها تحاول الامبريالية ان تحل التناقض بواسطة الحروب الاستعمارية المحدودة والاقليمية ·

● الثالث ، صراعات مصدرها التناقضات القائمة بين **الدول الامبريالية ، والدول المتقدمة عامة من ناحية ، والدول المستقلة النامية ــ دول العالم الثالث ــ من ناحية اخرى** · وتحاول الامبريالية حل هذه التناقضات لمصلحتها ايضا عن طريق اساليب الهيمنة الاقتصادية على اختلاف اشكالها ، واخطرها في الوقت الحاضر الشركات المتعددة الجنسية ·

● الرابع ، صراعات تنشأ عن **صعود قوى شوفينية ــ قومية ضيقة الافق ومتعصبة ــ الى السلطة** في بعض البلدان ، مما يجعلها تتخذ خطا سياسيا معاديا لخط السياسة الخارجية للدول الاشتراكية ، وتعمل على اثارة واستفزاز الصراعات العسكرية والسياسية المحلية · والمثال الاساسي الذي ترى فيه السياسة الخارجية السوفياتية نموذجا لهذه القوى هو الصين بسياساتها الحالية ·

● الخامس ، صراعات تنشأ عن تناقضات حادة ومتفجرة في العلاقات الدولية تتحول في المواجهة بين بعض الدول الى صدامات مسلحة ، وهي صدامات تسبقها عادة ازمات اقليمية تنشأ عن **سياسة قوى عدوانية ورجعية** · والمثال عليها هو اسرائيل ، وحروبها العدوانية ·

## الصراع الاول والاخير

ومما لا شك فيه ان النوع الاول من الصراعات ــ التناقضات يحتل مكان القمة في اولويات السياسة الخارجية السوفياتية · ذلك ان هذا النوع من الصراعات كان يتصل بشكل مباشر في المراحل السابقة بالحفاظ على الدول الاشتراكية الاولى ، ثم بصيانة امن مجموعة الدولة الاشتراكية ، التي ظهرت اثر الحرب العالمية الثانية وتحت تأثير انتصار الاتحاد السوفياتي ونمو نفوذه الدولي · وهو يتصل بشكل مباشر ايضا في المرحلة الحالية بالحفاظ ــ على الاقل ــ على التوازن الاستراتيجي بين قوى المعسكرين ، وخاصة الاتحاد السوفياتي من ناحية ، والولايات المتحدة من ناحية اخرى ·

وهكذا فان من ثوابت السياسة الخارجية السوفياتية اعطاء الاولوية لمشكلات الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية · ولكن ضمن هذا الاطار الثابت ظهرت متغيرات في استراتيجية الاتحاد السوفياتي في تحقيق اهداف سياسته · فنجد انه في اطار الحرب الباردة التي اتسمت بمجابهات حادة اتجهت الاستراتيجية السوفياتية اولا الى تثبيت وتقوية النظم الاشتراكية التي تشكل خط الدفاع الاول

عن الاتحاد السوفياتي نفسه ، عن طريق سلسلة من المعاهدات الثنائية الطويلة الاجل مع كل من هذه الدول ، مع حرص شديد على الالتزام الايديولوجي لدى هذه النظم · ثم اتجهت الاستراتيجية السوفياتية ـ في تغيير اخر ـ الى اقامة حلف جماعي كبير هو حلف وارسو ليكون الاداة الرئيسية للمواجهة ضد حلف الاطلسي ·

**وخلال الفترة التي شهدت تغيرات في الاستراتيجية السوفياتية الامنية كانت تحدث تغيرات اخرى في فهم الوضع العالمي للكتلتين · فتحول الاتحاد السوفياتي عن تصوره السابق ـ المخالف للواقع ـ بأن العالم الامبريالي على وشك الانهيار تحت ضغط التناقضات الحادة التي كانت تتفاعل في كيانه او بفعل الاستنزاف الاقتصادي ، والافلاس العقائدي الذي عانى منه العالم الامبريالي في اعقاب الحرب ونتيجة لها ·**

والحقيقة انه كان هناك تصور مخالف للواقع ايضا ومواكب لهذا التصور السوفياتي ، لدى المعسكر الامبريالي ، تصور بأن « الكتلة السوفياتية كانت محكومة بالحديد والنار وان ضغط الغرب عليها بالحصار الاقتصادي والاحتواء الاستراتيجي والهجوم الدعائي كان من المفترض ان ينتهي على الاقل بانهيار التحالف بين اوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي ، الامر الذي يسهل بعد ذلك استفراد الغرب به والقضاء عليه » ·

ويميل معظم المنظرين الغربيين لان يعزوا هذا التغير ـ الذي يعكسه الفرق بين ممارسات الاتحاد السوفياتي السياسية الخارجية في عهد ستالين وممارساته في عهد ما بعد ستالين ـ الى « المتغير التكنولوجي » ، وخاصة المتغير المتمثل في التطور النووي الهائل لدى الكتلتين (١) · ولكن هناك متغيرات اخرى لعبت دورها ، منها اتساع وتعمق النزاع السوفياتي ـ الصيني ، وازدياد قوة النفوذ السياسي العالمي لجبهة عدم الانحياز ، وقد كان تأثيرها ايجابيا لصالح الاتحاد السوفياتي في مرحلة، ثم اخذ هذا التأثير الايجابي ينحسر عنه في مرحلة تالية·

ومع التغيرات الايجابية والتغيرات السلبية على السواء ، وان كان رأي الاتحاد السوفياتي دائما ان التغيرات على المدى البعيد هي ايجابية لصالح الطبقة العاملة ، والشعوب المناضلة من أجل الحرية والتقدم ، فان هذه التغييرات في رأي صانعي السياسة الخارجية السوفياتية ، « **لا تعني ابدا ان التناقض بين نظامين اجتماعيين ، الاشتراكية والرأسمالية ، قد توارى · فالدول البورجوازية تبقى بورجوازية ، والاشتراكية اشتراكية · فلا يمكننا ان ننسى ان هناك دولا**

---

(1) Kissinger , H. , Nuclear Weapans and Foreign Policy , New York 1963 , PP. 224 — 253 .

**حيث القوى النافذة فيها تريد ان يكون العالم دائما عرضة للتوتر ، وان تزداد مخصصات الحروب ، وان يستمر سباق التسلح »** ٠ (١) ويتضح ان الاتحاد السوفياتي ، خاصة منذ ان اصدر برنامجه من اجل السلام الذي عرف باسم « هجوم السلام » ابان انعقاد المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي في عام ١٩٧١ ـ لا يعطي اولوية لقضية السلام فحسب ، بل انه يعتبر ان هذا « الهجوم » يتقدم بنجاح وان البرنامج يجري تطبيقه خطوة خطوة ٠

واذا كانت نظرية السياسة الخارجية السوفياتية متمثلة في هذا البرنامج تعتبره برنامجا يعكس بأمانة ايديولوجية الماركسية ـ اللينينية ومبدأ الاممية البروليتارية ومبدأ التعايش السلمي ، فان النظرية نفسها تعتبر انه « **من قبيل التبسيط المخل ان نحاول ان نرى تنفيذا مباشرا لقضايا ايديولوجية في كل فعل دبلوماسي محسوس ، وان نتطلع الى مبدأ متصور تصورا مسبقا في كل قرار من قرارات السياسة الخارجية ٠ ان الايديولوجيا تحدد فقط نقطة الانطلاق العامة والاتجاه العام للسياسات الخارجية التي تنتهجها الدول والحكومات ٠ أما الطرق المحسوسة لتنفيذ السياسة فتعتمد على ظروف كثيرة** » ٠ (٢)

ان دولة اشتراكية مثل الاتحاد السوفياتي يمكن ان تخطط اقتصادها تخطيطا شاملا وتفصيليا لادق الحدود ، وفق ثوابت ومتغيرات محددة يملك العلم الاقتصادي قدرة التنبؤ بها ٠٠ ولكن السياسة ـ حتى لدى من يصوغونها علما وفق منهج علمي وفلسفة موضوعية ـ لا تزال تستعصي على التخطيط بمثل هذا المعنى الذي يعنيه التخطيط الاقتصادي ٠

---

(١) بريجنيف : المصدر السابق ، ص ٥٦١ ٠

(2) Voronov , A. op. cit.

جيروم شاهين

# اتحاد اليسار الفرنسي والصراع على السلطة

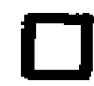
الصراع السياسي على الساحة الفرنسية يحتدم اكثر فأكثر ويوما بعد يوم · فمعركة ربيع ١٩٧٨ الانتخابية على الابواب · وجبهة الاحزاب اليسارية الثلاثة تبدو وكأنها تشعر مسبقا بضمانة نجاحها في الانتخابات البرلمانية التي ستجري في ربيع ١٩٧٨ · المؤشرات التي تدعم مثل هذا الشعور عديدة · منها ما هو بعيد ومنها ما هو قريب · « فوحدة اليسار » التي تمت في ١٢ اذار ١٩٧٢ وتوصلت الى اتفاق حول « برنامج مشترك » يكون منهاجا للحكم ، كانت اول مؤشر لامكانية تنظيم جبهة قوية تستقطب حولها الجماهير وتتمكن من رسم خطة تصل بها الى سدة الحكم ، ومن ثم الى تحويل المجتمع الفرنسي الى مجتمع اشتراكي · تلا ذلك مؤشر اخر وهو عدد الاصوات التي نالها فرنسوا ميتران مرشح اليسار في انتخابات رئاسة الجمهورية في أيار ١٩٧٤ · فقد نال جيسكار ديستان في الدور الثاني ، في ١٩ ايار ١٩٧٤ ، ( ٥٠ر٨١٪ ) بينما نال ميتران ( ٤٩ر١٩٪ ) من اصوات المقترعين · أما في الدور الاول ، في ٥ أيار ١٩٧٤ ، فقد نال ميتران ( ٤٣ر٢٤٪ ) وديستان ( ٣٢ر٦٠٪ ) وتوزع سائر الاصوات عشرة مرشحين اخرين · أما المؤشر الاخير فهو انتصار جبهة اليسار في الانتخابات البلدية العامة في ربيع ١٩٧٧ حيث نالت الجبهة ٥٢ بالمئة من المقاعد ·

غير ان شعور الجبهة اليسارية بامكانية انتصارها في انتخابات ربيع ١٩٧٨ قد فجر التناقضات التي تعشش داخل وحدة صفها الظاهري · فما ان انتهى المؤتمر السنوي الاخير للحزب الاشتراكي في حزيران ١٩٧٧ في مدينة « نانت » حتى بدأت معركة داخلية ضمن صفوف الاتحاد اليساري شغلت وما

زالت تشغل الرأي العام الفرنسي وكذلك الرأي العام العالمي ·

١٤ ايلول ١٩٧٧ كان موعد اركان الاحزاب اليسارية المتحالفة ، ميتران عن الاشتراكيين ومارشيه عن الشيوعيين وفابر عن الراديكاليين اليساريين · كان هدف اللقاء تصفية الخلافات الناشبة حول تصور كل فريق لمسألة تحديث وعصرية البرنامج المشترك ، وبالتالي الوصول الى نص جديد معدل لبرنامج ١٩٧٢ ·

الخلافات لم تحل ، بل تفاقمت · واللقاء تعثر وانقطع · فقد انسحب فابر من الاجتماع تاركا وراءه حليفيه مذهولين ومرتبكين والرأي العام الفرنسي متسائلا · اليمين هلل لانفجار الازمة في صف اليسار · واليسار راح يلملم صفوفه التي بدأت تتبعثر · القطيعة لم تكن تبدو بعد نهائية · جمع اقطاب اليسار شملهم وعادوا الى الاجتماع مرة اخرى في مؤتمر قمة ما بين ٢٢ و ٢٣ ايلول الماضي · لكنهم افترقوا مرة اخرى على خلاف قد يكون عميق الجذور وخطير النتائج · وما زالت الانظار متجهة شطر اليسار لمعرفة الموقف النهائي الذي سيتخذه كل حزب من مسألة الوحدة ، وبالتالي من مسألة التحالف في سبيل خوض المعركة الانتخابية المقبلة ·



من هنا نرى ضرورة طرح بعض الاسئلة ومحاولة الاجابة عليها · من أهم هذه الاسئلة : سمات المرحلة الراهنة في الساحة الفرنسية ، ووضع كل من القوى السياسية فيها · تحليل طبيعة وخلفيات تحالف اليساريين وخلافاتهم · وبالتالي حظ اليسار في الوصول الى السلطة والعقبات التي تعترض طريق هذا الاخير في تحقيق غايته ·

سنحاول في هذا الجزء من البحث تحديد الاطار السياسي والاقتصادي العام الذي يدور فيه صراع المحاور السياسية الفرنسية الرئيسية · ونأتي ، من ثم ، الى تحليل طبيعة تحالف اليسار لنصل منه الى كشف النقاط التي يلتقي عندها والنقاط التي يختلف حولها ، وهي في الصميم تدور حول موقف اليسار من السلطة سواء داخل وحداته ام بمواجهة خصومه ·

وفي مقالة ثانية سنركز على بعض النقاط التي يمكن اعتبارها مسائل نموذجية ومحكا لتحديد صلابة او هشاشة التحالف اليساري من جهة ، ومدخلا لفهم طبيعة النمط الاشتراكي الذي يسعى اليه فعلا التكتل اليساري من جهة اخرى · وابرز مثال في هذا الشان هو موقف كل حزب من احزاب اليسار حول مسألة السياسة الدفاعية الوطنية ، وبالتحديد مسألة القوة النووية · وما يترتب عن ذلك من نتائج تحدد طبيعة العلاقة ما بين القوى السياسية الفرنسية وبين محوري موسكو وواشنطن ·

اما في المقالة الثالثة فاننا ننطلق من موقف اليسار الفرنسي من مسألة وحدة اوروبا لنطرح مسألة السياسة العربية لدى حكومة يسارية مقبلة ، وبالتالي مصلحة العرب في وصول اليسار او عدم وصوله الى الحكم · ونأخذ ، على سبيل المثال ، موقف اليسار الفرنسي من القضية الفلسطينية ·

## سمات المرحلة الراهنة

ان المرحلة التي تمر بها فرنسا ، الان ، هي ، بدون شك ، من اصعب المراحل· فبينما تجد المجتمع الفرنسي شبه منقسم الى جبهتين شبه متساويتين ، جبهة تتعاطف مع اليسار واخرى مع اليمين ، نجد ان هاجس كل من الجبهتين هو الخروج من الازمات التي يتخبط بها المجتمع الفرنسي منذ عشرين عاما ، وقد تفاقمت تفاقما كبيرا في السنوات الاخيرة ·

فاذا اكتفينا فقط بتعداد المشاكل يتضح لنا اتساع الازمة وعمقها ·

ـ مشكلة البطالة تزداد يوما بعد يوم ( لقد اصبح ما يزيد عن المليون فرنسي عاطلا عن العمل ) ·

ـ نسبة التضخم المالي تزداد ايضا ·

ـ وكذلك نسبة القروض التي تلجأ اليها الدولة تتسع ·

ـ بينما الذخيرة في العملة تتدنى حتى بلغت نصف ما كانت عليه ·

ـ من جهة اخرى ، اتسعت الهوة التي تقسم المواطنين فيما يتعلق بالمساواة الاجتماعية فيما بينهم ، وذلك لان الاستهلاك لدى الفئة الاقلية في تصاعد مستمر بينما بدأت عند الفئة الاخرى ظواهر البؤس الحقيقي تظهر بوضوح اكبر فأكبر وتتسع حدتها ·

ـ بالنسبة للعمال ، لم تقصر ساعات العمل ، بينما ازدادت مشقة العمل بسبب اتساع رقعة العمل الموظف في قطاعات الانتاج الصناعي ·

ـ ظاهرة تفكك وانحلال بعض مؤسسات الخدمات العامة الاساسية تتعاظم : فهناك عدد من الجامعات في باريس والضواحي وفي بعض المقاطعات الاخرى على وشك الاغلاق · والخدمة الصحية في قطاع التعليم لم تعد ، تقريبا ، موجودة · والضمان الاجتماعي تنهب امواله المصالح الراسمالية المختلفة · البناء الاجتماعي مشلول · الهيئة التي تعنى ببناء الطاقة الذرية هي ايضا مشلولة · ونرى في قطاع البريد مؤسسة خاصة تعود الى التكون ·

وهوذا فرنسوا ميتران نفسه يعطي وصفا لهذه الحالة ، مركزا على عجز الحكم

القائم · هذا الوصف اتى في سياق خطابه الطويل الذي ألقاه ابان انعقاد مؤتمر الحزب الاشتراكي العام ، لهذه السنة ، في مدينة « نانت » الفرنسية · قال : « لقد احصيت بمنتهى الدقة والامانة مجموع ما وعدت به الشعب ، منذ ثلاث سنين ، الاحزاب المسؤولة ، بما فيها وعود رئيس الجمهورية · وهكذا فان « برنامج ( اليمين ) المشترك » سوف يجر عجزا في الموازنة العامة يقدر بـ ٥٥ مليار فرنك فرنسي سنة ١٩٧٨ ، و١١٧ مليارا سنة ١٩٨٠ ، و ١٥٤ مليارا سنة ١٩٨١ » (··) ثم يصل ميتران الى النتيجة التالية : ان هذا الامر يؤول الى « عجز يحتم مضاعفة الضرائب على المدخول · يتدهور الاقتصاد من جراء ذلك · وتتساقط قيمة الفرنك الشرائية ويزداد التضخم المالي بمعدل ١٥٪ على الاقل · وتوضع مصداقية فرنسا موضع شك على المستوى الدولي · وتمسي فرنسا في عجز عن ان تفي بتعهداتها ضمن اطار السوق المشتركة » (١) ·

جميع هذه الظواهر تعني ان أزمة الرأسمالية تتعمق ، تجر وراءها سيلا من الالام والمصاعب والمتاعب : صرف عمال وموظفين ، افلاسات ، غلاء معيشة ، بطالة ، وبالنسبة للعدد الاكبر قلقا متزايدا ويأسا لدى صفوف الشبيبة ·

هذه الازمة التي هي ، في الوقت نفسه ، أزمة مجتمع ، وعلى الصعيد العالمي أزمة الرأسمالية ، تجد اليمين الحاكم عاجزا عن حلها او عن الحد من تفاقمها ·

ضمن هذا الاطار نجد ان ميزان القوى المتصارعة على الساحة يحمل في كفتيه : القوى اليمينية والقوى اليسارية ·

فمن جهة هناك **الجبهة التاريخية البورجوازية** : هيمنت ما بعد الحرب ، وهي اليوم تتقهقر رويدا رويدا تحت ضغوط البورجوازية الدولية الجديدة المرتبطة مباشرة بالمصالح الامبريالية الاميركية ، عبر محطاتها في اوروبا الغربية في سياق تدويل الرأسمال بطريقة ثابتة · لكن ، هذا لا يعني ان سياسة البورجوازية الدولية لم ولن تلاقي عقبات في تحقيق اهدافها ( يكفي ان نذكر في هذه العقبات التناقضات الخاصة المعششة في الجمهورية الفرنسية «كالديغولية» في بعض ظواهرها لا سيما في انسحابها من « الاوتان » OTAN وفي نظرتها الى دور فرنسا والى استقلاليتها الوطنية ) · غير ان مجيء بومبيدو الى الحكم ، خاصة ، ديستان ، حسن في مواقع هذه البورجوازية الدولية · فالتحالف التقليدي ، اي تحالف البورجوازية الكبرى ، والبورجوازية الوطنية والطبقات الوسطى ( الفلاحون ، التجار الصغار ، الحرفيون ، الخ ·· ) هو في موقع اعادة نظر جدية · اعادة النظر هذه ترغمه على اعادة بناء البورجوازية على نمط حديث يراعي المعطيات الجديدة ·

فالبورجوازية الدولية المهيمنة تسعى لكسب طبقات اخرى في نمو مضطرد عدديا ( التقنيون : كوادر الشركات المتعددة الجنسيات ، والموظفون الكبار المتأثرون بالتحديث على الطريقة الاميركية « Made in U. S. A. »وكذلك المثقفون

الذين وقعوا تحت تأثير الثقافة الاميركية ) بينما هي ، في الوقت نفسه ، تناور لتحتفظ لها ، اكثر ما تستطيع ، بمساندة الطبقات الوسطى التقليدية ·

ومن جهة اخرى هناك **الجبهة التاريخية الجديدة** : فالطبقة العمالية تشكل جبهة طبقية في اتحادها مع الطبقات الوسطى والطبقات الجديدة المتجهة اكثر فأكثر الى وعي بروليتاري ( الموظفون والتقنيون الصغار ايضا ) ·

هنا ، يجدر الحديث ، بايجاز ، عن استراتيجية اليمين في وضع كهذا ، فالانقسامات الاجتماعية هذه تحتم توحيد استراتيجيات مختلف الاقطاب في السلطة : فاليمين يحلم بخلق « اشتراكية ـ ديمقراطية » و « على نمط فرنسي » مستوحى ، ان لم يكن مستوردا الى حد ما ، من النمط الالماني · والطريق لتحقيق هذا الحلم يمر عبر تحالف الطبقات الوسطى ، وعبر قسم من الطبقة العاملة الواقعة تحت سيطرة النقابات « المتعلقة » وعبر البورجوازية · مثل هذا التحالف قد يفسح المجال للحصول على اجماع او اتفاق اجتماعي ضروري لاعادة بناء النظام وترسيخه · هدف هذا النظام ، كما قلنا سابقا ، هو صهر المجتمع الفرنسي في مجتمع اوروبا الغربية الرأسمالية من دون نشاز او خطر اشتراكية تأتي من الجنوب ، في مقابل بعض تنازلات معينة ( اصلاحات على صعيد انظمة الطلاق ، وحق الانتخاب ، ووضع ضريبة على فائض القيمة ·· )·

فلعبة اليمين ، اذن ، تقوم زمنيا على تفسيخ جبهة اليسار ، وسياسيا ، اليوم ، على تفسيخ اتحاد اليسار · فهل يجد اليمين في قلب وحدة اليمين العوامل الكافية لتفسيخ وحدته ضده ؟

## وزن وايديولوجية الحزبين اليساريين الكبيرين في الساحة الفرنسية

ان اتحاد اليسار الفرنسي في جبهة واحدة تضم الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي وحركة الراديكاليين اليساريين ، يشكل قوة كبيرة اذا حافظت على تماسكها ونجحت في رسم سياسة فعالة ، وفي الوقت نفسه ، تحالفا قد يفشل بسبب اختلاف ايديولوجية كل من اعضاء الاتحاد · هذا وان المرحلة الراهنة تشهد ، من جهة ، بوادر انقسام في اليمين بالرغم من ان لحمته ووحدة صفه يبقيان الهاجسين الاكبرين عنده لمواجهة اليسار ولمنع وصوله الى الحكم في انتخابات ١٩٧٨ ، ومن جهة اخرى هناك قناعة اصبحت ثابتة وجلية لدى القوى اليسارية قوامها انه لا بد من اتحادها لكسب المعركة ، وبالتالي فلن يستطيع الحزب الاشتراكي بمفرده ، او الحزب الشيوعي ، كسب الرهان ·

من هنا نفهم قسوة الانتقادات التي يوجهها اليمين الى اليسار ، والحملات التي يشنها ارباب الحكم القائم ليدخلوا ، ليس فقط في ذهن الشعب بل حتى في اذهان اعضاء الحزبين ، ان اتحاد اليسار مسالة يشك ـ ويجب ان يشك ـ

بجديتها ، وانها مجرد تكتيك انتخابي لا اكثر ، ويحاولون ما استطاعوا ان يبرزوا الفوارق الايديولوجية ما بين الحزبين اليساريين الفرنسيين الكبيرين ·

وفي الواقع فان الحزب الشيوعي يختلف ، في تكوينه وقاعدته وايديولوجيته وممارسته ، عن الحزب الاشتراكي الى حد لا يستهان به · فلا عجب بأن يعمل اليمين ما في وسعه لافتعال قطيعة ما بين الشيوعيين والاشتراكيين ·

فالحزب الاشتراكي الفرنسي ، اذ يمثل تيار « الاشتراكية ـ الديمقراطية » ، وفيما هو عضو في الاممية الثانية ، يعتبر اهم الاحزاب اليسارية غير الشيوعية · غير ان وضع الحزب الاشتراكي الفرنسي وضع خاص وطريف ، اذا صح التعبير ، بالنسبة « للاشتراكية ـ الديمقراطية » الاوروبية :

ـ فهو ايديولوجيا ، الاكثر ماركسية ، نسبيا ، ما بين الاحزاب الاشتراكية الاوروبية · وتطوره الاخير ادى به الى اتجاه يساري اكبر ، بعكس ما ادت اليه الاحزاب الاشتراكية في المانيا وايطاليا مثلا ·

ـ مع هذا ، فانه يبقى حزبا اصلاحيا ، او هكذا يعتبر · وتعتبره هكذا ليس فقط الحركة الثورية الفرنسية ، ولكن يعتبره كذلك ايضا حليفه الحزب الشيوعي الفرنسي ·

ـ من الثابت انه يقع على يمين الحزب الشيوعي · ومنذ اكثر من اربعين عاما كانت مشكلته الرئيسية بالنسبة للنظام السياسي الفرنسي هي مشكلة تأرجحه بين تحالف مع الشيوعيين وبين استراتيجية وسطية تحمله على التحالف مع الراديكاليين اليمينيين والديمقراطيين المسيحيين · غير ان الحزب الاشتراكي الفرنسي يؤكد منذ عام ١٩٦٥ انه انتقى الصيغة الاولى ، اي صيغة التحالف مع الحزب الشيوعي · وقد جاءت الانتخابات البلدية الاخيرة العامة ، في شهر نيسان المنصرم ، تؤكد جدية هذا التحالف · لاسيما ان هذه الانتخابات اعطت نتيجة تثبت جدوى مثل هذا التحالف في الظروف الراهنة ·

لنتذكر اهم المراحل التي مر بها النهج الاشتراكي ـ الشيوعي الفرنسي :

أ ـ منذ ١٨٠٢ وفرنسا تشهد تيارات « اشتراكية » تتصارع فيما بينها · غير ان تيارين مهمين ظهرا سنة ١٩٠١ ابان المؤتمر الثالث للمنظمات الاشتراكية في مدينة « ليون » الفرنسية · التيار الاول يشمل المستقلين المعادين للخط الماركسي ، بالاضافة الى عناصر جذرية ، نوعا ما ، تناضل في سبيل الطبقة العاملة وتعطي الاولوية للعمل النقابي · والتيار الثاني هو ماركسي ، يعارض بالاطلاق الاشتراك مع اي حكم بورجوازي اصلاحي ·

ب ـ واتت الاممية الثانية سنة ١٩٠٥ لتوحد هذين التيارين في حزب واحد يسمى الـ S. F. I. O. ( القسم الفرنسي للدولية العمالية ) · او الحزب

الاشتراكي الموحد ، « حزب صراع الطبقات » ، المعارض ، جذريا وبدون هوادة لمجمل الطبقة البورجوازية وللدولة التي تمثل اداة في يد هذه البورجوازية » (من البيان التأسيسي ) ·

ان ما ذكرنا يختصر تاريخ الاشتراكية الفرنسية في مراحلها اللاحقة ، في تناقضاتها ، اي : تأرجح بين خط راديكالي وخط احلامي ، انقسامات تعقبها تحالفات ، تستتبع بانقسامات ثم تعود الى اتحادات اخرى · ونتيجة لهذه التأرجحات نرى القوى الاشتراكية تمر تارة في عهود تكون فيها قوية ، وطورا ، في عهود تتبعثر فيها قواها ، وتضيع مصداقيتها وفعاليتها ·

ج ـ الانقسام الاول حصل سنة ١٩٢٠ في مؤتمر « تور » · فما بين ٢٥ و ٣١ كانون الاول من هذه السنة ، عقد مؤتمر في مدينة « تور » للنظر في مسألة الانضمام الى الاممية الشيوعية التي نشأت عن ثورة ١٩١٧ · هنا ينقسم الاشتراكيون · فبينما تقبل الاكثرية بالشروط الـ ٢١ التي وصفها البلشفيك للانضمام الى الاممية الثالثة ، ترفض الاقلية هذه الشروط · وهكذا تنشىء الاكثرية الحزب الشيوعي الفرنسي وتبقى صحيفتها ( الاومانيته ) ، ويقدر عدد المنتسبين انذاك بـ ( ١٣٠٫٠٠٠ ) وتبقى الـ S. F. I. O. بقيادة ليون بلوم ويقدر عدد المنتسبين اليها بـ ( ٢٠٫٠٠٠ ) فقط ·

د ـ ومنذ سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٧١ حيث توحد الحزب الاشتراكي واصبح على ما هو عليه اليوم ، مرت الاشتراكية الفرنسية في هبوط وصعود ، في انشقاقات ومشاريع توحيد عديدة · فعدا عن الحقبات التي كان فيها الحزب الاشتراكي مهيمنا في الحكم بفضل تحالفاته تارة مع اليسار وطورا مع اليمين ، شهد تضعضعا في صفوفه وانتكاسات عديدة ·

هـ ـ في ١٢ اذار ١٩٧٢ تم الاتفاق بين الاحزاب اليسارية الفرنسية الثلاثة حول « برنامج مشترك » يكون هو البرنامج الذي سيطبقونه في حال وصولهم الى الحكم · ويعالج هذا البرنامج باختصار كل النواحي في المجتمع الفرنسي ، ويرسم بالتالي وباختصار ايضا سياسة لكل من هذه النواحي ، على جميع الاصعدة ·

اما اذا ألقينا نظرة كاشفة ، ولو خاطفة وخارجية ، على الحزبين الشيوعي والاشتراكي ، فانه يتضح لدينا الفرق ما بين طبيعة هذين الحزبين وندرك ، بالتالي ، ان الخلاف قد ينشأ ما بينهما في أية لحظة لاختلاف سياستهما العقلية·

فالحزب الاشتراكي ، من حيث التنظيم ، بقي ، حتى أمد قصير ، غير منظم ، ويعود هذا ، الى حد ما ، الى خوف الفرنسيين من الوقوع في البيروقراطية ، والى نفورهم من المركزية المتحجرة ، والى تعلقهم بالاساليب الديمقراطية المرنة جدا ·

ومنذ نشأة الحزب ، أيام الـ SFIO، لا ينفك خصوم هذا الاخير عن نعتـه بحزب « البورجوازية الصغيرة » · لذا فاننا نرى ان عدد المنتسبين فعليا الى الحزب لا يعكس العدد الكبير من الفرنسيين الذين يقترعون له ويساندونه· فبينما يبلغ اعضاؤه اليوم حوالي الـ (١٦٠) الف عضو يبلغ عدد اعضاء الحـزب الشيوعي الفرنسي حوالي الـ (٥٠٠) الف عضو · ومعروف عن هذا الاخير انه منظم تنظيما دقيقا ، بينما الاول ، تتنازعه من جهة التيارات ، ومن جهـة اخرى ، تتأرجح سياسته في معظم الاحيان ، كما يحتوي على طبقات اجتماعية مختلفة من بورجوازيين الى مثقفين الى عمال زراعيين الخ ··

في تحقيق قامت به مؤسسة « ايفوب » IFOP لمجلة « لو بوان » Le Point الفرنسية عن كوادر الحزب الاشتراكي التي اشتركت في هذا العام ( وتشير الدراسة الى انه بالامكان تعميم نتائج التحقيـــق هذا ليس فقط على الكوادر المذكورة بل ايضا على المنتسبين الى الحزب ) يتبين ما يلي (٢) :

١ ـ ان الحزب الاشتراكي الفرنسي يتألف بشكل رئيسي من الرجال وليس من النساء اللواتي يبلغن نسبة (١٥٪) فقط · بينما نسبة النساء المنتسبات للحزب الشيوعي الفرنسي سنة ١٩٧٦ تبلغ ( ٣١٪ ) ، علما بأن نسبة النساء المقترعات للحزب الاشتراكي تفوق نسبة المقترعين الرجال ·

٢ ـ نسبة الشبيبة في الحزب الاشتراكي ضئيلة (١٥٪) فقط هم دون الثلاثين بينما نسبة الذين هم دون الثلاثين في الحزب الشيوعي تبلغ (٤٨٪) ·

٣ ـ اعضاء الحزب الاشتراكي يتجددون باستمرار : (٤٤٪) منهم انتسبوا اليه منذ عام ١٩٧٢ فقط · بينما (٣٠٪) لا اكثر ، من اعضاء الحزب الشيوعـي الحاليين كانوا قد انتسبوا الى هذا الاخير في السنة نفسها المشار اليهـا اعـلاه ·

٤ ـ معظم اعضاء الحزب الاشتراكي الذين اشتركوا في مؤتمر « نانت » الاخير هم اجتماعيا من الكوادر العليا (١٩٪) وخاصة من المدرسين (٣٦٪) و (٥٪) فقط من العمال ، مقابل (٤٦٪) من العمال الذين اشتركوا في مؤتمر الحزب الشيوعي الاخير ، مع العلم أن نسبة العمال المقترعين في الحـزب الاشتراكي تبلغ (٣٦٪) ·

٥ ـ معظم الكوادر الاشتراكيين ينتسبون الى النقابات (٨٤٪) · وقد تميزت الحقبة الاخيرة بدخول اعضاء كثيرين من الحزب الاشتراكي في النقابات · كما أن تصاعده في الاوساط المسيحية ملحوظ · فهناك (٤٠٪) من الاعضاء الـذين اشتركوا في مؤتمر « نانت » الاخير كانوا من الكاثوليك · ونسبة الذين يصرحون بأنهم لا يدينون بمعتقد ديني تهبط ٧ درجات كل سنة ·

كل ذلك يشير الى ان منتسبي الحزب الاشتراكي يختلفون عن مقترعية ، مما يبقيه ، بالرغم من الجهود المبذولة ، حزب مقترعين اكثر منه حزب جماهير ٠

ارتكازا على ما سبق لا نعجب اذا ما رأينا ان الحزب الشيوعي الفرنسي يعرف القليل من الاتجاهات ضمنه وبالتالي من الخطوط الايديولوجية ، بينما الحزب الاشتراكي يكاد ينقسم الى تيارات عديدة واجنحة مختلفة ٠ هذا وان مثل هذه المسألة يحسن التوقف عندها والتوسع بها بعض الشيء ٠

### فرنسوا ميتران الرمز

ما تجدر الاشارة اليه ، قبل الكلام عن أجنحة الحزب الاشتراكي ، هو ان شخصية فرنسوا ميتران السكرتير الاول للحزب هي التي تقف الى حد ما مانعا دون انقسامات جديدة في صفوف الحزب ٠ ففرنسوا ميتران بشخصيته القوية ، ولباقته ، وبالشهرة التي يتمتع بها لدى الكثيرين من الفرنسيين ، وخاصة ، بفضل نجاحه الكبير في كسب الاصوات في انتخابات الرئاسة عام ١٩٧٤ ( حتى ولو لم يصل الى سدة الرئاسة ) ، كل هذا يجعل منه رمزا يجمع حوله اتجاهات عديدة تنضوي تحت لوائه ، لكونها تعرف جيدا ان مصلحتها تتم في ابراز ميتران كربان ماهر باستطاعته ان ينقذ السفينة الفرنسية من الغرق ، لاسيما بعد فشل سياسات رؤساء الجمهورية الفرنسية الذين تعاقبوا على الحكم في السنوات الاخيرة ، وبسبب تفاقم وازدياد المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ٠

هذا وان صعود الحزب الاشتراكي ، في تقرير الرأي العام الشعبي ، يعود لاسباب عديدة ، منها ، بدون شك ، خيبة امل الفرنسيين من حكامهم الحاليين ، وعجز هؤلاء الحكام عن حل المشاكل المتفاقمة ، وبالتالي، حاجة الفرنسي العادي الى افق تغييري يحسن اوضاعه دون ان يتخلى عن ايديولوجية ونسق حياته تخليا جذريا ٠ وهذه الرغبة بدأت تنصب على الحزب البديل لليمين الحاكم ٠ والحزب البديل سيكون بدون شك الحزب الاشتراكي لا الحزب الشيوعي ٠ وربما ان فرنسوا ميتران كزعيم يمكن ان يشكل نموذجا ناجحا ، ورمزا موحيا لمكانة الحزب البديل لليمين ٠ ذلك يعود لمكانة الحزب الاشتراكي وطبيعته ودوره ، فهو، من جهة ، يعد بالتغيير المرتجى ، ومن جهة ثانية لا يذهب بعيدا في طرح اسس ومضامين وابعاد التغيير ٠ وهكذا يحفظ للفرنسي التقليدي نوعا من الطمأنينة ٠ حتى انه يصح القول عنه ما يقول خصوم الحزب المنشقون عنه ، اي « الحزب الاشتراكي الموحد » ( PSU ) اذ ينعتون الحزب بأنه اصلاحي يدور في فلك « الاشتراكية ـ الديمقراطية » التقليدية التي تعد الجماهير باصلاحات جذرية وتدغدغ الاحلام بالتغيير فيما هي تبقيهم في حالة استغلال ، ولو حسنت اوضاع هذه الجماهير بعض الشيء من الجهة المادية ٠ ويشبه احد اعضاء الـ PSU صورة الحزب الاشتراكي بصورة « الاب » الذي يوحي ويؤمن الامان والطمأنينة

لاولاده . فقد كتب مارسيل كوستيل في العدد ١١٩ ـ اذار ١٩٧٧ في مجلة الـ PSU الداخلية ما يلي : « ان ظاهرة نجاح الحزب الاشتراكي تعود الى طبيعة النظام البورجوازي الذي يرتكز ، فيما يرتكز عليه ، على حاجة الشعب ضمن اطار النظام البورجوازي الى وجود « الاعيان » الذين يؤدون الخدمات الشخصية للمواطنين على مختلف الاصعدة ، ويرعون هؤلاء ويتعهدونهم كما يتعهد الاب ابنه » . ويضيف الكاتب : « هذا النمط ، نمط الاب المطمئن ، الاب الذي يوليه الناس ثقتهم وحقوقهم ليمارس عنهم مسؤولياتهم ، هو نمط النظام الثقافي البورجوازي ، حيث نجد صورة « رب العمل الطيب » ، والمسؤول القائد ، والاب الكلي القدرة في العائلة . هذا النظام الثقافي يتطابق كليا مع البنى الاقتصادية الحالية » . (٣)

من هنا ، وبعد ان نوهنا بالمركز الخاص الذي يتمتع به فرنسوا ميتران ، نصل الى التيارات ، او الاجنحة الموجودة في صفوف الحزب الاشتراكي الفرنسي حاليا .

## صراع الاقلية والاكثرية في الحزب الاشتراكي

لدى الرأي العام الفرنسي صورة مبسطة ، بشكل عام ، عن أجنحة الحزب الاشتراكي . وقوام هذه الصورة ان الحزب الاشتراكي يقسم الى قسمين او الى تيارين ، او جناحين : **الاكثرية** ويسمونهم بالميتراندست اي تيار فرنسوا ميتران **والاقلية** بزعامة جان بيار شوفنمان وتعرف **بالسيريس** ( CERES ) . غير ان الواقع هو اكثر تعقيدا مما يبدو ويقال عن وجود اقلية واكثرية فقط . فالحزب، بالفعل ، يتجمع ، عند الاقتراع واثناء التصويت على المقترحات في مؤتمراته السنوية ، حول هذين التيارين ، انما هو يتضمن اتجاهات اخرى ، لاسيما في صف تيار الاكثرية .

لا مجال هنا للدخول في التفاصيل حول خصوصيات هذه الاجنحة . نكتفي بالتنويه عنها لنؤكد على تعددية الحزب الايديولوجية . **فالاكثرية** تشكل ما بين ( ٧٠ و٧٥٪ ) من المنتسبين . وما يجمع الحزب ، في اقليته واكثريته ، هو البرنامج العام . وتقع الخلافات في اعطاء الاولوية لبنود البرنامج ، وخاصة في منهجية تطبيقها ، وبالاخص في طريقة التحليل السياسي وبالتالي في الرؤيا وفي الايديولوجية السياسة .

فلئن كانت الاكثرية تجتمع ، في النهاية ، اي عند اخذ القرارات الهامة ، حول شخصية ميتران ، لكنها تضم اتجاهات مختلفة يمكن حصرها بأربعة . وهي تتمحور حول اشخاص ، بشكل رئيسي ، اكثر منه حول مفاهيم وطرائق تحليل . لذا سنعدد فقط هنا التيارات ، عند الاكثرية ، بذكر الاشخاص دون التوقف عند المواقف المبدئية لكل منها .

ـ **الاتجاه الاول** : هو الذي يتصل مباشرة بميتران السكرتير الاول الحالي .

واهم اعوانه هم ليونيل جوسبين ، وكلود استيه ( الذي تميز بوقوفه مع جبهة التحرير الوطنية الجزائرية اثناء حرب التحرير الجزائرية ) ، ولويس ميرماز ( وهو عضو بارز في الحزب ) ٠

ـ **الاتجاه الثاني** : يمثله خاصة بيار موروا ( عضو بارز ايضا في الحزب ) وغاستون ديفير ( الذي ترشح في انتخابات رئاسة الجمهورية سنة ١٩٦٩ ولم ينل الا (٠١ر٥٪) من الاصوات ) ٠٠ هذا الاتجاه يكمل اتجاه غي موليبه ٠

ـ **الاتجاه الثالث** : واهم ممثليه ميشال روكار ٠ من المهم الاشارة الى ان روكار كان يشكل نموذجا في الحزب ، فهو قد كان سابقا في PSU ٠ ولا ينفك الصحافيون يسمونه « ولي العرش » ( مما يغيظ ميتران ) وتعطيه مؤسسات الاستقصاءات اكبر نسبة مئوية بين الاشخاص المعدين لخلافة ميتران ٠ وفي الواقع انه يتصرف وكأنه يعد باستمرار معركة انتخابية ٠ محترف في السياسة ٠ اختصاصي في الاقتصاد ٠

ـ **الاتجاه الرابع** : يمثله جان بوبرن ( وقد كان هذا الاخير ، سابقا ، عضوا في الحزب الشيوعي ، ثم انتقل منه الى حزب PSU واليوم هو في الحزب الاشتراكي ) ٠ يقع هذا التيار على يسار يمين الاكثرية ٠ يعتمد الاطروحات الماركسية وخاصة ما سمي **بجبهة طبقة** العمل المأجور ( او جبهة العمال ) ٠

ويشدد اصحاب هذا التيار ، على صيغة المفرد : جبهة « **الطبقة** » وليس جبهة الطبقات ٠

**أما الاقلية** ، اي **السيريس** ، فانه يمكن اعتباره بالجناح اليساري في الحزب الاشتراكي ، ويشكل عددا يتراوح ما بين (٢٥ر٣٠٪) من مجموعة اعضاء الحزب وعلى رأسه جان بيار شوفينمان ، ومن شخصياته البارزة دميريه موتشان ، وجورج سار ، وبيار غيروني ، وجيل مارتينيه ٠

ـ للتيار هذا تأثير كبير ، لاسيما وانه يضم مجموعة شباب مناضلين وفعالين وعددا كبيرا من المثقفين ٠

ـ قواعده متواجدة اقوى ما يكون في اتحاد باريس ولقد كان جورج سار مرشح اليسار لبلدية باريس في الانتخابات الماضية ، ضد شيراك ٠

ـ يشدد على اولوية تطبيق الادارة الذاتية ٠

ـ يدعم سياسة الاستقلال الوطني ٠

ـ يدعو بشدة الى مناهضة الامبريالية والى الانفصال عن ايديولوجية « الاشتراكية ـ الديمقراطية » ٠

ـ منظم بشكل جيد ، مما يجعل الاكثرية تتهم نزعته « الانفصالية » وسلوكه

الذي يؤدي الى خلق حزب ضمن الحزب ·

ـ يصدر مجلة فصلية رصينة بعنوان ريبير Repérs

تكوين الاقلية ( السيريس ) ووزنها النسبي ، واطروحاتها سببت ازمـة داخل الحزب · وانفجرت الازمة في مؤتمر الحزب الاخير في منتصف حزيران المنصرم في مدينة « نانت » ·

مطالب ( السيريس ) ، وهي بالوقت ذاته نقاط خلافه مع الاكثرية كانت مـا يلـي :

١ ـ تعتقد الاقلية انه اولا يجب تحاشي الامور التالية : تحاشي تأخير تطبيق البرنامج المشترك في حال وصول اليسار الى السلطة ـ تحاشي افراغ سياسة التأميم من مضمونها الحقيقي التغييري ، وذلك اذ تكتفي الاكثرية بتغيير الجهاز الاداري فقط ـ تحاشي التوقف عن احداث التغيير الاجتماعي بعد اخذ بعـض التدابير الظاهرة باديء الامر ـ تحاشي الابتعاد عن التحالف المستمر مـع الشيوعيين ـ تحاشي المساومة مع الرئيس ديستان بحجة ان هناك امكانية تلاق بين الليبرالية المتقدمة والاشتراكية « الليبرالية » ـ تحاشي تقوية التعامـل والتضامن مع جمهورية المانيا الفدرالية في الخضوع للشروط السياسية التـي تضعها هذه الاخيرة ، عبر الحصار الاقتصادي ·

بهذه « التحذيرات » من قبل ( السيريس ) يسعى هؤلاء الى وسم سياسـة الاكثرية في الحزب الاشتراكي ( لا سيما سياسة ميشال روكار ) بسمة « النيو ـ عمالية » ، اي « العمالية الجديدة » · « في الصميم ـ يقول احد اعضاء هـذه الاقلية ـ لقد حللنا طويلا انطلاقا من الخبرة الشيلية ( لتحاشي الوقوع فيها ) ، ونكتشف اليوم ان ما يهددنا هو حل يفضي بنا الى النمط البرتغالي » ·

وتذهب الاقلية هذه بتفصيل نقاط خلافها : من مسألة الارتباط مع الحـزب الشيوعي ، الى مسألة الادارة الذاتية ، الى مسألة الاستقلال القـومي ، الـى مسألة التنظيم الحزبي ·

لقد سعت الاقلية الى ان تدخل مؤتمر « نانت » بتوصيات موحدة تشكل تاليفا يكون حصيلة دمج توصيات الاكثرية وتوصيات الاقلية · رفضت الاكثرية فكرة التوصيات الموحدة · ويبدو ان الرفض جاء خاصة من ميتران · وبالطبع اقـرت توصيات الاكثرية ، ومع هذا لم تترك الاقلية الحزب بل بقيت فيه ، ولو انهـا خسرت المقاعد في هيئة الامانة العامة للحزب ·

بدا للمراقبين ان النزاع كان بشكل مباشر نزاعا على السلطة داخل الحزب · كما ظهرت بوضوح نية ميتران برفض المساومة ، وهي الا يرى الرأي العام فيه

فريقا بين متنازعين ، بل سيدا يفرض شخصيته ويتجنب وجود « مزعجين » حوله ، في حكومته العتيدة ...

## الصراع بين الاشتراكيين وبين الشيوعيين

غير ان ميتران ، مع هذا ، لم يبدد كل الصعاب امام تدعيم زعامته اليسارية . فما ان انتهى مؤتمر « نانت » بانتصار وحدة الحزب الاشتراكي وبتثبيت دعائم زعامة ميتران حتى بدأ الشيوعيون يشنون حملاتهم ، ويعربون عن مخاوفهم من تسلط ميتران وانفراده في فرض السياسات ومن تصرفه وكأنه وصل الى سدة الحكم معرضا عن حساسيات ومطالب وآمال حلفائه .

وبدأ النزاع . اما موضوع النزاع ولئن كان في العمق موضوع نزاع على السلطة وعلى طبيعة التحالف ( تكتيك ام استراتيجية ! ) ، فانه اتخذ له « البرنامج المشترك » كوسيلة للتحقق من جدية التحالف ، ومن سلامة نية كل من المتحالفين .

« فالبرنامج المشترك » الذي وضع سنة ١٩٧٢ ، قد مر عليه زمن ليس بقصير . والاحوال قد تبدلت منذ ذلك الوقت . اذن يجب عصرنة وتحديث هذا البرنامج في جميع النقاط التي تتضمنه . وراح الجدال يدور ، تارة ، حول هذه او تلك النقطة من البرنامج ، وطورا ، حول هذا او ذاك التصرف من قبل كل فريق .

وتألفت لجنة من ١٥ عضوا شكلوا من بين الاحزاب اليسارية الثلاثة لتدرس مسألة عصرنة وتحديث البرنامج المشترك . واذا بنقاط الخلاف يكبر عددها لتبلغ اكثر من عشرين نقطة . اهمها : اتساع عدد الشركات المنوي تأميمها ـ مسألة الدفاع الوطني والقوة النووية ـ السياسة الخارجية ومنها مسألة الشرق الاوسط ـ الحد الادنى للاجور ـ سلم الاجور ـ التربية الوطنية ... الخ ...

لم يتم حتى الآن الاتفاق على جميع نقاط الخلاف . فقد انسحب من قمة اليسار في ١٤ ايلول الحليف الصغير اي حركة الراديكاليين اليساريين ، وتأجل الاجتماع ، وراح البعض يتساءل عما اذا كان الاتفاق حول ما تبقى من نقاط مختلف عليها سوف يتحقق في الاسابيع القادمة .

في بحثنا القادم سنتطرق الى هذا الموضوع مركزين على بعض نقاط الخلاف الاكثر نموذجية عن اختلاف المواقف والمواقع السياسية والايديولوجية .

## خلاصة

مما تقدم ، يمكننا ان نتبين الاستنتاجات التالية :

أ ـ بقدر ما ان الظروف الموضوعية في السياسة الفرنسية الحالية والسياسة العالمية تشير الى ان امكانية وصول اليساريين الى الحكم في فرنسا تصبح يوما بعد يوم مسألة جدية ، بقدر ذلك :

ـ يستشرس اليمين ليعطل التحالف اليساري ·

ـ وتنشط الامبريالية الاميركية ، مباشرة وعبر محطاتها الاوروبية ، في افشال وصول اليسار الى الحكم ·

ـ ويصبح تحالف القوى اليسارية ، عبر « البرنامج المشترك » مسألة رصينة يجب اعدادها بدقة لئلا تبقى النقاط الغامضة مصدر خلاف في المستقبل ·

ـ وتكشف عملية تحديد البرنامج ـ برنامج الحكم ـ بدقة وبموضوعية وبعلمية وبواقعية قدرة كل فريق الفعلية في التسليم بالحد الذي يعتبره الحد الاقصى في عملية التحول الاشتراكي ·

ـ واخيرا تنكشف ايديولوجية ، ونوايا ، وسياسة كل من اعضاء الحلف اليساري ·

ب ـ ما قدمناه ، اعلاه ، من وصف وتحليل لسمات المرحلة الراهنة ، وللقوى المتصارعة على هذه الساحة ، وخاصة لطبيعة كل من المحاور اليسارية يحملنا على الاعتقاد بأنه ، اذا ما توصل اتحاد اليسار الى تحاشي انفراط صفوفه ، تبقى عقبات كبيرة امامه عليه ان يذللها · اهمها امكانية تطبيق ما يكون قد اتفق عليه ، لدى وصول اليسار الى الحكم · وامكانية استمرار التحالف ما بين الاقطاب اليسارية ·

ج ـ وعلى كل حال فان توصل اليسار الى قاسم مشترك ، اي الى مبادىء اساسية واضحة لخطة حكم فان « البرنامج المشترك المستحدث » نفسه سوف يعكس طبيعة الحكم اليساري المرتجى · هذه المسألة لن تتوضح نهائيا الا بعد ان تكون قد تمت صياغة « البرنامج المشترك المستحدث » ·

نقاط الخلاف الحاصلة حتى الآن تشير الى دلالات عديدة فيما يتعلق باصلاحية ، وثورية ، وواقعية التغيير المطروح والاشتراكية المنوي اقامتها · هذه الدلالات سوف نحاول اجلاء بعض معالمها في البحث القادم ، منتظرين ان تكتمل العناصر الاخرى لنجرؤ على تقديم بعض التوقعات المستقبلية ·

١ ـ الهوامش

(١) جريدة « اللوموند » الفرنسية — Le Monde 21 Juin 1977

(٢) مجلة « لو بوان » الفرنسية — Le Point, No 249, 27 Juin 1977 PP. 34 — 35

(٣) راجع مجلة — PSU — Documentation No. 119, Mars 1977 P. 5.

٢ ـ بعض المراجع


ا ـ كتب

1) François BORELLA : Les Partis Politiques dans la France d'aujourd'hui , Seuil , 1973 .

2) Christiane HURTIG : De la S. F. I. O. au Nouveau Parti, collection : « Dossier U2 » , Aramrand colin .

3) Pascal SEVRAN : Le Guide du Soçialisme , Guy AUTHIER, 1977 .

ب ـ مجلات ( اعداد خاصة )

1) Regards sur :
No. 3, 1977 : Le Parti Socialiste.

2) Le Monde ( Dossier et documents )

— Avril 1976 No. 30 « Le Parti Communiste Francais »

— Juin 1977 No. 42 « Le Parti Socialiste Francais » .

# دفاتر فلسطينية ٣

الى جوار بيتنا في الرمال ، صحونا ذات يوم ، وكانت عائلة قد لجأت الى شجرة توت · كانوا جيرانا بيتهم شجرة · واقمت لهم بيتا من البطاطين · اكتفت امي بلحاف واحد لنا وقدمت كل البطاطين وبعض الطناجر والصحون ، وقسمت بيديها كل ما كنا نملك من التموين بيننا وبين تلك العائلة المهاجرة ـ عائلة ابو نحل ـ كانت عائلة ابو نحل ـ تتألف من أخوين متزوجين واولادهما ·

واصبحنا عائلة واحدة ، وقبيل انتفاضة مارس بأيام ، كان « ابو نحل » ، قد كلف بمراقبتي ، فلقد اصبح شرطيا سريا في المباحث ··؟

أريد أن أقول ، انه حينما يتحول احدهم الى شرطي مباحث او مخابرات ، فهو على استعداد ، لكي يحلب ثدي امه ، ويقدم حليبه كأس عرق ·

وكل ما توقعته امي قد حدث ، فالشرف العسكري للمباحث والمخابرات ، قد اخذ شكله النهائي ، في منتصف ليل ٨ـ٩ مارس ١٩٥٥ ، حينما بدأت الغارة البوليسية من رفح حتى بيت حانون ، على بيوت الشيوعيين والوطنيين وحتى المستقلين في قطاع غزة ، على بيوت المسلمين الوطنيين وعلى بيوت الشيوعيين معا ، وعلى رأس القوة البوليسية التي هاجمت بيتنا في منتصف ليل ٨ـ٩ ١٩٥٥ من مارس كان امباشي المباحث : ابو نحل ·

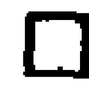
فوجىء ابي ، بالغارة البوليسية ، فطلب من ـ آمنة ـ كانت في بيت جدي لابي ، وجاءت الى بيت أبي ، وهي التي ربتني وربت اخوتي ، وكانت من جباليا·

طلب أبي منها ان تقدم القهوة ( لابو نحل ـ ابو قنيبة ) ، وبقية افراد عائلتهما من شرطة المباحث · ولا أزال اذكر « امنة » وفوق يدها صينية القهوة وهي تدخل الى حجرتي وقد احتلتها شرطة المباحث وكان معي اخوتي : س·ب ، ص·ب ، أ·ب · وجاءت أمي وضربت الصينية بيدها ، فتطايرت الفناجين فوق رؤوس شرطة المباحث وهي تصرخ :

ـ لن اقدم القهوة في بيتي للذين جاؤوا لكي يعتقلوا اولادي ، ونظرت امي الى « ابو نحل » ، شرطي المباحث ، الذي كان يريد ان يختبيء من عينيها وراء اي شيء وصاحت :

ـ جئت تعتقل « معين » ··· لماذا ؟؟ لقد كان يدافع عن اطفالك ··· لم يبق الا ان يسلخ جلده ويقدمه لك لحافا ·

كنت انظر الى « ابو نحل » ، ولكنه كان يريد ان يخبيء عينيه ، فنظر الى قدميه دون ان يدري · دائما المباحث ، ينظرون الى اقدامهم الكبيرة ، الاقدام التي كبرت من فرط متابعة وملاحقة الايدي التي تكتب ·

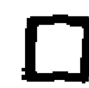


انا واخوتي الثلاث ، طلبوا منا ، الذهاب الى مركز البوليس ، لكي نجيب على بعض الاسئلة ونعود ··؟ كنت اعرف : انه تم الاعتقال ، ولكن لم أكن أصدق ، انهم سوف يقومون باعتقال اسرة بأكملها · أن يعتقلوا اربعة ابناء لاب وأم ـ ولكنهم اعتقلونا جميعا ·

جندي سوداني كان يقود عربة الجيب العسكرية ، حينما صعدت وقلت له ، ولا ادري لماذا :

ـ نحن اربعة اخوة ·

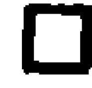
كان يعرف ، ولا ادري كيف · فقط وضع وجهه بين كفيه ثم مضى وهو يكتم شيئا في عينيه ·



في اسطبل الخيول ، أيام الانتداب البريطاني ، الذي حولته المخابرات الى زنازين ، وحجرات تعذيب في سرايا الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، القوا بي وبأخوتي الثلاثة في وسط طابور من المعتقلين ·

اولا جاء مصطفى حافظ مدير المخابرات ليتفرج علينا وراء القضبان ،وبعده

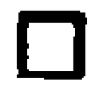
جاء سعد حمزة مدير المباحث وبعدهما جاء آخرون ··· كانوا يريدون ان يتفرجوا على اولئك الفلسطينيين الذين كانت لهم جمهوريتهم الفلسطينية ولمدة سبعة ايام ···؟



ـ أربعة اولاد من عائلة واحدة ···؟

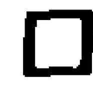
ـ لنترك واحدا منهم ··· ولنعتقل الثلاثة ···

لم يستخدموا القرعة ، ولكنهم قبيل الفجر اطلقوا سراح اخي : ص·ب · ولم يكن يريد ان يخرج ويتركنا ··· ولكنهم جروه الى الخارج فمضى وهو يجهش ·



في لوريات مغطاة تماما ، والحرس كانوا من الجنود السودانيين · مضينا من سجن غزة المركزي الى محطة العريش ·

« محمد يوسف النجار » كان في عربة لوري ، « فتحي البلعاوي » كان في عربة ثانية ، وفي عربة ثالثة كنت مع بعض الرفاق من المدرسين والطلاب والعمال الزراعيين ·



ـ الجماهير ··· الجماهير ···؟

الرفيق ( ح·ا·ش ) · كان يطل برأسه من تحت غطاء اللوري ··· وما اكثر ما كان ، يتصور ان أعمدة الكهرباء والتلفون هي مجموعات من الناس ···

وكان يهتف :

ـ عاش كفاح الشعب الفلسطيني ·

وكنا نهتف معه ، حتى وصلنا محطة العريش ·

كان الرفيق ( ح·ا·ش ) يحسدني ، لان معي اخوتي : س·ب : ا·ب · وكان يدمدم :

ـ لو كان اخي شعبان معي ، لتعلم خبرة كفاحية ···؟

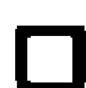


ووصلنا محطة العريش ، وطيلة الطريق كان الجنود السودانيون يشعلــون السجائر ويقدمونها لنا ، كان هناك قطار في انتظارنا ، وفي عربة نقل خيول ··· دفعونا والكلبشات في ايدينا ···

ومضى القطار بنا ···

ومن صرير عجلات القطار فوق السكة الحديد ··· من خشخشات الكلبشات في ايدينا ، من الليل الذي كان يسقط حولنا ، كأنه الحجارة ··· رحت اصيح:

هناك ··· هناك ··· بعيدا بعيد ···
سيحملني يا رفيقي ··· الجنود ···



المعتقلون في عربة اللوري ، راحوا يرددون ورائي مقطعا ·· بعد مقطــع ، اول نشيد كتبته والكلبشات في يدي ·

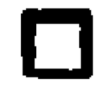
ويمضي الصوت :

سيلقون بي فــي الظــلام الرهيب
سيلقون بــي في جحيــم القيــود
لقد فتشوا غرفتــي يــا اخــي ··
فمــا وجدوا غيــر بعض الكتب ··
وأكوام عظــم همو ··· اخوتــي ··
يئنــون ما بيــن ام ··· وأب ··
لقــد ايقظوهــم ··· بركلاتهــم ··
لقد اشعلوا فــي العيــون الغضب ··

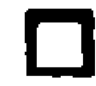


أنا الآ بيــن جنــود الطغــاة ·· .
انــا الان اسحــب للمعتقــل ··،
ومــا زال وجــه أبي ماثــلا ··
امامــي ··· يسلحنــي بالامــل ··
وامــي ··· وأمي ··· أنين طويل ··
ومن حولهــا اخوتــي يصرخون ··
ومن حولهــم ·· بعض جيراننــا ··

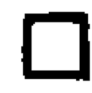
وكل لــــه ·· ولــد في السجـــون ··
ولكنني رغـــــم بطش الجنـــــود ··
رفعـت يـــدا اثقلتهـا القيـــود ··
وصحت بهــم : انني عائــــــد ··
بجيش الرفـاق ··· بجيش الرعود ··



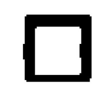
هناك أرى عامــلا فـــي الطريـــق ··
ارى قائــــــد الثـــورة المنتصر ··
يلوح لــي بيــد مــــن حديــد ··
وأخـــرى تطايـــر منهــــا الشرر ··



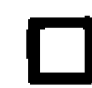
انا الآن بيـــن مئــات الرفــاق ··
اشـد لقبضاتهـــم ··· قبضتي ··
أنــــا الآن أشعـر أنــي قـــوي ··
وأنــــي سأهـــزم ··· زنزانتـــي ··



نعم لن نمــوت ، نعــم سوف نحيا ··
ولو اكـل القيـد مـــن عظمنــا ··
ولــو مزقتنــا سيــاط الطغـاة ··
ولو اشعلوا النــار في جسمنــا ··
نعــم لــن نمـــوت ، ولكننــــا ··
سنقتلع المـــوت مـــن ارضنـــا ··



( احس بالفرح الان وقد عرفت ان هذه القصيدة التي كتبتها في فجر ٩ ـ مارس ١٩٥٥ في لوري عسكري ، والكلبشات في يـــدي ، هي الان نشيد الزنازين في سجون الارض المحتلة ·)



ووصلنا محطة مصر ٠

كانت محطة مغلقة ، ولم يكن يرى على الارصفة غير الشرطة ٠

ومن محطة سكة حديد القاهرة ، تم شحننا في لوريات مغطاة الى مكان عرفنا فيما بعد أنه سجن مصر العمومي ٠

أمام البوابة الخشبية لسجن مصر العمومي توقفت العربـــات العسكرية ، وبدأنا ننزل الواحد بعد الآخر ٠ اوقفونا في طابور ٠ ثم صدر الامر الينا بالعبور من خلال تلك النافذة الخشبية ٠

كان ورائي الرفيق (ح٠١٠ش ) ووراء البوابة الخشبية ، كان صفان مـــن بوليس السجن في استقبالنا بالعصي ٠

وحينما انهالت العصي فوق راسي ، صاح الرفيق ( ح٠١٠ش ) محتجا :

ـ انه الرفيق القائد ٠

وعرفوا انني الكبش ، راس هذا الطابور من المعتقلين الفلسطينيين ٠

واغمي علي من هول الضرب وصحوت ، فاذا برأسي بين يدي ، ممنـــوع عليك ان تلتفت الى اليمين او الى اليسار ٠ الى الامام او الى الخلف ٠

كان على الرأس الفلسطيني ان يدخل ثقب الابرة ٠

ودخل الرأس الفلسطيني الى ثقب الابرة ٠

تحس كان محراثا يدور في رأسك ٠ ماكينة الحلاقة تدور ٠ ويسقط شعرك هذا الصوف الفلسطيني المطلوب دائما ٠

سبعة سبعة كنا نمضي محلوقي الرؤوس ، بثياب السجن الى الزنزانة التي اعدوها لنا ٠ وفي حجرة طولها متران ، وعرضها ثلاثة امتار ، دفعوا سبعـــة معتقلين كنت بينهم الى زنزانة في العنبر الاول في سجن مصر العمومي ٠

فوق اسفلت الزنزانة تكومنا ، راس كل واحد منا فوق راس الآخر ٠

كنت اريد أن انام ٠

سبعة ايام وانت تريد ان تعلن ان الليل ليس هو العدو ٠

الآن كل الذي تطلبه ، ساعة نوم واحدة ٠ لقد اقفلوا باب السجن ٠ وفـــي الخامسة صباحا سيعودون ٠ في ذلك اليوم تماما من صباح العاشر من مارس ١٩٥٥ ، تجمع الطلاب في ساحة مدرسة جباليا الاعدادية ورفضوا ان يذهبـــوا

الى حجرات الدراسة :

لا تعليم بدون معين ٠

ثلاثة ايام تمر والطلاب في مدرسة جباليا الاعدادية يتظاهرون ٠ كانـــوا ككرسي يقاتل طاحونة ، كعصفور يقاتل ضد الف حائط ، كالأطفال يحتفلون بعيد ميلادهم الجماعي تحت عامود من الكهرباء ٠



بعد الفجر بقليل ، أيقظني جاويش العنبر ( حسن المشرف ) وهو يصيح :
ـ استيقظوا أيها الجواسيس ٠

قالوا للسجانين اننا مجموعة من الجواسيس المحكوم عليهم بالاعدام ، ولهذا ضربنا كما لم يضرب سجين من قبل في سجن مصر العمومي ٠ فما دمنـــا سنموت فقضية التعذيب تصبح سؤالا خاصا لمترين من التراب ويرتفع الصوت:

ـ عاش كفاح الشعب الفلسطيني ٠

كان هو الصوت الصعب ، وكان الجواب عليه :

ـ اضرب فوق الظهر الفلسطيني الحنين ٠

وكان صوت اللواء ـ اسماعيل همت ـ ٠

اسماعيل شموط كان يحمل صينية الكعك ودفاتره المدرسية ويمضي يبيع السكر لاطفال اللاجئين في مخيم خان يونس · فلسطيني يبيع السكر · فلسطيني في أيام البحر الميت يبيع السكر للبحر الابيض المتوسط ·

في اكاديمية روما للفنون الجميلة كان اسماعيل شموط يرسم نار الشتاء الفلسطيني للشجر القادم من أضلاع ـ سبارتاكوس ـ ·

آه ···

يد معتقل فلسطيني في الزنزانة تصطدم بظهر رفيقه المسلوخ ·

لماذا يسقط ـ هوارد فاست ـ ويكتب ـ الهي العاري ـ ؟

في مسجد « الست رقية » في الشجاعية كنت اقفز فوق ظهور المصلين · امام المسجد كان يقول :

ـ هاتوه لانفخ في اذنه أو فمه وبعد ذلك لن يقفز فوق ظهور المصلين ·

لعاب كل الآلهة كان في فمي · دائما كنت أظن أن أذني شجرة تين ، وفمي دالية ورفضت ·

تحس أنك تسقط الى قاع بئر · الفلسطيني يقتل وهو نائم · ولكن الحلم كان دائما يقول للفلسطيني :

ـ سوف تصحو ·

يد محمد يوسف النجار التي لم يكن يستطيع استخدامها كانوا يضربونه فوق اصابعها ·

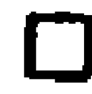
كمناقير الطيور تدخل في حواصلها ، كانت أصابع يد محمد يوسف النجار تدخل في حواصلنا جميعا · كنت أمضي مع عبد الرحمن الشرقاوي لنراقب مجلة الكاتب ـ صوت حركة انصار السلام المصرية ـ في اعقاب ثورة ٢٣ تموز · كان الرقيب العام اسمه : انور السادات · وكنا نخـرج ومجلة الكـاتب منديلا من الكرتون الابيض فوقه بقع من الحبر · المساحات البيضاء في الجرائد اغنيـة قديمـة ·

تسقط أكثر في البئر · ترتطم بسطح الماء · تصحو ·

ماذا قد فعلوا بالوجه الفلسطيني ؟ لقد حلقوا شعر الرأس وحلقوا الحاجبين· وعريان أمام رفاقك كانوا يحلقون ذلك العشب الآخر ·

ماكينة الحلاقة التي دارت في الرأس الفلسطيني ، كانت تدور كالمحراث في الارض الفلسطينية المحتلة · لم أكد أعرف أولئك المكومين معي في الزنزانة ، ولكن حينما استيقظنا في السادسة صباحا على مفتاح وكرباج السجان ، عرفنا أننا لا يمكن أن نكون غير فلسطينيين ·

فلسطيني يصحو ويوقظ كل الفلسطينيين في الزنزانة ·



العنبر يضم الشيوعيين المصريين والاخوان المسلمين · أسكنوا المعتقلين الشيوعيين الدور الثاني · الاخوان المسلمون سكنوا في الدور الثالث والرابع ، ربما ليكونوا أقرب الى الله · أما نحن المعتقلين الفلسطينيين فلقد سكنا في الدور الارضي لنكون أقرب الى الكرابيج ·

من خلال الرفاق المصريين عرفت ـ رابطة الطلاب الفلسطينيين في مصر ـ بوجودنا في سجن مصر العمومي · وهكذا وصلت الاخبار الى عائلات المعتقلين في قطاع غزة · حيث لم يكن أحد يعرف اسم السجن الذي أسكنونا فيه ·

امتنعت شرطة المباحث والمخابرات تماما عن تزويد عائلاتنا بأية معلومات عنـا ·

سقطت هراوة على فم احد المعتقلين فتحطمت اسنانه ·

يبتسم ضابط العنبر ويصيح :

ـ وما حاجتك الى أسنانك ، أنت ذاهب للموت ·

اللواء اسماعيل همت قبل وصولنا الى السجن جمع الضباط والسجانين وقال

لهم : انهم طابور من الجواسيس سوف ينفذ فيهم حكم الاعدام ·

بالكرابيج المجدولة من أسلاك التليفون كانوا يضربوننا · الفلسطيني الذي بلا تليفون ، يضربونه بأسلاك التليفونات ·

منعوا عنا كل شيء : الاتصال بالمعتقلين الآخرين ، كتابة الرسائل والفسحة اليومية في ساحة السجن وهي عبارة عن نصف ساعة مشي في الصباح ، ونصف ساعة اخرى عند العصر · من خلال خروج طوابير الشيوعيين والاخوان المسلمين للفسحة ، كانوا يلقون لنا بعلب السجائر ويلوحون بأيديهم مشجعين · ان تلوح لك يد في هذا الجحيم ، كمن يهز نخلة بين يديك ·

سيد قطب يتوقف أمام باب زنزانتي · طلبت منه أن يرسل لنا بعض السجائر فكان جوابه :

ـ اقرأوا القرآن ·

كانت القراءة ممنوعة علينا ، لم يكن مسموحا للفلسطيني غير تدخين أصابعه · ولكن فتحي البلعاوي كان لا يدخن وكان يرسل السجائر التي تصله لي ولمحمد يوسف النجار ·

شكلنا لجنة لقيادة النضال اليومي في السجن وكانت مؤلفة مني ومن فتحي البلعاوي · في كل زنزانة كان هناك مسؤول حزبي على الرفاق ، الكرباج كالثعبان اذا لم تقاومه ابتلعك ·

وأخذنا قرار المقاومة ·

الجاويش حسن المشرف يفتح باب الزنزانة وهو يصرخ :

ـ الى دورة المياه ايها الجواسيس · ورفضنا مغادرة الزنزانة وارتفع صوت أحد الرفاق :

ـ عاش كفاح الشعب الفلسطيني ·

فوجيء السجان بالهتاف · بعض الرفاق راحوا يدقون بأغطية جرادل البول على جدران الزنازين · استمر « كفاح الشعب الفلسطيني » في الدور الارضي خمس دقائق · بعدها اقتحمت مجموعات من بوليس السجن بالكرابيج والهراوات العنبر · بدأوا يخرجوننا زنزانة بعد أخرى والعصي تنهال فوق رؤوسنا وصدورنا وأكتافنا · كل زنزانة كان يطلب منها الركض بأقصى سرعة ووراءها كان يركض بعض السجانين وهم يلاحقون المعتقلين بهراواتهم · تم تجميعنا في ساحة التاديب ، وهي ساحة ضيقة توجد فيها بعض الزنازين الانفرادية حيث يلقون فيها بالمعتقلين المشاغبين ·

ـ العروسة ـ كانت منتصبة أمامنا . والعروسة ـ هيكل من الخشب يشبه المرأة ـ المرأة الخشبية بالنسبة الى اللواء السجان اسماعيل همت ـ إمرأة من الخشب لها ذراعان مفتوحتان دائما ـ توجد في كل منهما فتحة لكي يدخل فيها السجين يده . أما الرأس فمقور يكفي لكي تدخل رأسك فيه . كان على كل واحد منا أن يتزوج هذه العروس من الخشب بعد أن يخلع قميصه .

تتقدم من العروس . يدخل السجان ذراعيك في فتحة ذراعيها ، ويدخل رأسك في رأسها .

يتقهقر السجان الى الوراء وبيده كرباجه الطويل ويقف في حالة استعداد . اسماعيل همت كان يشرف على عملية الزواج .

كان ضبعا بعينين عسليتين .

ـ اضرب على الظهر الفلسطيني الحنين .

وتلفك حبال الكرباج . الجلدة الاولى تحس أنها قد اقتلعت ضلعا . كأنك قد ضربت بسيخ من النار . وتتوالى الكرابيج ، عند الكرباج العاشر تحس أنك سقطت فيبركة من النمل . كان معنا بعض الطلاب الذين لم يتجاوزوا السابعة عشرة من عمرهم جلدوا حتى الكرباج العشرين .

كشجرة مضروبة بفأس في ظهرها يخرجك السجان من العروسة ويرغمك على ارتداء قميص السجن وظهرك مسلوخ . لقد تمت حراثة الظهر الفلسطيني .

كل ثلاثة وعشرين معتقلا أسكنوهم في زنزانة واحدة هي معدة أصلا لسجين واحد . كنا نتبادل الوقوف في الزنزانة .

وانت واقف تحاول أن تتذكر شيئا ما يعاونك على الوقوف . تدخل شجرة الجميز ـ الشجرة الفلاحة ـ التي تحبل وتلد أكثر من مرة في العام . كنـــا نتسلقها والحبات من ( البلمي ) التي لم نكن نستطع الوصول اليها ، كنا نهز الفرع فيساقط ثمر الشجرة الفلاحة .

أحد المدرسين المعتقلين يرفع صوتــه :

وانــي لمشتاق الـــــى ارض غــزة  وان خانني بعــد التفرق كتمانــي

سقى الله ارضا لو ظفرت بتربهــا  كحلت به من شدة الشوق اجفاني

كتب عن غزة ذات يوم الامام الشافعي .

ولكن غزة بعيدة كشجرة الجميز .

في صباح اليوم التالي التصقت القمصان بظهورنا ، فكان انتزاعها يشبه

عملية سلخ الجلد· كانت مشكلة الاعتناء بظهورنا هي قضية الطبيبين الشيوعيين المعتقلين : د· يوسف ادريس ، د· حمزة بسيوني · أعادونا الى الزنازين · كنا كمن أفرج عنه · السجان الجاويش حسن المشرف انكسرت عينه كالبيضة فوق بلاط السجن بعد عملية العروس الخشبية · حينما يكون وحيدا ولا أحد من السجانين يراقبه كان يتمتم لنا :

ـ كنتم أشجع من رأيته يتزوج تلك العروسة الخشبية ·

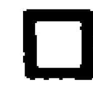
بعد شهر وصلتنا الطرود من غزة ومع كل طرد رسالة من أم او اب او زوجة· سجائر وأسبرين وملابس داخلية وشباشب وبيجامات وصابون ·

بعد ارتداء البيجامات اصبحنا شيئا مختلفا تماما · منعوا عنا البنطلونات والقمصان ·

أحد الرفاق حينما ارتدى بيجامته قال :

ـ سوف يطول نومنا في سجن مصر العمومي · واضفت :

ـ والزنزانة هي حجرة نوم الفلسطيني ·



المعتقلون الذين ينسون أعياد ميلادهم في الخارج يتذكرونها دائما في السجن· دائما يحاول السجين ان يفرح · وعيد الميلاد بالنسبة الى المعتقل او السجين هو فرح زنزانته · فالزنزانة تقدم له علبة كاملة من السجائر · والزنازين الاخرى تقدم هدايا : السكر والشاي ·

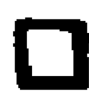
وهكذا احتفلنا في سجن مصر العمومي بعيد ميلاد الدكتور يوسف ادريس · كان في الدور الثاني ودعاني لحضور عيد ميلاده · وحملت هدية زنزانتي اليه : كانت علبة كاملة من السجائر تحتوي على عشرين عذراء تحلم كل واحدة بعود من الكبريت ·

عذراء بعد عذراء راح يوسف ادريس يدخن ·

نحن دخنا الكرابيج وهو يدخن العذارى ·

في أيام فيضان النيل ينتظر الصيادون في غزة على الشاطىء لكي يروا ذلك النهر من الطين الذي يشق البحر وهو يحمل سمك البوري لهم ·

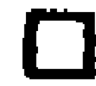
مصر التي تحمل السمك للفلسطيني في غزة ، اصبحت تحمل الكرابيج له في سجن مصر العمومي ·



بدأت رسائل غزة والمخيمات تصل الينا كل خمسة عشر يوما · سمحت المباحث والمخابرات بكتابة الرسائل · كل مخيم كان يسلم علينا جميعا وكل رسالة كانت تختم دائما :

ـ وكل المخيم يسلم عليكم كبيره وصغيره ·

بدأوا يرحلون الاخوان المسلمين · في ذات يوم ذهب سيد قطب ولم يعد · وقبل أن يذهب مد يده وأعطاني علبة سجائر · ذهب سيد قطب ، ذهب الى حبل المشنقة ·



في زنزانة كان أحد المعتقلين يحكي لزنزانته قصة ( مارتن ايدن ) للكاتب الاميركي جاك لندن · وفي زنزانة أخرى يروي مدرس اخر لزنزانته قصة نسر ديستويفسكي في رواية « يوميات بيت الموتى » ·

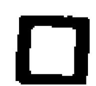
مسجونون يعثرون على نسر مكسور الجناح ، يعودون به للسجن · يطعمونه لقم اللحم التي هي كل ما يملكون · النسر ظهره الى جدار العنبر ومنقاره في سقف الزنزانة · يرفض أن يلتقط بمنقاره لقم اللحم · بعد ان اشتد الهزال على النسر يخرجه المسجونون من العنبر · خارج بوابة السجن يطلقونه · يظل النسر يركض ويركض دون ان يلتفت الى الوراء حتى يختفي ·

ولكنك واضح تماما أمام السجانين · في زنزانة ثالثة ، كان الرفاق يحررون في الهواء الجريدة اليومية للحزب ·

حينما تختفي معجزة اليد تظهر معجزة الفم ·

انقطع اتصالنا بالحزب في تلك الفترة ، فبعد اعتقالنا اشتدت الرقابة البوليسية الى درجة مراقبة الذين يشترون الكتب والمجلات من مكتبات غزة ·

من يشتري جريدة · يذهب اسمه الى اومباشي المباحث · من يشتري كتابا يذهب اسمه الى الجاويش ، من يكتب رسالة يذهب اسمه الى ضابط المباحث ، اما من يؤلف كتابا ، فان اسمه يذهب الى الحاكم الاداري العام ·



ـ في سجن القناطر الخيرية سوف تعاملون معاملة افضل ؟

وخرجنا من فتحة بوابة سجن مصر العمومي واحدا بعد الآخر كما دخلنا ،

والكلبشات في أيدينا الى اللوريات المغطاة التي قامت بنقلنا الى سجن القناطر الخيرية ٠

من سجن الى سجن بلا تاشيرة مرور ولا شهادة صحية دولية ٠



حينما وصلنا سجن القناطر الخيرية ٠ كل الشيوعيين المصريين كانوا فـي استقبالنا ٠ ومن الدور الثالث والرابع انطلق صوتهم :

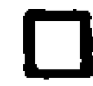
ـ عاش كفاح الشعب الفلسطيني ٠

اسكنونا في الدور الثاني ٠

لقد تقدم الفلسطيني درجات سلم الى الامام من الدور الارضي الى الدور الثاني ٠

منذ الرسالة الاولى على ورقة سجائر ، ارسلها بواسطة حبل ( فخري مكي ) رحت أشم رائحة ذلك الضبع ٠ منذ ١٩٤٨ كنا نناضل من أجل وحدة الحركة الشيوعية المصرية ٠ وفرحنا لاعلان الحزب الشيوعي المصري الموحد ٠ وكـان علي ان ابتلع كل الحجارة التي يرسلها فخري مكي عبر رسائله بالشيفرة والتي كان يترجمها لي الرفيق ( س٠ب٠ ) وأقول :

ـ يذبحون الف دجاجة ويجمعون ريشها ولكنهم لن يستطيعوا أبدا ان يزوروا ويصنعوا ديكا يصيح ٠ فوجئت في دورة المياه حينما طلب مني الرفيق سعد بطرس عضو المنظمة الشيوعية المصرية أن أحدد موقفي فاما أكون معه او أكون مع مئات الشيوعيين المصريين ، كان يعتقد انهم جميعا من البوليس ٠ وبالطبع اتخذت قراري مع الشيوعيين المصريين ٠

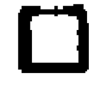


الان صرنا نصنع الشاي بأيدينا ٠ كل زنزانة تخفي قروانة ٠ وبواسطة علبة بندورة او علبة سردين أو علبة لحم يتم ثقبها بالمسمار ، كنا نبل قطعة مـــن القماش بالمازوت ٠ تشتعل الخرقة في العلبة المثقوبة وتبدأ رائحة الشاي تعبق٠ هذا البوتاغاز اسمه : التوتو ٠



الرفاق المصريون يستضيفوننا في زنازينهم · كنا نحتـال على السجانين · فالذي يهم السجان قبل اغلاق الزنزانة هو عدد المعتقلين في كل زنزانة · ومكان المعتقل الفلسطيني الغائب في زنزانة اخرى كان يحل محله أحد الرفاق المصريين·

في كل وثائق الحزب الشيوعي المصري كان دورنا كشيوعيين فلسطينيين في قطاع غزة من أجل وحدة المنظمات الشيوعية المصرية تحتل مكانها البارز · كنا نهز ساعد العامل المصري فتساقط الكتب ·

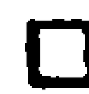


بدأ الهواء القادم من الزنبق في شاطىء غزة · من الزنبق ومن ريش طائر الفري ، من شجر السدر ومن شجر الخروب · من السمك الذي يلعب فـوق الرمل لعبة اليمامة التي تختفي في فم طفل · بدأ الهواء القادم من غزة يحمل لنا أخبارا طيبة ·

الحزب يقف على قدميه الان ويمد ذراعيه الى أبعد مصباح في مركب صياد يصطاد السردين في منتصف الليل · وكذلك كان الهواء القادم من شوارع مصر · الهواء القادم من المصانع ومن الارض · كان يحمل أخبار انتصارات جديدة · في سجن القناطر الخيرية احتفل الرفاق المصريون باعلان جمال عبد الناصر كسر سلسلة احتكار السلاح · فم القاهرة على ذراع براغ · شامـة القاهرة على خد موسكو · في سجن القناطر يرفع جمال عبد الناصر يده ويعلن تأميم قناة السويس ·

اولئك الذين هتفوا بحياة الشعب الفلسطيني لمدة خمس دقائق في الزنازين وجلدوا عشرين جلدة ، يهتفون الان بحياة الشعب المصري وفي الزنازيـــن ايضا ·

كان عرسا في كل زنزانة · فالمعتقل لا يتزوج عروسا من الخشب الان ولكنه يتزوج امرأة اسمها : نهر النيل · الزنازين في تلك الليلة كانت تقدم الشاي والسجائر للسجانين الذين لم يفهموا أول الامر كيف يهتف معتقل بحياة سجانه وهو داخل الزنزانة ·



في الليل حيث لا قلم ولا ورقة يحاول المعتقل أن يكتب شيئا ما باصابعه في الهواء · النجمة فوق البحر تتزوج بحارا ولكنها فوق السجن تحب معتقلا ·

كنا ننام ونحن نحلم بمحطة السكة الحديدية في غزة · كنا نحتضن صفارة

القطار ، نحتضن عجلاته بين اذرعنا ، نضع الفحم تحت راسنا ، وتحس ان موسيقى أبعد نجمة تصل اليك :

يا سهير

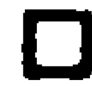
أنا في المنفى اغني للقطار

واغني للمحطة

اي هزه

حينما تومض في عيني غزه

صلاح خلف ـ ابو اياد ـ يزورني في سجن القناطر الخيرية · بواسطته تم تهريب قصيدتين مُكتوبتين على ورق السجائر ورسالة سياسية هامة · كل فلسطيني في تلك الايام كان يريد ان يتحول الى ساعي بريد لفلسطيني آخر · الفلسطينيون يحبون طوابع البريد ويحبون كتابة الرسائل ·



الرفاق المصريون تصل لهم القصائد والرسائل المهربة · ينسخونها ويهربونها للخارج ·

في يناير ١٩٥٧ ، كانت المفاجأة الكبرى · دخل أحد الرفاق المصريين الى الزنزانة وهو يلوح بكتاب في يده ، وكان ديوان شعر يتضمن القصائد التي كتبتها في الزنزانة بالاشتراك مع شعراء مصريين : زكي مراد ، محمد خليل قاسم ، محمود توفيق ، كمال عبد الحليم ·

صدر الديوان بعنوان ( قصائد مصرية ) رسمه المصور المناضل ( زهدي ) واصدرته ( دار الفكر ) وكان الاهداء :

« الى بطل التحرر الوطني جمال عبد الناصر » ·

كان هو الديوان الثاني الذي أرى فيه قصائدي مطبوعة ، ولكن هذه المرة يلقي الديوان بمراسيه كسفينة في الزنزانة ·

في ذلك الوقت أتم صلاح جاهين كتابة ديوان ( كلمة سلام ) ، قصيدة في الديوان كتبها عني وعن تظاهرات مارس ١٩٥٥ :

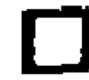
ـ يا معين يا صوت الضحايا

ارعد بصوتك معايا

ارهب عـــدوي وعـــدوك

حننتصر فـــي النهايـه

حينما مضى صلاح جاهين الى الرقابة ، طلبوا منه حذف القصيدة ، ورفض صلاح جاهين وخرج الديوان يحمل القصيدة ٠



خرج ( فخري مكي ) من السجن بعد أن انهى مدة الحكم عليه ، قبيل العدوان الثلاثي ٠

بعد تأميم قناة السويس ، وصفقة الاسلحة التشيكية ، ووقفة جمال عبد الناصر في وجه حلف بغداد ، تم العدوان الثلاثي على قطاع غزة وبورسعيد ونحن في السجن ٠

كان جمال عبد الناصر قد أصدر قراره باطلاق سراح الشيوعيين المصريين٠ أما نحن فالى أين نمضي بعد احتلال القطاع ٠٠٠ ؟

ونقلونا الى عنبر اخر في سجن القناطر ٠ كنا كمن يفرج عنه داخل السجن ٠ في ذلك الوقت جاء مندوب عن المخابرات المصرية ليبلغنا قرار الموافقة على الافراج عنا الى أي بلد نريده ، وكنا نعرف لعبة المخابرات وقد اتضحت هذه اللعبة فيما بعد ، فحتى حينما حملت الجماهير في قطاع غزة سيارة الفريق (محمد حسن عبد اللطيف) وادخلته غزة ، بعد ان حطمت بيدها مؤامرة التدويل ، جاء مندوب من المخابرات ليبلغنا أن لا نفكر بالعودة الى قطاع غزة ، وعلينا أن نختار اي بلد للرحيل اليه ٠

هؤلاء الذئاب لم يتعلموا شيئا ولن يتعلموا ابدا ٠ وأعلنا الاضراب عن الطعام واستمر الاضراب سبعة ايام حتى جاء مندوب من ادارة الحاكم الاداري العام لمقابلتنا وطلب منا فك الاضراب على أساس الافراج عنا على دفعات واعادتنا جميعا الى قطاع غزة ٠

نديم نحوي ـ مسؤول الطلبة الشيوعيين الاردنيين في القاهرة في ذلك الوقت ، رفض تقديم حتى الدواء لنا :

ـ ولماذا تضربون عن الطعام ٠٠؟

كان قد أنهى اقامته في القاهرة وقرر العودة الى الاردن ٠ وحينما طلبت منه عندما زارني في السجن أن يرسل آلة رونيو كان الحزب الذي قاد النضال ضد الاحتلال الاسرائيلي في أشد الحاجة لها قال :

ـ لقد مضى عهد آلة الرونيو في قطاع غزة ٠

بعد ذلك بوقت استنكر نديم نحوي الشيوعية وخرج فيما بعد مع المغرب فهمي السلفيتي في أول انقسام ضد الحزب الشيوعي الاردني ٠

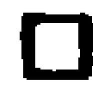


زارنا منير الريس رئيس بلدية غزة في ذلك الوقت وقال لنا أمام السجانين وضباط السجن :

ـ انتم الذين علمتموني الوطنية ٠

رغم موقف نديم نحوي ، فلقد كان دائما يزورنا شيوعيون أردنيون وفلسطينيون ٠

خلية شيوعية من الطلاب الفلسطينيين والاردنيين جاءت تزورنا وأيديها مثقلة بالفاكهة والورق ٠ كان من بين الخلية رفيقة عمري صهباء البربري ٠



خلا السجن من كل المعتقلين السياسيين ٠ وحدنا مع المسجونين العاديين وعشرات من اليهود تم احتجازهم خلال العدوان الثلاثي تمهيداً لترحيلهم الى فرنسا وايطاليا ٠

بعضهم كان يأتي ويسألنا لماذا نحن في سجن القناطر ؟

المخابرات تطلب منا الرحيل الى أي وطن ، وهؤلاء اليهود المحتجزون يرحلون الى وطننا رغم ارادة الكثيرين منهم ٠

في الصيف يأخذك القطار الى البحر ، وفي الشتاء يأخذك المطر الى الشجو ، ومن بعيد كان يأتي الينا صوت احد المسجونين العاديين وهو يصرخ في الليل يحمل البشارة :

ـ عنبر فلسطين

كله يسمع

ما سجن انبنى على سجين

ولا مستشفى انبنت على مريض

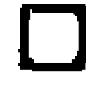
اخوكم المعلم عبد الباسط عبد العال

طالع من عشرين سنة أشغال

عقبال عندنا وعندكم يا حبايب

سجين يرفع صوته بالبشارة بالنيابة عن السجين المفرج عنه ، فيعم الفرح السجن · مع الحارس الليلي نرسل تحيتنا : سكرا وشايا وعلبة سجائر ·

علاقتنا بالمسجونين العاديين قدمت لنا الكثير ، فقد كانوا يحبوننا ويحترموننا بعد أن وقفنا معهم · أحد المسجونين العاديين كان يعمل في بيت مأمور السجن، واكتشفت زوجة المأمور ضياع بعض الاشياء واتهمت السجين بالسرقة · ربطه مأمور السجن في عامود في ساحة التأديب · طلاه من رأسه حتى قدميه بالعسل الاسود · حدأة بعد اخرى كانت تهبط وتنقر رأس السجين وترتفع وفي منقارها لقمة من الدم والعسل · هددنا بالاضراب اذا لم ينزل السجين من العامود ورضخت ادارة السجن · من يومها احبنـــا المسجونون واطلقوا على العنبر الذي كنا نقيم فيه : عنبر فلسطين ·



في تلك الايام زارني أحد الرفاق وقال لي : ان شفيق الحوت كتب مقالا هي رثائي في مجلة الحوادث البيروتية · عام ١٩٥٢ حول شفيق الحوت قصيدة ـ السيل ـ قصيدة من قصائد ديوان المعركة الى مسرحية قدمها على مســـرح الجامعة الاميركية في بيروت · في الوقت نفسه كان عبد الكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ يرثيني من اذاعة دمشق ·

ولكن السجن لا يبنى على سجين ، ولا تبنى المستشفى على مريض فقد خرجت الدفعة الاولى من المعتقلين الفلسطينيين وتلتها الدفعة الثانية · بدأنا نحس اننا نقترب اكثر من عجلات القطار التي كنا نراها كالطواحين نلقي فيها بأيامنا فتدور لتخرج رغيف الوطن ·

الاخبار بدات تاتي الينا من القطاع ، اخبار الحزب الذي كان يناضل بالمصباح ضد الدبابة الاسرائيلية ·

الحزب الذي تمكن رغم كل الاسلاك الشائكة من اقامة الجبهة الوطنية في قطاع غزة · هذه الجبهة التي رفض أن ينضم اليها ( بعض العقائديين ؟ ) بحجة أن الحزب اعلن خلال الاحتلال الاسرائيلي عن اهمية النضال المشترك مع القوى اليهودية التقدمية ·

احتاج قرار الحزب حول النضال المشترك مع القوى اليهودية التقدمية اكثر من عشرين عاما لكي ياتي المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة عام

١٩٧٧ ويتبنى ما قاله الحزب الشيوعي في قطاع غزة عام ١٩٥٦ ٠

تقارير المخابرات كانت تقول لجمال عبد الناصر : ان القطاع يتجه الـــى التدويل ٠

يعذبون الشعب ويوجهون له الاهانة ٠ بعد التظاهرات التي اجتاحت قطاع غزة واسقطت مؤامرة التدويل ورفعت يدها تنادي جمال عبد الناصر ، أرسل جمال عبد الناصر الفريق محمد حسن عبد اللطيف كحاكم اداري عام للقطاع ٠ وفي سلة القمامة سقط صوت المخابرات ٠

كانت الاخبار تأتي الينا عن عبدالله عوض الله ، وطعمه مشتهى المناضليـن الشيوعيين المعتقلين اللذين ضربا حتى الموت من قبل البوليس الاسرائيلي ، وكان كل الذي نطق في فم كل واحد منهما هو خيط الدم الذي سال من شفتيه ٠



في اوائل تموز ١٩٥٧ ، صدر قرار الافراج عنا ٠ القطار هو أجمل ما اخترعه الانسان ، والفحم الحجري تشتهي ان تقطعه بالسكين وتأكله بالشوكة ٠

تركنا وراءنا سجن القناطر الخيرية وحملنا اللوري الى محطة القاهرة ٠ كان الحرس من المباحث يظهرون الفرح بعودتنا ؟ ربما لثانية واحدة كل خمس سنوات يتذكر شرطي المباحث الفلسطيني انه فلسطيني ، ولكنه بعد ذلك يمضي في كتابة التقارير ضد الفلسطيني ٠

دخلنا رفح الفلسطينية ٠ اختلف الهواء تماما ، اصبح يأتي من البحر مشبعا برائحة شجر التين وشجر السمك وشجر الخروع ٠

في رفح انزلونا من القطار وأركبونا أحد اللوريات الى غزة ، فوصلناها عند العصر ٠ اخترق اللوري شوارع غزة الخلفية حتى بلغ سراي مركز البوليس في الرمال ٠ من هناك ذهب كل واحد منا الى بيته ٠

ومضيت الى بيت عمي عاصم ٠ صرة الثياب في يدي وكان فيها كل ما أملك : قميص وفرشاة اسنان وقطعة صابون ٠

اول ما دخلت حسبوني بائعا جوالا ٠ لم يكن لدي ما ابيعه ــ خالتي وظيفــة عرفتني ــ فتحت ذراعيها وسقطت بينهما وايقظتني في مساء اليوم التالي ٠ تركت باب الحجرة مفتوحا وفتحت كل النوافذ ونمت ٠

كانت المرة الاولى التي انام فيها بعد عامين وشهرين من الاعتقال وهدير البحر يصل الي ٠

طوبى للبحر ٠

اليزابيت ماتيو

# اسرائيل وجنوب أفريقيا

**تمهيد :**

اذا القينا نظرة على الوضع الدولي في بداية عام ١٩٧٧ ، فاننا نجد بؤرتين رئيسيتين للتوتر ٠

– **الشرق الادنى** ، حيث يصر القادة الاسرائيليون على رفض مبدأ الانسحاب من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ٠ كما يرفضون الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني ، وبمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها ممثلا شرعيا ووحيدا لهذا الشعب ٠ على الرغم من جميع القرارات الدولية ٠

---

★ صدرت هذه الدراسة بالفرنسية ، ككراس مستقل عن منشورات « فرنسا – البلاد العربية » باريس ١٩٧٠ ٠ والمؤلفة ، اليزابيت ماتيو ، هي زوجة قسيس ووالدة لاربعة اطفال ، شاركت في مقاومة النازي خلال فترة الاحتلال الالماني لفرنسا ٠ ومن خلال هذا النضال اكتشفت ان تحرير فرنسا ، لا يمكن فصله عن النضال في سبيل استقلال الشعوب ، الاخرى الخاضعة للسيطرة الاستعمارية ، وقد شاركت في الحركات التي تدعو الى استقلال الشعوب ، خلال فترتي حرب الهند الصينية وحرب الجزائر ٠

وبعد حرب ١٩٦٧ ، انتسبت اليزابيت ماتيو الى جمعية الصداقة الفرنسية – العربية ، وهي عضو في مكتبها الوطني ٠ وهي تعتبر تضامنها مع العالم العربي موقفا مؤيدا لقضية الشعب الفلسطيني ٠

الى جانب ذلك ، فاليزابيت ماتيو ، هي منذ سنوات عديدة ، امينة سر اللجنة الفرنسية ضد نظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا ٠ في وقت كانت فيه هذه المشكلة شبه مجهولة في فرنسا ٠

شاركت ماتيو في لقاءات دولية عديدة ، بوصفها مندوبة اللجنة الفرنسية ضد نظام التمييز العنصري ، أو مندوبة جمعية الصداقة الفرنسية – العربية ٠ وبهذه الصفة

**افريقيا الجنوبية** ، حيث تلجأ الاقلية البيضاء ، الى العمل بجميع الوسائل ، من اجل الابقاء على نظام التمييز العنصري · في مواجهة التغيرات التي نشأت في المنطقة بعد انهيار الاستعمار البرتغالي ·

تعود شروط النزاع في كلتا الحالتين ، الى فرض دولتين تحددتا منذ تأسيسهما بوصفهما دولتين « منفصلتين » · جنوب افريقيا البيضاء في جنوب القارة الافريقية ، ودولة يهودية صهيونية في فلسطين العربية ·

ومنذ عام ١٩٤٨ ، تاريخ انشاء دولة « اسرائيل » ، وتاريخ وصول « القوميين » الى السلطة في جنوب افريقيا ، بنيت علاقات ثنائية تزداد توطدا مع الزمن ، كلما ازدادت عزلة هاتين الدولتين دوليا ، وكلما نمت مقاومة السكان المضطهدين ·

لقد تحولت هذه العلاقات الى تحالف حقيقي ، لم يبرز حجمه الا بعد زيارة فورستر ــ رئيس وزراء جنوب افريقيا ــ لاسرائيل في نيسان ١٩٧٦ ، والاتفاقات التي عقدت نتيجة هذه الزيارة ·

ان لهذه العلاقات ، جذورا عميقة ، ترتبط ببعض اوجه الشبه **الايديولوجية والتاريخية** ، التي سنحاول في دراستنا ، دون الاصرار على ادخال جميع ظواهر الواقع المعقد في ترسيمة تبسيطية لهذا الواقع · لذلك يبدو مهما ، التذكير ببعض الوقائع ــ المجهولة بشكل عام ــ التي تثبت صلة **القرابة** بين النظامين ، في ممارستها السياسية تجاه السكان المحليين ، وفي استراتيجيتها · الى جانب التبادل الاقتصادي بينهما · ( دون ان ننسى ان اسرائيل لا تحتكر التبادل مع جنوب افريقيا) لاجل هذه الغاية ، سوف نعود في دراستنا الى وثائق ودراسات صدرت في السنوات الاخيرة · فالرأي العام العالمي لم يلتفت الى هذه القضية الا عام ١٩٧١ ، حين نشرت صحيفة « النيويورك التايمز » في عددها الصادر في ٣٠ نيسان ١٩٧١ مقالا للصحفي الاميركي الشهير سولز برغر يقول فيه : « ··· صلات وثيقة ، رغم انها شبه مجهولة ، تجمع بين اسرائيل وجنوب افريقيا · هذه الصلات بين بلدين ، احدهما يسيطر على الجزء الشرقي من القارة الافريقية ، والاخر يملك مفتاح القارة من الشمال ، لها دلالات سياسية ، اقتصادية وعسكرية · ولدى افارقة الجنوب ميل لمقارنة وضعهم بوضع الاسرائيليين · اذ يجدونهم محاطين بالاعداء كما هي الحال بالنسبة لهم · وفي هذه الحالة ، يبدو لهم من الطبيعي ان يعتبروهم رفاق طريق · ويتجنب البلدان الضجيج الاعلامي حول علاقاتهما لاسباب ديلوماسية » ·

**١ ــ المقدمة ــ التحالف الغريب**

للوهلة الاولى ، يمكن ان تبدو العلاقات الوثيقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا مستحيلة ·

---

المزدوجة ، شاركت في تشرين الثاني الماضي في ندوة بغداد حول الصهيونية ·

صدر لها ايضا :

**الصهيونية ونظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا** · منشورات « الشهادة المسيحية » · اوائل ١٩٧٣ **الاستيطان الصهيوني في الارض المحتلة بعد ١٩٦٧** · ١٩٧٤ ، ومقالات عديدة اخرى ·

اذ اننا نعلم عن التعاطف النشط مع النازية الالمانية ، الذي أبداه القادة الافريقيـون المختلفون ٠

عام ١٩٣٩ ، صرح رئيس الوزراء هرتزوغ ، ان مقولات النازية « مطابقة للرؤيا الافريقانية الاخلاقية والدينية (١) » ٠ كما كان فير فورد وسترايدم ، اللذين خلفا هرتزوغ في منصبه ، قد اجريا دراستهما في المانيا ٠ وقد اجرى فير فورد ،وهو المنظر الاكبر للتمييز العنصري ، اتصالات وثيقة بالاوساط النازية ، دعمت مفهومه لل « HERNVOLK » (الشعب المختار) و « لخاصية الصدق وطهارته » ٠ خلال الحرب العالمية الثانية ، لم يخف قادة حـــزب « القوميين » في جنوب افريقيا، امنيتهم في ان تسترجع المانيا نفوذها في افريقيا، وتستعيد سيطرتها على مستعمراتها القديمة ٠ جمهورية جنوب غرب افريقيا ( ناميبيا حاليا ) وكشف فورستر ، رئيس الوزراء الحالي ، عام ١٩٤٢ التقارب بين النازية والفاشية من جهة ، والقومية المسيحية الخاصة بالافريقيين من جهة اخرى ٠ وبما ان الاعلام الصهيوني يركز اساسا منذ ١٩٤٨ ـ وذلك تبريرا لانشاء دولة يهودية مستقلة ـ على الابادة الجماعية الهتلرية خلال الحرب ٠ فاننا نفهم انزعاج بعض الاسرائيليين من الاستقبال الرسمي الذي حظي به فورستر في نيسان ١٩٧٦ ٠ وهذه الرسالة التي نشرتها صحيفة هآرتس تشير الى ذلك :

« ان الاستقبال الذي اجري لرئيس وزراء جنوب افريقيا عند نصب الضحايا ، يكدر الهيبة المعنوية لهذا النصب ، ففورستر كان عضوا في « الاوسادا برانداواغ » ، المنظمة المؤيدة للنازية ، حيث كان يحمل رتبة عميد ٠ وكان ايضا عضوا في تشكيلة « الستور جانرز » العسكرية ٠ لهذا السبب اوقف عام ١٩٤٢ ٠واعتقل مدة ١٧ شهرا ٠٠٠ واصبح ، بعد الحرب ، احد اهم مهندسي نظام التمييز العنصري ٠ نحن الذين ندقق في تصرفات شخصيات لا تقارن اهميتها بفورستر ، كيف يجوز ان نبقى غير مكترثين امام تاريخ هذا الرجل ؟ هل ان مصلحة اسرائيل القومية ، هي اهم من الذكرى المقدسة لستة ملايين من ضحايا المجزرة النازية ؟ (٢) »٠

لقد اثبتت الوقائع ، ان العوامل التي دفعت الى توطيد العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا قد تجاوزت هذا « التناقض » ٠ ولكن ، الا يقدم هذا مثلا بالغ الدلالة على التوافق التام بين لا سامية مستترة وتأييد نشط للصهيونية ؟ يقول الصحفي الاسرائيلي آمون كابيليوك اثر جولة في جنوب افريقيا : « ان المعجبين الاكثر حماسا بدولة اسرائيل هنا هم احيانا من اللاساميين ٠ وهذه الظاهرة ليست مقتصرة اطلاقا على جنوب افريقيا (٣)»٠

وفي مقابلة خاصة ، اجراها اسحق اونا ، سفير اسرائيل في جنوب افريقيا ، مع مجموعة صغيرة من الصحفيين الاميركيين ٠ تكلم السفير ، عن التضامن الحقيقي بيـن البلدين :

« نلاحظ وجود شعور ـ ولو سطحي ـ بأن اسرائيل وجنوب افريقيا هما على سفينة واحدة ٠ بوصفيهما ، تجمعات صغيرة يحيط بها جو معاد ، وعليها بالتالي ضمان وجودها » ٠

واضاف ، مستبقا بعض الاعتراضات التي كان يتوقعها : « نحن لا نتدخل في شؤون جنوب افريقيا الداخلية (٤)٠ »

## ٢ ـ التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا امام المجتمع الدولي .

منذ عام ١٩٥٢ ، وخاصة ، منذ نيل معظم الدول الافريقية لاستقلالها في الستينات ، والجمعية العامة للامم المتحدة ، تضع بانتظام في جدول اعمالها ، مسألة دراسة المشاكل الناجمة عن سياسة حكومة جنوب افريقيا العنصرية · نشير هنا الى القرار رقم ١٧٦ الصادر في تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٦٢ والذي :

« يطلب من جميع الدول الاعضاء قطع علاقاتها الدبلوماسية مع جنوب افريقيا · ومقاطعة انتاجها ، والامتناع عن التصدير اليها ، وخاصة تصدير الاسلحة والمعدات العسكرية » ·

واعلن الامين العام للامم المتحدة عام ١٩٦٨ :

« لم تكتف حكومة جنوب افريقيا بمتابعة سياستها · بل اخذت في بث نفوذ عقيدتها العنصرية في المناطق المجاورة ، لاسيما في ناميبيا وروديسيا » ·

لقد واجهت حكومة جنوب افريقيا ، توصيات الجمعية العامة وقرارات مجلس الامن الدولى ، واحكام محكمة العدل الدولية ، بموقف الرفض والتحدي · وقد ادى هذا الموقف الى عدم اعتراف الجمعية العامة بوفد جنوب افريقيا · وتم عزله عن اعمال المنظمة الدولية ·

الى جانب ذلك ، كانت المباحثات بين حكومة تل ابيب والمجتمع الدولي يتابع مجراها منذ عام ١٩٤٨ ( تاريخ قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة ) · فقد اتخذت الجمعية العامة قرارها رقم ١٩٤ بتاريخ ١١ كانون اول ( ديسمبر ) ١٩٤٨ ، بعد الاطلاع على تقرير وسيطها حول التخريب وتدمير البيوت بشكل منظم ، والتي كانت تمارسها اسرائيل في المناطق التي تحتلها ، والتي تتجاوز الحدود المعينة للدولة اليهودية ، في قرار التقسيم :

« يجب السماح للاجئين بالعودة الى بيوتهم · على ان تدفع تعويضات لقاء املاك الذين يقررون عدم العودة »·

تلقت حكومة تل ابيب هذا القرار باحتقار تام · تماما كما سيكون موقفها من جميع القرارات التي سيجري التصويت عليها فيما بعد · والتي تتعلق بضم القدس ، واحتلال اراض جديدة عام ١٩٦٧ · او تغيير معالم هذه الاراضي · او غارات القصف على البلاد المجاورة · او القمع الذي يمارس ضد السكان الفلسطينيين ·

يجب ان نشير هنا ، الى ان الجمعية العامة للامم المتحدة ، ومنذ عام ١٩٧٣ ، **لم تعد تدين التصرفات الخاصة بحكومتي بريتوريا وتل ابيب فقط ، بل اصبحت ترى في توطيد العلاقات بين الحكومتين مؤشرا خطيرا يهدد السلام العالمي** ·

فالقرار رقم ٣١٥١ الصادر بتاريخ ١٤ كانون اول ( ديسمبر ) ١٩٧٣ يندد بـ ··· « التحالف بين الفاشية الجنوب ـ افريقية والامبريالية الاسرائيلية » ·

وفي القرار رقم ٣٣٢٤ ، بتاريخ ١٦ كانون اول ( ديسمبر ) ١٩٧٤ ، تدين الجمعية العامة : « توسيع نطاق العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها ·· بين اسرائيل وجنوب افريقيا » ·

اما القرار رقم ٣٣٧٩ الصادر بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٥ ، والذي يعتبر الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية ، جاء ليؤكد الصلة بين هذين النظامين · وقد جاء هذا القرار كمحصلة لمجموعة من الادانات الدولية ·

بيان مكسيكو ( المؤتمر النسائي للتقدم والسلام ـ ١٩ حزيران ، ٢ تموز ١٩٧٥ ـ ) الذي يؤكد على ان « ··· المشاركة والسلام يتطلبان الاستقلال الوطني والغاء الاستعمار والاستعمار الجديد ، والاحتلال الاجنبي ، والصهيونية ، ونظام التمييز العنصري ، وجميع اشكال التمييز العنصري · »

القرار ٧٧ الذي اصدره رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية المجتمعين في كمبالا (٢٨ تموز ـ ١ آب ١٩٧٥) والذي يعتبر ان « للنظام العنصري في فلسطين، والانظمة العنصرية في زيمبابوي وجنوب افريقيا مصدرا امبرياليا واحدا · فهي تتسم بالبنى العنصرية نفسها · وهي ترتبط عضويا بسياسة مشتركة تستهين بكرامة الانسان » ·

بيان وزراء خارجية الدول غير المنحازة المجتمعين في ليما ( ٢٥ ـ ٣٠ آب ١٩٧٥ ) والذي « يشجب بشدة الصهيونية التي تشكل خطرا على السلام والامن الدوليين · ويطلب من جميع الدول مواجهة هذه الايديولوجيا العنصرية الامبريالية » ·

كما اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارا جديدا ( رقم ٣٤١١ ، ١٠ كانون اول ١٩٧٥ ) يؤكد من جديد على ان « التعاون المستمر بين بعض الدول والمؤسسات الاقتصادية وغيرها مع النظام العنصري في جنوب افريقيا ، يشكل عائقا كبيرا امام الجهود المبذولة لاسقاط نظام التمييز العنصري » · ويدين « توطيد العلاقات والتعاون بين النظام العنصري في جنوب افريقيا واسرائيل في المجالات السياسية والاقتصادية وغيرها · »

ينشر الاعلام الصهيوني فرضية تقول ان هناك الان في الامم المتحدة اكثرية اوتوماتيكية الى جانب العرب · وهي تتألف أساسا من انظمة « غير ديمقراطية » · تفوح رائحة العنصرية من هذه الفرضية · لانها تحمل في داخلها اسفا على مرحلة ماضية ، حين كان هناك اكثرية اوتوماتيكية تملكها القوى الغربية وخاصة الولايات المتحدة ·

## ٣ ـ جذور التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا ·

« ما هو الفرق بين الطريقة التي يتبعها الاسرائيليون من اجل البقاء ضمن السكان غير اليهود ، والطريقة التي يتبعها الافريقيون للبقاء على ما هم عليه ؟ يرتكز الاسرائيليون على التوراة من اجل تفسير قرارهم بعدم الاندماج بالشعوب الاخرى ، وكذلك يفعل الافريقيون (٥) » ·

يحدد وضع الفرد القانوني في جنوب افريقيا حاليا ، حسب لون بشرته · ( علما ان هناك حوالي اربعة ملايين من البيض و١٨ مليونا من الافريقيين السود ، وثلاثة ملايين من الملونين والهنود ) · اما في دولة اسرائيل الصهيونية ، فيحدد وضع الفرد القانوني على اساس كونه يهوديا أو غير يهودي · علما أن مسالة الانتماء الى اليهودية ـ وهي غير محددة بشكل واضح ـ يجب اثباتها بشهادات اصلية تعود الى الام والجدة من الام ·

في الحالتين نجد المفهوم نفسه « خصوصية » ، « الشعب المختار » · والتي تنعكس على المستوى الاخلاقي بضرورة « الانفصال » وعلى الصعيد السياسي بضرورات « البقاء » و « الامن » ·

في الحالتين ، ايديولوجيا قومية منغلقة · تستند في أساسها الى التوراة ( العهد القديم ) · والغريب ، ان السفير الاسرائيلي في جنوب افريقيا هو الذي يذكر هذه الناحية المشتركة في المقابلة التي اشرنا اليها :

«... نملك ارثا مشتركا هو التوراة · ولا اريد ان اخفف من أهمية هذه المسألة · ونلاحظ ان الافريقيين يقارنون عادة بين « التريك الكبير » الذي قاد اجدادهم من المنطقة التي كانت تحت السيطرة البريطانية الى الترنسفال وبين خروج اليهود من مصر (٦) » ·

تكونت « القومية المسيحية » الخاصة بالافريقيين ، خلال الملحمة التي عاشها هؤلاء الفلاحون الهولنديون الذين ينتسبون الى مذهب الكالفين · والذين نقلوا معهم مجتمعهم البطريركي الى افريقيا الجنوبيــــة · فتبنوا بعض مفاهيم التوراة الخاصة « بالشعب المختار » و« ارض الميعاد » · واتخذوا لانفسهم لغة خاصة بهم · وهم يفسرون بقاءهم هناك ، رغم التجارب العصيبة التي مروا بها ، « بالهبة الالهية » التي ينعمون بها ، بوصفهم امل الحضارة الغربية في افريقيا ( مالان ١٩٢٨ ) ·

يحلل البروفسور فيركويل هذه الظاهرة كما يلي : « تستند عقيدة التمييز العنصري Aperthied على اندفاع ايديولوجي اتخذ شيئا فشيئا شكلا شبه ديني بما فيه من اساطير وطقوس واخلاق وثقافة خاصة به · وهذا يعود الى مفهوم « القومية الافريقانية المنفصلة » التي تتماثل بالحضارة الغربية · تتغلب الاعتبارات القومية في هذه النظرية بشكل واضح على الاعتبارات المتأثرة بالمسيحية (٧) » ·

لقد ادت هذه « الهرطقة » ، وخاصة في نوعية المجتمع الذي تجسدت فيه ، ادت الى الانفصال عن الكنيسة « الهولندية ــ الاصلاحية » ، التي شكلت سابقا الضمانة الايديولوجية لنظام جنوب افريقيا · ومع مجلس الكنائس العالمي في جنيف ·

يجب ان نشير هنا ، الى ان ممثلي الكنائس المسيحية الاخرى الموجودة في جنوب افريقيا ( الميتودية ، اللوثرية ، الانكليكانية والكاثوليكية ) يتعرضون للاضطهاد والمنفى والسجن ومنع النشر ، نتيجة موقفهم المعادي للايديولوجيا العنصرية · ويتزايد القمع حاليا على هذه الاوساط ، وخاصة على « المؤسسة المسيحية » ، التي كانت ضحية القمع منذ تأسيسها عام ١٩٦٣ ·

لن نذكر هنا بالنصوص والروايات التوراتية التي يستند الصهاينة الى تأويلاتها لتبرير « حقوقهم التاريخية » على ارض فلسطين · هذه التأويلات التي تتجاهل النظرة الكونية التي للدين اليهودي · ودون الدخول في نقاش حول صحة هذه النصوص التاريخية · يكفي ان نذكر بما يقوله روجيه غارودي عن الروايــــة التاريخية التي تلقن للشبيبة الاسرائيلية · ( ندوة بغداد حول الصهيونية · ٨ ــ ١١ تشرين ثاني ١٩٧٦ ) ·· « كيف يمكن ان لا نستبقي من تاريخ هذه المنطقة ــ منطقة مرور واختلاط شعوب عديدة ــ الا مراحل منها فقط · هجرة ابراهيم بين هجرات عديدة اخرى ، مملكة داوود من ضمن ممالك عديدة اخرى او ثورة المكابيين من ضمن ثورات عديدة اخرى » ·

حتى لو قبلنا ، يقول العالم اللاهوتي دو بوري ، مواقف الاصوليين التي تستند على النصوص الحرفية ، وحتى لو سلمنا بصحة جميع روايات التوراة ، فهل يمكننا الاستشهاد بها لتبرير العنصرية · وينهي دراسته هذه قائلا : « لا يمكننا ان نفهم الكيفية التي يعتبر فيها بعض المسيحيين ان وعود العهد القديم هي دليل على شرعية المطالب التوسعية الاسرائيلية (٨) »·

اعتراضنا موجه اساسا الى المسيحيين الذين يساندون الصهيونية استنادا الى قراءة « اصولية » للكتاب المقدس · ولكن في المقابل ، مقاومة الصهيونية السياسية داخل اليهودية كانت ولا تزال بالغة الاهمية · ففي عام ١٩١٧ كانت اكثرية اليهود معادية للصهيونية ، باعتبار ان مشروع انشاء دولة زمنية هو مجرد هرطقة ، ( ولا تزال بعض المجموعات اليهودية الارثوذوكسية تتبنى هذا الرأي ) · او مغامرة خطيرة · في ذلك الزمن ، يكتب مدير الرابطة اليهودية العالمية : « لم نغير رأينا حول مخاطر الصهيونية ولا نزال مقتنعين بأن هذه الحركة سوف تنتهي الى الفشل او ربما الى الكارثة (٩) » ·

منذ ذلك التاريخ ، والمنظمة الصهيونية العالمية ، تعمل على احاطة الطوائف اليهودية المختلفة بتنظيم نشط ، وتوجيهها للتفاني المطلق والتماثل مع الدولة اليهودية · ـ عبر الجباية المالية ، والتأييد المطلق دون شروط للسياسة الاسرائيلية ، التنبيه من خطـر الاندماج والحث المتواصل على الهجرة الى اسرائيل ـ ولكن ، حتى في اسرائيل نفسها ، بدأ الكثيرون في التساؤل حول حقيقة ايديولوجيا هذه الدولة ، دون ان يعيدوا النظر في وجودها ·

ولكن ، الذي يهمنا هنا ، اكثر من المضمون الايديولوجي للصهيونية وللتمييز العنصري، هو استنادهما الى سياسة تمييز واحتقار تجاه البيض وغير اليهود · هذا « التمايز » يبرر دائما بعبارات « التفوق » و « عدم الاندماج » · فدستور اتحاد جنوب افريقيا لا يأتي الى ذكر الافريقيين · ووعد بلفور لا يشير الى وجود الشعب الفلسطيني الا تلميحا· « السكان غير اليهود » يعترف رئيس المجلس اليهودي العالمي ناحوم غولدمان ·· « ان احدى نقاط الضعف الاساسية في الحركة الصهيونية منذ انشائها ، هي تجاهل اهميـة المشكلة التي يطرحها العالم العربي (١٠) » ·

عندما يجري الحديث عن « السكان الاصليين » ، تأتي اللهجة احتقارية أو ابوية في افضل الحالات · فهم اناس « بدائيون » و « دونيون » · وفي الادبيات الجنوب ـ افريقية « نجد الصفات التي تستخدمها العنصرية ، مؤكدة هنا الاف المرات · فابن البلد كسول ، ضعيف ، جبان ، ساذج ، لص ، داعر ، ويملك بالتالي جميع المؤهلات كي يصبح قاتـلا لاسياده البيض (١١) » ·

يردد صدى هذا الازدراء في صفوف الاجيال الشابة · ويدين تقرير للاونيسكو تأثير نظام التمييز العنصري في المجال المدرسي · حيث الكتب المدرسية تؤدي الى نشوء مشاعر عنصرية تجاه الافريقيين عن طريق العبارات المستخدمة ·

منذ فترة وجيزة ، ابدى بعض الاسرائيليين قلقهم تجاه المضمون العنصري للكتب التي يأخذها اطفالهم من المكتبات المدرسية · وعادة يدور موضوع الكتاب حول مهارة شاب اسرائيلي يهودي لا يملك غير الذكاء · لكنه يتمكن من احباط مؤامرة يدبرها بعض العرب من ذوي الطبيعة الغادرة والاغبياء · ووثيقة « كينيغ » التي صدرت حديثا ، تأتي برهانا على نمط التفكير هذا : « الطبيعة العربية الشرقية ، السطحية ، غير المتعمقة ، والتي تتميز بعمل الخيال اكثر من عمل العقل (١٢) » · وحول الموضوع نفسه ، يلاحظ معلق اسرائيلي: « هذه الايديولوجيا عنصرية تماما · وهذه الطريقة في وصف مجموعة بشرية على انهـا متخلفة ومختلفة ، استعملت دائما لتبرير سياسة تمييزية · ولا يوجد اي فرق بين هذه العموميات والتعريفات التي كان يدلي بها اللاساميون » ·

اسرائيلي ليبرالي هو آمون كابيلوك ، يقارن بين عقلية مواطنيه اليهود وعقلية البيض في جنوب افريقيا . فيلاحظ اثر جولة قام بها في جنوب افريقيا . « تسمع هنا احاديث اليفة بالنسبة للاسرائيلي . القاسم المشترك هو الثقة المطلقة في بعض التأكيدات . وغياب كامل لاي مجهود من أجل فهم الآخر ... اعطاء الحقوق للسود ؟ هل تعرفون سيكولوجيتهم (١٤) » .

وحتى لو وجدنا في دول اخرى ، وفي ظل انظمة اخرى ، اشكالا من التمييز العنصري ، يجب التأكيد هنا على « الشرعية العقائدية » لهذا التمييز الموجود في ايديولوجية « التمييز العنصري » والايديولوجيا الصهيونية . وبناء على هذه العقائد ، تبرر الطبقة الحاكمة في اسرائيل قانون العودة ، واحتلال اراض جديدة ، والتمسك بالاحتلال واقامة مستوطنات يهودية في هذه المناطق التي تعتبر « ارض الشعب اليهودي الوطنية » . وباسم هذه العقائد تبرر جنوب افريقيا سياسة التمييز العنصري بين مجموعات واخرى . ووضع برامج تجعل من الافريقيين غرباء في بلدهم .

## الخلفية التاريخية

لم يكن الاندفاع الايديولوجي للمستعمرين الاوروبيين في جنوب افريقيا ، ولا اندفاع القادة الصهاينة ، ليؤدي الى انشاء دولة مستقلة ، لولا استفادتهما من مساندة قوى حماية اجنبية . وفي المقابل ، فقد رأى بعض القادة الاوروبيين في القرن التاسع عشر ، ان الطاقة التي تمثلها هذه التيارات القومية هي سلاح أساسي للمحافظة على امبراطوريتهم الاستعمارية . وفي الحالتين ، تم اللقاء تحت رعاية بريطانية ، القوة الاهم في ذلك الحين، والتي كان لها في المنطقتين مصالح استراتيجية واقتصادية كبيرة .

ونلاحظ ، في دراستنا لتطور الحالتين ، نشاط نفس الاشخاص . فالصداقة التي ربطت ٣٣ عاما « ١٩١٧ ـ ١٩٥٠ » بين رجلين يملكان منصبا حساسا ، تبدو رمزا وفي نفس الوقت عاملا محددا في تاريخ فلسطين وجنوب افريقيا في هذه المرحلة . وهما الجنرال سموتس مندوب جنوب افريقيا الخاص لدى الحكومة البريطانية ، ( وقد اصبح فيما بعد رئيسا لوزراء دولة اتحاد جنوب افريقيا ) وحاييم وايزمن رئيس الاتحاد الصهيوني في بريطانيه وزعيم الحركة الصهيونية ، والذي اصبح فيما بعد رئيسا لدولة اسرائيل . « لم يكن وعد بلفور ممكنا لولا وايزمن . ولا شك ان اتحاد جنوب افريقيا لم يكن ليتأسس عام ١٩١٠ لولا الجنرال سموتس » . ويضيف البروفسور ريتشارد ستيفنس : « اذا نظرنا الى مختلف قرارات الغرب التي اثرت سلبا على حياة شعوب العالم الثالث ، نرى ان القرارين المتخذين في لندن ١٩٠٩ و١٩١٧ ، هما الاكثر وضوحا في كشف جوهر النزعة العرقية الغربية ، والبرهنة على قدرتها في التمويه وتجسيد تسلطها ، عبر ترجمتها في الواقع تحت ستار القوانين الدولية . اول هذين القرارين عرف باسم قانون تأسيس اتحاد جنوب افريقيا اما الثاني فهو وعد بلفور ... هكذا ، وباسم الليبرالية البريطانية ، لم تفقد شعوب فلسطين وافريقيا الجنوبية اراضيها ومنازلها وحقوقها الاساسية فقط ، بل فقدت هويتها . تبعد فلسطين مسافة ٥٠٠٠ كلم عن جنوب افريقيا . لكن هذين البلدين قد اخضعا لنظام واحد ، وقدما ضحية باسم مصالح الغرب » . ( ريتشارد ستيفن ، الندوة العالمية حول فلسطين ، شباط ١٩٧١ ) .

وفي دراسة مخصصة للعلاقة بين الرجلين ، يشير ستيفن الى انه : « في الحالتين ،

لقد عبر سموتس ووايزمان عن قدرة الحضارة الغربية على عقلنة دوافعها في السيطرة والاستغلال والاحتلال بعبارات مسيحية ـ حضارية ، وانتاج عرقي يهودي ـ مسيحي (١٥)٠

لقد كان اكتشاف الماس ( ١٨٦٧ ) والذهب (١٨٨٦) في جنوب افريقيا ، مبررا جديدا للوجود البريطاني هناك · بالاضافة الى ذريعة مراقبة منطقة رأس الرجاء الصالح ، طريق الهند البحرية · وكان من نتائج تدفق المستوطنين الجديد ، والتوسع السريع للشركات ، نشوب صدام مع البوير * · وقد وصل الصراع الى ذروته في حرب البوير التي نشبت في نهاية القرن الماضي · الا ان هذا الخلاف الطارىء ، وجد حله في دستور اتحاد جنوب افريقيا الذي صدر عام ١٩١٠ ، وجمع ، داخل اطـــار الكومنولث ، الطائفتين الاوروبيتين حول هدف مشترك : **جعل افريقيا الجنوبية بيضاء** ·

والحجج الحضارية ، تظهر واضحة في هذا الكلام للجنرال سموتس : « لقد اقام حوالي نصف مليون ابيض على الطرف الجنوبي من قارة شاسعة يسكنها اكثر من مئة مليون همجي · وذلك ، ليس من أجل تحقيق قدرهم الخاص فقط ، بل ايضا ، من اجل رفع هذا الثقل الميت من الهمجية التي تعود الى ما قبل التاريخ نحو انـــوار وبركات الحضارة المنظمة · واذا لم يرص الجنس الابيض صفوفه في هذا البلد ، فسيصبح الوضع لا يطاق في مواجهة اكثرية ساحقة من الهمج (١٦) » ·

في الوقت الذي كانت تجري فيه العملية الاستيطانية في جنوب افريقيا ، كان الزعماء الصهاينة يتابعون جهودهم من اجل ايجاد رعاية اوروبية لمشروعهم · يقول غولدمان : « لقد كانت الحركة الصهيونية تسعى الى هدفين : ـ بث الايديولوجيا في اوساط الشعب اليهودي واستقطاب اكثريته الى جانبها · ـ اثارة تعاطف الدول الكبرى من اجل الحصول على تأييدها في تشييد الدولة اليهودية (١٧) » ·

ومنذ عام ١٩٠٠ ، وبعد محاولات فاشلة مع تركيا والمانيا في ظل نظام غليوم الثاني ، قررت الحركة الصهيونية التوجه نحو بريطانية العظمى · وبريطانية لها مصالح متعددة في منطقة الشرق الاوسط : فهي تشرف على قناة السويس منذ عام ١٨٦٧ وهي حريصة على ابقاء هذا الممر البحري تحت سيطرتها · كما انها تملك منذ عام ١٩١٤ معظم اسهم الشركة النفطية التركية التي تملك جميع اسهم الشركات الاوروبية · وبازدياد تفكك السلطنة العثمانية ، يزداد الطمع في الاستيلاء على فلسطين ·

كانت خطوات الزعماء الصهاينة ضمن هذا السياق · فبعد ان تكلم هرتزل عن «دولة خاصة باليهود » ، اشار الى « القلعة الاوروبية المتقدمة في مواجهة البربرية » · ردد وايزمن هذه المفاهيم امام الحكام في لندن : « فلسطين اليهودية هي ضمانة لانجلترة ، خاصة فيما يتعلق بقناة السويس (١٨) » · وبعد مساومات لا تحصى ، توصلوا الـــى الحصول على وعد بلفور الذي شكل الاساس الشرعي للاستيطان في فلسطين · وهنـــا ، كما في جنوب افريقيا ، لا يذكر السكان الاصليون · وقد اعلن اللورد بلفور في مذكرة قدمها في مؤتمر باريس ( آب ١٩١٩ ) : « في فلسطين ، لا نطرح على انفسنا مسالة استشارة اهل البلاد الاصليين · فالصهيونية ، اكانت على خطأ او صواب ، هي اكثر اهمية من رغبات ٧٠٠ الف عربي يقيمون في فلسطين · وهي اكثر اهمية من الخسائر التي يمكن ان يتكبدها هؤلاء العرب (١٩) » ·

---

(*) البوير هم احفاد الهولنديين والالمان والفرنسيين الذين استوطنوا تلك الارض بين ١٦٥٢ و ١٦٥٨ · وقد تبعهم فيما بعد اليهود والايطاليون والبرتغاليون ·

لقد سمح القبول الرسمي بالوطن القومي اليهودي ، على غرار دستور جنـــوب افريقيا ، للنظامين بتثبيت شرعية استيطان الاراضي · ( شراء ، استملاك وابعاد في فلسطين · وقيام « البانتوستان » * في جنوب افريقيا ) ·

في جنوب افريقيا يمتد حاجز اللون ، الى جميع الميادين · ومع وصول الحزب القومي الى السلطة عام ١٩٤٨ ، بلور الافريقانيون نظرية التمييز العنصري · وفي فلسطين ، استمرت الهجرة المكثفة والاستيلاء على الاراضي وطرد الفلاحين · ولندن التي تحاول التلاعب في مواقفها بين العرب واليهود ، ترى ان سلطتها الانتدابية بدأت تتزعزع ، فتحيل القضية الى الامم المتحدة عام ١٩٤٧ · وساهمت النزاعات الداخلية العربية في انجاح الستراتيجية الصهيونية بعد فشل مشروع التقسيم · ودون الغوص في تفاصيل هذه المرحلة التاريخية الغامضة ، نذكر ، ان حوالي مليون فلسطيني اجبروا على اخلاء بيوتهم بين ١٩٤٧ وايار ١٩٤٨ ، نتيجة للحرب ولنشاطات المنظمات الارهابية الصهيونية · وعشية انتهاء الانتداب البريطاني ، اعلن بن غوريون نشوء دولة اسرائيل على ارض فلسطين ، وتمنع طبعا عن تعيين حدود هذه الدولة ·

كانت حكومة جنوب افريقيا ، قد عبرت عن تضامنها مع المنظمة الصهيونية منذ ٤ ايلول ١٩٢٦ : « ان حكومة جنوب افريقيا ، التي تتابع باهتمام وتعاطف ، جهود المنظمـــة الصهيونية في سبيل تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ··· تتمنى لهـــا النجاح التام في مشروعها ، وتؤكد انها ستساندها بكل قوة ، بواسطة مندوبيها في عصبة الامم او باية وسيلة اخرى (٢٠) » ·

كما استقبلت حكومة جنوب افريقيا ، خبر انشاء دولة اسرائيل بحماس بالغ · وكانت من اوائل الدول التي اعترفت بها في الامم المتحدة · كما ان مالان ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، كان اول رئيس دولة يقوم بزيارة رسمية لاسرائيل · يقول الدكتور لسلي روبين ، مؤسس الحزب الليبرالي الجنوب ـ افريقي ( والذي نفي فيما بعد ) ان جذور هذا التعاطف تعود الى اعجاب الافريقانيين بهؤلاء الذين « رفعوا عنهم النير البريطاني » ، ( وهذه امنية جنوب افريقية مبيتة ) والى ان « انتصار اليهود على العرب ، يعتبر بمثابة انتصار للبيض على غير البيض (٢١) » ·

عام ١٩٦٠ ، رأت جمهورية جنوب افريقيا النور ، بعد ان خلفت اتحاد جنوب افريقيا · وعام ١٩٦١ خرجت من الكومنولث ·

ولكن في هذه الدولة البيضاء ، كما في الدولة الصهيونية ، لن يترجم الاستقـــلال السياسي الى استقلالية حقيقية · يبقى خاضعا اقتصاديا وسياسيا وعسكريا للقـــوى الغربية ·

### ٤ ـ الدور المفصلي للطائفة اليهودية في جنوب افريقيا ·

لعبت الطائفة اليهودية دورا محددا في اقتصاد جنوب افريقيا ، حتى قبل الحرب العالمية الثانية · وحتى اذا استثنينا اصحاب الشركات الضخمة مثـــل Central mining Philipps. N. C. Red mines de F. R. والشركة الانكلو اميركية لصاحبها ارنست

---

* البانتوستان : هي المعسكرات الخاصة بالسكان المحليين ·

اوبنهايمر ( الذي يرأس في الوقت نفسه مجموعــة De Beers Consolidated Mines محتكر الماس ) · فاننا نجد ان الطائفة في مجملها ممثلة على مستوى جيد جدا في الاوساط المنجمية والتجارية والمصرفية · وفي نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا ، اكثر الطوائف اليهودية في العالم ان لم تكن اكثرها ثراء ( ١٢٠ الف نسمة ) · ولا عجب اذا لعبت هذه الطائفة دورا كبيرا في تثبيت العلاقـات بين اسرائيل وجنوب افريقيا وتعميقها · فهذه الطائفة ، تؤيد الحركة الصهيونية في اغلبيتها الساحقة ( ٩٠٪ ) · تترجم هذه العلاقة عمليا ، عبر كميات باهظة من الاموال ونسبة هجرة مرتفعة ومساعدة مميزة خلال الحروب في الشرق الاوسط · وقد فهم الحزب القومي انه من الافضل كبح اهوائه اللاسامية خوفا من تهريب الرساميل اليهودية ، ولان القادة البيض يتوقعون : « ان الوعي العرقي لليهود يهيئهم لفهم حوافز الشعب الابيض المتشابهة في ميادين اخرى (٢٢) » ·

وقدايدت حكومة مالان ، بشكل رسمي ، سياسة عدم التمييز بين جميع طوائف البيض · وسرعان ما قبل اليهود في صفوف الحزب الافريقاني ، وشغل عدد منهم مناصب هامة في الحكومات المتعاقبة ·

وفي المقابل ، فقد التزمت الطائفة اليهودية ، عبر منظماتها التمثيلية ( فيدرالية جنوب افريقيا الصهيونية التي أسست عام ١٨٩٥ ، ومكتب المندوبين اليهود ) بعدم اتخاذ اي موقف من سياسة التمييز العنصري · ( نشير هنا الى ان عددا كبيرا من الشخصيات اليهودية ، اختارت بشكل فردي تأييد قضية الشعب الافريقي المضطهد · وغالبا ما كـان ثمن هذه المواقف هو النفي ) ·

عرض الحاخام وايلد ، عام ١٩٥٣ اسباب هذا « الحياد اليهودي » : « قدرت الطائفة اليهودية عدم اتخاذ اي موقف حول قضية السكان المحليين ··· فمهمتها هي مساعدة اليهود في البلاد الاخرى · لا تستطيع الطائفة اليهودية ان تستأذن حكومة جنوب افريقيا بتحويل الاموال والسلع الى اسرائيل ، وان تنتقد في الوقت نفسه سياستها (٢٣) » ·

وحتى مجزرة شاربفيل ، التي اثارت العالم بأسره ، لم تنجح في تغيير هذا الموقف الارادي المتحفظ · وقد اجاب الكاتب اليهودي دان جاكوبسون على اسئلة رونالد سيغال حول المواقف التي تتخذها الطائفة اليهودية : « يوجد انغليكانيين وكاثوليك وميثوديين سود ، ولكن لا يوجد يهود سود ··· ان الطائفة اليهودية ترفع صوتها عندما تهدد مصالحها المباشرة ( السياسة السوفياتية ــ المصرية في الشرق الاوسط ، او القوانين المحليــة للهجرة ··· ) لكنها تفضل التزام الصمت حول المواضيع الاخرى (٢٤) » ·

تأزمت العلاقات الاسرائيلية ــ الجنوب افريقية في الستينات ·· وذلك عندما اتخذت الحكومة الاسرائيلية موقفا نقديا من سياسة التمييز العنصري ( وخاصة عند تصويتها على قرار الامم المتحدة رقم ١٩٦١ ) بهدف بناء علاقات جيدة مع الدول الافريقية التـي استقلت حديثا · ولكن ردة حكومة جنوب افريقيا كانت مباشرة فقد تساءلت صحيفة «دي ترانسفالد » المؤيدة لرئيس الوزراء فيرفورد : « ماذا يستطيع الاسرائيليون ان يقولوا حين تعلن جنوب افريقيا رأيها ، دون ان يطلب ذلك منها ، في وضع اللاجئين العـرب الذين يعيشون ، منذ ثلاثة عشر عاما على حدود اسرائيل في شروط رديئة ، لانه لـم يسمح لهم بالعودة الى منازلهم (٢٥) » · اما ردة فعل فيرفورد فكانت اكثر صراحة :

« لقد استولى اليهود على اسرائيل من العرب الذين كانوا يعيشون فيها منذ الف عام ... وانا اوافق معهم على هذا · فاسرائيل هي مثل جنوب افريقيا ، دولة تمييز عنصري (٢٦)»· وفي رسالة الى « الصاندي بريس » ، يشير رئيس وزراء جنوب افريقيا الى ان الموقف الاسرائيلي هذا ، يشكل « كارثة على يهود جنوب افريقيا » ويتابع قائلا : « بدأت الناس تتساءل · اذا كانت اسرائيل وارنابها مضطرة الى مهاجمة سياسة التطور المنفصل هنا ، فلماذا لا تعتبر هذه السياسة سيئة حين تطبق في اسرائيل · اذا كان « التمييز » ذنب ، فانه ذنب اذا قام على أساس العرق وعلى أساس الدين (٢٧) » ·

اعلنت الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا عن اسفها لموقف المندوب الاسرائيلي في الامم المتحدة ، الذي لم يكتف بالامتناع عن التصويت مثل ممثلي الدول الغربية الاخرى · كما توسط ممثلوها لدى المنظمات اليهودية في مختلف البلدان ، من اجل التوقف عن نقاش موضوع التمييز العنصري في جنوب افريقيا امام الامم المتحدة · لكن هذه الجهود ، لم تسفر الا على نجاح محدود . فقد عبر المؤتمر اليهودي الاميركي اكثر من مرة . عن تنديده بالسياسة العنصرية في جنوب افريقيا ·

ساهمت الطائفة اليهودية ، رغم كل هذا ، في حل الازمات التي نشبت خلال هذه الفترة الدقيقة ، ( والتي انتهت حين قررت معظم الحكومات الافريقية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع تل ابيب ) · ثم جاءت الازمة الاخيرة عام ١٩٧١ ، حين عرضت الحكومة الاسرائيلية على منظمة الوحدة الافريقية هبة لحركات التحرر الافريقية · هنا انفجر فورستر رئيس الوزراء حين وصله النبأ قائلا : « لا يمكنني ان افهم كيف يمكن لاسرائيل ، وهي التي تواجه مشكلة الارهاب ، أن تبرر اعطاء هبة لارهابيين اخرين (٢٨) » ·

غير ان العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، كانت تنمو بالرغم من هذه الصعوبات المؤقتة ، كما سنلاحظ في جزء اخر من هذه الدراسة · وتعلل الصحيفة الافريقانية «دي برغر » هذا ، بالتضامن الواقعي الذي يربط الدولتين · اما فيما يتعلق بالتنديد الاسرائيلي بسياسة التمييز العنصري تعلق الصحيفة : « اذا كان لنا ان نستخلص درسا من هذا الحادث المؤلم ، فان على البلدين ايلاء القضايا الخاصة بكل منهما انتباها اكبر · فاسرائيل وجنوب افريقيا ، ليستا في حالة متشابهة بل ويحتاجان ايضا الى بعضهما (٢٩) » ·

وتؤكد صحيفة « الجويش افيرز » على التكامل الستراتيجي ، مشيرة الى الخطر السوفياتي : « تعتبر جنوب افريقيا ان الشرق الاوسط ، حيث تلعب اسرائيل دور الحارس المتواضع الذي لا غنى عنه ، هو خط الدفاع الاول بالنسبة لها · اسرائيل تحمي ويجب ان تحمي اطول مدة ممكنة مدخل الممر الذي يمكن ان يصبح طريق المرور الرئيسي في الاعتداء عليها · ان مستقبل المرور بين البحر المتوسط والمحيط الهندي هو مسألة اساسية بالنسبة لاسرائيل ، توازي اهمية طريق رأس الرجاء الصالح بالنسبة لجنوب افريقيا · فاذا سقطت هذه المنطقة في ايد معادية ، تصبح طريق رأس الرجاء الصالح معرضة في الشرق وتصبح القضايا الامنية بالغة الخطورة بالنسبة لجنوب افريقيا · اما بالنسبة لاسرائيل ، فان وجود امة متيقظة وقوية اقتصاديا في أقصى جنوب القارة الافريقية ، يشكل عنصرا اساسيا في استراتيجية ضمان مؤخرتها » ·

ان ولاء الطائفة اليهودية التام للسلطة العنصرية البيضاء ، يفسر القلق الذي ينتابها امام صعود المقاومة الافريقية · وقد عكست الصحف الاسرائيلية حيرة يهود جنوب افريقيا الذين يفكرون في الهجرة ... ولكنهم يترددون في الاقامة في اسرائيل « لانهم يخشون

الا يلقوا سبل الراحة التي ينعمون بها اليوم ، وبسبب الحالة الامنية في المنطقة (٣٠) » ٠

**٥ ـ اوجه التشابه بين النظام الاسرائيلي ونظام جنوب افريقيا ٠**

الهدف الاول والمشترك بين البيض في جنوب افريقيا ، والصهاينة ، في فلسطين ، كان تملك الاراضي التي يقيمون عليها بشكل كامل ٠ الارض الاسرائيلية ليست ارضا قومية بل « ارض يهودية » ٠ اما اراضي جنوب افريقيا ، باستثناء « الترانسكاي » الذي اعلن استقلاله في تشرين الاول ١٩٧٦ ، والبانتوستانات الثمانية الاخرى الى حد ما ، فهي تعتبر ملكا للبيض ، يمنع الافريقيون من التملك فيها او حتى الاقامة الدائمة ٠

لقد ادت عملية الاستعمار الاستيطاني في الحالتين ، الى ابعاد اكبر عدد ممكن من الاهالي غير البيض وغير اليهود ٠

وفي الحالتين ، تواصلت العملية بشكل مستمر ، انطلاقا من برنامج معلن ، وهي مستمرة حتى الان ، بشروط تتلاءم والاوضاع السياسية والجغرافية ، الخاصة بكل بلد ٠ هناك تشابه واضح بين مصير العمال الذين يأتون للعمل في اسرائيل من الارض المحتلة ، ومصير الافريقيين الذين يسكنون « البانتوستان » ، او حتى الضواحي السوداء لمدن جنوب افريقيا البيضاء ٠

وفي الحالتين ، لا تواجه الانظمة في سياستها الاستيطانية مقاومة متزايدة من قبل الاهالي الذين يتمثلون في منظماتهم فقط ٠ بل كذلك من الدول العربية والافريقية التي تتضامن مع هذا النضال ، وحتى من قبل الرأي العام العالمي نفسه ٠

**جنوب افريقيا ٠**

كانت مصادرة الاراضي مسألة سهلة بالنسبة للمستعمرين الاوروبيين الاوائل ٠ اذ لم تكن القبائل الافريقية قد عرفت الملكية الخاصة ، وكانت تنظر الى هؤلاء الغرباء دون عداء ٠ حتى اليوم ، الذي بدا فيه واضحا ، ان هدف البيض هو طردهم واستعبادهم ومصادرة اراضيهم ، حينئذ حاول الافريقيون المقاومة ٠ ولم ينته الصراع ضد « الزولو » على وجه التحديد الا عام ١٨٧٩ ٠

لقد سمح اندماج الطائفتين الاوروبيتين ، في اطار « اتحاد جنوب افريقيا » ، لهما ان يجعلا الاجراءات العنصرية شرعية ٠ عام ١٩١٣ ، صدر القانون الذي ينشيء «المعسكرات» الافريقية ( Native Land act ) التي خصص لها ٧٪ من مجمل اراضي البلاد ثم ارتفعت هذه النسبة الى ١٢ر٦٪ عام ١٩٣٢ . ولم يطرأ اي تغيير عليها منذ ذلك التاريخ ٠ وهذا يعني ان المساحة الاجمالية للمعسكرات (البانتوستان) تمثل ١/٧ من مجمل مساحة البلاد ، هي مخصصة لـ ٧٠٪ من مجموع السكان ومع وصول الحزب الافريقاني القومي الى السلطة عام ١٩٤٨ ، اصبح النظام اكثر قسوة ، وتطور في اتجاهين رئيسيين :

١ ـ الاقتلاع المنظم للافريقيين ونقلهم الى « اوطان » ذات طابع قبلي ٠ يتناول هذا الاجراء في بادىء الامر « غير المنتجين » او « غير المرغوب فيهم » ٠ ويطبق هذا بشكل لا انساني الى حد انه اثار سخط بعض النواب البيض ٠ وقد اشار نائب الوزير لشؤون البانتو » عام ١٩٦٨ انه سيتم ابعاد اربعة ملايين افريقي في السنوات القادمة ٠ « ان

مليونين من اصل الملايين الستة الذين يعيشون في المناطق البيضاء يتعاطون نشاطـا اقتصاديا ٠٠»

٢ ـ اقامة تمييز حاد بين المجموعات الاثنية المختلفة التي تسكن في المدن والمناطق الخاصة بالبيض ٠ فالهدف هو ايضا التفريق بين غير البيض انفسهم ٠ هكذا تقتلع الاف العائلات من المناطق التي كانت تقيم فيها منذ اجيال ٠

وضع برنامج التمييز العنصري هذا ، وثبت ، من خلال جهاز بالغ التعقيد مـن الممنوعات والقيود المختلفة ، والانظمة التي تحد من حقوق الافريقيين في الاقامة والتنقل ٠ واذن التجول « الباس » الشهير ، الذي يجب ان يحمله الافريقي باستمرار هو رمز لهذا الاستعباد ٠

وحتى عام ١٩٦٠ ـ تاريخ مجزرة شاربفيل ـ لم يكن للافريقيين حق المواطنية ليس فقط على مجمع اراضي البلاد ، بل ايضا في البانتوستان ( المفردات ) ولم يفكر رئيس الوزراء فيرفورد بامكانية اعطائها نوعا من الحكم الذاتي ، ولم يتحدث عن امكانية تحولها الى « دول منفصلة » لولا تصاعد الاستنكار الدولي تجاه سياسة التمييز العنصري ٠ « ليس هذا هو الحل المفضل بالنسبة لنا ٠ ولكن ، نظرا للضغوط التي تمارس على جنوب افريقيا ، سوف يترتب علينا الوصول الى هذا الحد دون شك ٠ ويكون هذا ، سبيل الرجل الابيض للحصول على حريته وحقه في ابقاء سيطرته على ما هو بلده (٣١) » ٠

وينعم « الترانسكاي » ، الذي يلعب دور الواجهة منذ عام ١٩٦٣ ، بما يشبه الحكم الذاتي ٠ بينما يمتد برنامج البانتوستان الى ناميبيا ( وهي جزء من دولة جنوب غـرب افريقيا . وقد احتلتها جنوب افريقيا بشكل غير شرعي ) ٠ وعام ١٩٧١ حدثت خطوة جديدة عبر اصدار قانون البانتوستان ، الاوطان ، وفي انشاء مجالس تشريعية ، تمثل مبدئيا القبائل المختلفة ٠ ولكن لم يستشر السكان في هذا بأي شكل من الاشكال ٠

وبقي احتمال استقلال البانتوستان ، احتمالا نظريا حتى عام ١٩٧٤ ، ( ما عـدا الترانسكاي ، التي قرر ان تنال استقلالها عام ١٩٧٦ ) ٠

ومع تصاعد النضال التحرري والاضطرابات التي نشبت على اثر سقوط نظام الاستعمار البرتغالي ٠ اضطر رئيس الوزراء فورستر الى تناول الموضوع ثانية والاسراع في تقديمه كشكل من اشكال الحكم الذاتي للافريقيين ٠ ويأمل في ان تؤدي خطوته هذه الى نزع شعلة المعارضة الدولية ، وشق صفوف الدول الافريقية ، حول مسألة الاعتراف بهذه الدول ـ المسخ ، وحرمان الافريقيين نهائيا من القاعدة الشرعية لمطالبتهم بقيادة سياسة بلادهم، حيث يصيرون غرباء بشكل رسمي ٠ *ان اعلان استقلال الترانسكاي في ٢٦ تشرين اول ١٩٧٦* سوف يكون امتحانا لحكومة بريتوريا ٠ فاذا تم الاعتراف بالدولة الجديدة ، تكون العملية قد بدأت ٠ والدولة البيضاء استطاعت ازالة عواقب سياستها العنصرية ٠

لكنها خدعة فظعة ٠ فاقامة البانتوستان ، هو الانجاز النهائي لنظام التمييز العنصري٠ ويظهر بوضوح ، أن هذه « الكيانات القومية » ، البائسة ، المتجزأة ، المزدحمة بالسكان ، والتي تفتقر للثروات الطبيعية والبنى الاقتصادية ، وحيث يتشكل موردها الرئيسي ، مـن اجور عامليها في المناجم والمصانع والمزارع « البيضاء » ، ستبقى خاضعة لبريتوريا بشكل وثيق ٠

لقد ادانت حركات التحرر والمنظمات الدولية ( الامم المتحدة ، منظمة الوحدة الافريقية ، المجموعة الاقتصادية الاوروبية ) هذه العملية ، باعتبارها طعنة لوحدة اراضي جنوب افريقيا · ولم يعترف اي بلد حتى الان ـ ما عدا جنوب افريقيا ـ بالترنسكاي كدولة مستقلة ·

ولكن حكومة جنوب افريقيا ، لن تتوقف عن محاولة احراز اعتراف امر واقع بالتوستان· وهذه هي وسيلتها الاخيرة لاطالة امد سيطرتها العنصرية ، وسحق الشعور القومي الافريقي ، عبر اعادة احياء النزعات القبلية القديمة ·

**الدولة الصهيونية**

« اعادة فتح » او « خلاص » ارض اسرائيل لمصلحة « الشعب اليهودي » وحده ، كانت الهدف الاول للزعماء الصهاينة · وقد انشأت المنظمة الصهيونية العالمية منذ عام ١٩٠١ مؤسسة خاصة بهذا الهدف : الصندوق القومي اليهودي ، واوكلت اليه مهمة مركزة شراء، او الاقتناء بطرق اخرى ، لاراضي فلسطين · وتصبح هذه الاراضي ملكية « غير قابلة للتصرف » للشعب اليهودي · وينتفع بها المستوطنون بنوع من الايجار الوراثي ، ويلتزمون بتشغيل اليد العاملة اليهودية فقط · ( في المرحلة الاولى كان المهاجرون من اليهود الشرقيين يقدمون اليد العاملة ، من قطع الاخشاب الى حمل المياه ) ·

وبانتظار « البراءة » التي سيقدمها وعد بلفور للحركة الصهيونية ، عمل الصندوق القومي اليهودي على تأسيس بنى سياسية ومالية واقتصادية من اجل تأطير عمل في بادىء الامر ، كانت تتم العملية عبر شراء الاراضي من الملاكين العرب الكبار ، وطرد الفلاحين الذين يعملون عليها · عام ١٩٤٧ ، كان الصندوق القومي اليهودي يملك ٩٢٨ الف دونم اي ما يعادل ١/٧ من اراضي فلسطين ، وكان الجزء الاكبر منها مخصصا للمهاجرين المستقبليين ·

اعطى قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ، الاساس الشرعي الاول للاستيطان الصهيوني · وما ان اعلنت بريطانيا عن نيتها في الانسحاب من فلسطين ، حتى بدأت القوات الصهيونية بتوسيع البقعة المخصصة لها واخلائها من سكانها العرب بالحرب او الارهاب · ( دير ياسين هو الرمز ، لكنه ليس المثل الوحيد عن الطرق المستخدمة ) · وتكتمل هذه العملية الهجومية عبر منع اللاجئين من العودة الى ديارهم ·

هذه العملية المزدوجة في اقتناء الاراضي ، واقتلاع السكان المحليين من اجل انشاء مستوطنات يهودية ، استمرت بعد عام ١٩٤٨ على أسس « شرعية » ، انطلاقا من قوانين موروثة عن عهد الانتداب البريطاني ، او قوانين سنتها الحكومة الاسرائيلية نفسها · ونورد هنا أهم هذه القوانين ·

**قرار الاستملاك باسم المصلحة العامة** · والهدف العملي منه ، هو نقل ملكية الاراضي الى المحتلين اليهود ·

**القرار الخاص بالمناطق المحرمة** · الذي سمح بالاستيلاء على اراضي ٢٠ قرية ، بعد افراغها من سكانها ·

**القرار الخاص بالارض البائدة** · الذي كان الوسيلة الشرعية لتبرير احتلال القرى

التي اخليت من سكانها بعد ان اعلنت « مناطق محرمة » ·

القانون المتعلق « بالغائبين ـ الحاضرين » · الذي سمح بنزع ملكية عشرات الفلسطينيين المقيمين في اسرائيل ، ويعتبرون «غائبين » · وعلى هذه الاراضي المصادرة ، انشئت مئات المستوطنات الزراعية بين ١٩٤٨ و١٩٥٢ ·

عمليات النهب هذه ، التي بدا وكأن وتيرتها قد خفت بعد الغاء الحكم العسكري عام ١٩٦٦ ، اخذت في الازدياد منذ فترة قصيرة في اطار « تهويد الجليل » · لقد خشيت السلطات الاسرائيلية من الخطر الذي يهدد « الدولة اليهودية » امام التزايد الديمغرافي والتأثير السياسي المتصاعد للسكان العرب في هذه المنطقة المتاخمة للضفة الغربية المحتلة ·

لقد اظهر تحقيق جرى في اسرائيل عام ١٩٦٢ ، ان العائلة الفلاحية الواحدة كانت تملك عند انشاء دولة اسرائيل ما معدله ٥ر١ هكتار من الارض · اما عام ١٩٦٣ فأصبحت تملك ٤٦ر٠ هكتارا ، ولا يزال هذا الرقم في انخفاض · فقرية « ام الفحم » التي كانت تمتد على مساحة ١٤ الف هكتار لم يعد لديها الان سوى ١٢٠٠ هكتار ، رغم ان عدد سكانها تزايد بنسبة كبيرة ( وردت هذه الارقام في مقال ١٠ كابيليوك · صحيفة « الموند » ١ـ٦ـ٧٦ ) ·

لقد اخذت عملية الاستيطان الصهيوني بعدا اخر بعد حرب ١٩٦٧ ، مع احتلال اراض عربية جديدة ، اعتبرها الفريق الاسرائيلي الحاكم جزءا من ارض الوطن · فالجنرال دايان مثلا : « نادى بانشاء دولة اسرائيل الجديدة بحدودها الواسعة · القوية ، المتينة والافضل من تلك التي فرضت علينا بعد حرب « الاستقلال » عام ١٩٤٨ · واضاف : في تصرفنا الان شروط لم نحظ بمثلها في الماضي (٣٢) » ·

اما رئيسة الوزراء غولدا مائير فتؤكد : « تنتهي الحدود في الاماكن التي يقيم فيها اليهود ، وليس في خطوط الخرائط (٣٢) » ·

تطورت سياسة الامر الواقع هذه ، ووجدت تبريراتها الدينيـة والامنية · فانشئت المستوطنات في مرتفعات الجولان والضفة الغربية وسيناء · ولم تكن هذه الكيبوتزات والموشافات والناحالات متروكة للصدفة · بعض هذه المستوطنات هي مراكز عسكرية حقيقية ، وبعضها الاخر منظم بشكل يحدد المناطق التي تنوي اسرائيل الاحتفاظ بها حتى في اطار التسوية السلمية · والمشاريع المعدة حول هذا الموضوع على مستوى غير رسمي ( مشروع آلون ، مشروع اوفر ··· ) تفضح النية الغامضة : الاحتفاظ باكبر مساحة ممكنة من الارض ، مع اقل عدد ممكن من السكان العرب ·

وقد راينا كيف يمكن ان تعلن منطقة ما غير مأهولة · جميع البيانات والتنديدات والانذارات الدولية حتى تلك التي تصدر عن الشيوخ الاميركيين ، اصدقاء ـ لم تمنع الوكالة اليهودية من الاعلان عن نيتها ، ومنذ فترة قصيرة ، في انشاء ٢٧ مستوطنة جديدة في الجولان والضفة الغربية ومنطقة رفح ، الى جانب المستوطنات الستين التي وجدت في الارض المحتلة وذلك قبل عام ١٩٧٢ ·

لا تنحصر اطماع اسرائيل التوسعية في الارض المحتلة ١٩٦٧ · فهي دائما تتطلع الى جنوب لبنان ، يقول بن غوريون في مذكراته ( ايار ١٩٧٤ ) : « لبنان هو عقب الخيل

بالنسبة للتحالف العربي · ان السيادة المسيحية على هذا البلد مصطنعة ويمكن اسقاطها بسهولة · يجب اقامة دولة مسيحية ، تكون حدودها عند الليطاني ، ونتمكن من ابرام معاهدة تحالف معها » · ورد في صحيفة « دافار » مؤخرا ( ١٤ـ٤ـ٧٥) « اسرائيل مهتمة بمياه الليطاني ، الذي يصب ٧٠٠ مليون متر مكعب سنويا · وكان جونستون ، قد رفض الطلب الاسرائيلي لضم الليطاني الى مشروعه · وتعطي بيروت حاليا دفعة جديدة لمشروع التنمية الخاص بالليطاني · فعلى اسرائيل ان تقرر ، هل تبقى مكتوفة الايدي او تقوم بحملة من اجل هذا الموضوع » ·

صحيح ان جزءا هاما من مياه الليطاني تذهب هدرا في البحر · لكن اللبنانيين يشيرون الى ان احداثا طارئة تواجههم كلما استأنفوا بناء شبكة القنوات · ونحن نعلم ، ولو بشكل جزئي ، مدى تدخل اسرائيل المتعدد الاوجه في الحرب التي دارت مؤخرا في لبنان · واحتلالها الحالي ( المباشر او بواسطة المجموعات الكتائبية المسيحية التي تسلحها ) لجنوب هذا البلد ·

تختبىء الطموحات التوسعية الاسرائيلية ، حاليا خلف حجة « الحدود التي يمكن الدفاع عنها » · والتي تمر في نهر الاردن ومرتفعات الجولان ، محددة الاراضي التي تعتبرها الدولة الصهيونية ضرورية لامنها ، (اي ما يشكل ثلث الضفة الغربية ) · يعترف المعلق الاسرائيلي ارئيل جيني ( يديعوت احرونوت ٧ـ١ـ٧٧ ) انه هنا ، يكمن السبب الحقيقي لرفض القادة الاسرائيليين المتصلبين لقبول مبدأ الدولة الفلسطينية · اما الجنرال دايان ، منظر ومحرك سياسة الامر الواقع في الاراضي العربية المحتلة ، فانه لا يتردد في التاكيد على انه : :« يفضل حربا جديدة على مشاهدة انشاء دولة فلسطينية بين اسرائيل والاردن » · ( جيروزاليم بوست ، ٧ـ١ـ٧٧ ، يشير اليه ا· كابيليوك في لوموند ديبلوماتيك اذار ١٩٧٧ ) ·

في الوضع الحالي ، وفي مواجهة الضغوط التي تمارس عليها · يبدو ان الهدف المشترك للمسؤولين الجنوب افريقيين البيض ، والاسرائيليين الصهاينة ، هو العمل على التأجيل والمراوغة ، من اجل ابقاء البنى العصرية ، والعمل في الوقت نفسه على تمديد الاستغلال · والاصرار على الخاصية العرقية او الدينية ·

### استغلال اليد العاملة الافريقية والعربية

ان اجراءات الاغتصاب والعنصرية ، التي تحد من حقوق الاقامة والتنقل ، تحكم على الشعب الافريقي في جنوب افريقيا ، والشعب العربي في « اسرائيل » والارض المحتلة بالتحول الى نوع من البروليتاريا المهاجرة ، المضطرة الى بيع قوة عملها بأجور زهيدة للاقتصاد الابيض من ناحية والاقتصاد الاسرائيلي من ناحية ثانية ·

وفي الحالتين ، تخضع هذه اليد العاملة للتمييز المنسق : تخصص لها الوظائف الثانوية ، التي لا تتطلب مهارة عالية ، في مقابل اجور ادنى بكثير من أجور العمال البيض او اليهود للعمل نفسه ·

في جنوب افريقيا ، يمنع قانون تخصص الوظائف ، الذي يجعل افضل الوظائف من حق البيض وحدهم ، عمل الافريقيين في بعض قطاعات النشاط الاقتصادي وخاصة الوظائف التي تتطلب مبادرة ومسؤولية · وهناك مكاتب مهمتها تعيين عدد العمال السود

الذين يدخلون « المناطق البيضاء » حسب الحاجات التي يصرح عنها ارباب العمل البيض · لا يمكننا ان نتناول درس اوالية وشروط عمل الافريقيين في ظل نظام التمييز العنصري · لقد تمكن الرأي العام من اخذ صورة عن شروط العمل هذه ، من خلال الاشرطة التلفزيونية حول فقدنة سويتو SOweto الفيتو الاسود الضخم حيث يعيش مليون عامل على بعد ٣٠ كلم من جوهانسبرغ ، « المدينة البيضاء » حيث يعملون ·

في اغنى بلد في العالم بالمعادن الثمينة ( الذهب ، الماس ، البلاتين ، المنغنيز الخ ٠٠)· يعيش العمال في بؤس فظيع · معدل الدخل في معظم العائلات ، هو دون الحدالرسمي للفقر · فعمال المناجم مثلا : « محبوسون في مخيمات تشبه السجون ، يتكلمون لغات مختلفة ويخضعون للرقابة والتجسس ··· وكلما حاولوا تنظيم انفسهم ، يواجهون عذر ارباب العمال وعداء العمال البيض وقسوة القانون الذي لا يرحم (٣٤) » ·

اما تباين الاجور في العمل الواحد فكبير جدا · يتقاضى العامل الابيض بين ١٠ الى ٢٠ درجة اكثر مما يتقاضى العامل الافريقي · نشير هنا الى الارقام المتعلقة بأجور العمال في مناجم الذهب عام ١٩٧٢ :

معدل الاجر الشهري للشخص الواحد :

الابيض : ٨٩٨ راند ·
الافريقي : ٤٤ راند ·

( ارقام منظمة الامم المتحدة · ايلول ١٩٧٦ ) ★

اما نسبة حوادث العمل فمرتفعة جدا · اودت بحياة ١٩ الف شخص في مناجم الذهب بين عامي ١٩٣٦ و١٩٦٦ ، ٩٣٪ منهم من السود · ولا توجد ارقام تتناول الموت البطيء نتيجة الامراض الرئوية ، ولا توجد ارقام لحالات العجز ( العاهات ) النهائية · العامل الذي يمرض او يصاب بعجز ما نتيجة حادث عمل يعاد الى « معسكره » بكل بساطة · لقد دفع هذا الوضع الى نشوب حركات اضراب مهمة ، رغم ان الاضرابات محظورة على الافريقيين · وتقمع بوصفها جريمة · كما يعتبر فسخ عقد العمل من جانب العامل الافريقي جناية اجرامية على المستوى القانوني ·

ولن تساهم عملية انشاء « بانتوستانات » مستقلة ، الا في جعل الوضع اكثر دراماتيكية · فهذه المناطق متخلفة الى درجة انها لا تستطيع تأمين عمل سوى لـ ٢٥٪ من السكان · وفي الترانسكاي وحدها هناك ٢٨٠ الف شخص يبحثون عن عمل في « المنطقة البيضاء » · اما حكومة بريتوريا ، التي تريد المحافظة على هذا المخزون الذي لا ينضب من الايدي العاملة الرخيصة · فمشكلتها تكمن في زيادة مساعداتها ، حتى تتمكن هذه « البانتوستانات » من امتصاص جزء من البطالة التي تعم جنوب افريقيا حاليا · دون ان يتسنى لها الوصول الى مستوى اقتصادي يسمح لها بتوفير المعيشة لكافة السكان · واعلن السيد بوشا ، وزير شؤون ادارة « البانتوستانات » في حكومة جنوب افريقيا : « ان اقتصاد « البانتوستانات » مرتبط ارتباطا وثيقا باقتصاد جنوب افريقيا ، ومن الواضح ان تطور هذه « الاوطان » يجب ان لا يصل الى حد يصبح معه عائقا لاقتصاد البلد ( افريقيا الجنوبية البيضاء ) » ·

---

★ الراند هو الوحدة النقدية في جنوب افريقيا · وقيمتها دولار اميركي او اكثر ·

يواجه نظام جنوب افريقيا تناقضات عميقة داخل نظامه الاقتصادي · ويبدو انه غير قادر على تجاوزها الا بالقمع ، او عبر اجراءات شكلية غير فعالة · كل هذا من اجل المحافظة على مبادئه العنصرية وامتيازات البيض الاستثنائية · ومع ذلك ، ورغم جميع المحاولات التي اتخذت لشق صفوفها ، اكدت الجماهير الافريقية على وعيها الاجتماعي والقومي ·

**العمال العرب في الاقتصاد الاسرائيلي ·**

كان نظام العمل العبري ، احد الاساليب الرئيسية للاستيطان الصهيوني الى جانب مبدأ الملكية القومية للارض · والهدف هو الاستغناء عن اليد العاملة العربية في المؤسسات اليهودية ، وحماية الانتاج اليهودي عبر مقاطعة المنتوجات العربية · وكانت وظيفة الهستدروت هو العمل على تشييد المجتمع اليهودي وترسيخ النموذج الجديد للعامل اليهودي ·

لكن مثالية المساواة هذه ، لم تصمد امام الفارقات الاجتماعية الناتجة عن وصول دفعات ضخمة من المهاجرين اليهود الشرقيين ، الذين شكلوا في بادىء الامر « قطاعي قطع الاخشاب وحمالي المياه » · كما ان التصنيع الذي شجعته الهجرة الاوروبية ومساندة « الدياسبوار » الشتات ، ادى الى اندماج السكان العرب الذين بقوا في اسرائيل باقتصاد الدولة ، والذين بدأوا يشكلون تدريجيا الطبقة الكادحة ·

لكن القيود التي وضعت امام التنقل وحق التنظيم للعمال العرب ، ساهمت في كبح منافسة الايدي العاملة العربية ذات الاجور المنخفضة ·

يصف صبري جريس في كتاب « العرب في اسرائيل » ، الشروط المعيشية للفلاح العربي ، القابع في قريته المهددة بالاختناق ( نقص في الاراضي والوسائل التقنية ، بيع المنتوجات بأسعار متدنية ) · وللعامل العربي ، الذي يعمل في المزارع وورش البناء ومختلف الخدمات اليهودية · فهو « غير منظم » ومعرض بالتالي لخطر الطرد والبطالة ·

واذا كان وضع العمال العرب قد تحسن في السنوات الاخيرة · فالتعليلات الصهيونية موجودة في وثيقة كيننغ · يقول متصرف لواء الشمال : « الفارق الشاسع بين العرض والطلب على الايدي العاملة في الاقتصاد بكل فروعه وخاصة فرع البناء وورش اصلاح السيارات وكل الاعمال اليدوية بشكل عام · والتبعية التي تميز فروع اقتصاد كثيرة مرتبطة بهذه الايدي العاملة » · ويبدي قلقه « كثرة عدد العمال العرب في المصانع والمشاريع قد يؤدي الى الاسراع في عملية الاحتكاك بين اليهود والعرب · ومن شأن ذلك ان يتطور الى اصطدامات غير مسيطر عليها » · « وخوفا من سيطرة حزب راكح على لجان العمل » · ويقترح بالتالي : « وضع اتفاقات مناسبة مع كل ادارة مشروع او معمل خاضع « لقانون استثمار رأس المال » في المناطق الحساسة ، بحيث لا يزيد عدد العمال العرب فيها عن نسبة ٢٠٪ والتوصل الى تسوية مع مصادر التسويق المركزية للمواد الاستهلاكية على انواعها ، يكون من شأنها تحديد الوكلاء العرب ووضع العقبات امامهم بفرض منع اعتماد السكان اليهود على الوكلاء العرب وخاصة في اوقات الطوارىء (٣٥) » ·

كما سبق وذكرنا . فالتشابه صارخ بين مصير العامل الافريقي المقيم في البانتوستان ، والمواطن الفلسطيني في الارض المحتلة الذي يعمل في اسرائيل ·

كانت الاراضي المحتلة من قبل اسرائيل عام ١٩٦٧ ، مصدرا لارباح كثيرة . فالاحصاءات التي صدرت في تشرين الثاني عام ١٩٧٦ ، تشير الى ربح اجمالي بقيمة ٢٨٧ مليون ليرة اسرائيلية للمؤسسات المعنية ... عبر التصدير والاستيراد ، والانتاج الصناعي للمقاولين العرب . لكن مصدر الربح الصافي يرجع الى التفاوت بين اجور العمال المقيمين في الارض المحتلة واجورهم في اسرائيل . ويقدر هذا الفرق بـ ٦١٥ مليون ليرة ★ . فمعدل الاجور في الحالة الاولى هو ١٠٨٥ ليرة في الشهر ، بينما يصل هذا المعدل الى ٢٤٦٦ للعامل الاسرائيلي . وقد وصل عدد الاجراء الذين يأتون من الارض المحتلة ، للعمل في اسرائيل ( عمال زراعيون ، عمال بناء ، عمال غير مهرة) الى ٦٦٥٠٠٠ عام ١٩٧٤ . ٤٣ الفا منهم « منظمون » و ٢٣ الفا « غير شرعيين » . بعد ان كان لا يتجاوز ٤ الاف عام ١٩٦٨ . وانخفض هذا العدد الى ٦٣٩٠٠ عام ١٩٧٥ بسبب التردي الاقتصادي السائد في اسرائيل .

وعدا عن كون هذه اليد العاملة تتقاضى اجورا زهيدة ، ففائدتها هي في سهولة تسريحها في مراحل التأزم الاقتصادي . يعترف معلق اسرائيلي علنا : « لقد اكدت الازمة الحالية اهمية عمال الارض المحتلة بالنسبة لاقتصادنا .. فاذا كان امر تسريح عامل اسرائيلي او نقله دون موافقته وزيادة مرتبه شبه مستحيل . فمن السهل جدا نقل اي عامل عربي ، ومن الممكن تسريحه في اي وقت . لا يحق له القيام بالاضراب ، ولا تقديم مطالب العامل اليهودي . فاذا ساد الوضع في احد المصانع ، يكون العمال العرب اول من يسرحون . ازدادت اجورهم بنسبة ٤٠٪ منذ عام ١٩٧٥ ، لكن الفرق بين هذه الاجور واجور العمال اليهود بقي كبيرا (٣٦) » ..

والشروط المعيشية لهؤلاء العمال الدائمي الهجرة سيئة الى درجة دفعت احد الصحفيين الاسرائيليين الى الاعتراف بأنه صادف اكواخ « العم توم » في اسرائيل . وقد ادى حادث مأساوي اعترف الصحفي انه « عادي » في اسرائيل : عثر على ثلاث جثث لعمال شباب عرب احرقوا وهم على قيد الحياة في مستودع حيث اقفل عليهم رب العمل باب المستودع من الخارج طوال الليل . هكذا يتجنب ارباب العمل اليهود دفع الضرائب المتوجبة عن العمال العرب . ويقفلون عليهم ، تجنبا لضبطهم عند المساء من قبل رجال الشرطة .

ان هذا الاستغلال الاستعماري ، بعيد جدا عن المثل الاعلى للرواد الصهاينة الاول ، رغم انه الثمرة البديهية والطبيعية لحركة صهيونية قاصرة وعنصرية .

ورسائل النساء اليهوديات المرسلة للسيدة مئير ، تشهد على تفكك المجتمع الاسرائيلي ، تكتب احداهن : « لا توجد مشكلة ايد عاملة بالنسبة لزوجي . فاليد العاملة رخيصة ومتوفرة . لدينا اليوم خمسة عمال عرب في الموشاف . لقد وصلنا الى حد لا يحتاج فيه احدنا الى رفع خنصره . يقولون : « ليقم محمد بعمل كذا وكذا » . اولاد واولاد الموشاف يكبرون تحت عيني كأولاد الاغنياء من اسوأ نوع (٣٧) » . وويعتذر معلق اسرائيلي تتجاوز رؤيته الفوائد المادية الآنية للاحتلال قائلا : « لقد اصبح استمرار الاحتلال سرطانا ينخرنا ... ادى الى بروز نظام شبه استعماري ، وطبقة من الطغاة تستمتع بقدرة كلية ، وتستبد بالشعب المسيطر عليه .. ان وضعا كهذا سوف يجرنا بالتأكيد الى الفساد (٣٨) » .

---

★ يساوي الدولار الاميركي عشر ليرات اسرائيلية ونصف .

## التمييز

ان اشكال التمييز والاضطهاد التي يعاني منها الافريقيون في ظل نظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا ، معروفة بشكل عام ( رغم ان الرأي العام لا يعرف في معظم الاحيان سوى جوانبها التافهة ، وليس جوانبها الاساسية ) · اما التمييز والاضطهاد الذي تعاني منه الاقلية العربية في اسرائيل ، فلم يلمحها الجمهور الغربي عامة ، الا عبر تظاهرات « يوم الارض » في اذار ١٩٧٦ ، حيث مارست السلطات الاسرائيلية قمعا مكشوفا ·

لن نتناول هنا جميع اشكال التمييز ، بل سنتوقف عند الظاهرة الاكثر بروزا ودلالة ، والتي تكشف نوايا النظامين المعنيين · وهي ظاهرة التمييز في التربية والتعليم ·

عبرت حكومة جنوب افريقيا ، ومنذ زمن طويل عن المبادىء التي تستلهمها في هذا الشأن · فقد قدم رئيس الوزراء فورستر عام ١٩٥٣ لقانون التربية والتعليم في « البانتوستان » على النحو التالي : « تتلخص سياسة وزارتي ، في كون تربية المحليين يجب ان تكون اقدامها في البانتوستان ، وجذورها في روح المجتمع الافريقي ـ البانتو ـ ··· اذ لا يفسح المجتمع الابيض للافريقي اكثر من بعض المجالات للعمل ·· يجب ان لا نخدعه ، ونعرض عليه المراعي الخضراء الخاصة بالمجتمع الاوروبي (٣٩) » · ويؤكد وزير شؤون المحليين على هذا قائلا : « التعليم يجب ان ينشىء الناس ويثقفهم حسب المنافذ التي ستفتح امامهم ، وحسب الوسط الذي يعيشون فيه · وبالتالي ، يجب أن تتوافق تربية المحليين مع سياسة الدولة · فالعلاقات العنصرية لن تتحسن ، اذا قادت تربية المحليين الى الشعور بالكبت (٤٠) » ·

يتحدد النظام التعليمي ، ومستوى المدرسين وتدريبهم ، ومضمون المناهج والاعتمادات المخصصة انطلاقا من هذه المبادىء ·

فالعلم اختياري وغير مجاني بالنسبة للافريقيين · ( بينما هو اجباري ومجاني للاطفال البيض حتى سن السادسة عشرة ) والعائلات الافريقية هي اجمالا اكثر فقرا من ان تتحمل نفقات التعليم · يؤدي هذا الوضع الى هبوط نسبة الالتحاق بالمدارس بمقدار ٧٠٪ بعد السنتين الاوليين المنهجيتين في المرحلة الابتدائية · ومن اصل ٣٦٠ر٣ طفل مسجلين عام ١٩٧١ ، لم يلتحق سوى ١٣٩ الفا في المدارس الثانوية · ويصل هذا العدد الى ٢٨١٦ مسجلين في الجامعات البانتو ( المنفصلة ) · اما التعليم المهني فهو ضعيف بشكل خاص : لا يقبل الافريقي في الوظائف التي تتطلب اختصاصا · اذا كان الاقتصاد بحاجة الى اختصاص فانه يتلقى شبه مهارة · وتشير المصادر نفسها ( منظمة الامم المتحدة ) الى ان الحكومة تخصص ما معدله ٢٨٥ راندا في السنة للطفل الابيض ، و ٢٠ راندا للطفل الافريقي ، أي اقل من العشر ·

يعطى التعليم في احدى اللغات القبلية المتعددة : وهذه هي احدى وسائل النظام لمنع الاتصال بين المجموعات الاثنية المختلفة ، ولكبح تنامي الوعي القومي · كما ادخلت دراسة العرق في المناهج ويعرف الافريقيون للتلامذة على انهم « يهاجمون الابيض دون أي استفزاز ··· تهمل هذه الصورة الهجومات التي ارتكبها الاوروبيون ، والتحديات التي يتحملها الافريقيون ، وضياع اراضيهم ، وشجاعتهم في النضال دفاعا عن بلدهم ضد الغزو » · ويسجل تقرير الاونيسكو المشار اليه سابقا ما يلي : « لا تقتصر عدم

المساواة ، في وجود فرص غير متكافئة للاعراق المختلفة ، بالنسبة لامكانية الوصول الى مستوى من التعليم العام يؤهل لمتابعة التثقيف التقني او الدراسات العليا ، ولا تقتصر كذلك على كون المؤسسات التعليمية الخاصة بغير البيض ذات مستوى ادنى بكثير من المؤسسات الاخرى · بل نلاحظ ايضا ، انه من الصعب جدا لغير البيض ان يشقوا طريقهم في الحياة ، بعد هذه الفترة من التأهيل ، نظرا لكون امكانيات العمل المتاحة محدودة جدا » ·

نجد في السياسة التربوية الاسرائيلية تجاه الاقلية العربية ، المبادىء الاساسية نفسها ، خاصة في مجال علاقة التعليم والوظيفة · تفسر السلطات : « ان دونية العرب الاجتماعية ناجمة عن انخفاض مستواهم التعليمي · وبالضبط ، على مستوى التعليم يتشكل اخطر نفي للعدالة (٤٢) » · ونجد ان احد اكبر اهتمامات الحكومة ، هو كبح وصول العرب الى التعليم العالي ، مثل جنوب افريقيا ، وللسبب نفسه · ( رفض اشراكهم في السلطة ) · وقد صرح ادري لوبراني ، مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية عام ١٩٦١ : « من المفضل لدينا عدم وجود طلاب عرب · اذ لو بقي العرب حمالي حطب ، لكانت مسألة اخضاعهم اكثر سهولة · لكن هناك امور كثيرة ، لا تتعلق بنا ولا يمكن تجنبها ، كما يجب العمل على تقليل الاضرار الناجمة عنها (٤٣) » ·

يرتبط عدد المدارس ونسبة التردد اليها بالوضع العام للسكان العرب ، بقدر ارتباطه بنوايا الحكومة · يقدم صبري جريس بعض الارقام لعام ١٩٦٣ : ٦٤ مدرسة عربية لاولاد العمال ( مقابل ١٤٠ مدرسة يهودية ) ، ٤ مدارس تقنية عربية ( مقابل ١٢٨ مدرسة يهودية ) الخ · ويشير الى حالة الفقر التي تعاني منها المدارس العربية ( المباني ، التجهيزات ، النقص في الكتب ·· ) « ان مستوى التعليم في المدارس العربية منخفض جدا ، ليس فقط بالنسبة للتعليم اليهودي ، بل وايضا ، نسبة الى وضع التعليم الحالي في جميع بلدان الشرق الاوسط ، ونسبة للتعليم في فلسطين تحت الانتداب (٤٤) » ·

واذا كانت السياسة التعليمية في جنوب افريقيا ، قد ارتكزت على تشجيع استخدام اللغات القبلية ، فانها في اسرائيل ، وعلى العكس من ذلك ، تتجه نحو الحد من تعليم اللغة العربية قدر الامكان · لكن الهدف واحد في الحالتين ·

اما فيما يتعلق بتدريس التاريخ ، فانه يميل الى ابراز تاريخ العالم العربي ، بطريقة مغرضة بوصفه : « سلسلة من الانقلابات والنزاعات والسرقة والنهب · وهذا في سبيل التقليل من اهمية الانتصارات العربية عبر العصور · وفي المقابل ، يمجد التاريخ اليهودي ويجري تجميله (٤٥) » ·

وهكذا ، كما يقول صبري جريس ، يجهل التلميذ العربي فيالمدرسة الابتدائية كل شيء عن الفترة التاريخية التي تمتد من القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر · اما في سنوات المرحلة الثانوية الاربع ، فهناك ٣١ ساعة مخصصة لتدريس تاريخ العرب ، مقابل ٣٨٤ لتدريس تاريخ اليهود ·

نشير هنا ، الى ان عددا كبيرا من اطفال الضفة الغربية وقطاع غزة ، يستخدمون بعمر مبكر جدا في الاعمال الزراعية ( دون تقاضي اجور عمليا ) منذ احتلال الاراضي عام

١٩٦٧ · ويفسر معلق اسرائيلي عدم وجود زيادة ملحوظة في الرقم الرسمي لاعداد العاطلين عن العمل ، رغم الازمة ، بقوله : « ··· ان معظم الذين كفوا عن العمل هم من النساء ، كن ياتين الى اسرائيل عندما تقتضي الحاجة ، ورجعن اليوم الى نشاطهن المنزلي ··· والوضع نفسه فيما يتعلق بالاطفال العديدين الذين كانوا يشكلون زيادة في اليد العاملة ، خاصة في الزراعة ، تبعا للحاجة ··· (٤٦) » ·

وفي هذا المجال ، كما في مجالات اخرى ، يقع النظام الاسرائيلي في تناقض لا يعرفه نظام بريتوريا : التقيد بالصورة « الديموقراطية » التي يتقنع بها امام الخارج · وفي الوقت نفسه ، الاستجابة للمتطلبات العنصرية اليهودية التي هي مبرر وجوده ··· اذا ، تطور وضع الاقلية العربية عبر السنوات وخاصة على الصعيد التربوي · ولكن العقلية التمييزية بقيت وظهرت جليا في وثيقة كيننغ المشار اليها · يأسف واضع الوثيقة لكون : « ··· التحسن في الوضع الاقتصادي والامن الاجتماعي لدى الفرد والعائلة ، دفع عددا كبيرا من الطلبة الى المدارس الثانوية ومعاهد الدراسة العليا » · ويفسر كيف ان صعوبة انطلاب العرب للعثور على وظائف تتناسب مع تحصيلهم العلمي ، ادت الى خلق قطاع من « المثقفين المتذمرين » الامر الذي يؤدي الى انضمامهم الى صفوف المعارضين ··· ينبغي اذا حسب رأيه « تخفيض عدد الطلاب العرب بنسبة ملحوظة » ويقترح لذلك عدة وسائل : وضع اسس تفضيلية لقبول الطلبة وتوزيع المنح الدراسية ، الخ · كما ينصح السلطات : « تسهيل السفر الى خارج البلاد بغرض التعليم ووضع العراقيل امام عودتهم وانخراطهم في العمل ، فمثل هذه السياسة من شأنها ان تشجع هجرتهم » ·

هناك اجراء آخر يذهب في نفس الاتجاه : « تجنب اعطاء المنح للعائلات عديدة الاولاد لدى السكان العرب··· بواسطة مصادرة هذه الاموال من التأمين الوطني واعطائها للوكالة اليهودية او المنظمة الصهيونية العالمية بحيث تكون مخصصة لليهود فقط » ·

« اليس مصير الافريقيين في جنوب افريقيا افضل من مصيرهم في بلدان افريقية اخرى ؟ » او « ان مصير العرب في اسرائيل هو بالتأكيد افضل من مصير المواطنين في البلاد العربية الاخرى ! ··· » تلك هي « الحجج » التي يرددها دائما اناس صادقون لا يملكون المعلومات الكافية ، ضحايا دعاية جنوب افريقيا والدعاية الصهيونية ···

يجيب رئيس بلدية الناصرة ، توفيق زياد ، على هذه الحجة بشكل ينطبق على الحالتين : « ليس علي ان اقارن وضع العرب الاسرائيليين بوضع العرب في البلاد العربية : فهذا امر محال ، لان الوضع يختلف تماما · اذا اردنا البحث جديا في مطالب العرب التي تتناول التمييزات التي يعانون منها ، يجب مقارنة تطور وضعهم منذ عام ١٩٤٨ الى **تطور الذي عرفه اليهود في الفترة نفسها** · وفي الحقيقة ، لا يوجد اي مجال للمقارنة ! ان في مجال الاقتصاد او الثقافة او التعليم ، او في مجال الخدمات العامة او المسؤوليات المحلية ··· **اينما كنا في هذا البلد** ، فاننا نشعر يوميا ، ساعة بعد ساعة ، بنتائج سياسة التمييز التي تتبعها الحكومة (٤٧) » ·

## القمع

طرح بعض الجنوب افريقيين ، هذا السؤال على صحفي اسرائيلي : « كيف تتمكنون من ابقاء اكثر من مليون نسمة هادئين ؟··· » (٤٨) ·

فمن الواضح ان انظمة اسست على عقيدة وتشريع وممارسات تمييزية ، لا يمكنها ان تحافظ على نفسها الا استنادا الى جهاز تشريعي وبوليسي يشتد باستمرار ٠

ولكن اذا نظر عامة الى نظام جنوب افريقيا على انه دولة بوليسية ، فالامر يختلف تماما بالنسبة لاسرائيل وذلك لاسباب اشرنا اليها بصورة سريعة : دعاية المنظمات الصهيونية المكثفة والتي تغذي لدى الرأي العام استمرار الـ ( Tabou )الممنوعات ، وردات فعل المراقبة الذاتية عند مسؤولي وسائل الاعلام وسكوت المنظمات « المختصة » في فضح التعديات على حقوق الانسان والتعذيب الخ ٠٠ والابتزاز بالاتهام باللاسامية له تأثير خاص ضد الذين يجرؤون على فضح معاملة الاسرائيليين للسكان الفلسطينيين ٠

ونتج عن ذلك جهل عميق لدى الرأي العام الغربي ٠

واذا عارض البعض بقوله : ان دولة اسرائيل لا تطبق قانون الاعدام بينما تحتفظ جنوب افريقيا بالرقم القياسي في هذا المجال ٠٠٠ يمكننا الاجابة بالتالي :

١ ــ تطالب باستمرار بعض القوى في اسرائيل تطبيق قانون الاعدام ضد «المخربين» ٠

٢ ــ يرجع عدم تطبيق قانون الاعدام الى اسباب سياسية اكثر مما هي اسباب انسانية ٠٠٠ فدولة اسرائيل تعرف عن نفسها « ديموقراطية متقدمة » ولذلك يؤيدها جزء كبير من يهود الدياسبورا ( خاصة في الولايات المتحدة ) ٠ والجدير بالذكر هنا قول الجنرال أ ٠ شارون الذي اعلن في نفس المقابلة انه يجب « قتل جميع المخربين ، اينما وجدوا » ، ومع ذلك يعارض أعدامهم بطريقة شرعية : « ٠٠٠ اذا حكمنا عليهم بالاعدام ، ستخضع الدولة الى ضغوطات مستمرة من قبل « ذوي الاخلاق الكريمة » او ستتدفق الوفود والعرائض ٠٠ واذا ما امتنعنا عن تنفيذ الحكم فيما بعد ، يفسر ذلك على انه دليل ضعف ٠٠٠ » (٤٩) ٠

ولكن هناك طرق اخرى للتخلص من الذين يقاومون القمع والاحتلال : والتوقيف الاداري يمارس على نطاق واسع في كل من جنوب افريقيا واسرائيل . وكثيرة هي الوفيات ( المموهة تحت شكل حوادث او انتحارات ) في السجون نتيجة استنطاقات « معمقة » ٠ وحالة الشك الدائم بجميع السكان ــ المكبوتين على كل المستويات وحتى على مستوى حريتهم نفسها ــ انهم يغذون شعور او مشاريع فتن ، ادى بالقادة الحاليين في كلا النظامين الى اعطاء سلطات ضخمة لا رقابة عليها عمليا ، للاستخبارات وللشرطة الامنية ( Boss « الـ بوس » ★ في جنوب افريقيا و « الشين ــ بت » Shin - Bêt في اسرائيل ) ، والى الاستعانة الواسعة بالاجراءات الاستثنائية وبالاحكام الاعتباطية التعسفية ٠

## جنوب افريقيا

« اغتنى » الجهاز القمعي المعقد في جنوب افريقيا بشكل ملحوظ بعد وصول الحزب الافريقاني القومي الى الحكم عام ١٩٤٨ ٠ وفي الوقت الذي كان يسن المديات الاساسية في حق التعبير والتجمع والصحافة ، الخ ٠٠٠ اعتمد النظام مجموعة من القوانين

---

★ البوس Boss هي شرط الدولة في جنوب افريقيا مؤسسة على الطراز النازي ٠

اهمها : « قانون الغاء الشيوعية » في ١٩٥٠ الذي يعتبر اي شكل من اشكال معارضة نظام التمييز العنصري على انه « تبن لاهداف شيوعية » · والحق هذا القانون فيما بعد بالقرار ضد التخريب ( ١٩٦٢ ) والقرار ضد الارهاب ( ١٩٦٥ ) · وقد تمت السوف التوقيفات والدعاوى استنادا الى هذه القوانين ، منها قضية REVONIA ريفونيا الشهيرة ، او قضية قادة الـ A.N.C ( من ضمنهم الرئيس نلسن مانديلا Nelson Mandela ) الذين حكموا بالسجن مدى الحياة ·

ولكن الوسيلة الاساسية التي تستخدمها الشرطة هي ما يسمى بقانون التسعين يوما مخالفة القوانين المتعددة حول شروط التنقل ، والاقامة ، والعمل ، يعادل ٢٠٠٠ يوميا ··· ويقدر عدد الافريقيين المحكومين بالنسبة لعدم حيازة « الباس » ( اذن التجول ) الاجباري الشهير الى ١١ مليون منذ ٢٥ سنة حتى اليوم ·

ولكن الوسيلة الاساسية التي تستخدمها الشرطة هي ما يسمى بقانون التسعين يوم ( التي اصبحت ١٨٠ يوما فيما بعد ، ومن ثم مددت المهلة الى سنة كاملة ) والتي تسمح لهم باعتقال اي شخص خلال هذه المدة ( القابلة للتجديد ) دون تهمة ودون مقاضاة ودون اي نوع من الضمانة القانونية ، اذا وقع عليه الشك انه ارتكب ـ او كان في نيته ان يرتكب ـ جنحة سياسية او اذا كان قابلا لادلاء اي معلومات حول هذه الجنحة · ويستخدم التعذيب بصورة عادية خلال فترة التوقيف الاداري · ومن المستحيل تقديم اي تقرير لعدد التوقيفات منذ الاحداث الاخيرة في سويتو Soweto وحركات الاضراب التي تلتها :

اجاب وزير العدل كروغر على سؤال حول عدد الانتحارات « المقلق » للموقوفين الافريقيين ، مؤكدا انها عمل « العناصر المحتكه في الـ A. N. C. » ( صحيفة « لوموند » · ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٧ ) ·

وجهز النظام نفسه الآن بوسيلتين جديدتين للقمع :

١ ـ رفع مدة التوقيف في ايدي الشرطة من ١٨٠ يوما الى سنة ، وليس فقط بالنسبة « للمشبوهين » ، لكن ايضا بالنسبة للاشخاص الذين يحتمل ان يدلوا بشهادتهم امام المحكمة ، ذلك في سبيل قطعهم عن اي اتصال خارجي وفي سبيل تشريطهم ···

٢ ـ انشاء لجنة تحقيق ( مؤلفة من عشر نواب معينين ومسؤولين امام رئيس الجمهورية فقط ) · وهي مؤهلة لتكثيف مطاردة التقدميين واصدار العقوبات دون الرجوع الى المحكمة ·

وتعليقا على هذه الاجراءات الجديدة ، كتبت صحيفة « ستار » في جوهانسبورغ : « من الصعب جدا ان نتخيل حكومة ، مهما كان استبدادها ، تحتاج الى جهاز من القوانين الامنية اهم من الذي وضعه القوميون · ومع ذلك ارتأى وزير العدل ان يقدم الى مجلس النواب اجراءا امنيا آخر كي يتآكل ما تبقى من احترام لحقوق الانسان في جنوب افريقيا (٥٠) » ·

### اسرائيل

باسم امن الدولة المقدس ، عادت الحكومة الاسرائيلية ، واعتمدت على الجهاز الشرعي المؤلف من قوانين الدفاع التي وضعت عام ١٩٤٥ · وهو مكون ، مع الاجراءات اللاحقة ،

من ١٧٠ مادة تنظم وتراقب تحركات ونشاطات السكان العرب · في باديء الامر ، اعطي الحاكم العسكري جميع السلطات ــ حتى ١٩٦٥ حيث انتقلت الى يد الشرطة ــ لتطبيق البنود التي تهدف الى تحديد تنقلات الفرد ( حتى اذا منعته احيانا كثيرة من التوجه الى عمله ) ، واخضاعه لرقابة مستمرة ، وتوقيفه دون مبرر لمدة غير محددة ، وابعاده عن بلده ، ومصادرة بيته واملاكه ··· و « الاسباب الامنية » تبرر القرار مهما كان ، فاذا تذرعت الحكومة بهذا السبب ، لم يعد للضحية اي سبيل تلجأ اليه · يعبر عربي من منطقة الجليل عن شعور السكان العرب حين يقول : « يأخذون ارضنا · لماذا ؟ لاسباب امنية · يأخذون عملنا · لماذا ؟ لاسباب امنية ! وحين نسألهم كيف نهدد امن الدولة نحن واراضينا وعملنا ، لا يجيبون ··· لاسباب امنية ! (٥١) » ·

والقمع الذي يمارس ضد اهالي الاراضي المحتلة منذ ١٩٦٧ يتزايد همجية ، انه لا يحاول التستر وراء واجهة شرعية ( فالحكومة الاسرائيلية تكن احتقارا كاملا لاتفاقات جنيف التي كان بامكانها وحدها ان تحمي هؤلاء الاهالي ) · وازداد القمع ــ وهدفه احباط جميع انواع المقاومة ــ مع تصاعد المقاومة الفلسطينية وتوسع تأييد المنطقة والمجتمع الدولي لها ·

يوقف ويسجن ويبعد اهالي الضفة وغزة والقدس دون اي محاكمة · ولا ينعمون بحق التنظيم السياسي او الثقافي · دمرت منازلهم واملاكهم ، وصودرت اراضيهم واحرقت محاصيلهم وقطعت اشجارهم ·

سوف نشير هنا الى الخطوط العريضة لهذا الملف المفحم وشبه المجهول ، وارجاع قرائنا الى الاعمال التي صدرت حول هذا الموضوع بقلم رئيس الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان ، الدكتور شهاك : « عنصرية دولة اسرائيل » ، وللمحامية فيليسيا لانغر : « (انا) محامية اسرائيلية ، اشهد » وايضا الى تقرير لجنة التحقيق للامم المتحدة حول الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ( كانون الاول ١٩٧٦ ) · هذه الوثائق تشير الى :

**التوقيف الاداري**

ان اي شخص من اهالي الاراضي المحتلة يمكنه ان يكون موضوع اجراء توقيف دون سبب ودون محاكمة وذلك لمدة غير محددة · تشير الصحافة في هذه الايام الى الاضراب عن الطعام الذي يقوم به معتقلو سجون غزة والرملة وعسقلان احتجاجا على سوء المعاملة والتعذيب خلال الاستجواب ، واحتجاجا على شروط التوقيف ، مطالبين اعتبارهم سجناء حرب وليس مجرمين خاضعين للحق العام ·

**تهديم البيوت**

ان مجرد الشك في اي شخص انه يهدد امن الدولة ··· يعرضه الى نسف منزله · وذلك قبل ان يجري التحقيق في التهمة · يتم اخلاء جميع السكان في اي فصل من السنة ، ودون اعارة اعتبار لسنهم او لوضعهم الصحي ·

الى جانب القرويين او سكان المدن ( ومن بينها مدينة القدس ) الذين طردوا جماعيا من ديارهم لاسباب مختلفة ومنعوا من الرجوع اليها ، لا تزال تتم ابعاد شخصيات نحو الاردن ، مثقفين ، قادة فلسطينيين وبصورة اعم ارباب الاسر ( على امل ان تتبعهم اسرتهم ) · يأتون لتوقيفهم في الليل ، دون اي تفسير ، يمنع محيطهم من الاتصال بأي كان يأخذونهم الى مكان مهجور قرب الحدود ويجبرونهم على العبور ··· ومن ضمن الشخصيات التي كانت ضحية هذه الاجراءات مؤخرا ، يجب الاشارة الى الدكتور النتشي ، مدير مستشفى بيت لحم ، والدكتور عبد العزيز احمد اللذين ابعدا عشية الانتخابات في الضفة الغربية حيث كان كلاهما مرشحا ( ربيع ١٩٧٦ ) ·

**العقوبات الجماعية : منع التجول ، ( وغيرها ) الخ ·**

ان قرار منع التجول الذي تدينه صراحة اتفاقيات جنيف ، هو من الاجراءات المحبذة لدى الجيش الاسرائيلي في الاراضي المحتلة : منع السكان في مخيم اللاجئين او في قرية او حتى في مدينة كبيرة عن الخروج من بيوتهم ولو لجلب المياه او الطعام · واذا خاطر البعض بانفسهم لاسباب اضطرارية ، فيجوز ان يقتلوا دون انذار ·

وفي رسالة مفتوحة موجهة الى رئيس الوزراء رابين ، يعبر يوري افنيري عن اشمئزازه امام « هذه الجرائم المرتكبة بتؤدة » على اشخاص ابرياء · ويعدد اربع حالات ، من ضمنها حالة امرأة شابة قتلت على الفور وهي تخرج لادخال طفلها الى البيت ···· (٢٥) ·

ونحتاج الى فصل كامل لايجاز الوثائق الموثوقة المصدر التي تشير الى تعذيب المعتقلين في سبيل « اجبارهم على الاعتراف » ( وهذه الاعترافات تكون اساسا للمحاكمة في حال اجرائها ) · ويرد دائما الوصف نفسه : الشنق من اليدين او الرجلين ، اللكمات على الجسد كله وخاصة على الاعضاء التناسلية ، عذاب المياه ، الكهرباء ··· والنتيجة ان بعض المعتقلين يموتون ، البعض الآخر يبقى عاجزا مدى الحياة : عمليا ، لا تنتهي طلبات التحقيق التي تقدمها العائلات او المحامين الى شيء في هذا الامر · هناك حالة استثنائية : في تشرين الاول الماضي ونتيجة وفاة احد المعتقلين خلال استجوابه ، اقر بذنب قائد اسرائيلي وحوكم على ذلك ··· (٥٣) ·

نشير الى شهادة الدكتور نتشي من ضمن الشهادات العديدة التي سجلتها لجنة تحقيق الامم المتحدة ، حول حدث في اذار ١٩٧٦ : « خطف المستعمرون اليهود في كريات ـ اربع ، قرب الخليل ، ثلاثة شبان عرب تتراوح اعمارهم بين ١٢ و ١٥ سنة ، وضعوهم في نوع من الملجأ ، خلعوا الثياب عنهم وافلتوا عليهم كلابا مدربة لهذا الغرض ··· ذهبت ، رأيت الاطفال · كان شيئا مريعا · اجسادهم مملوءة بالجروح والعضات · نقل الخبر في مجلة التايمز · اصطحبت شخصيا مراسل البي·بي·سي والنيوزويك لرؤية الاطفال في المستشفى ··· » (٥٤) وعندما سئل الدكتور نتشي لماذا اعترضت العائلات في بادىء الامر ، على نقل الاطفال الى المستشفى ، اعطى التفسير التالي : « عندما تعلم السلطات ان طالبا اشترك في مظاهرة ، يجري توقيفه على الفور ، ويقاضى امام المحكمة ـ هذه المحاكم الاستثنائية التي تعقد جلساتها حتى الساعات الاولى من الصباح ـ ويحكم

بدفع غرامة تتراوح بين ٣ آلاف الى ٦ آلاف ليرة اسرائيلية ، وهذا المبلغ يشكل عبئا كبيرا لهذه العائلات الفقيرة جدا ··· ولا يمكن للاهل ان يقترحوا الذهاب الى السجن بانفسهم : فاذا امتنعوا عن الدفع ، يصادر كل ما له قيمة في منزلهم ··· » (٥٤) ·

وصلت اخبار الشروط اللا انسانية التي يعاني منها المعتقلون الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية ــ ومعظمهم من الموقوفين « الاداريين » الذين لم يوجه لهم اية تهمة معينـة ــ عبر الاضراب عن الطعام الذي قام به مئات المعتقلين في سجون عسقلان وغيرها ·

هذا الاضراب الذي دام ٤٥ يوما في فترته الاولى ( من ١١ــ١٢ــ٧٦ الى ٢٥ــ١ــ٧٧ ) اعيد استئنافه بعد ان انقطع ، لان المعتقلين لم ينالوا مطالبهم : تحسين شروط الاعتقـال ومعاملتهم مثل السجناء اليهود العاديين · وفي هذه المناسبة ، اعترف السيد دافيد ليفي ، حاكم السجون الاسرائيلية ، ان « التضخم في السجون الاسرائييلة وصل الى حد لا يطاق » · وذكر : « هناك حاليا في اسرائيل ٥٨٨٢ سجينا منهم ٢٢٢٧ اتهموا بمس امن الدولة ــ اي بزيادة ٥٨٢ على العام الماضي ··· يتصرف المعتقل الواحد بمعدل ٢ر٢ م٢ ، بينما يصل هذا المعدل الى ٩ر٩ م٢ في معظم البلدان الاخرى ···

والمساحة الخاصة بالمعتقل الواحد في سجن الجليل هي اقل من متر مربع واحد ··· » ( صحيفة « لوموند » ، ١٥ــ٢ــ١٩٧٧ ) ·

والمحامية الاسرائيلية ليا تسيمل ( صحيفة « لوموند » ، ١٥ــ٢ــ١٩٧٧ ــ كتبت تقارير دورية حول تطور هذا الاضراب ( الذي تسبب في وفاة عدد من المعتقلين ) ، واكدت ان « بعض المعتقلين في سجن عسقلان ليس لديهم سرير او فراش منذ اكثر من ١٠ سنوات · ينامون على الارض مباشرة ، في زنازين قاتمة ورطبة ، حيث يمضون من ٢٣ الى ٢٤ ساعة في اليوم الواحد وحيث يؤدون جميع حاجاتهم · والجو خانق ·

يشكو عدد كبير من المعتقلين من القرحة وسوء التغذية · بعضهم اصبح عاجزا ( شلل ، عمى ، خلل عقلي عميق ) نتيجة « الاستجوابات المعمقة » · ولا احد منهم يتلقى المعالجة الطبية المؤاتية ··· » ( مذكور في مجلة « تايمز » ١٠ــ٢ــ٧٧ ) ·

والتصرفات العنصرية لدى رجال الشرطة الجلادين المعذبين الجنـوب افريقيين والاسرائيليين هي ايضا واضحة · وزيارة رئيس شرطة الدولة في جنـوب افريقيـا ( الــ B. O. S.S ) المشؤومة ( وهي منقولة عن الطراز النازي ) لزملائه الاسرائيليين ليست مجرد صدفة بالتاكيد بل لمناقشة مشاكله و « تقنياته » ·

**ترجمة جاكلين فرهود**

## الحواشـي

١ــ العلاقات بين المانيا النازية وجنوب افريقيا · **وثائق منظمة الامم المتحـدة** · العدد ١٢ · ١٩٧٦ ·

٢ ــ **هآرتس ٢٦ نيسان ١٩٧٦** ·

٣ ــ **لوموند ٢٥ــ٢٦ نيسـان ١٩٧٦** · **« اسرائيلي في جنوب افريقيا »** ·

٤ ــ ر· ستيفنس وم · المسيـري · **اسرائيل وجنوب افريقيا** · ص · ١٧٢ ·

( تشرين اول ١٩٧٦ ) ·

٥ ــ هنري كاتزيو : **جنوب افريقيا : بلد دون اصدقاء** · يذكره ستيفنس فـي **الصهيونية ، جنوب افريقيا ونظام التمييز العنصري** ·

٦ ــ ستيفنس والمسيـري · المصـدر السابق ص ١٧١ ·

٧ ــ وثيقة مـن الامـم المتحـدة ·

« الايديولوجيا وتطبيق نظـــام التمييـــز العنصري » · الدكتور فركويل ·

٨ ـ روجيه غارودي : **الجذور الدينية للصهيونية** ندوة بغداد ١٩٧٦ ·

٩ ـ مذكور في **مجلـــة الـــدراسات اللاهوتية والدينية** · **مون بولييه** · العدد الاول ١٩٧٦ ·

١٠ ـ ناحوم غولدمان : **جذور المرض** · في صحيفة « الموند » الفرنسية · ٢٩ ايار ١٩٧٠ ·

١١ ـ تيون : **السلطة الشاحبة** ص ١٧٤ ·

١٢ ـ **وثيقة كنينغ**· نشرت بالعربية في **شؤون فلسطينية** العدد ٦٠ ·

١٣ ـ يديعوت احرونوت · ١٥ ايلـول ١٩٧٦ ·

١٤ ـ صحيفة لوموند · مصدر مذكور سابقا ·

١٥ ـ ستيفنس والمسيري : مصـــدر مذكور سابقا · ص · ٢٢ ·

١٦ ـ ذكر في تيون : **السلطة الشاحبة**· ص ٨٢ ·

١٧ ـ صحيفة الموند · ٢٩ ايـــار ١٩٧٠ · المقال المذكور سابقا ·

١٨ ـ حاييـــم وايزمـــــن : **ولادة اسرائيل** ·

١٩ ـ ذكرها شابكس في كتابة **مفترق الطرق الى اسرائيل** · لندن ١٩٦٥ · ص ١٧ ·

٢٠ ـ ستيفنس والمسيـــري : المصـدر المذكور · ص ٩١ ·

٢١ ـ لسلـــي روبيـــن : **القوميـــة الافريقانية واليهود** ، يذكره ستيفنس ·

٢٢ ـ وايزبورد : **مازق يهود جنـــوب افريقيا** · يذكره ستيفنس ص · ١٣٢ ·

٢٣ ـ يذكره ستيفنس في « **اسرائيـــل وجنوب افريقيا** » ص ٥١ ·

٢٤ ـ دان جاكوبســـــون وروناالـــد سيغال : **نظام التمييز العنصري ويهـــود جنوب افريقيا** · ذكره ستيفنس ·

٢٥ ـ صحيفـــــــة وي ترانسفالـــــد الافريقانية ·

٢٦ ـ صحيفة راند ديلي ميــــل · ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦١ ·

٢٧ ـ مذكور في ستيفنس نقلا عـــن كاتزو ص ٥٤ ·

٢٨ ـ يذكره سيشابا · نشرة A.N.C. اب ـ ايلول ١٩٧١ ·

٢٩ ـ المصدر السابق ·

٣٠ ـ صحيفة يديعوت احرونـــوت · ١٦ آب ١٩٧٦ · ذكر في نشرة اورابيـا عدد ٦٦ ·

٣١ ـ وثائق الامم المتحدة · برنامـج البانتوستان · ٣٦ـ١٩٧٥ ·

٣٢ ـ ا · كابيليوك : **نهاية الاساطير** ص ٣٦ ·

٣٣ ـ المصدر السابق · ص ٢١ ·

٣٤ ـ وثيقة الامم المتحدة : « عمـــال المناجم في جنوب افريقيا » ٢١ـ١٩٧٦ ·

٣٥ ـ **وثيقة كنينغ** · مرجع مذكـــور سابقا ·

٣٦ ـ يديعوت احرونوت : ١٤ ايـــار ١٩٧٦ · مذكور في نشرة اورابيا العدد ٦١ ·

٣٧ ـ يديعوت احرونوت · ٦ تشريـــن الاول ١٩٧٢ ·

٣٨ ـ يديعوت احرونوت ١٤ ايـــار ١٩٧٦ · مذكورة في نشرة اورابيا العـدد ٦٠ ·

٣٩ ـ مذكور في تيون · مصدر مشار

اليه سابقا · ص ٢٠ ·

٤٠ ـ تقرير الاونيسكو حول آثار نظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا · ص ٣١ ·

٤١ ـ المصدر السابق · ص ٦٤ ·

٤٢ ـ مجلة نيوزويك · ٨ شباط ١٩٧١ ·

٤٣ ـ هأرتس ، ٤ نيسان ١٩٦١ · وردت عند غارودي في ندوة بغداد ·

٤٤ ـ صبري جريس · **العرب في اسرائيل** · ص ٢٥٧ . الطبعة الفرنسية ·

٤٥ ـ صبري جريس · المصدر المذكور · ص ٢٦٥ ·

٤٦ ـ صحيفة « دافار » ١٨ ايار ١٩٧٦ · مذكور في نشرة اورابيا العدد ٦١ ·

٤٨ ـ أ · كابيليوك · في المقال المذكور سابقا ·

٤٧ ـ صحيفة « معاريف » ( مقابلة مع مسؤولي حزب « راكح » ) · حزيران ١٩٧٦ ، مذكور في نشرة اورابيا العدد ٦٠ ·

٤٩ ـ صحيفة « يديعوت احرونوت » ٢٦ ايار ١٩٧٤ مؤسسة على الطراز النازي ·

٥٠ ـ صحيفة ستار ، جوهانسبورغ ، ٥ ايار ١٩٧٦ ·

٥١ ـ ولتر شوارتز ، العرب في اسرائيل ، ١٩٤٨ ، ذكره م· ادمس في بغداد ·

٥٢ ـ « هاعولام هازي » ، ٢٨ نيسان ١٩٧٦ ، مذكور في نشرة اورابيا · العدد ٥٨ ·

٥٣ ـ « لوموند » ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٦ ·

٥٤ ـ شهادة الدكتور نتشي امام لجنة التحقيق التابعة لمنظمة الامم المتحدة حول « الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة (١٩٧٦) » A/AC. 145/RT. ( ٧١ و ٧٢ ) ·

محمد عبد الرؤوف سليم

# التجارة اليهودية في فلسطين حتى قيام دولة إسرائيل

## التجارة اليهودية في فلسطين حتى قيام دولة اسرائيل

أرسيت أسس التجارة اليهودية في فلسطين طوال ثلاثة عقود ابتدات مع الاحتلال البريطاني للبلاد عام ١٩١٨ ، وانتهت مع قيام « دولة اسرائيل » في ايار ( مايو ) ١٩٤٨ · ترى ما هي اوضاع ميزان المدفوعات اليهودية آنذاك ؟ وما تاثير المقاطعة العربية ، والحماية الجمركية التي فرضتها حكومة الانتداب ، على التجارة اليهودية ؟ وما هي المحاولات التي بذلتها المؤسسات الصهيونية للتغلغل في أسواق الاقطار العربية المحيطة بفلسطين وهي محاولات تبذل حتى يومنا هذا ، حتى انه يقال أن اسرائيل دفعت بقواتها العسكرية للحرب في عامي ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ من أجل فتح أسواق خارجية للبضائع الاسرائيلية ؟

### التجارة الداخلية :

لم تنشأ حركة التجارة في فلسطين كجرم يدور في فلك الانتاج الزراعي والصناعي على أساس تسويق الانتاج سواء على مستوى السوق المحلية أم الاسواق الخارجية ، وانما كانت التجارة ، والواردات منها بالذات ، تكون مقوما أساسيا لنجاح العمل الصهيوني في فلسطين في المجالات الزراعية والصناعية ·

ذلك أن النشاط الزراعي والصناعي تطلب استيراد الآلات والمواد الخام والبذور وغيرها ولعل ذلك يفسر ارتفاع قيمة الواردات السنوية الى فلسطين طوال عهد الانتداب البريطاني ·

واختلف مسار حركة التجارة الداخلية في فلسطين في عهد الانتداب عما كان عليه طوال العهد العثماني · ذلـــك ان تدفق المهاجرين اليهود الى فلسطين ، والارتفاع الملحوظ في عدد السائحين القادمين سنويا الى البلاد ادى بالضرورة الى احداث تغييرات جذرية ناجمة عن ارتفاع القوة الشرائية ، سببها ما حمله القادمون الى البلاد من أموال ، وما صاحب ذلك من تغيرات في نوعيات المعروض للبيع ، وفي طرق العرض والتسويق تبعا للتغيرات الحادثة في أذواق السكان الذين كانوا ينتمون الى جنسيات متعددة · وقد أدت تلك العوامل الي اتساع نطاق السوق المحلية وتنشيط الحركة في داخلها ·

والحق أن توسع الوكالة اليهودية في تهجير اليهود الى فلسطين من كل حدب وصوب قد فرض زيادة في الطلب على انواع معينة من البضائع للاستهـــلاك المحلي ، وبخاصة أن قسما كبيرا من هؤلاء المهاجرين وفدوا من بلاد أكثر تحضرا وكان بعض هؤلاء يعيشون في مستوى عال نسبيا ·

كذلك كان قسم كبير من المهاجرين يتألف من أرباب الصناعات والصناع المهرة والحرفيين ، عملوا بعد هجرتهم في نفس المجالات الصناعية التي كانوا يعملون فيها قبل هجرتهم ــ أو المشابهة لها مستخدمين في ذلك رؤوس الاموال اليهودية التي تدفقت على فلسطين في شكل استثمارات وتبرعات ، ومستفيدين من الحماية الجمركية التي اصطنعتها حكومة الانتداب لحماية الصناعة ·

وكانت الوكالة اليهودية وراء ذلك الرواج في السوق المحلية في فلسطين ، سواء من خلال نشاطها في مجال الهجرة ، او من خلال اغراق الاسواق الداخلية في البلاد بمنتجات المزارع والمستوطنات التي عملت على انشائها ، والناتج مـن حركة التصنيع التي خططت لها وتابعت تنفيذها · وكانت المقاطعة العربيـــة للمنتجات اليهودية محل شكوى الوكالة في اكثر من مجال · وكانت تجارة اليهود في السوق المحلية تقوم على نظام التعاونيات والاسواق الدورية ·

كما تخصصت شركات يهودية في تسويق الانتاج للمنتجين الزراعيين اليهود الاعضاء في الجمعيات التعاونية المحلية ، وقد بلغت قيمة الحاصلات الزراعية التي قامت شركة تنوفا على تسويقها خلال الفترة ما بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٥ حوالي ١٫١٧٢٫٦٠٢ جنيها فلسطينيا (١) ·

وقد عمدت ادارة الصناعة والتجارة التابعة للوكالة اليهودية الى الترويج للبضائع اليهودية بوسيلتين :

تمثلت الاولى في « وضع اليد » على السوق المحلية ومنافسة البضائـــع المستوردة · ولتحقيق هذا الغرض شكلت « اللجنة المركزية لتنمية منتجـــات فلسطين » ، و « مؤسسة الدفاع الاقتصادي وتنظيم الاستيراد » ·

وتمثلت الوسيلة الثانية في توسيع قاعدة تجارة الصادر عن طريق « مؤسسة التجارة الخارجية » التي قامت على عرض البضائـــع اليهودية الفلسطينيـــة بالخارج ٠

وقد عملت اللجنة المركزية لتنمية منتجات فلسطين من خلال جمعياتها الاثنتي عشرة المنتشرة في خمس مدن وبعض المستوطنات الكبيرة ، على تسويق المنتجات الزراعية والصناعية اليهودية في السوق المحلية ، الى جانب الاشراف على جودة الانتاج بمساعدة الاجهزة الرسمية للوكالة اليهودية ٠ وكان على كـــل منتج ان يثبت العلامة التجارية على انتاجه بعد اختبارها بواسطة مندوب عـــن « اللجنة المركزية لتنمية منتجات فلسطين » ، التي اتسع نشاطها ليمتد الى مائتي منشأة في خطوط انتاجية مختلفة كانت تمثل ما يعادل ٨٥ في المائة من جميـــع مؤسسات المبيعات في فلسطين ٠ وكانت اللجنة المركزية ـ الى جانـب ذلـــك ـ مرتبطة مع التعاونيات التجارية اليهودية بفلسطين بتعاقدات لبيع المنتج محليا من البضائع ، واتفاقيات بمحاربة تسويق البضائع الاجنبية التي تنافس الانتـــاج الفعلي من خلال الاتفاقيات الجماعية التي عقدتها اللجنة المركزية مع عديد مـــن المستوردين التي كانت تقضي بعدم استيراد البضائع التي كانت تنافس الانتـــاج المحلي ٠ (٢)

وكثيرا ما كانت اجهزة الوكالة اليهودية تشعر بتحمل المسؤولية كاملـــــة ، وتحس بالالتزام برعاية المنتجين قبل تسويق انتاجهم ٠ فعملت ادارة الصناعـــة على ممارسة نشاطها في حدود الظروف العامة السائدة في المجال الصناعـــي ، من خلال الادراك بأن نشاط الوكالة اليهودية في مجال الصناعة لم يكن مقتصرا على التوسع في تطبيق نظام السلفيات لصغار المنتجين ، وانما كان هذا النشاط مرتبطا بالتحركات السياسية في القدس ولندن ٠ ومن هنا كان السعي نحو حماية الصناعات الجديدة في فلسطين من منافسة الانتاج الاجنبي المناظر ، وبخاصة الانتاج الياباني الذي اغرق الاسواق العالمية ، وكان يعتمد على الايدي العاملـــة الرخيصة والانتاج الغزير ، الى جانب دفع حكومة فلسطين الى عقد اتفاقيـــات تجارية مع البلدان التي كانت قبل انشاء الوكالة خاضعة للحكم العثماني ٠ (٣)

ومع نشوب الثورة الفلسطينية الكبرى ، نشأ نوع من الضغط الاقتصـــادي على المجتمع اليهودي في فلسطين ، اثر بطريق مباشر على صغار الحرفييـــن والتجار الذين برزت حاجتهم الى تكوين مؤسسة يهودية مركزية تعنى بمشاكلهم الخاصة ٠ وقد أولت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية عناية خاصـــة بهـــذا الموضوع للتخفيف من حدة الصعوبات التي صادفت هؤلاء ، فتقرر تكوين ادارة تابعة للوكالة لرعاية الحرفيين وصغار التجار (٤) ، تعمل في تنسيق مع ادارة الصناعة والتجارة في عام ١٩٣٨ ٠ وقد بدأت الادارة الجديدة عملها بدراســـة

وضع الحرفيين وصغار التجار عملا على سد الفجـــوة بيـــن مطالـــب هؤلاء والاحتمالات المالية المتاحة ٠

وبعد تلك الدراسة ، اضطرت الادارة الى تعدي حدود ميزانيتها الاصليـة ، والاستعانة بجهود المؤسسات المالية لانشاء صنـــدوق مساعـدة الطبقـــة الوسطى ٠ (٥)

وظل تطلع الوكالة اليهودية الى تعديل النظام الجمركي بشكل يحقق مصالـح المنتج اليهودي ، وقد تطرقت شهادة احد مسؤولي الوكالة ، (٦) أمام اللجنـة الانجليزية الامريكية الى ان سياسة الرسوم والمكوس الجمركي المطبقة حتـى بعد الحرب العالمية الثانية لا تزود الصناعات المحلية بالحماية اللازمة ، برغـم نجاح الوكالة اليهودية في دفع حكومة الانتداب الى زيادة الرسوم الجمركيـة في عام ١٩٣٩ ، وحتى وصلت في عام ١٩٤١ الى خمسة عشر في المائـة ثـم اضافة رسوم جديدة في عام ١٩٤٤ ٠ غير أن شكوى الوكالة كانت تكمن فـي ان زيادة هذه الرسوم الجمركية شملت المواد الخام اللازمة للصناعة اليهوديـة ، والمواد نصف المصنعة التي كان اليهود يستوردونها ، كما ان رخص الاستيـراد لم تكن تمنح لكل البضائع التي يطلب اليهود استيرادها ، ومن هنا كانت الوكالة اليهودية تدعي ان فلسطين هي البلد الوحيد في العالم الذي لا يستخدم نظـام الرخص الخاص به لصالح الصناعة المحلية وانما كان ذلك النظام مسخرا فـي خدمة الصناعات البريطانية ٠ (٧)

### العلاقات التجارية مع دول الشرق الاوسط العربية :

على أن تركيز الوكالة اليهودية ، كان ينحو منذ وقت مبكر نحو خلق سـوق رائجة في سوريا لانتاج المراكز الصناعية اليهودية كخطوة اولـى ٠ ذلـك ان القائمين على أمر الوكالة اليهودية ، كانوا يرون أن قيام الحواجز السياسية بين سوريا وفلسطين في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، نتيجة لوضع سوريا تحـت الانتداب الفرنسي وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ، لا يجب أن يكون لـه تاثير مباشر على العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، لا سيما وأن بنود صـك الانتداب على كل منهما لم تمنع من عقد اتفاقيات جمركية من شانها فتح ابواب البلد الواحد امام منتجات البلد الآخر ، بل تقوم على تقابل الحقوق بالمبادلـة وعلى حسن الجوار ٠ وترى الوكالة اليهودية أن الامر الطبيعـي الا تؤثـر التقسيمات السياسية على علاقات بلدين كانا في الماضي مرتبطين اقتصاديـا برباط وثيق ٠ (٨)

وكانت الاتفاقية الجمركية المعقودة بين فلسطين وسوريا عام ١٩٢٩ خـطوة

ساعدت الوكالة اليهودية على تصريف الفائض من الانتاج الزراعي والصناعي اليهودي في السوق المحلية السورية دون حواجز جمركية كعامل مساعد على انماء الانتاج اليهودي الفلسطيني ، وانعاش الحركة الصناعية والزراعية في فلسطين ، برغم ان حركة الصادرات السورية الى فلسطين زادت على الوارد منها في اعقاب عقد تلك الاتفاقية وفقا للارقام التالية : (٩)

| السنة | صادرات سوريا الى فلسطين بالجنيه الفلسطيني | واردات سوريا من فلسطين بالجنيه الفلسطيني | زيادة الصادر على الوارد بالجنيه الفلسطيني |
|---|---|---|---|
| ١٩٣٠ | ١ر٠٣٥ر٠٠٠ | ٢١٠ر٠٠٠ | ٨٢٥ر٠٠٠ |
| ١٩٣١ | ١ر٠١٧ر٠٠٠ | ٢٢٣ر٠٠٠ | ٧٩٤ر٠٠٠ |
| ١٩٣٢ | ٨١٣ر٠٠٠ | ٢٣٠ر٠٠٠ | ٥٨٣ر٠٠٠ |
| ١٩٣٣ | ٩٤٣ر٠٠٠ | ٢١٣ر٠٠٠ | ٧٣٠ر٠٠٠ |
| ١٩٣٤ | ١ر٠٨٣ر٠٠٠ | ٢٢٣ر٠٠٠ | ٨٦٠ر٠٠٠ |
| ١٩٣٥ | ١ر١٣٠ر٠٠٠ | ٣٠٣ر٠٠٠ | ١ر٠٠٧ر٠٠٠ |
| ١٩٣٦ | ١ر١٩١ر٠٠٠ | ٢٦٤ر٠٠٠ | ٩٢٧ر٠٠٠ |
| الاجمالي | ٧ر٢١٢ر٠٠٠ | ١ر٦٦٦ر٠٠٠ | ٥ر٧٤٦ر٠٠٠ |

وتفسير ذلك ان فلسطين كانت تستورد من سوريا نوعيات انتاجية تدخل في نطاق منافسة البضائع الاجنبية ، بينما تصدر اليها انتاجا صناعيا يهوديا فائضا لم يجد مكانا لتسويقه في البلاد الاوروبية · هذا فضلا عن ان حركة التجارة بين فلسطين وسوريا تعتبر خرقا للحصار الذي اصطنعه عرب فلسطين على الانتاج اليهودي ، من خلال المقاطعة العربية الفلسطينية للبضائع اليهودية · ذلك ان تلك الاتفاقية كانت مثار جدل في مجلس العموم البريطاني ، تأكد فيه ان الصادرات الفلسطينية الى سوريا لم تكن تعفى من الرسوم الجمركية الا اذا كانت انتاجا فلسطينيا محضا ، او مصنوعة في فلسطين بمواد أولية فلسطينية دون تطبيق نفس الشروط على البضائع الواردة الى فلسطين من سوريا (١٠) هذا على الرغم من ادعاء الوكالة اليهودية أن السوق الفلسطينية كانت اكثر اهمية لسوريا من السوق السورية لفلسطين ، وان اتفاقية ١٩٢٩ افادت سوريا بالدرجة الاولى ، وضمنت لمحصولاتها الزراعية والصناعية سوقا رائجة · (١١)

ويوضح تقرير للوكالة اليهودية ان العلاقات التجارية مع سوريا كانت « تخلق المتاعب » في الدوائر الصناعية اليهودية في فلسطين برغم انعدام الحواجز الجمركية بين فلسطين وسوريا وبرغم ان ارباب الصناعة اليهودية في فلسطين استغلوا حركة التجارة مع سوريا لصالحهم · وتتمثل تلك المتاعب التي يشير التقرير اليها في ان الصادرات من سوريا الى فلسطين تزايد حجمها

الى اربعة اضعاف في عام ١٩٣٥ حسب تقدير الوكالة اليهودية . وربما نجم ذلك عن مقاطعة عرب فلسطين للبضائع اليهودية ، مما جعلهم يعتمدون بالدرجة الاولى على الوارد من سوريا لتوفير ما يلزم للاستهلاك المحلي . وبرغم ان تقرير الوكالة اليهودية لا يشير الى أن البضائع السورية كانت تشكل منافسا قويا للمنتجات اليهودية ، الا ان الدوائر اليهودية كانت ترى في السوق السورية مجالا حيويا لتسويق الانتاج اليهودي . (١٢)

وكثيرا ما كانت الوكالة اليهودية تستحث حكومة الانتداب على عقد اتفاق جمركي مع العراق ومراجعة اتفاقية ١٩٢٩ المعقودة مع سوريا وفتح مجال للتجارة مع مصر . وقد انصاعت حكومة الانتداب لضغط الوكالة فأوفدت وفدا مشكلا من مدير المالية في الحكومة ، (١٣) ورئيس « مؤسسة الصناعات اليهودية الفلسطينية » (١٤) ورئيس « ادارة التجارة والصناعة » التابعة للوكالة اليهودية (١٥) الى مصر في عام ١٩٣٥ بهدف عقد اتفاق تجاري « مفتوح » بين فلسطين ومصر ، غير ان مساعي الوفد الفلسطيني في القاهرة باءت بالفشل . (١٦)

وتشير مذكرة للوكالة اليهودية الى بعض الصعوبات التي كانت تقف في طريق النجاح الصناعي والتجاري في فلسطين ، ومنها المقاطعة العربية للانتاج اليهودي ، وان أمكن التغلب عليها بطرق غير مباشرة . لقد كان القائمون على أمر الوكالة اليهودية يطمعون في تحويل بلاد الشرق العربي الى سوق دائم للصادرات اليهودية الفلسطينية . ولم تكن المقاطعة العربية ذات فاعلية في مرحلتها الاولى . والدليل على ذلك ان المقاطعة العربية بدأت بفاعلية بعد عام ١٩٤٦ . فقد صدر اليهود ما يعادل احدى عشرة في المائة من انتاجهم الصناعي في فترة ما قبل الحرب العالمية ، وأمكن تسويق ما يقرب من ثلث تلك الصادرات الى بلاد الشرق الاوسط العربية ، بما يساوي ٢٩٠٫٠٠٠ جنيه فلسطيني . ثم ارتفعت نسبة الانتاج الصناعي اليهودي المصدر الى البلاد الاجنبية ، فبلغت قيمتها ٨٫٢ مليون من الجنيهات الفلسطينية في عام ١٩٤٥ بما يعادل ١٧٫٥ في المائة من اجمالي الانتاج الصناعي اليهودي في فلسطين ، وكان نصيب دول جامعة الدول العربية من هذه الصادرات اكثر من الثلث او بما يساوي ٢٫٧ مليونا من الجنيهات الفلسطينية . ثم انخفضت تلك النسبة في عام ١٩٤٦ كما يتضح من الارقام التالية ( بالالف جنيه فلسطيني ) : (١٧)

| السنة | الصادرات الى البلاد العربية | الصادرات الى البلاد الاخرى | المجموع |
|---|---|---|---|
| ١٩٤٤ | ٢٫٣٠٠ | ٥٫٩٠٠ | ٨٫٢٠٠ |
| ١٩٤٥ | ٢٫٧٠٠ | ٨٫٤٠٠ | ١١٫١٠٠ |
| ١٩٤٦ | ٥٠٠ | ٨٫٥٠٠ | ٩٫٠٠٠ |

وقد يبدو من تلك الارقام ان المقاطعة العربية حققت نجاحا كبيرا في عـــام ١٩٤٦ ٠ غير أن الصورة الحقيقية تتضح اذا وضع في الحسبان تلك الزيـــادة الملحوظة في الصادرات الصناعية اليهودية من الماس والبوتاس وهي نوعيـــات لم تصدر الى البلاد العربية التي اشتركت في المقاطعة ٠ بينما سوقت في الخارج بأسعار مرتفعة ٠ واذا اسقطت تلك النوعيات من الحساب تصير الارقام كالتالي ( بالالف جنيه فلسطيني ) ويستنتج منها حجم الصادر الى البلاد العربيـــة بالنسبة للصادر الى الدول الاخرى : (١٨)

| السنة | الى البلاد العربية | الىالبلادالاخرى | الاجمالي | نسبة المصدر الى البلاد العربية |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٤٤ | ٢ر١٠٠ | ٢ر٠٠٠ | ٤ر١٠٠ | ١٠٥ |
| ١٩٤٥ | ٢ر٥٥٠ | ١ر٧٠٠ | ٤ر٢٥٠ | ١٥٠ |
| ١٩٤٦ | ٤٥٠ | ١ر٩٥٠ | ٢ر٤٠٠ | ٢٣ |

ويرجع التناقص الملحوظ في نسبة المصدر الى البلاد العربية في عام ١٩٤٦ الى انخفاض الاسعار بنسب تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ في المائة نتيجة للانتقـــال الى أسواق اخرى بالاسعار العادية ٠ هذا الانتقال للصادرات من الشرق الاوسط الى بلاد اخرى الذي تشهد عليه المقارنة بين الصادرات الصناعية اليهودية الـــى دول الجامعة العربية والبلاد الاخرى ٠

وقد حققت الوكالة اليهودية انخفاضا مفاجئا في الميزان التجاري خلال فترة الحرب العالمية الثانية من ٦٣ في المائة عام ١٩٣٩ الى ٤٨ في المائة عام ١٩٤٥ ، يضاف الى ذلك انه حدث هبوط كبير في حجم الصادرات في السنوات الاولـــى للحرب ، بسبب التقصير في تصدير الحمضيات ، غير ان السوق المحليـــة ، استوعبت ثلاثة ارباع اجمالي الصادر قبل نشوب الحرب ٠ (١٩)

وكانت حكومة الانتداب ترجع الزيادة المستمرة في حجم الواردات اساســـا الى أن فلسطين غير قادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي في المواد الغذائية وغيرها من الواردات الضرورية الاخرى ، وانه لا مناص من استيـــراد الحاجـــات الضرورية من اي مكان حتى يتحقق الاكتفاء الذاتي المفقود ٠ غير ان المسؤولين في الوكالة اليهودية كانوا يعتقدون في امكان تحقيق هبوط كبير في حجم العجز في الميزان التجاري بتحطيم المقاطعة العربية ، لو ان حكومة الانتداب اتخـــذت « اجراءات انتقامية » تجبر العرب على ايقاف مقاطعتهم ، خصوصا وان فلسطين تستورد منتجات غير ضرورية من البلاد العربية ٠ (٢٠)

**التجارة الخارجية :**

مارست حكومة الانتداب في بعض الاحيان سياسة الباب المفتوح في مجال التجارة الخارجية بالنسبة لفلسطين ، تنفيذا لما جاء في المادة الثامنة عشرة من صك الانتداب التي توجب على الدولة المنتدبة عدم التمييز بين رعايا أية دولة تتمتع بعضوية عصبة الامم في الامور المتعلقة بالتجارة ، كما توجب تلك المادة عدم التمييز بين البضائع المصدرة الى اي من تلك الدول او المستوردة منها ، كما تطلق نفس المادة حرية مرور البضائع بطريق المرور ( الترانزيت ) عبر فلسطين بشروط عادلة • وفي مقابل ذلك اجازت المادة الثامنة عشرة من صك الانتداب لادارة فلسطين التشاور مع الدولة المنتدبة فيما تراه ضروريا من فرض الضرائب والرسوم الجمركية ، ويوجز لادارة البلاد ان تعقد بالتشاور مع الدولة المنتدبة اتفاقا جمركيا خاصا مع أية دولة من الدول التي كانت جميع املاكها في عام ١٩١٤ ضمن أملاك تركيا الاسيوية او شبه جزيرة العرب • (٢١)

غير أن حكومة الانتداب لم تفرض قيودا على استيراد الآلات والمواد الخام التي تطلبتها حركة التوطين في المجالات الزراعية والصناعية ، وفي نفس الوقت قامت سياسة الحكومة على بناء الاسوار الجمركية العالية حول الانتاج اليهودي الفلسطيني حماية له من المنافسة الاجنبية ، مع تسهيل حركة التصدير من فلسطين وتشجيعها •

من ذلك أن حكومة الانتداب شجعت انتقال الاموال اليهودية الالمانية في شكل بضائع الى فلسطين خلال حكم النازية دون فرض رسوم جمركية عليها حتى يتمكن المهاجرون اليهود الالمان من نقل أموالهم الى فلسطين •

وقد وضع قانون الجمارك رقم ١١ لسنة ١٩٢٩ احكام الاستيراد والتصدير (٢٢) بشكل يعمل على تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية مع ربط المستعمرات اليهودية بشبكة من الطرق البرية تصلها بميناء حيفا الذي انشيء في عهد الانتداب (٢٣) ، واقامة المعارض الصناعية والزراعية سنويا في تل ابيب ، والعمل على فتح الاسواق الخارجية في الدول العربية المجاورة وبعض الدول الاوربية للمنتجات اليهودية الفلسطينية • (٢٤)

يضاف الى ما سبق (٢٥) ، ما استحدثته حكومة الانتداب على عهد هربرت صموئيل من تغييرات نسبية في التعريفة الجمركية المطبقة في العهد العثماني استهدفت خفض رسم الاستيراد على بعض مواد البناء ، واعفاء المقتنيات الشخصية للمهاجرين والآلات الزراعية والبذور من الرسوم الجمركية ، والغاء المعاملة الخاصة التي كانت البضائع المصرية والتركية الاصل تتمتع بها •

قد اشترك عدد من اعضاء اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في مباحثات

مع سلطات الانتداب بايعاز من اتحاد ارباب الصناعات في فلسطين في شأن الاتفاقات التجارية بشكل عام بهدف اعطاء الوكالة اليهودية حق الانفراد بعقد الاتفاقات التجارية استنادا الى ان المادة (١٨) من صك الانتداب التي يرى القائمون على أمر الوكالة اليهودية انها وضعت فلسطين في وضع « شاذ » بحرمانها من حق التفرقة في الامور الاقتصادية بين مختلف الدول الاعضاء في عصبة الامم ، وذلك يجردها من « السلاح الرئيسي » في التباحث مع البلاد الاجنبية ، مما يضع العراقيل في تطور الصناعة اليهودية في فلسطين ٠

وقد اشتركت الوكالة اليهودية مع الاجهزة المعنية بين يهود فلسطين في بذل الجهود من اجل التخفيف من حدة هذا الوضع عن طريق الانفراد بالمباحثات المباشرة مع ممثلي البلاد الاجنبية بصفة غير رسمية ، سواء من خلال انقاص التعريفة الجمركية على المنتجات اليهودية الفلسطينية او بتثبيت حصة نسبية لها ٠

وقد حققت الوكالة نجاحا ملحوظا في هذا المجال ، فقد عقدت اتفاقيات مع ممثلين عن تشيكوسلوفاكيا والنمسا وسويسرا لتثبيت حجم نسبي معين للتعريفة الجمركية للصادرات الفلسطينية ، كما دخلت في مباحثات مشابهة مع ممثلين عن تركيا ٠ (٢٦)

وظل القائمون على أمر الوكالة اليهودية يرون في النظام الجمركي الذي وضعته حكومة فلسطين قيدا على حركة الصادرات اليهودية ٠ فبينما كانت الوكالة تسعى لتحقيق بعض الامتيازات للبضائع اليهودية المصدرة الى الدول الاجنبية ، اغرقت البضائع الاجنبية فلسطين ، الامر الذي حول جزءا من القوة الشرائية الفلسطينية في السوق المحلية عن الانتاج اليهودي الفلسطيني ٠ وبرغم اعتراف تقرير للوكالة اليهودية بأن حكومة الانتداب كانت تتخذ الاجراءات في سبيل التخفيف من حدة المنافسة الاجنبية ، فان القائمين على أمر الوكالة كانوا يطالبون بوضع نظام جمركي يفرض الانتاج اليهودي على السوق المحلية بابعاد المنافسة الاجنبية عنها أو اضعافها ٠ (٢٧)

وكان الانتاج اليهودي يوجه في الاغلب الى السوق المحلية ، دون الاعتماد على الاسواق الخارجية حتى بداية الثلاثينات ٠ وقد صدرت للخارج بضائع مصنعة بلغت قيمتها ٣١٣ر٠٠٠ جنيه فلسطيني في عام ١٩٣٣ ، كانت تمثل ٨ر٥ في المائة من اجمالي الانتاج الصناعي في فلسطين في ذلك العام ، ثم ارتفعت قيمة المصدر الى ٣٢٠ر٠٠٠ جنيه فلسطيني في العام التالي بنسبة ٩ر٤ في المائة ٠ وتلقي الوكالة اليهودية بمسؤولية ضعف تلك النسبة على كاهل حكومة الانتداب متهمة اياها بالتقاعس عن السعي في سبيل خلق اسواق خارجية للانتاج اليهودي في فلسطين ٠ (٢٨)

وكان المسؤولون في الوكالة اليهودية يتوقون الى انشاء خط ملاحي يمر بالبحر الاحمر ، الى آسيا وشرق افريقيا ٠ فيرى بن جوريون ان حدود فلسطين الجنوبية تمتد بعد بئر السبع لمساحة مائتين وخمسين كيلومترا جنوبا ، ويذهب الى ان البحر الاحمر « لعب دورا عظيما في التاريخ اليهودي منذ ان جرت اول محاولة لانشاء اسطول بحري يهودي في عهد سليمان » ، وينبه المجتمعين في المؤتمر الصهيوني لعام ١٩٣٥ الى انه « لا يجب ان توجهنا الاحداث الجارية ، وانما يجدر بنا ان نلاحظ الخط التاريخي ٠٠ ان نشاطنا الاقتصادي سواء في المجال الزراعي او الصناعي والذي يعتمد على السوق المحلية بالدرجة الاولى ، يجب تدعيمه من خلال الاتصالات التجارية مع جيران فلسطين في مصر وسوريا والعراق وفارس والهند » ٠ وطالب بن جوريون منذ ذلك الوقت المبكر بفتح الطريق البحري أمام التجارة اليهودية عبر قناة السويس حتى تصل الحركة التجارية اليهودية الفلسطينية الى « كل الاراضي الآسيوية » ٠ (٢٩) وكان بن جوريون قد اصطحب في ربيع ١٩٣٥ اثنين من رفاقه من مسؤولي الوكالة اليهودية هما الياهو ابشتين وبيرل كاتزنلسون في رحلة الى ميناء العقبة وقرية ام رشراش العربية التي قامت ــ على حد زعم بن جوريون ــ على انقاض ميناء ايلات القديم الذي اتخذ منه الملك داود قاعدة بحرية تجارية انطلق منها اسطوله لنقل ثروات فلسطين القديمة الى الخارج ، وحيث استقبل نفس الميناء السفن التي بعثت بها ملكة سبأ محملة بالاخشاب والاحجار الكريمة ٠ وبعد شهور قلائل من عودتهم من تلك الرحلة ، ارسل بن جوريون الى براندیس بأنه لن يمضي وقت طويل حتى تقوم لليهود دولة في فلسطين ، تلعب ايلات دورا اهم في شؤونها السياسية والاقتصادية مما لعبته في عهد داوود ٠ (٣٠)

وتشير وثائق عصبة الامم الى المحاولات الحكومية البريطانية لايجاد اسواق جديدة لمحاصيل الحمضيات بعد أن تزايد انتاجها في فلسطين ، مما مكن من تصدير ٧٠٥ر٨٧٣ر٥ صندوقا خلال موسم ١٩٣٥ــ١٩٣٦ مقابل ٧٩٢ر٢٩٢ر٧ صندوقا في الموسم السابق ، وكانت الاثمان مقنعة ٠ كذلك تشير تلك الوثائق الى تقدم المباحثات بين فلسطين والعراق في سبيل الوصول الى اتفاق جمركي ٠ وكانت دوائر عصبة الامم ترى ان الوضع الاقتصادي في فلسطين في منتصف الثلاثينات لا يبعث على القلق ، برغم تأثر الصناعة المحلية في فلسطين بسبب الموقف الاقتصادي غير المستقر في البلاد العربية ٠ (٣١)

غير أن الوكالة اليهودية شكت الى عصبة الامم من « المتاعب » التي باتت تواجه منتجي البرتقال والتي نجمت « في الاغلب » عن التعريفة الجمركية المفروضة على صادرات فلسطين من الفواكه الى العديد من البلاد الاوروبية ٠ وقد تعددت وفود الوكالة الى كل من حكومة الانتداب وعصبة الامم بهدف تعديل المادة (١٨) من صك الانتداب على فلسطين بحيث توضع فلسطين في مركز

يسمح بتيسير حركة التجارة الفلسطينية مع البلاد الاجنبية مباشرة ، حتى تتحسن حركة الصادرات من الحمضيات · (٣٢)

وقد حاولت الوكالة اليهودية اخيرا اقناع حكومة فلسطين بتبديل سياستها التجارية التي تغطي مختلف البلدان بحيث تعطي فلسطين الحق في التصدير غير المحدود الى تلك البلدان دون اي مانع مشترك · وتأكدت الحاجة ـ خلال مناقشات جرت في القدس ولندن ـ الى اعادة تفسير المادة (١٨) من صك الانتداب على فلسطين حتى تتفق مع « المصالح الحيوية » اليهودية الفلسطينية · ومن جهة اخرى ، حاولت الوكالة اليهودية دفع الحكومة البريطانية الى التخفيف من حدة القيود التي ادعى ارباب الصناعة اليهودية في فلسطين انها فرضت على تصدير منتجاتهم من خلال التباحث مع مختلف البلدان بهدف ادخال تلك المنتجات ضمن البضائع الانجليزية · وقد استجابت الحكومة البريطانية ، فجرت محاولات لتحقيق هذا الهدف في الاتفاقيات التجارية البريطانية مع مختلف البلدان بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية ، ومن خلال جعل فلسطين في وضع اشبه بمقاطعة بريطانية · كذلك حرصت حكومة فلسطين على تحقيق استجابة اساسية لمطالب الوكالة اليهودية ، فوضعت المصلحة اليهودية في اعتبارها حين اخذت تنظر في تنظيم حركة التصدير من فلسطين ـ وبصفة خاصة تصدير الحمضيات ـ فربطت بينها وبين الاتفاقيات التجارية التي عقدتها مع البلدان الاخرى ، والاتحاد السوفيتي بصفة خاصة ، كما أجرت مباحثات مع الدول الاوروبية بهدف تحقيق امتيازات معينة للصادرات الفلسطينية اليها في مقابل صادراتها الى فلسطين · (٣٣)

وقد بلغت قيمة البضائع التي استوردتها فلسطين في عام ١٩٣٥ نحو ٠٠٠ر٨٥٠ر١٧ جنيه فلسطيني مقابل ٠٠٠ر٢٠٠ر٥ جنيه في عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢١، اي بزيادة تفوق الثلاثة أضعاف ·

كما بلغت قيمة البضائع التي صدرتها فلسطين الى الخارج في عام ١٩٣٥ حوالي ٠٠٠ر٢٠٠ر٤ جنيه فلسطيني مقابل ٠٠٠ر٧٧٢ جنيه في عام ١٩٢٠ـ ١٩٢١ ، اي بزيادة تفوق الخمسة اضعاف · اي ان حركة الصادرات والواردات راجت بفضل نشاط الوكالة اليهودية · وتزداد تلك الارقام اهمية بمقارنتها بأرقام تجارة البلدان المجاورة وبيان عدد السكان في كل منها ، وحساب نصيب الفرد في حركة التجارة كالآتي : (٣٤)

| البلد | قيمة الصادرات والواردات عام ١٩٣٥ بالجنيه الفلسطيني | عدد السكان | نصيب الفرد بالجنيه الفلسطيني |
|---|---|---|---|
| مصر | ٠٠٠ر١٠٠ر٦٨ | ٠٠٠ر٣٥٠ر١٥ | ٤٣٠ر٤ |
| سوريا | ٠٠٠ر٩٠٠ر١٠ | ٠٠٠ر٢٥٠ر٣ | ٣٥٠ر٣ |
| العراق | ٠٠٠ر٩٠٠ر١٠ | ٠٠٠ر٣٠٠ر٣ | ٣٠٠ر٣ |
| فلسطين | ٠٠٠ر١٠٠ر٢٢ | ٥٢٩ر١٩٤ر١ | ٩٨٠ر١٩ |

وتوضح هذه المقارنة بصورة عامة تقدم السوق الفلسطينية وتفوقها الواضح على اسواق البلدان المجاورة · وهذا أمر طبيعي نجم عن تدفق رؤوس الاموال اليهودية الىفلسطين لبناء اقتصاد جديد ناشيء ، فاتخذت الواردات في الاغلب شكل آلات ومواد خام ومواد بناء ، دون ان تسهم بشكل مباشر في رفاهية المجتمع ، واذا كان لهذا الاقتصاد الناشيء عائد ، فقد انفرد اليهود بالتمتع به دون العرب ·

ونظرا للتوسع في استيراد مواد البناء والآلات والمواد الخام وغيرها من متطلبات بناء الاقتصاد اليهودي في فلسطين ، ظل العجز في الميزان التجاري قائما طوال فترة بناء الوطن القومي اليهودي · وتوضح الارقام التالية الفارق بين قيمة الواردات والصادرات خلال الفترة ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ : (٣٥)

| السنة | الواردات بالجنيه الاسترليني | الصادرات بالجنيه الاسترليني |
|---|---|---|
| ١٩١٩ | ٣ر١٢٦ر٤٦٤ | ١٤١ر٨٥٣ |
| ١٩٢٠ | ٥ر٤٠٩ر٩٨٧ | ١ر٣١٨ر٦٢٠ |
| ١٩٢١ | ٥ر٨٧١ر٦٧٨ | ١ر٤١٦ر٣٦٨ |
| ١٩٢٢ | ٥ر٥٨١ر١٣٢ | ١ر٣٥٣ر٣٠٨ |

ويورد تقرير للقنصل الامريكي في القدس بيانا لحركة الصادرات والواردات موزعا على مختلف بلدان العالم خلال الفترة بين أول ابريل ١٩١٩ ، وآخر مارس ١٩٢١ · ويلاحظ اختلاف في التقديرات الواردة في التقرير عن التقديرات السابقة كالآتي : (٣٦)

| البلد | الواردات ( بالدولار الامريكي ) | | الصادرات ( بالدولار الامريكي ) | |
|---|---|---|---|---|
| | السنة المنتهية في ٣١ـ٣ـ١٩٢٠ | السنة المنتهية في ٣١ـ٣ـ١٩٢١ | السنة المنتهية في ٣١ـ٣ـ١٩٢٠ | السنة المنتهية في ٣١ـ١٢ـ١٩٢١ |
| استراليا | ٣ر٥٧٣ر١٢٤ | ٣ر٧١٦ر٤٠٤ | ٣٨٢ | ٣٦٤ |
| مصر | ٣ر٩٩٧ر٧٣٢ | ٢ر٢٧٨ر١٨٤ | ٢ر١٨٧ر٠٣٦ | ٢ر١٣٧ر١٨٠ |
| فرنسا | ٤٦١ر٠٢٨ | ٩٧٤ر٠٠٨ | ٨١ر٩٣٢ | ٥٧ر٣٠٨ |
| بريطانيا العظمى | ٤ر٨١٨ر٧٢٨ | ٦ر٧٨٦ر٥١٦ | ٣٦٨ر٢٣٦ | ٣٧٦ر٩٧٦ |
| اليونان | ١٦٢ر١٢٠ | ٦ر٠٠٠ | ٨٠ر٠١٦ | ١٥ر٤٥٢ |
| الهند | ٨٤٤ر٢٢٤ | ١ر٦٣٦ر٣٣٢ | ٥٣٦ | ٦٧٦ |
| ايطاليا | ٣٢٥ر٩٤٨ | ٨٩٤ر٥٩٦ | ٦٠ر٥٠٠ | ٢٧ر١٩٦ |
| اليابان | ١ر٢٦٠ر٩٨٤ | ٤٧٤ر٢٠٤ | ... | ... |
| هولندا | ١ر٣٦٢ر٣٧٢ | ١ر٠٦٣ر٦٨٠ | ٣٧ر٨٩٦ | ٢ر٥٢٠ |
| الولايات المتحدة | ٧٩٠ر٣١٦ | ١ر٩٩٠ر٥٠٤ | ١٢ر٦٥٦ | ٤٦ر٧٢٨ |
| بلاد اخرى | ٩٧٨ر٣٧٢ | ٣ر١٤٧ر٤٠٤ | ١٥٥ر٢٤٨ | ٢٢٥ر٥٦٠ |
| طرود بريدية | ١ر١٨٩ر٢٩٢ | ٩٠٩ر٠٦٠ | ١٠٩ر٨٤٨ | ١٨٧ر١٤٤ |

ويقدر مصدر عربي قيمة الواردات الى فلسطين خلال الفترة ١٩٢١_١٩٢٥ بنحو ٠٧٩ر٤٥٣ر٢١ جنيها استرلينيا ، والصادرات خلال نفس الفترة ٤٨٥ر٨٣٠ر٤ جنيها . وبذلك يكون العجز في الميزان التجاري ٥٦٤ر٦٠٤ر١٦ جنيها استرلينيا . (٣٧)

واستمر العجز في الميزان التجاري ، فكانت قيمة الواردات ٨١٨ر٧٧٠ر٦ جنيها استرلينيا في عام ١٩٢٦ مقابل ٤٥٤ر١٨٤ر٦ جنيها في العام التالي ، بينما كانت قيمة الصادرات ٢٠٧ر٤٨٧ر١ جنيها استرلينيا في عام ١٩٢٦ مقابل ٧٥٩ر٨٩٩ر١ جنيها في العام التالي . (٣٨)

وتسجل الارقام التالية ارتفاع قيمة الواردات على قيمة الصادرات خلال الفترة ١٩٢٩_١٩٣٤ : (٣٩)

| السنة | الواردات بالجنيه الفلسطيني | الصادرات بالجنيه الفلسطيني |
|---|---|---|
| ١٩٢٩ | ٥٩٣ر١٦٦ر٧ | ٢٦٢ر٦٥٤ر١ |
| ١٩٣٠ | ٢٥٨ر٩٨٥ر٦ | ٠٩٥ر٨٩٦ر١ |
| ١٩٣١ | ٠٠٠ر٩٤٠ر٥ | ٠٦١ر٥٧٢ر١ |
| ١٩٣٢ | ٩٢٠ر٧٦٨ر٧ | ٤٩١ر٣٨١ر٢ |
| ١٩٣٣ | ٤٨٩ر١٢٣ر١١ | ٦١٧ر٥٩١ر٢ |
| ١٩٣٤ | ٧٨١ر١٥٢ر١٥ | ٥٦٢ر٢١٧ر٢ |

ويلاحظ من تلك الارقام ارتفاع ملحوظ في قيمة الواردات ابتداء من عام ١٩٣٢ ، ويرجع ذلك الى ان اليهود الالمان المهاجرين الى فلسطين لجأوا الى نقل اموالهم في شكل بضائع وسلع تجارية ، بعد أن رفضت الحكومة الالمانية مبدأ نقل اموال الرعايا الالمان ، وقد ساعدت الحكومة البريطانية في الوصول الى اتفاق مع السلطات الالمانية ينظم نقل البضائع الممكن تسويقها عن طريق الاستهلاك المحلي في فلسطين ، كما أصدرت تعليماتها الى حكومة فلسطين باعفاء البضائع الالمانية من الرسوم الجمركية حتى لا يتاثر المهاجر الالماني ماليا ، كما تخصصت شركات يهودية معينة في تنظيم نقل تلك البضائع باشراف الوكالة اليهودية والمجلس المركزي لتوطين اليهود الالمان . (٤٠)

وتسجل نفس الارقام ارتفاعا في قيمة الصادرات من فلسطين ، برغم الازمة المالية العالمية ، مما يوضح ان وسائل الانتاج اليهودية في المجالات الزراعية بدات تحقق فائضا انتاجيا قابلا للتصدير بعد الوفاء باحتياجات السوق المحلية ، وبعد انتهاء عشرة اعوام من ممارسة الوكالة اليهودية نشاطها في فلسطين . كما يلاحظ ان قسما كبيرا من الصادرات كان من المنتج

من الحمضيات ٠

وتوضح الارقام التالية نسبة قيمة الصادرات الى قيمة الواردات في حركة التجارة بين فلسطين وبعض دول العالم خلال عامي ١٩٣٥ـ١٩٣٦ ٠ (٤١)

| الفترة | النمسا | بلجيكا | تشيكوسلوفاكيا | ايطاليا | رومانيا | يوغوسلافيا | لاتفيا | الارجنتين | الولايات المتحدة | بولندا | اليابان | تركيا |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٩٣٥ | ١ : ٣١ | ١ : ٩ | ١ : ١٣ | ١ : ١٣ | ١ : ١٣ | ١ : ١٧ | ١ : ٣٠ | ١ : ١٩ | ١ : ٩٤ | ١ : ٦ | ١ : ٦٥ | ١ : ٦٥ |
| ١٩٣٦ | ١ : ١١ | ١ : ٧ | ١ : ٨ | ١ : ٢١ | ١ : ١٦ | ١ : ١٧ | ١ : ٦ | ١ : ٤٧ | ١ : ٥٠ | ١ : ٢ | ١ : ١٣ | ١ : ٤ |

وتشير هذه الارقام الى انخفاض نسبي في الواردات من البلدان التي لم يتمتع اليهود فيها بالثراء ، مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا ولاتفيا وتركيا ، وانخفاض نسبي مماثل بالنسبة للواردات من البلدان التي لا يبدي اليهود فيها اهتماما كافيا بالمسألة الصهيونية مثل ايطاليا وبلجيكا ٠ ويقابل ذلك ارتفاع نسبي في البلدان التي تمتع اليهود فيها بالثراء ، وعمدت الاجهزة الصهيونية الى شن حملات متوالية لجمع التبرعات فيها ، مثل الولايات المتحدة والارجنتين ٠ وكان جزء من الواردات الى فلسطين بضائع في شكل هدايا ارسلها في تلك البلدان الى ذويهم وبني دينهم ٠ ويستمر العجز في الميزان التجاري مواكبا التوسع في الزراعة والصناعة كما يتضح من الارقام التالية :

| السنة | الواردات النصف الاول بالجنيه الفلسطيني | الواردات النصف الثاني بالجنيه الفلسطيني | الصادرات النصف الاول بالجنيه الفلسطيني | الصادرات النصف الثاني بالجنيه الفلسطيني |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٣٥ | ٨ر٦٠٨ر٠٠٠ | ٩ر٢٤٥ر٠٠٠ | ٣ر٢٢٠ر٠٠٠ | ٩٩٣ر٠٠٠ |
| ١٩٣٦ | ٦ر٧٣٣ر٠٠٠ | ٧ر٢٤٦ر٠٠٠ | ٢ر٢٦٣ر٠٠٠ | ١ر٣٦٢ر٠٠٠ |
| ١٩٣٧ | ٨ر١٣٩ر٠٠٠ | ٧ر٧٧٤ر٠٠٠ | ٣ر٧٥٥ر٠٠٠ | ٢ر٠٦٥ر٠٠٠ |
| ١٩٣٨ | ٦ر٦٤١ر٠٠٠ | | ٣ر٢٥٩ر٠٠٠ | |

وقد ارتفعت قيمة انتاج شركة البوتاس من ٦٤ر٠٠٠ جنيه فلسطيني في النصف الاول من عام ١٩٣٧ الى ١٦٠ر٠٠٠ جنيه في النصف الاول من العام التالي ٠

ويواكب الارتفاع في قيمة الصادرات ارتفاع ملحوظ في دخل يهود فلسطين ٠ اذ تقدره النشرة الاقتصادية للصندوق القومي اليهودي في عام ١٩٣٧ بثمانية عشر مليونا من الجنيهات الفلسطينية ، منها ٤ر١٠٠ر٠٠٠ جنيه من قطاع الصناعة ، و ٣ر٩٠٠ر٠٠٠ جنيه من قطاع الخدمات ، ومليونان من الجنيهات الفلسطينية من القطاع الزراعي ، ذلك برغم ظروف الثورة الفلسطينية الكبرى ٠

كما شهدت تلك الفترة الارتفاع الملحوظ في حجم الوارد من أموال اليهود الالمان المهاجرين الى فلسطين في شكل بضائع المانية ·

وكان لتزايد قيمة الواردات على قيمة الصادرات تأثير على محاولات تنمية الاقتصاد اليهودي في فلسطين · وقد شغلت هذه المشكلة فكر القائمين على أمر المؤسسات الانتاجية والدوائر الاقتصادية بين يهود فلسطين لدرجة كبيرة ، فطفقت الاجهزة المعنية تبحث عن وسيلة لتنظيم الواردات بحيث تلائم اغراض « الدفاع الاقتصادي » ، مع احداث تغييرات في سياسة حكومة الانتداب · وقد اجتمعت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والمجلس المحلي ليهود فلسطين في مايو ١٩٣٩ ، وتقرر تكوين « مؤسسة الدفاع الاقتصادي وتنظيم الواردات » ، من ممثلين عن « الاجهزة الوطنية » اليهودية لتعمل تحت اشراف اللجنة التنفيذية للوكالة وتوجيه ادارة التجارة والصناعة التابعة للوكالة · (٤٣)

وكانت الوكالة اليهودية توظف جزءا من الاموال اليهودية المتدفقة على فلسطين في تغطية العجز في الميزان التجاري سنويا · وتوضح الارقام التالية العلاقة بين تشغيل رأس المال اليهودي بالالف جنيه فلسطيني ، وميزان التجارة خلال الفترة ١٩٣٢_١٩٣٩ : (٤٤)

| السنة | ١٩٣٢ | ١٩٣٣ | ١٩٣٤ | ١٩٣٥ | ١٩٣٦ | ١٩٣٧ | ١٩٣٨ | ١٩٣٩ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| رأس المال المستثمر | ٣ر٠٠٠ | ٦ر٠٠٠ | ١٠ر٠٠٠ | ١١ر٠٠٠ | ٧ر٠٠٠ | ٦ر٠٠٠ | ٤ر٧٠٠ | ٥ر٠٠٠ |
| العجز في الميزان التجاري | ٥ر١٠٦ | ٨ر١٠٨ | ١١ر٦٨٣ | ١٣ر٣٤٦ | ٩ر٥٨٨ | ٩ر٦٢٠ | ٥ر٦٧٣ | ٩ر١٦٦ |

وتوضح هذه الارقام ان العجز في الميزان التجاري يزيد على رأس المال اليهودي الموظف في التغطية المالية غير أن مذكرة للوكالة اليهودية تشير الى ان ذلك امر كان متوقعا طالما ان رأس المال غير اليهودي ( العربي والحكومي ) لم يوضع في الحسبان ·

على ان القائمين على أمر الوكالة اليهودية كانوا يتوقعون دائما ان الوارد « الكبير » من رأس المال اليهودي ربما يؤدي الى زيادة الانتاج المحلي بشكل يقلل الاعتماد على الواردات من الخارج ، كما ان التقدم في انتاج الموالح يزيد من حجم الصادرات ·

وكانت الواردات الى فلسطين تتخذ شكل الاغذية ( وبصفة خاصة القمح واللحوم والانتاج الحيواني ) والمواد الخام والآلات وقطع الغيار اللازمة لتشغيلها · (٣٥)

وقد أولت اجهزة الوكالة اليهودية اهتماما كبيرا بالتوسع في التصدير ، وتحققت خطوات ناجحة في هذا السبيل تظهر نتائجها في الارقام التالية : (٤٦)

| نوعية الصادرات | القيمة الحقيقية المستوى قبل الحرب ١٩٣٧ـ١٩٣٩ | بالجنيه الفلسطيني ١٩٤٥ | النسبة المئوية ١٩٣٧ـ١٩٣٩ | ١٩٤٥ |
|---|---|---|---|---|
| الحمضيات | ٣٫٩٧٥٫٠٥٠ | ٢٫٠٨٥٫٩٤٥ | ٧٤٫٧ | ١٥ |
| مواد غذائية غير مصنعة | ٩٠٫٠٠٢ | ٢٦٧٫٠٣٨ | ١٫٧ | ٢٫٦ |
| بضائع اخرى غير مصنعة | ٢٥٥٫٣٨٢ | ٣٢٧٫٢٩٨ | ٤٫٨ | ٢٫٤ |
| منتجات البحر الميت | ٣٢٢٫٤٥٠ | ٩٠٤٫٩٥٣ | ٦٫١ | ٥٫٦ |
| الماس | — | ٥٫٩٠٩٫٢٩٧ | — | ٤٢٫٧ |
| مواد مصنوعة | ٦٧٤٫٦٧٣ | ٤٫٣٦٠٫٤٥٨ | ١٢٫٧ | ٣٠٫٨ |
| الجملة | ٥٫٣١٧٫٥٥٧ | ١٣٫٨٥٤٫٩٨٩ | ١٠٠ | ١٠٠ |

وترجع بعض ملامح هذه الخطوات الناجحة الى مقتضيات ظروف الحرب العالمية الثانية ، غير ان الملامح الاخرى اتخذت صفة الاستمرار بعد الحرب كمقومات للتجارة الخارجية لفلسطين ٠ وكان من المقرر ان تزول بعض علامات التقدم مع انتهاء الحرب في الصادرات الخاصة بمعمل تكرير البترول في حيفا ، والمواد المصنعة التي اعتمدت على المهارات الشخصية ٠

وبعد ، فاذا كانت المقاطعة العربية قد اقتصرت على البضائع اليهودية فحسب ، فانها بعد قيام « دولة اسرائيل » شملت الشركات غير اليهودية المتعاملة مع اسرائيل ٠ على ان اسرائيل نجحت في التحايل على المقاطعة العربية ، واوصلت بعض بضائعها لتباع في بعض الاسواق العربية تحت « ماركات » ايطالية ويابانية وغيرها ٠

واليوم فان قاعات الامم المتحدة تشهد صراعا محتدما تطالب فيه الانظمة المحافظة « بتخفيف » القيود على الشركات الاجنبية المتعاملة مع اسرائيل ٠٠٠ ولا تزال المعركة مستمرة ٠

# الحواشـي

(1) Zionist Organization: Reports of the Executives of the Zionist Organization and the Jewish Agency for Plaestine, submitted to the Nineteenth Zionist Congress, 1935. P. 236.

(2) Zionist Organization; Reports of the Executives of the Zionist Organization and the Jewish Agency for Palestine, submitted to the XXI Zionist Congress, 1939. P. 412.

( ٤ ) عملت بإدارة ج.ل. فيشمان ـ عضو اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية .

5) Z.O., Reports to XXI Z. Congress, 1939. PP. 424-425.

( ٦ ) مستر برنستاين .

(7) Jewish Agency for Palestine; Observations on the Supplementary Memorandum, Jerusalem, 1947. PP. 15-17.

( ٨ ) مكتب المباحث الاقتصادية التابع للوكالة اليهودية لفلسطين ، نشرات الوكالة اليهودية : كلمة حول العلاقات الاقتصادية بين سوريا وفلسطين القدس ، مارس ١٩٣٧ . ص. ٢ .

( ٩ ) المرجع السابق : ص.ص. ٣ ـ ٤ .

(10) Parliamentary Debates; Vol. 253. PP. 295-296.

( ١١ ) مكتب المباحث الاقتصادية التابع للوكالة اليهودية لفلسطين ، مرجع سبق ذكره .ص. ٤ ـ ٨ .

(12) Z. O.; Reports to the XIX Z. Congress, 1935. P. 376.

(13) Mr. Johnson.

(14) Mr. Shanker.

(15) Mr. N. Tishky.

(16) Z.O.; Reports to the XIX Z. Congress, 1935. P. 377.

(17) Jewish Agency for Palestine; Memorandum on Reconversion in Palestine, submitted to the United Nations Special Committe on Palestine. Jerusalem, 1947. P. 14.

(18) Ibid. P. 15.

(19) Zionist Organization; Reports of the Executives of the Zionist Organization and the Jewish Agency for Palestine, submitted to the XXII Zionist Congress, 1946. P. 218.

( ٢٠ ) من الأمثلة التي أوردتها الوكالة اليهودية دليلاً على ذلك ، الواردات التالية من الدول العربية عام ١٩٤٦ : التفاح : من سوريا ولبنان = ٧١,٥٤٣ ج.ف. ، ومن الأردن = ١٣٩,٣٤٤ ج.ف. ، والبطاطس : من سوريا ولبنان = ٦٥,٦٦١ ج.ف. ، ومن مصر = ٢٥,٥٠٢ ج.ف. ، والتمر : من العراق = ١٥٧,٩٥٦ ج.ف. ، والسجائر : من مصر = ١٩,٧١٩ ج.ف. فضلا عن بضائع اخرى غير ضرورية منها الفخار والأواني الخزفية والحرير الصناعي المنسوج ، والمنسوجات والجلود . أنظر :

Jewish Agency; Observations on the Supplementary Memorandum. P. 18.

(21) U.N.; Document A-70. Terms of League of Nations Mandates — Mandate for Palestine.

( ٢٢ ) للتوصل إلى تصور واضح لدور حكومة الانتداب على فلسطين في مساندة التجارة اليهودية انظر : عادل حامد الجادر : أثر قوانين الانتداب البريطاني في اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . رسالة لنيل درجة الماجستير ، أجيزت بمعهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة . ١٩٧٢ . ص. ٢٠٨ ـ ٨٥٧ .

( ٢٣ ) بدىء في انشاء الميناء في عام ١٩٢٧ . أنظر : المقطم : ١٩٢٧/١٢/١٦ . ص. ٣ .

( ٢٤ ) اتخذت حكومة الانتداب قراراً بإنزال العملة الفلسطينية إلى السوق اعتباراً من أول نوفمبر ١٩٢٧ ، واستعادة العملة المصرية ـ وقد صدرت العملة الفلسطينية على قاعدة الجنية  سترليني ( ٩٧٥ مليا ) واعتباره ألف مل فلسطيني . أنظر : المقطم : ١٩٢٧/١٠/٢٨ . ص. ٥ .

( ٢٥ ) للمزيد من التفاصيل ، أنظر : الفصل الخامس ـ التجارة والرسوم الجمركية في ظل الانتداب

في : ابراهيم رضوان الجندي : سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية في فلسطين ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ . رسالة لنيل درجة الماجستير أجيزت بجامعة الاسكندرية ، ولم تنشر بعد . الاسكندرية ، ١٩٧٥ . ص. ١٨٢ ـ ٢١١ .

(26) Z. O.; Reports to the XIX Z. Congress, 1935-PP. 376-377.

(27) Ibid. P. 378.

(28) Jewish Agency for Palestine; Report of the Executive of the Jewish Agency for Palestine, submitted to the Fourth Meeting of the Council at Lucerne, September 4th-5th, 1935. PP. 165-167.

(29) C.O. 733-281. Speech by Ben Gurion before the Zionist Congress, 1935. P. 8.

(30) John, Robert; Ben-Gurion, a biographic of an Extraordinary Man. New-york, 1959. P. 81.

وقد تحقق لإسرائيل فيما بعد انشاء ميناء إيلات ، وخفق العلم الاسرائيلي فوق السفن البحرية المارة عبر خليج العقبة في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . وإذا كان الخليج قد أغلق في وجه الملاحة الاسرائيلية قبيل الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ بأيام قليلة ، كما أغلق مضيق باب المندب في وجه السفن الاسرائيلية إبان حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، فإن الطريق أصبح الآن مفتوحاً امام حركة التجارة من إيلات وإليها .

(31) League of Nations; Permanent Mandates Commission, Minutes of the Twenty-Ninth Session, Held at Geneva from May 27th to June 12th 1936, including Report of the Council. Seventh Meeting Held on Monday, June 1st, 1936, PP. 60-62.

(32) Jewish Agency for Palestine, Memorandum submitted to the Permanent Mandates Commission, League of Nations, 30-5-1938. P. 30.

(33) Z. O.; Reports to the XXI Z. Congress, 1939. P. 4 13.

( ٣٤ ) نشرات الوكالة اليهودية : اقتصاديات فلسطين ما بين العرب واليهود . نشرة رقم ( ٣ ) القدس ، آيار سنة ١٩٣٥ . ص. ٤٣ ـ ٤٤ .

(35) The Zionist Review, June, 1923. P. 25.

(36) U.S., Department of Commerce, Special Reports - No. 83, Palestine, its Commercial Resources with particular reference to American Trade. By Addison E. Southard, American Consul at Jerusalem. Washington, 1922. P. 49.

وهذه الوثائق مصورة على الافلام من مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت .

(37) C.O. 733-46. Report on the state of Palestine, Submitted to His Excellency the High Commissioner for Palestine, by the Executive Committee, Palestine Arab Congress, on 13th October, 1925. P. 11.

(38) Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Administration of Palestine and Transjordan for the year 1927. P. 42.

(39) The Economist, Commercial Section of the Palestine Post. Jerusalem, December, 16, 1935. P. 8.

( ٤٠ ) محمد عبد الرؤوف سليم : نشاط الوكالة اليهودية منذ انشائها حتى قيام دولة إسرائيل ، ( ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨ ) . رسالة لنيل درجة الدكتوراه أجيزت بجامعة عين شمس ـ ولم تنشر بعد ، القاهرة ، ١٩٧٧ . ص. ٤٠١ ـ ٤٠٤ .

(41) The Economist: 27-12-1937. P. 9.

(42) The Jewish Chronicle, 30-9-1938. P. 17.

(43) Z. O.: Reports to the XXI Z. Congress, 1939. P. 414.

(44) The Jewish Agency for Palestine, Jewish Economic Development: Facts and Prospects: Memorandum Submitted in March, 1946-to the Anglo American Committe of Inquiry in Jerusalem. Jerusalem, 1947. PP. 10-11.

( ٤٥ ) أنظر نوعية رأس المال الموظف في تغطية العجز في الميزان التجاري في :

Report to the Genral Assembly by the United Nations Special Committee on Palestine. H.M.S.O., 1947. PP. 25-26.

(46) Jewish Agency: Economic Development. P. 12.

خليـــل بـَركات

# المؤامرة مستمرة في الجنوب

على الرغم من مضي أكثر من ثلاثة اشهر على اعلان اتفاق شتورة الذي تم بين السلطة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية وسورية ، فان هذا الاتفاق لم يجد طريقه الى التنفيذ في الجنوب بالرغم من استمرار الحديث عن قرب البدء بالتنفيذ ، مما حدا بقيادة قوات الردع العربية الى اصدار بيان يوم ١٣ تشرين اول ١٩٧٧ يتضمن نفيا للمعلومات الصحفية ·· واعتبار « ان كل ما لا يصدر عن قيادة قوات الردع العربية في ما يختص بتنفيذ المرحلة الثالثة من اتفاق شتورة لا يعتبر واقعا ولا صحيحا » ـ جريدة السفير ـ ·

ولقد بات من الواضح ان التحالف الانعزالي ـ الصهيوني يعمل على عرقلة تنفيذ اتفاق شتورة في الجنوب ، بعدما كان يلح على تنفيذه في بيروت وبقية المناطق اللبنانية · ذلك ان تنفيذه في هذه المناطق ، كان ينسجم مع مصلحته ، بينما مصلحته في الجنوب ، تقضي بابقاء الوضع متوترا هناك من أجل الاستفادة منه لتحقيق الاهداف التي ما انفك يعلن عنها صراحة ، عبر التصريحات اليومية لاركان الجبهة الانعزالية ، واستخدام ذلك ورقة سياسية ضاغطة محليا وعربيا ·

فعلى الصعيد المحلي ، يربط اركان الجبهة الانعزالية موضوع الحوار « بالوجود الفلسطيني المسلح » محاولين الضغط على الاطراف المحلية وبصورة خاصة الهيئات الاسلامية ، لدفعها للوقوف الى جانب للجبهة في موقفها من قضية « الوجود الفلسطيني المسلح » في لبنان ، كشرط لقبولها البدء بالحوار حول مستقبل لبنان السياسي والاجتماعي · وعملية الضغط هذه تجري وفق تنسيق متفق عليه بين أركان الجبهة ، وهذا يبدو واضحا من خلال التصريحات والمقالات التي تصدر في صحف الانعزاليين بصورة تكاد تكون يومية ·

فقد صرح كميل شمعون بتاريخ ٥ أيلول ١٩٧٧ ، ردا على سؤال : « قلت منذ البداية أن الحوار لا يمكن ان يبدأ والبنادق الاجنبية الغريبة لا تزال على ارض لبنان » ـ جريدة « الاحرار » ـ ·

واوضح في اليوم التالي ، اي بتاريخ ٦ أيلول ١٩٧٧ ، انه « لا بحث في الاتفاقات

السياسية قبل ان ننتهي من الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان » ـ جريدة « الاحرار » ـ٠

اما جريدة « الاحرار » الناطقة باسم حزب شمعون فقد كتبت تعليقاً تقـول فيـه: « المطلوب ان يعود الفلسطينيون الى مخيماتهم دون قيد أو شرط ، ودون ان يكون لهـم على ارضنا اللبنانية اي اثر عسكري او سياسي ٠ والا فلن تكون هناك خطوة واحدة نحو الوفاق الوطني » ـ جريدة « الاحرار » ١٠ ايلول ١٩٧٧ ـ ٠

وفي الوقت نفسه صرح بيار الجميل رئيس حزب الكتائب ، بشأن هذا الموضوع ، « اننا نرفض بعد اليوم ان نعالج شؤون لبنان الافضل والمنتظر ، وامـوره الكبـرى ، تحـت الضغط » ـ جريدة العمل ٢ ايلول ١٩٧٧ ـ ٠

كما صرح ايضا بتاريخ ٩ ايلول ١٩٧٧ ، بأن « امام التفاهم عائقان : السلاح الفلسطيني والتدخل الغريب » ـ جريدة العمل ـ ٠

اما جريدة « العمل » الناطقة باسم حزب الكتائب فقد كتبت حول هذا الموضوع بتاريخ ٢ تشرين اول ١٩٧٧ تقول : « اما اذا استمرت « العصابات الفلسطينية » تعيث فسادا فـي الجنوب وتمارس ابشع انواع « الاحتلال والعدوان والاذلال » بحق الجنوبيين واستمـر الفريق الآخر صامتاً ـ اي المسلمين ـ ازاء هذا الوضع ٠٠ فان الوفـاق سـوف يبقى بعيدا » ٠

اما على الصعيد العربي ، فان اركان الجبهة الانعزالية ، وبصورة خاصة بيار الجميـل رئيس حزب الكتائب ، يتساءلون يوميا عن معنى « الوجود الفلسطيني المسلـح » فـي الجنوب ، هذا الوجود الذي هو في نظرهم يلحق الضرر ، بل ويشكل « كارثة حقيقيـة ، فلسطينيا ، ولبنانيا ، وعربيا » ـ تصريح بيار الجميل ، نشرة جريدة العمل في ١٧ ايلول ١٩٧٧ ـ ٠

ومن الواضح ان مثل هذا القول يعني التحريض الصريـح والواضح ضد الثـورة الفلسطينية ، في الوقت الذي يبرىء « اسرائيل » من مسؤوليتها تجاه ما يجـري فـي الجنوب ، كل ذلك من باب « الحرص » على الثورة الفلسطينية وقضية فلسطين التي هـي « قضية مقدسة » كما لا يزال يعلن باستمرار ٠

**التهرب من تطبيق اتفاق شتورة في الجنوب ، وتحميل الثورة الفلسطينية مسؤولية عدم التطبيق :**

لقد بات واضحا ان تنفيذ اتفاق شتورة في الجنوب يتضمن سحب مقاتلـي الثـورة الفلسطينية من قرى الحدود ، والالتزام بما نصت عليه اتفاقية القاهرة المعقـودة عـام ١٩٦٩ بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية ، وسحب المسلحين الانعزاليين من المنطقة وارسال قوات من الجيش اللبناني اليها ٠

وعلى الرغم من وضوح بنود هذا الاتفاق ، فان الجانب الانعزالي يسعى الى التهـرب من تطبيقه بل وتشويه مضمونه ، وبالتالي القاء تبعة الفشل في تنفيذ الاتفاق على عاتـق الثورة الفلسطينية ٠ ومن اجل هذا ، وضعت الجبهة الانعزالية مخططا لتحقيـق هـذا الغرض يتمثل بالطروحات التالية :

**اولا** ـ اتهام الثورة الفلسطينية بعدم تنفيذ بنود الاتفاق ، ومطالبتها بسحب مقاتليهـا من الجنوب ٠ في حين ان الثورة الفلسطينية تلح على ضرورة الاسراع في تنفيذ بنـود

الاتفاق كاملة ، وليس فقط بانسحابها هي من قرى الحدود · كما أعلنت ايضا عن وقف اطلاق النار من جانبها الا في حالة الدفاع عن النفس ·

ثانيا ـ تحوير بنود الاتفاق وتحميله امورا لا يتضمنها ولا يمكن القبول بها من جانب الثورة الفلسطينية ، لان قبولها يعني قبول الثورة الفلسطينية بتصفية نفسها ، وذلك من اجل التشويش على المقاومة ، واتهامها بالتالي بنقض الاتفاق وتحميلها مسؤولية تردي الوضع في الجنوب ·

ففي الوقت الذي يعلن فيه بيار الجميل رئيس حزب الكتائب ، ان انسحاب « المسلحين الفلسطينيين » مسافة ١٠ كلم عن الحدود ، بحسب اتفاق شتورة ، لا يكفي « وليس هو العلاج الفعال » ـ جريدة العمل في ١٧ ايلول ١٩٧٧ ـ ، نراه يعلن في تصريحه اليومي المنشور في جريدة العمل في ٧ تشرين اول ١٩٧٧ انه « في يقيننا ان الانسحابات تعني انسحابا الى المخيمات والى الدول العربية الاخرى التي منها اتت تلك الاعداد الكثيفة قبل الحرب او اثناءها » ·

ويبدو ان الجبهة الانعزالية استدركت الامر ، وحاولت من ثم ان تضيف الى اتفاق شتورة بنودا لا يتضمنها ، من اجل الايهام بان المقاومة تتهرب من التنفيذ · فتحت عنوان رئيسي في جريدة العمل بتاريخ ٢٩ ايلول ١٩٧٧ : « شمعون يكشف بنودا من اتفاق الجنوب » ، نشرت الجريدة تصريحا لكميل شمعون يقول فيه ان الاتفاق ينص على « انسحاب المنظمات الفلسطينية المسلحة ، قسم لخارج الحدود ، وقسم للمخيمات عزلا من السلاح » · وفي ٣٠ ايلول ١٩٧٧ يصرح كميل شمعون ثانية بان « المطلوب تطبيق الاتفاقات وبموجبها على الفلسطينيين ان ينسحبوا قسما الى خارج الحدود ، وقسما ثانيا أعزل من السلاح الى المخيمات · وطالما ان الوجود الفلسطيني المسلح سيبقى في الجنوب ، فان الامن والسلم في لبنان معرضان للخطر » ـ جريدة العمل ـ ·

ثالثا ـ التنصل من البند المتعلق بانسحاب المسلحين الانعزاليين من المنطقة ، والقول بان المسلحين الموجودين هناك هم من « اهالي القرى » ومن « قوات لبنانية تابعة للجيش » · فقد صرح كميل شمعون بتاريخ ٢٩ ايلول ١٩٧٧ ردا على سؤال : « هناك قوات لبنانية تابعة للجيش التي هي بامرة الرائد حداد ، وهناك شباب يقاتلون ، وهؤلاء الشباب موجودون هناك باعتبارهم من ابناء القرى ، ومنهم من ينتمي للكتائب ، ومنهم من ينتمي للاحرار ، ولكن هؤلاء يحاربون باعتبارهم اولاد الضيعة فانهم يحاربون دفاعا عن الضيعة خوفا من ان يصير بضيعتهم مثل ما صار بالعيشية · انضموا للجيش اللبناني وانهم يقاتلون مثل السباع هم والجيش » ·

والجدير بالذكر ، اننا كنا قد توصلنا الى هذا الاستنتاج لموقف الجبهة الانعزالية في المقال الذي كتب منذ شهرين ونشرفي مجلة شؤون فلسطينية ـ العدد ٧٠ ـ ، عندما ناقشنا ما بدأت تردده اذاعة الكتائب وصحف الانعزاليين بعد اتفاق شتورة مباشرة ، من ان الاشتباكات تجري بين « اهالي » القرى وبين « الفلسطينيين وحلفائهم اليساريين » ، بعدما كانت تذكر في الماضي « اسم القوات اللبنانية » ، وقلنا بأن هذا القول « يحمل في طياته بذور التملص من الاتفاق وعدم تنفيذه » · ذلك ان « الجبهة الانعزالية سوف تدعي مستقبلا بانها سحبت قواتها من المنطقة ، وان الاهالي هم وحدهم موجودون هناك ، ولهم حق الدفاع عن انفسهم ، وانه لا يعقل ان يطلب من الاهالي ترك قراهم » ·

ولقد جاء التصريح الذي ادلى به شمعون يشهد على صحة ما توصلنا اليه في حينه ،

ذلك ان الجبهة الانعزالية تصر على البقاء في المنطقة من خلال المسلحين التابعين لهـــا والذين ترفدهم باستمرار بقوات اضافية ، عن طريق فلسطين المحتلة وبتسهيل من العـــدو الصهيوني الذي يمدهم بكافة اشكال المساعدة ·

ومن جهة اخرى ، فان اعتبار الرائد حداد ومن معه على انهم قوات تابعة للجيـــش اللبناني ، يعني اضفاء الشرعية على وجودهم هناك ، وعلى الدور الذي يقومون بـــه ، بالاضافة الى شرعية تعاملهم مع العدو الصهيوني ·

اما الرائد حداد قائد القوات الانعزالية في منطقة مرجعيون ، فقد صرح بتاريـــخ ١٠ تشرين اول ١٩٧٧ لمراسلي اذاعة العدو الصهيوني ، بان « قوات الجيش اللبناني التـــي تنوي الذهاب الى المنطقة يجب ان تنضم الى قواته ، ولن تكون بديلا عنها » · ونقلت التصريح اذاعتا « اسرائيل » ولندن ·

**رابعا** ــ معارضة ارسال قوات من الجيش اللبناني الى المنطقة قبـل حصول الانسحـاب من جانب مقاتلي الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية · فقد صرح كميل شمعون بتاريـخ ٥ ايلول ١٩٧٧ انه « يجب اولا ان ينسحب الفلسطينيون من الجنوب ، وهذا مبدأ يفترض ان يتم قبل كل شيء ، وعندها يمكن ان تتوجه قوات نظامية لملء الفراغ الامنـــي فـــي الجنوب » ــ جريدة « الاحرار » ــ · وكتبت جريدة العمل الناطقة بلسان حزب الكتائـــب تقول بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩٧٧ : قر رأي الجبهة ــ اي الجبهة الانعزالية ــ « على ضرورة سحب الفلسطينيين قبل توجه قوة الجيش اللبناني الى الجنوب » · ويعلل بيار الجميـــل رئيس حزب الكتائب هذا الموقف ، بانه خشية ان يواجه الجيش اللبناني « اسرائيل » عـــن الامام وعمليات الغدر من قبل « الفلسطينيين » من الخلف فيصبح بين « فكي كماشة » ·

والواقع ان هذا الموقف الذي تقفه الجبهة الانعزالية مـــن موضوع ارسال الجيـــش اللبناني الى المنطقة ، يعني الضغط على الاطراف المعنية بالاتفاق ، اي سـورية والسلطة اللبنانية ، كي تضغطا بدورهما على المقاومة الفلسطينية بغية الانسحاب مـــن جانبها ، والتنازل عن البند المتعلق بانسحاب المسلحين الانعزاليين من المنطقة · ذلك ان انسحـاب مقاتلي الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية من المنطقة الحدودية قبل ضمـــان انسحـــاب مسلحي القوى الانعزالية ، سوف يؤدي الى بقاء هؤلاء المسلحين في المنطقة ، وبالتالـــي تشديد هيمنتهم وتوسيعها لتشمل قرى الشريط الحدودي والقرى الاخرى القريبـــة مـــن الحدود ·

**الموقف العسكري في الجنوب من منتصف آب ١٩٧٧ وحتى منتصف تشرين اول ١٩٧٧ :**

استمر قصف التحالف الانعزالي ــ الصهيوني بعد منتصف آب ١٩٧٧ علـــى جميـــع محاور القتال وبصورة خاصة محور « الخيام ــ مرجعيون » ، بالاضافة الـــى مدينـــة « النبطية » · الا ان هذا القصف بدأ يخف تدريجيا في مطلع شهر ايلول · واستمر علـى هذا النحو حتى منتصف شهر ايلول ،حيث شهدت المنطقة ما بين ١٢ ــ ٢٥ ايلول اعنـف عملية قصف حتى الآن من قبل التحالف الانعزالي الصهيوني ، وبصورة خاصة على محور « الخيام » · كما اشتد القصف على المحاور القتالية الاخرى في « الطيبة » ، و « بنـت جبيل » ، و « الناقورة » ، والقرى المحيطة بهذه المحاور ، وتوسعت عملية النزوح بحيـث اصبحت قرى بكاملها خالية تماما من السكان في تلك الفترة · وغطى القصف ، لاول مرة ، معظم قرى قضاء النبطية ، فوصل الى بلدة «جباع » وهي ابعد بلدة في القضاء ومحاذية

منطقة جزين · كما وصل الى بلدة « انصار »، وهي ايضا ابعد بلدة في القضاء من جهة الغرب · وقدر المراقبون الدوليون عدد القذائف التي سقطت في محور الخيام ، خلال اربعة ايام فقط ب : ١٩١٧ قذيفة اطلقتها مدفعية العدو الصهيوني فقط من داخل فلسطين المحتلة · والواقع انه سقط على هذا المحور بمعدل ٨٠٠ قذيفة يوميا ، طيلة الاثني عشر يوما ، مصدرها مدفعية التحالف الانعزالي ـ الصهيوني · ورافق هذا التصعيد في القصف من قبل العدو الصهيوني ، دخول آلياته وجنوده الى الاراضي اللبنانية وتمركزها في بعض المناطق كالمرتفع الذي يقع خلف بلدة « كفركلا » ، وفي خراج بلدة « دير ميماس » في قضاء مرجعيون ، وغيرها · وقد اعترف العدو الصهيوني لاول مرة بدخول جنوده ومدرعاته الاراضي اللبنانية ، وتمركزها في هذه المناطق ، كما سمح بنشر صور عن عبورها وانسحابها فيما بعد الى ما وراء الشريط الحدودي ·

ورافق عملية التصعيد والضغط العسكري ، من قبل التحالف الانعزالي ـ الصهيوني عدة محاولات للهجوم على محور « الخيام » ، بقصد تسجيل انتصار عسكري في هذا المحور ، واحتلال بلدة « الخيام » · الا ان جميع هذه المحاولات ، باءت بالفشل ، امام الصمود البطولي الذي سطرته قوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية في « الخيام » » ، فارتدت القوات الانعزالية الى مواقعها ، بعد ان تكبدت خسائر جسيمة . علما بانها استطاعت بواسطة الدعم المدفعي الكثيف الذي قدمته لها المدفعية الاسرائيلية ، الوصول ، في احدى محاولات الهجوم ، الى تلة « الشريقة » المطلة على « الخيام » ، والامساك بها لمدة اربعة ايام فقط ، ما لبثت ان اجبرت على الانسحاب منها امام ضغط الهجمات المضادة ، وعمليات الاغارة التي قامت بها القوات المشتركة للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية · والواقع انه لو قدر للقوات الانعزالية الاستمرار في الامساك بهذه التلة ، لاصبح وضع القوات المشتركة في بلدة « الخيام » صعبا للغاية · ذلك ان هذه التلة الواقعة في الجهة الغربية لبلدة « الخيام » ، والمستندة الى « مرجعيون » و « القليعة » من الخلف تشرف اشرافا كاملا على بلدة « الخيام » ، وتطل على الطريق الذي يربط « الخيام » بقرية « ابل السقي » ، وهو المنفذ الوحيد للقوات المشتركة في « الخيام » ، وهذا يعني وقوع الطريق تحت مرمى نيران القنص الانعزالي من تلة « الشريقة » ·

اما في المحاور الاخرى فقد انحصر النشاط العسكري بالقصف الكثيف فقط دون ان يرافقه محاولات للهجوم من الجانب الانعزالي · ولقد كان من الطبيعي ، ان ترد الثورة الفلسطينية على القصف بقصف مضاد ، بحيث شمل هذا القصف المستعمرات الصهيونية في فلسطين المحتلة · واطلقت الصواريخ البعيدة المدى لتطال « صفد » ثلاث مرات ، فضلا عن المستعمرات القائمة بالقرب من الشريط الحدودي · كما اطلقت الصواريخ على « عكا » لاول مرة منذ عام ١٩٤٨ فخلق ذلك حالة من الذعر في المستعمرات الصهيونية ، حيث اجبرت السلطات الصهيونية السكان على النزول الى الملاجيء · كما وقع عدد من الاصابات في صفوف العدو ما بين قتيل وجريح ، بينهم ضابط ·

وبعد مرور اثني عشر يوما على اشتعال جبهات القتال ، توقف القصف ومعه القتال في اليوم الثالث عشر ، ونشرت القوى المعادية خبرا مفاده انه حصل اتفاق على وقف اطلاق النار بين الثورة الفلسطينية والعدو الصهيوني · الا ان الثورة الفلسطينية كذبت الخبر الذي اعتبر مسيئا الى سمعتها ، واعلنت في بيان صحفي انها اوقفت اطلاق النار ، بعد ان اوقف الجانب الانعزالي النار من قبله ، واشارت الى انها مهتمة بوقف القتال في الجنوب ، شرط ان يلتزم الجانب الانعزالي بذلك ايضا ، وانها بالتالي سوف ترد على النار بالمثل من ضمن سياسة الدفاع عن النفس ، واعلنت ان لها حق حرية الحركة تجاه

العدو الصهيوني ، على النحو الذي يكفله لها اتفاق القاهرة ، وكذلك الامر بالنسبة الى تواجدها في المنطقة ·

لقد ادى التدخل الاسرائيلي المباشر في القتال ، وانتقال آليات العدو ومدرعاته الى الاراضي اللبنانية ، الى احراج « اسرائيل » دوليا خاصة وانه استمر مدة اثني عشر يوما · كما احرج في الوقت نفسه العديد من الانظمة العربية التي عمدت الى اصدار بيانات رسمية ومذكرات وجهتها الى هيئة الامم المتحدة ، واحرج ايضا الجانب الانعزالي · وهذا الاحراج الى جانب الصمود البطولي الذي سطرته قوات الثورة الفلسطينية ، وما نجم عنه من عجز القوى الانعزالية عن تسجيل اي انتصار ولو محدود ، بالاضافة الى رد القوات المشتركة على العدو الصهيوني بقصف مستعمراته بالصواريخ وما نتج عن ذلك من حالة ذعر في اوساط سكان تلك المستعمرات ، كل ذلك شكل ضغطا على القوى الانعزالية ، ودفعها للقبول بوقف اطلاق النار ، كما شكل ايضا ضغطا على العدو الصهيوني ، فسحب مدرعاته التي كان قد ادخلها بصورة علنية ، واعلن عن اخلاء المناطق التي كان قد تمركز فيها ·

ويبدو ان التصعيد الانعزالي ــ الصهيوني ، الذي كان يستهدف تحقيق نوع من الانتصار العسكري في هذا المحور الهام القريب من منطقة العرقوب التي تعتبر حيوية بالنسبة للثورة الفلسطينية ، يبدو انه كان يطمح لاحداث انهيار معنوي في اوساط الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية ، يدفع بهما الى القبول بتقديم تنازلات تقوي من مركز القوى الانعزالية ، التي تستعجل عندها ادخال الجيش الى المنطقة بحيث ينضوي في ظل تلك الظروف ، تحت مظلتها ويتأثر بها ، الامر الذي يؤدي الى احكام قبضتها على قسم كبير من قرى الشريط الحدودي والقرى الاخرى القريبة من الشريط · ولما فشلت القوى الانعزالية في الوصول الى هدفها هذا ، قبلت بوقف اطلاق النار تحت ضغط الظروف التي سبق الاشارة اليها ·

الا ان قوى التحالف الانعزالي ــ الصهيوني عادت فخرقت وقف اطلاق النار ولو بصورة خفيفة منذ مطلع الاسبوع الثاني لشهر تشرين الاول ١٩٧٧ واتهمت الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية بذلك ·

**المؤامرة مستمرة :**

ان النهج السياسي التصعيدي الذي تصر الجبهة الانعزالية على انتهاجه ، يشير بوضوح الى ان المؤامرة التي تعرضت لها الثورة الفلسطينية ، ومعها جماهير لبنان ، وبصورة خاصة جماهير الجنوب ، ما زالت مستمرة · اذ لم يعد هناك من حاجة الى الاستنتاج ، بعد ان اصبح اركان الجبهة الانعزالية يصرحون بذلك يوميا وعلنا · فهؤلاء يعلنون ، « بأن الحرب لم تنته بعد ، ولن تنتهي الا بانهاء الوجود الفلسطيني المسلح على ارض لبنان ، وتوزيع الفلسطينيين على الدول العربية بحسب قدرة هذه الدول على الاستيعاب » · وهم ماضون في تعبئة قواهم والتحضير عسكريا ، واقامة معسكرات التدريب ، الى جانب حملات التحريض الاعلامي يوميا ضد « العصابات الفلسطينية » ، و « الغزاة » و « البرابرة » ، كل ذلك بواسطة الصحافة الانعزالية التي تخضع للرقابة الرسمية ، في الوقت الذي تمنع فيه هذهالرقابة ، الصحافة الوطنية من الرد على اطروحات الانعزاليين ، وكشف نهجهم الفاشي والعنصري ، وتعاملهم مع العدو الصهيوني ، الامر الذي يعني بوضوح سيطرة الجبهة الانعزالية على اجهزة الرقابة ، وبالتالي موافقة بعض

اجهزة السلطة اللبنانية على ذلك · ففي مهرجان « لحراس الارز » ، جرى في « بيت مري » ، بتاريخ ٣ تشرين اول ١٩٧٧ ، القيت كلمة « ابو ارز » مسؤول هذا التنظيم الفاشي العنصري ، جاء فيها : « لقد خاضت القوات اللبنانية حرب بقاء لبنان كي تحرر التراب من الفلسطينيين والغرباء ، لكن هؤلاء لا يزالون في لبنان · اذن حرب لبنان لم تنته ولن تنتهي على حساب لبنان » ــ جريدة النهار ــ · واعلن كميل شمعون رئيس الجبهة الانعزالية ، في مهرجان اقامه حزبه في ٢ تشرين الاول ١٩٧٧ ، بان « الجبهة ماضية في استعدادها العسكري وفي تعبئة قواها حتى طرد الفلسطينيين من لبنان ، وهي تملك الان ١٢ الف مقاتل اي ثلاثة اضعاف العدد الحالي للجيش اللبناني » ·

وتلخص جريدة « العمل » الناطقة باسم حزب الكتائب الاهداف التي يسعى من اجل تحقيقها الانعزاليون لانهاء الازمة في لبنان بما يلي :

اولا ــ « سحب الوجود الفدائي من الجنوب بشكل نهائيوتام وحاسم » ·

ثانيا ــ « سحب الاسلحة على انواعها من المخيمات الفلسطينية » ·

ثالثا ــ « عودة السلطة اللبنانية بشكل كامل وناجز الى المخمات الفلسطينية من دون مبرر لما يسمى بالكفاح المسلح الفلسطيني » ــ ١ تشرين اول ١٩٧٧ ــ ·

وتعلن في اليوم التالي ، اي في ٢ تشرين اول ١٩٧٧ ، ان « الجبهة اللبنانية ــ الانعزالية ــ تصر على الغاء الوجود الفلسطيني المسلح في الجنوب ، تمهيداً لنزع السلاح الفلسطيني بشكل شامل من مختلف المناطق اللبنانية » ــ جريدة العمل ــ ·

من هنا يتبين بوضوح ان الجبهة الانعزالية لن تكتفي بانسحاب مقاتلي الثورة الفلسطينية مسافة ١٠ كلم من القرى الحدودية ، كما نص على ذلك اتفاق شتورة ، وبالتالي لن تسحب قواتها من المنطقة ، كما لن تمكن الجيش اللبناني من الانتقال الى الجنوب ، الا اذا ضمنت سيطرتها عليه وسخرته لتنفيذ اغراضها،وهذا يعني ان الوضع في الجنوب، لنيعرف الاستقرار ، طالما ان الجبهة الانعزالية مصرة على نهجها هذا ، وتعرب عن « شكها في جدوى اي خطوة تتخذ اذا لم تكن مقرونة بانسحاب الفلسطينيين المسلحين انسحابا كاملا من الجنوب ، وبنزع السلاح الفلسطيني بوجه عام من سائر مناطق تواجدهم في لبنان والا فان الوضع سيظل يدعو الى القلق والريبة والحذر » ــ جريدة العمل في ٣٠ ايلول ١٩٧٧ ــ ·

ومن الواضح ان التهديدات التي تطلقها الجبهة الانعزالية لا تستند الى قواها الذاتية ، وانما تستند ، اكثر من اي وقت مضى ، الى قوى العدو الصهيوني حيث الاجتماعات مستمرة بين ممثلين عن الجبهة وبين مسؤولي العدو · وفي هذا المجال اذاع راديو العدو الصهيوني في نشرة الاخبار صباح يوم ١٣ تشرين اول ١٩٧٧ خبرا مفاده ، ان الرائد حداد قائد القوات الانعزالية في الجنوب ، ومعه وفد من ست قرى « مسيحية » اجتمعوا الى مسؤولين اسرائيليين وطالبوا « اسرائيل » بالاستمرار في تامين الحماية والدعم لهم ·

# تقارير

## الندوة العالمية حول السلام والفلسطينيين

بدعوة من الفرع البريطاني لـ « رابطة البرلمانيين الاوروبيين من اجل التعاون العربي ـ الاوربي » عقدت هذه الندوة بين ٢٩ سبتمبر واول اوكتوبر ٧٧ لتتناول قضية السلام في الشرق الاوسط عموما والدور الفلسطيني فيها على وجه الخصوص · وكانت الدعوة قد وجهت الى قرابة مئة مشارك من المتابعين والمهتمين بقضية السلام في الشرق الاوسط ، وذلك من الولايات المتحدة واوروبا والشرق الاوسط · وقدمت الندوة خمس عشرة ورقة علاوة على اوراق اخرى هامة قدمت على هامش الندوة · وقد جرى تصنيف الموضوعات المطروحة على الشكل التالي : اليوم الاول ، احتوى على مناقشة لطبيعة الحل المقترح ووسائل العمل على احلال السلام · اما في اليوم الثاني فقد تناولت البعد الفلسطيني في عملية السلام وجرت مراجعة الاستخلاصات الرئيسية في الندوة ·

حول طبيعة الحل وضرورة توفير الشروط اللازمة ابتدأ دانيس واترز Dannis Walters ـ عضو البرلمان البريطاني ونائب رئيس مجلس التفاهم العربي ـ البريطاني CAABU الحديث داعيا الى وضع المناطق التي يتم الانسحاب الاسرائيلي عنها ، في الضفة الغربية وقطاع غزة تحت اشراف الامم المتحدة لفترة انتقالية ، وذلك تمهيدا لاقامة الحكم الخاص بالفلسطينيين فيها · وهذا من شأنه ان يؤدي الى تجنب المزيد من المشاكل والمداخلات سواء من الجانب الاسرائيلي او العربي حول مصير تلك المناطق · ·

اظهر النقاش عدم حماس معظم المشاركين للفكرة التي طرحها والترز فالدكتور بيلد *Metityahu Pelid* ـ الجنرال الاسرائيلي السابق والاستاذ في جامعة تل ابيب الان ، وعضو مجموعة شلي ـ رأى ان السلام مسألة تخص بالاساس طرفي النزاع ، الفلسطينيين *واسرائيل* · *وانه ليس من المناسب* فرض اي تصور لحل من الخارج · ونكر ان الصعوبة تكمن ايضا في التناقضات داخل المعسكر العربي حيث ان الملك حسين مثلا لم يكف عن مطالباته بالتحدث باسم الفلسطينيين ·

اما كريم خلف ـ رئيس بلدية رام الله ـ الذي دعي للمشاركة في الندوة فقد وجد في تعليقه على كلام Walters فرصة لشرح موقف الشعب العربي الفلسطيني تحت الاحتلال ، فقال ان حلا دون مشاركة الاتحاد السوفياتي لن يكتب له النجاح وان الشعب الفلسطيني يتمسك بـ م·ت·ف· باعتبارها ممثله الشرعي الوحيد والمتحدث باسمه · وانه من اجل احلال السلام ، لا بد من انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ·

ابرز توفيق زياد ـ رئيس بلدية الناصرة ـ في مداخلته ثلاث نقاط : ان اسرائيل لم تتخل عن التوسع وساق كمثال على ذلك تعليق دايان عندما خير بين السلام والتخلي عن شرم الشيخ فاختار البقاء في شرم الشيخ ! واستبعد زياد وجود تبدل جدي في الموقف الامريكي المساند لاسرائيل ، ورأى ان فكرة وضع المناطق تحت اشراف الامم المتحدة غير محبذة بل يجب تسليم هذه المناطق الى الشعب الفلسطيني ليقيم عليها دولته المستقلة ذات السيادة الكاملة وتساءل لماذا توضع الشروط التي تحد من سيادة الفلسطينيين على ارضهم كأن تكون دولتهم منزوعة السلاح مثلا ؟

السفير البريطاني السابق في العراق والكويت John Richmond اثار السؤال حول وضع م·ت·ف· خلال الفترة الانتقالية · وقد اوضح Walters في رده على الملاحظات التي اثارها المشاركون بأن المهم هو ضمان انسحاب اسرائيل اما مصير تلك المناطق فمسألة تخص العرب وان اقتراحه لا يلغي دور م·ت·ف· بل انها ستكون « احد العناصر الهامة عند اجراء الانتخابات الحكومية في الضفة الغربية وغزة » ·

في الورقة الثانية تحدث ميخائيل ادامز Michael Adams رئيس تحرير M. E. I ومدير الاعلام في CAABU حول القدس ملفتا النظر الى ان الوضع الخاص بالقدس سواء لاسباب روحية او سياسية او اقتصادية يجعل منها القضية الاكثر تعقيدا وليس من الحكمة تأجيل البت في القضايا المعلقة الاخرى الى حين التوصل الى اتفاق بشأن القدس · وذكر ادامز المشاركين بقرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧ بشأن تدويل القدس ، هذا القرار الذي رفضته في حينه اطراف النزاع قبل ان ينتقل الى مناقشة كافة الحلول المقترحة بشأن القدس :

١ ـ ان تبقى القدس تحت السيادة الاسرائيلية مع اعطاء العرب حق ادارة شئونهم البلدية المحلية وهو حل لا يمكن ان تقبل به اي من الدول العربية ومخالف لقرارات الامم المتحدة ·

٢ ـ تنفيذ قرار الامم المتحدة بشأن التدويل ومحاذير ذلك تكمن في التصلب الاسرائيلي في اعتبار القدس عاصمة لاسرائيل ·

٣ ـ العودة الى اوضاع ما قبل ١٩٦٧ في تقسيم السيادة على القدس على ان تبقى حرية الحركة وادارة الشئون البلدية مشتركة ·

٤ ـ خليط من الاقتراحين الثاني والثالث في وضع الاماكن داخل السور في المدينة تحت اشراف دولي وتقسيم السيادة خارج السور · ويرى ادامز ان هذا الاقتراح الاخير يبدو الاكثر قبولا ازاء الظروف الحالية واصرار الطرفين على السيادة واعتبار القدس عاصمة له ·

حول المناقشات على الورقة ابرز كريم خلف وتلاه الدكتور نافذ نزال الاخطار الكامنة وراء الاجراءات الاسرائيلية في تحويل طابع القدس الشرقية ضاربة عرض

الحائط بقرارات الامم المتحدة المتوالية · ولم يجد اوري افنيري في التدويل فكــرة مناسبة اذ ان السعي نحو السلام يجب ان يتم بين اطراف النزاع انفسهم ودعـــا افنيري الى العودة الى تقسيم السيادة مع بقاء الاشتراك في الشؤون البلدية· وكانت لداخلات هنري كتن القانونية ، اهميــة خاصة في توضيح وضع القدس فــي القرارات الدولية المتعاقبة وذكر ان اعتبار القدس· الغربية جزءا من اسرائيل هــو مخالف للحقائق التاريخيــة وللقـرارات الدولية التي دعا الى تطبيقها والتقيد بها · وكان كتن قد قدم على هامش اعمـــال المؤتمر مشروع اقتراح بشأن القدس ·

اما توفيق زياد فذكر انه من الخطورة النظر الى القدس في معزل عن مصير باقي المناطق المحتلة ودعا الى العودة الـى اوضاع ما قبل ١٩٦٧ مع امكانية ترتيـب وضع خاص للاماكن المقدسة وركز عـلى ضرورة مواجهة تلك المسألة الملحة فــي ايقاف التغييرات التي تجريها اسرائيـل في القدس والا فان الحديث عن الســلام يغدو مسألة تجاوزها الزمن · كما اعترض الدكتور الياس شوفاني على فكرة التدويل مذكرا بالاضرار الجسيمة التي جلبتهـا فترة الانتداب على فلسطين ، كما رفـض فكرة التجريد من السلاح والوصايــة الدولية ·

قـدم الجنـرال اود بول الورقة الثالثة في الندوة ، فعرض من خلال خبرتــه الطويلة في العمل كقائد للقوات الدوليـة العاملة في الشرق الاوسط . كيفية توفيـر الامن والسلام لكل الدول في المنطقة وكيف يمكن ان تساهم الامم المتحدة والقـــوات الدولية بذلك بأشكال مختلفة منها :

١ ــ الاشراف على مناطق عازلـــة منزوعـة الســلاح على طول الحدود بيـن الاطراف المتنازعة ·

٢ ــ اقامة نقاط مراقبة في شرم الشيخ ومرتفعات الجولان ومرتفعات الضفــة الغربية مجهزة بأدوات ورادارات متطورة وحديثة ·

٣ ــ اشراف الامم المتحدة على ادارة المناطق في الضفة الغربية وقطاع غـــزة خلال الفترة الانتقالية ·

٤ ــ توقيع اتفاقية سلام تضمنها الامم المتحدة والقوى الدولية العظمى ·

اوضح بيليد في تعليقه على اقتراحات بول بأنه ما دام السلام يصنعه اطـــراف النزاع انفسهم ، فمن الافضل تسليـــم المناطق الى الفلسطينيين مباشرة · وكذلك ركز بمناسبة الحديث عن المناطق العازلة على اهمية سيناء وضرورة نزع الســلاح منها كعنصر هام في احلال السلام ·

وقد ساهم الجنرال Albert Marglen

ــ عضو جمعية التضامن الفرنســي ــ العربي ــ في ورقته التي وزعت عــلى هامش أعمال الندوة ايضا على توضيـح بعض المسائل الفنية حول نفس الموضوع الذي تناوله بول في اجراءات الامــن المطلوبة للسلام في المنطقة ·

تقدم جون ريدوي John Redway

مدير CAABU المفوض العام السابـق لوكالة الغوث ــ بعد ذلك بورقته حـــول « اللاجئين » فدعا الى الالتزام بتنفيـــذ القرار رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨ للامم المتحدة حول اعطاء اللاجئين الفلسطينيين الحق في العودة الى اراضيهم وممتلكاتهم · وان اية محاولة لقراءة قرار مجلس الامن ٢٤٢ يجب ان لا تسقط من حسابها هذا الحـق كما تعمد ذلك تقرير معهد Brooking اذ يبقى من العدل السماح لهؤلاء اللاجئيـن بالعودة او التعويض عنهم، وعلى اسرائيل ان تتحمل الالتزام الاكبر في ذلك · ورد

ريدوي على تلك المغالطة الكبرى التي ترددها اسرائيل في طرحها مسألة اليهود العرب الذين هاجروا اليها من البلاد العربية مقابل مسألة اللاجئين الفلسطينيين . فذكر ان هجرة يهود البلاد العربية قد تمت في تواريخ مختلفة طويلة · وان قيام دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ هو المسؤول الاول عن تلك الهجرات التي تمت بصورة جماعية من العراق واليمن حيث كانت تلك المجموعات من اليهود تعيش بأمن وطمأنينة كباقي السكان ·

في المناقشات حول الورقة تحدث عصام سرطاوي ليلقي بعض الضوء على ملابسات هجرة يهود البلاد العربية ودور الحركة الصهيونية فيها · وتحدث يوري افنيري مستهجنا طرح موضوع عودة اللاجئين الفلسطينيين ، اذ ان من شأن ذلك ان يطيح بمحاولات السلام الان قائلا : « ان علينا ان نميز بين العدل المطلق والحل الواقعي والممكن » · بينما توالت مداخلات بول عجلوني ـ رئيس تحرير صحيفة الفجر المقدسية ـ وهنري كتن وتوفيق زياد والياس شوفاني على ضرورة التمسك بحق اللاجئين في العودة وهو ما تضمنه القرارات الدولية · وذهبت ولتير Robert Waltyer الكاتبة القادمة من هولندا الى اعطاء هذا الحق الاولوية على الحل السياسي ·

الكاتب والصحفي الفرنسي كلود بورديه Claude Bourdet في ورقته حول « الوطن الفلسطيني ومسألة الاعتراف المتبادل » ابدى مخاوفه من امكانية نجاح الحل السياسي نتيجة الطابع التوسعي لاسرائيل وتصلبها وميز بين نوعين من الحلول « حل الامر الواقع » و « الحل القانوني والمعترف به مسبقا والذي يحميه القانون » · وقال انه ازاء الظروف القائمة . علينا ان نسعى الى « حل الامر الواقع » الذي يجبر اسرائيل على الانسحاب واقامة دولة خاصة بالفلسطينيين تمهيدا لدولة المستقبل المشتركة بين الفلسطينيين والاسرائيليين التي تصبح اسرائيل بها دولة شرق اوسطية · وذكر بورديه ان توجيه محاولات الضغط الان لانتزاع اعتراف متبادل بين الفلسطينيين واسرائيل كشرط مسبق هو امر غير مجد ويلقى بالضرورة معارضة داخلية شديدة سواء لدى الفلسطينيين او في داخل اسرائيل · كيف يكون مطلوبا من الفلسطينيين الاعتراف باسرائيل التي لا زالت تحتفظ بطابعها العدواني ولم تتخل عن اهدافها التوسعية ؟ لقد اقترح بورديه ان يضع الفلسطينيون شروطا مسبقة على مسألة الاعتراف باسرائيل كعودة لاجئي عام ١٩٤٨ والغاء العمل بـ « قانون العودة » الاسرائيلي ·

عند مناقشة ورقة بورديه تحدث حاييم دروخيم Dr. Haim Drohkim الكاتب الاسرائيلي ورئيس هيئة تحرير مجلة New Outlook ـ فقال ان هناك سوء فهم في معنى الاستقلال والسيادة · والاعتراف معناه ان الشعب الفلسطيني والشعب الاسرائيلي اختاراه ولم يفرض عليهما من الخارج · اما بيليد فقد تساءل لماذا يضع الفلسطينيون شروطا مسبقة على الاعتراف ؟ مؤكدا ان محاولات السلام لن يكتب لها النجاح الا بانجاز الاعتراف المتبادل ·

·وتحدث الكاتب والمخرج السينمائي البريطاني مونتاغو فاثنى على السياسة التي تتبعها الان م·ت·ف· في تركها الابواب مفتوحة الى حين تبلور المواقف تجاهها ودعوتها للمشاركة في اعمال مؤتمر جنيف · وقد وجد عصام السرطاوي في ذلك مناسبة لشرح الموقف الفلسطيني تجاه مسألة الاعتراف فتساءل كيف يطلب

من الفلسطينيين الاعتراف باسرائيل وهي لم تخط بعد اية خطوة جادة في اتجاه الاعتراف بحقوقهم القومية ؟ ان موقف اسرائيل تجاه مسألة تمثيل الفلسطينيين في جنيف لهو دليل على حقيقة اتجاهات السياسة الاسرائيلية · واشار السرطاوي الى انه يتفق مع بورديه في ان الاعتراف يجب ان لا يكون شرطا مسبقا للتفاوض وتساءل من جديد « اية اسرائيل تلك التي يطلبون منا الاعتراف بها ، اسرائيل عام ٤٧ ، اسرائيل بعد رودس ، اسرائيل ١٩٦٧ ؟ · هل يقر بيغن نفسه بحدود ١٩٦٧ كحدود لدولة اسرائيل ؟· لقد قطعنا من طرفنا خطوات مشجعة فكانت لقاءاتنا مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي ( راكاح ) ومجموعة شلي هي خطوات هامة ولكن هذه القوى التي تنادي بالسلام لا زالت ضعيفة الشأن داخل اسرائيل · ان الاعتراف باسرائيل هو ورقة يجب ان يكون لها ثمن. تماما كما ذكر فاروق قدومي مسؤول الدائرة السياسية في م·ت·ف· »

لقد تناول المر بيرغر Dr. Almer — Berger ـ الكاتب الامريكي اليهودي ورئيس المجموعة اليهودية البديلة عن الصهيونية ـ في ورقته المقدمة للندوة « عامل الزمن والتوقيت في الحل المنشود » · فذكر ان العقلية الصهيونية هي المشكلة اساسا وليس الاراضي · ان العقلية الصهيونية بما تضمنته من مفاهيم عنصرية وتوسعية هي التي تنسف فكرة التعايش والسلام في المنطقة · صحيح ان هذه المسألة لا يمكن حلها الان بما هو متوفر من وسائل الا انها تبقى هي الاساس · وانطلاقا من منطق مواجهتها يغدو مفيدا ان ندرك ان العقلية الصهيونية كانت في كل مرة تسعى الى تكريس انجازاتها العدوانية كأمر واقع تنتزع فيه اعتراف الاخرين ثم تنطلق للعمل الى مرحلة جديدة · لذا يصبح من الحكمة ايضا مواجهتها بنفس الاسلوب ، فاذا لم يكن السلام النهائي فلتكن التسوية · اذ من المهم ان لا تضم اسرائيل المناطق العربية المحتلة الان · ودعا بيرغر الى تبني برنامج زمني للتسوية المقترحة والى توجيه مزيد من الضغط من قبل المجتمع الدولي على اسرائيل وتوقيع العقوبات عليها · وابدى بيرغر مخاوفه من تأثير القوى الصهيونية في الولايات المتحدة على امكانية الرئيس كارتر والادارة الاميركية في حل القضية الفلسطينية كجزء من التوجه العام الجديد في التخفيف من بؤر التوتر في العالم · وذكر بيرغر بمسؤولية اوروبا التي يمكنها ان تلعب دورا اكثر ايجابية لحل النزاع في الشرق الاوسط باعتبار انها اقل تأثيرا في الدعاية الصهيونية بالمقارنة مع الولايات المتحدة وبحكم درايتها الاوسع بأمور المنطقة ·

في الفقرة الثانية من الندوة جرى عرض مواقف الاطراف المختلفة تجاه مسألة الحل فتحدث اوري افنيري ـ عضو الكنيست السابق ورئيس تحرير مجلة هعولام هازيه وعضو شلي ـ عن الموقف الاسرائيلي فذكر ان الحديث عن الصهيونية وعن اخطاء الماضي امر لا يخدم البحث عن حل الان · وانه من الاهمية رصد التحولات داخل المجتمع الاسرائيلي في نظرته نحو السلام ومعرفة قوانينها · ان تلك التحولات متوقفة الى حد بعيد عما يجري في الخارج ولو ادرك الرأي العام الاسرائيلي ان السلام قريب لما جرى انتخاب بيغن · ان مسألة الامن هي هاجس كل مواطن اسرائيلي ، ونظرا لصغر المساحة الجغرافية فان مسألة الامن تغدو جزءا من التكتيك وليس الاستراتيجية بالنسبة لاسرائيل ·

وقد اثنى افنيري على اهمية لقاءات

باريس مع بعض المسؤولين الفلسطينيين واعتبرها خطوة ثورية نحو تحقيق مزيد من الفهم على طريق السلام ، ولم يخف افنيري في نهاية حديثه من ابداء مخاوفه تجاه احتمالات السلام بعد ان اصبحت عناصر التفاؤل اقل واحتمالات الحرب امرا واردا مع الاسف ·

تحدث الدكتور نافذ نزال ـ الاستاذ بجامعة بيرزيت ـ عن الموقف الفلسطيني فذكر ان هناك توجها عاما نحو ايجاد حل سياسي في المنطقة وان مسالة قبول الفلسطينيين بصيغة الحل على اساس انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة لم يعد محل اجتهاد بعد اقرار البرنامج المرحلي في المجلس "الوطني الفلسطيني · واوضح موقف الفلسطينيين في المناطق المحتلة الذين يسعون الى التخلص من الاحتلال واقامة دولتهم الى جوار دولة اسرائيل · وذكر نزال انه بعد قبول مبدأ اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة يصبح من السهل التعامل مع القضايا الاخرى ، كمسالة الوحدة مع الدول العربية المجاورة ، ازالة المستوطنات ، القدس ، وكذلك عودة اللاجئين بعد ١٩٤٨ الى اراضيهم · فالفلسطينيون يرون في دولتهم الخاصة امرا مفيدا في تحقيق باقي اهدافهم ·

حول الموقف العربي تحدث الصحفي المصري محمد سيد احمد فابرز ثلاثة عناصر اساسية للسلام :

١ ـ حل المسالة الفلسطينية والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ، اذ ان ذلك هو

محور السلام في ازمة الشرق الاوسط واقترح لذلك اجراء تعديل على قرار ٢٤٢ بحيث يسمح لـ م·ت·ف بالاشتراك في مؤتمر جنيف كوفد مستقل · واستبعد الصيغ الاخرى كاستمرار السيادة الاسرائيلية او التدويل او الوفد العربي الواحد على اعتبار انها هروب من مواجهة المشكلة الرئيسية ·

٢ ـ مسالة الاراضي ، اذ لا بد من انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ واقامة حدود معترف بها ، وجلاء كافة المستوطنات التي بنتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة· وذكر ان اقتراح اسرائيل بابقاء مراكز مراقبة لها في الاراضي العربية ، هو غير مقبول ويحد من سيادة هذه الدول على اراضيها اذ يمكن توفير اجراءات الامن اللازمة للحفاظ على السلام بمناطق منزوعة السلاح يجري ترتيبها بصورة تبادلية بين الاطراف وتنفذ على مراحل باشراف طرف ثالث ·

٣ ـ السلام · فقال ان علاقات السلام بعد الحل لا يمكن ان تفرض فرضا على الطرف العربي اذ ان ذلك يحتاج الى وقت طويل ولكنه عاد ليؤكد انه من الافضل عدم تخوف العرب تجاه هذه المسالة لتقوية موقعهم التفاوضي تجاه اسرائيل ·

أما بالنسبة للقرى فان سيد احمد يرى انه لا مانع من تأجيل البت في مسالة القرى حتى المرحلة الاخيرة من مفاوضات السلام وان العرب مع تمسكهم في عودة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل عام ٦٧ بالنسبة للقرى فمن الافضل ان لا يعارضوا استمرار حرية الحركة والتنقل فيالمراكز الدينية تجاه كل الطوائف · أما بالنسبة لاجراءات تنفيذ السلام فقد اشار الى ما ورد في تقرير بروكنغ الذي يتخذه الرئيس كارتر مرشدا له في سياسته تجاه ازمة الشرق الاوسط من ان « اسرائيل تبحث في الحل عن السلام والامن والعرب يسعون بدورهم الى استرداد الاراضي وحقوق الفلسطينيين » · لذا فان التنفيذ

المرحلي في الحل يعني ان يستوفي كل طرف قدرا من مطالبه في نهاية كل مرحلة واسرائيل تحاول القفز فوق ذلك عبر طرح مسألة عودة العلاقات والسماح بحرية الملاحة مثلا قبل انسحابها من الاراضي ، وقد اقترح سيد احمد مواجهة المطالب الاسرائيلية هذه بمطالب اخرى مقابلة كالاعتراف بحقوق الفلسطينيين · وحذر من اطالة عمر اجراءات السلام وتأخيرها اذ ان ذلك سيؤدي الى بعث القلاقل في المنطقة وان سلاما لا يرتكز على عناصر متينة من شأنه ان يعطي مبررا لتلك الاتجاهات « الرافضة » في المنطقة العربية ·

خلال النقاشات التي دارت اثر تقديم وجهات النظر الثلاث ، تحدث سيد احمد نافيا صحة المقولة التي ذكرها افنيري في تفسير قدوم الليكود الى الحكم وتحدث الدكتور شوفاني – هذه المرة بصفته الخاصة – فابدى شكوكه من امكان نجاح التسوية وشرح مطولا الطبيعة الاستيطانية العنصرية لاسرائيل ، تلك الطبيعة التي لا تساعدها على التحرك باتجاه السلام بل الى محاولة كسب الوقت فقط · اما عصام سرطاوي فقد اثر توضيح بعض المعلومات التي ذكرها الدكتور نزال في موقف م·ت·ف فقال ان م·ت·ف ليس لها وجهة نظر معلنة تجاه مسألة الاعتراف وليس صحيحا القول الان ان اعتراف م·ت·ف باسرائيل سيأتي بعد اعتراف اسرائيل بها · وعاد افنيري ليرد على منتقديه قائلا ان تحليل شوفاني حول الطبيعة الاستيطانية لاسرائيل هو شبيه الى حد بعيد تحليل جابوتنسكي نفسه · واضاف انه على افتراض صحة هذا التحليل أليس هناك جيل جديد ينشأ داخل دولة اسرائيل ؟· واذا كان صحيح ان العقلية الاسرائيلية لا تسعى الى السلام فاعطوها فرصة للتجربة · ماذا يخسر العرب بذلك ؟ ربما ان الصهيونية مسألة تتعلق بالماضي او ربما ان اسرائيل تسير نحو التخلي عن الصهيونية ولكننا نحن دعاة السلام في اسرائيل نعتقد اننا صهاينة ولكن من طراز جديد ·

عن الموقف الامريكي والتحديات التي تواجه القيادة الامريكية تجاه قضية الشرق الاوسط ، تحدث جون ريتشاردسون John Richardson – مدير الشؤون العامة في الرابطة العربية – الاميركية وشرح جوانب المأزق الذي تواجهه خطط الرئيس كارتر بشأن حل قضية الشرق الاوسط نتيجة الضغوط التي يوجهها اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة · وابدى شكوكه في امكانية نجاح كارتر في ان يلعب دورا كبيرا للدفع باتجاه الحل · فالولايات المتحدة تقدم من الدعم العسكري لاسرائيل ما قيمته ٣ بليون دولار والكونغرس لن يتدخل الا اذا شعر بالفعل ان هناك تعارضا بين مصالح الولايات المتحدة والمصالح الاسرائيلية · واضاف ان سبعة الى ثمانية مشاكل رئيسية تشغل بال الرئيس كارتر ، كأزمة الطاقة ، نزع السلاح ، مواجهة التضخم والحد من البطالة والمشاكل الاخيرة تشغل بال المواطن الامريكي الذي لا يكاد يعرف شيئا عن الشرق الاوسط · لقد استبعد ريتشاردسون تبدلا جديا في الموقف الامريكي ما لم يستخدم العرب اسلحة عديدة للضغط كالنفط والمشتريات · كما ان الجالية العربية في الولايات المتحدة يمكن ان تلعب دورا بعد ان اصبحت اكثر ايجابية الان في تنظيم نشاطاتها · كما يمكن ان تلعب اوروبا دورا خارج دائرة الضغوط الاميركية · وذكر ريتشاردسون انه من الخطأ ان ننتظر من الولايات المتحدة وقف دعمها لاسرائيل وان نطالبها بذلك دون ان تسعى الدول العربية الى اشعارها بأن حل ازمة الشرق الاوسط هو أمر تتطلبه مقتضيات المصلحة الاميركية نفسها ·

خلال النقاش ساهم نورتون مزويسكي Prof. Norton Mezuisky – استاذ التاريخ الامريكي – في بعض التوضيحات حول الموقف الامريكي مستهجنا تلك الشروط القاسية التي تضعها الولايات المتحدة على م·ت·ف حيث ان اعترافها باسرائيل لا يعني الذهاب الى جنيف والحصول على دولة مستقلة · وقد عطلت الولايات المتحدة الحوار العربي – الاوروبي · وشرح ميكانيكية عمل اللوبي الصهيوني داخل الولايات المتحدة مستشهدا بـ « قضية بناما » وكيف سعت اسرائيل للاستفادة منها في توجيه ضغوط على الرئيس كارتر · أما مدام ماتيا Matia – المشاركة من فرنسا – فذكرت بأن اوروبا هي المتضرر الاكبر من جراء تجدد القتال في المنطقة ولابد ان تعمل على دفع الولايات المتحدة لاتخاذ موقف اكثر حزما ودعت دول اوروبا الغربية الى الاعتراف بـ م·ت·ف· والاصرار على مشاركتها في مؤتمر جنيف للسلام · بينما تحدث بيرغر عن تحول طفيف في الولايات المتحدة من جهة اتخاذ مواقف نقدية صريحة تجاه نشاطات اللوبي الصهيوني ودعى الى تطوير اساليب التحرك العربي في الولايات المتحدة بحيث لا تكون كردود فعل للنشاط الصهيوني بل من خلال التوضيح للمواطن الامريكي في حقيقة مصالحه ·

عصام السرطاوي اعتبر تصريحات كارتر خطوات ايجابية اذا الحقت بخطوات عملية · وقال ان الامريكيين لا يزالون يرفضون الحوار معنا ومؤخرا منعت السلطات الاميركية بعض اعضاء م·ت·ف من دخول الولايات المتحدة · اما الجنرال بيليد فقد دعى الى تقييم الموقف الاميركي بصورة اكثر عمقا ففسر سياسة بيغن المترددة تجاه بناء مزيد من المستوطنات الى الضغوط الاميركية · وقال ان الصراع لا زال قائما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبالتالي فان الولايات المتحدة معنية في عدم فقدان مواقعها في المنطقة واستبعد ان تتمكن اوروبا من ان تلعب دورا خاصا في الشرق الاوسط في معزل عن الولايات المتحدة ·

عن دور اوروبا في احلال السلام تقدم كريستوفر ماهيو – الرئيس الفخري لرابطة البرلمانيين من أجل التفاهم الاوروبي – العربي – بورقته التي اعاد فيها الحديث من قدرة اوروبا على لعب دور خاص تجاه الشرق الاوسط وقال انه في الوقت الذي تجمع فيه الجهات العربية والدولية على صيغة لحل النزاع فان اسرائيل تنفرد الان بالمعارضة ولا بد لذلك من العمل على تحريك موقفها من خلال ما اسماه بـ « الحوافز » و بـ « الضغوط » وذلك بطمأنة اسرائيل بكل ما يسهل حصولها على الامن وقد دعا ماهيو م·ت·ف الى الاعتراف باسرائيل وبالموافقة على قرار ٢٤٢ مقابل ضمانات معينة من قبل الولايات المتحدة للاعتراف بالمنظمة ككيان سياسي ·· واما عن « الضغوط » فقد ذكر ماهيو انه لا بد من توجيه ضغوط كبيرة بما فيها العقوبات الدولية الاقتصادية والمالية على اسرائيل في حال عدم انصياعها للحل ودعى العرب الى التحرك باتجاه الحد من تأثير اللوبي الصهيوني على سياسة الولايات المتحدة ·

في اليوم الثاني من الندوة تقدم كل من بيتر مانسفيلد Peter Mnsfield – الكاتب والمذيع البريطاني – وسعيد حمامي – مندوب م·ت·ف في لندن – بورقته عن « البعد الفلسطيني في الحل » فاثار مانسفيلد عددا من التساؤلات حول الخيارات المفتوحة امام الفلسطينيين سواء تجاه احتمالات النجاح في تحقيق الحل في المدى المنظور

او فشله . وذلك بقدرة م.ت.ف اتخاذ المبادرة في محاولة الخروج من مأزق قرار ٢٤٢ بعد أعتباره ارضية صالحة للحل وكذلك بالنسبة لتشكيل حكومة في المنفى .

اما في حالة فشل الحل فان تصعيد العمل العسكري للفلسطينيين سيواجه بتعقيدات الوضع العربي وضرورات التنسيق العسكري لدول المواجهة . وعلى صعيد النشاط السياسي سيكون امام الفلسطينيين خيارات عدة كنقل قضيتهم الى محكمة العدل الدولية . وعلى كل الاحوال يبقى ضرورة مواجهة سياسة الاستيطان الاسرائيلية في المناطق المحتلة وقد يكون ذلك مدعاة الى ان تبحث م.ت.ف بالتعاون مع الدول العربية عن اساليب لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق ودعم صمودهم للحد من هجرتهم .

في مداخلة بيليد ابدى مخاوفه حول قدرة م.ت.ف نتيجة اوضاعها الداخلية على اتخاذ مواقف واضحة تجاه السلام ورد عليه السرطاوي ليبرز ان اسباب الخوف اكثر بالنسبة للموقف الاسرائيلي وقال ان م.ت.ف تقبل المبادىء الاساسية لقرار ٢٤٢ كأساس للحل وقد اعلنت ذلك وعقد دكتور دروبكين مقارنة بين الموقف الفلسطيني الان والموقف الاسرائيلي عام ٤٧ تجاه الموافقة على قرار التقسيم . هذا بينما رفض زياد محاولات البعض القاء الشكوك حول الموقف الفلسطيني والتحايل على تمثيل م.ت.ف.

سعيد حمامي حاول في ورقته الجديدة رسم خطوط عامة لتصوره لطبيعة العلاقة في مرحلة ما بعد الدولة الفلسطينية ، بين الفلسطينيين والاسرائيليين فدعى الى اقامة نوع من الدولة الكونفدرالية متعددة القوميات وذلك جغرافيا وفقا لقرار التقسيم عام ١٩٤٧ الذي قسم فلسطين الى ثلاث مناطق : اسرائيلية ، فلسطينية ، ومنطقة توضع تحت الاشراف الدولي . وحاول حمامي في ورقته تتبع بعض التفاصيل المتعلقة بالشكل الدستوري لدولة المستقبل وابرز في تقديمه للورقة جملة مسائل :

١ ـ ان السلام يكون بين الاعداء وليس بين الاصدقاء ، ونحن في حالة عداء مع اسرائيل وما بيننا ليس سوء تفاهم بل خلاف طويل ومرير ، والقيادة الفلسطينية لن تعترف باسرائيل كدولة يهودية صهيونية .

٢ ـ ان الوقت لم يحن بالفعل الى افتراض ان هذا الحل ممكن في الظروف الحالية بسبب طبيعة المجتمع الاسرائيلي .

٣ ـ لا بد من تحديد دقيق لبعض المصطلحات وعلينا أن نميز بين اليهودية كديانة وبين الشعب الاسرائيلي .

وقد رد بيليد على ورقة حمامي معتبرا ان طرح هذه الامور لا يزال مبكرا ، وثمة اسباب عديدة تدعو للشك في نوايا حمامي من تقديم الورقة في مثل هذه الظروف . اذ ان من شأن ذلك ان يعطي المتصلبين في اسرائيل ورقة جديدة على اعتبار ان هذا الطرح يؤكد مخاوفهم من ان الفلسطينيين يعتبرون بناء الدولة هومرحلة مؤقتة يقفزون منها الى تقويض اسرائيل. وابدى مخاوفه من ان تعرض الصحف الاسرائيلية وجهة نظر حمامي بأنها دعوة الى العودة لحدود التقسيم فقط . وتمنى ان لا تعبر الورقة بالفعل عن موقف م.ت.ف. في محادثات السلام . وبمناسبة الحديث عن المصطلحات كرر بيليد تلك المقولة في اعتبار اليهود كشعب وان الحركة الصهيونية هي حركة تحرر قومي .

وايد سيد احمد ضرورة التمييز بين نوعين من الحل « الحل الواقعي » و « الحل اليومي » وقال اننا نسعى الى تطبيق الحل

الواقعي لان الوقت لم يحن بعد الى الحل الثاني لان الطرفين لم يتخليا بعد عن اهدافهم البعيدة · افنيري من طرفه ايد بيليد في ضرورة الوقوف عند المحتوى النفسي للكلمات وقال « انا افهم تماما ما يقصده حمامي ، ولكن اخشى ان تفسر الورقة بصورة خاطئة من قبل الاعلام الاسرائيلي » وتمنى على حمامي ان يقدر ذلك ويزيل اللبس والغموض فيما يعنيه ·

وعلق مازفنسكي ان الفهم الخاطيء لافكار حمامي ليس مسؤوليته · تماما كما حدث في العالم العربي عندما قرأت افكار انصار السلام في اسرائيل بطريقة خاطئة ايضا ·

جاءت الورقة الاخيرة التي تقدم بها كيث كيل Keith Kyle ـ من المعهد الملكي للشؤون الخارجية في لندن ـ حول « التوقعات في حال فشل التسوية » ، لتعكس بالحقيقة مخاوف الكثيرين من المشاركين ازاء التعقيدات التي تهيمن على طريق التقدم باتجاه الحل السياسي لازمة الشرق الاوسط · لقد استعرض كيل اسباب الفشل الممكنة ومسؤولية الاطراف فيها سواء من الجانب العربي والجانب الاسرائيلي · والنتائج المتمخضة على ضوئها وكان واضحا في استعراض كيل ان عوامل الفشل تجد اسبابها بالحقيقة في الموقف الاسرائيلي بعد ان قطع العرب شوطا كبيرا في عرض مطالبهم بصورة مقبولة ضمن اي مقياس · وانتهى كيل الى انه في حال تعثر محاولات السلام فان الحرب والتغييرات الثورية ستجد طريقها الى المنطقة ·

في مداخلته اوضح الياس شوفاني ان اسرائيل هي الرافض الاكبر في المنطقة وان الامبريالية الاميركية لا تسعى الى الحل وان ماتطرحه لا يشكل اساسا مقبولا لذلك،كونها ليست طرفا حياديا في الصراع واكد ان الحل لا يكون الا في طروحات الثورة · ودعا الى دعم مواقفها · أما ريدوي Redway فاكد على ضرورة خلق مناخ دولي افضل للسلام اذ انه لا يمكن التعامل مع السلام على أساس الخطوط القائمة الان · ومن الغريب ان العرب لم يفعلوا الكثير لاقناع الشارع الاميركي بان السلام في الشرق الاوسط هو مصلحة حيوية لامريكا· حاولت اليزابيث كولارد Elisabith Collard ـ مديرة الرابطة العربية ـ البريطانية ـ لفت النظر الى انه في حال فشل محاولات السلام الى ضرورة الوقوف الى جانب الفلسطينيين في المناطق المحتلة بدعم مالي عربي للحيلولة دون نزوحهم وقالت ان سلاح النفط يمكن استخدامه ليس فقط بوقف الضخ بل ان هناك اشكالا عديدة أخرى وكانت كولارد قد تقدمت بورقة حول الاوضاع الاقتصادية للدولة الفلسطينية وذلك على هامش اعمال المؤتمر ·

اخيرا ، فان القرار الوحيد الذي اتخذ في الندوة كان في انشاء « الجمعية الاوروبية لتنسيق التعاون بشأن الشرق الاوسط » ·

**عباس مراد**

# مــراجعات

شــفيق الحوت :

## الفلسطيني بين التيه والدولة

بيروت · ايار ( مايو ) ١٩٧٧

تتسع المائتا صفحــة ( مـن الحجـم الصغير ) في « الفلسطيني بين التيـه والدولة » لنحو ثلاثين عاما من تاريـخ النضال الفلسطيني · كل عام منهـــا مصنوع بكلمات شفيق الحوت ، التي تحمل في بلاغاته الخطابية المتدفقة ، عاطفـة شعبية فلسطينية اصلها التراث الشعبـي حيث « للصلح مطرح » في السياســة المعتدلة ، وحيث يصبح الامر منسوبا الى بلاد « الواق واق » عندما يصعب التفسير ـ تماما مثلما يحاول الاخ شفيق الحوت ان يختصر الكتاب بالقول انه « شــهادة واحد من اهل البيت » · وشهادة شفيـق الحوت مقدمة فيسبع جلسات يغلب عليها الرغبة في الاسراع الى جلسة اخــرى تاركا كل التفاصيل والمعلومات ، التي لا شك انه يمثل مخزنا كبيرا ونادرا لها ، ربما الى محاولات اخرى ·

يفرد شفيق الحوت الجلسة الاولـــى لينزع عن الفلسطيني الاقليمية الشوفينية · وهو يعيد ذلك الى ترابـط المصالـــح الاقتصادية بين الفلسطينيين وغيرهم من العرب · كما يعيدها الى العلاقـــات الاجتماعية التي خلطـت العائــلات الفلسطينية والعربية · وعلى اهمية هـذه الاسباب فان اثر المداخلات العربـية ( او الوضع العربي كما يقال الآن ) في مراحل العمل الفلسطيني المختلفـــة ، كذلـك الايديولوجية القومية التي سادت بيـن الفلسطينيين والقائلة بأنه لا تحريـــر الا بتحقيق الاهداف القومية في الوحـدة ، يضاف الى ذلك انهيار كل المؤسســات الفلسطينية المستقلة عند النزوح ، والرغبة الفلسطينية المخلصة بتقديم عروبتهم على اي شيء آخر من اجل التعايش مـــع الشعوب الاخرى ، كل ذلك جعل من ايـة اقليمية فلسطينية شوفينية في وضع صعب جـدا ·

ولقد لاحظ الاخ شفيق التوجه القومـي عند الفلسطينيين بمعظم دلالاته السياسية ، خصوصا في فترة الوحدة سنة ١٩٥٨ · وقتها كان الولاء الفلسطيني لمسالـــة الوحدة سببه ان هذه الوحدة هي الخطوة الاهم في حشد القوى في طريق التحرير · وتحول الفلسطينيون الى حزب ناشط فـي رفع رايات الجمهورية العربية المتحدة · تماما مثلما تمكنت حركة التحرر العربي، التي قادتها الناصرية ، ان تنهض وتسود تحت رايات تحرير فلسطين والصـــراع ضد العدوانية الاسرائيلية · حتى انه لم يعد بمقدور « اي صوت ان يعلو فـــوق صوت المعركة » ·

ويدرك الاخ شفيق ان مسالة الوحـدة لم تكن وعيا ثوريا في الايديولوجيـــة

القومية التي سادت العمل الفلسطيني السياسي . كانت وعيا مرتبطا بمبدأ التحرير . واذا كان الاخ شفيق يتسلح بالوعي الجذري للمسألة ( كما يغلب على كل شهادته ) فهو يعرف ان الانفصال سنة ١٩٦١ بين الاقليم الشمالي والاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة ، تبعه انفصالات اخرى بين حركة القوميين العرب والتنظيم الفلسطيني التابع للحركة وكذلك حصل للتنظيمات الفلسطينية التي كانت تعمل في البعث والقوميين السوريين والشيوعيين . وتكونت بذلك بوادر الوطنية الفلسطينية المستقلة .

المفارقة العظيمة في الوطنية الفلسطينية

المستقلة التي نهضت مع انحسار وهزائم حركة التحر القومي العربي ، ان هذه الوطنية ، والتي تبلورت تماما بالعمل المسلح الشعبي ، وجدت نفسها وريثة شرعية لقيادة حركة التحرر العربي في صراعها ضد اسرائيل خصوصا بعد هزيمة القيادة الرسمية لحركة التحرر القومي سنة ١٩٦٧ . ولم يبد حتى نهاية الستينات اي شك في شرعية هذا الوريث . وتحول التيه الفلسطيني الى سلطة جماهيرية لا سلطة فوق سلطته ، لا في عمان ولا في بيروت . كما تحول الفلسطيني فدائيا قاعدته كل بيت عربي . المقياس في الامر كله : فلسطين والقدرة على اختراق جدار الامن الاسرائيلي .

وبدا واضحا أن تطور العمل الفلسطيني خارج الوضع العربي الرسمي ، بعد ولادة منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر الملوك والرؤساء العرب المعقود سنة ١٩٦٤ ، قاعدته هي عودة الفلسطينيين الى الوطنية الفلسطينية المستقلة . وربما يختصر الاخ شفيق انحيازه للوطنية الفلسطينية بحادثة ترك عمله في مجلة « الحوادث » السياسية العربية ، تماما مثلما انحاز آلاف من الشباب الفلسطيني الى العمل الفلسطيني المستقل من العاملين في مؤسسات عربية خاصة او المنضوين في احزاب قومية او اممية . وباستقالة احمد الشقيري يوم ٢٥ كانون الاول ( ديسمبر ) من سنة ١٩٦٧ يعلن الاخ شفيق استقلال العمل الفلسطيني . اما تطوره خارج الاشتراطات العربية الرسمية فكان عند تسلم حركة التحرير الوطني الفلسطيني ( فتح ) قيادة العمل الفلسطيني وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

وتكبر الوطنية الفلسطينية وتنتفخ . « بعد معركة الكرامة في ٢١ اذار ( مارس ) ١٩٦٨ ، لم تعد الثورة بحاجة الى شهادة ميلاد . ولا الى من يذكر الناس بالبلاغ رقم واحد الذي صدر عن قوات العاصفة عام ١٩٦٥ . واصبحت الثورة حقيقة قائمة . واصبح الثائر الفلسطيني هو البطل الذي وصل حد الاسطورة » . وبدأت الاسطورة تصطدم بالحقائق اليومية للسياسة العربية ( مشروع روجرز ) وبالمعايير الاجتماعية للجماهير وسيادة وقوانين الدولة ( بما فيه انظمة السير في شوارع عمان ـ ص ٧٩ ) . واذا كان الاخ شفيق قد اشار الى حادثة تجاوز سائق سيارته لانظمة السير في عمان منذرا بأحداث ايلول ١٩٧٠ ، فانه اعاد ازمة العمل الفلسطيني المسلح ومأزق الفلسطيني الثائر الى حقيقته في الندوة التي عقدتها « شؤون فلسطينية » مع شخصيات لبنانية سياسية من بينهم الشهيد كمال جنبلاط . « السلطة اللبنانية ( من السهولة اعتماد السلطة اللبنانية كرمز للموقف العربي الرسمي ) غير حليفة للعمل الفلسطيني . كما ان الموقف الاستراتيجي للسلطة غير مطمئن » . واذا ما اضيفت هذه الاسباب الى دور العمل الفلسطيني في نهوض حركة الجماهير العربية ( الاردنية واللبنانية اساسا )

وقواها الديمقراطية والتقدمية ، وكذلك اصرار النظام الاردني على حسم مسالة السلطة لمصلحته والعودة الى اقتسام ومصادرة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، يصبح مأزق الثائر الفلسطيني موضوعيا بالاضافة الى التجاوزات . وتجربة الثائر الفلسطيني في لبنان اكثر تعقيدا . فلقد ظل الفكر التقدمي في لبنان يستبعد اي صدام مع السلطة اللبنانية من النوع الذي انتهى اليه الصدام في عمان ، لاسباب تتعلق بالتركيبة اللبنانية الطائفية ولاسباب تتعلق باقتصاديات الرأسمالية اللبنانية المصرفية والتجارية ونظام الخدمات وللضمانات التي يؤمنها الوضع العربي ( سوريا اساسا ) . وبالرغم من الواقعية الاستراتيجية التي اعتمدتها المقاومة الفلسطينية في لبنان ، مدركة ان الخروج من الاردن قد اجل الاستراتيجية الفلسطينية المسلحة العاملة من اجل الانتقال الى العمق العربي ، فان السلطة اللبنانية خاضت تجربة ايار ( مايو ) ١٩٧٣ بصدام مسلح مع الفلسطينيين . صحيح ان المحاولة كانت فاشلة . لكن نتائجها كانت درسا تعلمته القوى اللبنانية اليمينية جيدا . واصبحت هذه القوى الاحتياط الامبريالي في سياسات حروب الداخل والحروب الاقليمية المحدودة .

ومثلما ورثت المقاومة الفلسطينية لقب البطل القومي لحركة التحرر العربي عند هزيمة ١٩٦٧ ، عادت القيادة واللقب للسلطة العربية الرسمية بعد حرب تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ . واصبح الفلسطيني امام السؤال التاريخي المعروف : ما العمل ؟ وكان العمل الدبلوماسي العربي ( ص ١٠٨ ) من جملة ما طرحته القيادة الفلسطينية في ندوة « شؤون فلسطينية » العدد ٣٠ ( وليس ٢٠ كما جاء في الكتاب ) . وباستثناء ما طرحه الدكتور جورج حبش من « ان الانسحاب ( من الضفة الغربية وقطاع غزة ) لا يمكن ان يتم الا لسلطة مستسلمة » ومن ان الاجابة عن السؤال التاريخي يكون « باستمرار النضال السياسي والاقتصادي والعسكري لتغيير ميزان القوى » ، فلقد كان هناك اتفاق على مرحلة النضال على طريق الهدف الاستراتيجي في اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية . وينهي الاخ شفيق شهادته عن الفلسطيني الدبلوماسي بموجة عارمة من المشاعر والآمال سببها الانتصار العظيم الذي حققه العمل الفلسطيني السياسي في « وقفة ابو عمار على منبر الجمعية العامة ، وسط عاصفة التصفيق وقوفا ، وقفة عز لا لشعب فلسطين وحده ، بل لكل شعوب العالم المقهورة ، وما تحمله من قيم ومثل وما تناضل من اجله من اهداف واماني » . لكنه لا ينسى ان يقول بمرارة وخيبة امل شخصية انه « مثل كل الدنيا العربية لم يكن يتصور ، ولو للحظة ، ان يسجل هذا العام ( ١٩٧٥ ) بداية اقذر مؤامرة شهدها الوطن العربي ضد شعبي لبنان وفلسطين ، بل وكل العرب » .

وفي نهاية شهادته ، يترك الاخ شفيق الحوت ملف الازمة اللبنانية مفتوحا . « ومن يدري ما تحمله الايام القادمة ؟ من يستطيع قراءة الغيب والتنبؤ بما سيحدث . ترى .. هل سيصل الفلسطيني اخيرا وبعد هذا الشلال من الدم الذي سال بين الاغوار والعرقوب . وجبال لبنان وشوارع القدس والخليل ونابلس والناصرة ... الى نهاية المشوار ... الى دولته ؟ » والتخوف هذا سببه خيبة الامل في سنة ١٩٧٥ التي ارادها الثائر الفلسطيني سنة « التصعيد والتلاحم » . والاعتقاد في انه لا « اشق واصعب من ربع الساعة الاخيرة من مسيرة اي

ثورة · لا سيما ثورتنا الفلسطينية · ان كل ثانية من ربع الساعة الاخيرة قد تكون ساعة الصفر لحرب خامسة · » كما ان تخوف الاخ شفيق سببه ان القوى اللبنانية اليمينية ، حيث ساحة العمل الفلسطيني الاخيرة ، اختارت ركوب المغامرة ضد الثورة بقصد ضرب « الدولة الفلسطينية » ( ص ١٩٦ ) « فلقد وجد هذا اليمين ان خلاصه من الكثافة الفلسطينية لا يمكن ان يتم عن طريق اقامة الدولة الفلسطينية · » اعتقد ان الاخ شفيق لا يرى الامر بهذه البساطة فقط · ذلك ان سياسات اليمين اللبناني ترتبط بالاستراتيجية الامبريالية الساعية الى اعادة صياغة الاتجاه الاساسي للمضمون القومي في نضال حركة التحرر العربي وصرفه عن مضمونه الوحدوي المعادى للامبريالية والصهيونية والقوى العربية الرجعية واستبداله بصراعات اقليمية عنصرية طائفية · وداخل هذه الاستراتيجية ، فان القوى اللبنانية اليمينية تعمل لاقامة دولتها الطائفية والمنفصلة عن نضالات حركة التحرر العربي ·

يبقى أن نسجل الملاحظات الاخيرة التالية :

* ما عدا السياق التاريخي ، الذي يحكم الشهادة ، فان الكتاب ظل ملتزما بما جاء في مقدمته : انه شهادة شخصية لواحد من اهل البيت من غير ان يدعي اي منهجية في المعالجة او التسجيل · وعلى اهمية السياق التاريخي فان المحاولة كانت ستكون اكثر اهمية لو اعطيت استعدادا اكبر وجهدا اوسع ·

* ان فشل الاخ شفيق في اكثر من مكان في الافصاح عن بعض المعلومات او الامتناع عن التفصيل والتوسيع ( ربما لاسباب تتعلق بأمن العمل الفلسطيني الذي لا زال حيا وفاعلا ) يضع القارىء امام خيبة امل حقيقية · فأنا واحد من الذين يعتقدون ان شفيق الحوت يمثل مخزنا كبيرا ونادرا من المعلومات والحقائق · واستطرادا لخيبة الامل هذه فان شهادة شفيق الحوت تترك القارىء في مرارة مشروعة بعد الانتهاء من محاولة رائدة للكلام عن تجربة العمل الفلسطيني المعاصرة من غير محاكمة ( ولو اولية ) جادة ·

* واخيرا فان امر طرح السؤال التاريخي المعروف ، « ما العمل ؟ » بعد هذه الشهادة التي امتدت من التيه الى الحروب العربية ضد الاستقلال والوطنية الفلسطينية يصبح لاغيا بالنسبة للاخ شفيق الحوت · صحيح ان هذه الشهادة لا ينقصها الا ربع الساعة الاخيرة ، فان النهاية محكومة اما لحرب خامسة واما لدولة فلسطينية محققة · ولا يلغي هذه النهاية اي شيء حتى « ولو كان المشوار شائكا » في الكيلومتر الاخير · وعلى امل ان يتحقق احد الافتراضين · لا بأس ان نشير الى ان الحرب الخامسة ربما تكون حتمية عندما تفشل حروب الداخل المستعرة بين الكيانات العربية او عندما تنهض من جديد قوى عربية تعيد الصراع المعادي للعدوانية الاسرائيلية الى طريقه · ذلك ان قوى الاحتياط الامبريالي والاسرائيلي لا زالت حية وفاعلة ·

**ناشي طه**

Chaim Herzog
The War of Atonement
Weidenfeld and Nicolson — London 1975

حرب يوم الغفران ، كما يرويها العدو الاسرائيلي ، لها أهمية خاصة · فهي ، ومهما كانت نوايا الكاتب ، لا بد وان تحمل اعتراف العدو بثقل هذه الحرب على التجمع الاسرائيلي والدمار الذي لحق به ·· دمار في الارواح والمعدات والمنشآت الحربية ، وايضا ـ ولعل هذا هو الاهم ـ دمار مجمل الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية وتحطم فلسفة متكاملة كانت قائمة لدى العدو بأنه قادر متى شاء وكيفما شاء على وضع القوانين ، قوانين الحاضر والمستقبل ·

ان الكتاب الذي نحن بصدده يبحث في اسباب نجاح العرب وفي نواقص المواجهة الاسرائيلية ، وهو ان كان يروي قصة الحرب فلكي يستخلص الدروس والعبر لحرب قادمة · ومن هذه الزاوية ايضا تتضح اهمية هذا الكتاب بالنسبة لنا ، فمعرفة اسلوب العدو في التفكير والعمل تشكل جانبا مهما في صنع النصر ، فهزيمة ١٩٦٧ وضعتنا ـ عندما درسنا اسباب النكسة ـ على طريق النصر في تشرين ١٩٧٣ ، ولا ريب ان دراسة عوامل عدم اكتمال النصر في تشرين ١٩٧٣ لها اهمية خاصة للاستعداد لمعارك المستقبل وتحقيق النجاح الكامل فيها ·

ولهذا الكتاب اهمية خاصة لان كاتبه هو الجنرال حاييم هرتزوغ ممثل اسرائيل حاليا في هيئة الامم ومدير استخباراتها السابق · وفي عرضنا لهذا الكتاب سنركز على التطورات العسكرية الاساسية للحرب آملين ان تسنح لنا الفرصة لاحقا لمعالجة الدروس السياسية التي يطرحها · وما دام هدفنا هو تحليل العقلية الاسرائيلية وردود فعلها ، لذا سنلتزم الى اقصى الحدود بنظرة الكاتب ولن نناقشها الا عرضيا ·

## الوضع قبل اندلاع الحرب

يقول هرتزوغ : « يمكن العثور على جذور حرب الغفران في حرب الايام الستة ، فهي قد دفعت العرب الى استخلاص النتائج من كل ناحية من نواحي هزيمتهم، وبدأوا اعادة ترتيب منزلهم العسكري ، بينما اخفى الاسرائيليون تحت السجادة جميع الاخطاء التي برزت في الحرب وجرى تجاهلها في نشوة النصر » ·

ويقول ان « اسرائيل » كانت مجبرة قبل حرب ١٩٦٧ على شن « الهجوم الوقائي » ، اما بعد توسع رقعة الاراضي المحتلة فقد تكونت استراتيجية جديدة تقوم على عدة خيارات ، فاما « القيام بهجوم وقائي » ، او « السماح للعدو بتوجيه الضربة الاولى مع كل ما يترتب على ذلك من ردود فعل سياسية دولية غير ملائمة ومن ثم استغلال العمق الذي توفره صحراء سيناء للمناورة والحشد المضاد » ، فقد طالت المسافات الفاصلة بين الطرفين مما جعل الانذار الالكتروني المتاح لاسرائيل حوالي ١٦ دقيقة بدلا من ٤ دقائق فقط قبل حرب الايام الستة ·

ضمن هذه الافتراضات ولتمكين الدفاعات الاسرائيلية انشيء خط بارليف الذي بلغت تكاليف بنائه (٥٠٠) مليون دولار · ومع بدء حرب الاستنزاف التي لم يكن من الممكن تغيير مفاهيم اسرائيل العسكرية عشية حرب الغفران بدون معرفة تأثير حرب الاستنزاف على تفكيرها ـ كما يقول هرتزوغ ـ وبسبب الخسائر الجسيمة التي تكبدتها القوات الاسرائيلية خلال هذه الحرب ، ثار صراع عنيف في القيادة الاسرائيلية حول تقييم خط بارليف ، فالجنرال اسرائيل تال مثلا قد اشار الى « ان التحصينات قد اثبتت انها غير فعالة لان المصريين على اي حال كانوا يقومون بعبور القناة » واشار تال الى ان ٣٨٢ من الاصابات بما في ذلك ٦٢ قتيلا من مجموع ٩٤٨ اصابة اسرائيلية في سيناء بين كانون الثاني وتموز ١٩٧٢ قد وقعت داخل التحصينات او بسببها المباشر ، واقترح نظاما بديلا يجعل من خط بارليف نظاما للانذار فحسب · وقوبلت هذه النظرة بمعارضة شديدة حيث رأى الذين عارضوه ـ بما فيهم وزير الدفاع ورئيس الاركان ـ ان محاولة المحافظة على خط الدفاع دون تواجد مادي على الارض وعلى طول القناة سوف يشجع المصريين على الزحف الى الامام ، لذا دافعوا عن كون الخط خطا دفاعيا · ومع تعيين الجنرال اليعازر رئيسا للاركان في كانون الثاني ١٩٧٢ طرح حلا وسطا ادعى انه مزج بين وظيفة الانذار والنظام الدفاعي ، ويقول هرتزوغ ـ ليبرر انهيار الخط بسبب بطولات الجنود المصرين ـ ان عدم الوضوح هذا كان لا بد من دفع ثمنه في الساعات الاولى من القتال على قناة السويس ··

وبالمقابل ، درس العرب مفصلا وقائع عام ١٩٦٧ ووضعوا « لاسرائيل » اربع ميزات : التفوق الجوي، القدرة التكنولوجية المستوى العالي من التدريب ، الامدادات الامريكية المضمونة · ومقابل ذلك وجدوا ان « اسرائيل » كانت تعاني من عدد من الثغرات : خطوط المواصلات الطويلة، وعدم القدرة على تحمل الاصابات الكثيرة وعلى خوض حرب طويلة ، والسيئات الناجمة عن الثقة المفرطة بالنفس وعقدة التفوق ·

وفي دراسة اسباب فشل ١٩٦٧ وصل العرب الى ضرورة اخذ المبادرة في الحرب والتوقيت المناسب وشل الطيران الاسرائيلي والقيام بهجوم على جبهة عريضة يمنع اسرائيل من تركيز قواتها مما سيؤخر هجومها المضاد ، وفي نفس الاتجاه اهمية التنسيق بين الجبهات العربية لتشتيت القوات الاسرائيلية · من هنا بدأ التعاون السوري المصري الذي اشترك فيه ـ فيما بعد ـ الاردن ، كما ان منظمة التحرير الفلسطينية قد ابلغت بقرار خوض الحرب، لكنها وجدت فيه ـ كما يقول هرتزوغ ـ ان السادات يسعى فقط الى تحريك الولايات المتحدة للضغط على اسرائيل ·

يقول هرتزوغ ان المصريين ـ وكذلك السوريين ـ اعدوا انفسهم اعدادا ممتازا للحرب وراقبوا الاسرائيليين بدقة وتدربوا على كل عمل مئات المرات ولجأوا الى التخطيط العلمي والتدريب الدقيق المتواصل وحددوا اهدافهم بوضوح ، وبعد ان استكملوا الاستعدادات العسكرية واطمأنوا الى شبكة صواريخهم ، وبعد ان حل المصريون مشكلة الحاجز الرملي ( خط بارليف ) عن طريق استخدام خراطيم المياه الشديدة الضغط لتفتيت الجدار الرملي ، اخذوا طوال عدة اشهر بالتحرك نحو جبهات القتال مع اتخاذ كل الاحتياطات واللجوء الى كافة وسائل التمويه والخداع العسكرية والسياسية للحيلولة دون ملاحظة الاسرائيلين لذلك ، وانتظروا التوقيت المناسب وشنوا هجومهم بنجاح ·

ويقول هرتزوغ ، ان خطة التضليـــل المصرية كانت بارعة الى درجة انهم لـــم ينجحوا في تضليل اجهزة الدفاع الاسرائيلية وجميع اجهزة المخابرات الغربية فقط، وانما نجحوا ايضا في منع تسرب امر الذهاب الى الحرب في الجزء الاعظم من الجيش المصري ، فمن استفتاء لاكثر من (٨٠٠٠) من الاسرى المصريين تبين ان واحدا فقط كان يعرف ذلك منذ ٣ تشرين الاول ، ومن بين ١٨ عقيدا ومقدما من المصريين ، كان اربعة فقط يعرفون منذ ٤ تشرين الاول ان الحرب ستنشب فعلا ٠

لقد خصص هرتزوغ صفحات طويلة من كتابه ، وخصوصا الفصل الخامس الذي عنونه « لهم عيون ولكـــن لا يبصرون » ليشرح فيها فشل المخابرات الاسرائيلية في اكتشاف نوايا العرب ٠ وحتى عشية الحرب كان تقدير المخابرات ( والمخابرات الامريكية ايضا ) ان احتمالات الحرب اقل من ضئيلة، ورغم ان ذلك يعري اسطورة المخابـــرات الاسرائيلية العارفة بدقائـــق الامـــور والقادرة على صنع المعجـــزات ، الا ان هرتزوغ يرى نفسه مرغما للكلام عن هـــذا الفشل ليخفي فشلا اكبر ٠٠ فشل الجيش الاسرائيلي والتجمع الصهيوني ٠

ويضم الكتاب معلومات مثيرة حـــول الصراع الذي دار بين القيادات الاسرائيلية حول تقييم نوايا العرب وقدراتهم وقدرات اسرائيل وامكانياتها ، لكن المجال لا يتسع لنا الان للتطرق اليها ٠

## الهجوم السوري

خصص هرتزوغ خمسة فصول ( مـــن السادس الى العاشر ) لسرد وقائع الهجوم السوري ثم الهجوم الاسرائيلي المضاد ٠ وبعد وصف مكثف للتحشدات السوريـــة ولخطط التمويه التي اتبعتها ، يبـــدأ الكاتب بوصف وقائع الحرب التي يظهر من خلالها جليا الارتباك الذي ساد القـــوات الاسرائيلية بسبب ضخامة الخسائر الناجمة عن الهجمات السورية ٠

كان اول هجوم ذو دلالات مهمة هـــو الهجوم السوري الناجح على جبل الشيخ والذي استخدمت فيه اربع طائرات هليكوبتر محملة برجال الصاعقة استطاعت بعد وقت قصير تصفية دفاعات الموقـــع والسيطرة عليه ، فلم ينج من (٥٥) جنديا كانـــوا مكلفين بالدفاع ـ كما يذكر هرتزوغ ـ سوى ١١ جنديا بينما اسر الباقون او قتلوا ٠

ويقول هرتزوغ ، ومثل المصريين كان السوريون على معرفة بالقوات الاسرائيلية المقاتلة فاستنتجوا بسرعة ان من الممكن التغلب على هذه النوعية عن طريق الكم ٠ لكن هرتزوغ ـ رغم ذلك ـ لم يستطع اثناء سرده للاحداث ان يخفي النوعية العالية للمقاتلين السوريين ٠

يقول هرتزوغ ان الهجوم السوري العام قد بدأ بقصف مدفعي استمر ( ٥٥ دقيقة ) ثم توقف لمدة ( ٥ ) دقائق ليبدأ الهجوم المدرع المعزز بالمشاة ٠ وتطور الهجـــوم السوري بحيث اصبح واضحا في الساعـــة السادسة من اليوم الاول ان اكثر من (مئة) دبابة قد عبرت خط الدفاع الاسرائيلي في القطاع الجنوبي بينما زحفت مئة دبابة اخرى على طريق قطنا بمحاذاة خـــط التابلاين ، وفي الليـــل حطمت القوات السورية المدرعات الاسرائيلية حيث لم يبق منها سوى (١٥) دبابة بمواجهة ( ٤٥٠ ) دبابة سورية تتقدم ٠

وفي هذا اليوم تكبدت اسرائيل خسائـــر كبيرة في طائراتها حيث كانت القـــوات السورية تصيبها واحدة تلو الاخـــرى ٠ « وعند اول ضوء من صباح الاحد القى السوريون نظرات يعلوها الارهاق الى منظر

اخاذ هو منظر بحيرة طبرية ، ووقعت ابصارهم على مدينة طبريا والتهب الحماس، فهنا يتقدم السوريون وامامهم عدو ينهزم ٠٠ كان النصر في قبضة ايديهم » ٠

وفي وصف الحالة التي سادت بسبب اكتساح السوريين للجيش الاسرائيلي خلال اليومين الاولين يتساءل هرتزوغ على لسان احد الضباط قائلا : « هل يمكن ان يكون هذا هو جيش الدفاع الاسرائيلي ؟ فهنا امام ناظريه يرى وحدات مشردة لجيش مهزوم » ٠ وقال آمر احدى الوحدات في الكتيبة الخامسة في اليوم الثاني للحرب : « ان هذا يذكرني بالمعركة التي حدثت في فيلم ـ ذهب مع الريح ـ ولكن هذه المعركة هي نسخة الكترونية حديثة عن تلك » ٠

كانت رئيسة الوزراء تجلس ورأسها بين يديها وقد علت وجهها لمحة من الكآبة وروت لحاييم بارليف الذي استدعته للمشورة كيف جاءها وزير الدفاع دايان في ذلك اليوم بعد زيارة للجبهتين الجنوبية والشمالية وقال لها : « لقد كنت مخطئا في كل شيء ٠ نحن مقبلون على كارثة ، سوف نضطر الى الانسحاب من مرتفعات الجولان الى حافة الجرف المطل على الوادي والى الممرات في سيناء في الجنوب حيث يجب ان نصمد حتى الرصاصة الاخيرة ٠ » ، وقد وصفت مائير فيما بعد هذه اللحظات بأنها اسود لحظات حياتها ، عندها طلبت من بارليف ان يتجه الى الجولان وينصحها بما يجب ان تعمله ٠ وحسب رأي هرتزوغ ساهم ذهاب بارليف الى الجولان في تحسين الجو في القيادة الاسرائيلية ، اذ لم تكد تمضي ( ٣٦ ) ساعة على بدء السوريين لهجومهم وسحق القوات الاسرائيلية في القطاع الجنوبي من جبهة الجولان مندفعين الى مسافة لا تبعد اكثر من (١٠) دقائق عن بحيرة طبرية ، حتى كانت الاوامر قد اعطيت في القيادة الاسرائيلية ببدء هجوم مضاد كبير في اليوم التالي ٠ وبعد ان عاد بارليف وطمأن مائير ان الوضع قد يتحسن علقت : « موشي دايان العظيم يوما هكذا ، ويوما هكذا » ؟

ان الاكثر ما يثيره وصف هرتزوغ هو حالة الانهيار التي اصيب بها الجيش الاسرائيلي ، فمجمل الجبهة كانت مهددة بالسقوط خلال اليومين الاولين لولا ان السوريين لم يواصلوا ضغطهم بسبب الخسائر التي تكبدوها ، ولم يقدروا جيدا حالة العدو حيث لم تبق من مئة دبابة للواء السابع الاسرائيلي سوى سبع دبابات ٠ ففي هذه اللحظة بالذات ـ والتي كان فيها الاسرائيليون وهم على شفير الانهيار يفكرون بالانسحاب ـ ارتبك الهجوم السوري وحدثت عدة انسحابات سمحت للاسرائيليين باعادة تنظيم صفوفهم واعطتهم وقتا لوصول القوات الاحتياطية والامدادات مما سمح لهم بالبدء بهجوم مضاد نجح في صد الهجوم السوري واحداث اختراق في الجبهة ٠

ان الارقام التي يقدمها هرتزوغ لخسائر اسرائيل في جبهة الجولان (عدا الطائرات) هي كالاتي : اصيبت كل دبابة مرة واحدة على الاقل ، فقد اصيب حوالي ٢٥٠ دبابة اسرائيلية وتم اصلاح مئة منها ، وقتل ٧٧٢ جنديا وجرح ٢٤٥٣ جنديا ووقع في الاسر ٦٥ اسيرا بما في ذلك الطيارين ٠

ان كتاب ( حرب يوم الغفران ) يظهر العوامل التي ساعدت في نجاح الهجوم السوري في الايام الأولى ، كما يمكن من خلاله جرد بعض السلبيات التي اتاحت للاسرائيليين القيام بالهجوم المضاد واحداث خرق في الجبهة ٠ ويمكننا تلخيص الايجابيات كما بدت في الكتاب بدقة الاعداد في التدريب والخطط ، وبدقة وضع المهام المحددة والنجاح في التمويه واستغلال عنصر المفاجأة ، وبحسن استخدام المدفعية

التي اصابت اهدافها بدقة ، وبتحييد سلاح الطيران الاسرائيلي ، وبالتقـــدم المدرع المدعوم بالمشاة على جبهة عريضة، وبالقيام بالهجوم لا بمحور واحد ـ كما تفترضـه الخطط الاسرائيلية وهو محور القنيطرة ـ بل بمحورين : الاول نحو القنيطرة والثاني عن طريق مدخل الرفيد ، وكذلك بحسـن القتال الليلي ، والعزم على الهجوم وتحقيق الانسحاب المنظم ·

اما نواقص الهجوم ـ كما تظهر فـــي الكتاب ـ فتتلخص بأن التدريب المكثف على المهام المحدودة وعدم التخطيط للمراحل التي تلي الهجوم الاول قد اضعفت من زخم الهجوم بعد أن وصل لاهدافه الاساسيـة في اليومين الاولين ، وكذلك عدم القيـــام بتقدير مناسب للاوضاع الجديدة ، فقدمت خسائر جسيمة امام بعض الجيوب الصغيرة لا لشيء سوى لتطبيق الخطة بحذافيرها ، كما حصلت حالة ضياع وعـــدم تقييـم يستخلص النتائج مـــــن ارتباك العـدو وانهياره ، فلو قدر هذا الامر بنظرة ثنائية الجانب لاستطـــــاع السوريون تعزيـــز انتصارهم الاول والحفاظ عليه ·

ومن النواقص التي ابرزتها حـــــرب الجولان ايضا ضعف التنسيق بين الجيوش العربية التي تواجدت على الجبهة السورية مما سمح باضعاف تركز زخم الهجـــوم العربي وضياع جهود وخسائر مهمة ·

## الهجوم المصري

لقدبدا الهجوم المصري مستحيلا ، اذ ان خط بارليف وخزانات الوقود تحت الارض المتصلة بالقناة والكفيلة باشعال سطحها ـ والتي يدعي هرتزوغ انها اهملت فيما بعد ـ جعلت الاسرائيليين يعتقدون ان ذلـك سيثني المصريين عن الهجوم ·

وهنا ايضا يحاول هرتزوغ القـــاء المسؤولية على المخابرات وعدم تقديرهـــا نوايا المصريين بشكل صحيح ، وحتـــى عندما تاكد الاسرائيليون من حتمية الهجوم، لكنهم قدروا انه سيبدأ في الساعة السادسة مساء ، ومهما يكن من امر فقد وقـــع الهجوم المصري كما كان مقررا ·

ففي الوقت المحدد عبرت ( ٢٤٠ ) طائرة مصرية القناة وقصفت المطارات الثلاثـــة في سيناء وبطاريات الصواريخ الاسرائيلية ارض ـ جو من طراز هوك ، ودمرت ثلاثة مراكز قيادة ومحطات رادار ومواقع مدفعية ومراكز ادارية · وفي الوقت نفسه فتـح الفا مدفع نيرانه بقصف مركز موقعا خسائر جسيمة بالاسرائيليين علىطول خط الجبهة· وقام لواء صواريخ ارض ارض باطـلاق صواريخه من نوع ( فروغ ) وتقدمت دبابات من المصاطب واطلقت نيران مدافعها الى داخل المواقع الاسرائيلية ·

ويقول هرتزوغ ان القصف الذي استمر ( ٥٣ ) دقيقة حول الضفة الشرقية مـــن القناة الى جحيم · وبعد ان القي اكثر من ثلاثة الاف طن من المتفجرات على مجموع المواقع الاسرائيلية بدأ العبور بالجســور والطوافات من قبل الجيش الثاني والثالث ونجح في احتلال او تطويق حصون خط بارليف · وقد ترافقت عملية العبور مــع عملية اخرى هي عبور البحيرة المرة الكبرى بواسطة اللواء البحري ( ١٣٠ ) بهـــدف تجاوز القوات الاســـرائيلية والالتحـاق بوحدات الصاعقة التي انزلت بواسطـــة طائــــرات الهليوكوبتر خلف الخطـــوط الاسرائيلية في ممري المتلا والجدي ·

وحتى غروب الشمس في السابع مـن تشرين الاول وسعت القوات المصرية عملية تمركزها على الجانب الشرقي من القناة حتـــى عمـق ٦ ـ ٨ كيلومترا واستعدت

لمجابهة الهجوم المضاد · وفي مساء اليوم الثاني للحرب كانت فرق المشاة بالاضافة الى الالوية المدرعة قد اصبحت في مواقعها على الضفة الشرقية للقناة وبعد ان صدت في ذلك اليوم هجوم القوات المضاد ، امرت القوات المصرية بتعميق تقدمها حتى ١٠ ـ ١٢ كيلومترا ·

ان اعداد خطة العبور بكل تفاصيلها والتدرب عليها ، وحل مشكلة تحطيم السد الرملي بواسطة خراطيم المياه ، كانت من اكبر عمليات العبور في التاريخ · فبعد ان كان التقدير بأن هذا العمل الجبار سيكلف من ٢٥ ـ ٣٠ الف رجل بما في ذلك ١٠ الاف قتيل ، كانت الخسائر العملية ـ كما يقول هرتزوغ ـ لا تزيد عن ٢٠٨ قتيل· اما الخسائر الاسرائيلية فقد كانت كبيرة سواء في الطيران او في المدرعات او في الارواح بحيث تقلصت القوات الاسرائيلية المدافعة الى الثلث وفي بعض المناطق الى الربع ·

ويلاحظ ان هرتزوغ قد سعى الى ابعاد القارىء عن مجرى الحرب العام ودلالات انهيار خط بارليف ، وركز اهتمامه خلال صفحات طويلة على المعارك الجزئية التي خاضتها القوات الاسرائيلية وعلى البطولات الفردية للوحدات الصغيرة او للمقاتلين ·

ان مفتاح خطة الدفاع الاسرائيلية هو ان تقدم المدرعات ( حوالي ٣٠٠ مدرعة ) لاغلاق الثغرات بين التحصينات ، لكن هذه الخطة احبطت منذ اللحظات الاولى اذ استطاع المصريون بفعل عامل المفاجأة والسرعة في التنفيذ وكثافة القصف ودقته احتلال مصاطب الدبابات على الضفة الشرقية واستخدموها لايقاف الهجمات المضادة التي قام بها الاسرائيليون ·

اما اعمال الطيران الاسرائيلي ، فيقول هرتزوغ في وصفه لاحدى المواقع حول احدى الحصون ، بأنها كانت اعمالا انتحارية بالنسبة للاسرائيليين ، حيث جاءت الطائرات الاسرائيلية يوم الاحد من جهة بور سعيد وبور فؤاد وامتلأ الجو بانفجارات القذائف والصواريخ المضادة للطائرات فتفجرت الطائرات وهوت كلها على الحصن بينما انفجرت طائرة فانتوم في الجو · في المقابل ، هاجمت الحصن اربع طائرات مصرية من نوع سوخوي وانزلت به خسائر فادحة ·

وفي صباح السابع من تشرين الاول وصل دايان الى موقع قيادة جبهة القناة ، وقبل ان تهبط طوافته نصحه القائد غونين بالعودة من حيث اتى لوجود قوات كوماندوس مصرية في المرتفعات المسيطرة على موقع القيادة ، لكن دايان هبط وطلب تقريرا عن الوضع وكان رده على ما سمعه: « هذه حرب ، يجب الانسحاب الى الجبال» واشار على الخريطة الى خط الممرات ، ثم اضاف « اتركوا الحصون ، من يستطيع فلينقذ نفسه · اما الجرحى فليسقطوا في الاسر » ·

وفي هذه المرحلة من الحرب طرحت ثلاثة مقترحات في القيادة الاسرائيلية ، مقترحات دايان بالانسحاب الى الممرات وكذلك الانسحاب من خليج السويس وابقاء قوة فقط في شرم الشيخ ، ومقترحات اليعازر رئيس الاركان بضرورة تثبيت خط مؤقت بعيدا غربي خط سيناء ومنه تنطلق القوات الاسرائيلية في هجوم مضاد ، واخيرا اقتراح شارون الذي عارضه دايان واليعازر بشدة والقائل بهجوم فوري ·

يقول هرتزوغ ان مجرى الحرب اللاحقة اثبتت صحة ما اقترحه اليعازر ، ففي اليوم الثامن من تشرين الاول حاولت القوات الاسرائيلية القيام بهجوم مضاد ، وقد مني هذا الهجوم بفشل ذريع ونتجت عنه خسائر فادحة ، وكمثال لم يبق من

احد الالوية المدرعة سوى اربع دبابات ، ويصف هرتزوغ المشهد قائلا : « عندما بدأ قائد اللواء ينسحب جاءه صوت من جهاز الاستقبال وهو يقول : ( ما الذي حدث ؟ لماذا انت تتراجع ؟ )، فأجابه القائد قائلا : ( اذا واصلت توجيه الاسئلة فلن يبقى احد للاجابة بعد دقائق ) ، وانسحبت القوات وهي تجر اذيال الهزيمة » ·

كانت هذه حال معظم الالوية التي ساهمت في هذا الهجوم ، ولعل ابرز مثال للفشل الاسرائيلي في هذا اليوم ما حل باللواء المدرع ( ١٩٠ ) حيث ابيد خلال أقل من ثلاث دقائق ولم ينج سوى قائد اللواء واربعة جنود سقطوا في الاسر ·

وفي نفس الليلة اجتمع قادة الفرق لمقابلة وزير الدفاع ورئيس الاركان ، وفي هذا الاجتماع عرضت الخسائر الفادحة في الدبابات اثناء قتال اليوم وكان واضحا ان القيادة لا تستطيع تحمل يوم مماثل اخر من القتال مما دفعها الى سياسة المحافظة على القوى وانتظار استكمال الجيش الاسرائيلي لقوته وخصوصا لايقاف تدهور الوضع الخطير على الجبهة السورية وما قد يترتب عليه من نتائج ، للتفرغ بعد ذلك وتحشيد القوى والطيران ضد الجيش المصري ·

انه يوم ضائع وخاسر بالنسبة للاسرائيليين فقد قاتلوا وهم يتجاهلون العديد من مبادىء الحرب، ويقول هرتزوغ: ان اعتقاد اعضاء قيادة المدرعات الاسرائيلية ان باستطاعة القوات المدرعة العمل بحرية بدون حاجة لدعم المشاة هو من اخطر المفاهيم التي تسربت الى الفكر العسكري الاسرائيلي · لقد شهد هذا اليوم فوضى اسرائيلية كبيرة وعدم تنسيق كامل بحيث قضى شارون وفرقته النهار ذهابا وايابا دون قتال · وهنا يحتوي الكتاب على سرد مثير للخلافات بين القادة الاسرائيليين ، فشارون يقاتل دون ان يأخذ امرا من قائده ، بل وامتنع عن تنفيذ الاوامر مما حدا بآمره الى الذهاب اليه مباشرة وامره امام جماعته ، ورد عليه شارون انه توقف ولكن مرة اخرى علم الآمر ان شارون يواصل اضاعة الدبابات· ومثل هذا الحادث حصل في مراحل لاحقة من القتال ، فقد طلب بارليف مرتين عزله ولكن دايان لم يوافق على اقصاء شارون لاسباب سياسية ومعنوية ·

في هذه المرحلة من الحرب وصف دايان خسائر اسرائيل قائلا : : لقد دمرت المئات من الدبابات في المعركة ، وخلال ثلاثة ايام فقدنا ( ٥٠ ) طائرة ·· وتقديري الشخصي هو ان علينا انشاء خط في مكان ما لا يستطيعون اجتيازه يقع في المثلث الغربي بسيناء بين القناة والجبال » ·

وكما حدث على الجبهة السورية فقد قام اليعازر رئيس هيئة الاركان باستدعاء حاييم بارليف رئيس الاركان السابق وشرح له كيف يشعر بالمرارة من جراء الموقف على الجبهة المصرية وعرض عليه رئاسة «القيادة الجنوبية لاسرائيل » ·

بعد هذه الايام من القتال، يقول هرتزوغ ان المصريين كانوا يهاجمون من ثلاث الى خمس هجمات يوميا ، ويقول ان المصريين يحاربون باسلوب يلتزم بالخطط الموضوعة ·

ففي الليل يقوم المشاة بالزحف نحو المنطقة المرتفعة من الارض التي يسيطر عليها الاسرائيليون ويصلون الى الف ياردة من الوحدات الاسرائيلية ، واثر ذلك دائما يبدأ الهجوم بقصف مدفعي مركز ثم تبدأ الدبابات بالتقدم وقد انتشرت بينها قوات المشاة في المصفحات حاملات الجنود · وعندما تصل القوات المهاجمة خط المشاة الذين زحفوا للامام في الليلة السابقة

ودفنوا انفسهم في الرمال ، تبرز هـــذه القوات من مكانها وتتبع الدبابات ·· وفي بعض الاحيان ، كان خط المشاة عندمـــا يعاني من اصابات كثيرة ، يستبـدل بخط اخر جديد دفن نفسه في الرمال وظـــل مختبئا طوال الليل ثم يبرز هذا الخـــط ويواصل الهجوم ·

وعندما تولى بارليف القيادة كانت امامه ثلاث احتمالات :

١ ـ القيام بهجوم واسع ضد القوات المصرية ودفعها الى ما وراء القناة ·

٢ ـ عبور القناة على الفور ·

٣ ـ انتظار الهجوم المصري المتوقـــع وصده ، ومن ثم تقوم القوات الاسرائيلية بهجوم مضاد · واقترح اليعازر انتظـار الهجوم المصري والتعامل معه قبل عبـــور القناة ، اما دايان فقد كان متشككا وغير متحمس للعملية كلها ·

في هذه الاثناء ، في صباح ١٤ تشرين الاول بدأت القوات المصرية هجومها المتوقع وكانت اكبر معركة دبابات عرفها التاريخ ( باستثناء معركة كورسك بروسيا فـــي الحرب العالمية الثانية ) ، ففي هذا الصباح القيت في المعركة الفا دبابة من الطرفين · ويقول هرتزوغ في وصفه للمعارك الطاحنة التي حصلت ان الجيش المصري منـــي بخسائر فادحة في هذا الهجوم وفقـــدت قيادته التوازن الذي ظلت محتفظة به طوال ايام الحرب وهو ما شكل نقطة تحول في مجرى القتال · عندها قرر الاسرائيليون تنفيذ خطة العبور التي استطاعت بعد عشر ايام من بدء القتال استغلال الثغرة بيـــن الجيشين الثـــاني والثالث في منطقـة الدفرسوار والعبور الى الضفة الغربيـــة والضغط على الجيش المصري من الخلف ·

يصف هرتزوغ بالتفصيل عملية العبور ومحاولات الاسرائيليين الاتجاه شمـــالا على الضفة الشرقية للقناة والانتشار على الضفة الغربية ، وكذلك يصف محاولـــة احتلال الاسماعيلية التي منيت بالفشـــل وكلفت الاسرائيليين عددا كبيرا من الارواح وفي الكتاب عرض سريع لآراء القـــادة المصريين ، سواء رأي الشاذلي بضرورة التقدم نحو الممرات وعدم تقييمهم العبور الاسرائيلي بشكل مبكر ودقيق ، ويتكلـــم بصراحة عن التنسيق الامريكي الاسرائيلي الذي قام في فترة الحرب واطلاع الامريكان لحظة اثر لحظة على تفاصيل العمليات العسكرية الاسرائيلية ·

ومهما يكن من امر، فان دراسة النظرات التي برزت عن الجانب المصري مأخـوذة من وجهة النظر الاسرائيلية ، لا تخلو من فوائد ·

فهرتزوغ يقدر شجاعة المقاتل المصـــري ودقة الخطط والاستعدادات والدور الذي لعبه المشاة والمدفعية وســـلاح المدرعات والصواريخ في هذه الحرب ، كما يقدر ان الاستراتيجية المصرية في المستوى الاعلى كانت ممتازةللغاية حيث جمعت بين الهجوم الاستراتيجي والعمليات التكتيكية الدفاعية· كما ان دور الاستخبارات المصرية كان دورا مهما حيث ان المصريين حصلوا علـــى معلومات فاصلة عن مجمل الخطة الدفاعية الاسرائيلية ، لا بل ان الخارطة الرمزيـة الاسرائيلية لا سيما المواقع في منطقة القناة والضفة الغربية قد وقعت بأيدي المصريين رغم ان اسرائيل لم تعد من هذه الخارطة سوى ٩ نسخ فقط في عام ١٩٧٣ ·

ان السلبيات التي تبرز من خلال كتاب هرتزوغ ـ ضمنا او صراحة ـ فهي نفس ما وقع به السوريون اي الضياع عند مواجهة الظروف الجديدة وعدم استثمار نصرهـم بالشكل المطلوب والتهيب في بعض مراحل الحرب من العدو رغم انه كان في تلـــك المراحل بالذات في حالة انهيار وانكسار ،

كما يشير الكتاب الى امور تفتح بابا للنقاش حول التنسيق بين الجبهتين وفعالية هذا التنسيق سواء بالنسبة للعرب او للاسرائيليين ·

وفي نهاية الكتاب محاكمة يقوم بها هرتزوغ للقادة العسكريين الاسرائيليين ، لكن الاهم من ذلك محاكمته للعقلية العسكرية الاسرائيلية التي يقول انها كانت تعتقد ان بمقدور الدبابة والطائرة صنع كل شيء بمعزل عن المشاة والمدفعية ، ولذا يطالب باعادة تنظيم الجيش الاسرائيلي على اسس جديدة تأخذ العبر والدروس من خسائر حرب يوم الغفران ·

ان هرتزوغ لا يسعه في ختام كتابه الا ان يشير الى اهمية المساعدات الامريكية قائلا : « ان الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي قدرت كفاح اسرائيل حق قدره » ·

يقول هرتزوغ في محاكمته للرجال والسياسة : « ان الذين اخطأوا لا يمكن ان يلومهم التاريخ ، كما ان ثمن اعمالهم لم يسدد بكامله بعد · فبسبب هذه الاخطاء فقدت اسرائيل مركزا فريدا من مراكز القوة في تاريخها ، كان باستطاعتها ان تفاوض من اجل المستقبل ، ومن يدري فقد تضطر اسرائيل الى دفع ثمن اغلى » ·

**رشاد راشد**

---

PALISTINIAN ARAB POLITICS

Edited by Moshe MA'OZ

The Hebrew University , The Harry's TRUMAN Research Institute

Jerusalem Academic Press , 1975

الكتاب في الاساس هو مجموعة الدراسات المقدمة في الندوة المعقودة في معهد ترومان التابع للجامعة العبرية حول « الفلسطينيين » وذلك عام ١٩٧٣ · والمشاركون هم من ذوي الاختصاص في القضايا العربية في « اسرائيل » ، وموطن اهتمام هؤلاء لم يأت من مواقع أكاديمية فقط فقد شغل العديد منهم مواقع رسمية في الجهاز الحكومي في اسرائيل تتعلق في التعامل مع الفلسطينيين العرب · وهذا يكسب الكتاب أهمية خاصة بحيث يعكس عقلية هؤلاء الاختصاصيين وطريقة فهمهم لقضايا الشعب العربي الفلسطيني وبالتالي مدى مساهمتهم في خدمة قضية السلام في المنطقة ·

تضمن الكتاب خمس دراسات تقدم بالورقة الاولى يهوشاع بوراث وتتناول « التنظيمات السياسية للفلسطينيين العرب تحت الانتداب البريطاني » وبوراث باحث جاد يشغل منصب مدير دائرة التاريخ في المعهد الاسيوي الافريقي التابع للجامعة العبرية · نشر الجزء الاول من دراسته القيمة « حول نشوء الحركة القومية العربية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٢٩ » ويسعى على اخراج الجزء الثاني · وبوراث هنا

يلخص ما ورد في الجزء الاول من كتابه · الا انه في الدراسة المقدمة يسعى بصورة غير موفقة الى تكرار تلك المقولة التي طالما فتن بها الباحثون الغربيون في التقسيمات الطائفية للحركة الوطنية العربية · فهو يذكر انه مع تشكيل المجلس الاسلامي الاعلى احتكر المجلس العمل الوطني وجرى عزل للمسيحيين عن المشاركة . واتخذ العمل الوطني طابعا طائفيا ( ص ١٥ ) · ان ذلك يبدو غير دقيق على الاطلاق وبورات نفسه لم يثر تلك المسألة في كتابه السالف ·

ان بورات اراح نفسه في الدراسة المقدمة من عناء الفحص والتدقيق لبعض النقاط فهو يعتبر مثلا ان «حزب الاستقلال» حزب محلي فلسطيني بينما هو بالحقيقة حزب قومي عمل على مستوى سوريا الطبيعية والعراق ولم يكن فرع الحزب في فلسطين سوى امتدادا له وقد ناضل الحزب في سبيل نيل الاستقلال عن العثمانيين وتحقيق الدولة العربية الواحدة · ومن الغبن الفادح تلخيص ظروف فرط عقد الحزب بعد ذلك على انه انقسام بين مؤيدي الهاشميين ومؤيدي السعوديين داخل الحزب كما يذكر بورات ( ص ١٦ ) ·

**الورقة الثانية** من الكتاب تقدم بها امنون كوهين الذي عمل مستشارا في الشؤون العربية للحكم العسكري في الضفة الغربية وتعالج « الاحزاب السياسية في الضفة الغربية تحت الحكم الهاشمي » ولم تخل وظيفته هذه من فوائد . فهو في دراسته المقدمة يستند بصورة رئيسية الى ملفات ووثائق المخابرات الاردنية التي وضعت السلطات الاسرائيلية يدها عليها في الضفة الغربية غداة حرب حزيران ١٩٦٧ · ان مشكلة كوهين انه استند الى مرجعين حكما دراسته التي جاءت ضعيفة وسطحية سواء على صعيد تقديم المعلومات والمادة او على صعيد المنهج والتحليل : فاستناده الى ملفات المخابرات الاردنية دعاه الى تقديم دراسة تشريحية بوليسية عن الاحزاب في الضفة الغربية باعتبارها « عصابات تآمرية » وليست حركات شعبية تتبنى ايديولوجيات ومطالب معينة كما هي الحال لدى كل الاحزاب السياسية في الدنيا · حتى عندما كان يرغب في الابتعاد عن هذا العرض التقريري البوليسي ليتقدم بشيء من التحليل ، كان يلجأ الى ذلك الكتاب « اليتيم » الذي كتبه سليمان الموسى ومنيب الماضي عن الاردن ، الذي كتب بالطبع تحت العصا الغليظة للحكم الهاشمي وبالتالي جاء يعكس مواقفه تجاه تلك الاحزاب باعتبارها « أدوات هدامة للتخريب » ومجموعة من « المتطفلين الكسالى » ( ص ٢٣ ) ·

ان تلك المعلومات الهامة التي أوردها كوهين استنادا الى اوراق المخابرات الاردنية . كيف ان الحكم الهاشمي في تعميم داخلي له على مخابراته في بداية عام ١٩٥٧ كان يعد لضرب الاحزاب السياسية . وذلك قبل اربعة اشهر من اقالة حكومة النابلسي الوطنية في ابريل من نفس العام ( ص ٢١ ) . ثم انفجار الصراع بين الملك والاحزاب الوطنية . كل ذلك لم يضعه كوهين في اطاره السياسي عندما كانت الاحزاب الوطنية تسعى الى تثبيت الديمقراطية والحفاظ على استقلال البلد وعدم الارتباط بالمخطط الاميركية التي طرحت من خلال مشروع ايزنهاور · ان شيئا من هذا لم يستوقف كوهين ولا يعنيه ضمن اي تحليل، وفي تقديره فصراع الاحزاب الوطنية والملك كان مجرد صراع بين الشغب والفوضى وبين الرغبة في الاستقرار !··

كيف يمكن قبول ادعاءات العسف وغرب

الديمقراطية لدى اي مراقب او باحث مهتم بتسجيل التاريخ تحت شعار الاختـــلاف السياسي ٠٠ حقا انه ليس اسوأ على الامانة العلمية من دخول بـــاب البحث العلمي والاكاديمي من مقتضيات الوظيفـة السياسية وهذا بالضبط ما وقع بـــه كوهين ٠

تقدم أوري ستاندل بالورقـة الثالثـة متناولا « النهوض السياسي لدى السكان العرب الفلسطينيين داخل اسرائيل ١٩٤٨ ــ ١٩٧٤ » وقـد عمل ستاندل ايضـــا مستشارا في الشؤون العربية للحـــكم العسكري في الضفة الغربية حتى عـــام ١٩٧١ قبل ان يتفرغ لعمله في المحاماة ٠ وقد خصص معظم الورقة للحديث عـــن « الحزب الشيوعي الاسرائيلي » (راكاح) وكان في اندفاعه للهجوم على « راكاح » يعفي نفسه احيانا من الاشـــارة الى أي مصدر ويفسر التاريخ على طريقة كوهين المخابراتية ٠ فهو يذكر مثلا انه في نهاية ١٩٥٧ تكونت داخل راكاح جبهة سريـــة تسمى «جبهة التحرر الوطني» كان اهدافها تقويض اسرائيـــل وان تلك الخطـــــة اكتشفها اعضاء « ماكي » المنشقون عـــن الحزب ( ص ١١٤ ) ، وهـــو يذكر ذلك كمسلمة دون ان يتقدم بأي دليل او يشير الى اي مصدر ٠ وستاندل يرى في راكاح « حزبا قوميا وليس ماركسيا » ( ص ١٢٨ ١٢٩ ) دون ان يرى اي خلاف بين راكاح واية مجموعات قومية اخرى بين العـــرب الفلسطينيين داخل اسرائيل ٠ ان ستاندل يرى ان راكـــــاح ابتدأ يفقد نفـــوذه وشعبيته بين العرب الفلسطينيين بعد ان وصل قمة ما يمكن وصوله « Reached its Peak » ، وان العرب الفلسطينيين اخذوا يقبلون بواقع وجود دولة اسرائيل

وانه قد زاد انضمامهم الى الاحـــزاب الصهيونية « ٠٠٠ ان اقوال ستـــاندل وتقييماته المفجعة هذه تأتي عـــام ١٩٧٣ ــ تاريخ تقديم الدراسة ــ لست ادري ان كان مهتما بمراجعة تقييماته هذه بعد مرور اكثر من ثلاث سنوات اثبتت خطل وضعف تلك التقييمات ؟ وعما اذا كانت الحكومـة الاسرائيلية معنية اكثر في سماع « الكلام المريح » مـــن مستشاريها فـــي الشؤون العربية اكثر من سماع الحقائق الصلبة ؟

أما يهوشفاط هركابي والاكثر اختصاصا في الشؤون العربية ، قائد الاستخبـــارات الاسرائيلي السابق فقد تناول في دراسته المقدمة «النهوض الفلسطيني في الخمسينات من خلال الادبيات المنشورة للفلسطينيين» ٠ وعرض معاناة الفلسطينيين وواقع تشردهم بعد الهجرة وشعورهم بالخذلان على يـد الانظمة العربية من خلال ادبيات غســـان كنفاني وانيس القاسم ولطـــف غنطوس وغيرهم ٠

ان هركابي ينعطف فجأة عن هذا السرد ليتقدم لنا بتفسير عجيب للثورة بيـــــن الفلسطينيين فيذكـــر « ان البرجوازيـــة الفلسطينية التي اندمجت في مجتمعاتهـا الجديدة ، تسعى على الدوام الى تحريض الفئات المسحوقة من سكان المخيمات على رفض الذوبان ٠ ويدلل على ذلك بمثـــال نشوء حركة التحرير الوطني الفلسطيني ( فتح ) التي ولدت في اعتقاده « بين تلك الاوساط الغنية من الفلسطينيين فـــي منطقة الخليج » ( ص ٧٢ ) ٠

ان هركابي يتعامى مع سبق الاصرار عن رؤية الشعب الفلسطيني كوحدة قومية تناضل من أجل قضية واحدة هي استعادة حقوقها الوطنية اسوة بكل شعوب العالم .

وهو لا يتقدم بأي تفسير لما اسماه « برفض الفلسطيني الغني قبول حالة الذوبان وعلى انخراط ابناء المخيمات في المقاومة » ٠ انه يسعى بحجج مبهمة الى اعطاء تفسيـــر

خاص لتلك القوانين العامة التي تحـــكم حركات التحرر الوطني عموما ، حول دور المثقفين من البرجوازية المتوسطة والصغيرة في العملية الثورية · وهركابي يرفـــض دونما سبب وجيه رؤية وفحص دواعـــي بروز الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني التي فرضتها من جهة : الحقائق الجديدة التي أفرزها واقع نضال الشعب العـربي الفلسطيني · حيث اصبحت تلك الدعاوى الصهيونية القديمة القائمة على انكـــار الوجود الوطني لهــذا الشعب مسألـــة تجاوزها الزمن · عدا عن ان هركابي ــ وهو الخبير في الشؤون العربية ــ لا يرى في الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني وظهورها القوي على المسرح السياسي من جهة اخرى انسجاما مع مجمل التـطورات في المنطقة العربية · بحيث ان اي متابع لهذه التطورات يمكنه فهم حقيقة بسيطـــة مؤداها انه لم يعد ممكنا كما في السابق اخفاء الشخصية الوطنية المتميزة للشعب الفلسطيني تحت شعارات قومجية قديمة ·

أما ورقة موشـــي ماعوز ــ محـــرر الكتاب ــ وهي الورقة الاخيرة في الكتاب فقد تناولت « العلاقـــة بيـــن المقاومـــة الفلسطينية والاتحاد السوفياتي » ويبدو وكأن هذه الورقة اقحمت اقحاما علـــى الندوة · ان ماعوز يجد فيها فرصة مؤاتية فقط لافهامنا بأنه لا ينصح بأن يـــكون للفلسطينيين دولة في الضفة الغربيـــة وقطاع غزة . اذ ان من شأن ذلك ان تصبح مثل تلك الدولة قاعدة للسوفيات !

ع · م

# شهريات

## المقـــاومة الفلسطينيـــة

**محادثات نيويورك :**

كان موضوع التمثيل الفلسطيني في مؤتمر جنيف ، عقدة العقد في المباحثات الدبلوماسية التي جرت في دورة الامم المتحدة ، وشارك فيها الفلسطينيون والعرب واسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وحاولت الولايات المتحدة بوسائل شتى ان تخترع جملة من البدائل لتمثيل الفلسطينيين هربا من تمثيل منظمة التحرير ، كما حاولت اقناع الفلسطينيين بهذه الصيغ دون ان تلزم نفسها بتقديم ثمن مقابل ذلك ، ومارست في هذه الاثناء ضغوطا كبيرة على الحكومات العربية ، ومارس العرب بدورهم ضغوطا كبيرة على منظمة التحرير ، وكان الهدف الاساسي من ذلك كله ازالة العقبات الاجرائية التي تعترض عقد مؤتمر جنيف ، وتأجيل البحث في مضمون التسوية لازمة الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى حين انعقاد المؤتمر ٠ وبينما حاولت الولايات المتحدة ان تظهر بمظهر المحايد بين العرب واسرائيل في هذا الحوار ، الا ان كل مواقفها كانت تصب في النهاية الى جانب الموقف الاسرائيلي وتوافق على كل ما يصر عليه الاسرائيليون ، وكانت مواقفها السياسية تبدأ بموقف عام يظهر وكأنه اقتراب من الموقف العربي ، ثم تتلاحق التوضيحات التفصيلية التي تؤكد جوهر الموقف الاميركي الذي يسعى للتحايل على الموقف العربي والفلسطيني لصالح الموقف الاسرائيلي ٠

فبعد ان اعلنت الخارجية الاميركية ان مؤتمر جنيف لن ينجح الا اذا اشترك فيه الفلسطينيون ٠ وبعد ان اعلنت في بيان اخر صدر في ١٥ ايلول انها تدرس اقتراح تشكيل وفد عربي موحد ( يشارك فيه الفلسطينيون ) ، اوضح الناطق الرسمي بلسان وزارة الخارجية ردا على سؤال حول مشاركة اعضاء من منظمة التحرير في الوفد الموحد « اننا تركنا ذلك للاطراف المعنية لكي تقرر بشأنه ، ونحن لا نحاول ان نفرض رأينا حول من سيشكل هذا التمثيل ، واذا وافقت كل الاطراف على اشتراك منظمة التحرير فسنوافق على القرار الذي يتوصلون اليه ، بيد ان ذلك يجب ان يكون بشروط ترضينا » ٠

ثم بدأت مرحلة توضيح هذا الموقف الاميركي العام وامتصاص مضمونه ، فأعلن سايروس فانس وزير الخارجية ان هناك بدائل لتمثيل الفلسطينيين في جنيف

اما ضمن وفد عربي موحد او ضمن الوفد الاردني ( اي دون تمثيل مستقل ) ، ثـم ذهب الرئيس الاميركي جيمي كارتر خطوة ابعد في هذا التوضيح اذ اعلن في ١٧ـ٩ بعد الحديث عن ضرورة تمثيل الفلسطينيين في مؤتمـر جنيف نقطتين : الاولى ان منظمة التحرير لم تكن الاختيار الاميركي لتمثيل الفلسطينيين ، والثانية انه لم يدع ابدا الى بلد فلسطيني مستقل ·

ثم تراجعت الولايات المتحـدة خطوة جديدة الى الوراء ، حين عادت مرة اخرى للحديث عن ضرورة اعتراف الفلسطينيين بالقرار ٢٤٢ ، فأعلنت الخارجية الاميركية في ١٩ـ٩ بأنها على استعداد لفتح حوار ( حوار فقط ) مع منظمـة التحرير اذا اعترفت بالقرار ٢٤٢ ، وبعد يوم واحد فقط ( ٢٠ـ٩ ) قال ناطق بلسان البيت الابيض ( بعد اجتماع كارتر ودايان ) ان الولايات المتحدة لم تقل بأن منظمة التحرير يجب ان تمثل في مؤتمر جنيف اذا قبلت القرار ٢٤٢ ، وزادت الخارجية الاميركية على ذلك ببيان اخر يقول ( ٢٣ـ٩ ) انهـا ستعارض اي قرار يحاول تعديل القـرار ٢٤٢ في مجلس الامن ·

مع بداية اعلان هذه المواقف الاميركية وتراجعاتها المتلاحقة ، كان موشي دايان وزير الخارجية الاسرائيلـي يعلن فـي بروكسل اثناء توجهه الى الامم المتحـدة ( ١٥ـ٩ ) ان اسرائيل ترفض التفاوض مع وفد عربي مشترك يضـم ممثليـن فلسطينيين ، ويؤيد فقط ضم فلسطينيين غير اعضاء في منظمة التحرير الى الوفد الاردني ·

أما منظمة التحرير الفلسطينية فقـد اعلنت بعد انتهاء اجتمـاعات المجلس المركزي في دمشق ( ٢٠ـ٩ ) ان المجلس ناقش الخطوة الجديدة التي صدرت فـي بيان وزارة الخارجية الاميركية والتـي اعترفت بأن الشعب الفلسطيني هو العنصر الاساسي لاي حل في الشرق الاوسـط ، الا ان المجلس لاحظ ان البيان تجاهـل الاشارة الى الحقوق الوطنية للشعـب الفلسطيني ، بما فيها حقه في العـودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي ترد فيها عبارة دولة مستقلة بقيادة منظمة التحرير في محاولة لرفض صيغ التحايـل الاميركية علـى موضوع التمثيل الفلسطيني ، وعلى الهدف من هذا التمثيل اذا تم ·

وفي الوقت الذي صدر فيه بيان المجلس المركزي ، كان دايان يعلن بعد مقابلتـه الاولى مع كارتر «ان الفلسطينيين سيمثلون في مؤتمر جنيف ، على ان لا يتم ذلك بوفد منفصل ، ولا بوصفهم ممثلي دولة تقـام في المستقبل ، ومنظمة التحرير لن تمثل في هذا المؤتمر بصفتها الذاتية » ، واضاف دايان ان « اسرائيل تفضل اشتراك وفود عربية منفصلة بينها وفد اردني يضـم فلسطينيين بشرط ان لا يكونوا بأي حال من الاحوال ممثلين لمنظمة التحرير » !

وقد كان واضحا من هذه المساومات ان الولايات المتحدة تحاول اقناع اسرائيل بقبول فكرة الوفد العربي الموحد الذي يضم فلسطينيين ، وذلك ارضاء لطلب الوفود العربية ، وتحاول في الوقت نفسه اقنـاع العرب باستبعاد منظمة التحرير من التمثيل الفلسطيني مع ما يعنيه ذلك من استبعـاد لبحث موضوع الدولة الفلسطينية ، تجاوبا مع طلبات اسرائيل ، على ان رؤسـاء بلديات الضفة الغربية وقطاع غزة هـم المثلون الفلسطينيون في مؤتمر جنيف ·

وتجاوبا مع هذه المساومة اعلنت الحكومة الاسرائيلية في بيان رسمي ( ٢٥ـ٩ ) انها

توافق على وفد عربي موحد لجنيف شرط ان ينقسم الى عدة لجان ، ويكون الفلسطينيون جزءا من الوفد الاردني ٠ واستعمل البيان الاسرائيلي عبارة « عرب ارض اسرائيل الذين ليسوا اعضاء معروفين في منظمة التحرير الفلسطينية يمكن ان يشاركوا في هذا الوفد الموحد »٠ واضاف البيان « لا يشارك العرب الفلسطينيون في الدورة الافتتاحية كجسم مستقل ولكن كجزء من الوفد الاردني »٠

وقد صدر ردا على هذه المواقف الاميركية والاسرائيلية موقفان فلسطينيان الاول من رؤساء بلديات الضفة الغربية حيث اعلنوا رفضهم حضور مؤتمر جنيف ٠٠ الا اذا طلبت منهم منظمة التحرير القيام بالمهمة ( حلمي حنون : طولكرم — بسام الشكعة : نابلس — فهد القواسمه :

الخليل — كريم خلف : رام الله — عبد العزيز السويطي : اريحا ) ٠ والثاني من الوفد الفلسطيني في الامم المتحدة الذي

اعلن في بيان رسمي :

— نرفض المساومة على موضوع تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها ٠

— محاولات تقسيم التمثيل مجرد مناورة هدفها عرقلة السلام ، وليس لاي طرف اي حق او انتداب لمناقشة موضوع التمثيل ٠

— قرار ٢٤٢ غير مناسب للتعامل مع حقوق الشعب الفلسطيني ٠

— ضرورة صدور قرار جديد عن مجلس الامن يؤكد حق تقرير المصير وحق العودة٠

ويمكن القول ان هذه المساومات كلها مثلت المرحلة الاولى من المفاوضات التي جرت على هامش دورة للجمعية العامة للامم المتحدة ٠

## البيان السوفياتي الاميركي

المرحلة الثانية تمثلت بعامل دولي جديد ، من خلال مفاوضات جرت بين اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتي والرئيس الاميركي كارتر ، حيث صدر بعد المفاوضات بيان سوفياتي — اميركي ( ١— ١٠ ) يؤكد ضرورة عقد مؤتمر جنيف ، ويحدد اسسا جديدة لعقده ٠ وقد تضمن البيان اشارة الى ضرورة تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف والى ضرورة البحث في الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، كما تضمن في المقابل تحديدا لطبيعة السلام المطلوب بين العرب واسرائيل من خلال « انهاء حالة الحرب واقامة علاقات سلمية عادية رسمية على اسس الاعتراف المتبادل بمبادىء السيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي »

وقد استقبل هذا البيان بردود فعل متناقضة ومتباينة :

— اسرائيل اعلنت رفضها للبيان بعد اجتماع لمجلس الوزراء ، واعتبرت انه يسعى لفرض التسوية ، ولوحت باعلان حالة الطوارىء ٠ وقال دايان انه يحد من حركة اسرائيل ويعطي الاتحاد السوفياتي ثقلا جديدا ٠

— سوريا قالت ان في البيان بعض النقاط الايجابية الا ان هناك غموضا حول فقرة الانسحاب ، اذ استعمل البيان كلمة « اراض » ولم يستعمل كلمة « الاراضي » المحتلة ٠

— منظمة التحرير قالت على لسان فاروق القدومي في الامم المتحدة ان البيان مساهمة في جهود دولية ، وتاكيد للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، ويوفر قاعدة٠ لصدور قرار جديد من مجلس الامن بدلا من القرار ٢٤٢ ٠

ـ مصر اعلنت على لسان اسماعيل فهمي وزير الخارجية ان البيان لا يحمل جديدا ، ولم يعلن ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد* ٠

ـ العراق اعلن ان البيان لا يمثل اي تغيير جذري لمصلحة الشعب الفلسطيني ٠

وفي هذه الاثناء تحركت قوى الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة ضد البيان ونظمت ضده حملة اعلامية كثيفة ، ورد عليها البيت الابيض الاميركي بسلسلة من التوضيحات الرسمية وغير الرسمية التي حاولت كلها تاكيد الالتزام الاميركي بأمن اسرائيل وعدم التخلي عنها ٠ وفي نهاية هذه الحملة اعلن كارتر في خطابه امام الامم المتحدة ( ٤ـ١٠ ) ان الولايات المتحدة لا تنوي فرض حل في الشرق الاوسط ، والتزامها بأمن اسرائيل لا يمكن ان يكون موضع جدل ، والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني يجب الاعتراف بها ٠ وكان هذا الخطاب خاتمة المرحلة الثانية من المفاوضات ٠

## البيان الاميركي ـ الاسرائيلي

المرحلة الثالثة من المفاوضات تمثلت بتراجع واشنطن عن البيان السوفياتي ـ الاميركي ، عبر بيان اميركي ـ اسرائيلي جديد صدر يوم ٥ـ١٠ ، دعا لعقد مؤتمر جنيف على أساس القرار ٢٤٢ ، واوضح ان الاعلان السوفياتي ـ الاميركي المشترك ٠٠ ليس شرطا مسبقا لاستئناف واستمرار اعمال مؤتمر جنيف » ٠ واعلن بعد صدور هذا البيان ان هناك ورقة عمل اميركية وافق عليها دايان ، وسيقوم فانس بعرضها على الوفود العربية ٠ وقد برزت في هذه الاثناء فكرتان اميركيتان جديدتان حول موضوع التمثيل الفلسطيني ٠

الفكرة الاولى تدعو لاعلان حكومة فلسطينية تشكل على أساس التمثيل الجغرافي ، مع بقاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الى جانبها ، كتمهيد لاختيار الممثلين الفلسطينيين من اعضاء الحكومة ( لاستبعاد منظمة التحرير ) ٠ والفكرة الثانية تقترح ان يقوم رئيس اللجنة التنفيذية باختيار وتسمية اعضاء الوفد الفلسطيني الى مؤتمر جنيف ، على ان يتم ذلك بشكل سري ( اي دون الاعلان الرسمي عن علاقة هذا الوفد بمنظمة التحرير ) ٠ ولفت النظر بعد ذلك تصريحان فلسطينيان في بيروت ونيويورك ٠ الاول اعلنه محمود اللبدي (٦ـ١٠) وقال فيه « ان منظمة التحرير لن تصر على وجود ممثلين خاصين بها في مؤتمر جنيف ، طالما ان المنظمة مسؤولة عن اختيار المندوبين الى هذا المؤتمر ٠٠٠ والمنظمة قد تقرر ضم اشخاص غير اعضاء فيها ٠٠ ان هذا ليس قرارا خارجيا ٠٠ انه قرار داخلي متعلق بمنظمة التحرير» ٠ والتصريح الثاني اعلنه زهدي الطرزي باسم الوفد الفلسطيني في الامم المتحدة ( ٧ ـ١٠ )

وقال فيه « ان تصريح اللبدي قد اسيء تفسيره ٠٠ ان كل الفلسطينيين هم اعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية ، وفي اطار هذا المفهوم فان رؤساء البلديات في مدن الضفة الغربية يمكن ضمهم الى وفد المنظمة في جنيف ٠٠ وسنصر على تلقي دعوة رسمية للمنظمة لحضور مؤتمر جنيف » ، بينما كانت اسرائيل تعلن انها « سترفض اي شخص في جنيف تعينه منظمة التحرير » ٠

وقد نشرت جريدة « السفير » اللبنانية يوم ٧ـ١٠ نص ورقة العمل الاميركية ـ الاسرائيلية والتي تتضمن انعقاد مؤتمر جنيف بجلسة افتتاحية يحضرها وفد عربي موحد ووفد اسرائيلي ، ثم ينقسم

المؤتمر الى لجان جغرافية واخرى وظيفية لجان العمل الجغرافيـة هي : مصر ـ اسرائيل ، سوريا ـ اسرائيل ، الاردن ـ اسرائيل ، مع لجنة للضفة الغربية وقطاع غزة تضم مصر ـ الاردن ـ اسرائيل ـ الفلسطينيون ( دون سوريا ) ٠ اما اللجان الوظيفية فهي اربع لجان : لجنة لمعاهـدة السلم وانهاء حالة الحرب ، ولجنة لبحث العلاقات الطبيعية بين دول المنطقة ، ولجنة لشؤون اللاجئين الفلسطينيين واليهود ، ولجنة التعويضات المتبادلة ٠ أما التمثيل الفلسطيني فيكون من قيادات درجة ثانية او ثالثة من منظمـة التحرير ومعهـم مندوبون من الضفة الغربية وقطاع غـزة والاردن ٠

وفي ١٣ـ١٠ اذاع دايان نص ورقـة العمل فجاءت مطابقة للنص الذي نشرته السفير ، مع تعديلات اجريت عليها بنـاء على طلب الحكومة الاسرائيلية اضافت اليها ان المؤتمر سيعقد على اساس قـرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وان البيان الاميركي ـ السوفياتي لن يشكل اساسا لاستئنـاف المؤتمر ، مع اشارة الى ان الفلسطينيين ضمن الوفد العربي الموحد يجب ان يكونوا من خارج منظمة التحرير ٠

وقد عرضت ورقة العمل هذه علـى الحكومة الاسرائيلية فوافقت عليهـا بالاجماع في جلستها المنعقدة يوم ١١ـ١٠ وبعد هذه الموافقة اعلن كارتر ( ١٢ـ١٠ ) ترحيبه بها وقال : انني لم اؤيد علـى الاطلاق اقامة دولة فلسطينية مستقلة ٠ واوضح هودينغ كارتر الناطق بلسـان الخارجية الاميركية ان ورقة العمل لا تقدم تسوية لمشكلـة تمثيل الفلسطينيين ٠٠٠ ومسألة التمثيل الفلسطيني لا تزال تمثل عقبة كبيرة ٠ ثـم عـاد هودينغ كارتـر واعلن ( ١٣ـ١٠ ) ان احدا لا يذهب الى جنيف الا المشتركون الاساسيون والذين توافق عليهم الاطراف المعنية ٠

وبينما اعلن عبد المحسن ابو ميـزر الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير ، في باريس ، ان المنظمة ترفض رفضا كامـلا ورقة العمل الاميركية ـ الاسرائيليـة ( ١٤ـ١٠ ) اعلنت اللجنة المركزية لحركة فتح في بيان رسمي ( ١٦ـ١٠ ) ان «منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد ٠٠ وانها لا تقبل اي مناورة تستهدف النيل من هذا الحق او القفز عليه ٠٠ وتؤكد قرارات المجالس الوطنية بالنسبة لحقوق شعبنـا الوطنية الثابتة بما فيها حق العـودة وحق تقرير المصيـر واقامة الدولـة الفلسطينية المستقلة » ٠ وفـي ٢١ـ١٠ اصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحـرير بيانا اعلنت فيه رفضها لورقة العمـل ووصفتها بأنهـا « تشكل بنصوصهـا ومضمونها محاولة جديدة لطمس حقوق شعبنا الوطنية الثابتة » ٠

## ازمـة الجنوب :

مع بداية انتقـال الوفود الى الامـم المتحدة لاجراء جولة جديدة مع المجادثات حول امكان عقد مؤتمر جنيف ، انفجـر قتال جديد في جنوب لبنان ، ساهمت فيه اسرائيل هذه المرة بشكل مباشر وعلنـي وصل الى حد التمركز العسكري داخـل الاراضي اللبنانية ، وكان من الواضح ان هدف هذا التدخل هو الضغط علـى جو المفاوضات ، اضافة الى الاهداف المحلية له ٠ وقد انفجرت الاشتباكات منذ يـوم ١٤ـ٩ ، وحاولت اثناءهـا القـوات الانعزالية الخروج من المواقع المتمركزة فيها ، لاحتلال محاور الطرق والتـلال الاستراتيجية التي تشرف على مواقـع تمركز المقاومة الفلسطينية ، وساندتها في هذه الهجمات المدفعية الاسرائيلية فـي البداية ، ثم الاليات والمشاة فيما بعد ٠

وكان شمعون قد اعلن بعد بدء الاشتباكات بيوم واحد (١٥ـ٩) ان الجواب النهائي حول الضمانة الاميركية لعدم تدخل اسرائيل في الجنوب ، لم يأت بعد · وقد ادلى شمعون بهذه التصريحات بعد اجتماعين بينه وبين الرئيس الياس سركيس وعشية استعداده للسفر الى دمشق لاجراء مباحثات مع المسؤولين السوريين · وقد اجرت السلطات اللبنانية اثناء ذلك اتصالات عديدة مع الولايات المتحدة بواسطة السفير الاميركي ريتشارد باركر والقائم بالاعمال الاميركي جورج لاين ·

وبحصيلة المحادثات السورية مع شمعون اعلن بعد جولة المباحثات الثالثة مع عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري ( ١٨ـ٩ ) انه « من الضروري وضع حد للموقف غير العادي الذي نشأ في الجنوب ·· وان قوات الامن الداخلي تستطيع بمفردها اقرار السلام ، وتوقع انسحاب الفلسطينيين الى مسافة ١٥ كلم ودخول قوات لبنانية نظامية » · وفي اليوم التالي ( ١٩ـ٩ ) اعربت وزارة الخارجية الاميركية عن « قلقها من تصاعد العنف في لبنان » وقال ناطق رسمي ان الولايات المتحدة « تواصل جهودها من أجل وقف هذا التدهور ·· ونحن على اتصال دائم بالحكومات المعنية لحملها على الاعتدال » · ويبدو ان هذه الاتصالات لم تثمر اذ قامت اسرائيل في اليوم نفسه بقصف مدفعي كثيف على منطقة الخيام وحاولت فجرا القيام بهجوم مدرع، واستمر القصف الاسرائيلي كثيفا وعنيفا لمدة يومين وفي ٢٠ـ٩ صدر بيان اميركي جديد يدعو جميع الاطراف لضبط النفس ازاء « الموقف المعقد جدا » في الجنوب ، كما وجه كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة نداء الى جميع الاطراف لوقف القتال ·

وفي الوقت الذي قامت فيه اسرائيل بالتمركز في سبع نقاط داخل الاراضي اللبنانية صدر بيان رسمي مصري يعلن ان « التدخل العسكري الاسرائيلي في جنوب لبنان يهدد بنسف جهود التسوية » ( ٢٠ـ٩ ) ، ثم صدر بيان سعودي ( ٢١ ـ ٩ ) يعلن ان السعودية « تتابع بقلق بالغ واهتمام كبير مجرى الاحداث في جنوب لبنان ، وتستنكر بشدة الهجوم الاسرائيلي المركز على مناطق الجنوب اللبناني » ·

وبالمقابل اعلن سايروس فانس تأييده لعقد اتفاق فوري لوقف اطلاق النار في الجنوب ، وقال ان الموقف في جنوب لبنان لا يجب ان يتدهور ، وان يصبح بدون ضابط ، او ان يضر بالمفاوضات الجارية للسعي وراء تسوية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ·

وقد حاولت اسرائيل بردها على الموقف الاميركي ان تجعل من نفسها طرفا معترفا به في تطورات الازمة اللبنانية الداخلية فأعلن مناحم بيغن ( ١٩ ـ ٩ ) ان « اسرائيل على استعداد للعمل من أجل اقرار وقف اطلاق النار الشامل » ، وقالت الصحف الاسرائيلية ( معاريف ) ان « الحكومة تقدمت باقتراح الى واشنطن باعلان وقف اطلاق النار في جميع انحاء لبنان » ·

وجنبا الى جنب مع هذا الموقف الاسرائيلي برز تحرك لبناني قاده كاظم الخليل نائب رئيس حزب الوطنيين الاحرار دعا فيه الى « جعل المنطقة جنوب الليطاني منزوعة السلاح ومحايدة باشراف قوة دولية » ( ٢٢ـ٩ ) ، ولكن الخارجية الاميركية عادت واعلنت ( ٢٣ ـ ٩ ) ان « نداءات الولايات المتحدة حول الوضع في الجنوب بدأت تجد اذانا صاغية من جانب حكومات المنطقة » واعلن الناطق ان

بلاده تؤيد اتفاق شتورا · وفيما كانت الحكومة اللبنانية تعقد خلال ذلك كله اجتماعات عديدة مكثفة مع المسؤولين اللبنانيين وقادة المقاومة الفلسطينية وقيادة قوات الردع اعلن مساء ٢٥ـ٩ ان القتال توقف في جنوب لبنان بناء على اتفاق وضعه الاميركيون مع الاسرائيليين وتم ابلاغه للحكومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، وبعد الاعلان عن هذا الاتفاق انسحبت القوات الاسرائيلية من مواقعها داخل الاراضي اللبنانية ، واعترف الناطق الاميركي لاول مرة ( ٢٧ـ٩ ) ان القوات الاسرائيلية كانت متواجدة بالفعل داخل لبنان · وكشف شمعون النقاب بعد زيارة للقصر الجمهوري ( ٢٨ ـ ٩ ) انه لا وجود لاتفاق خطي حول الجنوب ، وان لجنة الهدنة الدولية هي التي ستتولى مراقبة وقف اطلاق النار ، وان الخطوة التالية ستكون دخول الجيش اللبناني وانسحاب القوات الفلسطينية ·

وبتوقف هذه الجولة من القتال ، وبانسحاب القوات الاسرائيلية ، بدأ البحث من جديد بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية حول تنفيذ المرحلة الثالثة من اتفاق شتورا في الجنوب ، وفي اجتماع عقد يوم ٥ـ١٠ بين الدكتور سليم الحص وقادة المقاومة وقائد قوات الردع تم البحث بتنسيق المواقف الاخيرة تمهيدا للبدء بالتنفيذ · وفي ١١ـ١٠ اعلن عاصم قانصوه ان الجيش اللبناني سيتوجه الى الجنوب يوم ١٧ـ١٠ ، فيما اعلن الرئيس الحص « اننا على أبواب تنفيذ المرحلة الاخيرة من اتفاق شتورا » · وقد كان الاتفاق ان يكون هناك حل متوازن في الجنوب يقضي بأن تكون هناك انسحابات متبادلة بين قوات المقاومة والحركة الوطنية من جهة والقوات الانعزالية من جهة اخرى · ولكن القوات الانعزالية اصرت في اللحظة الأخيرة ان تنسحب القوات الفلسطينية فقط من مواقعها وان يدخل الجيش اللبناني الى تلك المناطق ، كما اصرت على ان يكون هذا التنفيذ شاملا لقطاعات الجنوب الثلاث من صور الى العرقوب دفعة واحدة · وبتجميد موعد التنفيذ المقرر ، بدأت جولة جديدة من المباحثات وبقيت خاتمة اتفاق شتورا مفتوحة امام كل الاحتمالات ·

**بلال الحسن**

---

# المناطق المحتلة

## « البديل » الهزيل

لا زالت وسائل الاعلام الاسرائيلية تروج لمجموعة هزيلة ظهرت مؤخرا في الضفة الغربية ، واضعة نصب اعينها هدفا واحدا : معاداة م·ت·ف· على امل ان تحل محلها في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه ·

والحقيقة ان هذه المجموعة لا تشكل بحد ذاتها اي خطورة تذكر بالنسبة لنضال سكان المناطق العربية المحتلة ضد الاحتلال تحت لواء المقاومة الفلسطينية ، فهي عبارة عن ظاهرة مألوفة تحدث في اية منطقة تقع تحت الاحتلال الاجنبي ، ويمكن وضع حد

لها واسكاتها في اية لحظة ·

سبق لنا وتحدثنا في العدد السابق عن شخصية مغمورة تحمل اسم حسين الشيوخي ، دفع بها اصحاب فكرة «البديل» للتبشير بولادة مجموعة مناوئة لمنظمة التحرير وتسعى للتحدث باسم الشعب الفلسطيني وتمثيله في المؤتمرات الدولية وتقرير مصيره · وذكرنا ان « المبشر » لاقى استهجانا عاما في المناطق المحتلة ، ولم يتمكن من الاستمرار في نشاطه لاسباب عدة من بينها تخلي الواقفين وراءه عنه وحتى تبرؤهم منه ، تحت ضغط الاستنكار الشعبي ، كقولهم « لم اجتمع معه ، ولم انسق معه ··· » واصابة الشيوخي بذبحة قلبية نتيجة الارهاق الذي عاناه خلال مغامرته ، والذي حدا به الى التراجع عن مواقفه والاعلان بأن « م·ت·ف· هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني » ·

عند هذا الحد وجد الذين يطلق عليهم اسم « مجموعة البديل » انفسهم امام خيارين : الاستمرار فيما بدأه الشيوخي ، او التراجع نهائيا او لفترة عن مخططاتهم· ويبدو انهم فضلوا الخيار الاول ، حيث اخذ هؤلاء « يبشرون » بدعوتهم من خلال التلفزيون الاسرائيلي ووسائل الاعلام الاسرائيلية !

كل من يتابع الصحافة الاسرائيلية يجد امامه خمسة رموز تعتبر نفسها صدارة « البديل » وهذه الرموز هي مصطفى دودين في منطقة الخليل ، وزير سابق في الحكومة الاردنية ، والمحامي حسين الشيوخي ، ومحمد ناصرية وهو صحفي من اريحا ومن كتاب صحيفة الانباء الاسرائيلية ، وبرهان الجعبري ابن الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل سابقا المعروف بولائه للاحتلال الاسرائيلي والنظام الاردني معا ، والمحامي عزيز شحاده من رام الله · وفيما يتعلق بنشاط الشخصين الاخيرين ، فقد خالفا في اوائل شهر اب الماضي اجماع الشخصيات الوطنية ورؤساء البلديات بمقاطعة الحفل الذي اقامه وزير خارجية اسرائيل موشيه ديان لوزير الخارجية الاميركي سايروس فانس ، ولبيا الدعوة ، واجتمعا بوزير الخارجية الاميركي ، وقدم له المحامي عزيز شحاده مذكرة لحل القضية الفلسطينية طالب فيها باقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة تكون مرتبطة بعلاقات خاصة مع الاردن · وخلت مذكرة شحاده التي تحتوي على ستمائة كلمة من التطرق الى م·ت·ف· ومن الجدير بالذكر ان المحامي عزيز شحاده سارع بعد ان تسربت ونشرت مذكرته في الصحف الى اصدار بيان يعلن ويؤكد فيه ان « م·ت· ف· هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني » · اما برهان الجعبري الذي رافق عزيز شحاده الى حفل استقبال فانس والاجتماع به ، فانه درج بعد ذلك على شجب وحتى شتم م·ت·ف في اية مناسبة· اما الصحفي محمد ناصريه من اريحا احد كتاب صحيفة الانباء الناطقة باسم سلطات الاحتلال والذي وصفته المصادر الاسرائيلية بأنه « ينتمي الى مجموعة تنظمت مؤخرا في للضفة الغربية وتعمل لتغيير القيادة الفلسطينية » فقد هاجم بشدة وعلى طريقة برهان الجعبري الفجة ، م·ت·ف ، منتقدا « الاعمال الارهابية » اي اسلوب الكفاح المسلح الذي تعتنقه المقاومة الفلسطينية ، ومتسائلا «هل انتم مسلمون ؟ اذا كان الامر كذلك ، فان الاسلام بريء من اعمالكم ! »

اما الشخصية الرئيسية في مجموعة ما يسمى بالبديل فهي مصطفى دودين الذي شغل في السابق مناصب وزارية في الاردن واصبح بعد ان « بشر » الشيوخي بولادة المجموعة لا يدع فرصة تفوته لاسماع صوته ضد م·ت·ف منخلال وسائلالاعلام الناطقة باسم سلطات الاحتلال · فقد اعلن في

مقابلة بثها التلفزيون الاسرائيلي ( انظر هآرتس ٩ـ٩ـ٧٧ ) ان مجموعته تجري اتصالات لتشكيل بعثة بغرض زيارة دول المواجهة ، وذلك بهدف اقناع هذه الدول بـ «ضرورة اعادة الضفة الغربية للاردن» · ولم يفته في هذه المناسبة شجب الاساليب الارهابية التي تنتهجها م·ت·ف والادعاء بأنها لا تمثل سكان المناطق المحتلة ·

ان جل ما تسعى اليه المجموعة في الوقت الحاضر ، عقد مؤتمر يحمل اسم فلسطين ، شبيه بمؤتمر اريحا الذي تزعمه الجعبري في عام ١٩٤٨ ، وايد الحاق الضفة الغربية بالاردن ، وقد بدأ هؤلاء يعملون

وينشطون في هذا الاتجاه ، فقد افادت وكالة « عتيم » الاسرائيلية ( انظر دافار ٨ـ٩ـ٧٧) ان « شخصيات مرموقة في الضفة الغربية تنظمت هذا الاسبوع بغرض اقامة مؤتمر ، سيعقد على ما يظهر في

رام الله ، لاسماع صوتها حول القضية الفلسطينية » وافادت ان هذه الشخصيات تفضل في الوقت الحاضر ان تبقى مجهولة الاسم الا ان الوكالة الاسرائيلية ذكرت بأن هذه العناصر تتشكل من اعضاء في البرلمان الاردني سابقا ومن رؤساء بلديات سابقين ورجال اعمال معروفين · واعربت عن اعتقادها بأنهم « سينظمون مؤتمرا شبيها بمؤتمر اريحا الذي انعقد في ١٩٤٨ والذي قرر فيه وجهاء الضفة ضمها للاردن » ·

من الذي يقف وراء هذه المجموعة ؟

يمكن لاي شخص معرفة هوية الاطراف الواقفة وراء هذه المجموعة من خلال المواقف التي تطرحها ، على الرغم من زعم عناصرها بأن لا جهة تقف وراءها · ولا يسعنا هنا الا الاستشهاد بما يقوله المعلقون والمسؤولون الاسرائيليون · فقد ذكر الكاتب الاسرائيلي ي· بن حاييم ( دافار ١٨ـ٩ـ٧٧ ) ان هذه المجموعة «تحظى بتشجيع كل من الاردن واسرائيل» وان « رجال الحكم العسكري ورجال الامن الذين يمثلون حكومة اسرائيل على اتصال دائم برجال المبادرة الجديدة في الضفة الغربية ، ولا يكتفون بتشجيعهم بل يمدون لهم يد المعونة » وكذلك الكاتب الاسرائيلي تسفى البيج (يديعوت احرونوت ١ـ٩ـ٧٧) الذي ذكر هو الاخر ان « الذين يمسكون بالخيوط في عمان قد عقدوا العزم على استخدام سياسيين من الدرجة الثانية في هذه المرحلة ، سواء لفحص ردود الفعل او لتمهيد الارض لموجات من النشاط في المستقبل · ويوجد في الضفة الغربية وقطاع غزة مؤيدون للعلاقة مع النظام الاردني ، وهؤلاء ارفع شأنا من المحامي الشيوخي ، ولكن يبدو ان ساعة شروعهم بالعمل لم تحن بعد » ونصح اسرائيل بأن لا تقف مكتوفة الايدي امام تطور «البديل» ولكن « من المجدي ان تكون هذه الايدي متواضعة » · ولم يخف عيزر فايتسمان وزير الدفاع الاسرائيلي سعادته من ولادة « البديل » ، فقد علق على ذلك بقوله (يديعوت احرونوت ـ٥ـ٩ـ٧٧) انه «ليسعد اسرائيل ان تشجع اية جهة فلسطينية تعرب عن معارضتها لطريقة واساليب منظمات التخريب » · ولكن ما يسعد اسرائيل واطراف عربية ، لا يسعد بطبيعة الحال سكان المناطق المحتلة · فقد تصدى سكان منطقة رام الله ، عندما بلغ الى اسماعهم اعتزام مجموعة « البديل الهزيل » عقد مؤتمر في مدينتهم ، الى ما تهدف اليه هذه الفئة من تكرار ما حدث في اريحا عقب النكبة في رام الله عقب النكسة ! بقالب جديد ، وقعوا على عريضة بهذا المعنى تنص ( انظر الاتحاد ٢ـ٩ـ٧٧) :

« نحن الموقعين ادناه ممثلي المؤسسات الجماهيرية في مدينتي رام الله والبيرة واللواء ، نعرب عن استنكارنا الشديد لما يقوم به البعض ممن عرفوا بعدائهم

لقضايا شعبهم ، من محاولات مشبوهة لتزييف ارادة شعبنا الفلسطيني في الارض المحتلة ، والتفافه حول م·ت·ف ومحاولة خلق كيان عميل وهزيل ليكون بديلا عنها ، والادعاء بأن الشعب الفلسطيني يرضى بغير م·ت·ف بديلا ·

« اننا نعلن ان ما يقومون به ان هو الا حلقة من التآمر الامبريالي الصهيوني الرجعي على شعبنا وكافة شعوب المنطقة والعالم ، ونعلن مجددا تأييدنا الواضح والمطلق لمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا الفلسطيني وان ربط الدولة الفلسطينية المستقلة بأية جهة كانت ، هو من صلاحيات هذه الدولة نفسها بعد قيامها ، ولنا كامل الثقة بأن شعبنا قادر على فرض ارادته وتفويت الفرصة على كل العابثين بمصيره ومستقبله ووحدته الوطنية » ·

ووقع على هذه العريضة عدد من الشخصيات الوطنية في منطقة رام الله ، من بينهم ، كريم خلف رئيس بلدية رام الله امين شحاده رئيس بلدية بيرزيت ، احمد لطفي رئيس بلدية بيتونيا ، ابراهيم سليمان رئيس بلدية البيرة · كما وقع عليها عدد باسم المؤسسات والهيئات في هذه المدن ·

## النشاط الاستيطاني :

اتسم النشاط الاستيطاني في المناطق العربية المحتلة بتكتم السلطات الاسرائيلية حوله ، حيث درجت في معظم الاحيان على عدم الاعلان عن الاحتفال بقيام هذه المستوطنة او تلك ، كما كان الامر متبعا في عهد التجمع العمالي ، مع الاكثار من الحديث حول المشاريع الاستيطانية المستقبلية ، وسط اجواء الخلافات التي نشبت مؤخرا بين جوش ايمونيم والسلطات الحكومية حول الاستيطان فقد اخذ اعضاء الحركة يطالبون حكومة الليكود بتنفيذ وعودها السابقة ، والانسجام مع مواقفها التي كانت تطرحها من خلال وجودها في المعارضة ، ودعوا الى تحقيق خطتهم الرامية الى اقامة ١٢ مستوطنة في الضفة الغربية قبل نهاية هذا العام · وكان الاجتماع الذي عقده جوش ايمونيم في الرابع من شهر ايلول الماضي في الخان الاحمر وحضره رئيس الحكومة مناحيم بيجن مؤشرا واضحا لما وصلت اليه الخلافات في وجهات النظر بين جوش ايمونيم والحكومة ورأى فيه بعض المعلقين الاسرائيليين احد الاسباب التي يمكن ان تؤدي الى استقالة حكومة الليكود · فقد هدد رئيس جوش ايمونيم الحكومة بالتخلي عن الصبر وضبط النفس، والبدء باقامة مستوطنات رغم انف الحكومة على سمع من بيجن الذي لم يستسغ هذا التهديد ، وغادر الاحتفال في جو متوتر دون ان يدلي بكلمة ·

وتحت ضغوطات جوش ايمونيم ، وضغوطات الحسابات الدولية ، اقدمت السلطات الاسرائيلية التي لا تختلف في جوهرها عن جوش ايمونيم، على اقامة عدد من المستوطنات دون الاعلان عنها · فقد ذكر وزير الزراعة ارئيل شارون ( معاريف ٩-٩-٧٧) انه « لم تذع على الملأ جميع الاعمال الاستيطانية التي تمت خلال الشهر الماضي في يهودا والسامرة · لقد اقيمت مستوطنات هناك لم يذع عنها شيء » ·

وردا على سؤال عما اذا كان بوسعه اعطاء مزيد من التفاصيل قال « لا · لن افعل · ان رجال جوش ايمونيم يعرفون ذلك تماما » · وحول عدد المستوطنات التي ستوافق الحكومة على اقامتها خلال هذا العام ، اجاب « الكثير الكثير · وبايقاع اكبر واسرع مما كان معهودا في السابق» ·

الا ان ما رفض الافصاح عنه شارون

يمكن استشفافه من التقارير الصحفية في اسرائيل ، ويمكن للمرء من خلال تجميعها وتمحيصها الوقوف على عدد من هـذه المستوطنات ·

١ ـ **كفار روث** : اقيمت في اوائل شهر اوكتوبر ، في منطقة اللطرون في المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧ · ومن الجدير بالذكر ان بعض المصادر الاسرائيلية ذكر بأنها اقيمت داخل الخط الاخضر ـ اي داخل اسرائيل ـ والبعض الاخر ذكر بأنها اقيمت فوق الخط الاخضر تماما · وافادت اخر المعلومات في الصحف الاسرائيلية بأنها اقيمت خارج « الخط الاخضر » ·

وبذلك تصبح في منطقة اللطرون مستوطنتان اسرائيليتان ، حيث كانت السلطات الاستيطانية ، قد اقامت قبل عدة سنوات مستوطنة تحمل اسم « موديعين » · ومن المقرر اقامة مستوطنتين اخريين في المستقبل القريب ليصبح عدد المستوطنات في منطقة اللطرون اربع ، تقع على طرفي الطريق الجديدة السريعة التي يجري اعدادها بين القدس وتل ابيب ·

٢ ـ **مجدال عوز** : اقيمت خلال شهر اب في منطقة جوش عتسيون ·

٣ ـ **بئيريم** : اقيمت في شهر اب على انقاض قرية مسحة العربة شرقي كفر قاسم·

٤ ـ **ريمونيم** : في منطقة كوخاف هشاحر ( مستوطنة ) الى الشرق من رام الله ·

٥ ـ **يتير** : بالقرب من قرية عيتر العربية في منطقة الظاهرية في جبال الخليل ·

٦ ـ **مي عامي « ب »** : تقع بالقرب من قرية يعبد العربية ، ويطلق عليها ايضا اسم ناحال ريحان ، ومن المقرر ان تصبح مستوطنة مدنية بعد نصف عام ·

**المشاريع الاستيطانية المستقبلية** : الى جانب خلق الوقائع الجديدة وفرضها على الاراضي العربية المحتلة ، تكاثر الحديث ونشط حول الخرائط الاستيطانية المستقبلية سواء منها قصيرة الاجل او بعيدة الاجل · ومن الملاحظ في هذه الخرائط ان لا خلاف في التصور العام لاصحابها المنتمين الى الليكود واولئك المنتمين الى حزب العمل · كما وانها الى جانب ما تستهدفه من ترسيخ للاحتلال الاسرائيلي ، فانها تسعى الى جعل التجمعات السكانية العربية بمثابة جيوب محاطة باحكام بشبكة من المستوطنات الاسرائيلية ، تمهيدا لابتلاع هذه الجيوب في المدى البعيد · وهذه المشاريع هي :

١ ـ مشروع الـ ٤ سنوات ( ١٩٧٧ ـ ١٩٨١ ) : يعتمد على اقامة ٢٧ مستوطنة جديدة ، ١٧ منها ستقام او سيشرع في العمل لاقامتها خلال هذا العام وتتوزع على جميع المناطق المحتلة بحيث يقام في هضبة الجولان ٦ مستوطنات والضفة الغربية ٩ مستوطنات وقطاع غزة وشمال سيناء وخليج العقبة ١٠ مستوطنات · وهذا المشروع هو جزء من مشروع الى ١٥ عاما·

٢ ـ مشروع الـ ١٥ عاما ( ١٩٧٧ ـ ١٩٩٢ ) : يعتمد على اقامة ١٨٦ مستوطنة من بينها ١٣٧ داخل اسرائيل و٣٩ داخل المناطق المحتلة · وتتوزع على المناطق على الشكل التالي : ٢٠ مستوطنة في مشارف رفح وقطاع غزة و١٠ مستوطنات في هضبة الجولان ، ١٥ مستوطنة في الضفة الغربية و٤ مستوطنات على شاطىء خليج العقبة ·

٣ـ مشروع رعنان فايتس : اماط رعنان فايتس اللثام عن مشروع طويل الاجل يشمل اسرائيل والمناطق المحتلة ، ويعتمد على تهويد الجليل والنقب بالاضافة الى استيطان المناطق المحتلة · ويقسم الى ثلاثة اجزاء ·

١ ـ المشروع الشمالي ، ويغطي منطقة الجليل ، وستقام بموجبه ٥٠ مستوطنة

قروية تضم ١٢ الف عائلة اي قرابة ٥٥ الف نسمة ، ستعمل في مجال الانتاج الزراعي المعد للتصدير وفي الخدمات ·

ب ـ المشروع الجنوبي ، ويغطي منطقة النقب الغربي الجنوبي وشمال سيناء واجزاء من قطاع غزة ، وستقام بموجبه حوالي ١٢٠ مستوطنة تضم عشرين الف عائلة ( حوالي ١٥٠ الف نسمة ) · ومن شأن هذا المشروع عزل قطاع غزة عن الاراضي المصرية ، وجعله جيبا عربيا وسط سوار من الاستيطان الاسرائيلي ·

ج ـ الاستيطان على امتداد الخط الواقع بين جبل الشيخ شمالا وحتى شرم الشيخ جنوبيا ، حيث تقام ٥٣ مستوطنة ·

وقال رعنان فايتس ، وهو عضو في حزب العمل وفي اللجنة المسؤولة عن الاستيطان ـ ان « جميع الخطط السابقة واللاحقة كذلك هي انعكاس لوجهات النظر السياسية تجاه شكل دولة اسرائيل وحدودها · وفي خطتي هذه لا يوجد خط اخضر ، وهي تضم اجزاء من يهودا والسامرة والجولان وسيناء ، ولكن ليس كلها · انني اعارض اقامة مستوطنات يهودية داخل مناطق مكتظة بالسكان العرب ··· انني اقف الى جانب الاستيطان المترابط على امتداد الخط الشرقي من الجولان وحتى ايلات · ويكون هذا الخط جزءاً لا يتجزأ من دولة اسرائيل اليهودية· واذا ما اصبح هذا الخط وفق برنامجنا يهوديا ، فانه سيعزز امن اسرائيل من الشرق ، ويضمن بقاء السكان في يهودا والسامرة بدون سلاح ، ولا يتعرض امن وسلامة اسرائيل للخطر ··· »

**مشروع فوخمان** : تبنى مؤخرا شارون في تصريحاته القائلة باقامة «عمود فقري» من المستوطنات على امتداد نهر الاردن تتسع خلال فترة العشرين سنة القادمة قرابة مليوني يهودي ، تبنى مشروعا كان قد قدمه البروفيسور ابراهام فوخمان من معهد الهندسة التطبيقية في حيفا ، ويعرف مشروعه باسم « العمود الفقري المزدوج » اي ان اسرائيل وفق مشروعه خلال العشرين سنة القادمة ، ستكون بمثابة جسر يتشكل من « عمودين فقريين » الاول وهو القائم الان على امتداد السهل الساحلي والاخر الذي سيقام على امتداد نهر الاردن ووسط هذين « العمودين » تجد الضفة الغربية نفسها كجيب عربي محاط بالمستوطنات الاسرائيلية التي ستضم وفق تقديراته ما بين ٧ ـ ٩ ملايين مستوطن يهودي ·

ومن الجدير بالذكر ان صاحب هذا المشروع البروفيسور فوخمان الذي ابرزته الصحافة الاسرائيلية كرائد في الفكر الاستيطاني ، اضطرت مؤخرا الى ابرازه بشكل اخر ، فقد تحدثت عن فضائحه المالية ومثوله امام المحاكم الاسرائيلية ! ـ راجع حول الاستيطان ـ شؤون فلسطينية عدد ٧١ ـ

## شركة هيمنوتا الاسرائيلية تحتكر الاراضي

اصدرت سلطات الاحتلال عند اواسط شهر ايلول الماضي امرا خاصا يحظر بمقتضاه على التجار والافراد اليهود استملاك اراضي في الضفة الغربية · واصبحت شركة هيمنوتا ـ وهي شركة فرعية تابعة للكيرن كييمت ـ هي الهيئة الاسرائيلية الوحيدة التي يحق لها وفق هذا الامر استملاك الاراضي في المناطق المحتلة ، مباشرة من اصحابها العرب ·

ومن الجدير بالذكر ان الهيئات الرسمية الاسرائيلية لم تقم حتى صدور القرار

الاخير بشراء الاراضي في المناطق المحتلة واستملاكها بشكل مباشر من اصحابها العرب ، بل عمدت الى توسيط تجار يهود في صفقات بيع الاراضي ، ومن ثم قام هؤلاء ببيعها ثانية الى شركة هيمنوتا الاسرائيلية ، التي تمكنت بواسطة هذه الطريقة خلال الاعوام العشرة الماضية من استملاك قرابة ٧٠ الف دونم في الضفة الغربية، واقيم على البعض منها مستوطنات اسرائيلية ومشاريع اخرى ٠

ويعود السبب في صدور هذا الامر الذي وقف وراءه وزير الزراعة ارئيل شارون وادارة اراضي اسرائيل ، الى الرغبة في تسهيل وتسريع استملاك مزيد من الاراضي العربية ، خاصة بعد ان تكاثرت صفقات البيع المشبوهة المطروحة امام المحاكم ، واصبح هم التجار اليهود والوسطاء الموكلة اليهم مهمة « انقاذ الارض » كسب القضايا في المحاكم ، وكسب اكبر قدر من المال في تلك الصفقات ، الامر الذي اعتبرته سلطات الاحتلال منافيا لمبدأ « انقاذ الارض » التي نمته وطورته الحركة الصهيونية منذ بدء غزوها للاراضي الفلسطينية ٠

وقد كشفت المصادر الاسرائيلية ( انظر معاريف ١٩ـ٩ـ٧٧) عن اعمال غش وتهديد وعنف في معظم الاماكن التي تتم فيها صفقة بيع للاراضي ، يقوم باعمال الغش عرب ويهود على حد سواء ، وبالتهديد سماسرة يهود ، وباعمال العنف وطنيون فلسطينيون حيث قاموا اكثر من مرة باطلاق النار على اشخاص عرب وقفوا وراء عملية بيع ارض ٠ وكان من نتيجة ذلك ان ظهرت جملة من القضايا طرحت امام المحاكم الاسرائيلية ناجمة عن صفقات الاراضي تدور كلها حول التزوير ، كأن يقوم شخص عربي ببيع قطعة ارض ليست له من خلال تزوير وثائق واختام ، ويحدث في بعض الاحيان ان تباع قطعة الارض مرتين ، واحيانا اخرى تباع قطعة ارض غير موجودة البتة ، ويساعد اعمال التزوير تلك عدم تسجيل كثير من الاراضي في الطابو ، وحول التهديد ، حيث يقوم بعض التجار الوسطاء اليهود بارغام صاحب الارض العربي على بيع قطعة الارض بثمن زهيد ٠

وكان من نتيجة كثرة الشكاوى ، وخوفا من تعثر عملية « انقاذ الارض » اي نهب الاراضي العربية ، نتيجة طمع التجار اليهود ، وخوف الباعة العرب من كشف اسمائهم في المحاكم خاصة كونهم يواجهون خطر الموت في حال افتضاح امرهم ، ان اقدمت السلطات الاسرائيلية على اقتصار شراء الاراضي واستملاكها على شركة هيمنوتا التابعة للكيرن كييمت ، لتقوم بالاتصال بضعاف النفوس من اصحاب الاراضي العرب بغرض استكمال مهمة « انقاذ الارض » ٠

## الدعوة لاقامة جامعة فلسطينية في القدس

للمرة الاولى منذ عشر سنوات ونيف على الاحتلال ، تعززت فكرة اقامة جامعة فلسطينية عربية في الضفة الغربيةواصبحت مطلبا وطنيا ٠ فقد حظيت بموافقة ودعم رؤساء البلديات ورجال التعليم والهيئات الوطنية في المناطق المحتلة ٠ حيث عقد هؤلاء اجتماعا في الثامن عشر من ايلول الماضي في بيت حنينا في القدس ، ومن بينالشخصيات التي حضرته والتي وصفتها وسائل الاعلام الاسرائيلية بأنها « معروفة بتعاطفها مع م٠ت٠ف » رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة ورئيس بلدية رام الله كريم خلف ورئيس بلدية الخليل فهد قواسمه والدكتور عبد الشافي من غزة ٠ وتدارس المجتمعون فكرة اقامة الجامعة وخرجوا بقرارات اهمها (١) دعم المؤسسات العلمية فوق الثانوية القائمة (٢) تشكيل لجنة مقلصة لدراسة اوضاع التعليم في المناطق

المحتلة بشكل معمق وجذري ودراسة اقامة الجامعة الفلسطينية (٣) الامتناع عن تلقي مساعدات من اية جهة اسرائيلية سواء بالنسبة لاقامة الجامعة العربية في القدس او بالنسبة لدعم المعاهد القائمة في الضفة الغربية ·

ومن الجدير بالذكر ان فكرة اقامة جامعة فلسطينية في المناطق المحتلة هي وليدة الواقع الصعب الذي يواجهه سنويا خريجو المدارس الثانوية حيث يجد هؤلاء انفسهم امام امرين : اما الالتحاق بالمعاهد الجامعية الاسرائيلية ، وهنا يصطدمون بعاملين ، الاول عامل اللغة والثاني العامل القومي ، او الالتحاق بجامعات الدول العربية ، وهنا يصطدمون بالمقاعد المحدودة العدد المخصصة للطلبة من المناطق المحتلة ومع مرور الزمن على الاحتلال اخذت مشكلة الخريجين الثانويين تتفاقم بشكل اشد ، ومع ان حل هذه القضية يكمن في اقامة جامعة عربية في الضفة الغربية ، الا ان هذا الحل اصطدم في المواقف المتباينة للاطراف الثلاث ذات العلاقة بالموضوع : اسرائيل والاردن والمقاومة الفلسطينية · ففي عام ١٩٧٢ طرحت فكرة اقامة الجامعة، ودار حديث كبير حولها · وتنازع الموقف الاسرائيلي وجهتا نظر ، الاولى ترفض الفكرة ويتزعمها وزير الدفاع حينذاك موشيه ديان باعتبار ان الجامعة هي بؤرة للنضال الوطني ، والثانية تؤيد الفكرة ويتزعمها يجال الون وزير الخارجية في ذلك الوقت ، باعتبار انها تضفي نوعا من الليبرالية على الاحتلال الاسرائيلي · اما الطرف الاردني فقد عارض في ذلك الوقت اقامة جامعة في الضفة الغربية تمشيا مع سياسته في اقامة المؤسسات الرئيسية في الضفة الشرقية · اما المقاومة الفلسطينية فقد تنازعتها هي الاخرى وجهتا نظر ، الاولى تؤيد اقامة الجامعة والاخرى تعارض !! وفيما يتعلق بالزعامة التقليدية في الضفة فقد كانت منقسمة على نفسها ، قسم يؤيد الاردن والاخر يؤيد اسرائيل وبالتالي فان موقفها كان يدور ضمن اطار الموقفين الاسرائيلي والاردني ·

وبين المعارضة والتأييد للفكرة ، ازداد تفاقم مشكلة الخريجين الثانويين ، الا انها وجدت حلولا تخديرية على شكل اقامة مؤسسات ومعاهد علمية فوق ثانوية ارتقى بعضها الى مرتبة الجامعة · ففي مدينة الخليل اقيم معهد ديني ، وفي بيت لحم اقيم معهد للدراسات العليا قبل حوالي خمس سنوات يضم قرابة ١٢٠٠ طالب ، وفي بير زيت تطورت الكلية هناك واصبحت جامعة بوسعها استيعاب قرابة الفي طالب ويتشكل طاقم التدريب الان من ٨٤ استاذا ، ويدرس بها موضوعات اللغة العربية واللغة الانجليزية ، وعلم الاجتماع وادارة الاعمال والاقتصاد وعلم الاثار وتاريخ الشرق الاوسط والفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلم الاحياء والكيمياء الحيوية · وفي نابلس تسعى كلية النجاح لتطوير نفسها ولتصبح معهدا جامعا ·

الا ان هذه المعاهد شبه الجامعية ليس بوسعها حل قضية الخريجين الثانويين الذين يبلغ عددهم هذا العام قرابة ١٦ الف خريج ، وبالتالي بقيت القضية بدون حل ··

ومن الجدير بالذكر ان الموقف الفلسطيني رسى في اخر المطاف على وجهة نظر واحدة موحدة تؤيد فكرة اقامة الجامعة فوق الاراضي الفلسطينية ، فقد اصدر المؤتمر الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة في القاهرة توصية بالعمل لاقامة جامعة فلسطينية في مدينة القدس ورصد الاموال اللازمة لهذا المشروع ، وقد تم بالفعل رصد مبلغ ١٢ مليون دولار خصصت لانجاز المرحلة

الاولى من اقامة الجامعة · وبناء علـــى توصية المؤتمر الوطني الفلسطيني عقــد الاجتماع التأسيسي في بيت حنينا فـــي القدس ·

وفيما يتعلق بالموقف الاسرائيلي ، فقد التزم المسؤولون الاسرائيليون الصمـــت حتى الان تجاه الموضوع ، ولكن اذا مـــا اخذنا بعين الاعتبار وجهة النظر التـــي تزعمها ديان في السابق وسياسة الليكود المتشددة تجاه العرب ، فانه يمكن القــول بان الموقف الاسرائيلي اقرب الـــى رفض الفكرة منه الى قبولها ·

**عبد الحفيظ محارب**

الياس خوري

# حين تكتمل الدائرة

١ -

دائما تحدث الاشياء على هامش الاشياء · المؤتمر الحادي عشر للادباء العرب ، عقد على هامش المؤتمر · ولم تكن الديمقراطية غائبة · لكنها كانت تحاول ان تتسلق من الهامش ، فتصطدم في النهاية بواقع لا يمكن حذفه بسهولة · الطائرات القادمة الى طرابلس تطرح الاسئلة · منذ اللحظة الاولى احاط الغموض الشديد بالمؤتمر · وفي النهاية لم تسقط الطائرة وعقد المؤتمر · وجاء الامين العام القديم الجديد وهو يحمل الورقة نفسها · وانتهت المسألة في *الكواليس* · وفي ملتقى *القصة* ، طرح السؤال عن القصة الحقيقية · قصة الذي جرى في اللحظة الاخيرة ولم يعرف به احد · وكان الجواب من النوع القصصي · سبعة اصوات ليوسف السباعي وسبعة اصوات لشفيق الكمالي · ثم في دورة الاقتراع الثانية فاز السباعي بفارق صوت واحد · اخذ الامانة العامة معه بالطائرة وسافر ، وترك المؤتمر للمؤتمر ·

ماذا لو تسقط الطائرة ؟

لكنها لم تسقط · نتوقف في المدرج · يأتي الموظف بلباسه الابيض ، ومعه الطبيب والحبوب الصفراء · عليك ان تبتلع اربع حبات دفعة واحدة · التيتراسيكلين يقتل الكوليرا · نبتلع الحبات · الجميع ضد الكوليرا · نهبط الى قاعة المؤتمر · نستمع الى محاضرات لا تحصى نقرأ عن كل شيء · لم يقدم اي بحث عن الكوليرا · محمد برادة رئيس اتحاد كتاب المغرب يشكر المحاضر على كلمته وحماسته · وتختلط الازمنة · حتى التصنيف الاكاديمي لم يعد ممكنا · من محمود المسعدي الى حسين مروة · ومن عبد الكريم برشيد الى محي الدين صبحي · ازمنة الثقافة العربية تتداخل ، والنقاشات تتداخل ، كاننا

في دوامة حقيقية ، او في فيلم لا نعرف اين ينتهي باعتباره بدأ قبل ان نولد · كل شيء يختلط بكل شيء · الشعر والنثر ، القصة والبحث ، الماركسية والسلفية · والجميع يحبون فلسطين لكنهم لم يعودوا يحبون الفلسطينيين !

كانت تظاهرة طرابلس الثقافية حشدا من الازمنة وحشدا من الاسئلة · قرارات جديدة · جيل جديد او ما يشبه الجيل الجديد · ادباء رسميون وادباء صعاليك وادباء ادباء · اصوات تختلط · لكن السؤال الدائم كان عن جنوب لبنان · نخرج من القاعة بعد مناقشة حامية ، نشرب القهوة ونسأل بلهفة عن الجنوب · كأن تشابك الازمنة المعقدة يصبح لحظة في حرب يخوضها الجميع ولا يريدها احد · معركة الشعر الحديث حسمت ، يعلن حسين مروة · وآخرون يرفضون قصيدة النثر ويشيرون الى الاصابع المشبوهة !·

الاسئلة تتوقف في المساء · وصل الامين العام · وفي النهاية تبقى المؤسسة · تنتصر بقوة الاستمرار او بقوة عدم القدرة على ايجاد البدائل او بقوة القدر ·

ما عدا النقاش الجدي حول بحث حسين مروة « المضمون في الشعر الحديث » ، ونقاش محاضرة المسعدي ، توقف النقاش ، ولم تطرح سوى التفاصيل · عشرات الابحاث المطبوعة داخل الحقيبة القرميدية الجميلة · الجميع يبحث عن الحقيبة · وكانت الحقيبة هي الفراغ الذي امتلأت به اروقة المؤتمر · رؤساء الاتحادات في ترقب وحذر ، والادباء صرفوا الكثير من الجهد من أجل الحقيبة · حقيبة كبيرة وحقيبة صغيرة · ولم يجد احد متسعا من الوقت ليتساءل كيف تتسع الحقيبة لكل هذا الحشد من الازمنة · وكيف يتسع الفكر العربي لكل هذا الفكر · وفي النهاية ، الجميع في المطار يحملون الحقيبة الجميلة ، يستقلون الطائرة · منهم من يذهب الى السجن فور وصوله ، ومنهم من ينتظر ، ومنهم من تعب من الانتظار ·

الصورة الغامضة تبقى غامضة لحظة اشتعالها بالضوء · ثم وعن بعد نكتشفُ ان هذه الصورة لا تختلف كثيرا عن الصورة السابقة · هناك اختلاف واحد هو زاوية الرؤية · وحول الزاوية يدور الصراع الحقيقي · وكانت الزوايا في فندق « الشاطىء » تمتلىء بالنقاشات والافكار · وكان حجم قاعة اجتماعات المؤتمر لا يستطيع ان يوفر اكثر من اطار شكلي ·

لماذا يبقى الاطار القديم ؟ المؤتمر يوصي والمكتب الدائم يتخذ المقررات · لكن الموضوعات التي طرحت على اتساعها ، لم تستطع ان توفر ارضا للنقاش · فالنقاش الحقيقي يحتاج الى لقاءات وندوات متخصصة · حيث يستطيع الباحث ان يستمع ويناقش باحثين آخرين · وحيث تبلور النقاشات وجهات محددة · اما حين تبقى المسائل الفكرية والادبية التي يعقد المؤتمر في

ظل ابحاثها هي الهامش ، فان هذا يخلط الاوراق ، ويساهم في الايهام بـأن الثقافة العربية قد غرقت في البلبلة ، ولم يعد من الممكن اكتشاف لغة جديدة ، بعد ان استطاعت القوى المهيمنة ان تفرغ اللغة من دلالاتها ·

لم يجر التوقف عند الابحاث بشكل جدي رغم استثناءات قليلة · ولم يكـن مهرجان الشعر مهرجانا للشعر · ولم يجر اعداد حقيقي وجدي لندوة القصة · وبقيت المسألة الاساسية ، في كون هذه الارض التي يلتقي عليها الادباء العرب ، لم تقدم لهم اكثر من مجال لقاء هامشي وتعارف شخصي ، وهذا هام جدا · لكنها لم تسمح لاكثر من هذا بالتبلور · وحين طرحت الديمقراطية كممارسة ، طرحت امكانية خلخلة المؤسسة الاتحادية بشكل جدي · لكنها كامكانية ، تتعدى اتحاد الادباء العرب نفسه ، وربما تتعدى المسألة الثقافية ·

٢ ـ

في اللجنة الفرعية حول حرية الاديب العربي ، اتفق الجميع على مقولـــة صحيحة : حرية الاديب هي جزء لا يتجزأ من حرية المجتمع · واكتشف الجميع ان حرية الكتاب ترتبط بحرية الرأي وحرية المعارضة · ولم يعترض احد عـلى ضرورة الربط بين الحريتين · ولم ينس احد ان هذا الربط قد يعني ربطا بين عبوديتين · ففي مجتمع تستلب فيه حرية الانسان كل يوم ، وتصادر الكلمات كما يصادر الفقراء ، تبدأ حرية من نوع آخر · هي حرية الابداع خارج كـل سلطة وكل تسلط · حرية الثورة خارج كل اجهاض للثورة بأسماء تشبهها ·

حين تكون الدائرة سجنا ، لا يكون في داخلها ســوى اثنيـن : السـجان والسجين · وبين السجان والسجين تنمو لغة مشتركة ، او ينمو اضطهاد يصل الى حد سرقة كل شيء · ابتداء من الطعام الذي يجلب للسجين من الخارج ، وصولا الى كلمات السجين نفسها · خاصة اذا كان السجان سجينا سابقا ، او اذا اتقن اللعبة ، بعد ان استطاعت الهزائم المتتالية وخيبات الامل ان تعلن الخوف قائدا لمرحلة كاملة · وهكذا استطاعت اللغة السلفية ان تسرق المصطلح اليساري ببساطة متناهية · فأصبح ما يميز السجين عن السجان هو شـيء آخر غير اللغة التي اختلطت · او هو لغة اخرى يحاول السجين ان يكتشفها بعد ان تعلم وبتضحيات لا تحصى معنى هذا الذي يجـري عـلى المســتوى الايديولوجي والثقافي ·

ماذا تعني حرية الاديب ؟

انها تعني اشياء بالغة البساطة · اشياء لا تحتاج الى صفات · انها تعنـي حرية ان تبدع · حرية ان لا تكـون عبدا للبترو دولار الـذي يمـلأ الاوراق

بألوانه · هكذا ، وببساطة ان لا تكون جزءا من السلطة او بوقا للسلطة او سلطة في السلطة · ما عدا ذلك ، تصبح الكتابة هي المقياس · طبعا لا بد من اضافة كلمات مثل المسؤولية الاجتماعية والانتماء والخ · لكن هذه الكلمات فقدت معناها ، عندما تصبح السياسة الراهنة السائدة ، وبمعناها المحدد اي ممارسة السلطة هي التي تقرر وتقيم وتكرس · هنا لا تبقى سوى حرية الجنون وانفصام الشخصية والموت ·

لا يوجد ابداع ادبي خارج ابداع فكري شامل · هذا صحيح · لكن المستويات لا تسير بشكل متساو · لذلك يستطيع الادب ان يسبق الفكر الى اعلان الازمة ، لكنه لا يستطيع حلها · هذه هي المسألة الجوهرية التي تمتد على مساحة ازمة الحرية · هناك شعراء في السجون · سجنوا ليس لانهم شعراء ، ليس لانهم كتبوا قصيدة · لكنهم لن يكونوا حقيقيين في شرطهم الملموس اذا لم يدخلوا السجن من اجل ان يعلنوا نهاية مرحلة كاملة · ليست المسألة هي حرية الكتابة وحرية النشر · رغم ان هذه الحرية بالغة الاهمية في زمن الاختناق هذا · انها حرية ايلوار التي كتبها على ايقاع رصاص مقاومة النازي ، او حرية نيرودا وهو يموت ، او حرية الذين سقطوا والدم هالات فوق رؤوسهم في الحرب الاهلية الوطنية · المسألة ليست في المطالبة بحرية النشر والتنفس · انها اولا واساسا ، مسألة اخراس اصوات المبشرين بالحرية وهم اكثر اعدائها شراسة · هؤلاء الذين عرفتهم بيروت كتاب مراث لحرية الكوميسيون ، ولم يفتحوا فمهم من اجل حرية الرأي وحرية الحياة ، حين كان القمع يغطي البحر بالسفن الاسرائيلية التي تحاصر مدينة قررت ان تكون · هذا هو جوهر المسألة · فالحرية التي يغتصبها القتلة واللصوص لا تطلب دفاعا مبدئيا عن وجودها · تعلن ان على المغتصبين كشف اقنعتهم · وعندها يستطيع الذين يعرفون معنى الحرية والحب ان يصنعوا الحرية والحب ·

ماذا يستطيع اتحاد الادباء العرب ان يفعل من اجل حرية الاديب وحرية المجتمع ؟·

السؤال يطرح اسئلة ·ماذا تستطيع حرية الادباء ان تفعل في هذا الاتحاد ؟ وبين السؤالين ركام من القرارات ، استطاع مؤتمر طرابلس ان يتقدم خطوة الى الامام في معالجتها ، وهي طرحه لتعديلات على النظام الداخلي ، تحمل في داخلها امكانية فتح باب اوسع للديمقراطية الداخلية في الاتحاد نفسه ·

وحين قررت لجنة حرية الاديب في احدى توصياتها ، اصدار بيان تفصيلي بأسماء الادباء المعتقلين والجهات التي تعتقلهم وتسميتها ، كان السؤال : اين سينشر هذا البيان ؟ ومن سينشره ؟ يبدو وكأن الحرية قد اصيبت بالعجز · او ان مسألة الكتابة نفسها صارت بحاجة الى فهم جديد واسلوبية جديدة ولغة جديدة ·

لكن الحرية لا تنتظر المؤسسات الرسمية او شبه الرسمية · تستطيع الحرية ان تقول خارج كل اطار ، ثم ترسم بنفسها اطرها الجديدة دائما ·

لكن استباحة حرية الرأي تبقى الظاهرة الاوسع في هذا الوطن المليء بالظاهرات · فلقد استبيحت الحرية الى درجة الهزائم الوطنية الشاملة · وها هي الهزائم تمسك براية الفكر التقليدي لتضرب آخر اللحظات الباقية من فتات المائدة الديمقراطية · ولا تكتمل المذبحة الا حين يكتمل الموت · ولا يبدأ الجديد الا بعد ان يكسر دائرة القديم ·

٣ ـ

في قصيدته المهداة الى صدقي اسماعيل ، كان سليمان العيسى هو نفسه · وحده بين الشعراء الذين اعتلوا المنبر كان واثقا من ماضيه وواثقا من احزانه · ففجر داخل القاعة كل هذا الحزن الذي لا يمسك به سوى الفرسان الذين جرحتهم الهزائم · كان سليمان العيسى في قصيدته العمودية كل الذكريات وكان يوحد القاعة كما لم توحد · ويعلن نهاية زمن شعري وثقافي بجرأة لا يوازيها سوى الحزن الحقيقي ·

ارتفعت اصوات الادب القطري · وتقدم الشعراء ممثلين لاقطارهم · وفي الصالة المطفأة ، حيث كان المسرح وحده مضاء على د· احسان عباس رئيس الجلسة ، كانت ازمة ملتقى الشعر تظهر على وجهه · وضحكاته وتعليقاته الطريفة · ولم يكن الشعر غائبا · كان الشعراء قوافل من الكلمات والازمنة · من احمد دحبور الى الشعر العمودي · ومن غسان زقطان الى فؤاد الخشن ومحمد علي شمس الدين ومريد البرغوثي ومحمد الفيتوري والاخرين ·

وحين أمسك حسين مروه في بحثه « المضمون في الشعر الحديث » بنقطة الانفصام ، كشف عن المسألة الجوهرية في حركة الشعر الحديث دون ان يمسك باسمائها · حسين مروة يصف الازمة بالازمة المضمونية ، ويسميها انفصاما وعزلة داخلية · ويرثي المرحلة الماضية : الخمسينات واوئل الستينات ، ويرى ملامح جديدة وانزواء ولغة ذاتية ·

كانت المناقشة واسعة وبالغة الغنى · لكن المسألة التي يراها حسين مروة ويعبر عنها بلغة النقد الواقعي التي يتقن اصولها ، مشددا على « العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون » ، تثير اكثر من سؤال وتؤشر الى احتمالات قادمة ·

ـ ما هو المعنى الحقيقي لتقسيم الشعر الى شعر الخمسينات والستينات والسبعينات · وهل هناك انعطافات شعرية داخل هذا التراتب الزمني ؟ أم ان

الشعر يؤرخ لنفسه من الداخل ؟ ما معنى « الانفجار » الحديث والتحول نحو الحداثة في بداية الخمسينات مع القصيدة الجديدة ؟ وكيف نؤرخ لمسار تطور هذه القصيدة ؟

– كيف يدرس النقد هذا الشعر ؟ وهل صحيح ان الحركة النقدية متخلفة عن دراسة تطور الشعر العربي الحديث ؟

– ما معنى علاقة الشعر العربي بالفكر العربي ؟

هذه هي بعض الاسئلة التي اثيرت او التي يمكن اثارتها · لكن الجواب الاساسي الذي قدم ، هو انه على الرغم من كل شيء ، توجد حركة شعرية عربية · اي ان التقسيم « الاقليمي » الذي تحاول الردات الانفصالية تكريسه في الثقافة ، بعد ان اوهمت نفسها انها كرسته في الواقع ، يسقط عند اول نقاش جدي للمسألة الثقافية العربية · وان ازمنة الثقافة العربية المتداخلة ، تتقاطع في زمن التغيير · والتغيير على مستوى الحركة الثقافية هو تغيير تتداخل عناصره وتتوحد وتنقسم على ارض ثقافية واحدة ·

لكن المسألة الاساسية في الادب العربي المعاصر، هي كون الشعر هو العلامة الاولى والمؤشر الاساسي لحركة ثقافية كاملة · انه ليس الاكثر تقدما ربما ، لكنه المختبر الاساسي للجديد في الثقافة العربية المعاصرة · وهذا يعود الى عوامل متعددة ، ربما كان اهمها عاملان :

– كون الشعر هو التراث الادبي التاريخي العربي بامتياز · وكون المعركة الاساسية التي تدور داخل الوضعية الثقافية العربية المعاصرة هي معركة اللغة ، اداة الابداع والاتصال· فعلى ارض اللغة الجديدة ، خرجت الصراعات التي تلخص زمنا جديدا يحاوله الزمن العربي · فاختراق عمود الشعر – النموذج – هو ايصال لمعركة قديمة حول اللغة والتعبير ، بدأت تتبلور مع جبران ، الى مرحلة بالغة التقدم · من أجل ذلك ، اتخذ الصراع حول الشعر هذا الحجم الكبير · انه صراع يدور اساسا حول اساس التجربة الابداعية العربية ·

– اما تراجع الحركة النقدية عن مركزها القيادي الذي احتلته مع طه حسين والعقاد · فهو يعود اساسا الى تراجع المرحلة الليبرالية المصرية وانهيارها ، مع انهيار « الاستقلال السياسي » الذي اثبت عجزه عن مواجهة التحدي الوطني · ان انهيار الحركة الليبرالية المبكر ، وانتقال مركز الثقافة العربية الى بيروت ، هو علامة على انهيار الليبرالية العربية · فبيروت لم تقدم ليبرالية حقيقية · قدمت جو صراع واطار توازن لقوى غير ليبرالية في الاساس· بيروت كانت توازنا ارهابيا · لذلك ، لم تستطع الثقافة العربية في مركزها الجديد استكمال المرحلة الليبرالية ودفعها الى الامام · ولذلك ايضا ، اصبح

النقد الادبي العربي نقدا للادب وليس حركة ثقافية لها شموليتها السابقة . تحاكم الادب وتحاكم الواقع وتنتج حركة فكرية . لكن تراجع الفكر لم يعن غياب النقد ، بل كان يعني تصدر الشعر بجميع تياراته ونزعاته للواجهة الثقافية . ومحاولة النقد الالتفاف على نقد الواقع بنقد النصوص . فقدمت الحركة الجديدة النقد الذي تستطيعه . جبرا ابراهيم جبرا ، خالدة سعيد ، د. احسان عباس ، عز الدين اسماعيل ، رجاء النقاش ، غالي شكري ..

الشعر في الشرط الموضوعي الذي يعيشه الفكر العربي هو مؤشر لواقع الحركة الثقافية العربية . لذلك انعكست اثاره في القصة والرواية ، حيث نلمس اليوم تحولا حقيقيا وحركة ادبية تحاول ان تتوحد في لحظة التجربة الابداعية نفسها .

لكن المسألة الاساسية تبقى في هذا التحول الشعري ، او هذا الارتجاج والانعطاف في بنية القصيدة . وجع ولادة شيء جديد او موت حالة قديمة .

لم تستكمل المرحلة القومية البرجوازية نفسها الا ارهابا واخراسا لجميع الاصوات ، وتفتتا اجتماعيا هائلا . فاللحظة التاريخية العربية الراهنة ، هي اكثر اللحظات تأزما . انها تشبه اللحظة التي اعقبت حرب ١٩٤٨ . لكنها في المقابل استنفدت قدرة البرجوازية وحلفائها على التحرك . لقد بدأت الاوراق تتساقط . وهزيمة حزيران لم تنته في حرب تشرين او في الحروب القادمة . لقد بدأت مرحلة جديدة كليا . انها مرحلة الانشطار الحقيقي داخل الوطن العربي . مرحلة الصدامات الطبقية الحادة ، مرحلة الحروب والحروب الاهلية .

اللغة التي ترفض العالم القديم وهي تبحث عن مصالحة معه ، اصبحت لغة غير قادرة على اعادة انتاج نفسها . وفي ظل شبه الغياب القسري للحركة الثقافية ، تصبح اللغة الجديدة هي محاولة تمرد على الاشكالية التي في النص الادبي . الثوابت التي تتكرر محدثة رنين الذاكرة ورخاوة الذاكرة ومتعة الذاكرة . هذه الذاكرة التي تتعدد في ثوابت ، هي تعبير عن مصالحة ما ، او عن سعي الى مصالحة ، او محاولة لرسم الافق بعناصر الحاضر المهيمنة . لكن الحاضر يكشف . في كشفه عن تناقضاته ، ضرورة تجاوزه جذريا . هذه اللغة الجذرية او التوجه الجذري هو اساسا توجه هدام . ان مرحلة البناء التي حاولها الشعر . الحضاري ، او الشعر « التموزي » قد انتهت الى الابد . حتى المدهش الغريب بدا يرتسم في افق من التكرار المجاني . ولم يعد امام اللغة الشعرية سوى نبرة التجربة والنفي والتدمير .

لا يستطيع الشعر ان يأخذ مكان الفكر . يستطيع فقط ، في زمن يموت وزمن جديد يولد ، ان يميت نفسه . يهدم أدواته ، يعري لعبته . يكشف كل شيء

من أجل ان يستطيع قول شيء جديد · فمع تبلور زمن الهزائم ، يتبلور زمن الحروب · والحروب تعني عدم امكانية المصالحة · هذا هو التحدي الـــذي يصنعه الشعر · والذي يكشف به ، لا عن ازمة الحركة الفكرية فقط ، بل عن افقها ولغتها ، ارتباطا بلغة جديدة يصوغها زمن الحروب الاهلية والصراعـات الوطنية الطبقية المكشوفة القادم ·

لقد حسمت معركة الشعر الحديث · هذا صحيح نظريا · لكن المسألة ، هي ان هذه الاهتزازات التي احدثت داخل البنية اللغوية وداخل الحساسية العربية يجب ان تلتقي بمستقبلها · ومستقبلها هو المزيد من التوغل في البحث والمزيد من التوغل في أفق الثورة · هنا فقط ،لا تحسم معركة الشعر او القصة · بل تحسم معركة الحرية التي تنتج فكرا وشعرا وقصة ·

على هذا الاساس ، ومن هذا المنطلق ، يجب ان نقرأ القصيدة · لنكتشف ان الذاتي هو مؤشر موضوعي ، وان ازمة نمو القصيدة العربية ومخاضها الجديد هي مؤشر لمخاض اخر ·

ـ ٤ ـ

في النقاشات القليلة ، برزت نقطة محورية ، حين اثيرت اشكالية العلاقة بين الفكر السلفي والفكر التقدمي : وحين حاولت بعض المداخلات الدعوة الى قطيعة حقيقية مع سياسة اللعب على حبال مزج الماضي بالمستقبل ·

هكذا ، انكشف فجأة ان اللغة قد فقدت · فالزمن الراهن الذي لم يعد يستطيع الامتداد الى المستقبل يحاول ان يسرق لغة المستقبل ويفرغها من مضامينها · في هذا الانحدار اللغوي حيث يلعب السائد أخر اوراقه ، نكتشف ان اخـر الاوراق هي محاولة سحق حلم التغيير بأوهام التغيير · سحق الفكر العلمي بسرقة نتائجه وتشويهها واللعب بلغتها · هنا ، لا يعود القمع فكرة او مضمونا داخل النص ، بل يصبح القمع هو تحويل الواقع بأسره الى سجن والكلمـات الى سجـان ·

الخروج من اللحظة المهيمنة ، هو اكتشاف ادوات تدميرها : النقد المنهجي الذي لا يتوقف او يتراجع امام الاعتبارات الانية · فالمساومة التكتيكية تصبح في المستوى الايديولوجي مساومة تاريخية كاملة وسقوطا في الماضي · ولغـة المستقبل هي لغة اخرى ، لغة جديدة وليست نظيفة ، لغة التغيير اي لغـــة الثـــورة ·

لقد ظهر ما يشبه الانقسام داخل جلسات النقاش القليلة · لكنه لم يكن انقساما بين أجيال • كان انقساما من نوع اخر · انه انقسام بين الخيارات ،

انقسام بين اللغات التي تستخدم · وفي هذا الانقسام وحده ، الذي يجب ان يتعمق ويزداد حدة ، يولد الجديد ·

ليست الحضارة العربية في مأزق · انها البرجوازيات في المنحدر · لكن الثورة تبحث عن بداياتها الجديدة · هل هذا مأزق ام مؤشر للخروج من المأزق ؟ وهل يمكن ان يولد الجديد العربي اذا لم يخرج من لغة الهاوية ؟·

المسألة ليست مشكلة ادبية · لكن الادب في هذه المرحلة ، حيث لا حرية تعبير حقيقية ، هو مؤشر الانفجار ·

ـ ٥

اكتملت الدائرة · لكنها هذه المرة لا تستطيع ان تتماسك · ففي داخلها تبدأ البراكين والاشكال الهندسية تخرج الى الضوء · وفي الضوء حرائق لا تحصى · وفي اللهب موت يتعدد حتى النهاية ·

في مهرجان الشعر وملتقى القصة انكشف الحقيقي · ( الادب الرسمي . الارتجال الخ ·· ) فالادباء والكتاب العرب سئموا الكواليس · وهذا الاتحاد رغم الاختلال الذي حدث في جدران دائرته ، لا يزال دائرة مغلقة ·

الخيار امام الاتحاد هو خيار واحد · انه الديمقراطية · فالكتاب والادباء العرب يستطيعون في ظل الفضيحة الشاملة التي يتورط فيها المهيمن ، ان يفضحوا ادوات المهيمن ولغته ورموزه · وان يعلنوا انتماء الى المستقبل · لكن لا يستطيع ان يكون هذه المرة ، نصف انتماء · فأنصاف الانتماءات انتهت مع انصاف الفكر وانصاف الممارسة الجذرية ·

لكن في الواقع ، لا يستطيع اي اتحاد رسمي او شبه رسمي ان يكسر الدائرة · فمنطق المساومة والتسوية والتراجع سوف ينتصر في النهاية ·

وتبقى حرية الاحتجاج ، وحرية الابداع · وفي الحريتين يتشقق الجدار الذي يحيط بالدائرة · وفي الحريتين ، لن يستطيع احد ان يبقى خارج اصداء الانهيار · وفي الحريتين ، نؤسس زمنا جديدا ، مليئا بالخيبات ومتورطا بالدم والموت والكتابة التي يرفضها الجميع · في هذا الزمن تعلو الحرية ·

يحي يخلف

# الدميــــة (قصـّـة)

قلت لها : اقضي النهار متنقلا ما بين مكاتب الفاكهاني وصبرا ، ومعسكر شاتيلا · وأجد وقتا اتصفح فيه الجرائد ذات المساحات البيضاء التي الفتها الرقابة · ازور مكتبة الطليعة ، واشرب فنجانا من القهوة في واحد من مقاهي المنطقة ، فأتمتع بمرأى العشاق من طلاب وطالبات الجامعة ، وارى عناصر الامن لمختلف التنظيمات وهم يتناقشون او اولئك الشبان الذين يتحدثون في الايديولوجيا ويمثلون حالة انتقالية ·

وايضا اشاهد ملصقات الشهداء ، وملصقات تل الزعتر ، وملصقات جديدة فوق ملصقات قديمة ·

ويضيق الشارع بالسيارات التي تصطف على الجانبين ·

هنا يفتتح محل لبيع الالبسة الجاهزة · وبانتظار الزبائن تقف البائعة الانيقة التي تملك شفتين مطليتين بلون الكرز ، تقف الى جانب الواجهة الزجاجية ، وتتأمل حركة الشارع ·

في المرة الاولى التي التقيت بها بنادية توقفنا امام هذه الواجهة · كانت نادية تلبس فستانا من الجينز الازرق اشترته بسعر مخفض ايام التنزيلات ·

. قالت البائعة : عندنا في الداخل موديلات حديثة ·

كنت احدق في تلك اللحظة بالدمية الانيقة ذات الملامح الآسرة التي وضعوها وراء الزجاج ·

قالت نادية : هل اعجبتك الدمية ( المانيكان ) ؟

قلت لها : انها تذكرني بتلك الدمية التي عشقتها في القدس ٠

وعندما كنا نمشي شرحت لها حكاية الدمية التي عشقتها في شارع صلاح الدين ٠٠ قريبا من السور القديم وباب الزاهرة عندما كنت طالبا في معهد المعلمين ٠

ـ لكن ذلك كان في القدس ٠

هززت رأسي لها ٠٠

ـ من القدس الى عمان ٠ ومن عمان الى دمشق ٠ ومن دمشق الى بيروت ٠٠ ومن بيروت الى الاعوام القادمة الصعبة ٠

ابتسمت وقالت معلقة :

ـ نسيت انك من جماعة الرفض ٠

كان ثمة نقاش بين سائقين صدم احدهما سيارة الآخر ، وبائع ينشر صحفه ومجلاته على الرصيف ولا يحفل بما يجري حوله ٠

وسيارة عسكرية مكشوفة تعبر الشارع وتحمل في صندوقها رشاش دوشكا مع طاقمه ٠

وراديو لندن من مكان ما يتحدث عن اشتباك حدث ما بين الردع والمنظمات ٠

ـ الا تخرج من هذا المربع ٠

وعندما قررت ان اجيبها ، غطى على صوتي ضجيج طائرة الميدل ايست الجمبو التي مرقت من فوق العمارات العالية وهي تستعد للهبوط في المطار ٠

وعندما ابتعدت الطائرة وغابت قالت :

ـ الطائرات اصبحت تمرق فوق المربع ٠ انهم لا يستطيعون دخول المخيمات فلا اقل من المرور في مجالها الجوي ٠

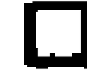
ثم كررت السؤال :

ـ الا تخرج من هذا المربع بين حين وأخر ؟

اجبتها : ـ اخرج احيانا الى كورنيش المزرعة او الى شارع الحمراء ٠ ولكنني لا احب المرور على الحواجز ٠

بعد ذلك بشهرين كانت نادية تقص شعرها على طريقة جان دارك ٠ كانت تبدو في بنطلون الكاوبوي والبلوزة نصف الكم مثل الصبيان ٠ وكنا نعيش معا ٠ في غرفة واحدة ٠٠ على الطابق السابع ٠ نصعد الدرج بسبب تعطل المصعد ٠ نلهث

ونتوقف ·· نصعد ، ونفتح الباب ، ونرتمي ونندمج معا ، ونغمض جفوننا في رفق ، مثلما الطيور ذات الاجنحة المتكسرة ·



بقيت ذلك الصباح اكتب واشرب الماء المثلج ، وامسح العرق ، واكوم امامي المحارم ، وادخن سجائر الجيتان ·

واحيانا ، اخرج الى الشرفة · نادية ذهبت الى عملها في مدرسة المخيم ولم تعد · كانت تفصلنا عن المخيم ثلاث عمارات فقط ·

وعندما عادت نادية ، كانت تصطحب معها امرأة عجوز ·

قالت نادية :

ـ ام محمود ·· قادمة من الارض المحتلة وتسأل عن ولدها المفقود ·

ثم اضافت :

ـ وستقيم عندنا بضعة أيام ·

كانت ملامح العجوز مطفأة ومثقلة بالتعب والارهاق ، فاقترحت عليها نادية ان تأوي الى الفراش · وبعد ان ذهبت قالت نادية بحنق :

ـ لماذا لم ترحب بها كما يجب ؟

ـ كنت مشغولا بالتفكير في موضوع التعميم ·

ازاحت الكرسي بحركة عصبية ، وقالت بغضب :

ـ ان ام محمود واحدة من الجماهير التي تتحدثون عنها في تعاميمكم ·

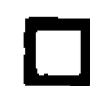
ثم اشعلت سيجارة وخرجت الى الشرفة ·

نادية مثل الحديد تسخن بسرعة وتبرد بسرعة · ولذلك بقيت صامتا الى ان اتت على السيجارة · فمازحتها : ـ تزاودين علي في حب الجماهير ؟

قالت : انك تغيظني ببرودة اعصابك احيانا ·

وانتهى الحوار بقبلة طويلة ·

ثم نزلنا الى الشارع لشراء ساندويشات ·



مرة اخرى في الشارع ـ يحلو لبعض رفاقنا ان يسموه الشارع الاخير ـ كانوا يتحدثون عن سيارة موقوتة اكتشفها الكفاح المسلح عند مدخل صبـرا • وكانت الصحف تتحدث عن اولى اصابات الكوليرا •

وكانت نادية تشرب العصير في محل فهمان ، وتحمل على كتفها حقيبة مـن قماش الجينز •

مشينا نستعرض الواجهات • ومرة اخرى توقفنا امام الدمية الانيقة التـي البسوها فستانا جديدا بلون الجلاب •

قالت نادية : بدأت اغار من دميتك هذه •

كانت الدمية تخفي على شفتيها ابتسامة ما • واما عيناها فقد كانتا تذوبـان عذوبة • شدتني نادية من طرف قميصي • شدتني • شدتني • والحت فـي ذلك • وعندما وصلنا العمارة وجدنا العجوز بانتظارنا •

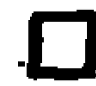
ـ هل من جديد •

قلت لها • فتنهدت العجوز •

في الشؤون الاجتماعية اخبروها انه مفقود •• ومقيد في سجل المفقودين • واخبرها شخص صادفته في احد المكاتب ان ابنها فقد اثناء حضوره من قبرص الى صور عندما هاجم الاسرائيليون القارب واغرقوه • وقيل لها انه موجـود في المنطقة الشرقية •

واخبرها شاب من القوات ان ابنها وصل صور سالما واختفت اخباره بعـد معارك صيدا •

وكانت العجوز تنهار •• وتبكي •• وتنشج • وكانت نادية•• تتعاطـف معها •• وتبكي ايضا •



عدت مبكرا •

نادية تمسح الارض بالمطهرات والديتول •

الكوليرا تغزو بيروت • وعناوين الصحف تبعث على الرعب • وثمة اصابـة في منطقة بير حسن • والعجوز لم تأت بعد • كان يتعين علي ان اغسل يدي ثلاث مرات بالصابون قبل الغداء • وكم كان طعم الماء كريها •

ظلت تتحدث عن الكوليرا والموت ·

وعبر الشرفة ، كان عناصر الكفاح المسلح يلاحقون البضائع المكشوفة ، وكان رجل يشتري صندوقا من زجاجات ( صحة ) ·

قالت : العجوز لن تعود قبل المساء ·· ذهبت الى الدامور تسال عنه ·

اقترحت عليها ان ننزل قليلا بعد القيلولة ، ونشرب الشاي في مقهى الزاوية · فقالت انها لن تشرب شيئا خارج البيت ·

حاولت ان اخفف من وساوسها ، فازدادت تمسكا

قلت لها : ـ اذن نتسكع قليلا ثم اذهب الى مكتبي

في الشارع حملة نظافة مفاجئة · وسيارة تحمل مكبر صوت وتعطي ارشادات صحية · وصيدلية بيروت تعلن عن الديتول والميلتون والبيرمنغنات ·

قالت : اني ارتجف ·

ـ لماذا ؟

ـ أخاف الكوليرا ·

ـ لم تخافي من القذائف ايام الحرب ·

ـ أخاف من الرعب الخفي الذي لا يرى بالعين المجردة ·

ومررنا امام الواجهة ·

كانت الدمية لا تزال تبتسم تلك الابتسامة الخفية ، ولكنهم في هذا اليوم يلبسونها باروكة شعر سوداء وفستان سهرة طويل ، فتبدو مثل سيدات الصالونات ·

قلت لنادية : انهم يشوهون دميتي ·

شدتني من قيمصي ·

شعرت بان نادية متوترة وصعبة ·

حاولت ان امازحها : ـ الدمية هذا اليوم تنسلخ عن طبقتها وتنضم الى البرجوازية ·

قالت بعصبية : ـ انت مدعي ··· انك برجوازي صغير حتى العظم ·

وعندما كنا نصعد الدرجات للطابق السابع · قالت :

ـ انني اشعر بالغثيان ·

وعندما فتحنا الباب قالت :

ـ اشعر برغبة في التقيؤ ·

دخلت الحمام سريعا · حاولت ان تتقيأ فلم تفلح · عادت بوجه شاحب وملامح معقدة · وخيم علينا جو من الصمت والحزن ·

لم اجرؤ على ان اقترح عليها ان ننزل الى الطبيب ·

طرق الباب · دخلت العجوز · حيتنا · وجلست على الاريكة ·

قلت لها للمجاملة ، ولكي اقطع الصمت : ـ هل من جديد ؟

وجهها داكن ، ولكنه محتقن بالتعابير · اجابت بحرقة :

ـ من يرى مصيبة غيره تهون عليه مصيبته ·

وحكت لنا عن سكان تل الزعتر الذين قابلتهم في الدامور هذا اليوم وحكت ·· حكت ·· ثم توقفت عن الحكي ·

نظرت الى نادية وتساءلت :

ـ مالك يا ابنتي ·· هل هنالك مكروه ؟

هجمت الوساوس ، ورفرف في جو الغرفة الرعب الخفي

تدخلت وقلت :

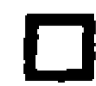
ـ نادية زعلانة ، لانني احب واحدة غيرها ·

نظرت العجوز الي في دهشة فاكملت :

ـ ولكن محبوبتي الجديدة دمية من البلاستيك تقف وراء واجهة من الزجاج ·

خرجت العجوز عن صمتها ، ونسيت حزنها قليلا ·

قالت اشياء كثيرة · ثم حكت لنادية قصة الدمية والمرأة الغريبة ···



امرأة غريبة تزوجها رجل ، ورماها في البراري ، في أرض مقطوعة لا يوجد فيها انس ولا جان ·

وقال لها : ماذا تريدين ؟

فطلبت منه المرأة ان يشتري لها دمية على شكل طفلة صغيرة ذات ضفائر لكي تتسلى بها اثناء غيابه ·

فاشترى لها الدمية وغاب ٠

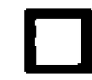
وفي غيابه كانت المرأة تشكو همومها للدمية ٠

كانت المرأة تشكو والدمية تكبر وتهرم ٠

وكلما طال غياب الرجل وازدادت المرأة جوعا وخوفا كلما ازدادت شكواها ، وازدادت التجاعيد في وجه الدمية ٠ وبعد غياب عام عاد الرجل ٠ كان يركب حصانا فأردف زوجته على الحصان ، واخذها ٠٠ وراح ٠ وترك الدمية وحدها ٠

لم تستطع الدمية التي اصابها الهرم ، الاحتمال ٠

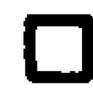
فانفجرت ٠٠ اي نعم ٠٠ انفجر قلبها كما تنفجر قنبلة ٠



التصقت نادية بي طوال الليل ٠ حلمت احلاما مزعجة ، وهاجمتها الكوابيس ورائحة الموت ٠ ظلت غرفتنا مضاءة ٠ وظلت تخرج الى الحمام بين حين واخر دون ان تتمكن من التقيؤ٠٠

طمأنتها الى ان صحتها جيدة ٠ وانها واهمة ٠ الا انها ظلت ترتجف ٠

وجاءت العجوز ، فقرأت عليها تعاويذها التي لم تفلح في ان تجعل السكينة تتسلل الى الجسد ٠ اخر الليل ٠ نام الجسد المنهك ٠ الجسد المفعم برائحة العرق والرعب ٠ وعندما اشرق الصباح ، واندفعت اشعة الشمس عبر النافذة، افاقت نادية وقد ارتسم على وجهها الاعياء ٠ فاقترحنا ـ انا والعجوز ـ ان ناخذها لمقابلة الطبيب في عيادة الهلال ٠



باحة الانتظار في عيادة الهلال واسعة ٠ جدرانها مطلية باللون الابيض ٠ وثمة مقاعد لا تتسع للجميع ٠ يجلس بعض المرضى ، والبعض الاخر لا يجد مكانا يجلس فيه ٠

وجوه سمراء وصفراء ٠ حليقة وغير حليقة ٠ انزع ٠ اقدام مبتورة ٠ وعكاكيز ٠ وشعارات العاصفة على الصدور ٠

وفي الايدي تقارير طبية ٠ وصور اشعة ، واوراق تحويل ٠

وعلى الحائط صورة ابو علي اياد ٠ وملصقات الانتفاضة ويوم الارض

وشهداء تل الزعتر ٠

باب الطبيب مغلق ٠ وممرضة تمرق مسرعة دون ان تجيب على استفسارات احد ٠

وقف اثنان من المقاتلين الجرحى ، واجلسا نادية والعجوز ٠

وكان علينا ان ننتظر ٠

وفي انتظار الطبيب حكى ابو الليل عن اصابته ، ورزق الطيب عن سيخ الحديد المربوط الى عظام ساقه ٠ وابو عمر ـ على ما اذكر ـ حكى عن الطرف الذي ينز صديدا كلما احتك ببقايا عظام فخذه ٠ اما ابو النور الذي بتر اللغم ذراعيه واطفأ عينيه فقد كان يجلس على المقعد صامتا وقد غابت عيناه وراء نظارة سوداء ٠

قالت العجوز فجأة : ـ يا شباب ابني مفقود ٠٠ من منكم يتعرف عليه ٠ هذه صورته ٠٠ اسمه فهمي شبيطة من عزون ٠

رفع الحاضرون رؤوسهم وحدقوا بها ، فأكملت :

ـ عمره عشرون عاما ٠ يحمل الشهامة ابا عن جد ٠٠ ابوه مات في سجن الجفر على يد محمد رسول الكيلاني ، وجده استشهد مع جماعة عبد الرحيم الحاج محمد في يعبد ، وجد جده نادر شبيطه هزم جنود نابليون في معركة عزون ٠

سحب ابو الليل نفسا من سيجارته ثم زرعها بين شفتي ابو النور الذي كانت تستهلك النظارة مساحة كبيرة من وجهه ، فيما ترتسم تقطيبة كبيرة على ما تبقى ٠

مرقت الممرضة النحيفة ٠٠ النحيفة من قمة الرأس حتى كعب الحذاء ٠ فوقفت العجوز وقالت لها بضراعة :

ـ انت ايتها اللعبة الجميلة ٠٠ ايتها الحمامة ٠٠ الم تشاهدي هذا الوجه الجميل ٠٠ الم تشاهدي هذا الغزال يا بنية ٠

بكى رزق الطيب ، وظلت السيجارة تحترق ببطء تحت انف ابو النور ٠ وظل دخانها يتصاعد ٠ وكان ساهيا ٠ ولعله كان يفكر ٠٠ او يحاصر ٠٠ او يستمع الى اخر برقية يرسلها قبل ان يدمر الواسطة ، وينسحب ٠

صمتت العجوز فجأة ٠ اطرقت قليلا ٠ ثم عادت الى مقعدها وهي تقبل صورة الولد الذي ربت كل شبر فيه بنذر ٠

وقالت بصوت خفيض : ـ يحرسكم الله يا شباب ولا يفجع ام بولدها ٠

اقتربت نادية مني ٠ واظن انها قالت :

ـ لم اعد ارغب في مقابلة الطبيب ٠٠ هيا ٠

كانت تبكي ٠٠ او تشهق ٠٠ او تنهنه ٠٠ او تتكلم ٠



وصلنا الطابق السابع ٠ دخلت العجوز الى غرفتها ٠

صنعت لنادية عصير الليمون ٠ وبدأ وجهها يعود الى صفائه ٠

خرجت العجوز بعد ساعة تحمل بيدها صرة ٠

لم تكن بحاجة الى ان نسالها ٠٠

انه الرحيل ٠

حاولت نادية ان تثنيها ٠ ولكنها كانت قد قررت ٠

ـ يجب ان اعود ٠ البركة بمن بقي يحمل السلاح ٠

استبدلت نادية ثيابها على عجل ٠ كان علينا ان ننزل مع العجوز الى مكتب السفريات لتوديعها ٠

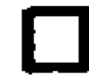
الشارع الاخير كما يسميه بعض رفاقنا ، يعج بالناس والسيارات والباعة ٠

تنحسر الكوليرا هذا الصباح ، وتتقدم اخبار اتفاقية شتورا ٠

وعلى الرصيف ٠٠ مطعم الشموع ، ومقهى الزاوية ، وحراسات ٠

ودعنا العجوز بحرقة ٠ وعبر زجاج النافذة ظلت تلوح لنا بصورة المفقود ٠

غابت السيارة عن اعيننا ٠ عدنا نسير على الرصيف في صمت ٠



مررنا امام الواجهة الزجاجية ٠

وراء الواجهة كان صاحب المحل يقف بجانب الدمية ٠ كان يخلع عنها الملابس ليضع على جسدها شيئا جديدا من بضاعته ٠

ظل يعري بها حتى النهاية ·

شدتني نادية من قميصي ، وجذبتني لكي نبتعد ·

كان صاحب المحل ينظر الى جسد الدمية ·· الى نهديها وبطنها وساقيها · كان يبدو كما لو انه يراودها عن نفسها ·

ظلت نادية تجذبني بشدة لكي نبتعد ، فبعد قليل سوف تنفجـر الدميـة ·· ينفجر قلبها كما تنفجر قنبلة ·

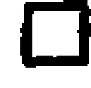
صالح هوازي

# وردة الجرح تشهد

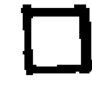
تمد مناقيرها الاشرعه
والمراكب تطلب عشقا جديدا من البحر ،
ـ ما حالة الطقس في مرصد الانتظار ؟؟
: ضباب كحزن المحبين ، يشرب صحو النهار
ـ وما حركات الرياح ؟
ـ رياح من الغرب تنشط عند المساء
ـ وما درجات الحرارة في مرفأ الذاكره ؟
: اربع وثلاثون في الظل ··· ستون في الهاجره
ـ حالة البحر والصيد فيه ؟
: حزين وهائج ·· داسوا على وجهه بعدما شبعوا منه صيدا
ـ وبيروت !!! كيف تنام على ساعديه ؟؟
: عروسا من الدم ··· لا يشتهيها ولا تشتهيه
ـ وكيف الطيور التي شنقوها على رمل ( صيدا ) ؟
: تقمص في روحها البحر فاشتعلت بالمجاذيف والاجنحه
ـ والمخيم ؟؟؟
: يمشي على المذبحه
··· ··· : نشرة الطقس ملغومة ، واغاني النوارس غامضة
وانا المتشاغل بالحب يفتتح البحر باسمي
مناقصة خاسره
يا عصافير جرحي الى البحر عودي !!
تعبت من الرقص موتا
على خشبة المجزره

فمتى يا مغنى العروبة مزمارك المتورط بالعزف
ينهض من رغوة الثرثره ؟؟
أصرخ الآن : ليس دمي وحده يتقلب في قفص الجرح
كل العاصافير مطلوبة للصعود الى الجلجله
آه يا امرأة تتهيأ فيها المحبة للذبح
لا تفرطي بالغناء ، المواويل ملغومة بالبكاء
تطل وأبصرها من ثقوب الحناجر
تنسج لي كفنا باتساع الخناجر
قالت لنا الارض :
ان المخلص يسرج أحلامه الآن
شدوامراكبكم للدخول الى الصبح
باح لكم حارس الشمس بالاشتعال
وأصرخ : يا أمة اشعلت جوعها
تحت سقف الدماء !!
تعلمت العشق من شعر ليلى ومجنونها !!
أهذا هو الحب ؟!
هذا هو العشق !!
مروا سراعا على عربات التخفي
بأي رمال يوارون أعينهم ؟؟ :
وردة الجرح تشهد تشهد تشهد
والتل يصعد ··· يصعد ··· يصعد
والزعتر الصعب يولد ··· يولد ··· يولد
هذا زمان به يخرج الدم من دمه ··· ،
يسقط الوقت من وقته
يهرب الموت من موته
لست وحدي أتوق الغناء على نخلة الريح
كل الزنابق تواقة للغناء ،
اسكني يا طيور دمي :
زعتر ··· زعتر ··· زعتر
جثتي تنهض الآن من موتها ··· ،
وزغاليل بيروت تخرج من عشها الدموي ··· ،
تمشط جرح المخيم بالزعتر الجبلي ··· ،
النهار يعد مجانيفه المشرعه ··· ،
يرجع البحر من رقصة الموت ··· ،
يقترح الرمل فصلا جديدا

تضيء الدماء ··· وتخرج برقوقة الشمس عارية ··· ،
تسقط القوقعه



زعتر ··· زعتر ··· زعتر ··· يغلق الجرح شباكه ··
تفتح الارض محكمة النار ··· ،
تبعث للشمس برقية ··· ،
يرسل الله عسكره يحرثون جراح المخيم ·· ،
رمح الفجيعة يثقب ذاكرة الشمس ··· ،
لكن عين فلسطين تتسع الآن اكثر اكثر اكثر
وهم فلسطين يصبح اكبر اكبر اكبر ··· اكبر
تهاجر من سكرها الذاكره
تستفيق على نزفها الخاصره
والقواميس تنشف في حضرة الموت ··· ،
شيء وحيد يظل يسير على جرحه ···
اسمه في كتاب الهوى :
زعتر-الناصره



أيها المتسكع في شارع الماء يا دمنا الخارجي !!!
تناقصت الارض ليمونة ··· أنت ليمونتي ··· ،
افتح الآن بيني وبينك باب الحوار
على شرط ان ترفع الان عني الحصار
واما اسلك من حبل قلبي
وأشرب نخبك فوق رصيف الغبار
هنا اشتعل النسغ في شجر القلب ،
والوطن المتورم علق أحزانه فوق صفصافة النهر ·· ،
عادت تهز الطيور ثمار الشروق الجميل
على صخرة الفاجعه
دخل العشب في العشب
والماء في الماء
دق نفير الضلوع
ومر الدم العربي على فرس الشمس
ممتشقا لونه ··· لونه ··· لونه
تستقيل الوجوه
وتحترق الاقنعه

# اتيلا جوزيف ١٩٠٥ـ١٩٣٧
# الشاعر الذي مرّ عليه قطار البيروقراطية

في قصيدة بعنوان ــ السابع ــ كتب « أتيلا جوزيف » :

ــ اذا ظهرت في هذا العالم
فمن الافضل ان تولد سبع مرات
مرة في بيت يشتعل
ومرة في فيضان يتجمد
ومرة في مستشفى وحشي للمجانين
ومرة في حقل قمح ناضج
ومرة في دير مهجور
ومرة في حظيرة خنازير
حيث يصيح ستة أطفال بشكل غير كاف :
انت نفسك يجب ان تكون السابع

ويمضي « أتيلا جوزيف » ليكون ــ السابع ــ

ــ اذا اردت ان تكون شاعرا
دع سبعة رجال يكتبون قصيدتك
الاول يبني قرى من الرخام
والثاني كان نائما حينما ولد
والثالث يزن السماوات
والرابع يحس انه مطلوب حينما تنادي الكلمات
والخامس يلتمس روحه

والسادس يستطيع ان يشرح فارا
اثنان شجعان واربعة حكماء ٠
وعليك ان تكون السابع ٠

دائما كان « اتيلا جوزيف » ينتهي من خلق الكون في ستة أيام ويعيدبنـــاءه من جديد في اليوم السابع ٠

في موسوعة الادب العالمي لمؤلفها ـ كاسل ـ ١٩٧٣ ـ كتبت الموسوعة تقول :

« اتيلا جوزيف هو شاعر البروليتاريا ، المناهض للفقر المهلك الذي وصفـه في قصائده ذات الجاذبية والقوة الفريدة ٠ ولقد واصل أصالته في أسلوبـــه حتى لحظة انتحاره ٠ حيث خسرت هنغاريا عبقرية من الصعب ادراكهـــا الا بشق الانفس » ٠

بعد كاسل في موسوعته العالمية يجيء ـ توماس مان ـ اعظم روائيي عصره ليكتب عن رفيق عمره « اتيلا جوزيف » :

« لقد هزتني بعنف تلك الانباء التي حملت مصرع شاعر هنغاريا العظيـــم وصديقي « أتيلا جوزيف » ٠ فالى دائرة اصدقاء الشاعر الصريع والى كافـة الشعراء في مختلف الاوطان أقدم مشاركتي الوجدانية بمناسبة هذه الخســـارة التي عانوا وعانى الادب الهنغاري منها ٠٠٠ » ٠

علاقة اتيلا جوزيف بتوماس مان بدأت عام ١٩٣٧ ٠ بدأت وانتهت ٠ ففي هذا العام ألقى اتيلا جوزيف بجسده على قضبان السكة الحديد ومرت العجلات على قصيدة هنغارية عظيمة ٠

في عام ١٩٣٧ كان توماس مان سيلقي محاضرة في بودابست واراد اتيلا ان يقدمه بقصيدة عنوانها : مرحبا توماس مان ٠ ورفضت الشرطة الهنغاريـــة قصيدة أتيلا ٠ كانت القصيدة قفازا يلقيه الشاعر في وجه البوليسية الادبيـــة والبيروقراطية التي كانت تمارسها شرطة الدكتاتور « هورتي » ٠

من بين رجال الادب الذين تعاملوا مع الاعمال الشعرية لاتيلا جوزيف وقاموا بنشرها باللغة الانجليزية : الدبلوماسي الاميركي ـ انتـــون ٠ ن ٠ نيرغس ـ الذي كتب أهم دراسة حول أتيلا جوزيف ، وكانت الاكثر قربا لشخصيتـــه ووجدانه الشعري ٠

في مقدمة الطبعة الانجليزية الكاملة يكتب انتون ٠ن٠ نيرغس :

« من وجهة النظر السياسية ترتكز عظمة اتيلا جوزيف على توفيره للبيـــت الشعري خصوصية وواقعية حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية لم تكـــن

موجودة في السابق . لم يكن الخيال دم الحياة لشعره . كان في قلب الدوامة. انه يوظف صورا اخاذة كان موقفنا الاستياء منها لانها تجعلنا نرتبك . ربما لان هذا هو موقف البشر منذ فجر الحضارة . » ...

ويمضي أنتون يقول :

« قدم أتيلا جوزيف ما بين عامي ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥ جسدا رائعا بكل مقياس للشعر البروليتاري وربما اعظم شعر بروليتاري عرفه العالم البروليتاري ، فلقد واجه بلا هوادة قبضة القساوسة والجنرالات والطبقة المتوسطة » .

أما ل . ن . مارتينوف المترجم والخبير في الشعراء الكلاسيكيين والمحدثين المنتمين للشعر الغنائي الهنغاري فلقد كتب يقول :

« انني أتيلا جوزيف المعاصر واكثر من ذلك فانني رفيقه المعذب . بينما كنت اترجم قصائده عشت مرة اخرى مأساة بلده ، مأساة اوروبا ومأساة كل البشرية . والاسى يفعل بي فعله لانه قد توفي في وقت مبكر جدا وانه الان لا يستطيع ان يكون بيننا ، ولا ان يرى اننا نعيش فيعالم جديد وتحت سماء جديدة ليست صافية تماما ولكنها براقة اكثر من اي وقت مضى » .

ف . تزافادا وهو أحد الكتاب التشيك الذين عرفوا اتيلا جوزيف كتب:

« يختلف اتيلا جوزيف بشدة ليس فقط عن شعراء هنغاريا العظام ولكن ايضا عن جميع شعراء العالم . انه شاعر الوحدة والفقر ، ذلك الفقر اللئيم الذي ليس له مثيل في الادب العالمي » .



ولد في بودابست عام ١٩٠٥ من عائلة تدين للكنيسة الارثوذكسية اليونانية ، هاجر والده أرون جوزيف وكان عمره ثلاث سنوات . ذهب ليعيش مع اسرة تبنته من خلال وكالة حماية الطفولة . حينما بلغ السابعة بدأ العمل في حظيرة للخنازير ككل الاطفال الفقراء في القرية . استرجعته امه بوربالا بوشي وأدخلته المدرسة الابتدائية.. وهكذا اصبح على الام الغسالة ان تطعم ثلاثة اطفال من خلال قطعة الصابون . كان يهرب من المدرسة الى الشوارع ، ثم انغمس بعد ذلك في قراءة الحكايات المشوقة عن أتيلا ملك الهون . وهكذا اصبح لأتيلا القادم من رغوة الصابون اسم « ملك » .

حينما اشتعلت الحرب العالمية الاولى ، كان أتيلا في التاسعة من العمر ، كان يقف في الطابور امام مخزن الطعام من التاسعة صباحا حتى التاسعة مساء ، وحينما يأتي دوره كانوا يقولون له ان الطعام قد نفد .

كان يساعد والدته بكل ما يملك ، فيمضي يبيع ماء الشرب في دور السينما · يسرق الحطب والفحم من محطة القطارات · ثم اصبح يبيع الصحف وطوابع البريد · وعمل بعد ذلك كصبي خباز وانتقل الى المدرسة الثانوية في الوقت نفسه بعد أن ادى بنجاح المرحلة الابتدائية ·

توفيت والدته عام ١٩١٩ فأصبح الوصي عليه زوج اخته · في فصلي الربيع والصيف كان يعمل كاتبا في شركة بواخر المحيط الاطلسي وفي تلك الفترة قدم امتحانات المرحلة الرابعة للمدرسة الثانوية كطالب خاص · فيما بعد أرسله زوج اخته للتدريب كراهب مبتدىء ، ولم يمكث هناك غير أسبوعين · من الدير اشتغل كمراقب محاصيل وانهى دراسته الثانوية ، وفي ذلك الوقت حوكم بتهمة الزندقة التي وردت في احدى قصائده ، لكن المحكمة العليا لم تجد الادلة كافية لادانته ·

ها هو بعد كل هذا يبيع الكتب على أرصفة شوارع بودابست ثم يعمل محاسبا في بنك ويقرر للابد أن يعيش من كتابته · سجل نفسه في كلية الاداب وبدأت قصائده تظهر · في طفولته كان الرغيف يجيء اليه طافيا فوق رغوة الصابون التي تتدفق من يدي أمه ، وها هو في صباه يجيء اليه الرغيف طافيا فوق الحبر ·

في العشرين من عمره ترك بودابست متجها الى فيينا وسجل نفسه في الجامعة · سقط الرغيف في قاع البئر ، فكان يتناوله من بيع الصحف وتنظيف مبنى الكلية الهنغارية · بعد أربعة أشهر من النوم فوق بلاط الارصفة بدون غطاء ، أصبح قادرا على تغطية نفسه ·

بواسطة سيدة قرأت شعره واحبته قدمت له نفقات السفر الى باريس · هناك اصبح طالبا في السوربون · بعد السوربون عاد الى بودابست ·

البيروقراطية كانت تلاحقه أينما ذهب · كان البيروقراطيون يقولون : كيف نترك هذه السمكة المتوحشة على ضفاف نهر الدانوب · البيروقراطية من جهة وبوليسية هورتي من جهة اخرى · لم يعد له غير أن يكتب ويحاول ان يجد مجلة تنشر له حتى اصبح محررا لمجلة فصلية · ولكن كل ذلك لم يضع حدا لعذابه · في الليل حينما تضيق به الشوارع كان يمضي وهو يردد :

ليس لدي ام ولا اب
لا وطن ولا اله
لا محبوبة في سريري
ولا اريد ان ادفن حينما اموت ·
منذ ثلاثة ايام لم آكل شيئا

انّ سنواتي العشرين هي قوتي
وسوف ابيع هذه القوة لاول قادم
فاذا لم يكن هناك من هو بحاجة الى أعوامي العشرين
فلياخذها الشيطان
فبقلب نقي سوف احرق وانهب ٠
وسوف اقتل ايضا
سوف يلقون القبض علي ، أحاكم واشنق
أخيرا يغطيني التراب الطيب
ومن ضلوعي سوف ينمو العشب ويغطي وجهي ٠

الى جوار القطارات الواقفة كان أتيلا يتمدد ، كأنه كان يرسم خطوط نهايته :

انني اعيش من الهواء القادم من الفحم الحجري
أراقب سفر القطارات ٠
تطير النافذة المتوهجة
في ظلام شجر الكتان المتمايل
وهذا هو كيف في الظلام الابدي
تنطلق الايام المشتعلة
وانا اقف في ضوء كل مقصورة قطار
اتكىء على مرفقي صامتا ٠

على شاطىء الدانوب حينما يشتد عليه اذى الشرطة الادبية في بودابست ، كان يرى امه وهي تشعل بنجمة مياه النهر وتسلق يديها في الماء لتقـــدم لـــه الحساء :

منذ اسبوع والافكار حول امي
تشعل النار في عظامي
انها تقبض على سلة الغسيل بثبات
الى الامام ثم الى الاعلى تمر نحو « العلية »
كنت واضحا فارخيت الحبل لنفسي
قدمت احتجاجي وضربت بقدمي السقف كي يهبط
لياخذ شخص اخر السترات المتورمة
ولتاخذني هي معها عاليا الى « العلية »
بدون ان ترمقني بنظرة او تجلدني
تصعد الى اعلى وتنشر الغسيل بصمت ٠
الملابس المدعوكة تحدث حفيفا مبهجا
حيث بنات تتارجح وتموج في الهواء ٠

علي الا ابكي ولكن كل الدموع في ضلوعي
الان استطيع ان ارى كم كانت عملاقة
تلك الام الغسالة
فعبر السماء يخفق شعرها الاشيب عاليا
وهي في بحار السماء تنوب الى اللون الازرق ٠

بلا وعي راح اتيلا يكتب قصيدة « الوعي » :

رأيت لوحات في احلامي
رشقت باللون الازرق والاحمر والاصفر
كنت اعتقد بأن هذه الالوان هي حالة العالم
وليست مجرد بقع غبار غير مألوفة
والان تبدو احلامي كظلال شاحبة في ضلوعي
وان عالم الحديد هو القاعدة
فخلال النهار يبزغ القمر في داخلي
وفي الليل تتدحرج الشمس من فمي
انني نحيف لانني لا آكل غير الخبز
وبين العقول الكسولة الثرثارة
ابحث بحرية دون ان يخالجني الخوف من اية تهمة
عن شيء اكثر يقينا من سقوط حجر النرد
اعترف انني لم آكل اللحم المشوي الا في بعض الايام النادرة
لم اضم طفلا صغيرا الى قلبي
ولكن حتى اكثر القطط مهارة لا يستطيع
ان يمسك مرة واحدة بفأر في الداخل
واخر خارج البيت ٠

من خلال كل تلك القسوة التي ربما لم يواجهها شاعر من قبل ، كانت روح أتيلا ترتفع لتشق طريقها في الايام القادمة ٠ كان دائما يعرف كيف ينهض من تحت الانقاض :

لقد سمعت الحديد يبكي
ورايت المطر يضحك
انني ارى الان الماضي وهو يتحطم
واعرف بان الافكار وحدها يمكن نسيانها
وكل ما استطيع ان اصنعه هو الحب
وان استسلم الى هذه المسؤولية
ولكن لماذا علي ان اصنع سلاحا منك

ايها الوعي الذهبي .

لم يكن يعرف اين يمضي ، ولكنه كمياه نهر الدانوب كانت الموسيقى دائما في قدميه تدفعه لكي يكتشف المزيد من الجزر التي لم يرها قبطان . كان نهر الدانوب يعطيه دائما الشجاعة لمواجهة الكذب والماكياج الزائف فوق وجوه القساوسة والعسكريين المطرزين بالنياشين والجراد المنتفخ الكرش :

لقد رأيت السعادة وجها لوجه
انها مترهلة شقراء وتزن اربعمائة رطل
في فناء المزرعة وفوق العشب الخشن
رأيتها تسقط في بركة موحلة فاترة
ومن اذنها كان يرتفع صوت الخنزير
تجاوبه اجراس كنيسة .

هذا العمر القصير لاتيلا ، كل ساعة فيه بعمر مستقل . وبشفافية نادرة كان يحس حينما تضرب قدماه الارض أن نوافذ سوف تفتح في ارض جديدة قادمة . الارض لا تهرم ، ولكن هورتي الدكتاتور تنخر اصوات المسحوقين عظمه كالسوس . الحرية بالنسبة الى اتيلا كانت هي الحرية الشاملة لجميع الناس :

انت ترى ان جذور الالم عميقة في الداخل
ولكن الغصون فوق الكتفين من الخارج
العالم هو جرحك يحرق وينبض
ترعش الحمى روحك
انك عبد طالما كان عليك ان تتمرد
وسوف تكون حرا حينما تتوقف عن بناء بيت لنفسك
من النوع الذي يريد المالك استيطانه

ها هو ذا عام ١٩٣٧ . اتيلا جوزيف في الثانية والثلاثين من العمر . انه يستطيع الان ان يتكلم عن العقل، فالتجربة التي مر بها وما اكثر ومضات الهذيان التي كان يسببها القهر والعذاب جعلته انسانا عاقلا من نوع جديد :

العاقل هو شخص لا اب او ام في قلبه
وهو من يعرف كيف يستقبل الحياة كشيء اضافي
الى جانب الموت
وكان الحياة هي شيء قد تم العثور عليه
والعاقل يستطيع رد ذلك الشيء في اي وقت
وهذا هو سبب احتفاظ العاقل بحياته
انه لا يتبع الها او قسيسا ولا يتبع حتى شخصه

تقترب ساعة أتيلا جوزيف · امه تظهر له الان · على حبل من الهواء تعلق ثياب طفولته · وها هو الان على قضبان السكة الحديد يعلق اعوامه كلهـا · انكسرت المعادلة وكان عليه ان يعيد تكوينها من جديد ، ولكن فيما بعد ، حينما ياتي زمن لا تستطيع الخنازير البرية والداجنة ان تغرس انيابها في قلب الشاعر، حينما ياتي زمن تستطيع القصيدة فيه أن تصعق كالكهرباء قصاصات الاوراق الصفراء البالغة العفونة :

سكت الصمت ودقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل
بامكانك البحث عن طفولتك الان
حتى بين قوالب الرماد الرطبة
حيث من الممكن ان تتصور بعض الحرية
لذلك مارست التفكير ولكن حينما نهضت
اشتعلت الكواكب والنجوم مثل قضبان السجن
فوق زنزانة صامتة ·



كان العام ١٩٣٧ هو نهاية المطاف ، حيث مر قطـار البيروقراطية بكل ركابه من البوليس والقساوسة والجنرالات على جسد اتيلا جوزيف ·

# كتب

## « خربة خزعة »

### وثيقة ادانة قديمة ـ جديدة

ان الطابع الذي الذي تركته حرب عام ١٩٤٨ في الادب « الاسرائيلي » ، هو طابع مشوه بشكل عام وذو طبيعة احادية الرؤيا ، وقيمة ادبية محدودة ، لا تزال مثار نقاش ادبي حاد حتى يومنا هذا · وهذا الادب يتمثل بنتاج مجموعة من الكتاب والشعراء الذين كانوا ابان الحرب في العشرينات من عمرهم ، وشاركوا فيها سواء كجنود مقاتلين او مفوضين سياسيين في وحدات مختلفة ، ومن أبرز هذا النتاج ما اقرته وزارة التربية والتعليم الاسرائيلية في الخمسينات في برامجها التعليمية ، سواء كانت الثانوية او الجامعية ·

واليوم وبعد ٣٠ عاما ، تثور الان في الاوساط الادبية الاسرائيلية ، بل والسياسية ، مشكلة ادبية ، تكاد تصل الى حد الفضيحة التي واكبت عرض مسرحية « ملكة الحمام » للكاتب حانوخ ليفين بعد حرب ١٩٦٧ ، حول رواية قصيرة ، لاحد ابرز كتاب هذا الجيل سميلنسكي يزهار بعنوان « خربة خزعة » ، كان قد نشرها عام ١٩٤٩ ، واقرت ضمن برامج وزارة التربية والتعليم الاسرائيلية للمدارس الثانوية عام ١٩٥٤ ·

وكان السبب في اثارة هذه المشكلة التي وصلت الى حد المطالبة ، باسقاطها من برامج التعليم ، هو قيام المخرج الاسرائيلي رامي ليفي الانساني النزعة بالمشاركة مع المخرج عوديد كوتلر مدير القسم الفني للتلفزيون الاسرائيلي ، بتحويلها الى حلقات تلفزيونية ، رفضت السلطات المسؤولة السماح لهما بعرضها ، لانها تشكل شهادة دامغة للسلب والنهب والحرق والتدمير والتهجير الجماعي الذي مارسته المنظمات الصهيونية الارهابية والجيش الاسرائيلي ضد العرب الفلسطينيين وقراهم التي دمرت من أجل تسهيل الاستيطان على انقاضها ، مما قد يجعل من هذا الفيلم وثيقة ادانة « يعرضها الفلسطينيون انفسهم على العالم » ( معاريف ٦ـ٩ـ٧٧ ) ، في هذه الفترة التي تشهد فيها الارض المحتلة اكبر حملة استيطان وتهويد محمومتين ·

الا ان عوديد كوتلير جعل من قضية الحجر هذه ، قضية ادبية وسياسية ، مهددا بالاستقالة من منصبه اذا لم يسمح بعرض الفيلم هذا ، متهما السلطات بممارسة الارهاب الفكري على الحياة الثقافية والفنية في المجتمع الاسرائيلي . سرعان ما انتقلت الى جميع الاوساط الصحفية والادبية والسياسية بين مؤيد لعرض الفيلم وبين معارض ، الا ان القضية لم تحسم بعد ، والفيلم لا يزال قيد الحجر ، اما سكان قرية « مدية » الفلسطينية المحتلة والمجاورة لانقاض « خربة خزعة » ، كانوا اول المبادرين لمعارضة تصوير الفيلم ، متصدين للطاقم السينمائي لمنعه بالقوة ، الا انهم عادوا فوافقوا على انجاح تصويره ، بعد لحظات من التصدي له ، اثر اطلاعهم على السيناريو ، الذي كان يحمله المخرج رامي ليفي ، مما دعا ايدوف كوهين ان يكتب في صحيفة معاريف ٦-٩-٧٧ « وهكذا كان من الممكن انهاء التصوير بسرعة ، بموافقة القرويين العرب الذين اظهروا حسا قوميا سليما وعقلا مواطنيا ثاقبا » ٠

هذه القصة ، هي ككل قصص الحرب الاخرى عند يزهار ، والتي ارضيتها حرب عام ١٩٤٨ ٠ فالحرب في مفهوم يزهار ، هي ستار لكل اولئك الذين يفرضون على الاخرين الذهاب مع التيار ، اذ ان الحرب تتطلب استعبادا كاملا ، وفي ظلها تشعر الشخصيات الانتهازية العديمة المثل بالراحة الكاملة « الحرب هي الحرب » ، ومن هنا كان الاذعان المفرط لافراد المجموعة في تنفيذ العملية الهمجية ضد أهالي « خربة خزعة » ٠

فأهالي« خربة خزعة » يشكلون تحديا وصرخة ضد الالتزام بالقاعدة السائدة في المجتمع الصهيوني القائم على الحرب ، الذهاب مع التيار ، ولكنهم يشكلون في نفس الوقت عند يزهار مؤشرا احمر للاخطار الكامنة في الحرب لروح الانسان ٠ فاذلال هؤلاء الابرياء العزل من السلاح ، يشكل نفيا لصورة مذليهم الانسانية ، اذ ان كل دفعة بعقب البندقية ، كل اهانة لهم وكل احتقار لانسانيتهم ، هو لطخة عار لمعذبيهم وانحدار الى الجريمة ، وكل تهجير لهؤلاء الابرياء ، هو بالتالي تهجير لروح مهجريهم ، وقذفها الى متاهات المنافي النفسية والعزلة ٠ وذلك من خلال رؤيته المطلقة ٠ اذ ان الصراع الدائر في ضمير يزهار ، يتكشف لنا في القصة من خلال اصواته الداخلية ، حيث يتضح لنا انه جندي ككل الجنود ، الا انه ذو مقاييس تختلف عما لغيره من أفراد مجموعته ، انه رسول المتحدث الخاص « الانا » ، وصدى لمفاهيمه وقيمه ، وملامحه تتحد مع الجندي الذي بدأ الحديث به ٠

ومن هنا تتحد الشخصيات الثلاث في القصة ، والتي هي في الواقع شخصية واحدة : الكاتب العارف بكل شيء والماسك بخيوط الحديث ، ومندوباه اللذان يبرزان كمحدثين ايضا ، في البدء بصيغة الجمع ، وبعد ذلك بصوتين محاورين انت ـ أنا ، في الحاضر وفي الضمير الاول ، فالصوت الذي يتحدث الى « البطل » هو صوت الضمير ، وبصيغة تتنبأ بلغة الواجب ٠ وقد يكون الكاتب اراد التعاطف مع الصوت الاخر بالرفض ، ولكنه يستسلم ايضا بروح الحكم عليه ٠

اما الشخصية الثالثة فنستطيع ان نسميها بـ « الانا الجماعية » ، الخاضعة لاطار قيادي هرمي ، وتمثل جماعة اكبر ، فالقائد الذي « سلب وحرق ودمر وهجر القرية » ، خاضع للانطباع بأنه سيسقط فعلته على الاخرين ٠ وافراد المجموعة التى تنفذ العملية ، تعمل من خلال صلاحية الاطار بحجمه الكامل ٠ واعتقال اهل القرية على أيدي المجموعات الثلاث العسكرية المنقسمة عن المجموعة العسكرية الام المكلفة بتنفيذ العملية ، وتركزهم في أماكن منفصلة في البداية ضمن صلاحيات كل مجموعة ، ثم نقلهم وتركيزهم في مكان

تركيز واحد ، لتنفيذ عملية التهجير في إطار المجموعة الام ، حيث الصلاحية الاكبر ، توسع قاعدة « الانا الجماعية » ، بحيث لا تفارق « الانا » المشتركة البطل ، والافراد الذين يسلبون ويحرقون ويهجرون ويظهرون طبعا حيوانيا ، ينتمون للجمهور الواسع ، المجتمع الاسرائيلي الصهيوني ، منه يستمدون قوتهم ــ صلاحيتهم ، بحيث يتحول الفرد وببساطة الى « هؤلاء ــ نحن » ، لكي يجعل من عملية السير مع التيار اسهل لاستيعاب اعمال العنف والجريمة والمشاركة بها ، وهكذا تقع المسؤولية على كاهل هذه « الانا الجماعية » بالخطيئة ، فتكون هي المذنبة ·

فهذه القصة ــ خربة خزعة ــ هي قصة خطيئة ، ولائحة اتهام للجنود الاسرائيليين الذين يشكلون في النهاية طائفة ، المجتمع الاسرائيلي ، وما الضحايا الفلسطينيون اهالي خربة خزعة ، سوى مثال لتشخيص الخطيئة ·

والقصة تبدأ بـ « أمر المهمة » الذي القي على عاتق فرقة من الجنود الاسرائيليين ، في « كذا لكذا من الشهر » من عام ١٩٤٩ كما نفهم من تاريخ نشر القصة ، وهذه « المهمة» هي « جمع جميع السكان ابتداء من النقطة الفلانية وانتهاء بالنقطة الفلانية ــ ( انظر الخارطة المرفقة ) ــ تحميلهم في الشاحنات وشحنهم خارج خطوطنا ، نسف البيوت الحجرية ، وحرق جميع البيوت الطينية ، اسر جميع الشباب والمشتبه بهم ، وتطهير المنطقة من قوات معادية » ·

هذا هو الامر الذي تحمله الفرقة ، التي خرجت في صباح يوم شتوي في اتجاه « خربة خزعة » الفلسطينية العزلاء ، ثم انزلت بالقرب من القرية « الفلانية » الغير مرئية ، وتوزعت في ثلاث مجموعات : واحدة للاسناد ، واخرى للاقتحام ، والثالثة ، وهي مجموعة « الانا » القاص للالتفاف حول القرية ·

ثم تسير المجموعة بين البساتين والحقول التي تحيط بالقرية وافرادها « يتحدثون ويحكون الحكايات ويغنون » بهدوء وبسلام نفسي ، اذ كان واضحا لهم بأنهم ذاهبون الى « يوم نزهة » · ثم تصل المجموعة الى احدى التلال حيث يشرح لهم قائد المجموعة موشي طبيعة المنطقة وطبيعة المهمة الذاهبون اليها ، فيتضح لافراد المجموعة أن « حفنة البيوت التي ترى في منحدرات التلة المقابلة هي « خربة خزعة ما » ، وان « كل تلك البساتين والحقول تابعة للقرية » وان مياهها الغزيرة ، وارضها الطيبة وبساتينها الريانة ، قد اكسبتها الشهرة » كشهرة اهلها بأنهم« حقبرون » ·

ومن هناك تنطلق المجموعة ، بعد الاطلاع على تفاصيل المنطقة والمهمة ، الى التلة المقابلة ، حيث بدت لهم القرية هذه المرة واضحة امامهم ، فاتخذوا مواقعهم ، وسلطوا مدفعهم الرشاش وسلاحهم في اتجاهها جاهزين للبدء في العملية · الا ان عامل اللاسلكي شموليك المنكب على جهازه ، يخبرهم انه لا تزال امامهم فسحة من الوقت بعد ، لساعة الصفر ·

في غمرة هذا « الانتظار الممل » يستعرض البطل « الانا » المتحدث ايامه السالفة ، وكيف انه كان من الافضل "للجندي ، بمجرد ان يدخلوا القرى التي كانوا يحتلونها « ان يمشي طيلة النهار كي لا يجلس على هذه الارض الترابية المتعفنة الموبوءة الكريهة ، لانهم ( العرب ) بصقوا عليها طيلة اجيال ، والقوا فيها بولهم وبرازهم وروث ابقارهم وجمالهم ، بالاضافة الى سقائفهم النتنة ، المصابة بعفن انقاض مساكن انسانية متراصة وفقيرة » ·

وما ان كانت الشمس تدورنحو الظهيرة حتى « يصبح ثمة حاجة للانتقام ، للتكسير ، للتفتيت للسحق بالاقدام على الاقل » ، مما كان يدفع بالجنود لعمل اي شيء « فيجلدون وبكل قواهم ، الجمل الذي يدور بالناعورة المصطكة الدالفة ، ويركلون ذلك العربي العجوز الذي آثر البقاء للنجاة ، فيعمل في سحب المياه ( للجنود الاسرائيليين ) » طيلة النهار ، او كانوا « يطلقون عشرات العيارات النارية على كلب ذاهل حتى ارداثه قتيلا » ثم يعودون ويسقطون في الملل والبطالـة ٠

هذا ما كان يحصل في السابق حين كان الجنود يضطرون للانتظار ، اما في ذلك الصباح الشتوي فوق التلة المطلة على خربة خزعة ، في انتظار ساعة الصفر للبـدء « في الحرق والنسف والتهجير » كان صبرهم ينفد شيئا فشيئا الى الحد الذي « لو طال اكثر ــ فاننا سوف نبدأ بالاقتتال مع بعضنا » ولكي لا يقتتلوا فانهم يبدأون هذا الحوار السموي الذي يبدأه عامل اللاسلكي شموليك ، والذي اشبه ما يكون برقصة شعائرية وثنية، لساحرات شكسبير حول قدر الشعوذة الذي يمور بالرؤوس المقطوعة والدم السائح ، والذي يرسم الطريق أمام المذبحة المقبلة :

ــ « ماذا تقول في هذه القوة الخارقة للحياة عند الحمار ؟

ــ كيف ؟

ــ لقد رميت البارحة واحدا ، بثلاث رصاصات ولم يمت !

ــ في أي مكان من جسمه غرستها ؟

ــ واحدة هنا في العنق ، وواحدة هنا في الرأس تحت الاذن ، والثالثة بجانب العين ٠

ــ ومـاذا بعـد ؟

ــ لم يمت ٠ تابع مسيـره ٠

ــ مستحيـل

ــ اني اقسم ! البارحة ، بالقرب من المعسكر ٠ لقد خرجت لكي اجرب البندقية ، فرأيته يتمخطر عند السياج ٠ وحالا رميته ٠

ــ من أي مكان ذلك ؟

ــ عن قرب ٠ عشرة أمتار او اقـل ٠

ــ ولم يمت ؟

ــ أين ! لقد تابع سيره ، وبعد ذلك سقط ٠

ــ آه ٠٠٠

ــ عندما اصيب في عنقه ، رفع رأسه ونظر الي ٠ كان الدم يتدفق منه كما لو كان يتدفق من صنبور ٠ ثم عاد يقضم العشب ٠ رميته تحت الاذن ، فقفز قفزة واحدة ، وظل واقفا ينظر الي ، لقد كان ذلك مثيرا للغضب ، فرميته بجانب العين ، من مسافة أقرب ، فسار عدة خطوات الى الامام في العشب ، ثم ، رويدا ، رويدا ، وبدون اية رغبة ، سقط وتمدد ٠ قوة حياة خارقة أليس كذلك ؟

ويستمر الحوار حول قتل حيوانات اخرى ، ويستفيض يزهار وبموضوعية متناهية ، بماذا يختلف احتضار الجمل عن احتضار الحمار بعد تجربة السلاح عليه ، ومن هنا تكون المعاملة للانسان بشكل عام ، والعربي الفلسطيني بشكل خاص ، وللطبيعة والقرية واضحة تماما ٠ السادية والمازوخية بأبشع اشكالها ٠

ولكي تكون الصورة اوضح ، بالنسبة لمصير اهالي قرية خزعة ، فاننا نرى احد الجنود وقد استنفره الحوار للبدء في « زرع الالغام لهم » ، موقظا فيه حاســة « الصيد » الانساني ، وخاصة بعد ان يلمس استحسانا وحماسا من القائد موشي لهذه الفكرة :

ـ « سيكون ذلك رائعا ، انظروا ، فاذا كانت القرية هناك ، فالى أين يهربون ؟ قبل كل شيء الى هناك ٠ حسن ٠ وهناك نزرع لهم الغاما قافزة ٠ عربوش ( اي عربي ـ والكلمة ليست عبرية وانما محرفة عن كلمة برعوش والتي تعني برغوث ) ٠ واحد يتفجر ، وعشرة يأخذون الارض ٠ وحالا يغير الاخرون الاتجاه ويركضون الى هنا ، الينا ، الى فوهة المدفع الرشاش هذا مباشرة ، ويقعون في الشرك بكل بساطة » ٠

ـ ليأخذهم الشيطان ، اي اماكن جميلة لهم ٠

ـ كانت ! انها الان لنا ٠٠ وحين نأتي الى هنا سيكون اجمل الف مرة ٠



تتلقى المجموعة الامر ببدء العملية ، وبفتح النيران على اسفل القرية ، وعلى البيوت العالية المطلة عليهم ، مجموعة الاسناد تفتح هي الاخرى النار على القطاع المكلفة به ، بينما تتسلق المجموعة الثالثة التل وتتمركز في اعلى القرية ومن هناك تركبها تماما ٠

مجموعة « البطل » تفتح نيران رشاشاتها على البيوت المطلية « بالازرق العربي » ، وعلى النوافذ الخضراء وفي الازقة ، الا ان احدا لا يجيب على النيران بالمثل داخـل القرية العزلاء ، قائد المجموعة يصرخ في اتجاه القرية ساخرا « صباح الخير يا جمعه ٠٠ اليهود آتون اليكم » ٠

افراد المجموعة يكتشفون فجأة ان ثمة مجموعات من أهالي القرية يفرون ، فيلهب ذلك « طبيعة الصيادين الكامنة » بأفراد المجموعة ، ويبدأون بقنص الهاربين ، والبطل الذي يتأرجح بين ضميره وجنديته ، يأخذه الحماس هو الاخر فيأخذ المنظار اليه ويراهم « مجموعة خلف مجموعة ، عائلة خلف عائلة ، نساء ورجالا » فيصرخ هو الاخر الى رامي المدفع الرشاش غابي يوجهه « الف ومئتان الى يمين الشجرة المنفردة ! يمكن اصطيادهم جيدا » ، ا انه يشعر بشيء من الغثيان لسبب ما ويده لا تزال ممـدودة نحوهم بحماس « احسست وكأن شخصا ما يصرخ صراخا مغايرا في داخلي ، كعصفور جريح » ثم يصمت ، ويستمر احتفال الصيد ٠

المجموعة تقتحم بيوت الفلاحين المنتشرة داخل البساتين حول القرية ، حيث تـرك الاهالي كل شيء خلفهم ، كما كان ساعة هربهم من وجه الموت ٠ فالفراش كان لا يزال ممدودا ، والنار بين الاثافي لا تزال متقدة ٠٠٠٠ » وكانت الاشياء تغري بسلبها « لولا اننا احتلينا قرى كثيرة وجمعنا ورمينا وحرقنا ودمرنا الى ان عافت ذلك نفوسنا » ٠

وفي تقدمهم يعثر افراد المجموعة على جمل محمل ، وحين يهمون باناخته ، يخـرج اليهم صاحبه العجوز ذو اللحية البيضاء ، يذلونه ، يسخرون منه ، ويطردونه ، وحين

يلح عليهم بالتوسل ان لا يقتلوا جمله، وان يسمحوا له باقتياده الا انهم يخيرونه : « روحك او الجمل » الا ان الاختيار كان صعبا ، فتند عنه صرخة يائسة « الله » ، فيطلق أربيه النار فوق راسه ، وهو يطلب الى القائد « فلنتخلص منه » ، مما يدل على ما وصل اليه افراد هذه المجموعة ـ المجتمع « الاسرائيلي » برمته من انحدار الى الجريمة والامتثال الكامل للحرب ، القتل وانتهاز كل الاسس المنحطة للشعب الذي يمثله الجندي أربيه ، وهي المطالبة بعدم التمييز بين « العدو » الحقيقي ، وشيخ عجوز بائس ٠

وتتابع المجموعة تقدمها نحو القرية ، بينما تبدأ « فرقة الالغام عملها » والانفجارات داخل القرية تبدأ بالتوالي ، والدخان يتصاعد ، وجموع الهاربين من الموت ، تبدأ بالتقاطر خارجة من القرية فرارا من الموت الى شراك الموت المنصوبة لهم في الطرق ٠

ثم تدخل المجموعة القرية ويبدأون باقتحام « ساحات البيوت المقفرة يصرخون ويعلنون عن كل لقية ويصبون النفط من صفائح اعدت خصيصا داخل الجيب ، على متبن او باب خشبي او سقف قش منخفض ، ثم ينتظرون ليشهدوا كيف تتحول البيوت الى نيران ملتهبة ٠ مخرجين النساء والاطفال من البيوت » صارخين « يا لله ٠٠ يا لله » غير آبهين لتوسلات الشيوخ بأن « القرية خالية من الشباب تماما ولا يوجد فيها غير العجائز والشيوخ والنساء والاطفال » ٠

وفي ساحة صغيرة من القرية ، كان الجنود يجمعون الاهالي فيأمر موشي القائد ، بسوقهم الى مكان التركيز ، تحت شجرة خارج القرية ، فيسوقهم الجنود « وهم يصرخون بهم بحدة ويلوحون بأيديهم وبنادقهم كرعاة بقر » ، ولكي تكتمل هذه الصورة المذلة « لقطيع » الاهالي ، يأخذ احد الجنود عصا من أحد الشيوخ « واكتتف بندقيته وراح يلوح بالعصا ، يدفع هذا بها تارة وتارة ذلك » ٠

وبعد ان يتم تركيز الاهالي ، وينتهي الجنود الاسرائيليون من تنفيذ عملية « السلب والحرق والتدمير » تبدأ عملية التهجير الجماعية « بأربع شاحنات كبيرة كانت تصطف صفا واحدا امام قناة من المياه » وحين لم تستطع الشاحنات عبور القناة ، يساق الاهالي اليها من القرية مشيا على الاقدام ، دون ان يأخذوا معهم اي متاع او غطاء او غذاء ٠ فيساقون جميعا غائصين في الوحل باتجاه الشاحنات حيث يتم « تحميلهم » ٠

يتم تحميل الرجال ، فيأتي دور النساء ، كي يشحنوهن بشاحنة اخرى مستقلة ، فتخرج احدى النساء من الطابور وهي « تحمل في حجرها رضيعة هزيلة ، تتأرجح كأداة لا نفع فيها ، رضيعة صغيرة ، هزيلة ومريضة ومتقزمة ، وكانت امها ترفعها بمزقها وترقصها أمامنا متوسلة ، بلهجة ليست هي بالساخرة ولا الحاقدة ، كما ليست هي بالبكاء المجنون وانما كلها مجتمعة : هل تريدونها ؟ خذوها ٠ خذوها لكم » الا ان احد الجنود يهوي عليها بيده كي يضربها وهو يصرخ « يالله ٠٠ يالله » فانسحبت وهي « بين باكية وضاحكة تغوص في السيل وهي لا تزال ترقص طفلتها بين يديها » ٠

وتستمر هذه المشاهد المأساوية اثناء عملية التهجير ، فيستفيق « الانا » الداخلي للبطل ، الجندي المشارك في هذه العملية القذرة ، ويململ « ما لنا ولكل هذه العملية » فيجيبه يهودا « كل ما في الامر اننا ننقلهم الى الناحية الاخرى ، وهذا جميل من جانبنا ، اذ لا يوجد مكان في العالم يعاملونهم فيه كما نعاملهم نحن » ٠

وحين تمر امرأة تمسك بيدها طفلا كانت « تبدو حادة ، متماسكة ، صلبة بحزنها ، ودموعها تسح على وجنتيها وكأنها ليست لها ، ودون ان تعيرنا اي انتباه ، كأم لبؤة لا تريد الانكسار امامنا » يخجل البطل ويخفض عينيه الى ان تنضم هي الاخرى الى قافلة المحملين بالشاحنات ·

فينظر البطل « الانا » الى قائده موشي ، وهو لا يزال فريسة « الانا » الداخلي ، الرافض لكل مايجري ، ولكنه لا يستطيع الخروج عن التيار الجارف ، فيسأله موشي :

ـ « لماذا تنظر الي هكذا » ؟

فيجيبه بصوت مخنوق وكأنه صوت « الانا » الداخلي عنده :

ـ « هذه حرب قذرة » ؟

ـ « دخيلك ، ماذا تريد اذن ؟ فلتسمع ما اقوله لك ، لخربة ما اسمها هذه ، سيأتي قادمون جدد ، هل تسمع ، ويأخذون هذه الارض ويفلحونها ، وسيكون هنا مكان جميل »·

يشعر البطل انه على حافة هاوية ، ولكنه يسيطر على نفسه و « كل ما في داخلي كان يصرخ : مستوطنون بالقوة · صرخت مشاعري ، كذب ، صرخت مشاعري خربة خزعة ليست لنا · ولم يمنحنا الشبانداو ( سجن مجرمي الحرب في برلين الغربية ) اي حق ··»

اراد ان يفعل شيئا ما « عرفت انني لا استطيع ان اصرخ · لماذا بحق جهنم ، انني المتأثر الوحيد هنا · لقد تورطت هذه المرة · ثمة شيء متمرد في مكان ما في داخلي ، يفجر كل شيء · لمن اتكلم ومن يسمعني ؟·· »

قال للقائد موشي وهو يحاول السيطرة على صوته كي لا يرتجف :

ـ « موشي ·· ليس لنا اي حق في اخراجهم من هنا » ، الا انه كان يعرف انه لن ينتج عن ذلك شيء ، وان ما قاله كان موجها الى « الانا » الداخلي العاجز عنده وليس لقائده

الشاحنة الاولى تحركت تصعد الطريق الترابي الكبير ، وتمنى في داخله لو يستطيع الذهاب اليهم واحدا واحدا ويهمس « عودوا الليلة ، فنحن ذاهبون وستظل القرية خالية »، الا انه لم يفعل واستسلم للتيار · والشاحنة الثانية المحملة بالنساء ، تحركت هي الاخرى ، بينما راحت الشاحنة الثالثة تهدر ·

ومن ثم ، « كان السهل هادئا ، وفي الطريق الترابي من بعيد ، وبالقرب مما كان يبدو كعاصفة ، كانت الشاحنة الثالثة تبتعد وتتلاشى ، تسود شيئا فشيئا ، وتتأرجح ، ككل الشاحنات الثقيلة المحملة بالفواكه او المحاصيل او شيء ما » ·

وفي النهاية ،

يؤكد الكاتب يزهار ، وكأنه احد انبياء الخراب القدامى ، المقارنة بين نهاية خربة خزعة الحاضرة وبين الاحداث التي سبقت نهاية سدوم الخاطئة اذ « حين يطبق الصمت على كل شيء ، ولا يهتك الصمت احد ، وتضج الارض بهدوء ما خلف الصمت ، سيخرج الله عندها وينزل الى السهل ليتجول ويرى كيف كانت صرخته » ·

توفيق فياض

## العشاق

رشاد ابو شاور :

دائرة الثقافة والاعـــلام فـــي م٠ت٠ف٠

بين انهاء الرئيس عبد الناصر لـدور البوليس الدولي في شرم الشيخ ، عـام ١٩٦٧ ، وبين الاسابيع القليلة التي تلت هزيمة حزيران ، شهر ونصف الشهـر تقريبا ، وفي هذه الفسحـة الزمنيـة المحدودة، يحرك رشاد ابوشاور شخصيات روايته « العشاق » ، على رقعة جغرافية محدودة نسبيا ، ايضا ، حيث لا تغـادر شخصيات الرواية منطقة أريحا الفلسطينية الا لماما ، وبصورة جزئية تكاد لا تذكر ، فهل بمقدور زمان ومكان محددين ان يمنحا العشاق فرصة ان يحققوا روايتهم ؟ ربمـا يرى الكثيرون مثل هذا الامـر صعبـا ( وربما تطرف بعضهم فاعتبره مستحيلا ) الا ان الزمان الروائي ــ كما يقول روجيـه غارودي ــ يكون اقرب الى الحقيقة ، بمـا هو تعبير عن مبادرات الانسان ، لا بمـا هو ساعات وتقاويم محشوة بالاحداث ، وعلى هذا فان مبادرات « العشاق » بما تحمل من غنـى وخصوبة هي المعيـار ، فالاحداث ــ كما يقرر غارودي ايضا ــ هي في الرواية ما يحدث الانسان ويخلقهـا وليست مجرد معطيات جامدة ٠

و « احداث » رواية العشاق تنبثـق من اللحظة الممهدة لفجيعة العرب الفظيعة في حزيران ، وتمتد لتغطي لحظة حزيران نفسها ترقبا وحدثا ونتائج اولية ، امـا متلقو هذه الفجيعة ، فهم الفلسطينيـون في اريحا ، هذه المدينـة الجبـارة بتضاريسها وناسها وقيظها ٠ اذن فالزمان ــ على محدوديته الوقتية ــ خصب خصوبة الارض التي تحمل قيمة العشاق ، ويأخـذ الزمان والمكان فرصة مضاعفة من خـلال الملحق الذي ثبته الكاتب في مدخل الرواية وعرض فيه ــ على امتداد سبع وعشرين صفحة ــ جوانب مدهشة من مدينة اريحا ، التي يجب ان يسميها مدينة القمر ، حيـث يلتقط ببراعة لا تخفى ، احداثا منتقـاة من تاريخ المدينة ، منذ الغزو العبـري الاول الى سقوطها في ايدي الصهاينـة ، مع تركيز على خصوصيتها الجغرافيـة ( من الصعب احصاء عدد المرات التـي اورد فيها الكاتب ان اريحا اخفض نقطـة في الكون ) الى جانب الاستفاضة فـي الحديث عن قيظها المجنون ، وشوارعهـا وحجارتها ومائها وهوائها ، وهذا كلـه شاهد على معاناة اهلها على ايدي الغزاة والحاكمين والمتنفذين ، هذه المعاناة التـي لا يعبر عنها بالشكوى مطلقا ، وان كانت فياضة بالحـزن والسخط والسخرية ، ويتعاظم دور هذا الملحق في الروايـة مرتين : الاولى عبر الايماءات التاريخيـة الذكية واسقاطها على اللحظة الراهنـة ( مثلا ، الاشارة الى جبل التجربة ومعناه في حياة السيد المسيح ) والثانية فـي التقاط الكاتب لعدد مـن الشخصيـات الحقيقية التي وردت في الملحق وزرعها ،

باسمائها الحقيقية ، في جسم الروايــة ، بحيث يأخذ العمل بمجمله حالة من الحلم المتنقل بين الواقع والتخيل ، وهي حالــة يسيطر عليها رشاد باقتدار مؤكدا حريته في الخلق الفني الذي يلغي التعارض بين شخصيات الواقع والشخصيات الواقعية ٠

بل ربما بدا لنا بعض المفارقة ، في أن شخصية مأخوذة من الواقع ( مثل الشرطي عطوة ) هي اكثر اقناعا فنيا من شخصية قررها الكاتب ( مثل شخصية الاب الياس). ففي الوقت الذي ينتقل فيه عطــوة مــن صفحات الملحق الى جسم الرواية ليعــزز واقعية العمل الفني ، نرى الاب اليــاس في الرواية مجرد فكرة جاهزة ، فهــو قبل ان يظهر يقع تحت طائلة التقرير ٠ يقول محمد احد الاساسيين في الروايــة عن الاب الياس : « انه يختلف عن رجـال الدين ، فايمانه بالانسان هــو جوهــر حياته ـ ص ٨٣ » وتقول الام بعد سطـر واحد : « لقد واسانا كثيرا ولم يتخلــف عنا » ، اما الاب الياس نفسه فبمجرد ان يظهر يقول : « هذه رائحة فلسطين . رائحة الطابون ، رائحة الطعام الطيب ، رائحة الالفة ، اتعرف يا محمود ، لو انني خيرت ان اكون من وطن من الاوطان لاختــرت فلسطين ، لا احد يعرف رائحة القــدس القديمة ٠٠ ص ٨٧ » ٠

ان هذا الحوار لا يمكن ان يــدور ، فنيا ، بين اناس يعرف بعضهم بعضا ، ان « المعلومات » التي يقدمها هذا الحــوار عن الاب الياس هي برسم القــارىء ، ويتدخل من الكاتب ، وهذا ما سيبدو اكثر وضوحا بعد ان نقطع في الرواية شوطا ، عندما يقول حسن عن الاب الياس ايضـا «ما زال ينتظر عودة المسيح ليخلص العالم ـ ص ٢٠١ » وعندما يتحدث الاب الياس عن نفسه « لا تظن اني لا اؤمن بالعنف . انا مع حمل السلاح في سبيل تحريــر الوطن ـ ص ٢١٨ » ٠٠ في هذه الشخصية فقط ، يستعيض رشاد عــن المبــادرة الانسانية بالتقرير والمصادرة ، على ان ما يشفع له هو قرب شخصية الاب الياس من القلب ، وانتشارها بيــن الشخصيــات الاخرى ، ذات اللحم والدم ، كاشعــاع وجداني يستمد مشروعيته الفنيــة مــن خصوصيته اللاهوتية ٠

والاب الياس ، بخصوصيته هذه ، يبتعد عن التناظر المتقن بين مكونات الرواية ، والتناظر الذي اعنيه لا يأخذ شكلا سكونيا او نمطيا . بل على النقيض ، يبدو غنيـا بالحركة ويمنح كل شخصيــة تفردهــا الضروري ٠ فنحن نرى اولا شخصيــة محمود ، الشاب الفلسطيني الذي خرج من السجن حديثا ، انه يواجه النظام بشجاعة ومع ذلك لا يحتمل رؤية ذبــح الارنــب « بصراحة اكره رؤية الدم ـ ص ٨٥ » وعندما يواسيه اصدقــاؤه بــان الحبس للرجال ، لا يقع في شرك المزايدة ، بـل يلعن السجن وساعته . وهو يعي فاجعية الوضع الفلسطيني : « فعلا هذه ريــاح لا تشتهيها السفن ، لقد خلقنا لنعيش . لنفرح ، لكننا ولدنا على اصوات القذائف ـ ص ٢١٢ » ولهذا فهو يختار الثــورة : وهو حريص على ان ينجب الفلسطينيون ويكثروا : « كيف لا ننجب ؟ ذلك يعني اننا لا نستحق ان نكون مواطنين ـ ص ٢٥٤»٠

مقابل هذه الشخصية تماما نرى حسن. على الطريق نفسه ولكــن بمواصفــات مختلفة ، ففي الوقت الذي يلعن فيه محمود السجن وينزعج من رؤيــة الارنــب المذبوحة ، يطالعنا حسن ، اول ظهــوره في الرواية ، بعملية مغامرة ، اذ يقــوم بحرق مزرعة المتنفذين واللصوص ، وهو يصل الى نصف الفكرة بينما يكمل محمود النصف الاخر ، مثلا عندما يتحدث حسن عن باسم العارف ، الفلسطيني البرجوازي، يقول : « الذي يحيا في هذا البيت ،وسط

هذا البستان لا يفكر في قتال العدو ـ ص ٢٣٥ » فيجيب محمود : « بل يمكن ان يفكر في قتال العدو اذا استطاع دحر ثقل هذه الامتيازات عن عقله » ، وحسن يعي دوّر محمود وقدرته النظرية والتنظيمية ، ولهذا فهو يقرر اثناء توزيع المسؤوليات ، وخلال حديثه مع محمود : « انت لا يجب ان تشارك في اي هجوم ، انت تبقى للتنظيم ، للتفكير ، للتخطيط ، فاذا مت انا فعليك عندئذ اما ان تدبر منفذا جيدا او ان تتقدم انت للتنفيذ ـ ص ٢٦٨ » ·

ان هذا التناظر بين شخصيتي محمود وحسن يضفي على الرواية نوعا من التناغم المحكم البعيد عن اسار النمطية ، واذا كانت التباينات الطفيفة تبدو بينهما من خلال مواقف كل منهما ، ومن خلال النبض الداخلي لشخصيتيهما ، فان الوضع لدى الشخصيات النسائية لا يبدو هكذا تماما ، اذ ان التباينات الصارخة تبدو ، على الاغلب ، خارجية ، فماذا عن شخصية ام محمود مثلا ؟ انها ام فلسطينية طيبة ، ولداها وطنيان معنيان بالثورة ، وزوجها مناضل قديم استشهد في احدى المعارك ، واخوها مختار انتهازي متعاون مع السلطة ، في المقابل هناك ام حسن ، ام فلسطينية طيبة ، ولدها وطني معني بالثورة ، زوجها شرقي تافه مزواج ، واخوها شيخ طهراني يتعقب اللصوص وهو ذو ماض وطني طيب ، وتنفرد ام حسن بشخصية قوية باهرة ، فقد استطاعت ان ترغم زوجها على تطليقها ، كما انها امرأة منتجة تصنع الطوب بنفسها ، على انها رغم هذا التفرد لا تبدو ، في جوهرها ، مختلفة عن ام محمود ، فهما تعدان الشاي والطعام دائما لاولادهما وضيوفهما ، كما تستقبلان دون حرج علاقات الحب بين الشباب : ام حسن تستقبل في بيتها زينب حبيبة ابنها ، وام محمود تستقبل ندى حبيبة محمود ، وهذا التشابه بين الشخصيتين ينبع من محدودية عالم المرأة في بلدنا ، وان كان من حق الكاتب التنويه بالحاح على نجاحه في استخلاص شخصيتين نسائيتين ( ولا سيما شخصية ام حسن ) من هذا الجو المحدود ·

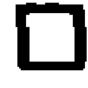
ويتاح للكاتب فرصة اكبر في اظهار التناظر بين شخصيتين نسائيتين ، عندما يقدم لنا ندى وسعدية ، فهما صبيتان ، والتطور الذي ادركه جيلهما قياسا الى جيل ام محمود وام حسن يسمح لكل منهما بتفرد اوضح ، فماذا نرى ؟ نرى ، من جهة ، سعدية مسكينة خجولة مكسوفة تحب ابن عمها ولا تستطيع مصارحته ، ومن جهة ثانية تبدو ندى قوية ، شجاعة ، تخرج مع حبيبها الى الشارع ، على مرأى من الناس ، وحين ينفردان ، تطلب منه ان يقبلها ، ثم حين يبدأ العمل النضالي تجد لنفسها دورا ·· هو دور بسيط على اي حال ، لكنه دور امين للواقع بلا تهويل ولا طنطنة ، واذا كانت شخصية ندى غنية ومقنعة ولصيقة بجسم الرواية ، فان سعدية لا تبدو ضرورية ، انها شخصية زائدة ، ولعل دورها لا يعدو ان يكون وظيفيا · القول نفسه يصدق على شخصيتي زينب وسهام التي يرد اسمها مرة واحدة في الرواية ·

ويدخل في سياق التناظر الذي تقدمه الرواية ، شخصيتان فريدتان : هما مدينة اريحا ، اخفض منطقة في الارض ، وجبل التجربة الشاهق ، واذا كانت المدينة قد شهدت تاريخا ملتحما بالحاضر ، فان الجبل شاهد على هذا التاريخ ، والمدينة في انخفاضها المريع موصولة بقمة الجبل الذي هو « تمثال للصبر الفلسطيني ، انه راسخ مهيب ، ثقيل وصلب ـ ص ١٢٦ » ، بهذا التناظر يختلط الفلسطينيون بطبيعة

ارضهم وتختلط الارض بهم ليسهما معـا في استكمال صناعة تاريخ المنطقة ·

الى هنا يبدو التناظر تكامليا ، داخـل الاسرة الواحدة ، لكنه لا يبقى كذلك فـي حالات التعارض ، والتعارض قاسمـه المشترك اهل اريحا الفلسطينيون ، فهم من جهة يصطدمون مع السلطـة الاردنيـة المتحكمة ، ومن جهة يصطدمـون مـع الاحتلال · وفي حال التعارض مع السلطة ينجو الكاتب من ورطة وضع الجميع فـي كيس واحد ، فهو يميز جيدا بين شخصية عطوة الشرطي المسحوق صاحب الـروح المرحة والهمة الوطنية العالية وبيـن شخصية الشرطي ادريس الحقير الـذي يهين كرامة الشباب ، ويقص شعر محمد ليذله امام فتيات اريحا ، وعندما تبـدا الحرب يكون عطوة مع شعبه ، بينمـا يرتجف ادريس خوفا ويطلب السلامة ·

اما في حالة التعارض مع العـدو فليس هناك رحمة · العدو هو العدو ، ولا حوار معه الا بالقتال ·· ويخيل الي ان ذروة الصراع في هذه الرواية ، يرفعها رشاد ابو شاور في التضاد حتى الموت بيـن شخصيتي ابي خليل والخواجـا داوود ، فأبو خليل الفلسطيني هو ابن الخضـرة والارض ، هو امتداد الشجرة وحاميها ، لقد ظل يحرس الشجر خمسة عشر عامـا ليكتشف فجأة ان هذا الشجر لـه وليس للاقطاعي البعيد : « انا منذ خمسة عشر عاما احيا تحتها ، اليد التي ستمتد لقطعها ستقطع ، هذه شجرتي ــ ص ٢٠٧ ، وعندما يقع الاحتلال ، يظهر الخواجـا داوود ، الصهيوني الدخيل ، المعنـي بالحجارة والعظام ، الباحث عـن وهم تحققه الحجارة عله يثبت بـه حقـا للصهاينة في اريحا ، ويطلب الخواجـا داوود من ابي خليل ان يساعده ، لا في البحث عن حجارة بل عن اسماء المواطنين الفلسطينيين ، وعندما يحدث الانفجـار الاهم في الرواية : يفقأ ابو خليل عينـي الخواجا داود بعظمة من العظام التي يحلم الصهاينة ان تعطيهم حقا في فلسطين ·· وعندما يبدأ الخواجا الاعمى بالتعثـر بين الحجارة واطلاق النار على غير هدى، يتوغل ابو خليل في الخضرة ، فيحرسـه الشجر الذي قام هو بحراسته طويلا ··



يبدو مشروعا ان يبحث القارىء عـن النمو الدرامي لهؤلاء « العشاق » ، ولكن قراءة متمهلة للرواية ستعفي الكاتب مـن هذه المهمة ، فشهر ونصف الشهر مـدة اقصر من يتطور خلالها الناس ، ومع هـذا فاننا لا نودع شخصيات هذا العمل كمـا استقبلناهم ، صحيح ان الفترة قصيـرة ، ولكن الصحيح ايضا انها فترة بالغـة الخطر والخطورة ، اذ لا شك ان هزيمـة حزيران اختبار من النوع الذي يكفي ان يحدث مرة في تاريخ امة من الامم ( ولا سيما اذا كانت على طريق التحرر الوطني) حتى يترك بصماته على ابنائها ويفتـح امامهم باب المراجعة والحساب ، فكيـف اذا كان هؤلاء الابناء من نوع « العشاق » الذين هم بغالبيتهم من المثقفين المشغولين بهموم الوطن والثورة ؟ على ان التأثيـر لا يقع على المثقفين فقـط ، فالهزيمـة شاملة ، والجميع يأخذ الدروس منهـا ، كل شخصية حسب وعيها واستعداداتها··

في الفقرة الرابعة من قسم الحرب ــ في الرواية ــ يرتفع علم فلسطين ، للمرة الاولى منذ سنوات طويلة ، انها مفارقة فعلا فقد كان النظام يحول دون هذا العلم، وها قد سقط النظام مع الهزيمة ، والشعب يواجه الاحتلال ، ان ارتفـاع العلـم الفلسطيني فوق اريحا ، وفي وجه الاحتلال يعني ان تاريخا جديدا يبدأ ، ولقد عبـر

الكاتب عن دخول شخصياته على هذه المرحلة من التاريخ بأناة ودقة ..

فالتاريخ الجديد لم يبدأ بفعل معجزة غيبية . ان قسم ما قبل الحرب كله يشكل بذرة لردود فعل الجماهير بعد الحرب ، ان عطوة ، الشرطي الذي التزم بالمقاومة بعد الحرب لم يفعل هذا نتيجة صحوة وطنية ميلودرامية ، فهو منذ البداية ضرب ابن الشيخ البدوي لانه يتحرش ببنات اريحا ، وهو ذاته الذي تساءل بزهو : « احيانا اتساءل لماذا خلقني الله فلسطينيا ؟ » فأتاه الجواب « هذا تكريم لا يحصل عليه جميع الخلق ـ ص ١١٦ »، وهكذا فان ما فعلته الحرب في عطوة ان نزعت السدادة عن وعيه الثوري فتدفق في جسم الثورة .

اما باسم العارف ابن الفلسطيني البرجوازي المدلل ، الذي كان ملتزما باحدى خلايا الثورة قبل الحرب دون اي فاعلية تذكر ، وجد بعد الحرب ان الامر جدي فعلا ، فاقترح تجميد التنظيم !

من الشخصيات التي كشفت الحرب عن جوهرها ايضاً ، ندى ، فهذه الصبية الشجاعة التي تغلبت على خوفها ومشت في الشارع مع حبيبها قبل الحرب ، لم تجد حرجا بعد الحرب من ان تزوره في البيت ، على الرغم من انها ليست مرتبطة معه بخطوبة .

والاب الياس ، كذلك ، لم يكشف عن ايمانه بالعنف ضد الاحتلال الا بعد الحرب .

على ان التحول الاهم في تفكير محمود وحسن ـ وهما ضمير الكاتب كما لا يخفى ـ انهما قررا تصفية ضابط المخابرات احمد خطاب ، بعد الحرب مباشرة ، وهذا اول انتقال نوعي في تفكيرهما باتجاه مواجهة السلطة مباشرة بالعنف ..

يصوغ رشاد ابو شاور اريحا صياغة بين الرغبة والواقع ، فتأتي على هيئة اسرة واحدة ، في وجه استرتيجيتين معاديتين : الاحتلال والسلطة .. على ان جو الاسرة ليس محكوما بالمتطلبات القبلية ، وان كانت تند احيانا ، وبشكل خاطف بعض الهنات التي توحي بشيء من الرواسب الشرقية ، وغالبا ما تبدو هذه الهنات عبر المزاج الذي وهبه رشاد للشخصيات التي يحبها ، مثلا يقول حسن : « لقد اكتشفت ان الحكومة مؤنث ـ ص ٢٥٠ » ، وكأن التأنيث عنصر انتقاص ، كذلك عندما يمزح محمود بشأن زواجه فيقول : سأتزوج من اجل الوالدة « .. ومن اجل غسل ملابس اخي محمد ... » .. ألهذا يتزوج الرجال ؟

استطاع رشاد ابو شاور ان يقدم ، من خلال « العشاق » ، عالما فنيا ينبض بزخم الحياة ويجتاز ، بالسلامة ، شعرة الصراط ، ولقد كان مهددا بالوقوع الى هذا الجانب او ذاك بين فترة واخرى ، الا ان وضوح ما يريد كان يعصمه دائما ، بل ان « ما يريد » كان من الوضوح بحيث يطفح احيانا ، فيصادر على الشرط الفني لحساب بعض الافكار والخواطر الجاهزة، ويمكن حصر هذه «التجاوزات» بالملاحظات التالية :

اولا ـ استسلام الكاتب ، في حالات نادرة جدا ، الى نوع من العفوية التلقائية بحيث يترك للقلم ان يسوقه الى هذه الشطحة او تلك

ثانيا ـ استباق الكاتب لشخصياته على افكارها ، ومرد هذه الملاحظة ، في معظم الحالات ، ان لم اقل دائما ، الى حماسة شديدة يصعب ضبطها

ثالثا – كان ضيق المسافة الزمنية سلاحا ذا حدين ، فمن جهة اعفى الكاتب من مسألة نمو الشخصيات دراميا ، وقد استعاض عن هذا ببراعة كما رأينا في رصد بداية تحولات هذه الشخصيات خلال الحرب وبعدها ، ومن جهة الزم الكاتب بمستوى من التكثيف لم يلتزم به دائما ، مما جعله يلجأ الى الحوار ، غالبا ،ليعبر عن افكار شخصياته وهمومها ، لقد اكتسح الحوار معظم العمل ، وقد يكون هذا مشروعا لو لم يكن ينوب عن الكثير من المبادرات والتحركات التي من شانها ان تغني العمل فنيا

رابعا – على الرغم من حذق الكاتب في استحضار اللقطات التعبيرية التي تحاكي دخائل شخصياته ، فقد كانت هذه اللقطات تنبو عن اماكنها – في حالات نادرة جدا – لتغدو مجرد محطات جمالية، مثلا لقطة العصفورين المتناجيين على مقربة من الشيخ ابي نعمان ، وهما يحكان منقاريهما بعضهما ببعض (ص١٩١) لا يمكن ان تلائم لسان حال شيخ عجوز ٠

على اننا مقابل هذه الملاحظات المحدودة ، نجد في الرواية عملا متكاملا منسجما يغلي بالحياة ، ويحقق تطابقا مدهشا بين زخمه الفني وحرارة جو المنطقة التي يصدر عنها ، بل انه يمكن القول دون حرج ان هذه الرواية استطاعت تقديم عدد من الشخصيات الفذة فنيا ، على الرغم من عفويتها البالغة ٠ وعلى الرغم من محدودية فرصها الاجتماعية والثقافية ٠ في طليعة هذه الشخصيات الشرطي عطوة ، وام حسن ، ومحمد ، وابو خليل ٠٠ وابو خليل بالذات يأخذ خصوصية عالية من خلال تقدمه كرمز ( ولعه بالشجر والخضرة ، حتى ابنته اسمها ندى ) ومن خلال اخلاصه للحياة بحيث يبدو فلذة فنية من لحم ودم طازجين ابدا ٠

على ان نجاح الرواية لا يقف عند حدود الشخصيات الفنية ، بل انه ينبع اولا من حجم المهمات التي اضطلعت بها ، فقد استطاع الكاتب ان يقدم ، اولا ، شهادة موثقة عن يوميات اريحا – والضفة كلها، بالتالي – سواء من خلال رصد شخصياتها الطريفة وغير الطريفة ، او من خلال احداثها ومؤشراتها الدقيقة ، كما استطاع ان يعطي ملاحظات ثمينة عن القوى والاحزاب والتجمعات ، سواء الوطنية كالشيوعيين والقوميين ، او المرتبطة كالماسونية او السلبية المحذوفة خارج دائرة الفعل كحلقات الدراويش ، واستطاع بالتالي ان يوفر لابطاله الاختيارات الوطنية الديمقراطية ، بحيث يدركون الثانوي والاساسي في الصراع ، ويعون متى يرقى التناقض الثانوي الى درجة التناقض الاساسي ، ومتى يتراجع مرحليا ٠

ان هذه الرواية هي الاولى من نوعها – على ما اعلم – من حيث اقتحام المخيمات وتصويرها بعيدا عن دموع ما قبل ١٩٦٥ وخطابات ما بعد ١٩٦٨ ، بل من خلال سير الحياة المتصاعد ، المنتكس احيانا ، ولكن المتصاعد غالبا ٠٠ وكون هذه الرواية تختط دورا رياديا لا يعني انها تطلب النظر اليها بالرفق الذي تؤخذ به ، عادة ، الاعمال الريادية ، بل هي عمل فني ناضج يبقى ، بعد الملاحظات الآنفة ، ناهضا متميزا بكل جدارة ٠

**احمد دحبور**

## التراث الفلسطيني والطبقات

علي الخليلي
دار الاداب ـ بيروت
الطبعة الاولى
حزيران ( يونيو ) ١٩٧٧

درس الكاتب الامثال الفلسطينية ، على قاعدة الوحدة والصراع ، ورفض الفصل الميكانيكي بينها · واعطى اهتماما كبيرا، لدراسة حركة التاريخ المادي ، المتفاوت في الفعل والتاثير ، الذي اكسب المثل سمة الشمول ، وحاول اكتناه الطبقات التي افرزت الامثال ، ودرجة وعيها الاجتماعي ·

في الفصل الاول ( مدخل الى المثل الشعبي ) ، ثبت الكاتب ثلاث نقاط هامة ، وهي :

١ ـ المثل نتاج جماعي وليس من صياغة عقل فرد مجبول على صياغة الحكم والامثال · ولذلك فكل ( مجموعة ) متجانسة طبقيا لها امثالها وحكمها · ومن غير المعقول ساعتئذ ان تبدع البرجوازية امثال وحكم الطبقة العاملة ، او ان يبدع الاقطاع امثال وحكم طبقة الفلاحين ·

٢ ـ معظم دراسات التراث استندت الى اعتماد التراث العربي « الفصيح »، واهملت في البحث والتنظير قيمة الموروث الشعبي « غير الفصيح » ، في القصص والاساطير والحكايا الشعبية والامثال ·

واذا كان الموقف التقدمي من التراث ، يقوم على استنهاض كل جوانبه الايجابية وتطويرها ، وفق منظور وايديولوجية تقدمية راهنة ، فان هذا الموقف يرفض الاستعادة الشاملة للتراث كما هو · ويرفض في الوقت نفسه الانكار العدمي لكل الماضي واعدامه ، تحت حجة انه لم يعد يلائم عصرنا ·

هذا الموقف لا يقلل من قيمة الاعمال البحثية التي تتطلب اكبر عملية رصد لهذا الماضي ، بما يخدم تعميق المعرفة ونشرها حول مرحلة من مراحل التطور · وهذه الاعمال ـ التي تبدو محايدة ، وترصد المعرفة للمعرفة ـ هي بنظر التقدمي مادة اضافية للتحليل والاستنتاج · وهذا ما حاول تابيته الكاتب ·

٣ ـ بدقة درس علي الخليلي ، تطور المثل الشعبي ، واسباب انتشاره · فمضمون المثل ، وشكله ، يساعدان على انتشاره وتناقله جيلا وراء جيل ·

وفي الفصل الثاني ( المجتمع الفلسطيني من ١٩٠٠ الى ١٩٤٧ ) ، دراسة سياسية ـ اجتماعية ـ اقتصادية، لطبقات الشعب الفلسطيني ، تتقاطع مع الكثير من الدراسات المنشورة · والقيمة الابرز في هذا الفصل ، هي للتحليل الاجتماعي المرتبط مباشرة بموضوع الدراسة ( الامثال ) · ويمكن استعراض ما هو جوهري ، عند كل طبقة ، مع امثلة دالة ·

## الاقطاع

يقول الكاتب ان الارض عند الاقطاعي ليست ( وطنا ) او ( تراثا ) ، « بل هي وسيلة في الاستغلال ، تنتقل من شكل لاخر ، ومن صيغة لاخرى ، حسب توافقه الطبقي ، فهو يبيعها للاعداء ، ويطرد فلاحيها ، ويعرض الوطن لكارثة الضياع، دون ان يشكل له ذلك اي تعارض مع محتوى طبقته » ص ٤٧ ـ ٤٨ ورأى ان « الدين الرسمي شكل سندا رئيسيا للاقطاعيين » ، في اخضاع الامثال للشمولية الغيبية ٠

وهذه عينة من امثلة الاقطاع : اللي بتزوج امي هو عمي ـ اللي باكل من خبز السلطان بضرب بسيفه ـ الناس على دين ملوكهم ـ العين ما بتعلاش على الحاجب ـ الله فضل ناس على ناس ـ الناس مع الواقف ـ الشاطر ما بموت ٠

## الفلاحون

يرتبط الفلاحون ـ تاريخيا ـ بالارض ، لانهم على تماس مباشر معها ، ويشكلون تراثها ٠ ويقول الدكتور توفيق كنعان « الفلسطيني في الدرجة الاولى زراعي وعمله يجعله على اتصال دائم مع الطبيعة التي فيها ومنها يعيش » ٠ وشكل الفلاح ( الفقير والمتوسط ) والعامل الزراعي ، المادة الرئيسية للانتفاضات والثورات المتتالية ٠

عينةمن امثال الفلاحين : ما بحرث الارض الا عجولها ـ اللي ما الو ارض ، ما الو عرض ـ اعطي الزرع للزراع ، والارض لاصحابها ـ اتعب على ارضك ، تتعب عليك ـ انا بالي الباشا باشا ، اتاري الباشا زلة ـ كلب الشيخ شيخ ٠٠ الخ ٠

## التجار

شكلت المصارف المادة الاولى لاهتمامات الطبقة التجارية الناشئة ٠ ومن خلالها مارست السمسرة والوساطة بين الراسمالية الغربية وبين استغلالها للعمال والفلاحين ٠٠ « وهكذا نمت المدينة الفلسطينية فوق جمر المال ، فانشئت الاسواق ، وبنيت بعض المصانع لتصنيع المواد المحلية ، وانتشرت متاجر الجملة والدكاكين ، ونشطت مجاميع الباعة المتجولين ٠ كل هذه الحركة التجارية محكومة بسلطة البرجوازية ، وبالتالي مفاهيمها واخلاقها » ـ ص ١٠١ ـ

امثلة التجار : معك قرش تسوى اثنين ـ المال يجر المال ـ المال السايب بعلم الناس السرقة ـ الدراهم مراهم ـ نقطة على نقطة بتصير بحر ـ اجير يسرق ولا شريك يحاسب ٠

## العمال

يقول الكاتب ان « المفهوم الشعبي ، هو في الاساس ، مفهوم الطبقة المسحوقة ٠٠٠ والعمال في المدينة يمتلكون كل شروط « الوجود الشعبي » ، كما يمتلكون في الوقت نفسه ، كل شروط التحدي والاحتجاج والرفض والثورة » ـ ص ١١٥ ـ ٠ واعتبر طوائف الحرف ، نقابات عمالية في شكلها الجنيني ، قبل وجود النقابات ( تكونت ١٩٢٥ ) ٠

امثلة عمالية : الحيط الواطي بتنطه كل الناس ـ مسكين اللي خدم وما تعلم ـ الكسل ما بطعم عسل ـ البطالة بتعلم الهمالة ـ الفاضي بعمل قاضي ـ قلة الشغل بتعلم التطريز ـ شو بهمه ، مصروفه من امه ٠

## ملاحظات

□ ان عنوان الكتاب لا يعكس مضمونة ، فبينما تجري الدراسة كاملة عن الامثال الشعبية ، انفرد الغلاف ( بدراسة ) التراث الفلسطيني ، ورغم صحة القول ، بان الامثال احدى مقومات الفلكلور ( الذي هو احد مقومات التراث ) ، فانها لا تنوب عن التراث ، ولا يستطيع اي دارس مدقق ان يضع التراث كله في وعاء الامثال الشعبية ·

كما يفترض بمن يدرس التراث بشمول ، ان يقدم صورة شاملة للبناء الفوقي في مرحلة محددة ، او عدة مراحل ، بما يشمل العادات والتقاليد والاعراف ، القيم والقوانين ، مختلف اشكال الثقافة ( فنون ـ علوم ـ اداب ) ، والمعتقدات الدينية · وهذا ما لا يدرسه الكاتب ·

اذن كان الاجدر ان يكتفي اسم الكتاب بمضمونه ، فيصبح « الامثال الفلسطينية والطبقات » ·

□ يعتبر الكتاب محاولة تقدمية جريئة لدراسة الامثال طبقيا · وشاب هذه المحاولة اضطراب واضح في المنهج والتحليل ، نظرا لضعف الموقف النظري · فالعناوين الكبيرة التي وضعها في الفصلين ، الاول والثاني ، تصطدم مباشرة بالاقتباسات التي جمعها من قراءاته · تتصارع الاقتباسات ، دون منهج يربطها ، ويضعها في السياق الملائم ·

□ غاص علي الخليلي في دراسة صفات المثل ، مقوماته ، وطبيعة انتشاره، وارتباطه بالواقع الاجتماعي والاقتصادي للشعب · وعلى اهمية نسب الامثال الى الطبقات ، فان هذه المسالة بحاجة الى دراسة وليس الى احكام « منطقية » · فالدراسة تحدد بالضبط حقيقة امثال كل طبقة ، وتقدم تفسيرا للامثال المختلطة بين اكثر من طبقة واحدة ، وتعطي اهمية بحثية للاصول والامثال تاريخيا · ولذلك، اعتقد ، ان تقسيمات الامثال ما زالت بحاجة الى تدقيق ·

□ « لا تجلس في حضرة من هو اكبر منك » ، « رفيق الغبي غبي ، ورفيق الحصيف حصيف ، ورفيق الابله ابله » ، « تمثال من حجر خير من ولد احمق » ·

تبدو الامثال هذه ، للوهلة الاولى انها ضمن تقسيمات الكتاب ، ومنسوبة الى واحدة من الطبقات · بينما هي تعاليم بتاح حوتب ، وامنموبي ، في الحضارة الفرعونية · (★)

اذن ، كيف نميز بين « فلسطينية » المثل ، اذا عزلناه عن المؤثرات المحيطة ؟ وكيف نستخلص من امثال وحكم عهد الرق العبودي ، ما يفيد الطبقة العاملة والفلاحين ؟

نعم ، المثل يتطور من جيل الى اخر ، ويتعرض الى عمليات الاضافة والحذف والتعديل · ولكن دور الباحث في هذا المجال ، ان يبحث عن اصول هذه الامثال ، والا يكتفي بسماتها في القرنين التاسع عشر والعشرين ·

فقيمة ذلك ، انها تحدد لنا السمات المشتركة في تعاليم ونصائح وامثال مرحلة بكاملها ، مع الفروقات المحلية ·

فمثلا :

الى اي حد تتضمن الامثال الفلسطينية الراهنة مخلفات عبودية ؟

والى اي حد تتضمن مخلفات اقطاعية ؟

وما اثر تبلور الاقطاع في اوروبا ، ولاحقا البرجوازية ، على امثال الاقطاع الفلسطيني ، والبرجوازية الفلسطينية

الناشئة انذاك ، والمتكونة راهنـــا فـــي المنافي ؟!

هذه وغيرها ، ظلت دون اجابة ·

☐ لقد تناول صليبا جوزي في « الفلاح الفلسطيني من الصرة الى الحفـــرة » ، التقاليد والعادات الفلسطينية ، بالوصف التقريري ، وتجنب التحليـــل والنقـــد والاستنتاج ، فقدم بذلك كتابا وثائقيـــا قيما يعتمد على الرصد والجمع · بينما حاول علي الخليلي تجاوز هذه الثغـرة ، فاكتسب بذلك دورا رياديا ، تقع مسؤولية تطويره ، على عاتق كتاب الفولكلـــور في بلادنا ، والتقدميين منهم خاصة ·

**علي حسين خلـف**

---

(★) للتوسع، راجع « التربية والتعليم في مصر القديمة » د · عبـــد العزيـــز صالح ـ الـدار القوميـــة للطباعـــة والنشر ـ ١٩٦٦ ·

# جدول بالعمليات العسكرية
# لقوات الثورة الفلسطينية
# ١١/٩ ــ ٩/١٠/٧٧

| الرقم | تاريخ العمليات اليوم | الساعات | موقعهـــــا | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشريه قتيل | جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة شهيد | جريح | مفقود | البلاغ - المصدر العسكري رقم | تاريخ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ١١-٩-٧٧ | ١٥٫٠٥ | بئر السبع محطة الباصات المركزيـــة التابعة لشركة ايجد | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ١ - اصابة قسم الشحن باضرار بالغة وتحطم معظم محتوياته | - | - | - | ٩٦-٧٧ | ١٢-٩-١٩٧٧ |
| ٢ | ١٢-٩-٧٧ | ١١٫٠٠ | مستعمرة رمات غان شارع « ديالت » | تفجير | عبوات ناسفة وحارقة | غير محدد | غير محدد | تدمير جزء كبير من المبنى واشتعـــال النيران في الطبقات الثلاث وبالتالي وقوع اصابات بين افراد المخابرات | - | - | - | ٩٧-٧٧ | ١٢-٩-١٩٧٧ |
| ٣ | ٩-٩-٧٧ | ١٥٫١٠ | نابلس - بنك ليؤمي | تفجير | عبوة ناسفة موقوتة | — | — | تدمير الواجهة والحاق اضرار كبيـــرة في محتويات واثاث البنك الصهيوني | - | - | - | ٩٨-٧٧ | ١٥-٩-٧٧ |
| ٤ | ٩-٩-٧٧ | ٢٠٫٣٠ | نابلس - تجمع لافراد شرطة العـــدو الصهيوني | القاء قنبلة | قنبلة | — | ٤ | - اصابة ضابط من الشرطة وجـــرح ثلاثة جنود بينهم شاويش باصابات بالغة | - | - | - | ٩٩-٧٧ | ١٥-٩-٧٧ |
| ٥ | ٨-٩-٧٧ | بعد الظهر | منطقة نابلس - تجمع لجنود الاحتـــلال الصهيوني | القاء قنبلة | قنبلة يدوية | — | ٤ | قامت سيارات الإسعاف باخلاء اربـــع اصابات من مكان الحادث . | - | - | - | ١٠٠-٧٧ | ١٥-٩-٧٧ |
| ٦ | ١٨-٨-٧٧ | ١٤٫٠٠ | حولون - جنوب تل ابيب مصنـــــع « تمبو » للمرطبات الخفيفة | تفجير | عبوات ناسفة شديدة الانفجار | — | ٢ | الحاق اضرار جسيمة بمعدات الشركة | - | - | - | ١٠١-٧٧ | ١٦-٩-٧٧ |
| ٧ | ١٨-٩-٧٧ | ٩٫٠٠ | بئر السبع - مشاغل مادة البروم | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | — | غير محدد | ١ - اشتعال النار في المصنع<br>٢ - وقعت عدة اصابات داخل المصنع<br>٣ - اصابة احد الخبراء برلتيموفقدبصره | - | - | - | ١٠٢-٧٧ | ١٩-٩-٧٧ |
| ٨ | ١٨-٩-٧٧ | - | تل ابيب - محطة الباصات المركزية | تفجير | شحنة ناسفة شديدة الانفجار | ١ | — | - اكتشفت العلبة ثم انفجرت مما أدى الى قتل الخبير | - | - | - | ١٠٣-٧٧ | ١٩-٩-٧٧ |
| ٩ | ١٩-٩-٧٧ | ١٣٫٠٠ | غـــزة | اشتباك | خنجر | ١ | غير محدد | ١- اصابة بعض الجنود بطعنات الخنجر<br>٢ - مقتل أحد الجنود | ١ | - | - | ١٠٤-٧٧ | ٢٠-٩-٧٧ |
| ١٠ | ٢١-٩-٧٧ | ٤٫١٥ | كريات ملاخي - الواقعة بين كريات جات واشدود احدى شقق رجال المخابرات | تفجير | عبوات ناسفة حارقـــة | غير محدد | غير محدد | ١ - اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بين قتيل وجريح<br>٢ - اصابة الشقة باضرار بالغـــــة واحراق جميع محتوياتها .<br>- تضرر المبنى واندلاع النيران فيه | - | - | - | ١٠٥-٧٧ | ٢٢-٩-٧٧ |
| ١١ | ٢١-٩-٧٧ | ١٧٫١٥ | نابلس - شارع فيصل | هجوم | اسلحة اوتوماتيكية وقنابل يدوية | ١ | ٣ | - مقتل قائد الدورية برتبة ملازم<br>- جرح ثلاثة من جنود العدو<br>- تمكن الثوار من الاستيلاء علـــى رشاش عوزي | - | - | - | ١٠٦-٧٧ | ٢٢-٩-٧٧ |
| ١٢ (١) | ٢٣-٩-٧٧ | ٨٫٥٥ | القدس - سوق محانيه يهودا احـــد المحلات التجارية بالسوق | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | — | ٩ | - اصابة ٩ من افراد العدو بجراح<br>- تحطم المحل التجاري واتلاف جميـــع محتوياته | | | | ١٠٧-٧٧ | ٢٣-٩-٧٧ |
| ١٣ | ٢١-٩-٧٧ | ٩٫١٠ صباحا | طريق بيت لحم - القـــدس الحاجـــز الرئيسي لقوات الامن | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة مشركة | ١ | غير محدد | - انفجرت العبوات اثناء محاولة تفكيكها<br>- مقتل احد خبراء المتفجرات<br>- اصابة عدد من رجال الشرطة الصهاينة | - | - | - | ١٠٨-٧٧ | ٢٤-٩-٧٧ |
| ١٤ | ٢٢-٩-٧٧ | ٩٫٠٥ | كريات اونو - مطعم جرعون الواقـــع وسط المستوطنة | القاء قنبلة يدوية | قنبلة يدوية | غير محدد | غير محدد | - اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بجـــراح<br>- اصيب المحل باضرار لم تحدد | - | - | - | ١٠٩-٧٧ | ٢٤-٩-٧٧ |
| ١٥ (٢) | ٢٣-٩-٧٧ | ١٩٫٢٥ | القدس - شارع همفرون حي المصرارة | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | - اصابة عدد من المستوطنين بجـــراح فتوجهت سيارات الاسعاف تنقلهم الـــى مستشفى هداسا | - | - | - | ١١٠-٧٧ | ٢٤-٩-٧٧ |

| | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٦ | ٢٨ـ٩ـ٧٧ | ٣٠ر٧ | القدس ـ نيفي يعقوب البلص رقم ٢٥ التابع لشركة ايجد | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | — | — | ـ اكتشفت العبوات قبيل انفجارها | ـ | ـ | ـ | ٧٧ـ١١١ | ٢٨ـ٩ـ٧٧ |
| ١٧ | ٢٦ـ٩ـ٧٧ | ١٥ر٩ | بتاح تكفا ـ مركز الشرطة ـ فرع بنك لؤمي ـ محل تجاري | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ انفجرت عبوة واحدة واكتشفت بقيـة العبوات<br>ـ اصابة عدد غير محدد من افراد الشرطة<br>ـ إتلاف معظم محتويات المركز | ـ | ـ | ـ | ٧٧ـ١١٢ | ٢٨ـ٩ـ٧٧ |
| ١٨ (٣) | ٢٠ـ٩ـ٧٧ | ١٥ر١٥ | اللد ـ مصنع « كركال » للكرتون | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | غير محدد | غير محدد | ١ ـ احراق جميع مخازن الكرتون والمواد الخام والات التصنيع<br>٢ ـ تدمير المباني التابعة للشركة تدميرا نهائيا<br>٣ ـ احراق اكثر من ١٥ سيارة نقل<br>٤ ـ اصابة عدد غير محدد من اطفائيـة العدو · | ـ | ـ | ـ | ٧٧ـ١١٣ | ١ـ١٠ـ٧٧ |
| ١٩ | ٢٥ـ٩ـ٧٧ | ١٥ر١٢ | الرملة ـ منطقة بيت جبرين | تفجير | عبوة لاصقة | غير محدد | غير محدد | ـ تدمير السيارة وتدهورها<br>ـ مقتل جميع من فيها | ـ | ـ | ـ | ٧٧ـ١١٤ | ١ـ١٠ـ٧٧ |
| ٢٠ | ٢ـ١٠ـ٧٧ | ٠٥ر٩ صباحا | القدس ـ شارع يافا ـ محطة الباصات المركزية | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بين قتيل وجريح<br>ـ تضرر عدد من باصات شركة ايجـد كانت متواجدة داخل المحطة | ـ | ـ | ـ | ٧٧ـ١١٥ | ٢ـ١٠ـ٧٧ |
| ٢١ | ٩ـ١ـ٧٧ | ٠٠ر١٥ | القدس ـ باب الخليل احد المحـلات التجاريـة | تفجير | عبوة ناسفة موقوتة | — | — | ـ اكتشفت العبوات من قبل قوات الامن الصهيونية | ـ | ـ | ـ | ٧٧ـ١١٦ | ١٠ـ١٠ـ٧٧ |
| ٢٢ | ٩ـ١٠ـ٧٧ | ٠٠ر١٤ | لورا ـ قضاء الخليل مكتب العمـل الصهيوني | تفجير | عبوات حارقة | — | — | ـ اندلاع النيران في المبنى<br>ـ احتراق جميع محتوياته من اثـاث وممتلكات | ـ | ـ | ـ | ٧٧ـ١١٢ | ١٠ـ١٠ـ٧٧ |

مروان حميد

(١) اعترف العدو في نشرته الاخبارية بهذه العملية وذلك بعد ان اتى على ذكر عملية حي المصرارة قائلا : « وهذه عملية « التخريب » الثانية في المدينـة بعد ان انفجرت صباح اليوم عبوة ناسفة صغيرة في سوق محانيه يهودا » وادعى بانه لـم تقع اية اصابات ·

( رصد اذاعة اسرائيـل ، السبت ٢٤ـ٩ـ١٩٧٧ ، العدد رقم ١٣٥١ ، الساعة ٠٠ر٢٠ ، ص ٢٤٧ ) ·

(٢) اعترف العدو في نشرته الاخبارية بأن عبوة ناسفة صغيرة انفجرت في حي المصرارة قرب احد المنازل ( رصد اذاعة اسرائيل ، السبت ٢٤ـ٩ـ١٩٧٧ ، العدد رقم ١٣٠١ ، الساعة ٠٠ر٢٠ ص ٢٤٧ ) ·

(٣) اعترف العدو في نشرته الاخبارية الساعة ٠٠ر١٩ بان حريقا هائلا اتى على مصنع للورق والكرتون « كرجال » فـي مدينة اللد ( رصد اذاعـة اسرائيل ، الجمعة ٣٠ـ٩ـ١٩٧٧ ، العـدد ١٣٠٦ الساعة ٠٠ر١٩ ص ٣٠٧ ) ·

# Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, **Mahmoud Darwish**: *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 60. other Arab countries L L 75 or equivalent, Europe L L 100 elsewhere L L 125: *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 65. *Address*: P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon: Tel. 351261: Cables: MARABHATH.

السعر: ٥ ل.ل. في لبنان
٦ ل.س. في سوريا
٦٥٠ فلساً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولة الامارات العربية
٦ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٨٥٠ درهماً في ج.ع.ل.

# شؤون فلسطينية

٧٣ كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٧



# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٧ — ٧٣

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية





العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ( متفرع من الساداة ) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ . تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،

برقيا مرابحاث ، بيروت .

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٦٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل.ل. في اوروبا ، ١٢٥ ل.ل. في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٦٥ ل.ل. في جميع الدول غير غير العربية .

الغلاف بريشة :
ايتيل عدنان

المحتويات

الصفحة



الصفحة

# الصفـــر

يسدل الستار · الملك هو الملك . والطبقة هي الطبقة · وساعة الصفر تــدق الماضي · والماضي هو أمس والان ، والى ان ينهض البديل · وفي الفراغ يحدث كل شيء : انقلاب في اللغة شارك فيه الجميع · لقد سرقوا لغتنا . فصـــار التحرير تسوية ، وصار الصراع اختلافا في وجهات النظر ، وصار الاحتـــلال وجودا ، وصارت الصهيونية قومية، وصارت خطوط وقف النار حدودا، ومزيدا من الانقلابات في المفاهيم ، والسير في لغة التسوية الى أن تمت الزيارة ، وصارت العودة الى اللغة الاصلية هي الشذوذ ، هي الخروج على العروبة الرائجة ، هي الردة · فلنعترف بأن الكثيرين منا لم ينتبهوا الى انقلاب المفاهيم والى انقلاب اللغــة ، فذهبوا في الانسجـام ·

ويسدل الستار على مرحلة · والماضي هو أمس ، والان · وفي الفراغ يحدث كل شيء : صارت الزيارة هي القضية ، ولكن القضية ليست هي الزيارة · ومع ذلك ، فهي العنوان ، هي النتيجة ، هي المحصلة · وهي : الزيارة العربية الاولى بعد الزيارات الاسرائيلية الدموية الاربع · ان حزيران يثمر ، ويفرخ والصهيونية تستقر في وعي الحاكم ، الزيارة دائمة ، وتشرين يعبر من دون عبرة · ويكثـر المتفرجون على الارصفة · ولا شيء يدهش ، فالبداية هي البداية ولا تفضي الا الى هذه النهاية ·

ويسدل الستار · ويعيش الفراغ قليلا · لان الجمهور ليس جهاز تسجيل يعبأ بالحمـــاسة ويفـرغ من الطاقـــة · هذا هو المنعطف · هـــذه هـــي التسويـــة · وهـــذه هي جنيـف بكامـل زينتهـا وعريهـــا · نذهب ام لا نـــذهب ؟ لقـــــد جاءت · فمـــن لا يعـــرف الان بساطـــة العلاقـــة بين موازين القـــوى علـــى ارض الصراع وبين تقاسم الغنائم ـ الهزائم على موائد جنيف ؟· ومن هو الذي لا يطرح السؤال على النحو التالي : هل ذل الحاكـم المصري هـو المنعطف ، ام استحلاب السلام من العجز المصنوع بدقة هو الذي يحدد للاشياء هذه الطبيعة ؟· وهل يتذكر اصحاب الذاكرة المثقوبة ان الصراع هو عملية ثورية كبرى تغيـر العلاقات والمفاهيم واللغة وتكتب الغد ، ولا يشارك فيها الا اصحاب المصلحـة في تغيير التاريخ ؟

ويسدل الستار · الملك هو الملك · والحدود التي تفصل بين بعض اطـراف الصراع ليست حدودا نهائية ، ففي وسع بعض الانظمة القائمة على القمع ان تجد

في طبيعة الصهيونية مقومات متشابهة وقابلة لتامين دورها في خدمة السيد الواحد وقمع الحركة الثورية · لم لا ، ونحن نواجه الان المقولات الصهيونية الكلاسيكية من اذاعة القاهرة !· عودة الوعي هي أم خيانة الوعي ؟· ان الحاكم المصري هو الذي يستخدم اللغة الصهيونية لواد شرعية الحق العربي على أرض فلسطين ، بعدما حجب عن الناس لغة الصراع · وهو الذي يؤسس ، جسديا ونفسيا وسياسيا ، لغة الاعتراف» بشرعية »الحق الصهيوني في بيوتنا وهو الذي يبادر الى « الغاء » منظمة التحرير الفلسطينية ويبحث عن بديل لها · وهو الذي يسمم الوعـــي العام بلغة العقد النفسية التي تشكل ، في رأيه ، جوهـــر الصراع العربي ـ الصهيوني منذ نصف قرن · الملك هو الملك ·· واسوأ حين يكون محملا بمزايا العبد المفتون بسيده ، فيقم الزواج الدنس ـ او الطبيعي ـ بين « العبقرية اليهودية » والمال العربي ، فلا يكون الغزاة سوى عباقرة ، ولا تكون الامة الا بئـرا للكاز ، ولا يكون المقاتلون الفلسطينيون الا اولاد كاباريهات · ان حارس الكاباريهات في شارع الهرم يعرف زبائنه وسادته ، فلماذا يكذب في الاذاعة ويخون الراقصة التـي أهداها الى العزيز هنري ··؟!·

ويسدل الستار · الملك هو الملك ، والملك عابر · يتجه الشعب الصابر الـى المبادرة · لقد انتصر الرفض الاسرائيلي على حارس شارع الهرم ولم يقتصر على مصر · وليست الزيارة وما يتلوها من زيارات الا نهاية عهد ، وبدايـــة الصراع الضاري بين القديم والجديد · هذا هو المنعطف ، وهذه هي الاضـــاءة الجديدة للوعي : ان امن الغزاة القادمين من الخارج وامن الطغاة الطالعين مـن الداخل امن مشترك · ويسدل الستار على مرحلة كان فيها وفاق شرطة القمـــع شرطا للتحرير او للتخدير · ساعة الصفر تدق الماضي ·· تعرف الامة اعداءها · والماضي هو الماضي ·· هو امس ، والان ، والى ان يتبلور البديل الحتمي · ومن هذا الوطن الكبير ـ وطننا ـ ستولد العبقرية الحقيقية ، عبقرية الثورة · سيعيش الماضي قليلا · سيتوحش · سيدافع عن تاجه · سينشب كل مخالبه في جســد بديله · سيذهب الى اسرائيل وايران والشيطان ليطلب النجدة · ستحتدم الحرب ، ويسقط · سيفعل كل شيء ويسقط · سيرتكب كل الجرائم والمذابح ويسقط · سيبيع كل الارض ويسقط ·

محمود درويش

الياس خوري

# المفاجآت والمسألة الأخرى

الجميع فوجئوا · لقد رأوا المدهش والغريب · كلهم صرخوا من المفاجأة او صمتوا على المفاجأة · انور السادات ، خليفة عبد الناصر ، في القدس المحتلة ، يعانق غولدا مئير ويخطب في الكنيست ويعلن **لا حروب بعد اليوم** · يعطي اسرائيل صك اعتراف لم تكن تحلم به رغم الهزيمة الحزيرانية · الجميع فوجئوا · لقد وصلت الامور الى نهاياتها المنطقية او اللامنطقية · لقد بدأ شيء جديد وانتهى شيء قديم · العلم الاسرائيلي الى جانب العلم العربي · وفلسطين تغيب ويبتلعها الوحش · والتسوية القادمة تحمل معها كلّ شيء من حائط المبكى الى جنة عدن · الدهشة في كل مكان · وجائزة نوبل سيأخذها عربي لاول مرة في تاريخ الجائزة ·

لكن الذين قالوا انهم فوجئوا لم يفاجأوا · وحدهم الشهداء وقتلى الحروب الاربع وابناء عمان وتل الزعتر فوجئوا · وحدهم الفقراء الذين اكلت اجسادهم الامراض والالات والسياط والاحلام فوجئوا · أما الذين ادعوا المفاجأة فهم يكذبون · الذين باعوا العرب وتسلطوا على العرب وسجنوا العرب ، يكذبون ·

**ولم يفاجأ احد الا الشهداء**

منذ عشر سنوات ، قبل العبور وبعد العبور ، ونحن نبتلع لغة الاستسلام جرعة جرعة ، ومذبحة في اثر مذبحة · ومنذ عشر سنوات والكلام العربي مجرد كلام · اللغة مستنقع ولغو ، والمنطق هو تبرير ما لا يمكن تبريره · والمساومات مع العدو الوطني تبدأ بالمساومة غير المبدئية مع العدو الطبقي · وكل الكلام هو رهان على الريح · والتسوية ، اي المساومة غير المبدئية تتقدم من جثة الى جثة ·

والمنطق يموت خلف الاوهام والانبياء الكذبة · وانبياء الانحطاط يملأون الارض توبة وردة ونفطا ·

طبقة كاملة تحكم وتحارب وتخاف على سلطتها ، فتقدم الوطن ضحية على مذبح السلطة · طبقة كاملة ارتدت الى موقعها الحقيقي وحجمها التاريخي ، فضربت الامة باسرها بجميع طبقاتها المنتجة في صميم وجودها · لن نتحدث عن الكرامة · فهذه قيم « مستوردة » · فالذين وقفوا بين الجنرالات والحاخامات والاسماك المتحجرة القادمة من التاريخ القديم . لا يفهمون هذه اللغة «المستوردة» لكنهم . اصحاب الايدي الملطخة بدماء العمال وسكان المخيمات . الذين تشمئز نفوسهم من الارهاب والارهابيين . فيما هم يقتلون ويسحقون · هؤلاء يريدون قتل الشعب بأسره فردا فردا وتحويله الى اصفار وذباب · واللغة التي تتحدث عن « التسوية العادلة » تسقط في جيوبهم · اللغة التي تبرر الى ما لا نهاية ، تسقط في حسابهم في البنوك الاجنبية · ومنطق التسوية الذي شربناه قطرة قطرة · منطق الاعتراف بالغزوة الصهيونية تحت اي مبرر ، وفي ظل كل اشكال المنطق المتهافت يصل الى نهايته · اذا كان لا بد من الاعتراف فلنعترف علنا · نختنق ونحن نأمل في الضغط الدولي · منطق الاتكال على الدول يصل الى لحظته الحاسمة · وها هو بيغن يتكلم عن الانتصارات ، والجنرالات الفاشست يتحدثون عن الديمقراطية الاسرائيلية وبلغة ديمقراطية !!

منطق التسوية والمساومة الذي صاغه انصاف الثوريين ، يمسك به الخواجات ويأخذونه الى القدس المحتلة · ومهما قيل عن الحرب القادمة والتى لن تقوم بها البرجوازية في عصر البترو دولار · فان منطق التسوية يهدد برمي الشعب بأسره في هاوية الهزيمة المطلقة ·

المسالة ليست في مضمون الخطاب الذي ألقي في الكنيست · ليست في عدم الاشارة الى منظمة التحرير الفلسطينية . ولا في اقتراح تدويل القدس ، ولا في مبدأ التنازلات عن الاراضي · المسالة ليست مدينة القدس بمسجدها وكنيستها ·

نحن لسنا اسماكا متحجرة · نحن لا نعبد الحجارة والرمال · نحن لا نريد البيوت وبأي ثمن ، و « الدولة » وباي ثمن · نحن لسنا قادمين من الكتب القديمة التي امتلأت صفحاتها بالبقع الصفراء · المسالة ليست في التفاصيل · انها مسالة اخرى ·

والمسالة الاخرى قديمة · تبدأ من الحروب الصليبية ولا تنتهي في المسالة الشرقية · المسالة الاخرى ، هي مسالة هذا الاخر الغريب الوحش · هذا الغرب الامبريالي المتوحش الذي يريد تحويل الشرق الى مستنقع لا يعيش فيه سوى البعوض والمواد الاولية والايدي العاملة الرخيصة · والمعركة معه لم تكن اقل من معركة حول حقنا الاولى في الوجود · والحروب طويلة · غزوات واشكال

لا تنتهي · امتيازات وطوائف ومجموعات من المغامرين والمبشرين وحقول قطن وشركات نفط · وبين الشركة والشركة ، معارك وحروب ونكبات · لكن القبول العربي ، كان دائما قبولا مؤقتا · والبراكين تنفجر بين المؤقت والمؤقت معلنة بداية رفض ووهجا وموتا ·

المسألة الاخرى ، هي مسألة هذا الشكل الجديد البالغ القدم الذي جاءنا على شكل غزوة صهيونية الى فلسطين · انه الوجه الاخر للحروب الصليبية · لكن الغرب الامبريالي « العلماني » استبدل الصليب بالتوراة وجنرالاته بالمرابين الذين احرقهم في افرانه الفاشية ، وجعل منهم فرنا لحرق العرب والشـــرق وافريقيا ·

ورغم الانهزامية فلم يجرؤوا على القبول علنا بهذا الشكل الجديد من الوجود الاستعماري · لقد قبلوا كل شيء · لكن هذه الشركة العسكرية لم يمكن مـــن الممكن اعلان قبولها · والجماهير التي شردت من ارضها ، والتي لا تزال تقصف بالطائرات والمدافع ، كانت تعلم ان صراعها مع هذه الشركة العسكرية هو الصراع الاخير · انه النقطة التي يتبلور فيها كل شيء ، ويكشف فيها كل شيء · انها فرصة الحياة او لحظة الموت · لذلك قاتلنا بأسلحة ودون اسلحة · ومتنـــا بموت حقيقي وبموت غير حقيقي · حتى اكتملت الدائرة على اللاعبين · فـــاذا بالبرجوازية التي أمسكت بخناقنا تهرب من التاريخ الى الموت · واذا بعجزنا عن خلق البديل الجذري يتحول الى ما يشبه الهزيمة الشاملة · وها هم الذين تاجروا بدمنا ، ومنعوا عنا الخبز والحرية بحجة الاعداد للتحرير ، ينزلون الى الكنيست ويخطبون ويخطبون · والكلام يعلو ونحن نموت بصمت او بصراخ البطولة الاخيرة الاولى ·

المسألة الاخرى هي اننا لن نقبل الاعتراف بالشركة العسكرية التي اسمها اسرائيل · ولن نسمح لاحد بأن يفعل · فنحن لا نريد حائطا لمبكانا مقابل هذا الذل وهذا الانهيار · نحن نعلم ان المعركة القديمة تدور بأسلحة جديدة ولغـة جديدة · وهذه المعركة اصبحت كما كانت دائما معركة حقنا في الوجود· والشرق يصبر ، يتراجع · لكنه المستقبل ، لذلك لن نعترف ولن نسمح لاحد بأن يعترف · وعلى الجنرالات الديمقراطيين جدا ان يعلموا ان عليهم ان يخوضوا الف حرب اخرى ، ويرتكبوا الف مذبحة جديدة · لكنهم لن يصلوا الا الى النهاية التـي تنتظر امثالهم ·

المسألة الاخرى ليست تصلبا دون جدوى · ليست تصلب الشرايين لحـظة الموت · لكنها جدل التاريخ الذي لن يتوقف · والهدنة المؤقتة الوحيدة الممكنة ، هي انسحاب صهيوني دون قيد ولا شرط · وما عدا ذلك فهو استسلام امـام الغـزاة !

المسألة ليست وجود فلسطين ، بل هي وجود اسرائيل · ليس علينا ان نثبت

شرعية وجود فلسطين ، بل علينا ان نلغي اللاشرعية المطلقة التي اسمها اسرائيل ·

« اذا قام السلام في الشرق الاوسط . فان اشتراك العبقرية اليهودية والمال العربي سيحول هذه المنطقة الى جنة عدن » ·

هذا هو وعد بيغن ووعد أمثاله من الفاشست · العبقرية اليهودية التي اختبرناها في أربع حروب ، والاف الجثث المحترقة في رمال سيناء . سوف تاتي وتأخذ المال العربي الكثير وتحول به الشرق الاوسط الى جنة عدن · هذا هو وعد موتنا · المرابي لن يخلع لباس الجنرال ولكنه سيشتغل في التجارة كجنرال حقيقي · لقد مزجت اسرائيل ما لا يمزج · المحارب والتاجر العبقري · اما نحن . الجالسون على حقول النفط وحقول العار فنتحول الى مجرد بائع كاز · بائع امي في حاجة الى عبقرية خارجية قادمة من بولنده او من اليمن ، تأخذ الكاز وتحوله الى جنة وتحولنا الى ذباب ·ويضحك الامبريالي الغربي . ويضحك البرجوازي العربي التافه ، الذي يكتفي من النفط بصوت محرك السيارة التي لن يسمح لشعبه بالدنو منها · بل سيتركه يختنق في الاكواخ والباصات ·

المعركة حول النفط هي معركة الامبريالية الاخيرة والحاسمة · وفي عصر الكاز يجب ان لا ندوخ من الرائحة · والذين داخوا ، سقطوا في الكنيست كالاسرى يحيط بهم الذل والاستسلام والموت ·

بين بئر النفط وبئر النفط رمال وصحارى وكلام· لكن العرب تعرف ان فرصتها الى الوجود والى المستقبل ، تقع هنا · في طحن الرمل وسحق الكلام · تقع في اللحظة الفاصلة بين قتل البرجوازية العميلة وسحق الامبريالية · في هذه اللحظة تقع ثورتنا المقبلة ·

ان الذي يجري على مسرح المشرق العربي ليس مصادفة تاريخية · ليس جنوننا فرديا · فهذا السلام الذي يريدون اعلانه يعني بداية جديدة للحرب · لقد سقطوا في قبضة العدو الوطني ، وباعوا الوطن للامبريالية الاميركية · وحتى صك البيع كان معقدا وذليلا · لكنهم سيصلون الى نهاية الصفحة ويقلبونها لتبدأ حرب الابادة الحقيقية ضد الجماهير · حرب تحويلها الى ذباب ومواد اولية · حرب اخراج الشعب العربي من المسرح وتحويله الى شراذم وطوائف وقبائل همجية · هكذا سيحاولون تجميد التاريخ كما في المختبرات ومصحات الامراض العقلية · سيحاولون اقناعنا ان موتنا هو مثل حياتنا بلا جدوى ·

العبقرية اليهودية ستشترك في تحويل المال العربي الى مال · ولن نحتاج في سبيل زيادة المال الا الى خبرة المرابي والحاخام والجنرال · والمال يأتي بالمال ، والجراد ياكل المال · والفقراء من الصحراء الى الصحراء يزدادون

فقرا ، ومملكة سليمان تعود الى مجدها الذي يمسك به الوحش الامبريالي فزاعة ضد الجماهير العربية ٠

هذا هو الوعد الذي أمرنا بانتظاره ٠ والوقفة الذليلة امام نصب الجنـدي الاسرائيلي المجهول . هي مجرد تراجع تكتيكي من أجل الضغط والانسحاب واستغلال العبقرية التي تمزق خاصرتنا ٠

لم يفاجأ احد الا الشهداء

كانوا يعدون لهذا الموت . وكنا ننتظره بأجسادنا التي طحنتها الدبابات ، وبموتنا الذي نسجناه من الدم والتراب من أجل ان لا نموت ٠ وها هو الموت ياتي مسرعا ٠ وها هي رايات العبودية والاستسلام ٠

والان ، جاء دور الفقراء والعمال والصعاليك ٠ جاء زمن الموت الحقيقي ، حيث لا رحمة الا رحمة التراب ٠

لقد وضعوا الجماهير في الزاوية الاخيرة ٠ وما على الزلازل سوى ان تبدأ ٠

لقد خسرنا كل شيء ٠ ولم نعد نخاف شيئا ٠ فماذا تنتظر البراكين والزلازل ؟

صبري جريس

# من وعد بلفور إلى تقسيم فلسطين إلى زيارة السادات

تشرين الثاني ( نوفمبر ) هو شهر شؤم في تاريخ فلسطين والعرب ·

ففي اليوم الثاني من هذا الشهر سنة ١٩١٧ كتب ارتور جيمس بلفور ، وزير خارجية الامبراطورية البريطانية ، رسالته الشهيرة الى اللورد روتشيلد المعروفة باسم « وعد بلفور » معلنا بموجبها تعهد حكومة بلده بالعمل على اقامة « وطن قومي » لليهود في فلسطين ·

وفي اليوم التاسع والعشرين من الشهر نفسه سنة ١٩٤٧ ، اي بعد ثلاثين عاما بالتمام والكمال ، صوتت الجمعية العمومية للامم المتحدة تاييدا لمشروع قرار يقضي بتقسيم فلسطين واقامة دولة لليهود على جزء منها ·

وفي اليوم التاسع عشر من الشهر نفسه سنة ١٩٧٧ ، اي بعد ثلاثين سنة اخرى ، وبالتمام والكمال ايضا ، وصل « الرئيس المؤمن » محمد انور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية ، وهي اكبر الدول العربية ، الى اسرائيل في اول زيارة يقوم بها حاكم عربي لذلك الكيان منذ تأسيسه ·

وكل واحد من هذه الاحداث الثلاثة يزيد فظاعته عن الذي سبقه · فوعد بلفور ، وان صدر في حينه عن اعتى الدول الاستعمارية واكثرها نفوذا ، لم يكن في نهاية الامر ـ كما وصفه أحدهم ـ الا وعدا ممن لا يملك لمن لا يستحق · أما قرار تقسيم فلسطين وعلى الرغم من كونه ، قانونيا ورسميا ، مجرد توصية صادرة عن الامم المتحدة ، فانه يحظى على الاقل بالدعم الادبي لاكثرية دول العالم التي كانت تتمتع باستقلالها عند صدوره ، والتزاما معنويا من قبل تلك الدول ، نهايته انتزاع جزء من فلسطين وتحويله الى قاعدة صهيونية · اما

زيارة السادات لاسرائيل فهي ثالثة الاثافي ، واذا لم يتم احتواء اضرارها المتوقعة فورا وعلى كافة الاصعدة ، فلن يعلم الا الشيطان الى اين ستؤدي بالعرب ·

## اكثر من الخيانة

لا مجال للانكار بعد اليوم · ولا مجال للمكابرة ·

رئيس أكبر دولة عربية قام بزيارة رسمية الى اسرائيل ، عدوة العرب قانونيا ورسميا وشعبيا ، ونقلت اجهزة التلفزيون الحدث الى كافة انحاء العالم · حطت طائرته في مطار اللد ، الذي يسميه العدو الصهيوني مطار بن – غوريون ، حيث كان في استقباله كافة المسؤولين الصهيونيين ، الجدد منهم والقدامى ، فصافحهم واحدا واحدا ، وعانق بشكل خاص الفتاة الاسرائيلية المثيرة غولده مئير · انتقل من المطار ، بصحبته الارهابي العريق مناحيم بيغن رئيس حكومة اسرائيل ، الى القدس المحتلة – التي ترفض اكثرية دول العالم الاعتراف بها عاصمة للكيان الصهيوني – ونام فيها ، بعد ان اجرى جولة اولى من المحادثات مع المسؤولين الاسرائيليين · قام في اليوم التالي بتأدية صلاة عيد الاضحى في المسجد الاقصى ، بحماية الجنود الاسرائيليين ، فذكره خطيب المسجد بصلاح الدين ، ثم أتجه لزيارة كنيسة القيامة ، فرفض الرهبان قرع أجراسها عند قدومه · ومن هناك توجه الى زيارة نصب قتلى النازية « ياد فاشيم » – وهو المتهم بالتعاطف مع النازية في أيام شبابه – يرافقه مضيفه بيغن وهو يسير الى جانبه ويحيط خصره بيده اليسرى ، الا انه – والحق يقال – رفض ان يضع « الطاقية » على رأسه عندما اتجه الى مكان الشعلة الدائمة داخل النصب ، كما تقضي التقاليد اليهودية · خطب في الكنيست، المجلس التشريعي الصهيوني، وفوق رأسه صورة هرتسل والشمعدان ، شعار « دولة اسرائيل » ، الا انه – والحق يقال ايضا – رفض ، بمراوغة و « شطارة » ساداتيتين ، توجيه كلامه الى رئيس جمهورية اسرائيل او رئيس حكومتها ، رغم انهما كانا حاضرين ، وتحدث مباشرة الى اعضاء الكنيست فقط ! اجرى محادثات مطولة في المساء مع الوزراء الاسرائيليين · توجه في اليوم الثالث الى نصب الجندي المجهول الاسرائيلي ، ووضع اكليلا من الزهور عليه ، تكريما لـ « شهداء » اسرائيل الذين لاقوا حتفهم في الحروب العدوانية التي شنها الكيان الصهيوني ضد العرب · حل عقدته « وناقش » اعضاء الكنيست ، فأسمعوه ما تيسر من آيات العنجهية والتوسع والاستعلاء والغطرسة ، مقتبسين من كتب تعرف باسم التلمود ومن التوراة · عقد مؤتمرا صحفيا مع بيغن، فذكره الاخير امام نحو الفي صحفي وامام العالم اجمع ، بما جاء في سفر صموئيل حول « حق » اليهود في ما يسمى « ارض – اسرائيل » · زار رئيس اسرائيل في مقره الرسمي ، من باب المجاملة

والادب . فاستقبل بحفاوة واكرام بالغين . واغدقت عليه الهدايا . وجلست نينا كاتسير . زوجة الرئيس الى جانبه ووضعت يدها على رجله وكاد راسها يرتمي بين احضانه . كانه ابن عمها الذي لم تره منذ عشرين سنة ٠

وعند استقباله وتوديعه في مطار اللد . كانت الاعلام المصرية والاسرائيلية تعانق بعضها البعض . وعزفت الموسيقى النشيد الوطني المصري « والله زمان يا سلاحي » ونشيد « هتكفا » الصهيوني . واختلطت الالحان ببعضها البعض . وبثتها ايضا محطة اذاعة تسمي نفسها « صوت العرب من القاهرة » !

كل هذا لم يكن حلما . بل حقيقة واقعه ٠ شاشة التلفزيون كانت واضحه للغاية . بل لعلها لم تكن مرة في مثل هذه الدرجة من الوضوح ٠ والارسال الاذاعي ايضا كان قويا ومسموعا ٠ لا مجال للبس او غموض ٠ وانطباع واحد وشعور وحيد يسيطر عليك عند رؤية هذه المناظر : ان عربيا « مدهشا » فقط يمكنه ان يقوم بمثل هذا العمل ٠

لقد تجاوز السادات ، بزيارته لاسرائيل ، كل ما هو محظور من وجهة النظر القومية ، وتجرا على القيام بما لم يكن باستطاعة اي عربي التفكير فيه ٠ داس على القيم الوطنية التحررية للصراع العربي ضد الصهيونية والاستعمار ٠ طعن التضامن العربي وفتت قوى الامة ، وسينعكس موقفه هذا على ميزان القوى في المنطقة ٠ أساء لسمعة مصر والعرب ٠ تنكر للتضحيات العربية المستمرة ودنس ذكرى شهداء الامة واستخف بمعاناة اسراها وايتامها وثكالاها ٠ تجاهل الارادة العربية المتمثلة في قرارات مؤتمري القمة في الرباط والجزائر ، التي شكلت قاعدة للتحرك العربي والدولي المرحلي كأساس لمواجهة العدوان الصهيوني ، ودفعه الى الانسحاب من الاراضي المحتلة ، وضمان حقوق الشعب الفلسطيني القومية ٠ ضرب منجزات حركة التحرر العربي على كافة الاصعدة وفي مختلف المجالات ٠ ومنح العدو الصهيوني مكاسب كبيرة لم يحلم يوما ما بتحقيقها ، بعد ان كسر طوق العزلة الدولية التي فرضت عليه خلال السنوات الاخيرة ٠

ولم يكتف السادات بهذا كله وباسباغ الشرعية على اسرائيل ، بمجرد قيامه بزيارتها ، وانما منحها ايضا اعترافا واقعيا ( دي فاكتو ) بقوله في خطابه امام الكنيست « ان اسرائيل أصبحت حقيقة واقعة » ، واضاف الى ذلك هدية ثمينة ، « فتنازل » عن القدس ووافق على تحويلها الى « مدينة مفتوحة » ٠ كما انه ، خلال زيارته ، لم يذكر اسم منظمة التحرير الفلسطينية ولو مرة واحدة ٠

وكل هذا مقابل لا شيء او، على الاصح ، لكسر «الحاجز النفسي» بين العرب واسرائيل ، وفتح الطريق امام ما يسميه « سلاما عادلا » ، الذي اصبح الان ، كما هو واضح ، نوعا من الاستسلام ٠

ان رحلة الذل الساداتية هذه تعتبر اكثر من خيانة ٠

## عقد الاسرائيليين ••• وعقد السادات

برر السادات رحلته الخيانية الى اسرائيل باعلانه ان ٧٠٪ من اسباب الصراع العربي ـ الاسرائيلي ( على وزن قوله الاخر المأثور « ان ٩٩٪ من اوراق اللعبة في أيدي اميركا » ) تعود الى عوامل نفسية ، ولا بد من ازالتها بـ « أكل العيش » مع الاسرائيليين ،قبل التوجه نحو حل العوامل الجوهرية الباقية ، التي قدرها بنحو ٣٠٪ •

ومما لا شك فيه ان الاسرائيليين ، والصهيونيين في مختلف انحاء العالم ، ومعهم حلفاؤهم من الامبرياليين والرجعيين العرب يعانون من عقد كثيرة • غير انه مما لا شك فيه أيضا ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي ليس مسألة عقد نفسية تحل بالزيارات ، ولا مشاكل غير مألوفة يمكن ، في نهاية الامر ، حلها وديا • ان المسألة في حقيقتها ، صراع من اجل البقاء والعيش الكريم ، في مأمن من الاستعباد والذل الامبرياليين ، وعلى حلها ( بما في ذلك طريقة الحل ) يتوقف الى حد كبير مستقبل العرب . وخصوصا في المشرق العربي • ولذلك فان زيارة الذل الساداتية لم تساهم ، ولا يمكنها ان تساهم في زحزحة اسس ذلك الصراع او التخفيف منه ، بل على العكس من ذلك خلقت عقدة جديدة لدى الاسرائيليين ، سيضطر المشرق العربي الى دفع ثمن باهظ لحلها • لقد اثبت السادات للاسرائيليين ، بما لا يدع مجالا للشك ، انهم بـ « صمودهم » وعنادهم واصرارهم على التشبث بمواقفهم المتشنجة قادرون ، في نهاية الامر ، على جر اكبر زعيم عربي اليهم ، ليحاول استرضاءهم • وبذلك منح التوسعيين والفاشيين بينهم امالا كبيرة و « نفسا » جديدا : اصمدوا تنتصروا • وهذه هي القاعدة من الان فصاعدا : من يريد « سلاما » من اسرائيل ، ومن لديه طلبات اليها ، او حقوق لديها ، عليه ان يحضر صاغرا ذليلا الى تل ـ ابيب لـ « مناقشة » وتقديم طلبات الاسترحام • ولا شك ان العرب سيضطرون ، لـ « حل » هذه العقدة الساداتية الصنع ، الى تقديم اعداد كبيرة من الشهداء في معارك المستقبل مع العدو الصهيوني •

وبما أن الشيء بالشيء يذكر ، وما دمنا في مجال الحديث عن العقد ، النفسية وغيرها ، لا بد من الاشارة الى انه ليست العقد الاسرائيلية فقط هي التي تلفت النظر ، وانما العقد والاخطاء وقصر النظر الساداتي ايضا • وبدون محاولة لالقاء الاضواء على هذه النواحي يصعب علينا ان نجد اي تفسير معقول لاسباب الزيارة الساداتية الشيطانية الى اسرائيل •

ليس هناك من مجال للشك في أن السادات ، استنادا الى ماضيه وتصرفاته وسياسته وخطبه العلنية واقواله الحرفية ، يقاسي من عقد خطيرة ، ولا شك ايضا ان نظامه يستند الى عدد من المفاهيم الخاطئة والسياسات المنحرفة

التي ، ان لم يتصد احد لها ويعمل على احتواء اضرارها ، فاسقاطها ، ستجر العرب الى كارثة حتمية ٠

وأولى هذه العقد هي ان السادات ـ مثل اكثرية زعماء العالم الثالث ـ دكتاتور مقيت . كان قد قاسى من الفقر والجوع في شبابه . ثم انضم الى حركة الضباط الاحرار واشترك في ثورة ١٩٥٢ . الا انه بقي في الظل مدة طويلة ٠ ثم سنحت له الفرصة للوصول الى الحكم . اثر وفاة عبد الناصر فجأة ، ولم تمض بضعة أشهر على استلامه السلطة حتى قام بانقلاب ضد خصومه و « فرمهم » على حد تعبيره . وذلك يوم ١٥ ايار ( مايو ) ١٩٧١ ـ وعلى سبيل التذكير فقط، هذا اليوم نفسه هو ذكرى اغتصاب فلسطين ـ وأصبح الحاكم بأمره ٠ ومنذ ذلك الوقت وهو يتخذ القرارات المصيرية بنفسه ، دون استشارة احد واحيانا دون علم احد ٠ ونخص بالذكر من هذه القرارات طرد الخبراء السوفييت من مصر سنة ١٩٧٢ ، الدعوة الى عقد مؤتمر صلح في جنيف وحرب تشرين لا تزال مشتعلة . توقيع اتفاق فصل القوات الاول . ثم الثاني ، مع اسرائيل واخيرا القيام بزيارتها ٠ لقد عارض الكثيرون في حينه ، داخل مصر وخارجها ، هذه الخطوات ولكن السادات لم يأبه لاحد ٠

أما العقدة الساداتية الثانية فهي الاقليمية والفرعونية ٠ فبعد تصاعد المعارضة والانتقادات العربية للسادات ، اثر توقيع اتفاق فصل القوات الثاني بين مصر واسرائيل ، وقف الرجل يخطب امام الاذاعة والتلفزيون وشتم العرب كلهم عامة والفلسطينيين خاصة ٠ ومما قاله يومها ان مصر كانت اغنى دولة عربية ، ثم أصبحت افقرها بسبب خوضها الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وأوضح انه تعب من هذا الصراع ويريد انهاءه ( وهنا يمكن الخطر في عقده النفسية ) ٠ اما الفدائيون الفلسطينيون ، الذين يضحون بأرواحهم في صراع غير متكافيء مع العدو الصهيوني ، فقد وصفهم بوقاحة بأنهم « ارهابيون » ٠ وقبل مدة قصيرة فقط ، وفيما كان يشن احدى حملاته المعهودة على ليبيا ورئيسها ، « روكب » لسانه واسمعنا لمدة دقيقتين عبارات تنم عن انفعال عميق، على هذا النحو : « الله ٠٠٠ دي مصر ٠ مصر يعني مصر ٠ دي مصر ٠ يعني مصر ٠٠٠ » ٠ والرائحة الاقليمية النتنة التي تفوح من هذه العبارات والتصرفات تكاد تزكم الانوف ٠ والامر لا يتوقف عند هذا الحد ، اذ ان مثل هذا الكلام يدخل تدريجيا الى عقول المصريين والعرب ويكاد يصبح ، في العقل الباطني ، تبريرا للتصرفات الساداتية المشينة ٠ غير ان نظرة سطحية وسريعة كافية لاظهار مدى الدجل الساداتي والخطر الفرعوني الكامن في هذه العبارات والترويج لها ٠ لقد قاست مصر ، مثل غيرها من الدول والشعوب المجاورة لاسرائيل ، من الصراع العربي ـ الصهيوني ، ولكن ليس هذا هو السبب الرئيسي لفقر مصر ، والا لكانت الدول الاخرى في وضع اشد بؤسا عما هي

الحالة عليه في مصر · ان السبب الحقيقي لذلك يكمن في ان مصر تعاني من نقص شديد في الموارد الطبيعية ، وتعاني في مقابل ذلك من انفجار سكاني كبير ، بحيث ضاقت رقعة العيش فيها الى حد كبير عما كانت عليه في السابق · ولهذا ، وبانعدام وجود صناعات على نطاق واسع ، يلاحظ ازدياد الهجرة يوما بعد اخر من مصر ، واتجاه الالاف من المصريين للعمل في الدول العربية ، في المشرق والمغرب · ولو نظر الساداث والفراعنة الجدد ، الذين يحيطون به ، مليا الى هذا الوضع الاقتصادي ـ الديموغرافي لادركوا بسرعة انهم هم الذين يحتاجون العرب وليس العكس ، وتخلوا حالا عن التبجح الاقليمي الذي يسيطر على تصريحاتهم · ولو كان لديهم شيء من بعد النظر لاقتنعوا ببساطة ان مصلحتهم ، حتى من وجهه النظر الاقليمية البحتة ، تكمن في الالتزام بقضايا العرب التي هي ايضا قضاياهم · ان مصر هي التي تحتاج العالم العربي · ومن الخطأ الاعتقاد ان العدو الصهيوني ومصاصي الدماء الامبرياليين هم الذين سينقذونها ـ حتى اذا كان نظامها حليفهم ·

وبالاضافة الى هذه العقد التي تسيطر على السادات ونظامه ، هناك ايضا عدد من الاخطاء المميتة التي ارتكبوها · ومما لاشك فيه ان نظام السادات واجه، مع صعوده ، مشاكل عسيرة حاول حلها بأكثر من طريقة ، ولكنه اخطأ في اكثر من ناحية ، فوصل الى مأزقه الحالي ·

وأول هذه الاخطاء وأبرزها كامن في المفهوم الساداتي لحرب تشرين ومداها وأهدافها · لقد كانت اولى المشاكل التي واجهت السادات ، مع استلامه الحكم، تلك الناجمة عن الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية ، ومنها اراضي مصر · ولحل هذه المشكلة اعد السادات ، بنجاح نسبي ، لحرب تشرين بعد ان نسق جهوده مع عدد من الدول العربية · غير ان استراتيجية تلك الحرب استندت في أساسها الى مفاهيم خاطئة ، اذ لم يمض الا نحو ١٠ ايام على اندلاع القتال حتى اعلن السادات ، وقبل ان تتضح نتيجة المعارك ، انه يطالب بعقد مؤتمر صلح في جنيف ، فأوضح للقاصي والداني ان حرب تشرين هي أساسا حرب تحريك ، لا حرب تحرير · ولم تقف الامور ، في مدى الاضرار التي نجمت عنها ، عند هذا الحد ، اذ نبه السادات الاسرائيليين الى مدى الإخطار المحيطة بهم وإمكانية حشد طاقات عربية هائلة ضدهم ، قد تؤثر على مجرد وجودهم · وقد تنبه الاسرائيليون ـ وبسرعة ـ لهذا الوضع الجديد ، ولم تمر فترة قصيرة على انتهاء القتال حتى قاموا بحملة اعادة تنظيم شاملة لحشد كافة قواهم البشرية والمادية وضاعفوا ضغوطهم على الولايات المتحدة فزودتهم بكل ما يحتاجونه من اسلحة ، بل واكثر من ذلك · وبحلول الذكرى الاولى لحرب تشرين كان واضحا ان ميزان القوى العسكري يميل الى صالح اسرائيل · ولكن على الرغم من كل هذا لم يقم السادات باتخاذ أية استعدادات تذكر لمواجهة هذا

الوضع الجديد ، بل راح يعد لمعركة « السلام » ، من خلال ضعف وتخاذل ، بعد ان سيطرت على كيانه باسره « عقدة العبور » · وفيما كانت اسرائيل مستمرة، ليلا نهارا ، في حشد قواها واعادة النظر في خططها وتصليب مواقفها . كان السادات منهمكا في الحديث عن العبور ، في كل مناسبة ، حتى ظهر كأن الهوس سيطر على الرجل وتفكيره · راح يخطب ويعبر ، يهدد ويعبر ، يتفلسف ويعبر ، يدجل ويعبر ، وظل يعبر ويعبر ، ويعبر ويعبر حتى وصل الى شرق تل ـ ابيب وأرتمى في احضان مناحم بيغن ·

والشيء نفسه ينطبق علىهذيان جنيف . الذي سيطر ايضا على تفكير السادات · فكرة عقد مؤتمر صلح في جنيف كانت من بنات افكار السادات ، وهو الذي جر الاخرين اليها · الا انه خنقها في المهد ، بعد ان سمح لميزان القوى بالاختلال لصالح اسرائيل ، التي راحت تفرض شروطها وتزيد من تصلبها يوما بعد اخر · وعندما رأى السادات ، في نهاية الامر ، ان تلك الفكرة « المدهشة » قد تفشل بسبب التصلب الاسرائيلي ، وحيث انه فقد معظم عوامل قوته ـ وتخلى ايضا ، كما يبدو ، عن التفكير في اللجوء الى القوة في المستقبل ـ لم ير في نهاية الامر بدا من الذهاب الى مناحم بيغن نفسه ، « لاقناعه » بضرورة الذهاب الى جنيف ·

وزاد الطين بلة ان السادات ناصب السوفييت العداء ، وراح يشتمهم في كل مناسبة ، ان كان هناك مبرر لذلك او لم يكن · ونسى او تناسى انه لا يملك سببا يمكن ان يبرر قيام رئيس دولة جائعة وخائرة القوى باستعداء السوفييت ، ودون مبرر ، وان عواقب مثل هذا التصرف قد تكون وخيمة للغاية ، وقد تدفع بأصحابه الى الهلاك ·

## الحلف الساداتي الرجعي ـ الصهيوني الاسرائيلي ـ الامبريالي الاميركي

والان ، ماذا بعد ؟

آن لنا ، بعد ان تمت زيارة السادات لاسرائيل واصبحت حقيقة واقعة ، ان نعيد النظر في حساباتنا ، ونحاول ان نستكشف ما قد يخبئه لنا المستقبل ، ونستعد لذلك · لقد أصبحت صورة النظام الساداتي ، مع مرور الذكرى السابعة لنشوئه ، واضحة للغاية · ولا ينبغي لنا ان نتصرف كالنعامة ونتعامى عن رؤية الشعارات الواضحة جدا ، المكتوبة بالخط العريض على الحائط أمامنا ·

أن اول ـ واخطر ـ ما يلفت النظر في سياسة النظام الساداتي هو استعداده لانهاء الصراع مع اسرائيل والقبول بكيان صهيوني في المنطقة دون اية شروط تقريبا · وهذه المؤامرة ـ الخيانة ، ان تمت ستؤدي الى قيام قلعة امبريالية ـ

صهيونية دائمة في قلب الوطن العربي . وستعرض العرب بأسرهم ، وخصوصا في المشرق لاخطار فادحة ، فتهيء اسباب البقاء والاستمرارية والقوة للحركة الصهيونية وتعيد المنطقة الى حلبة النفوذ الامبريالي ، وتخضع تقدم شعوبها ومصيرها للسيطرة الاستعمارية ولاستغلال الاحتكارات الاجنبية ·

ولهذا الاتجاه انعكاساته الواضحة ايضا على السياسة الخارجية للنظام الساداتي · فمنذ مجيء السادات الى الحكم ابتعدت مصر تدريجيا عن سياسة الحياد التي اتبعتها في السابق ، وغطست في بحر المعسكر الامبريالي الاميركي وناصبت الاتحاد السوفييتي العداء ، دون مبرر او حاجة لذلك · ويبدو ان السادات ، باتجاهه نحو الاميركيين قد أقنع نفسه بانهم هم الوحيدون الذين يستطيعون حل مشاكل مصر الداخلية والخارجية ، ولذلك لا بد من استرضائهم او حتى الاستسلام لهم اذا دعت الحاجة لذلك · الا ان اسرائيل سرعان ما ادركت خطورة هذا الاتجاه فأوعزت للوبي الصهيوني في اميركا بالتحرك ، ونجحت في ايقاف كارتر عند حده · والظاهر ان هذا التطور ارعب السادات ، الذي رأى ان استراتيجيته مهددة بالفشل أخيرا ، فقرر الاستمرار في «تحريكها» بواسطة ···· زيارة بيغن « لاحراجه » · ويصعب علينا ان نرى الان ما هي التنازلات التي سيقدمها السادات لبيغن في المستقبل ، « لاحراجه » اكثر فأكثر ·

ولهذه السياسة انعكاساتها ايضا على صعيد التحالفات في المنطقة · ويلاحظ، مثلا ، ان احد اكبر اصدقاء السادات هو شاهنشاه ايران ، احد اكبر حلفاء الامبريالية في الشرق الاوسط · ومن حين الى اخر يقوم السادات بزيارته لاجراء المباحثات والتنسيق معه ، وقد التقى به مؤخرا قبيل الاعلان عن استعداده لزيارة اسرائيل · وكانت مصر قد رفضت ، في حينه ، حتى الاحتجاج على احتلال ايران لثلاث جزر في الخليج العربي ، بينما قام السادات بزيارة للشاه اثر قيامه بذلك العمل مباشرة · ويبدو ان السادات يسعى ، في قرارة نفسه ، الى عقد حلف بين مصر وايران واسرائيل · واذا صح هذا التوقع يمكننا ان نتصور ايضا انضمام بعض الدول العربية الى هذا الحلف في المستقبل ـ وخصوصا تلك منها العاملة على رفع رايات الاسلام عاليا . ولكنها ـ بالاضافة الى ذلك ـ تحارب « الشيوعية الدولية » ، بالدولارات ونقدا ، في كافة انحاء العالم ، حتى في الوقت الذي كف فيه غلاة المتعصبين عن القيام بذلك · كذلك فان المحمية الاميركية ، المعروفة باسم الاردن ، مرشحة للاشتراك في هذا الحلف ، واحتواء الفلسطينيين داخله · وسيحظى هذا الحلف ايضا بتاييد المعجبين العرب بـ « عبقرية الاسرائيليين » ، وهي العبقرية الناجمة عن وجود نحو نصف مليون يهودي مغربي امي في اسرائيل ، كانوا قد ارسلوا هدية الى الكيان الصهيوني ، منذ منتصف الخمسينات وحتى اليوم ·

ان هذا الترتيب الجديد لاوضاع المنطقة ، والاحلاف الناجمة عنه ، ان تمت ، لن تؤدي الى انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة ولا الى قيام دولة فلسطينية مستقلة ، كما يزعم السادات · واكثر ما يمكن ان نتوقعه ، في مثل هذه الحاله، هو انسحاب اسرائيلي من مساحة كبيرة من سيناء ، مع ضم مناطق معينة من شبه الجزيرة ، خصوصا في العريش وشرم الشيخ ، اليها · كما ستضم منطقة الجولان الى الكيان الصهيوني · واما الضفة الغربية وقطاع غزة فستبقيان تحت السيطرة الصهيونية ايضا، وتتحولان الى مستعمرة اسرائيلية ، بينما سيسمح للاردن ضمن « حل وظيفي » بشيء من الاشراف عليها لكي يتحمل ، ببساطة ، المتاعب والاضرار الناجمة عن ذلك ·

وعلى الصعيد الاجتماعي سيؤدي هذا الوضع الى مزيد من الانفتاح الاقتصادي وتشجيع التطلعات الاستهلاكية ، فتدخل المنطقة في لعبة التضخم المالي وارتفاع الاسعار المستمر، وتسيطر الاحتكارات الاجنبية ووكلاؤها، ويزداد الاغنياء غنى والفقراء فقرا ·

واذا تم مثل هذا الترتيب الجديد لاوضاع المنطقة ، يمكننا ان نتصور مجموعة من الخطوات الاخرى المتممة له ، تتمثل في هجمة امبريالية – صهيونية – رجعية على كافة الانظمة التقدمية في المنطقة وجوارها ، وعلى منظمة التحرير الفلسطينية ، وكافة التنظيمات والاحزاب الوطنية والقومية ، لسحق منجزات حركة التحرر العربي كليا ·

ان الزعماء ، سواء كانوا معتوهين او حكماء – وخصوصا في العالم الثالث – هم الذين يصنعون تاريخ بلادهم ، خيرا كان او شرا · والسادات واحد من هؤلاء الزعماء الذين يبدو انهم لا يتقنون الا صناعة الشر · ان شخصية الرجل وسياسته خطيرتان للغاية ، ويكاد يذكرنا ، من حيث النتائج الخطيرة التي قد تترتب على مشاريعه ، ان سمح لها بالمرور ، بشخص اخر في تاريخ العرب الحديث ( وخصوصا تاريخ فلسطين ) هو الملك عبد الله بن الحسين ، مؤسس مملكة شرق الاردن وجد الملك حسين الحالي ·

لقد كان الملك عبد الله رجلا طموحا وماكرا ، توسم البريطانيون فيه الخير عندما اتجهوا لتدعيم نفوذهم ورسم خططهم الامبريالية في المشرق العربي ، فخلقوا امارة شرق الاردن وسلموها له ، واعتمدوه كأحد عملائهم الرئيسيين في المنطقة ، بينما كان وايزمان ، الذي كان من ابرز العاملين لاستصدار وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، هو الشخص الموازي له صهيونيا، بالنسبة لفلسطين · ولم يقنع عبد الله بتلك الامارة الصحراوية التي سلمت له ، فوقع في حب امارة فلسطين ايضا ووجه انظاره كذلك صوب سوريا والعراق ولبنان · وبالنسبة لفلسطين بالذات لم ير عبد الله حرجا في عقد حلف مع الصهيونيين ، فاقترح

عليهم « مد » حدود الوطن القومي اليهودي لتشمل شرق الاردن ايضا . لقاء موافقتهم على تنصيبه اميرا على فلسطين · وفي حالة واحدة على الاقل كانت هناك اكثرية صهيونية تؤيد هذا المشروع ، الا ان البريطانيين تدخلوا اخيرا ومنعوا تحقيق حلم الامير · غير ان عبد الله لم ييأس واستمر في مساعيه ، الى ان استطاع اقناع لجنة بيل البريطانية التي اقترحت تقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧ ، بضم المساحة المخصصة للعرب ، بموجب ذلك التقسيم ، الى شرق الاردن · وعلى الرغم من فشل هذا المشروع ، في حينه ، بعد ان رفضه الفلسطينيون بشدة واسدلت الحرب العالمية الثانية الستار عليه ، بقيت هذه الاطماع راسخة في عقل الامير . الى ان استطاع تحقيقها سنة ١٩٤٨ ، وذلك باتفاق مع الصهيونيين سمح له بموجبه بضم الضفة الغربيه الى مملكته شرط الامتناع عن مهاجمة المناطق المخصصة لليهود بموجب قرار التقسيم · وبعمله هذا ، كان عبد الله من اكثر العرب نشاطا في المساهمة في خلق الكيان الصهيوني ، تحت حماية الحراب البريطانية ، التي ايدته والصهيونيين معا ·

واذا كانت سياسة عبد الله واطماعه ومفاهيمه الخاصة به للصراع العربي ـ الصهيوني قد أدت الى خلق اسرائيل التي نعرفها حتى الان ، فان سياسة السادات ـ كما يبدو ـ ستؤدي الى خلق اسرائيل الكبرى . وهذه المرة تحت حماية الحراب الاميركية ·

ان مخاطر السياسة الساداتية واضحة للغاية ، اذن ، ولا بد من التصدي لها واسقاطها ، بالتي هي احسن او اسوأ · وبانتظار ان يتم ذلك ، دعونا ننظر نحو الضحايا المرشحين لسياسة النظام الساداتي ·

## المشرق ··· المشرق العربي

تكشف زيارة السادات لاسرائيل عن نواح مهمة في التفكير الامبريالي والصهيوني ، كانت حتى الان غائبة عن انظار العديد من العرب · وهذا التفكير الجديد يعرض الان للاختبار ·

أن زيارة السادات لاسرائيل لم تتم ، بالطبع ، مصادفة فقد سبقتها اتصالات ومفاوضات واغراءات وضغوط وجهت الى مصر وحكومتها · والهدف الصهيوني الاول منها هو العمل على الانفراد بمصر ودفعها الى الخروج من دائرة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ومن ورائها المغرب العربي بأسره ، ومن ثم توجيه الضغوط نحو المشرق ومحاولة اخضاعه · وليس في هذا الاتجاه ، على كل حال ، اية غرابة · فالاطماع الصهيونية موجهة اساسا نحو المشرق العربي ، ففيه توجد ما تسمى « ارض ـ اسرائيل » ( والتي تضم ، بالاضافة الى فلسطين، اجزاء من جنوب لبنان والجولان وسهل الحوران في سوريا وكل القسم المأهول

من شرق الاردن ) . وعلى نتائج الصراع مع سكانه يتوقف . في نهاية الامر ، مستقبل المشروع الصهيوني · ولذلك ليس من المستغرب ان تحاول اسرائيل بذل كل ما في وسعها لدق اسفين بين مصر والمشرق العربي ــ لعزل مصر وتركيز جهودها في المشرق · كما يساهم في تقوية هذا الاتجاه الرأي القائل ان مصر هي زعيمة الامة العربية . وان ما تقرره يقبل به العرب . في نهاية الامر ، ان شاؤوا او ابوا ·

ان محاولة النظام الساداتي الفرار من ساحة الصراع مع العدو الصهيوني يضع المشرق العربي في مواجهة مسؤوليته التاريخية . ووجها لوجه امام الخطر المحدق به · والطريقة الوحيدة لمواجهة هذا الخطر هي التكتل في وجهه ، واقامة جبهة صمود مشرقية . تضم اليها اي دولة عربية راغبة في ذلك · ان محصلة النشاط السياسي في المشرق حتى الان . لا تشجع . لاول وهلة . على تعليق آمال كبيرة على قيام مثل تلك الجبهة · ولكن من الواضح . من ناحية ثانية ، ان الخطر الداهم المستجد يهدد كل المشرق . ويضع وجوده بحد ذاته في الميزان · ومن الواضح أيضا ان جبهة مشرقية ، ان قامت ، كفيلة بتشكيل سد منيع في وجه المطامع الصهيونية على المدى القصير . ولدحرها على المدى الطويل · ان المشرق العربي يشكل وحدة جغرافية وتاريخية وحضارية ، يضم نحو ٣٠ مليونا من العرب . وصلوا الى مدى من التقدم والعلم كاف لان يؤهلهم لجابهة المهام التي قد تلقى على عاتقهم · كما ان المنطقة واسعة بما فيه الكفاية ومليئة بالخيرات والموارد الطبيعية والاراضي الخصبة ، التي يمكن ان تتحول الى قاعدة صلبة لصد العدوان او المطامع الامبريالية · والمرء لا يستطيع الا ان يأمل ــ على الاقل ــ بان ينهض المشرق ويحزم أمره ويتصدى بعنف للمؤامرات التي تحاك ضده · وينبغي ان يكون واضحا . في نهاية الامر ، ان السادات لن يتورع كثيرا عن « بيع » المشرق بأسره ، اذا سمح له بالاستمرار في السير على طريق تل ــ ابيب ، وان كنا نعتقد ان عصابة بيغن ــ دايان ــ المفدال ــ غوش ايمونيم « ستخذله » اخيرا ، ولن تقدم له ــ او لغيره ــ اي تنازل ·

شفيق الحوت

# المطران كبوشي
# لحظة خارقة خارج المرحلة الرماديَّة

خرج المطران كبوشي (١) من سجنه واطل علينا ونحن لا نزال اسرى المرحلة الرمادية ، ونحاول جهدنا ان نقتحمها ، ان نخرج من دائرة نفوذها ، وان نتحرر من « منطقها » ·

ففي هذه المرحلة تلاشت الالوان وفقدت ضياءها ، وطغى الرمادي على قوس قزح ، ولفت السماء سحابة كئيبة ، ظنناها سحابة صيف فخدعتنا او خدعنا نحن انفسنا ·

وتاهت الحقائق وضلت سبلها ، وتساوت الاخبار مع الاكاذيب مع الشائعات، واختلطت الوقائع مع التمنيات ، فلم نعد ندري بما يجري !

وماذا لو درينا او علمنا ؟ فاي فرق ، في هذه المرحلة ، بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، بين الذين يقبلون والذين لا يقبلون ؟

حتى القيم المطلقة ، كالحق والحرية والخير والجمال ، ساوموها على مضامينها ، فبتنا لا نميز بين القيمة ونقيضها ، بين القرين والضد ·

اطل علينا المطران في مرحلة ساوت بين الثورة والثورة المضادة ، بين من يحمل السلاح معها ومن يحمله في وجهها ·

وساوت بين داعية لسلام يقوم على حق واخر يدعو لاستسلام على باطل · بين حامل عبوة لنسف الكنيست ، واخر يدعو لالقاء محاضرة فيه ·

---

(١) سألت المطران كيف يكتب اسم عائلته ، فقال انه يكتبها بالشين وليس بالجيم كما هو شائع · وكتبتها كما يريدها صاحبها ·

مرحلة تحترب فيها عواصم العرب حول شبر ارض على حدودها المشتركة ، وتغض الطرف عن وطن بأسره يغتصبه العدو بكامله · وتملأ ساحات بعضها البعض بالقنابل الموقوتة وعربات الديناميت انتقاما لتصريح او بيان ، وتغض الطرف عن حقوق شعب كاملة يبتلعها البحر الميت تحت مشارف القدس ·

مرحلة وضعت كل شيء في القفص ، قفص الاتهام ، ونصبت كل واحد فوق القوس ، قوس المحكمة · واصبح المجرم هو القاضي والقاضي هو المجرم وتبادل مدعي الدفاع ومدعي النيابة الادوار ·

هي المرحلة الرمادية في عصر الرمال ·

وتحاول ، وانت الثائر والواعد بالتغيير ، ان تقتحم المرحلة ، ان تخرج من اللعبة ، ان تغني خارج السرب ، ان تركض الى امام لتمسك « باللحظة التاريخية » وتصحح مسارها ·· وفجأة تكتشف انك لا تزال تراوح داخل المرحلة ، وانك لم تخرج من اللعبة ، وانك كنت في اناشيدك الشاذة استكمالا سيمفونيا لنغم السرب ، وانك كنت تركض داخل قطار يسير عكس اتجاهك ·

وتكاد تيأس ، واحيانا تيأس بالفعل ، ويسيطر عليك الاحساس بالعدمية ونهاية المطاف ، وبأن الالوان غابت الى غير رجعة ، وان الرمادي سرمدي لا يزول ·

غير انك ، وانت في الوادي المظلم ، تفاجأ كذلك بالسحابة الرمادية وهي تنشق ، لتسطع في لحظة كل اضواء الالوان الغاربة ، مقرونة بهزيم رعد مدو يمزق جدران الواد ويفتت رتابة النقيق الرمادي ·

لحظة ليست ككل اللحظات ، انها اللحظة الخارقة ، غير الوافدة من بدائع الطبيعة الماورائية استجابة لنفوس تاكلها المرض والخوف والحقد ، وانما هي من صنع الرجال على الارض ، من اجل الرجال على الارض ·

اطلالة المطران كبوشي كانت لحظة خارقة ، بل انه هو تلك اللحظة الخارقة ، التي كانت وامثالها ، وعلى مدى التاريخ ، اللحظة المنعطف التي تفصل بين اليأس والامل ، بين الهزيمة والنصر ·

انها لحظة الضوء في ظلام الرمادية وعصر الرمال ·

اي واحد منا كان يتمنى ان يفتدي حريتك بحياته ، ومع ذلك فلقد كنا جميعا، كل فدائي حولنا ، ينظر اليك عبر الافق كرمز للصمود وبطل من ابطال المقاومة، فكيف استطعت يا سيدي وانت الراهب الجليل ان تتحمل كل ما تحملت وان تكون في سجنك اكبر من سجانك ؟ ولانه من الناس ، مثلهم جميعا ، يأبى التصنع واصطياد الكلمة ، فياتيك الجواب متدفقا بين لسانه وشفتيه حديث قلب لقلب :

□ لا شيء خارق كالانسان يا ولدي ، ولا محرك كالعذاب · كنت في عذابي كذلك الصاروخ الذي ينتظر العد العكسي : عشرة ، تسعة ، ثمانية ، ويهـون العذاب حتى يتلاشى مع الصفر ، فاذا بالروح تنطلق من قمقمها الجسد مثـل الصاروخ صعودا الى اعلى لتلف في المدارات التي اختارت · وبين القـدس والفدائي مدار روحي ·

ويتطلع بنا ، يريد توكيد الحقيقة على البلاغة ، ويقسم بانه لم يشعر طيلـة ايام حياته بالعملقة والقوة التي احس بهما وهو في سجنه وفي اخريات ايـام اضرابه عن الطعـام :

□ اصبحت وانا الواهن الضعيف اقوى منهم يا ابنائي ، اقوى منهم بكثير · صار السجان الذي اعتاد ان يثقل علي من شباك زنزانتي يطاطىء رأسه امام تمتمات صلاتي ، وشموخ ارادتي ، ورفضي لارهابهم واغرائهم ·

وتقول له : الحياة ، اذن وقفة عز وموقف رجل ! فيقاطعك ليقول :

□ ولا تكتمل رجولة انسان قبل ان يصهر ببوتقة العذاب · أولم تكن تلك سيرة الفادي الاول السيد المسيح ؟ اولم يعان الرسول العربي مما هو اشـق على النفس والجسد ··؟ وكل الرواد ، كل الثوار ، هم رسل حق وانبياء صغار من اجل الحق والعدل والسلام ·

وينزل من ملكوت سماواته الى الارض ويذكر :

□ اولم يتحمل شعبنا الفلسطيني اكثر مما تحملت انا ؟ او لم يقض جيـلا من عمره في المنفى ؟ او لم يذيقوه كأس الذل مترعة ، فاوقفوه طوابير طوابيـر من اجل لقمة خبز او ملجأ او وثيقة سفر او شهادة ميلاد ؟ انا من هؤلاء يـا اولادي ، هؤلاء هم اهلي وعشيرتي واخوتي وابنائي ·

وينظر الى ثوبه الديني والصليب المدلى بسلسلة فضية من عنقه ليضفي على لحيته وشاربه ضوءا من نور ويقول :

□ ولاني مطران ، ولاني رجل دين ، فانا اولى من غيري بالحس قبل غيري· او لم نات هدى للناس ورحمة ؟ ولا فضل لي في ذلك يا ابنائي ، فانا مسيـر ولست مخيرا ، وما كان يمكن لمصيري ان يكون غير ما كان عليه · هـي ارادة الرب ان اقوم بواجبي قدر طاقتي ، وقد فعلت ذلك قبل دخولي السجن ، واتممت ذلك وانا في السجن ، وسأفعل واجبي بعد السجن ·

وتريد ان تخفف له حدة ما عانى ، وان تطيب خاطره ، فتقول له :

كنا كلنا معك يوم سجنوك وعذبوك · كنت معنا فوق كل رابية وعند كـل منعطف ، في كل شارع ، في كل منزل ، في قلب كل فلسطيني ، بل في قلب كل

عربي ، وكل انسان حر شريف · واليوم نشعر اننا بتنا احرارا معك ، لا ظلمة بعد اليوم ، ولا صرير ابواب حديد ، ولا شتائم سجانين ! وينهمر الدمع من عينيه · هو لا يحاول ان يحبس دمعه · هو لا يمثل دورا ، وانما يحيا عمره بلا زيف وبلا رتوش · اذن فليجر الدمع من ماقيه · دموع فرح هي ، مشوبة بغصة · والمطران لا يكذب اهله ، ولا يخدع رفاقه ولا يموه على اخوته · انه يقول :

□ السجن يا ابنائي ! ما هو السجن ؟ اسلاك شائكة هو ، وعمدان شاهقة ، وجدران تحول بينك وبين الافق · اكثر من ذلك ! هو ايضا قيد في اليدين ،وقيد في الارجل · ولكنه ليس اكثر من ذلك · السجن الحقيقي يا ابنائي هو تكبيل اللسان ، وحرمان القلب من رعاية الوطن والمواطنين · ويسرح قليلا ، يشرد ، كأنه يستذكر تلك الايام التي سبقت الافراج عنه وما رافقها من ملابسات ، ثم يشتد ويقول :

□ انا اعرف مدى حب قداسة البابا وغبطة البطريرك مكسيموس لشخصي ، واعرف ان عاطفتهما السامية دفعتهما لانقاذي واخراجي من السجن ، ولكني ·

ويتعثر اللسان الذلق ، ويضطرب القلب الحائر بين الطاعة والثورة ، ثم يتدفق مرة اخرى من القلب للقلب حديث الراهب الثائر :

□ ليس في الدنيا كلها ما يعادل حرية لساني · ولن ارضى بالسجن الكبير بديلا عن سجني الصغير · انهم ان ارادوا قيد حريتي وابعادي عن فلسطين ، سأعفيهم من وعودهم وسأختار راضيا العودة الى سجني في الرملة · هناك على الاقل اشعر ان السماء التي تظللني في زنزانتي هي نفسها السماء التي تظلل يافا وحيفا والقدس والناصرة وجنين ··· ويستمر في تعداد مدن الوطن وقراه وكأنه يعدد اسماء الله الحسنى من حول حبات سبحته · سبحته ؟؟!!

ولسبحة المطران قصة · فهناك في سجنه ، بعد ان خانه المنظر فلم يعد يقدر ان يقرأ ، اخذ يتسلى بالخشبة المقدسة ، خشبة الزيتون ·

وماذا يمكن ان تكون تسلية راهب جليل في سجنه الضيق !!

لقد تعلم الحفر حتى اتقنه ، ومن خشب الشجرة المباركة اخذ يحفر رايات العرب واسماء قادتهم موقعة بامضائه الطاهر من سجنه في الرملة ، ويربطها بعد ذلك بسبحة من خيوط مجدولة ·

ومن سجنه اوصل هداياه لقادة العرب وحكامهم ، ومع كل هدية رسالة ، وكل رسالة موعظة وعبرة ، ومناشدة في الصمود واستمرار الكفاح · اماكيف كان يهرب رسائله فتلك قضية ليست للنشر ، الان على الاقل ·

هو الذي في السجن ، يدعوهم هم الذين في القصور ، الى الصمود

واللاياس واستمرار المسيرة !!

ونعود لحديثه الذي لا تجوز مقاطعته :

☐ هم يا اولادي ـ يقصد الصهاينة ـ ليسوا اقوى منا ، وليسوا اذكى منا ··· انما نحن يا اولادي ، نحن ضعفنا في فرقتنا ، وسر هزيمتنا في عدم معرفة عدونا وعدم معرفة انفسنا ·· فنحن الاقوى ، ونحن الاقدر ، وفوق هذا كله ، نحن الى جانب الحق ، يعني الى جانب الرب ومن كان مع الله فهو المنتصر ·

ويستمر في التدفق شلالا من الامل والثقة :

☐ لقد عدت اليكم يا ابنائي ، وليس من قوة غير قوة الله تبعدني عنكم وعن ثوارنا الذين زرعوا ارض الوطن بدمائهم العطرة · عدت اليكم لنكمل الطريق ، فلست ممن يقفون في منتصف الطريق · انا معكم حتى نهاية الشوط حتى يوم النصر ، حتى تلك اللحظة التاريخية يوم تلف ايادينا خواصر بعضنا البعض نرقص ونغني لفلسطين ·

وتخشى عليه من فرط تعلقه بالعودة الى الساحة ان يصاب بقلبه فيما لولا قدر الله ، ابعدوه الى اميركا الجنوبية ، او اطالوا غيبته في روما ، فتحاول ان تخفف عنه بالقول :

بوركت يا سيدي ، فلقد اعطيت نصيبك للعلى ، ولا بد من راحة ولو لبعض وقت · انها استراحة المحارب ·

ولا يدعك تكمل ، ليقول بالحسم كله :

☐ لاسبوع او اثنين ، لشهر أو شهرين يهون الامر · لزيارة عابرة او اقامة مؤقتة يهون الامر · ولكن غير ذلك مرفوض مرفوض · نحن يا ابنائي رهبان والراهب لا يتزوج ، والمسيحي لا يطلق · اما انا المسيحي الراهب فلقد تزوجت عروسا لا يوجد في الكون من يستطيع ان يحل محلها · عروسي هي القدس ، هي فلسطين ولن اغير زوجتي ·

وتأخذه العزة في الوطنية ويضرب المائدة بقبضته ويقول :

☐ انا مطران القدس ··· وتدمع عيناه ويكمل :

☐ مطرانها في المنفى · ولن اسجل على نفسي لقبا غير هذا اللقب ولو فرشوا لي الدنيا بالذهب والفضة او ···

ويكمل المطران وعيده ، ونحجبه نحن عن النشر ، فللكلام في حضرة المطران حرمة ، هو لم يفرضها علينا ولكننا نحن التزمنا بها ·

فالمطران ايلاريون كبوشي لا يعرف المواربة ، ولا يعرف المراوغة ، وكحد السيف القاطع بحسمه · هذا اسود وذاك ابيض ، هذا حق وذلك باطل ·

المطران كبوشي خارج المرحلة الرمادية ويرفض عصر الرمال المتشابهة ·

لذلك هو لحظة خارقة ، وومضة برق في ليل بهيم ، هزيم رعد في وادي الصمت العميق ·

ولا يرضخ · تسأله عن شروط الافراج عنه فيحسم :

□ انا لا ارضخ للشروط · في حياتي لم افعل · ذات يوم عرضوا علي المنفى والابعاد بديلا عن السجن ، فرفضت مؤثرا السجن فوق تراب فلسطين على الحرية بعيدا عن ثراها ·

وانا ـ شفيق الحوت ـ اقول : اذا ابعدوه قتلوه ، اوقفوا قلبه عن الخفقان، فللمطران كبوشي مع فلسطين قصة حب تختلف عن قصصنا جميعا · يتحدث عنها حديث العاشق الولهان ، العاشق الذي يتحدث عن اول تجربة حب له في حياته ولعلها الوحيدة والاخيرة · ولغته لغة الفرسان القادمين من عهود الوفاء والايمان والشجاعة · فهو يرى الله من خلال حبيبته ، ويبدو ان فلسطين هي التي شدته الى الله ، فالتحمت الرؤيا بين عين البصر وعين البصيرة واختلط ملكوت السماء وملكوت الارض الفلسطينية ·

هو غرسة زيتون ، وشتلة برتقال ، لا تحيا ولا تنتعش ولا تعطي الا في ارض عربية ، يستحسن ان تكون قريبة من القدس ·

لا اقول ذلك مبالغة ولا صياغة ، وانما احذر وانذر لانها هي الحقيقة ، وابعاد الرجل عن ترابه وعن اهله هو قرار باعدامه ·

وهو لا يخشى الموت ، بل يرحب به من خلال مجابهة العدو في ميدان القتال، في عملية فدائية ، لانقاذ طفل ، لري زر ورد ، ويرفض الاستسلام لحبل مشنقة·

ولا ينخدع بالزمن ، ولا يقر انه العقار الذي يشفي امراض الشوق والحنين · الزمن عنده اداة يستخدمها هو ، وليس مهربا للنفس من تعلقها بالقيم الخالدة والوفاء السرمدي اللامحدود ·

□ لن استكين ، ولن استريح ؟؟ هذه كلماته التي تذكرك بمطلع قصيدة للمرحوم كمال ناصر : « لن استريح والشعب دام جريح » ··· ويكمل :

□ الراحة يوم تدق الاجراس ، اجراس العودة في كنائسنا المصادرة ومآذننا اللاجئة فوق قببها ·

وينحسر الياس عن نفسك وانت تستمع اليه ، وتستعيد ثقتك بالالوان

والضياء والقيم ، وتبدأ السحابة الرمادية بالانحسار ولو عن نفسك ، ويتسع شق الضوء في بطنها القبيح ·

وتساله ، اما من كلمة لابنائك المقاتلين ، ولاهلنا في الارض المحتلة ، فيقول:

□ للجميع اقول ، والجميع مقاتل من اجل الحق : ان الله حق فانتم جنود الله · للجميع اتقدم بتحيتي ومحبتي وتمنياتي بالصمود والمثابرة والكفاح ·

للجميع اقول لقد تعلمت منكم يا من زرعتم الارض المقدسة بدمكم الطاهـر وقدمتم للوطن قربانا يستحقه · انا منكم ، وانا معكم ولكم · ولاخينا الاكبر ، المناضل الثائر ، ياسرنا ابو عمار ادعو الله ان يمده بعونه وان ينير قلبـــه وان يلهمه المزيد من الصبر والصمود حتى تتحقق رسالتنا ويتم نصرنا ونعود لديارنا · وللجميع اقول : اوصيكم بالوحدة فليس من قوة كالوحدة ·

بكلمة اختم فأقول :

ـ المطران كبوشي لحظة خارقــة ·

محمود سويد

# استراتيجية التسوية

باستثناء اللعبة المنفردة ، الحافلة بالمفاجآت ، التي يؤديها الرئيس انور السادات ، على مسرح الشرق الاوسط ، وصلت المساعي ، التي تقودها الولايات المتحدة لعقد مؤتمر جنيف ، الى طريق مسدود · فالتسوية المعروضة على العرب واحدة في جوهرها ، وهي لا تتعدى ادخال تعديلات بسيطة على « الحدود » الاسرائيلية الحالية : انسحاب تجميلي في الجولان ، والبقاء في معظم الضفة الغربية ، وفي كل غزة ، وفي بعض سيناء ، مقابل معاهدة سلام تشتمل على علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وغيرها · اما القدس ، فخارج نطاق البحث · وتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية (م·ت·ف ) في جنيف مرفوض · ولا مجال للبحث ، على الاطلاق ، في انشاء دولة فلسطينية مستقلة ، على جزء من التراب الوطني الفلسطيني ·

هل تستطيع الانظمة العربية ، ان تحقق التسوية المتوازنة ، والسلام العادل، في ظل ميزان القوى الحالي ــ الذي يعكس ، انطلاقا من جنوبي لبنان ، حقيقة الوضع ؟ ·

ان تحالفا ثلاثيا يتحرك على الساحة بقوة : الولايات المتحدة ، اسرائيل ، الجبهة اللبنانية · اما الجانب العربي ، فمنهمك في خلافاته ، وفي سد « الثغرة » التي قد ينفذ منها العدو · ولم يبق من ثغرة ، كما هو معروف ، سوى الثورة الفلسطينية التي لا تزال تقاوم رغم كل الضغوط ·

## الولايات المتحدة

تبلور الموقف الاميركي من مساعي التسوية « في الشرق الاوسط » ، في الاونة

الاخيرة ، من خلال وثيقتين رئيسيتين : البيان الاميركي ـ السوفياتي ، وورقة الحل الاميركية ـ الاسرائيلية . وخطاب للرئيس الاميركي كارتر امام المؤتمر اليهودي العالمي ·

**اولا : البيان الاميركي ـ السوفياتي** : جاء في هذا البيان ما يلي :

١ ـ « ··· ضرورة التوصل في اسرع وقت ممكن الى تسوية عادلة ودائمة للصراع العربي ـ الاسرائيلي · وان هذه التسوية يجب ان تكون شاملة ، وان تتناول كل المواضيع ، وكل الاطراف ·

« ··· حل كل عناصر التسوية ، بما في ذلك المسائل الاساسية ، كانسحاب القوات الاسرائيلية من اراض احتلت في حرب ١٩٦٧ ، وحل المسألة الفلسطينية. بما في ذلك ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وانهاء حالة الحرب ، واقامة علاقات سلمية عادية رسمية ، على اساس الاعتراف المتبادل بمبادىء السيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي ···

٢ ـ « ··· التفاوض في اطار مؤتمر جنيف ··· على ان تشترك في اعماله كل اطراف الصراع ، بمن في ذلك ممثلو الشعب الفلسطيني ···» (١) ·

هذه هي العناصر الاساسية التي يتضمنها البيان · وقد اعتبر مقبولا عربيا، بوجه عام ، لما تضمنه من اعتراف اميركي « بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » · فهذه اول مرة تستخدم فيها الادارة الاميركية هذا المصطلح ، بدلا من مصطلح « المصالح » الذي درجت على استخدامه في بيانات سابقة · أما بقية عناصر البيان ، فكان تقويمها سلبيا ، من وجهة النظر العربية ، خصوصا : التراجع عن الموقف السوفياتي التقليدي ، بالنسبة الى انسحاب اسرائيل من « الاراضي » ( وليس اراض ) العربية المحتلة ، وعدم الاتيان على ذكر م·ت·ف كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، وضرورة تمثيلها في جنيف ·

**ثانيا : ورقة العمل الاميركية ـ الاسرائيلية** : الا ان حبر الوثيقة الاميركية ـ السوفياتية ، لم يكن قد جف بعد ، عندما توصل موشيه دايان ، وزير خارجية اسرائيل ، اثناء وجوده في واشنطن ، وبعد حملة ضغط واسعة شنتها اسرائيل واللوبي اليهودي واصدقاء اسرائيل وحلفاؤها في الولايات المتحدة ، وبعد محادثات طويلة ليلة ٥ـ١٠ـ٧٧ مع الرئيس كارتر ، الى توقيع ورقة عمل اميركية ـ اسرائيلية ، اعتبرها المراقبون السياسيون ، بمثابة الغاء لايجابيات البيان الاميركي ـ السوفياتي ، وتنصل اميركي من بعض بنوده · وهذا هو نص ورقة العمل الاميركية ـ الاسرائيلية ، التي نشرت في وقت لاحق في اسرائيل ، على الرغم من الاتفاق على ابقائها سرية :

« ١ ـ يمثل الاطراف العربية وفد موحد ، يضم عربا فلسطينيين · وبعد جلسة الافتتاح ينقسم المؤتمر الى مجموعات عمل ·

« ٢ ـ تشكل مجموعات العمل للمفاوضات وعقد معاهدة السلام كالتالي :

أ ـ مصر ـ اسرائيل

ب ـ الاردن ـ اسرائيل

ج ـ سوريا ـ اسرائيل

د ـ لبنان ـ اسرائيل ( اذا ضم لبنان الى مؤتمر جنيف )

« ٣ ـ تبحث المسائل المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة في مجموعة عمل تضم اسرائيل والاردن ومصر والعرب الفلسطينيين ·

« ٤ ـ يبحث الحل لمسألة اللاجئين العرب واليهود وفقا لقواعد يجري الاتفاق عليها ·

« ٥ ـ القاعدة المتفق عليها لاجراء المفاوضات في مؤتمر السلام في جنيف فيما يتعلق بالشرق الاوسط ، هي قرارا مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ ·

« ٦ ـ تبقى جميع القواعد الاصلية لمؤتمر السلام في جنيف سارية المفعول ، باستثناء ما يتم الاتفاق عليه بين الفرقاء · اي اذا وافق الفرقاء على تغيير ، فسيكون هذا التغيير » (٢) ·

وكان قد سبق اعلان ورقة العمل هذه ، صدور بيان مشترك اميركي ـ اسرائيلي ، تضمن نقطتين رئيسيتين : ١ ـ قرارا مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ هما الاساس المتفق عليه لتجديد عقد مؤتمر السلام في جنيف ، ٢ ـ قبول الاطراف بالبيان الاميركي ـ السوفياتي المشترك ، الصادر بتاريخ ١ـ١٠ـ٧٧ ، ليس شرطا مسبقا لعقد مؤتمر جنيف مجددا (٣) ·

وافقت الحكومة الاسرائيلية على ورقة العمل المذكورة ، في جلسة حضرها دايان ، بعد عودته من الولايات المتحدة · وقال ، في الجلسة ، شارحا ما توصل اليه في محادثاته مع المسؤولين الاميركيين : « تعهدت الولايات المتحدة بانها لن توافق على اشتراك ممثلي م·ت·ف· في جنيف ، او على اية مداولات تتعلق باقامة دولة فلسطينية او كيان فلسطيني ، مهما كان ، في يهودا والسامرة » (٤)·

وتابع دايان ، في مناسبات اخرى ، دفاعه عن الورقة المذكورة ، فنوه في اجتماع لجنة الشؤون الخارجية والامنية في الكنيست ، بحذف اسم م·ت·ف· من الورقة ، وأضاف : « يحتل الفلسطينيون ومشكلتهم ، في الوثيقة ، موقع مسألة محلية تحتاج الى حل ، وليس بمثابة مسألة سياسية متساوية الاهمية مع امور قائمة بين اسرائيل وبقية الدول العربية الاربع المجاورة لها » (٥) · ونقلت عنه هآرتس ، يوم ١٤ـ١٠ـ٧٧ ، قوله ان الولايات المتحدة وافقت على ٣

لاءات : لا لاعطاء م٠ت٠ف٠ اي موقع في المفاوضات . لا لاقامة دولة فلسطينية، لا لعودة اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ ٠

واشارت صحيفة دافار ، يوم ١٢ــ١٠ــ٧٧ ، الى النقاط التي تميز ورقة العمل الاميركية ــ الاسرائيلية ، عن ورقة العمل الاساسية التي اعدتها الحكومة الاميركية لعرضها على اطراف النزاع :

ا ــ تضمنت الصيغة الاساسية ، مشاركة ممثلين ، من مراتب عليا ، عن م٠ت٠ف٠ ولم تتضمن الصيغة النهائية ذلك ٠

ب ــ ذكر في الصيغة الاساسية ان جدول اعمال مؤتمر جنيف سيتضمن مسألة الكيان الفلسطيني ، ولم تذكر الصيغة النهائية ذلك ٠

ج ــ في الصيغة الاساسية : وفد عربي موحد ، ووفد اسرائيلي ، يواصلان عملهما طوال فترة المؤتمر ، وليس فقط في جلسة الافتتاح ٠ لم تشمل الصيغة النهائية شيئا من هذا ٠

د ــ في الصيغة الاساسية ، ان اسرائيل « ستفاوض » على مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ وقد استبدلت « ستفاوض » بـ « ستناقش » ٠

قبل سفره الى الولايات المتحدة ، قال دايان في خطاب امام الكنيست : يمكن اجمال الموقف الاميركي بما يلي : « انسحاب اسرائيلي الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ ، مع تعديلات طفيفة تجري بموافقة متبادلة ، ومنح العرب الفلسطينيين حق تقرير المصير ، وسلام يشمل اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية » ٠ هذا الموقف تبلور في عهد الادارة السابقة ، ولم يحصل فيه اي تغيير في عهد الادارة الحالية (٦) ٠

وبعد عودته ، حاملا ورقة العمل الاميركية ــ الاسرائيلية ، قال دايان : « لا يوجد توافق في الآراء بيننا وبين الرئيس الاميركي بالنسبة الى مستقبل الفلسطينيين ووطنهم ، وبالنسبة الى انسحاب قواتنا من المناطق ، والى مشاركة م٠ت٠ف٠ في مفاوضات السلام ٠٠٠» (٧) ٠ وفي وقت لاحق ، قال دايان : تتمحور الخلافات في وجهات النظر مع الاميركيين حول موضوعين : مسألة عمق الانسحاب ، ومسألة الكيان الفلسطيني ، وبالمقابل ، وهذه نقطة مهمة ، نستطيع ان نصر على موقفنا بالنسبة الى الضفة الغربية ، من دون احداث شرخ في العلاقة بالولايات المتحدة (٨) ٠

**ثالثا : تصريحات اميركية :** قالت اذاعة اسرائيل ، يوم ٧ــ١٠ــ٧٧ : بعد الضغط الصهيوني الذي ادى الى الغاء مضمون البيان الاميركي ــ السوفياتي ، وتوقيع ورقة العمل الاميركية ــ الاسرائيلية ، شرح كارتر موقفه امام ٢٦ نائبا اميركيا مؤيدا لاسرائيل بقوله : هناك فرق بين « الحقوق القومية » و « الحقوق

المشروعة » للفلسطينيين ، والولايات المتحدة لا تتحدث عن « حقوق قومية » ، وهي غير ملتزمة باقامة دولة قومية فلسطينية (٩) ·

وفي ٢ـ١١ـ٧٧ ، تحدث الرئيس كارتر امام المؤتمر اليهودي العالمي ، المجتمع في دورته السنوية في واشنطن ، وهذا اهم ما ورد فيه عن موضوع التسوية · وقد وزع النص مكتب المعلومات الاميركي ـ السفارة الاميركية في بيروت ونقلته صحيفة النهار يوم ٤ـ١١ـ٧٧ :

ـ « نحن فخورون بكوننا صديق اسرائيل الثابت واوثق شريك لها · وسنقف الى جانبها دوما » ·

ـ « انني ما زلت اعتقد ان العناصر الاساسية الثلاثة هي : اولا ـ التزامات السلام ، بما في ذلك انشاء علاقات طبيعية كليا ، سياسية واقتصادية وثقافية · ثانيا ـ ايجاد اجراءات امنية فعالة ، ترافق الانسحاب الاسرائيلي من اراض عربية محتلة ، والاتفاق على حدود نهائية معترف بها وآمنة · ثالثا ـ حل المشكلة الفلسطينية · هذه القضايا متداخلة بصورة معقدة ، ولكي يتحقق السلام يجب ان تحل كلها » ·

ـ « باستطاعتنا ان نقدم مساعينا الحميدة كوسطاء ، وباستطاعتنا تقديم اقتراحات · لكننا لا نستطيع القيام بالمفاوضة » ·

ـ اعرب كارتر عن اعتزازه « بالتقدم الذي تم احرازه » · فالموقف الاسرائيلي يتضمن الان ، العناصر الايجابية التالية : القبول بفكرة تمثيل وفد عربي موحد في جنيف يضم فلسطينيين ، الموافقة على البحث في مستقبل الضفة الغربية وغزة مع الاردن ومصر والفلسطينيين العرب ، الاستعداد للتفاوض على كل القضايا دون شروط مسبقة · ويتضمن الموقف العربي ، الان ، العناصر الايجابية التالية: الاعتراف باسرائيل كدولة ، الرغبة في الوصول الى معاهدات سلام وتشكيل هيئات عاملة منفردة للتفاوض على تسوية نزاعات الحدود وغيرها ، عدم رفض الجلوس الى مائدة مفاوضات مع اسرائيل ، وعدم المجادلة في حقها في العيش داخل حدود آمنة ومقبولة · كل ذلك تحقق في فترة قصيرة ، مما يدعو الى التفاؤل · « فحتى قبل سنة ، بدت فكرة اشتراك الاسرائيليين والعرب في مفاوضات وجها لوجه حول سلام حقيقي ينتظم في معاهدات ملزمة ، ضربا من الوهم ···» ·

ـ ادانة الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، من جهة ، وموقف م·ت·ف· الرافض للقرار ـ ٢٤٢ ، من جهة ثانية ·

ـ مساهمة الولايات المتحدة في حل الخلافات العربية : « ونحن ننغمس

**بنشاط في جهود ترمي الى تضييق شقة تلك الخلافات ، كي يمكن استئناف مؤتمر جنيف ··· » ·**

ـ « وسنواصل تشجيع الوصول الى حل بناء للمسألة الفلسطينية في اطار لا يهدد مصالح اي من الفرقاء المعنيين ، ومع ذلك يحترم حقوق الفلسطينيين المشروعة · وعلى الدول المعنية ان تتفاوض على التسوية ، **لكننا نحن انفسنا نفضل عدم قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية » ·**

ـ « علاقاتنا باسرائيل ستبقى قوية · فمنذ العام ١٩٧٢ قدمنا لها ١٠ مليارات دولار على شكل مساعدة عسكرية واقتصادية ··· جسامة تلك المساعدة لا نظير لها في التاريخ ··· وستستمر » ·

ـ « ان فكرة احلال السلام في الشرق الاوسط . ليست اليوم بحلم اكبر مما كانت فكرة انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في عام ١٩١٧ ، لكنها تتطلب تكريس النفس ذاته الذي جعل من اسرائيل حقيقة واتاح لها ان تنمو وتزدهر »·

وفي خطاب القاه سايروس فانس ، وزير الخارجية الاميركية ، امام المؤتمر القطري للجاليات اليهودية في اميركا الشمالية ، قال : « اننا منذ حرب يوم الغفران ، زودنا اسرائيل بمساعدات عسكرية واقتصادية قيمتها ١٠ مليارات دولار · وسنستمر في تقديم المساعدات لاسرائيل ، بحدود مليار و ٨٠٠ مليون دولار في السنة ، ولن نلحق الاذى بامن اسرائيل ، عن طريق وقف المساعدات الامنية والاقتصادية » · واضاف أن ادارة كارتر لن تفرض حلا ، وستستمر في تأييد اسرائيل في المؤسسات الدولية كالامم المتحدة · كما كرر تصريحات كارتر عن حقوق الفلسطينيين المشروعة ، ولكن ليس في نطاق دولة مستقلة غربي نهر الاردن (١٠) ·

## عناصر الموقف الاميركي

من هذا العرض ، يمكن استخلاص العناصر التالية للموقف الاميركي ـ ادارة كارتر :

١ ـ حل المسألة الفلسطينية على اساس ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، واشتراك ممثلين عنه في مؤتمر جنيف ( البيان الاميركي ـ السوفياتي ) ·

ب ـ استبعاد م·ت·ف· من التمثيل في جنيف ، وبحث المسائل المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة في مجموعة عمل تضم اسرائيل ومصر والاردن والعرب الفلسطينيين ·

جـ ـ بحث حل مسألة اللاجئين العرب واليهود وفقا لقواعد يتفق عليها ·

هذان البندان (ب و ج) المستخلصان من ورقة العمل الاميركية ـ الاسرائيلية، يلغيان القضية الفلسطينية كقضية وطن وشعب وارض ، ويجزئانها الى مسائل محلية تتعلق بالتعايش العربي ـ اليهودي فيها . والى كيفية تسوية أموال واملاك اللاجئين الفلسطينيين مقابل اموال واملاك « اللاجئين » اليهود من البلاد العربية الى اسرائيل · وبهذا المعنى لا يتعارض البندان ب و ج مع البند أ ، المتعلق بضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وتمثيله في جنيف ، وقد سارع كارتر نفسه الى التمييز بين « الحقوق المشروعة » و « الحقوق القومية » والى رفض الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية · وعلى صعيد التمثيل في جنيف ، يقتصر البحث في صفوف وجهاء الضفة الغربية ، والاساتذة الاميركان ـ من أصل فلسطيني ، اي المهم نزع الصفة السياسية عن التمثيل . ونزع صفة « شعب » يتمتع بحق تقرير المصير ، عن اولئك الفلسطينيين الذين سيمثلون في جنيف · وهذا المفهوم لا يبتعد كثيرا عن المفهوم الاسرائيلي لمستقبل التعايش مع عرب الضفة الغربية ـ هذا المفهوم الذي صاغته تجربة عشر سنوات من الاحتلال ·

د ـ رفض اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية · وقد اخذ المسؤولون الاميركيون يلحون ، في تصريحاتهم في الفترة الاخيرة ، على تأكيد هذا الرفض، وكأنهم يشيرون بذلك الى اقتناعهم بوجهة النظر الاسرائيلية ، بعد ان عكست تصريحات كارتر ، في اوقات سابقة ، غموضا وبلبلة في هذا الموضوع ·

هـ ـ الانسحاب الاسرائيلي من اراض عربية محتلة ·

و ـ ربط السلام بانشاء علاقات طبيعية ، سياسية واقتصادية وثقافية ·

ز ـ تأكيد استمرار الدعم « الذي لا مثيل له في التاريخ » لاسرائيل ، وابراز دورها كشريك ·

ح ـ تحديد الدور الاميركي بالوسيط الذي يقدم الاقتراحات فحسب ، وعدم اللجوء الى ضغوط وفرض حل ·

هذه هي عناصر الموقف الاميركي ـ ادارة كارتر . اما الوسائل : فاستمرار الجهود والمساعي ، ومحاولات الاقناع ، وتذليل الصعاب ـ بما في ذلك الخلافات العربية : « نحن ننغمس بنشاط في جهود ترمي الى تضييق شقة تلك الخلافات ، كي يمكن استئناف مؤتمر جنيف ··· » · ولا بد هنا من التساؤل : على اية ارضية تبذل الجهود الاميركية لتوحيد الموقف العربي ؟ على ارضية الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في وطن ؟ وحقه في ان يمثل في مؤتمرات السلام بقيادته الوطنية ؟ او على ارضية الجلاء الاسرائيلي الكامل عن الاراضي العربية المحتلة ؟ وكيف تعمل الاجهزة الاميركية لتذليل الصعاب العربية كي يمكن استئناف مؤتمر جنيف : بتمزيق الصف العربي عن طريق ورقة

العمل الاميركية ـ الاسرائيلية ؟ والعمل لفصل مصر عن سوريا ، ودفعها باتجاه عقد اتفاق منفرد ؟ وبعدم تمكين السلطة الشرعية اللبنانية من ممارسة الحكم ؟ وتضييق الخناق على المقاومة الفلسطينية في جنوبي لبنان ، استكمالا لاهداف حرب السنتين ؟

ان السلطة الاميركية « منغمسة » حقا « بنشاط » في تذليل الصعاب على الساحة العربية ، بينما هي مطمئنة الى سلامة الساحة الاسرائيلية ـ تمدها كل يوم بعوامل القوة . حتى اذا ما وصلت محادثات السلام الى طريق مسدود، وجدت الانظمة العربية نفسها امام قوة جبارة لا تقهر ، ووجدت امامها نافذة امل واحدة : الولايات المتحدة ٠ ملاذها الاخير ، فهي اذ ذاك تملك حقا كل الاوراق . بعد ان تكون الانظمة قد اسقطت اوراق جماهيرها وحلفائها ٠

لا يختلف موقف ادارة كارتر كثيرا عن الموقف الذي صاغته عبقرية كيسنجر التآمرية ، في اعقاب حرب تشرين ١٩٧٣ . بل ان ادارة كارتر تكمل ما بدأ به كيسنجر : تستمر في مد اسرائيل باحدث الاسلحة واشدها فتكا ، وبالمساعدات الاقتصادية ، وتستمر في حرب التصفية ضد المقاومة الفلسطينية ، وتستمر في محاولات تمزيق الوضع العربي. وبث الخلافات بمختلف وسائل التهديد والترغيب فهي تلوح « بجزرة » المساعدات ، والكلام المعسول عن التنازلات مرة ، وتلوح مرات « بالعصا » الاسرائيلية الغليظة للذين لا يرعوون ٠ واذا كانت حرب السنتين في لبنان ، ووضع المنطقة على حافة التمزيق الى دويلات طائفية وعنصرية . هما ذروة ما انتجته عبقرية كيسنجر التآمرية ، قبل ان يغادر وزارة الخارجية الاميركية ، ومنصبه الحساس في قيادة المخابرات المركزية ، فان ادارة كارتر تقود ببراعة مرحلة ما بعد حرب السنتين ، نحو استكمال النتائج المرسومة ، وتجيد الامساك بطرفي الحبل المشدود ، مهددة ، كلما تردد احد في القطيع العربي او تلكأ ، بنار الحرب الاهلية والتمزق الطائفي والعنصري ٠

كان موقف كيسنجر ، بعد حرب تشرين ، يقوم على جعل اسرائيل قوية بما يكفي لحماية نفسها بامكاناتها الذاتية ، وفي الوقت نفسه اقامة محور ـ غربي ـ شرق اوسطي ، قوامه مصر والسعودية وايران ، لاضعاف الوجود السوفياتي في المنطقة ٠ وكان كيسنجر يعمل لتمزيق الصف العربي ، خصوصا فصل مصر عن سوريا ، وكسب الوقت لاسرائيل (١١) ٠

وكان هنري كيسنجر معاديا لفكرة الدولة الفلسطينية ٠ اذ ان « كتبه في التاريخ علمته ان مثل هذه الدويلة المصغرة ، يربي في النفوس عوامل الحماسة لاسترداد السليب ، ويسبب انفجارات فيما بعد ، ويبعث على قيام منازعات خطرة بين الدول العظمى ٠ وقد ينال الفلسطينيون دولة لهم ، ولكن اذا كانت فقط جزءا من الاردن » (١٢) ٠

ووصف دان مرغليت ، احد المراسلين الاسرائيليين المطلعين في واشنطن . الاسلوب الاميركي لادارة اللعبة في الشرق الاوسط بما يلي : « يستطيع الاميركيون اعطاء العرب اكتفاء كاملا . من دون ان يتعهدوا باي عمل فعلي باتجاه تسوية شاملة · فالدبلوماسية الاميركية ليست مهتمة بها . وهي تريد ان تتقدم ببطء ، وبانتقائية . وعلى مراحل . خلال عدد من السنين · ذلك ان تقدما كهذا فقط . يبقي في يدها . على المدى البعيد . امتيازها الاساسي الواضح على السوفيات : القدرة على الوساطة · والاتفاق النهائي السريع يجعل هذا الامتياز غير مجد دفعة واحدة » (١٣) ·

ان التأييد المطلق الذي تمحضه الولايات المتحدة اسرائيل ، لا يلغي الفروق في النظرة الى بعض عناصر التسوية والصراع · فاسرائيل مصلحة قومية اميركية ، لا ترقى اليها مصلحتها في كسب محور مصر ـ السعودية ـ ايران ، على اهميته البالغة · ولا تستطيع الولايات المتحدة حماية مصالحها في المنطقة ( بما فيها اسرائيل ) دون استمرار المسار الحالي للانظمة العربية ، وتثبيته وتعزيزه في الوجهة نفسها ·

غير ان اسرائيل تنظر الى نفسها كأمة مستقلة ، ذات مصالح قومية في المنطقة ، مرتبطة بالامبريالية ومستقلة عنها ، في أن معا · واهم هذه المصالح ، العمل لالغاء الوجود الفلسطيني ، كوجود ذي هوية قومية ، وضرب مكونات هذا الوجود وتشتيتها · من هنا تبدو مسألة التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني ، على أساس هويته الوطنية والقومية ، وحقه في تقرير مصيره ، اكثر مسائل التسوية تعقيدا ، بل هي الحد الفاصل بين احتمالات السلم ، او اللجوء الى الحرب ·

اذا كان الشعب الفلسطيني قد اثبت عبر نضاله الطويل ، استحالة تصفيته كشعب ذي اهداف وتطلعات وطنية وقومية ، واذا كانت اسرائيل لا تملك ان تيأس من امكان القضاء على هذا الشعب وتشتيته ( فلحظة اليأس بالنسبة اليها هي لحظة بداية العد العكسي ) ، فان الولايات المتحدة تعمل للالتفاف على قضية الشعب الفلسطيني ، وتطويع قيادته ، وتقييدها ، وافراغ كفاحها من مضمونه ، بما يقضي على الثورة ، ويملأ نفوس ابناء الشعب الفلسطيني باليأس ، ويحملهم على التسليم بالقدر والمصير الذي خططته لهم الصهيونية والامبريالية منذ عشرات السنين ·

واذا كان ثمة بين المسؤولين الاميركيين ، من لا يجد خطرا كبيرا في قيام كيان فلسطيني هزيل ، ينعصر بين فكي الكماشة الاردنية ـ الاسرائيلية ، ويشكل رقما يضاف الى الانظمة التابعة في المنطقة ، بل يشكل اضعف حلقات سلسلة الانظمة التابعة ، فاسرائيل تعتقد بانها لاتملك ان ترتكب خطأ واحدا في التقدير· ان الشعب الفلسطيني ينفي ما عداه في الوطن الفلسطيني · واذا كان نظامه

تابعا في ظروف تاريخية معينة ، فلا شيء يحول دون تحـــــرره من التبعية ، وامتلاك زمام امره في ظرف تاريخي ملائم · وعندها يكون الصــراع أصعب ، وتكون معركة اسرائيل يائسة ·

في نقطة التقاطع هذه ، يحكم ميزان القوى في المنطقة لحظة التسوية ، ويعين حدودها · ولعل الولايات لمتحدة ، بما تقدم من مساعدات غير محدودة لاسرائيل تكفر عن عدم تطابق نظرتها مع النظرة الاسرائيلية الى عناصر التسوية تطابقـا كاملا ، وتوفر لها ما يمكنها من القول لا، لاية تسوية لا تحقق اهدافها وتطلعاتها·

ان تعديل ميزان القوى هذا ، من الجانب العربي ، وحده يمكن العرب مـــن تحقيق الحل المتوازن الذي يرفع عرب التسوية شعاراته ، على الاقل : الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة ، واقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفـــة الغربية وقطاع غزة · ذلك ان الخلل في ميزان القوى ، هو الذي يعين « حدود» الانسحاب ، وهو الذي يحول الدولة الفلسطينية المستقلة ، الى « كيان » مرتبـط بالاردن ، ثم الى جزء من المملكة الهاشمية ، ثـــم الى الرضـــوخ للاملاآت الاسرائيلية في الضفة الغربية · لقد كان هذا دائما العنصر الرئيسي في الخلاف مع منظري التسوية بعد حرب ١٩٧٣ · فليس العرب هم الذين يرفضون الحل ، بل الولايات المتحدة واسرائيل هما اللذان لا يعرضان سوى الاستسلام ·

**اسرائيـــــل**

لا تملك اسرائيل ان تعرض على الفلسطينيين ســوى الضياع والتشـتت · وسواء حكمها الليكود ام المعراخ ، فان ما تقدمه في الحالين واحد ـ وان اختلف الاسلوب · فالمطلوب في ظل « التسوية الشاملة » الليكودية ، التصفية الفورية الشاملة · واللجوء الى اسلوب « التسوية على مراحل » ، يعني صعوبة التصفية الفورية الشاملة ، وضرورة العودة الى اسلوب التصفية على مراحل · والحديث عن نهاية اسلوب الخطوة ـ خطوة لحل « الازمة » ، هو الحديث عن نهـــاية اسلوب التصفيات خطوة ـ خطوة : من حرب الاردن ١٩٧٠ ، الى حرب السنتين في لبنان · ذلك ان ما تبقى لا مبرر لمرحلته ، بحسب « اجتهاد » البعض ، وانما يكفي توجيه الضربة الحاسمة في جنوبي لبنان · والتردد في توجيهها ، ناجـم عن الخوف من ان تؤدي الى حرب شاملة في المنطقة ، تفسد الترتيبات الاميركية فيها · فالوضع اليوم مختلف عما كان عليه عام ١٩٦٧ ، عندما وجهت الضربة الى خصم مشترك لاسرائيل والامبريالية : عبد الناصر وحركة التحرر العربي · اما اليوم ، فالى من توجه الضربة : الى اصدقاء الولايات المتحدة ، الذيـــن يقدمون الدليل تلو الدليل على ولائهم واستعدادهم لتشكيل سد عال يذود عن مثل العالم الحر وقيمه ، ويصد « الشيوعية الهدامة » ليس عن بلادهم فقط ، بل ايضا

عن كل الشرق الاوسط وافريقيا ، واحيانا اوروبا الغربية ! ٠

تريد الولايات المتحدة من اسرائيل ان تدرك ان دورها وحجمها ينبغي الا يتعارضا مع مكاسب اخرى في المنطقة ، لا مجال لانكار اهميتها ، وان تدرك ان الرجحان الكبير في ميزان القوى لصلحتها ، الذي يسمح لها بأن تحتفظ بما تحتفظ به من اراض ونفوذ في المنطقة ، ليس ناجما عن قوة اسرائيل الذاتية ، بل عما تمدها به الولايات المتحدة بالذات من عوامل القوة ٠

اما اسرائيل فتريد ان تحتفظ لنفسها بالابعاد الامبراطورية التي تتمتع بها بفضل « فتوحاتها » . والتي تمكنها من ان تطمح للعب دور « الشريك » الامبريالي لا التابع . وتضعها في مركز القوة من حاجات الغرب ومصالحه في الشرق الاوسط وافريقيا ٠ وهي تعتقد بأنها جديرة بهذا الدور والحجم ٠ فالعامل الذاتي يلعب دورا كبيرا في الافادة من المساعدات الاميركية ، والا لماذا تنجح هي ، ويفشل غيرها ، ممن يتلقى مساعدات مماثلة ؟٠ لذا ، فان من حقها ان تعامل كقومية رئيسية في هذه المنطقة ، تشغل حيزا يتناسب وما تمثل من حضارة الغرب وتطوره ، ويتلاءم والدور الذي يفترض ان تلعبه ، على امتداد هذه الرقعة الشاسعة من العالم ٠ ولذا ، فهي تستهجن ، مثلا ، ما يبدو لها من « خضوع » اميركي لسياسة النفط ، ما دام بامكانها ان تؤمن النفط للغرب بالقوة ، اذا تعذر تأمينه ، دون الرضوخ لشروط العرب ٠

**اسرائيل مصلحة امبريالية :** هذا هو معنى اصرار بيغن ، في مطلع عهده ، على تذكير الولايات المتحدة ، بالدور الذي تلعبه اسرائيل في خدمة مصالح العالم الحر ، والامن القومي للولايات المتحدة ٠ فقبيل سفره الى واشنطن ، اعلن بيغن ، في المطار : « ان اسرائيل هي جزء لا يتجزأ من العالم الحر ، وانها تبذل الكثير من اجل تحقيق حرية الانسان ٠ وليست اسرائيل عبئا على الولايات المتحدة ، بل هي حليفة لها وللعالم الحر بأسره » ٠ (١٤)

وفي الولايات المتحدة ، عاد بيغن الى تأكيد ان « اسرائيل هي حليفة مخلصة للولايات المتحدة ، وتبذل ما في وسعها لخدمة مصالح العالم الحر ، والمساهمة في الامن القومي الاميركي » (١٥) ٠ و « نحن الاسرائيليين نقوم بدورنا تجاه الامن القومي الاميركي ، واننا الحصن الديمقراطي الاخير في الشرق الاوسط » (١٦) ٠

وذكرت اذاعة اسرائيل ، يوم ٢٢ـ٧ـ٧٧ ، ان بيغن قدم الى كارتر وثيقة بشأن مساهمة اسرائيل في الامن القومي للولايات المتحدة (١٧) ٠

**الموقف الاسرائيلي من الدولة الفلسطينية :** الرفض الاسرائيلي للدولة الفلسطينية المستقلة هو الثابت ، في مجمل الموقف الاسرائيلي ٠ وما عداه يمكن

التفاوض عليه · فالبعد التاريخي لهذه المسألة ، لا يدركه احد من حلفاء اسرائيل واصدقائها ، كما يدركه قادتها التاريخيون · فلسطين تنفي اسرائيل · وشعب فلسطين ينفي شعب اسرائيل · هذه هي المعادلة التاريخية ، التي تشكل جوهر الصراع · وفي ضوء هذه المعادلة ، يصبح مفهوما قول بيغن أثناء زيارته للولايات المتحدة : « ان معنى دولة فلسطينية هو الموت لاسرائيل · ونحن نريد ان نحيا » (١٨) ·

ولمواجهة الضغوط ، وقطع الطريق على اي حديث في هذا الشأن ، اتخذ الكنيست الاسرائيلي ، بتاريخ ١/٩/٧٧ ، قرارا بأكثرية ٩٦ صوتا ، مقابل ٤ اصوات ، وامتناع ٦ ، نص على ما يلي : « يجزم الكنيست ان المنظمة التي تدعى م·ت·ف· هي اطار لمنظمات قتلة ، هدفها تدمير دولة اسرائيل · واسرائيل لن تجري مفاوضات مع منظمات قتلة في اي مجال » (١٩) ·

وابلغ موشيه دايان ، الكنيست الاسرائيلي ، قبل سفره الاخير الى الولايات المتحدة ، انه « خلال المحادثات ( مع الاميركيين ) سيتم التعبير عن ارتباطنا القومي والتاريخي بيهودا والسامرة » (٢٠) ·

وفي لقاء بزعماء يهود في بروكسل ، قال دايان : « رفضت اسرائيل في الماضي ( قيام دولة فلسطينية ) ، ولن توافق عليه في المستقبل ايضا ، لان دولة كهذه ستعرض وجودها بالذات للخطر » · واعرب دايان عن انه يفضل نشوب حرب على القبول بدولة فلسطينية ، لان الموافقة على قيامها سيؤدي الى حرب بعد عشر سنوات ، في ظل ظروف امنية اسوأ (٢١) ·

وابلغ دايان الرئيس كارتر ووزير خارجيته فانس ، ان اسرائيل مستعدة لدرس اي مشروع تسوية في « يهودا والسامرة » ، ما دام يتمشى مع ثلاثة مبادىء اساسية هي : « اولا ــ الا تقوم سيادة او سلطة اجنبية في تلك المناطق · ثانيا ــ ان تكون هناك حقوق متساوية للعرب واليهود في تلك المناطق · ثالثا ــ ان يكون نهر الاردن خط الدفاع لاسرائيل » (٢٢) ·

وفي لقاء مع قناصل اسرائيل في الولايات المتحدة ، قال دايان ، معلقا على البيان الاميركي ــ السوفياتي : ان التهديد الاساسي لاسرائيل ، هو انه في جميع المقترحات تبدو ملامح اتجاه نحو اقامة دولة فلسطينية ، على الرغم من ان تلك المقترحات تظهر بصيغ مختلفة ومبهمة · هذا هو التهديد الاخطر لاسرائيل ، لانه يشكل خطرا على وجودها · والنقاش مع الولايات المتحدة ، يجب ان يدور حول هذا الامر (٢٣) ·

وتقف المعارضة الاسرائيلية ( المعراخ ) الى جانب حكومة بيغن ، في هذا الشأن · فقد اعلنت غولدا مئير : « اذا كان كارتر سيضغط على بيغن اكثر من اللازم في الحديث عن دولة فلسطينية ، فاننا في اسرائيل سنقف كلنا خلف

بيغن » (٢٤) ٠ وقد ابلغت مثير هذا الموقف الى كارتر ، وكذلك ابلغه شمعون بيريس الى فانس ، اثناء زيارتهما الى الولايات المتحدة ، في النصف الاول من تشرين الثاني ١٩٧٧ (٢٥) ٠

وكان هذا الموضوع احد العوامل الاساسية التي حملت الحركة الديمقراطية للتغيير ( داش ) على الانضمام الى حكومة بيغن ، لصد الضغوط اذا حصلت ، وابراز الالتفاف « القومي » حول الليكود : « نظرا الى تطور الشؤون السياسية في الحلبة الدولية ، فقد حان الوقت لان تحتم مصلحة الدولة ٠٠٠ تكتلا داخليا يرتكز الى ٠٠٠ معارضة م٠ت٠ف٠ ومعارضة اقامة دولة فلسطينية ، ومعارضة العودة الى حدود ٤ حزيران ٦٧ » ( يغئيل يدين ، معاريف ٢١/١٠/٧٧ )

كذلك اعربت الحركة الصهيونية ، واللوبي اليهودي الاميركي ، عن موقف مماثل ، في البرقية التي وجهها نادي الرؤساء اليهود في الولايات المتحدة الى وزير الخارجية الاميركي ، ردا على البيان الاميركي ـ السوفياتي : لا يهدف المشروع الاميركي ـ السوفياتي الى السلام ، وانما الى « تقليص حجم اسرائيل ، الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة ، وبالتالي جعلها محمية ٠٠٠ » (٢٦) ٠

**ما تبقى من السلام** : ماذا يبقى من مشروع السلام الذي يعرضه الاميركيون والاسرائيليون ؟ تعديلات طفيفة على « حدود » اسرائيل الحالية ، « لمصلحة » العرب ! ذلك ان اسرائيل تصر على البقاء في معظم الجولان ، وفي كل غزة ، وفي معظم الضفة الغربية ، وفي بعض سيناء ، مقابل « سلام حقيقي » يعبر عنه بمعاهدة سلام « تشتمل على انهاء حالة الحرب ، واقرار حدود دائمة ، واقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وغيرها » (٢٧) ٠ وهذا هو التعريف الاميركي ايضا لمعاهدة السلام المطلوبة ٠ فهل كان العرب حقا بحاجة الى حرب تشرين ١٩٧٣ ليفاوضوا على هذه الفتات ؟ ام ان الانظمة بددت « رصيد » تشرين ، ولم يبق لها الا ان تندب « خيانة » الزوج الاميركي ؟ ٠

## لبـــنان

ما تبقى من « المشروع » ، يتم تنفيذه في جنوبي لبنان ٠ وهو فصل قديم ـ جديد ، نفضت عنه عبقرية كيسنجر التآمرية الغبار ، فاصبح ورقة قوية تستعجل اسرائيل تنفيذها ، احيانا ، فتلجمها الادارة الاميركية ، على اساس ان مجرد التهديد باستعمالها قد يعطي النتائج المرجوة ، دون التعرض لمخاطر التفجير الكامل ٠ وقد اصبح بالامكان اطلاق اسم « المسالة اللبنانية » على الفتيل الذي يكفي اشعال طرفه ، لتفجير الحروب الاهلية في منطقة لا تزال تعيش مرحلة ما قبل اكتمال مكوناتها كشعوب منصهرة ، مرحلة القبائل والعشائر ، والطوائف

التي تدعي تشكيل قوميات مستقلة . والقوميات التي تتطلع الى اقتطـاع ارض وتشكيل دولة ·

فالمشروع الماروني الذي يسعى للانسلاخ عن الجسم العربي . وتشكيل قومية مستقلة . واقامة وطن قومي طائفي . ليس جديدا . بل يعود في قدمه الى العهد العثماني . حيث تمتع جبل لبنان بنوع من الاستقلال الذاتي · لكن الجديد ، هو ان دعاة المشروع في صفوف المارونية السياسية . يجدون الظرف مناسبا ، فـي عصر الجبروت الاسرائيلي ، لفرض امر واقع جديد في المنطقة · وتجد اسرائيل في هذا التطلع ، فرصتها لتحقيق حلمها الذهبي : تقسيم المنطقة الى دويـلات طائفية وعنصرية هي اقواها واكبرها على الاطلاق · ووجد الطرفان في عدد من القرى المارونية في جنوبي لبنان « مسمار جحا » المطلوب ، فاصبح الجنـوب بكامله مسرحا للعبة القذرة · ذلك انه بحجة حماية « الاقلية المسيحية » فـي الجنوب ، اوجدت اسرائيل ، او تحاول ان توجد الصلة الجغرافية بالوطـن الماروني المنشود · هذا ، مع العلم ان مساعدات اسرائيل « للمحاولة » المارونية لم تقتصر على الجنوب ، فقد سبق ان تبارى يتسحاق رابين ، رئيس حكومـة اسرائيل السابق ، وبيغن ، رئيسها الحالي ، بعرض ما قدمت حكومتاهما مـن مساعدات · وقد بادر بيغن الى اعلان « الحماية » والمساعدات ، بعد ان ابقاها سلفه رابين سرا طوال سنة · فقد ابلغ بيغن السكرتير العام للامم المتحـدة ، فالدهايم ، اثناء لقائه به في نيويورك : « اننا سنواصل حمايتهم » (٢٨) · وكرر ذلك اثناء زيارته للولايات المتحدة : « ··· لن نترك المسيحيين لوحدهم ، وسندافع عنهم دائما ، انهم يعيشون في كنفنا وسيعيشون » (٢٩) ·

وكتبت معاريف ( ٧٧/٨/٩ ) في افتتاحيتها : « ان المساعدة العسكرية التي تقدمها اسرائيل الى المسيحيين في جنوبي لبنان لم تعد سرا · فقد اكـد رئيس الحكومة علنا وجودها واستمراريتها · وما كان بمثابة سر عسكري تحول عمليا الآن الى حقيقة مكشوفة ومعلنة » · واضافت : « ان اسرائيل **تقوم هنا بالمهمـة الطبيعيـة ـ تشـكيل مرتكـز لجميـع الاقليات العرقية والدينيـة في الشـرق الاوســط** ··· » ·

وورود مثل هذا التاكيد على لسان بيغن ، الذي اعتبر العلاقة « بنحو مليون عربي ··· عبر الحدود الشمالية ··· » بمثابة تسوية فعلية · واضاف : « **في احد الايام سوف تعرف جميع الشعوب ان اسرائيل هي حامية الاقليات في الشرق الاوسـط** » (٣٠) ·

وعرضت يديعوت احرونوت ( ٧٧/٨/٩ ) اشكال المسـاعدة التـي قدمتهـا اسرائيل الى « القوات المسيحية » ، فقالت : « كشف بيغن ، رئيس الحكومة ، اول مرة ، ان اسرائيل تقدم مساعدات عسكرية للقوات المسيحية في لبنان · ولم يذكر بالتفصيل نسب هذه المساعدات التي بدأت منذ نحو سنة ، بناء على قرار اتخذه

رابين وبيريس » · وعددت الصحيفة اشكال المساعدة . فذكرت الحصار البحري الذي ضربته اسرائيل على الشواطىء اللبنانية . وتدريب « شبان مسيحيين » على السلاح ، في اسرائيل ، بما في ذلك السلاح المدرع . واقامة ضباط اسرائيليين في ميناء جونيه وجواره . في اطار المساعدة العسكرية . وتزويد « القوات المسيحية » بدبابات شيرمن . وملالات . ومدافع هاون . واسلحة خفيفة : بنادق ورشاشات وذخيرة بكميات ملحوظة . وتدخل القوات الاسرائيلية لاسكات مصادر نيران المقاومة الفلسطينية اثناء المعارك في الجنوب ·

اما رابين ، فقد كتب مقالا في صحيفة يديعوت احرونوت ( ٧٧/٩/٣٠ ) جاء فيه ان اسرائيل ساعدت « القوات المسيحية الرئيسية في منطقة بيروت وشماليها ، في صراعها العسكري والسياسي · وهناك ضرورة لبقاء القوات المسيحية قوية ··· لقد عملنا كل ما نستطيع لتعزيز وتقوية القوات المسيحية في وسط لبنان ، وقدمنا مساعدات ضخمة لهذا الغرض · وذكرت الانباء ان حجم المساعدات تراوح بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ مليون ليرة اسرائيلية . وانا لن انفي ولن اؤكد هذا الرقم » ·

وقد اضافت اسرائيل في المعارك الاخيرة في الجنوب ، شكلا آخر من اشكال الدعم ، اذ « دخلت قوات من المشاة ، وقوات مدرعة تابعة للجيش الاسرائيلي الى المنطقة المسيحية الواقعة الى الشمال من المطلة ، والى المناطق المجاورة ، والى داخل القرى المسيحية في تلك المنطقة ، ومكنت بهذا جميع المقاتلين المسيحيين من القيام بحملات هجومية ··· » (٣١) ·

واصبحت اسرائيل ، بعد هذا التدخل طرفا في اتفاقية وقف اطلاق النار ، وفي اية تسوية تتعلق بالجنوب ، في اي وقت · فقد شرطت انسحاب قواتها من « المنطقة المسيحية » « بحق » العودة اليها اذا ما خرقت المقاومة اتفاقية وقف اطلاق النار · ومن بين شروطها للتسوية في الجنوب : انسحاب المقاومة الى ما وراء نهر الليطاني ، الابقاء على البوابات المفتوحة في « الجدار الحسن » على طول الحدود اللبنانية ، الابقاء على العلاقة مع « المنطقة المسيحية » (٣٢) ·

لم يصدر عن الجانب اللبناني المعني ( الجبهة اللبنانية ) اي تكذيب او نفي للانباء الاسرائيلية عن المساعدات · وبذلك تكرست العلاقة العلنية من جانب الطرفين · وقد عرضت جريدة النهار يوم ٧٧/٩/٢٧ ، النقاش الذي يدور داخل « الجبهة اللبنانية » على صيغة لبنان المستقبل ، فذكرت ان كميل شمعون يعتقد بان التريث في هذا الامر « من مصلحة لبنان كما تريده الجبهة ، خصوصا اذا وقعت حرب خامسة بين العرب واسرائيل ··· فالاحداث في مثل الوضع الراهن، هي التي تصنع الصيغة لا العكس » · اما بيار الجميل ، فقد رفض ما اشيع عن اقتراح بمرابطة قوات دولية على الحدود بين اسرائيل ولبنان ، لان المعركة تدور

بين « اللبنانيين والفلسطينيين » : « ان القضية لم تعد بيننا وبين اسرائيل ، بقدر ما هي بيننا وبين الفلسطينيين » (٣٣) ٠

في ضوء هذه الوقائع ، يصبح واضحا لماذا يمتنع التحالف الثلاثي : الولايات المتحدة ، واسرائيل ، والجبهة اللبنانية ، عن تسهيل مهمة العهد الحالي لاستلام السلطة ، ولماذا يشد الخناق على المقاومة الفلسطينية في الجنوب ، ويعمل عن طريق القصف المتواصل والمدمر لتفريغ المناطق الحدودية من سكانها ٠ اذ لم يبق ، لقطف ثمار حروب التصفية ، من الاردن ١٩٧٠ ، الى حرب لبنان ، ثم حرب الجنوب ، سوى ان تختار المقاومة الانسحاب ، فتخسر آخر مواقعها التي دفعت ثمنها غاليا من دماء ابنائها ، وتفقد آخر مركز قوة يتيح لها حرية الحركة السياسية ، او تصر على البقاء ، فيستمر القصف ، وربما تعرض الجنوب لخطر الاجتياح الاسرائيلي ، والوضع العربي برمته للانكشاف ٠

**اننا امام استراتيجية واحدة للتسوية ، اسمها الحقيقي : الاستسلام ٠٠٠ الى ان تقلب الجماهير الصفحة ٠**

---

**هوامش :**

---

(١) النهار ٢ـ١٠ـ٧٧

(٢) هارتس ١٤ـ١٠ـ٧٧

(٣) هآرتس ٦ـ١٠ـ٧٧

(٤) هآرتس ١٢ـ١٠ـ٧٧ ـ ماتي غولان ٠

(٥) هآرتس ١٣ـ١٠ـ٧٧ ـ عوزي بنزيمان ٠

(٦) هآرتس ٢ـ٩ـ٧٧ ـ عاموس بن فيرد ٠

(٧) اذاعة اسرائيل ٢٥ـ١٠ـ٧٧ ـ نشرة ر ١١ رقم ١٣٢٦ ٠

(٨) المصدر نفسه ٧ـ١١ـ٧٧ ، رقم ١٣٣٧ ٠

(٩) ر١١ رقم ١٣١١ ٠

(١٠) اذاعة اسرائيل ١١ـ١١ـ٧٧ ـ ر١١ رقم ١٣٤٠ ٠

(١١) هارتس ٥ـ٢ـ٧٥ ـ نشرة م٠د٠ف٠ ١٩٧٥ ، ص ٩٦

(١٢) ادوارد شيهان في مجلة « فورن بوليسي » في ٧ـ٢ـ٧٦ ـ ترجمته م٠د٠ف٠ ونشرته في ملف خاص ٠

(١٣) هآرتس ٦ـ٦ـ٧٥ ـ نشرة م٠د٠ف ، ١٩٧٥ ، ص ٣١٣ ٠

(١٤) اذاعة اسرائيل . ٧٧/٧/١٥ ـ راا رقم ١٢٤٥

(١٥) المصدر نفسه . ٧٧/٧/٢٠ ٢ رقم ١٢٤٩

(١٦) المصدر نفسه ٠

(١٧) راا . رقم ١٢٥١

(١٨) المصدر نفسه ، ٧٧/٧/١٨ . رقم ١٢٤٧

(١٩) هآرتس ٧٧/٩/٢ ٠

(٢٠) هآرتس ٧٧/٩/٢ ـ عاموس بن فيرد ، نشرة م٠د٠ف٠ ص ٦٢٥

(٢١) هآرتس ٧٧/٩/١٦ ـ الياهو سلبيتر

(٢٢) معاريف ٧٧/٩/٢٠

(٢٣) هآرتس ٧٧/١٠/٣ ـ يوئيل ماركوس

(٢٤) اذاعة اسرائيل ٧٧/٧/١٨٠٠ ، راا رقم ١٢٤٧ ـ نقلا عن نيويورك تايمز ٠

(٢٥) المصدر نفسه ، رقم ١٣٣٨ ، و ١٣٣٩ ، و ١٣٤٠

(٢٦) هآرتس ٧٧/١٠/٣ ـ يوئيل ماركوس

(٢٧) مناحم بيغن ـ اذاعة اسرائيل ، ٧٧/٧/٢٦ ، راا رقم ١٢٥٤

(٢٨) يديعوت احرونوت ٧٧/٧/٢٤ ،

(٢٩) اذاعة اسرائيل ، ٧٧/٧/٢١ ـ راا رقم ١٢٥١

(٣٠) اذاعة اسرائيل ، ٧٧/٩/٦ ، راا رقم ١٢٨٨

(٣١) اذاعة اسرائيل ، ٧٧/٩/٢٨ ، راا رقم ١٣٠٤

(٣٢) المصدر نفسه ، ٧٧/١٠/١٤ ، رقم ١٣١٧

(٣٣) النهار ٧٧/١٠/٢٩

لطفي الخولي

# ملاحظات حول الوضع الراهن للحركة التقدمية العربية

## - ١ -

تعاني الحركة التقدمية العربية ، بصفة عامة في الوقت الراهن ، موجة جزر ذات مدى اوسع واقوى نسبيا ، بالقياس الى كل موجات الجزر التي اصطدمت بها الحركة ، من حين لآخر ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في ١٩٤٥ وانشاء اسرائيل في ١٩٤٨ ٠

واللافت للانتباه ، انه تحت ضربات هذه الموجة ، اخذت الحركة التقدمية تفتقد ، بشكل ملحوظ ، قدراتها على الهجوم والمبادرة التي ظلت تتمتع بها ، بدرجات متفاوتة ، منذ اوائل الخمسينات حتى منتصف الستينات ٠ وهي ، اليوم، تتراجع ، بشكل عام ، الى مواقع دفاعية ، تتراوح فيها حركتها بين « الدفاع السلبي » كما هو في حالات مواجهة صعود ظاهرة الهيمنة البترولية المعادية للتقدم في العالم العربي وما يرتبط بها من نمو طبقة رأسمالية طفيلية كومبرادورية موحدة المصالح في غالبية البلدان العربية ، وبين « الدفاع الايجابي » الذي يتمثل في مقاومة سياسة الخطوة خطوة الامريكية ، بأشكالها وصياغاتها المتعددة ، الرامية الى تحويل الصراع العربي الاسرائيلي الى صراع عربي مع الثورة الفلسطينية ٠

بل يلاحظ ، في بعض الحالات الحادة والمواقع الاستراتيجية ، ان الحركة الاستراتيجية التقدمية اجبرت على التقوقع والانكفاء ٠ وذلك بهدف حماية كوادرها وتنظيماتها من خطر التدمير والفناء ٠

ـ ٢ ـ

غني عن البيان ، ان هذا الرصد لواقع الحركة في اللحظة الراهنة ، لا يعني ـ سواء في التحليل النظري او التعامل التطبيقي ـ نزع « هذه اللحظة » من سياقها التاريخي المترابط والممتد ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا · او عزل هذه الموجة من موجات الجزر « عن مجمل التفاعلات الديناميكية في وطننا وعالمنا ، التي تتشابك وتتداخل فيها دون انقطاع موجات الجزر وموجات المد ، بدرجات متفاوتة من التعقيد في المكان والزمان وفي العوامل الموضوعية والعوامل الذاتية للقوى التقدمية » · وانما المقصود بالدقة ، هو الاقرار « بالطابع الغالب الذي يسيطر في اللحظة الراهنة من مسار التاريخ على الحركة التقدمية العربية » ، واتخاذه مدخلا واقعيا للتحليل والفعل ، وذلك بهدف استكشاف الطرق والوسائل التي تعيد للحركة التقدمية العربية قدراتها على المبادرة والانتقال الى مواقع الهجوم مرة اخرى ·

ـ ٣ ـ

يحسن ، بادىء ذي بدء ، ان نحدد ـ كنقطة اولى ـ ماذا نعني بالحركة التقدمية العربية في الوضع الراهن ؟ وان نحدد ـ كنقطة ثانية ـ ماذا نعني بالوضع الراهن للحركة التقدمية العربية ؟

نحن ننطلق ـ بالنسبة للنقطة الاولى ـ من المقولة العامة التي ترى الحركة التقدمية ، تيارا يضم جميع القوى الاجتماعية والسياسية التي تستهدف وفق مقدراتها المادية وآفاقها الايديولوجية ، التقدم بمجتمعها خطوات كمية او خطوة نوعية ، عما هو قائم من بنيات ثقافية واجتماعية واقتصادية ، لم يعد يلبي مصالح واحتياجات وآمال الغالبية العظمى من الشعب · وذلك بمعايير مستمدة من خصوصية مرحلة التطور التاريخي التي يمر بها هذا المجتمع ، دون ما تجاهل او انفصال عن عمومية روح العصر ومتغيراته الدولية

بيد ان هذا يظل تحديدا عاما يتسم بالتبسيط ، ما لم نعمل على ترجمته ترجمة قومية ، متكيفة مع الظروف الخاصة والسمات المميزة لمجتمعنا العربي في مرحلته التاريخية المعاصرة ·

وفي تقديرنا ، انه طالما ان الشعب في مختلف اقطار الوطن العربي ، ما برح يناضل ـ كخط عام ـ من اجل استكمال تحرره السياسي والاقتصادي ·· وتنمية اقتصاده الوطني بما يرفع مستوى معيشته ·· وتطوير نظامه السياسي على نحو ديمقراطي بما يضمن له حرياته الاساسية وحقوقه في المشاركة في صنع القرارات المتعلقة بمصيره ، فان المرحلة الراهنة من تاريخ المجتمع العربي تبقى في اطار

الثورة الوطنية الديمقراطية ، ومحكومة بقوانينها واهدافها ·

وباعمال هذه القوانين والاهداف ، فان وعاء القوى التقدمية مفروض ان يتسع ليشمل البرجوازية الوطنية بفئاتها المختلفة والفلاحين والعمال ، فضلا عن المثقفين الوطنيين بحكم دورهم المتميز المنشط للحركة التقدمية في البلدان النامية ·

غير ان الثورة الوطنية الديمقراطية ، في الواقع العربي ، تواجه ظروفا خاصة تتولد عنها تعقيدات رئيسية ادت الى اكتساب هذه الثورة ، في حركتها ، سمات وابعاد متميزة ، الامر الذي ينعكس ـ بالضرورة ـ على مضمون ومكونات وعاء القوى التقدمية العربية الراهنة ·

كيف ؟

باختصار ، يمكن ان نرصد الظواهر السبع التالية بالنسبة الى حركة الثورة الوطنية الديمقراطية وتفاعلاتها مع القوى التقدمية ·

ـ ٤ ـ

الظاهرة الاولى . تتمثل في امتداد المساحة الزمنية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ، على نحو غير عادي · حتى انها تبلغ في بعض البلاد ، كمصر ، حوالي قرن من الزمان · بدأت بالثورة العرابية عام ١٨٨١ ، وما تزال ماضية لانجاز مهامها ، مارة بثورة ١٩١٩ وثورة يوليو ١٩٥٢ · وفي بلاد اخرى مثل سوريا والعراق وفلسطين بدأت في اوائل القرن العشرين وعشرينياته وثلاثينياته وما برحت مستمرة بحلقات متعاقبة ·

وقد نتج عن هذه الظاهرة ، التي لم يشهد التاريخ الانساني سوى حالات نادرة منها ، تغيير دائب ومتنوع لقواها وقيادتها واساليبها بل واعدائها · فضلا عن مواجهتها لعواصف المتغيرات الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين ·

واذا كان هذا الامر ينم ، من ناحية ، على ضخامة حجم الطاقة الثورية المختزنة في الواقع العربي ، الا انه يكشف في نفس الوقت ، بحكم طابع الهبات الجماهيرية المتقطعة التي تميز بها مسار الثورة ، عن ازمة حادة ، تكاد تكون مزمنة . في القدرة الموضوعية والذاتية للقيادة · وفي مسألة تنظيم الطاقة الجماهيرية بفاعلية ذات نفس طويل ·

ـ ٥ ـ

الظاهرة الثانية . تتعلق بالدور المتعاظم الذي اخذت البرجوازية الصغيرة ،

على وجه الخصوص ، تقوم به في مسار الثورة الوطنية الديمقراطية في العالم العربي ، وذلك في اعقاب الحرب العالمية الثانية بمتغيراتها الدولية والتي كان ابرزها ظهور العالم الاشتراكي ، قطبا قادرا على ادارة الصراع الايديولوجي والسياسي مع العالم الرأسمالي ليشمل كل المجتمع الدولي ، وقيام اسرائيل بقوة السلاح ، وعلى نحو اوقع الهزيمة التاريخية بالبرجوازية العربية الكبيرة عام ١٩٤٨ ، وكشف عدم قدرتها على الاستمرار في قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية وتحدياتها ٠

ولعل اخطر ما في هذه الظاهرة يتبلور في امرين :

**الاول** ، تعاظم حجم البرجوازية الصغيرة في الواقع العربي ، المتخلف اقتصاديا واجتماعيا ، بمعدلات كبيرة ، وذلك بالقياس الى الطبقات الاخرى وخاصة الطبقة العاملة ٠ ثم تحول هذا « الحجم » الى « كيف نشط » ، وذلك بحكم التناقضات التي اخذت تزداد حدة بين مصالح هذه البرجوازية الصغيرة وبين النظام الاجتماعي والسياسي الذي سيطرت عليه البرجوازية الكبيرة وبات اعتمادها على الاستعمار كاملا ٠ هذا في الوقت الذي كانت البرجوازية الصغيرة هي المصدر الاساسي لغالبية المثقفين ولغالبية الكوادر التي تمركزت في المواقع الدنيا والمتوسطة من مختلف اجهزة الدولة التي جرى بناؤها ، او تدعيمها ، اثر حصول كل بلد على استقلاله ٠

وهكذا غدت البرجوازية الصغيرة ، في غياب طبقة عاملة مؤثرة كما وكيفا ، هي القاعدة الاجتماعية الاساسية ، لكل التحركات النضالية والتنظيمات والاحزاب السياسية بما في ذلك الاحزاب والحركات الاكثر جذرية كالاحزاب الاشتراكية والشيوعية ٠ وان كانت هذه الاحزاب الثورية ، بدرجاتها المختلفة ، قد اسهمت بدورها في اخصاب البرجوازية الصغيرة ببذورها ، الامر الذي افرز من داخل هذه الطبقة قوى واتجاهات ذات بعد اجتماعي ثوري ، وقدرة على التصدي القيادي لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ٠

**الثاني** ، قيام بعض العناصر الثورية في الطبقة البرجوازية الصغيرة التي تمركزت في المواقع الدنيا والمتوسطة من القوات المسلحة ، بتحويل الجيش الذي جرى تكوين هيئة ضباطه ، بعد الاستقلال السياسي ، من ابناء الطبقة البرجوازية الصغيرة في الاساس ، من اداة قمع في يد البرجوازية الكبيرة الحاكمة الى اداة تفجير انقلابات سياسية واجتماعية تتراوح في درجاتها الثورية ٠ بمعنى ان الطبقة البرجوازية الصغيرة ، استعاضت بجهاز الجيش المنظم والمسلح والقادر على الحركة المنضبطة ، عن التكوين الفعلي للحزب السياسي الثوري في احضان المجتمع ٠ وهكذا عندما تمكنت البرجوازية الصغيرة ، بطلائعها الاكثر ثورية ، من ان تتسلح بالجيش ، اقدمت على احداث الانقلاب والاستيلاء على السلطة ، والانتقال بالثورة الوطنية الديمقراطية الى مرحلة اكثر تقدما ٠ سواء في المواجهة

مع الامبريالية والاستعمار الجديد والخطر الصهيوني المتجسد في اسرائيل ، او في التصدي لقضايا التخلف الاقتصادي والاجتماعي ومحاولات بناء الاقتصاد الوطني المتطور والمستقل . والتحرر الاجتماعي للانسان العربي من الاستغلال الرأسمالي التقليدي · وان بقيت الحركة محكومة . غالبا وفي جميع اتجاهاتها ، بمصالح البرجوازية الصغيرة وتطلعاتها وتذبذباتها · غير ان هـذا النهوض البرجوازي الصغير احدث . موضوعيا . تغييرا جوهريا لاول مرة في التاريـخ العربي والعالم الثالث . من طبيعة الدور التقليدي المستقر للجيوش كاداة قمـع لصالح البرجوازية الكبيرة الحاكمة ، ومن انقلاباتها كحركات عسكرية رجعية ذات طبيعة فاشية معادية للجماهير الشعبية ·

ولعل هذا هو « جوهر الناصرية » . نظريا وعمليا · فقد كان عبد الناصـر هو القيادة الاولى الناجحة لهذه العملية التاريخية الجديدة ، في اطار الثـورة الوطنية الديمقراطية في الوطن العربي والعالم الثالث ، اذا وضعنا في الاعتبار حركة « عرابي » العسكرية في مصر ايضا عام ١٨٨١ · وقد تلى تفجير يوليو ١٩٥٢ ، تفجيرات سياسية واجتماعية « **للبرجوازية الصغيرة المسلحة بالجيش** »، متفاوتة النجاحات ، في عدد من البلدان كالعراق وسوريا · وذلك جنبا الى جنب مع تفجيرات اخرى لم يتحقق لها النجاح في اقطار اخرى ·

ومنذ ذلك الوقت ( عام ١٩٥٢ ) . غدا الجيش في العالم العربي ، بوصفـه اخطر واهم المؤسسات المركزية المنظمة والمسلحة ، يغلب عليها طابع ومصـالح البرجوازية الصغيرة ، يملك ثقلا خاصا ، لا يمكن اغفاله او تجاوزه ، عند تحديد مسار وماهية القوى التقدمية العربية المعاصرة ·

---

**ـ ٦ ـ**

---

**الظاهرة الثالثة** ، تتحدد في اليقظة القومية المعاصرة التي شملت كل اجزاء الوطن العربي ، وراحت تطرح بالحاح متزايد على كل القوى وفي مقدمتها القوى التقدمية ، قضية الوحدة العربية ، بفكريـات وصياغـات متعـددة واحيانـا متصادمة · بمعنى ان القومية العربية ، غدت منطلقا فكريا وعمليا لحركة كـل فصيل من فصائل القوى التقدمية · وكان مما اذكى ذلك ، فضلا عـن الرصيـد المتراكم تاريخيا من الاسس القومية المشتركة بين البلدان العربية من ارض وشعب ولغة وتكوين نفسي وثقافي ومصالح اقتصادية ، ثلاثة عوامل رئيسية حديثـة التكوين نسبيا :

**اولها** : *التحدي الاسرائيلي* ، بعد احتلاله واستيطانه لفلسطين ، لمصير كـل بلد عربي دون استثناء ، وبالتالي للعروبة ككل لا يتجزأ ·

**ثانيها** : اكتشاف مصر ، من خلال ثورة ١٩٥٢ بصورة خاصة ، لعروبتها ·

وبأن لا مستقبل لها خارج دائرة الانتماء العربي · وانه بقدر حجم ونوعية دورها في الساحة العربية ، بقدر ما تكتسب من وزن مؤثر محليا وعالميا ، يعود عليها بالتالي بمنافع ذاتية على درجة كبيرة من الاهمية ·

وبالمقابل فان الالتحام المصري بالعروبة ، منح الجسد العربي ، العمود الفقري اللازم للنهوض والحركة الايجابية ·

**ثالثها :** نمو الوعي العربي العام ، خلال وبعد الحرب العالمية الثانية ومتغيراتها الدولية ، بالاهمية المتزايدة للمنطقة العربية ككل موحد في حساب الجغرافيا السياسية العالمية · وذلك سواء بحكم الموقع الجغرافي الاستراتيجي للمنطقة الممتد في قارتي آسيا وافريقيا او بحكم ما بات معروفا على وجه اليقين منذ اواخر الثلاثينيات من انها موطن اكبر مخزون احتياطي للطاقة البترولية ·

وكان طبيعيا ان تتبادل هذه اليقظة القومية العربية الحديثة ، التأثير والتأثر ، بالثورة الوطنية الديمقراطية المستمرة بحلقاتها المتتابعة ·

وهكذا اكتسبت القومية العربية الحديثة ، مضمونا ثوريا ديمقراطيا ، يميزها عن القومية العربية التقليدية التي ظلت طويلا اسيرة المفاهيم الطوباوية والنوازع العرقية الى حد كبير · وفي نفس الوقت اكتسبت الثورة الوطنية الديمقراطية ـ بالمقابل ـ ابعادا واهدافا وحدوية قومية · ونتج عن ذلك انه لم يعد ممكنا في الواقع الحي ، اعتبار او تصور اي قوة في بلد عربي مهما كانت درجة ثوريتها الفكرية في عداد القوى التقدمية الفاعلة ، اذا بقيت خارج دائرة القومية العربية وحركة النضال من اجل الوحدة ·

---

ـ ٧ ـ

---

**الظاهرة الرابعة** ، تتحدد في ان الثورة الوطنية الديمقراطية تحت قيادة الفئات الثورية من البرجوازية الصغيرة ، في محاولاتها دعم الاستقلال السياسي باستقلال اقتصادي ، ودفع عجلة التنمية للاقتصاد الوطني وخاصة في مجال الصناعة بأسلوب مخطط واعادة توزيع الدخل القومي على نحو يرفع نسبيا من مستوى معيشة الطبقات الشعبية الكادحة ، اصطدمت خلال معارك متعددة ، بلغت حد العنف الدموي ، بالامبريالية والاحتكارات والاستعمار الجديد ( شركة قناة السويس في مصر وشركات البترول العالمية في العراق والجزائر وليبيا الخ ·· ) وذلك بالاضافة الى الاقطاع وكبار ملاك الاراضي والرأسمالية الكبيرة·

وفي مناخ هذه المعارك التي اشتعلت من حول قضايا الاستقلال الاقتصادي والتنمية ، اقدمت البرجوازية الصغيرة من خلال سيطرتها على جهاز الحكم اساسا ، على اتخاذ عدد من الاجراءات ذات الطابع التقدمي كالاصلاح الزراعي

الذي بلغ حد الثورة الزراعية كما حدث في الجزائر ، ودعم الحركة التعاونية في الريف وتأميم عدد من المؤسسات الاحتكارية الاجنبية والمملوكة للرأسمالية الكبيرة المحلية وانشاء قطاع عام يقود عملية التنمية وخاصة الصناعية على اساس مبدأ التخطيط القومي ، ومنح العمال حق المشاركة في الادارة والارباح واقرار نسبة الـ ٥٠٪ للعمال والفلاحين في المجالس الشعبية المنتخبة · ومجانية التعليم وكسر احتكار التعامل الاقتصادي والتجاري مع السوق الرأسمالية والانفتاح على السوق الاشتراكية ·

وعلى الرغم مما شاب هذه الاجراءات من سلبيات ونواقص ، واستئثار البيروقراطية بعمليات تطبيقها بمعزل عن رقابة شعبية فعالة ، الا انها منحت – موضوعيا – الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخاصة منذ النصف الاول من الستينيات ، مضمونا اجتماعيا متقدما راح يتجه في بعض نقاطه الى آفاق اشتراكية ·

وقد تولد عن هذا الالتحام التاريخي بين مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ومهام الثورة الاجتماعية ذات الآفاق الاشتراكية ، تغيير اساسي في بنية القوى التقدمية العربية · اذ انسلخت عنها الشرائح العليا والمتوسطة من البرجوازية الوطنية حتى ولو كانت وحدوية الاتجاه عربيا · وتبلورت ، في نفس الوقت ، مجموعة قوى اجتماعية جديدة مرتبطة ارتباطا ثوريا ، لم يسبق له مثيل ، بعملية الانتاج والتطور · وبالتالي منحت الحركة العامة للقوى التقدمية العربية طاقات ذات عمق غائر في البنى التحتية للواقع العربي · ونعني بهذه القوى الاجتماعية الجديدة ، على وجه التحديد ، فلاحي الاصلاح والثورة الزراعية وعمال القطاع العام ، والمتعلمين من ابناء العمال والفلاحين بفضل اقرار مجانية التعليم ·

– ٨ –

**الظاهرة الخامسة** ، تدور من حول تعاظم التحدي الاسرائيلي ، وخاصة في اعقاب هزيمة ١٩٦٧ ، الى حد تجاوز فلسطين والبلدان العربية المجاورة ، الى كل الوجود العربي ، مشرقا ومغربا ، وامنه وقدراته على التطور والتقدم ·

وجاء انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة في ١٩٦٥ وتصديها الفدائي للتحدي الاسرائيلي رغم مناخ الهزيمة ، مفردة حتى اشتعال حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس في عام ١٩٦٩ ، ليقوم بدور التجميع والحشد الديناميكي لمقاومة التحدي الاسرائيلي ، على المستوى القومي الشامل للوطن العربي · الامر الذي خلق الظروف الموضوعية ، لاول مرة في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ، لبناء حد ادنى من وحدة عمل عربي مشترك ذي طابع هجومي ضد التحدي الاسرائيلي . امكن معه استمرار الصمود ثم تفجير حرب اكتوبر ١٩٧٣ المحدودة·

واذا كانت هذه الحرب قد اسفرت عن احراز انتصارات تكتيكية عربية ، الا انها كشفت عن مفاجأة استراتيجية اساسية وهي شجاعة وقدرة المقاتل العربي الذي تربى وتكون في احضان الثورة الوطنية الديمقراطية بأبعادها الوحدوية وآفاقها الاشتراكية ٠ بيد ان حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، لم تحسم الصراع مع التحدي الاسرائيلي ٠ والانتصارات التكتيكية التي حصل عليها المقاتل العربي ، لم تستثمر استثمارا سياسيا جيدا ٠ بل ، جرت وما تزال ، محاولات لمحاصرتها واهدار آثارها ٠ وتجمعت كل قوى الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية المحلية في تحالفات جديدة متعددة ذات وسائل واساليب مختلفة ، تتراوح بين الضغط السياسي والاقتصادي عامة والبترولي خاصة ، وبين العنف المسلح وتفجير الحروب الاهلية ( لبنان ) والانفصالية ( الاكراد في العراق ) ومنازعات الحدود ( ليبيا ومصر ) ، وذلك بهدف تصفية ، او على الاقل سلب فاعلية ، الحركة التقدمية العربية على مواصلة مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية ، مع التركيز على المقاومة الفلسطينية وتحالفها مع القوى التقدمية اللبنانية ، وذلك باعتبار ان الساحة « الفلسطينية ـ اللبنانية » اصبحت تمثل جبهة الصدام الامامية للثورة العربية ببعدها الوحدوي وآفاقها الاشتراكية ، وباعتبار ان المنتصر في هذه الساحة ، او على الاقل غير المنهزم سوف يملك القدرة على المضي في تحقيق وحماية مصالحه ، ومحاصرة وضرب مصالح الطرف الآخر ، استراتيجيا على مدى المستقبل المنظور ٠ هذا المستقبل الذي يمكن ان نسميه بعصر البترول الذهبي ، والممتد وفقا لاغلب التوقعات ، حتى نهاية القرن العشرين ٠

ومن هنا تعمق اكثر فأكثر في وجدان الشعب العربي ووعي القوى التقدمية ان معركة المصير للمستقبل المنظور ، تتكثف في المواجهة الجذرية مع التحدي الاسرائيلي بكافة ابعاده الامبريالية والاستعمارية الجديدة والرجعية المحلية المدعمة بالطاقة البترولية ٠

وبالتالي ، فان القضية الفلسطينية ، بخصوصيتها وعموميتها ، انتقلت كيفيا ، بفعل تراكم حركة الاحداث المعقدة منذ حرب الايام الستة في ١٩٦٧ حتى الحرب الاهلية في لبنان ، مرورا بحرب اكتوبر ١٩٧٣ وسياسة الخطوة خطوة الامريكية وتفاقم السلبيات السياسية والاجتماعية للقوة البترولية العربية وارتباطاتها الاحتكارية ، من مركز « بند من بنود » جدول اعمال الحركة التقدمية العربية ، الى مركز المحور الرئيسي لكل الحركة سواء على المستوى الاقليمي او على المستوى القومي ، **بتعبير آخر تكثفت كل صراعات الحركة في « البؤرة الفلسطينية » ٠ وتبلور عن هذا التكثيف التاريخي ، معيار واقعي لقياس حقيقة ومدى تقدمية كل قوة عربية في الواقع المعاصر ٠ ونقصد به معيار « الفلسطنة » ، الذي يعني تحديدا المشاركة في النضال لاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة فوق كل ارض تتحرر من فلسطين كمرحلة اولى وضرورية نحو بناء الدولة الديمقراطية**

العلمانية لكل فلسطين · وكشفت « الفلسطنة » في الواقع العربي عن منابع اجتماعية ــ سياسية خاصة اثرت ــ بدورها ــ الحركة التقدمية العربية بقوى استراتيجية جديدة هي فدائيو الثورة الفلسطينية ومقاتلو حرب اكتوبر ·

وهذه قوى من شأن تلاحمها الحتمي مع مجموعة قوى فلاحي الاصلاح والثورة الزراعية وعمال القطاع العام والمتعلمين من ابناء العمال والفلاحين التي افرزتها المنابع الاجتماعية لمسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية نحو آفاق اشتراكية ، ان تحدث على المدى المتوسط والبعيد ، تغييرا جذريا في موازين القوى المتصارعة في المنطقة لصالح التقدم والثورة ·

---

ــ ٩ ــ

---

**الظاهرة السادسة** ، تبدو في اغراق العالم العربي حتى الثمالة في بحر متلاطم من الافكار والفلسفات والقيم الغيبية ، واستغلال « الدين »« مدفعية ثقيلة » ضد القوى التقدمية العربية وثورتها الوطنية الديمقراطية ببعدها الوحدوي وآفاقها الاشتراكية ومحورها الفلسطيني ·

ويتجسد هذا الاستغلال في صياغات متعددة ، تستهدف جميعها « اخصاء » قدرة الانسان العربي على تغيير واقعه والسيطرة على مصيره · وفي هذا المجال تتنوع حملات التأويلات المشوهة للتراث الديني والروحي العميق الجذور في المنطقة · هذا التراث الذي كان قوة دافعة للتحرر والتقدم للانسان العربي ، وذلك في عصر المخاض للثورة الوطنية الديمقراطية في اواخر القرن التاسع عشر ، واوائل القرن العشرين ، بمشاركة قيادات دينية مستنيرة تواصلت ، قوميا وتاريخيا ، منذ الطهطاوي ومحمد عبده في المشرق العربي حتى عبد الحميد بن باديس في المغرب العربي · وحملات التكفير لكل فكر تقدمي او حتى عصري ، والدعوة الى السلفية واعتبار كل من ينادي بالاشتراكية والقومية العربية والصداقة مع البلدان الاشتراكية ، منتميا الى قوى جاهلية يتوجب ، دينيا ، اهدار دمها بالعنف الارهابي · الامر الذي ادى الى افتعال معارك وهمية عن الحلال والحرام في الثقافة والتعليم والعمل والمأكل والملبس ، وعلاقة الرجل بالمرأة ، تستنفذ الطاقة او الجهد فيما لا طائل من ورائه الا تزييف الوعي الجماهيري العام ، وحرف النضال ضد الاعداء الحقيقيين ، وتبديده في محاربة طواحين هواء ·

وجرى هذا كله جنبا الى جنب مع اشعال نيران الصراعات بين الاديان وتأجيج الفتن الطائفية بهدف تفتيت التوحد القومي للشعب الى كيانات دينية طائفية متنازعة · كما حدث في لبنان على نطاق دموي واسع ، وكما حدث على نحو اضيق ، في بلدان عربية اخرى ·

وفي هذا المناخ تولدت قوى واتجاهات دينية تقدمية تستلهم الروح النضالية للتراث الاسلامي والمسيحي ، تربط بين التعاليم الدينية التي تدين بها الغالبية العظمى من الجماهير الشعبية وبين قضايا التحرر السياسي والاجتماعي التي تطرحها الثورة الوطنية الديمقراطية المعاصرة • ولاول مرة ، منذ الاربعينات ، تحالفت القوى الدينية التقدمية تنظيميا وسياسيا ، بوزن مؤثر وفعال ، مع الحركة التقدمية العربية بكل فصائلها بما في ذلك الماركسيين ، وذلك على اساس برنامج عمل مشترك • وتم ذلك في عدد من المواقع الرئيسية بالواقع العربي ، وفي مقدمتها التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في مصر والحركة الوطنية التقدمية في لبنان وحزب جبهة التحرير الجزائري وحزب البعث العربي الاشتراكي والجبهة الوطنية التقدمية في العراق وسوريا والتنظيم الثوري الموحد باليمن الديمقراطي•

ان اهمية هذه الظاهرة ، انها تطرح عمليا ، لاول مرة منذ تفجر الثورة الوطنية الديمقراطية ، امكانية بروز قوى تقدمية من ذات المحيط الديني تقوم بقطع الطريق على الامبريالية والصهيونية والرجعية في استغلالها للدين ضد الحركة التقدمية العربية التي تمارس نضالها وسط جماهير مؤمنة يسودها التدين العميق والمؤثر ـ بالضرورة ـ تأثيرا بالغا على مواقفها واختياراتها السياسية والاجتماعية :

---

ـ ١٠ ـ

---

**الظاهرة السابعة** ، تلخص في ان المنبت التاريخي والاساسي لغالبية القوى التقدمية العربية الراهنة هو البرجوازية الصغيرة • وذلك على اختلاف اتجاهاتها الفكرية واحزابها السياسية من قومية الى شيوعية • واذا كان هذا لا ينفي بروز عناصر تقدمية من منابع اجتماعية اخرى كالبرجوازية الوطنية بل والكبيرة في بعض الاحيان والطبقة العاملة ، الا ان البرجوازية الصغيرة تظل هي المنبع الغالب والاقوى • وهذا يعني ان التعدد في منابع القوى التقدمية ، يأتي دائما على مستويين، اجتماعي وايديولوجي• الامر الذي من شأنه ان يولد، بالضرورة، بحكم تمايز النظرات الايديولوجية والاصول الطبقية، صراعات جانبية، فيما بينها، رغم وحدة مسارها النضالي في اطار الثورة الوطنية الديمقراطية • وتصبح القضية المطروحة بالحاح في هذا المجال هي كيف يمارس الصراع الايديولوجي صحيا مع استمرار الحفاظ على وحدة الفعل بين مختلف فصائل واحزاب القوى التقدمية العربية •

**هذا وجه واحد من هذه الظاهرة •**

**اما الوجه الثاني** . فيكمن في انه لما كانت القوى التقدمية العربية بأحزابها

وتنظيماتها وشخصياتها . قيادتها وكوادرها قد نشأت ـ غالبا ـ في احضان البرجوازية الصغيرة • فلا مفر جدليا من ان تظل هذه القوى التقدمية . بدرجة او بأخرى وبقدر او آخر من الزمن. متأثرة بقيم وطبيعة البرجوازية الصغيرة التي تتسم دوما بعدم الاستقرار والتذبذب • وذلك بحكم اوضاعها غير المتجانسة في عملية الانتاج . يخضعها لتقلبات انقسامية عديدة تصعد ببعضها الى دنيا البرجوازية المتوسطة والكبيرة وتهبط ببعض آخر الى مراتب البروليتاريا • والواقع ان هذا الطابع الاجتماعي الوراثي الغالب . للقوى التقدمية العربية الراهنة يتفاعل سلبيا مع عدد من العوامل الهامة مثل غياب طبقة عاملة ذات وزن قيادي في الواقع العربي . او عدم توافر الظروف الموضوعية والذاتية لاحداث القدر الضروري من التلقيح والاخصاب بين المثقفين الثوريين والقوى الاجتماعية المؤهلة بطبيعتها للثورة . فضلا عن سيادة الامية وقيم المجتمع الزراعي المتخلف والضغوط اليومية للفقر الكاسح •

وتحت وطأة التفاعل بين مجمل هذه العوامل . يتضخم على نحو مرضي . دور القيادة الفردية العربية التقدمية في حركة التاريخ . وتتاح الفرص لتغليب « الذاتية » على « الموضوعية » و « الشللية » على « التنظيم » و « الانقسام والتفتت » على « الوحدة الجماعية » • من هنا شهدت الحركة التقدمية العربية ، وما تزال الى حد مقلق ، ظواهر انقسام وتشرذم قواها واحزابها باستمرار • يستوي في ذلك ، مع اختلاف الدرجات ، الحركة الناصرية والتنظيمات القومية والاحزاب الشيوعية ، والمقاومة الفلسطينية • كما شهدت محاولات متباينة على مستويات مختلفة ، لاستئثار كل قوة ـ منفردة ـ بالسلطة او فرض ذاتها في مركز القيادة قسرا في التحالف الجبهوي ونفي وجود الآخرين الا على اساس شكل ذيلي • واستسهلت القوى التقدمية العربية عند استيلائها على السلطة ، اتخاذ قراراتها للتطوير والتغيير ، بيروقراطيا ، دون مشاركة الجماهير لها • وفضلت الدعم الجماهيري للشارع غير المنظم على دعم جماهيري من خلال تعبئة تنظيمية دائمة • الامر الذي جعل العديد من النظم التقدمية العربية تقع بين متناقضين خطرين من ناحية علاقاتها العضوية مع الجماهير : اما الطوفان المفتقد لاي توجيه او تنظيم واما الفراغ الموحش والقاتل احيانا •

وفي مثل هذا المناخ ظلت تتناقص الى درجة خطيرة فرص الحوار الديمقراطي وتعدد الآراء بين مختلف القوى التقدمية على ارضية النضال المشترك • وتصاعدت ، على العكس ، نزعات التعامل غير الديمقراطي بين فصائل القوى التقدمية بعضها وبعض • وتعرضت للانتهاك الخطير حقوق الانسان العربي وحرياته الاساسية في التعبير وممارسة دوره في المشاركة في صنع القرارات المتعلقة بمصيره • .الامر الذي رسب في الجماهير انطباعات خاطئة ومدمرة بقيام تناقض بين التقدم السياسي والاجتماعي وبين الديمقراطية واحترام حقوق الانسان •

ـ ١١ ـ

في ضوء هذه الظواهر السبع الرئيسية التي تحكم طبيعة وحركة الثورة الوطنية الديمقراطية في الواقع العربي وتعامل القوى التقدمية معها ، نستطيع ان نحدد هوية هذه القوى في الخطوط الخمسة التالية :

**الخط الاول :** القوى التقدمية العربية الراهنة هي جماع الجسد الحي والممارس للثورة الوطنية الديمقراطية ببعدها الوحدوي وآفاقها الاشتراكية ومحورها الفلسطيني ·

**الخط الثاني :** تعدد المنابع الاجتماعية للقوى التقدمية العربية · واذا كانت البرجوازية الصغيرة ، ما زالت هي النبع الاجتماعي الغالب . فقد تفتحت منابع اجتماعية جديدة متميزة واكثر ثورية ، خلال تطور مسار الثورة الوطنية الديمقراطية · وتتحدد في فلاحي الاصلاح الزراعي والثورة الزراعية ، عمال القطاع العام ، المتعلمين من ابناء العمال والفلاحين ، مقاتلي حرب اكتوبر ، فدائيي الثورة الفلسطينية ·

**الخط الثالث :** تعدد المنابع الفكرية والتنظيمات السياسية للقوى التقدمية العربية في الحركة الناصرية والتنظيمات القومية التقدمية وحزب البعث الاشتراكي والاحزاب الشيوعية ، وفصائل الثورة الفلسطينية ·

**الخط الرابع :** بروز قوى دينية تقدمية كجزء منظم من مجمل القوى التقدمية العربية تواجه على نحو فعال القوى الدينية الرجعية والسلفية المتحالفة مع الامبريالية والاستعمار الجديد ·

**الخط الخامس :** استمرار معاناة الحركة التقدمية العربية ، بدرجات متفاوتة ، لامراض الانقسامية والتشرذم والشللية والعلاقات غير الديمقراطية وتضخم دور الفرد القائد على حساب الحركة الجماهيرية المنظمة ·

ـ ١٢ ـ

ننتقل الآن الى **النقطة الثانية** في محاولتنا لتحديد طبيعة مرحلة الجزر المعاصرة وهي : ماذا نعني بالوضع الراهن للحركة التقدمية العربية ؟

نحن ننطلق ايضا فيما يتعلق بهذه النقطة من مقولة عامة ترى في ٦٦ ــ ١٩٦٧ عام الانكسار ، ليس فقط بالنسبة للقوى التقدمية العربية : حركات ونظما ، بل وحركة العالم الثالث ككل ·

كان تفجر ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر ، بوزنها العربي والافريقي والاسيوي ، النابع عن تمركزها الحضاري والمؤثر تاريخيا بمنطقة الشرق الاوسط ذات

الحساسية الاستراتيجية دوليا ، بداية لتتابع الثورات الوطنية الديمقراطية في مواقع ذات قدرات اشعاعية هائلة في آسيا وافريقيا · وراحت بمسارها المعادي للامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي تزاوج بين مهام التحرر السياسي ومهام التحرر الاجتماعي بآفاقه الاشتراكية ، على درجات متباينة ·

وامكن لهذه النظم التي تمخضت عنها هذه الثورات ، وفي اطار صراعات الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي في تلك المرحلة ، ان تفرض نفسها على ميزان القوى الدولية ، كقوة ثالثة مترابطة ومستقلة تنهج طريق الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، وتلح على احترام مبدأ التعايش السلمي بين الدول على اختلاف نظمها واحجامها ودون ما تدخل لاي دولة في شؤون الاخريات · وانبثقت هذه القوة الدولية الثالثة الجديدة من خلال مؤتمر باندونج الذي انعقد عام ١٩٥٥ · وراحت وفاء لمبادئها ومصالحها تنسج علاقات اقتصادية وتجارية وعسكرية وثقافية مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية ، على نحو واسع ومؤثر على العلاقات الدولية والنظام الاقتصادي العالمي ، وذلك منذ الحصار الذي ظلت تفرضه القوى الامبريالية والرأسمالية على الاتحاد السوفيتي عند قيامه في ١٩١٧ وعلى مجموعة البلدان الاشتراكية التي توالى تأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية ·

وكان كل كسب سياسي أو اقتصادي تحققه ثورات العالم الثالث ، هو انتقاص خطير من رصيد المصالح الاحتكارية والاستعمارية ، واضعاف لوزن المعسكر الرأسمالي الذي تزعمته الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، في صراعه مع المعسكر الاشتراكي الذي تزعمه الاتحاد السوفيتي · وتضافرت مجموعة من العوامل الموضوعية الجديدة التي تخلقت في الحياة الدولية ، بفعل موجة المد العارمة لحركات التحرر الوطني والقوى الاشتراكية ، الى دفع العالم الرأسمالي الى مواقع الدفاع والتأزم · وذلك على مدى المسافة الزمنية الممتدة من اوائل الخمسينات حتى اواسط الستينات · نذكر منها : التأميمات الكلية والجزئية ، التي شملت العديد من المشروعات والمصالح الاحتكارية في العالم الثالث ، مثل قناة السويس ومزارع الشاي والكاكاو ومناجم الحديد والفحم ، التحالف دوليا بين حركة كل من الدول الاشتراكية والعالم الثالث والقوى العمالية والديمقراطية في اوروبا الغربية ، كسر الاتحاد السوفيتي للاحتكار الامريكي للاسلحة الذرية والنووية ، قيام الصين الشعبية ، زيادة حجم التصنيع في بلاد العالم الثالث بما يضيق في رقعة السوق العالمية امام الصناعة الرأسمالية ، تصفية القواعد العسكرية الامريكية والاوروبية في مواقع متزايدة من العالم الثالث بما هدد تهديدا خطيرا حلف الاطلنطي وحلف جنوبي شرقي آسيا ومجموعة الدول العنصرية والعميلة في افريقيا ( جنوب افريقيا ) وآسيا ( فيتنام وكوريا

ولاوس واسرائيل ) ، الهزائم المتوالية للدول الاستعمارية التقليدية بريطانيا ( في مصر منطقة شرقي السويس ) وفرنسا ( في مصر والجزائر وفيتنام ) ، امتداد الثورة الى امريكا اللاتينية وتفجرها في كوبا على بعد ٩٠ ميلا من الولايات المتحدة وتحولها الى الاشتراكية ٠

بيد ان تراجع العالم الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة الى مواقع الدفاع لم يكن ليعني انه استسلم للواقع الجديد ، وفقد الامل والقدرة على مواجهته ومحاولة تغييره بالقوة ، دفاعا عن مصالحه من ناحية ، واعادة التوازن الملائم له ـ من ناحية اخرى ـ في علاقات القوى الدولية وصراعه مع كل من الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية والعالم الثالث ٠ على حين ان العالم الثالث ، وخاصة مستوياته القيادية الحاكمة ، اصيب نتيجة ما حققه من نجاحات كبيرة لم تكن متوقعة بهذا القدر من السرعة ، بمرض الافتتان بقوة الذات الذي اعمى البصيرة عن نواقص وسلبيات البناء الداخلي من ناحية ، وعن ان الصراعات التي دبت ـ من ناحية ثانية ـ داخل المعسكر الاشتراكي الحليف بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية قد راحت تبذر بذور الشقاق في وحدة العمل النضالي لحركة التحرر الوطني العالمية ، وعن ان الامبريالية ـ من ناحية ثالثة ـ لم تلحقها بعد شيخوخة الموت التاريخي وان ثورة العلم والتكنولوجيا قد شحنت الجسد الرأسمالي العالمي بدماء وقدرات تمكنها من استمرار حركتها العدوانية بطرق واساليب جديدة ٠

وهكذا بدأت الولايات المتحدة والقوى الحليفة لها تخطط لهجوم مضاد ٠ ولكن كيف ؟ ٠

كان العالم الثالث قد تحول الى جبهة عريضة مترامية الاطراف في القارات الثلاث ، افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ، بحيث تعجز واشنطن عن مواجهتها بهجوم شامل على مدى اتساع الجبهة ٠ هذا فضلا عن ان الهجوم بطريق الغزو المباشر من الخارج لم يعد متاحا والا عرض الولايات المتحدة لمخاطر المواجهة النووية مع الاتحاد السوفيتي من ناحية ، ومخاطر المواجهة القتالية البشرية مع الصين في الساحة الاسيوية الملتهبة من ناحية اخرى ٠ وذلك في وقت بلغت فيه الحرب الباردة الذروة ٠ وخاصة بعد ازمة البحر الكاريبي وصواريخها السوفيتية في عام ١٩٦٢ ، وزيادة التورط الامريكي المباشر في الحرب الفيتنامية ٠

من هنا خططت الولايات المتحدة على اساس تركيز هجومها ضد رموز قيادية اساسية تحتل مواقع استراتيجية في خريطة العالم الثالث السياسية ٠ يكون من شأن تحطيمها وكسرها ، في فترة زمنية محدودة ، ارهاب العالم الثالث وخنق موجة المد التاريخي فيه والانتكاس بها الى موجة جزر عامة ٠ وابتكرت لهجومها تكتيكات ووسائل جديدة ، تتنوع بين الحروب الاقليمية المحدودة والخاطفة في سرعتها ، تشعلها قوة ضاربة متمركزة في منطقة الهدف تدعمها الترسانة

العسكرية الامريكية ٠ وبين عمليات غزو من الداخل تقوم بها جيوب اجتماعية وسياسية ذات مصالح قوية معادية لحركة التحرر مستكنة داخل كيان الهدف نفسه وتملك قدرات مادية ومعنوية بحكم تمركزها في اجهزة الدولة القابضة وخاصة الجيش ٠ وبحيث يبدو الامر في النهاية اما في صورة حرب اقليمية بين دول صغيرة متجاورة او صراعات داخلية ، يتعذر معه تدخل الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية سواء بسبب الطابع الخاص الذي تتخذه العمليات او بسبب الوقت الضيق الذي تنجز خلاله ٠

وبالفعل اختارت الولايات المتحدة بدقة ، كما دلت حركة الاحداث ، الرموز القيادية التي شنت عليها هجومها ٠ وذلك في ثلاثة مواقع استراتيجية :

بدأت في فبراير ١٩٦٦ **بالهجوم الاول** ضد « **غانا** » التي كانت قد تحولت الى قاعدة نشطة لحركات التحرر والوحدة الافريقية المعادية للامبريالية في قلب القارة السوداء ٠ واستخدمت في ذلك اسلوب الغزو من الداخل ، اساسا ، عن طريق البيروقراطية العسكرية في الجيش الغاني ٠ وانتهت بتصفية النظام التقدمي واسقاط حكم الرئيس الراحل قوامي نكروما ٠

وانصب **هجومها الثاني** ضد « **اندونيسيا** » ، موطن المؤتمر التأسيسي للعالم الثالث ، واحد قواعد الدعم الرئيسية لحركات التحرر في آسيا ٠ وذلك بأسلوب الغزو من الداخل ايضا ٠ وكانت وسيلتها في ذلك تحريك التحالف الذي قام بين البرجوازية الكبيرة والبيروقراطية العسكرية ضد الجبهة الوطنية التقدمية بزعامة الرئيس الراحل سوكارنو الى درجة الوصول الى حافة الحرب الاهلية ، وذلك منذ اكتوبر ١٩٦٥ ٠ حتى اذا ما نضج الموقف للاجهاز على النظام الوطني التقدمي بعد ارهاب سوكارنو وعزله سياسيا واجتماعيا ، اعطى الضوء الاخضر لازاحته نهائيا واسقاط النظام وتصفية معظم كوادر وقادة القوى التقدمية على اختلاف اتجاهاتها بمذابح واسعة النطاق ٠ وتم ذلك بالفعل في مارس ١٩٦٦ ٠

اما **الهجوم الثالث** فقد وقع في يونيو ١٩٦٧ بأسلوب الحرب الاقليمية المحدودة ضد حركة التحرر العربي عامة ومصر عبد الناصر خاصة التي كانت تحتل مركز الثقل في حركة التحرر الوطني العالمية وحركة القوى التقدمية العربية خاصة ٠ وهو الهجوم الذي عرف باسم « حرب الايام الستة » ٠ وكانت القوة الضاربة فيه هي القاعدة العسكرية الاستعمارية العنصرية القائمة في المنطقة في شكل دولة اسرائيل ٠

واستغلت امريكا في ذلك ما كان يشوب النظام الوطني التقدمي في مصر من نقاط ضعف جوهرية ناجمة عن صعود ما سمي بالطبقة الجديدة التي تكونت سرطانيا داخل النظام والمجتمع من تحالف البيروقراطية المدنية مع البيروقراطية العسكرية ٠ وراحت تعمل فيه بالتخريب حماية لمصالحها التي تبلورت في تناقض

مع مصالح الجماهير والقوى التقدمية من حول اهداف حركة الآفاق الاشتراكية والقومية العربية والتي كانت تحكم مسار ثورة يوليو بوضوح منذ اوائل الستينات ٠

وبنجاح الولايات المتحدة في ضرب هذه الرموز القيادية الرئيسية للعالم الثالث ، في عام ٦٦ ـ ٦٧ ، حدث الانكسار التاريخي لحركة التحرر الوطني العالمية وقواها التقدمية ٠ ومع هذا الانكسار انحسرت موجة المد العارمة لتبدأ موجة جزر عاتية ، ما يزال العالم الثالث ، وفي قلبه العالم العربي ، يعاني من قيودها وضغوطها المعقدة ٠ ولم تتمكن مقاومة القوى التقدمية بعد ، ان تحقق انتصارا استراتيجيا يبدد فعل وآثار هذه الموجة ، وان كانت قد احرزت ، من وقت لآخر ، عددا من المكاسب التكتيكية المتفاوتة القيمة ٠

والواقع ان متابعة حركة الصراع الضاري بين موجة الجزر وبين القوى التقدمية العربية ، الممتدة منذ عام ٦٦ ـ ٦٧ ، حتى لحظتنا الراهنة ، تبرز امامنا مجموعة من الحقائق الموضوعية التي تميز الوضع الراهن ، نرصد اهمها في الظواهر السبع التالية :

ـ ١٣ ـ

**الظاهرة الاولى :** تتعلق بالتواصل المستمر لموجة الجزر الراهنة وامتدادها لمسافة زمنية طويلة نسبيا ( حوالي عشر سنوات حتى الآن ) ، وذلك بالقياس الى اعمار موجات الجزر التي واجهها العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية٠

ولعل استطالة موجة الجزر الراهنة دون ما حسم ، سواء لصالح القوى التقدمية العربية او لصالح القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية ، ترجع الى ثلاثة عوامل مترابطة هي :

**الاول :** ضخامة القوة المصدرة للموجة ، وما تتمتع به من قدرات مادية وعسكرية ، ونعني بها الولايات المتحدة ، فضلا عن حليفتها واداتها الضاربة اسرائيل ٠ وفي نفس الوقت ضخامة المستهدف من هذه الموجة وهو اعادة السيطرة على المنطقة العربية ، وضمان كل من المصالح الامريكية ذات الطبيعة الاستراتيجية في البترول العربي ، وتعزيز امن ووجود اسرائيل ، المتوسع جغرافيا والمتضاعف سكانيا ، بحيث تتمكن من ان تقوم لحساب الصهيونية والاستعمار الجديد ، في المنطقة ، بدور المدينة الصناعية المتقدمة وسط الريف العربي المتخلف ٠

**الثاني :** تفاقم الصراعات العربية الجانبية بين النظم المختلفة الى حد الصدام المسلح ، وفقدان القدرة على الوصول الى اتفاق حول حد ادنى من موقف قومي

مشترك ازاء اسرائيل والعلاقات الدولية · مع زيادة نفوذ الدول العربية البترولية ذات الارتباط الوثيق مع الولايات المتحدة والغرب عموما بالقياس الى نفوذ الدول العربية التقدمية سواء اكانت غير بترولية ام نصف بترولية · وما يصاحب هذا كله من انعكاسات سلبية على حركة القوى التقدمية في هذا البلد او ذاك ·

**الثالث :** المقاومة الدفاعية التي تمارسها القوى التقدمية من خلال الحركة الجماهيرية بأشكال متعددة ، وبقدر متفاوت من الحجم والنوع والتنسيق والتنافر فيما بينها ، وعلى الرغم من ضغوط دول البترول الرجعية والمحافظة والصراعات العربية الجانبية ، الامر الذي يجعل قوى موجة الجزر تحاول الالتفاف من حول هذه المقاومة او الدخول معها في مواجهات صريحة مما يستهلك بالضرورة احتياطيا كبيرا من الوقت لدى جميع الاطراف ·

---

**ـ ١٤ ـ**

---

**الظاهرة الثانية :** تتكشف من واقع انه ، ولو ان موجة الجزر العامة لا تزال هي السائدة في الوضع الراهن ، الا ان ثمة موجات مد جزئية لصالح القوى العربية التقدمية تزاحمها في تتابع لا ينقطع ، بهدف محاولة اضعاف وكسر شدتها ·

بمعنى ان هناك باستمرار تدخلا صراعيا بين موجات مد وجزر ، تحول موضوعيا ، دون حسم الموقف ، استراتيجيا ، لصالح اي من الاطراف المتصارعة ·

نلاحظ ـ مثلا ـ انه مع احتلال اسرائيل لسيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة ، كان هناك الصمود الجماهيري التاريخي ضد الهزيمة · وحركة المقاومة الفلسطينية وانفجار ثورات العراق وليبيا والسودان · ومع ضرب اسرائيل لاعماق مصر وسوريا في محاولة لكسر الصمود العربي والمقاومة الفلسطينية . كانت هناك حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس · ومع تصفية ثورة السودان في ١٩٧١ كان هناك بناء الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية من جميع الاحزاب والتنظيمات والقوى التقدمية العربية في اول صياغة جبهوية من نوعها · ومع الحصار والضغوط الاقتصادية ومحاولات الارتداد عن الآفاق الاشتراكية للثورة الوطنية الديمقراطية ، كان هناك التأميم الكلي او الجزئي لشركات البترول الاحتكارية في الجزائر والعراق وليبيا · والحركات الجماهيرية والعمالية دفاعا عن القطاع العام في مصر وسوريا وتطوير الاصلاح الزراعي في الجزائر الى ثورة زراعية · ومع فرض حالة اللاحرب واللاسلم على الصراع العربي الاسرائيلي واحتلال الارض العربية ، كان هناك

حرب اكتوبر ١٩٧٣ بانتصاراتها التكتيكية واستخدامها سلاح البترول لاول مرة في الصراع · ومع تفجير الحرب الاهلية الطائفية في لبنان كان هناك التحالف بين القوى الوطنية التقدمية اللبنانية وبين المقاومة الفلسطينية · وهو التحالف الذي حول لبنان من فخ منصوب لاصطياد الثورة الفلسطينية والحركة الجماهيرية اللبنانية الى ساحة مواجهة مع اسرائيل والامبريالية والرجعية العربية ·

وهذا يعني ان « الفعل » و « الزمن » في موجة الجزر ليسا مطلقي السراح وانما هما محكومان ، دوما ، بقوى رد « الفعل » في ذات « الزمن » من جانب القوى التقدمية العربية وجماهيرها ·

صحيح ان ذلك يظل في دائرة الدفاع · وربما يكون رد الفعل ، ايضا اقل مستوى او فاعلية من الفعل ومتأخرا قليلا او كثيرا عن اللحظة التاريخية الملائمة داخل الوعاء الزمني ، الا انه يؤكد حقيقة جوهرية وهي عدم تمكن موجة الجزر من امتصاص حيوية حركة القوى التقدمية وخصوبتها النسبية على النضال والعطاء ·

---

ـ ١٥ ـ

---

**الظاهرة الثالثة :** تتبدى في ان موجة الجزر ، افرختها ظروف عصر دولي كان طابعه الحرب الباردة · ولكنها تتواصل ، اليوم ، في ظروف عصر دولي مختلف طابعه الانفراج الدولي وان كان ما زال قلقا وغير مستقر · غير انه يضع ـ بالضرورة ـ قيودا وحدودا على قدرات موجة الجزر على الحركة بنفس المعدل السابق ،سواء من حيث السرعة او كمية العنف المستخدم · كذلك فان الموجة انطلقت في اعقاب نصر كامل لاسرائيل في حربها الثالثة مع العرب ، ولكنها تتحرك اليوم في اعقاب هزيمة جزئية لاسرائيل ـ لاول مرة ـ في الحرب الرابعة ، وما خلفته من آثار سلبية على كيان اسرائيل ووزنها التقليدي الطامح دوما للقيام بدور الشريك الصغير للامبريالية في المنطقة ·

بتعبير آخر ثمة « تغيير ما » يعتمل في الظروف الراهنة المحيطة بحركة موجة الجزر ، ليس في صالح امريكا واسرائيل في المستقبل المنظور · الا انه مما يحد ـ عربيا ـ من امكانية الاستفادة من هذا التغيير بالسرعة والعمق المطلوبين ، غياب الاتحاد السوفيتي نتيجة تردي علاقاته العربية بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة ، وايضا التردد في استثمار السلبيات التي عصفت بالكيان التقليدي لاسرائيل بعد حرب اكتوبر بالعمل على تكوين جبهة عربية اسرائيلية في الارض المحتلة تناضل سياسيا ضد المشروع الصهيوني وتطرح بديلا له ، مشروع الدولة الديمقراطية العلمانية ·

**الظاهرة الرابعة :** على عكس الظاهرة الثالثة تكشف عن اكتساب موجة الجزر عناصر قوة جديدة سواء بطريق مباشر او غير مباشر وتتركز اساسا في خمس نقـاط ·

**الاولى :** غياب « جمال عبد الناصر » الشخصية القيادية التاريخية ذات الثقل القومي ، القادرة ، في ظروف تضخم دور الفرد التاريخي ، على تجميع القوى التقدمية نحو اتجاه موحد ، في لحظات الخطر العام وذلك مهما كانت الخلافات بينها وبين الآخرين · او ملاحظاتها النقدية على قيادته ·

**الثانية :** تحول الظاهرة البترولية العربية ، بطاقاتها وفوائضها الماليـــة الضخمة ، الى رصيد قوة للجانب التقليدي والمحافظ من النظم العربية والمتحالف مع الولايات المتحدة ·

**الثالثة :** قيام حركات رفض ذات طابع سلبي في داخـل الثـورة الوطنيـة الديمقراطية · وعلى الرغم من طبيعتها التقدمية فانها لم تستجب لمحاولات القوى التقدمية الغالبة للاتفاق على برنامج عمل في اطار استراتيجية واحدة وتكتيكات مرنة متعددة · الامر الذي اضعف موضوعيا من قوى الصدام التقدمية ككل مع موجة الجزر ·

**الرابعة :** استمرار الصراعات الذاتية بين قيادات واحزاب القوى التقدميـة سواء على الاستئثار المطلق بالسلطة او القيادة ، وتحويـل الآخريـن الى كـم تابع · الامر الذي احدث انتهاكات خطيرة لحقوق الانسان العـربي وحرياتـه وحقوقه الديمقراطية ، واضعف بالتالي من حصانة وحيوية الحركة الجماهيرية · وصادر ، في احيان عديدة ، مبادراتها على التصدي والفعـل المؤثر الطويـل النفـس ·

**الخامسة :** تبلور مصالح امريكية مركزية في العالم العربي منذ السبعينيات ، على اساس استراتيجيتها الخاصة بالطاقة حتى نهاية القرن ، ذات طابع مستقل ، واحيانا متناقضة ، بدرجات متباينة مع مجموعة المصالح التقليدية الامريكية ـ الاسرائيلية المشتركة · الامر الذي اتاح للولايات المتحدة ان تبدو « بوجه صديق » في المنطقة يختلف عن وجهها العدائي المعروف في الخمسـينات والسـتينات ، المنحاز بصراحة لاسرائيل · الامر الذي يسهل على القوى المحافظة الرجعيـة « بيع امريكا الجديدة » الى الجماهير العربية ، على اساس ان « هذه الامريكا » هي احد انجازاتها الكبرى لخدمة القضية القومية ·

ـ ١٧ ـ

الظاهرة الخامسة : تتصل بتزايد وزن ومواقع الاجنحة اليمينية في الثـورة الوطنية الديمقراطية في الوضع الراهن · وذلك نتيجة عوامل عديدة تأتي فـي مقدمتها قيام تناقضات بين مسار الثورة بآفاقها الاشتراكية وبين مصالح هـذه الاجنحة اليمينية ، بعد صعودها الطبقي من مرتبة البرجوازية الصغيرة الى مرتبة البرجوازية المتوسطة من خلال تمركزها في السـلطة وتوثيـق علاقاتهـا مـع البيروقراطية والرأسمالية الطفيلية واغنياء الريف · وساعد على تهيئة المنـاخ المواتي لذلك ، تفاقم الانقسامات بين القوى التقدمية · بالاضافة الى ضغـوط التهديد واغراءات الثراء ، التي راحت تتعرض لها مـن الاسـتعمار الجديـد والرجعية البترولية ، العناصر المحيطة بالقيادات المتذبذبة التي تسيطر على مراكز حساسة في الابنية الفوقية من النظم الوطنية التقدمية ، او تتولى مهمات رئيسية داخل احزاب وتنظيمات تقدمية ·

ـ ١٨ ـ

الظاهرة السادسة : حديثة الظهور ، بل لعلها ما تزال بمرحلة التبلور · ذلك ان ما تعبر عنه من « واقع » ما برح في طور التكويـن الجنينـي ، ويتعـرض لعمليات تجريب متعددة · ونعني بهذه الظاهرة محاولة قوى موجـة الجـزر ، وخاصة الصهيونية منها ، القيام بما يمكن ان نطلق عليه اسم « صهينة العصر العربي الراهن » · بمعنى خلق ظروف جديدة في المنطقة من شأنها ان تجعل مفتاح « الحل الممكن » لازمة المنطقة وحروبها الدامية وصراعاتها المتعددة ، ليس في افشال او حتى ايقاف الاتجاه التوسعي للمشروع الصهيوني المجسد منذ عام ١٩٤٨ في اسرائيل · وانما على العكس ، هو في تعميمه على مستوى العالـم العربي · اي في تحويله من مجرد حالة استثنائية خاصة باليهود الى قاعـدة عامة تشمل جميع المسيحيين والمسلمين على اختلاف مذاهبهم في المنطقة · بمعنى ان ينقسم العالم العربي الى دويلات صغيرة ، تقوم كل منها على اساس تجمـع طائفي ديني محدد · وقد طرح بالفعل ، على المستوى النظري والتطبيقي ، مشروع بناء « وطن قومي للمسيحيين الموارنة » في لبنان خلال الحرب الاهلية · ويقـوم الانعزاليون اللبنانيون اليوم ، بممارسات متعددة لوضع اسس هذا الوطن القومي المسيحي مستقلا بشعبه وابنيته الاقتصادية والسياسية والعسـكرية ومرافقـه وعلاقاته الدولية · وفي هذا المجال تقوم اسرائيل ، علنا ، بمد قادة المشـروع الصهيوني المسيحي في لبنان بالخبرة الفنية والدعم المادي والعسكري ·

ويتردد في الوقت نفسه ، ولكن بدرجة اقل ، طرح مشـروعات « متصهينة » اخرى مشابهة خاصة بطوائف مسيحية او مسلمة اخرى في بلدان عربية اخرى ·

ومن الواضح ان موجة الجزر اتخذت هذا الاتجاه ، في البداية ، كنوع من التهديد العام للقومية العربية · ولكنها ما لبثت ان تبنته كخط استراتيجي مع اشتعال نيران الحرب الاهلية في لبنان ، واغراق العالم العربي في بحر الصراعات الدينية والطائفية ، ونشوء قوى طائفية انعزالية مسلحة قادرة على الحركة الارهابية ، وتلقى سندا ودعما من القوى الرجعية والمحافظة في العالم العربي في حربها ضد القوى التقدمية العربية والثورة الفلسطينية ·

ان القوى العاملة . وراء هذه الظاهرة ، تنطلق من زاوية محددة وهي أنه اذا كان العصر الراهن في المنطقة وفي العالم ، هو عصر البترول ، وكانت القوة العربية البترولية المؤثرة واقعة آنيا تحت سيطرة العناصر المحافظة والرجعية في العالم العربي ، الا ان هذه السيطرة مهددة بالزوال بفعل عوامل التعرية الاجتماعية والسياسية في المنطقة · وبالتالي فانه لضمان استمرار هذه السيطرة ، دون ان تستوعبها كليا او جزئيا ، حركة القوى التقدمية العربية ، يتوجب « صهينة » العصر البترولي في العالم العربي ، واجراء ما يتطلبه ذلك من عمليات جراحية في خريطة المنطقة ·

---



---

الظاهرة السابعة : تتجلى في كون منطقة الشرق الاوسط بغالبيتها العربية ، في الوضع الراهن ، تشكل بصراعاتها الساخنة المتعددة وموقعها الاستراتيجي وطاقاتها البترولية ، بؤرة الخطر الدولي العام في الربع الاخير من القرن العشرين · ولعل هذه السنوات الاخيرة من القرن ، هي في الوقت نفسه ، الوعاء الزمني الذي يتخلق داخله وسط تناقضات ضارية ومعقدة ، جنين نظام عالمي جديد : اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وتكنولوجيا · الامر الذي يرشح المنطقة لان تكون « الساحة التاريخية في عصر الانفراج الدولي القلق » التي يتقرر فوقها مصير قضايا انسانية كلية · ومن هنا تبرز المسؤولية القومية والدولية ، التي تتحملها بالضرورة ، القوى التقدمية العربية في تحديد اتجاه حركتها واختيار تحالفاتها العالمية ·

بمعنى انه ايا كانت ما تعانيه هذه القوى من صعوبات قاسية في وضعها الراهن ، فانه بقدر طاقاتها على الصمود لموجة الجزر ومواصلة السير لانجاز مهام ثورتها الوطنية الديمقراطية ، بقدر ما تنجذب الى صفوفها ـ مع تراكم الوقت والاحداث ـ قوى التقدم والحرية والانسانية التقدمية في العالم · الامر الذي يحول معركتها في النهاية من معركة اقليمية ، قواتها فيها محاصرة تلتزم حدود الدفاع ، الى معركة عالمية رحبة تنتقل فيها الى مواقع الهجوم ·

ـ ٢٠ ـ

على ضوء هذه الظواهر السبع الرئيسية التي تحكم طبيعة الوضع الراهن للقوى التقدمية العربية ، نستطيع ان نحدد سمات هذا الوضع في الخطوط الثلاثة التاليـة :

**الخط الاول :** الوضع الراهن في الواقع العربي هو انعكاس للوضع الراهن في العالم الثالث الذي بدأ انكسار موجة المد الثوري فيه مع عام ٦٦ ـ ١٩٦٧ . وبالتالي فانه بقدر ما توثق القوى التقدمية العربية صلاتها النضالية من جديد بالقوى التقدمية فـي العالم الثالث وفي الانسانيـة التقدمية ككـل ، وتمارس مسؤولياتها الدولية في اتجاه بناء النظام الدولي الجديد . بقدر ما تتمكن من قهر موجة الجزر الراهنة واستعادة زمام المبادرة .

**الخط الثاني :** بروز نوعيات جديدة من التحديات غير المسبوقة تاريخيا ، في وجه الحركة التقدمية العربية . وذلك بفعل التداخلات المعقدة التي تقع بدرجات متفاوتة في الوضع الراهن . بين مصالح القوى النفطية ذات الهيمنة فـي « العصر البترولي » بالتحالف مع الاجنحة اليمينية المتصاعدة في الثورة الوطنية الديمقراطية . وبين مصالح قوى « العصر الصهيوني » ، القائمة والمحتملة في المنطقـة .

**الخط الثالث :** التتابع السريع الايقاع لموجات الجزر والمد الجزئية في اطار موجة الجزر العامة والموقف الدفاعي للقوى التقدمية . عصف بالاستقرار الكلي للوضع الراهن . واوقعه بصفة دائمة تحت ضغوط عديدة ومتنافرة . وقد أتاح هذا الوضع ـ وما يزال ـ للقوى الجانبية والهامشية من كل الاتجاهات حريـة حركة واسعة تثير العديد من المفاجآت غير المحسوبة ، ازاء القوى الرئيسيـة المتصارعة في الساحة ، وخاصة التقدمية منها . الامر الذي يثقل كاهلها بمزيد من الاعباء . وذلك الى درجة تتخطى حدود الامكانيات الفعلية ، جهدا ووقتا . حتى لتصل بها في بعض الاحيان الى وضع قريب من « محلك سر » . بل والى التقوقع والانكفاء .

ـ ٢١ ـ

هذه الرؤية الجدلية لحركة القوى التقدمية العربية ، بظواهرها العامـة وخطوطها المميزة ، في خضم الصراعات الهادرة بالمنطقة تبلور ـ في تقديرنا ـ خمسة وجوه خاصة ، تتسم بها الازمة التاريخية التي بلغتها هذه القوى فـي الوضع الراهن ، بعد صعود فئاتها البرجوازية الصغيرة الى السلطة والقيادة . واتخاذها لمجموعة الاجراءات والمواقف التقدمية الشهيرة في الخمسينات واوائل

الستينات ، ضد الاستعمار والاقطاع والرأسمالية الكبيرة والقوى الرجعية عامة٠

ـ ٢٢ ـ

**الوجه الاول :** يتصل بالتكوين الذاتي للقوى التقدمية ٠ والذي جـاء ـ بالضرورة ـ نتاجا لنوعية التركيب الاقتصادي والاجتماعي للواقع العربي المتخلف الذي ما برح يغلب عليه طابع الانتاج الزراعي ٠ وتتحكم فيه ثقافة تقليدية غيبية اسنة تمتزج برواسب ثقافة استعمارية ٠ ويتعاظم فيه ، بعد الاستقلال ، حجم ودور البرجوازية الصغيرة في الثورة الوطنية الديمقراطية وخاصة بعد تسلحها بجهاز الجيش ، ثم وفاقها مع البيروقراطية واحيانا مع اغنياء الريف الجدد بدرجات متباينة ٠

وقد انعكس هذا ، بقدر او باخر ، على غالبية احزاب وتنظيمات القـوى التقدمية في سلسلة من الانقسامات والانشقاقات المستمرة ٠ واغراق قياداتها في تناقض دراسي بين نزوعها التحرري التقدمي ـ على الصعيد الفردي ـ وبين وقوعها ـ على صعيد السلطة وصنع القرار ـ سجينة الافق البرجوازي الضيق٠ وتوالي عمليات التصفية الفردية في القمة بين القيادات ، كوسيلة لحسم او كبت الصراعات الاجتماعية والسياسية ٠ وتضخم دور الفرد القائد على حساب الحركة الجماهيرية المنظمة والفعالة ، ودور البيروقراطي بولائه لشخص القائد على دور المناضل بولائه الموضوعي لحركة التقدم ٠ وايثار الامن البوليسي على الامن السياسي في المجتمع والحزب والتنظيم ٠ بما يتولـد عن ذلك من انتهاكات للديمقراطية على مختلف المستويات٠ ومقاومة انطلاق وصعود الطبقات الشعبية وقيمها الثورية في المجتمع الى مستوى المشاركة في القرار وتحديد اتجاهه ٠ وافراغ التحالف معها من مضمونه الاجتماعي ومناخه الديمقراطي ٠ وذلك بفبركة طبقة فلاحية من برجوازيي الريف الصغار بديلا عن طبقة فقـراء الفلاحين الحقيقية ، وطبقة عاملة من برجوازيي المدينة الصغار ، بديلا عن الطبقة العاملة الحقيقية ٠ وذلك بمعايير قانونية علوية لا اجتماعية سياسية ٠ الامـر الذي تنامت معه الاتجاهات السلبية وسط الجماهير الشعبية ، وتعمقت عزلة النظام او الحزب او التنظيم عن القواعد الاجتماعية الضرورية لاستمرار حركة التقدم في تطورها التاريخي ٠

وهنا تكمن نقطة الضعف الجوهرية في التكوين الذاتي للقوى التقدمية فـي وضعها الراهن ، نظما واحزابا ٠ حيث انها ظلت في الغالب ، اسيرة التجمع والحركة من حول محور البرجوازية الصغيرة ومثقفيها، وهو محور كان ضروريا للتقدم عند الانطلاق في الخمسينات وحتى اواسط الستينات ٠ لكنه فقد الجانب الرئيسي من تقدميته وقدرته على النضال والعطاء منذ عام الانكسار ٦٦ـ١٩٦٧٠ وهكذا ، مع اواسط الستينات ، وصلت حركة القوى التقدمية العربية ، تحت

القيادة المنفردة للبرجوازية الصغيرة وما تراكم داخلها من بيروقراطية عسكرية ومدنية ، الى حد خطير من التفكك والصراع العلني او المكتوم بين فصائلها، على المستوى الاقليمي والمستوى القومي على السواء · واهدار المناخ غير الديمقراطي الذي ساد ، امكانيات المشاركة الايجابية من الجماهير التي تزايد ارتدادهـا نحو السلبية · بحيث انه لم يعد متوافـــرا الحد الادنى الضروري من قـــوة جماهيرية منظمة قادرة على حماية ما نشأ من نظم تقدمية او ما تم احـــرازه خلال مسار الثورة الوطنية الديمقراطية من مكاسب وانجازات ·

من هنا ، يطرح هذا الوجه من وجوه الازمة بالحاح ، على الحركة التقدمية المعاصرة ، منذ عام الانكسار في ٦٦ ـ ١٩٦٧ ، قضية القيادة البديلة · ونعني بها قضية التغيير ، المطلوب تاريخيا ، في التكوين الذاتي للقوى التقدمية ومحور تجمعها وآفاق قيادتها وصياغات واساليب حركتها ·

ـ ٢٢ ـ

**الوجه الثاني** : يرتبط بالازدياد المضطرد في وزن الاجنحة اليمينية في الثورة الوطنية الديمقراطية ، داخل السلطة وخارجها · حيث بلغ هذا الازدياد ـ في الوضع الراهن ـ حدا تمكنت معه الاجنحة اليمينية ، في عدد من المواقـــع الاستراتيجية ، من السيطرة على زمام القيادة الفعلية · ومن سلب الاجنحـــة التقدمية قدرتها على الفعل المؤثر ، ودفعها الى مأزق العجز النسبي الخطير ·

والملاحظ ان الاجنحة اليمينية ظلت تتخلق في الاجواء غير الديمقراطية التي عانت منها حركة القوى التقدمية ، وتقتات من سلبياتها ، حتى اذا ما وقعت هزيمة ١٩٦٧ ، أسفرت عن نفسها وشرعت تعمل بلا هوادة للاستئثار بالسلطة والقيادة او على الاقل اخضاعها لنفوذها وهيمنتها · وبلغت الذروة غـــداة حرب اكتوبر ١٩٧٣ وما تحقق فيها بفضل المقاتل العربي الذي اعدته وكونتـــه القوى التقدمية ، من مكاسب تكتيكية في صالح العرب لاول مرة في تاريـــخ صراعهم مع اسرائيل ·

وصاغت الاجنحة اليمينية ، نظريتها التي تقول بأن هزيمة ١٩٦٧ هي من صنع القوى التقدمية وحركتها الالحادية ذات الافاق الاشتراكية المادية الدكتاتورية والصداقة مع الاتحاد السوفييتي · في حين ان انتصار ١٩٧٣ هو من صنعها ، ووفق خطها الذي يرفع شعارات العودة الى اشتراكية مؤمنة وتضامن عربي اسلامي لا قومي والانفتاح على العالم الرأسمالي واقامة توازن تنافسي بيـــن القطاع العام والقطاع الخاص تغلفه حياة ديمقراطية في اطار دستور مـــن وضعهـــا ·

ولقد ساعد على نمو هذه الاجنحة اليمينية ، فضلا عن سلبيات الحركـــة التقدمية ، مجموعة من العوامل والظروف الموضوعية · مثل وجود عـــلاقات

تاريخية كامنة بين بعض عناصر هذه الاجنحة وبين قوى الاستعمار الجديد ذات المصالح الحيوية بالمنطقة ، واكتساب « الطبقة الجديدة » التي تولدت في احضان سلطة وقيادة البرجوازية الصغيرة للثورة الوطنية الديمقراطية ، نفوذا بيروقراطيا مؤثرا · وتراكم الثروات لديها من خلال استجلاب القطاع العام وعمليات المضاربات والاستيراد والتصدير والاتجار غير المشروع والرشوة وذلك الى حد تعدي حدود البذخ والانفاق الترفي الى ادراك المصلحة في الضغط من أجل تقرير وحماية حريتها في استثمار رأسمالها ·

ومع تشابك العلاقات المصلحية والاجتماعية والاسرية للطبقة الجديدة مع قوى البيروقراطية واغنياء الريف الجدد والعناصر الرجعية القديمة ، تخلقت ، اجتماعيا واقتصاديا ، شريحة من الرأسمالية الطفيلية الشرهة الى الثراء الفاحش تسلقت جسد الاقتصاد الوطني وسلبت عافيته في صورة عمولات ومضاربات ومشاريع وهمية او استهلاكية غير منتجة · والحقت بذلك الضرر بمجمل عملية التنمية والاستقلال الاقتصادي والمواجهة المخططة للتخلف وراحت تلتهم ليس فقط مكاسب وحقوق الجماهير العاملة بل مصالح وفرص حياة البرجوازية المنتجة المستنيرة · وتدعم هذا كله ، بالتحرك النشط « للظاهرة البترولية العربية » بهيمنتها المالية والسياسية في الواقع العربي . وخاصة بعد تضاعف قوتها منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ ·

واللافت للانتباه ان الاجنحة اليمينية تستمر في ممارسة نشاطها تحت نفس الرايات والشعارات العامة لحركة القوى التقدمية ومسار الثورة الوطنية الديمقراطية وخاصة فيما يتعلق بالآفاق الاشتراكية والوحدة العربية والقضية الفلسطينية ، ولكن بمضمون مغاير تماما · من هنا يطرح هذا الوجه من وجوه الازمة ، على الحركة التقدمية المعاصرة قضية اعادة تحديد دقيق لطبيعة المرحلة الاجتماعية القومية الراهنة من الثورة الوطنية الديمقراطية وقواها واهدافها المحددة · وما يتصل بذلك من بناء الجبهات الضيقة والواسعة للنضال على طول المدى في هذه المرحلة ·

---

**ـ ٢٣ ـ**

---

**الوجه الثالث** : يتعلق بذلك الاعصار البترولي العاتي ، ماديا وسياسيا ، الذي تتحكم في مساره واتجاهه على نحو مركز منذ السبعينيات ، مجموعة القوى الاكثر محافظة او رجعية في الواقع العربي · الامر الذي اختلت معه موازين القوى التي كانت قائمة ، حتى الستينات في العالم العربي ، بين قوى التقدم وبين القوى المحافظة والرجعية بصفة عامة · وساعد على ذلك مجموعة من العوامل الذاتية ( سقوط عبد الناصر ) والعوامل الموضوعية ( غياب الدور التقدمي المركزي لمصر في الساحة العربية ، اشتداد حدة الازمات

الاقتصادية بدرجات متباينة في النظم التقدمية ، محاصرة الثورة الفلسطينية ومحاولة استنزاف قواها ) · وقد رافق هذا الاختلال في موازين القوى ، تعقيدات شتى · ففي الوقت الذي تشكل فيه القوى العربية البترولية جبهة هجومية مقتدرة ضد حركة القوى التقدمية ، فان هذه القوى البترولية لا غنى عنها ، قوميا ومن وجهة النظر التقدمية ، في المعركة ضد الاحتلال الاسرائيلي والتوسع الصهيوني وفي اي محاولة جادة لتنفيذ خطة تنمية شاملة ومتكاملة نسبيا في العالم العربي ، تتطلبها مصالح الجميع الحيوية ، بغض النظر عن الاتجاهات السياسية والاجتماعية ·

وهكذا لم يعد من الممكن . واقعيا ، التعامل المبسط الاحادي الجانب مع القوى العربية البترولية على اساس طابعها الرجعي او المحافظ وحسب · بل اصبح الوضع الراهن يواجه معطيات سلبية وايجابية في وقت واحد للظاهرة البترولية · وبالتالي فبقدر ما تحتمه المعطيات السلبية من صراعات ، بقدر ما تفرض المعطيات الايجابية ضرورة ارساء حد ادنى من التنسيق والتعايش حول المصالح القومية الجوهرية المشتركة · من هنا يطرح هذا الوجه من وجود الازمة على الحركة التقدمية المعاصرة ، قضية التوصل الى صياغة جديدة وممكنة واقعيا للتعامل مع الظاهرة البترولية العربية بوجهيها الايجابي والسلبي ، بحيث تتسع للصراع والتعايش معا ·

بمعنى ان السؤال المركزي في هذه القضية هو : كيف يمكن ان يتواصل الصراع الاجتماعي السياسي في الوضع الراهن للعالم العربي ، دون ان يصادر ذلك القدر اللازم تاريخيا من التعايش قوميا بين جميع الاطراف العربية المتصارعة ؟



الوجه الرابع : يتجسد في العلاقة ذات التأثير المتبادل بين الوضع العربي والوضع الدولي · صحيح ان هذه العلاقة لم تعد مفتقدة بين الوضع الدولي وبين وضع اي واقع اقليمي ، ايا كان موقعه او حجمه على خريطة العالم · ولكن العلاقة العربية الدولية بالذات ظلت تتمتع ، تاريخيا ، باهمية غير عادية ، واخذت هذه الاهمية تتضاعف دوما منذ تفجر ثورة اكتوبر في روسيا القيصرية وقيام الاتحاد السوفيتي عام ١٩١٧ عند بطن الجسد العربي ثم قيام مجموعة البلاد الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية · وما تولد بعد ذلك من سياسات عالمية متتابعة ، من حافة الحرب الى الحرب الباردة الى بدايات الانفراج الدولي · وكان لها ـ بالتالي ـ تأثيرها على الوضع العربي ، كما كان للوضع العربي ـ بدوره ـ عامل من عوامل التأثير في هذه السياسات العالمية · وتميزت مصر بالذات بمركز خاص في هذه العلاقة العربية والدولية · وذلك بحكم ان

عدم انحيازها او انحيازها ـ قهرا او اختيارا ـ لسياسة من السياسات او لكتلة من الكتل المتصارعة كان له حسابه في موازين العلاقات الدولية ( مصر محمد على في القرن التاسع عشر وحركة موازين القوى العالمية بين الامبراطورية العثمانية وامبراطوريات الاستعمار الاوروبي القديم · ومصر جمال عبد الناصر في القرن العشرين وحركة موازين القوى العالمية بين العالم الرأسمالي والعالم الاشتراكي عامة وبين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي خاصة ) · وباختصار فان العلاقة العربية البترولية . يحكمها اليوم . الموقع الجغرافي الاستراتيجي للعالم العربي ، ووزنه المؤثر . سلبا او ايجابا . في حركة التحرر العالمي والعالم الثالث والتحول الانساني العام نحو الاشتراكية بطريق او بآخر · فضلا عن كونه في ذات الوقت ساحة صراع من نوع فريد عالميا وهو الصراع العربي الاسرائيلي ، ومصدرا اساسيا من مصادر الطاقة البترولية في العالم وخاصة بالنسبة لاوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ·

لهذا كان الحرص من جانب كل قوة من القوى العظمى العالمية في كل عصر، على ضمان وجود العالم العربي في كفة ميزان علاقاتها وصراعاتها الدولية · او على الاقل ضمان استقلاله او حياده · وذلك وفقا لطبيعة وسياسة وظروف كل قوة عظمى ·

ومنذ الخمسينات اخذت غالبية القوى التقدمية الاساسية في العالم العربي تقود شعبها في صدام جذري مع العالم الرأسمالي ، وتقترب من العالم الاشتراكي ولكن من موقع الحياد وعدم الانحياز · وظل هذا الخط يتصاعد الى درجة العداء العام لامريكا من ناحية والصداقة العامة مع الاتحاد السوفيتي من ناحية اخرى · بيد انه منذ السبعينيات وعلى اثر التغييرات التي وقعت في العالم العربي عامة ومصر خاصة تحول العداء لامريكا الى صداقة عامة وتحولت الصداقة مع الاتحاد السوفيتي الى عداء او تباعد عام ·

وتواكب هذا التحول مع خط معاكس دوليا اذ اخذ الوفاق الدولي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يحل محل الحرب الباردة وينتشر بمناخه في العالم كله · ويسهم في حل او بلورة مشروعات حلول ممكنة للعديد من المشاكل الدولية المستعصية المتخلفة من عصر الحرب الباردة واخر مراحل الغزو الاستعماري المباشر كمشكلة كوبا وفيتنام والدولتين الالمانيتين والامن الاوروبي الخ ·· غير ان المنطقة العربية بقيت بصراعاتها ومركزها الاستراتيجي ووزنها البترولي اقرب الى ان تكون ساحة من ساحات الحرب الباردة منها الى ساحة من ساحات الوفاق الدولي · وغدت بالتالي الميدان المرشح تاريخيا للمعركة الفاصلة بين بقايا الحرب الباردة وطلائع الانفراج الدولي والتعايش السلمي ، وبين الاستعمار الجديد بوسائله العصرية المتجددة وبين حركة التحرر العالمية والنزوع الانساني العام نحو الاشتراكية ، بين

مستهلكي البترول من الدول الصناعية المتقدمة وبين منتجي البترول والمـــواد الخام من الدول الصناعية النامية ٠ بين الغني وبين الفقر على مستـــــوى العالم المعاصر ٠ بين النظام الاقتصادي الدولي الراهن وبين الطموح الــــى نظام جديد اكثر عدلا ٠

من هنا يطرح هذا الوجه من وجوه الازمة على الحركة التقدمية العربية المعاصرة ، قضية تحديد مواقفها وعلاقاتها الدولية في اطار هذه المرحلــــة الانتقالية العالمية ذات الحساسية الشديدة والتي يستحيل معها ـ موضوعيا ـ تجاهل اي من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، رغـم اختلاف الطبيعـــة السياسية والاجتماعية والايديولوجية لكل منها كقوة عظمى ٠

---

ـ ٢٥ ـ

---

**الوجه الخامس :** يتحدد في انه على الرغم من ان ما حدث من تغييـــــرات ذاتية وموضوعية في علاقات القوى المتصارعة في العالم العربي منذ عـــام الانكسار في ٦٦ ـ١٩٦٧ لم يكن ـ بصفة عامة ـ في صالح الحركة التقدمية ، الا ان الملاحظ ان هذا التغيير لم يتحول بكامله لحساب قوى الامبرياليـــــة والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية ٠ بحيث يمكنها من حسم الصـراع لصالحها استراتيجيا ، ومظهر ذلك ، فشل محاولاتها المتكررة في هذا الشـأن في اكثر من موقع والتي حشدت فيها كل قواها الرئيسية والاحتياطية ٠

وكشفت حركة الاحداث عن حقيقة اساسية ٠ وهي انه اذا كانت القـــوى التقدمية قد فقدت ، في الوضع الراهن ، القدرة على فرض قانونهـا وارادتها على حركة الصراع ، الا انها ظلت تملك القدرة على منع الآخرين مـــن فرض قانونهم وارادتهم على نحو مستقر وآمن ٠ ويعني هذا ، بالتحديد ، ان الصراع في واقعه الراهن ومستقبله المنظور ، اصبح يدور موضوعيا ـ على مستـــوى تكتيكي لا استراتيجي ـ ، من حول محاولة كل طرف من الاطراف تحقيـــق الحدود الدنيا من اهدافه وحسب ٠ ليتخذ بعد ذلك منها ، قاعدة انطلاق نحـــو غاياته الاستراتيجية ٠ بتعبير آخر ، فان القانون الذي يحكم حركة هـــــذا الصراع في الوضع الراهن هو قانون التغييرات الكمية لا الكيفيــة ٠

من هنا يطرح هذا الوجه من وجوه الازمة على الحركة التقدمية العربيـــة المعاصرة ، قضية بلورة برنامجها الواقعي للوضع الراهن ومستقبله المنظـور على اساس انجاز مجموعة التغييرات الكمية اللازمة لايقاف موجة الجزر العامة والتحرر من خناق الازمة ٠

---

ـ ٢٦ ـ

---

امام ما تطرحه الوجوه الخمسة لازمة الجزر العامة ، من مهام في المرحلـة

الراهنة بمستقبلها المنظور ، نسمح لانفسنا بان نعرض للنقاش بعض النقـــاط التي نتصور صلاحيتها كمفاتيح للعمل الثوري في هذا المجال · مسترشديـــن بالقاعدة الاصولية ، المجربة تاريخيا ، والتي تؤكد على ان العمل الثوري ليس في التناطح المغامر مع المستحيل · وانما هو ، اساسا ، فن تحقيق الممكـــن والانطلاق منه لتطويع المستحيل ·

وآخذين في الاعتبار ، ان مهام الحركة التقدمية في مرحلة الجزر ، التـــي استطالت زمنيا الى مدى غير عادي ، دون ان يقدر اي من الاطراف ، ســواء بقواه الذاتية او من خلال تحالفاته المحلية والدولية ، على حسم صراعاتهـــا استراتيجيا ، تقع ــ اساسا ــ في دائرة التغييرات الكمية لا التغييرات الكيفية· وهي الدائرة والتي ما زال يحكمها التذبذب غير المستقر في موازين القـــوى ومناخ الانفراج الدولي المتقلب ·

وكمثال لتوضيح ما نقصده ، نقول ان ما يجري منذ عام الانكسار في ٦٦ ــ ١٩٦٧ حتى اليوم ، من حول ما يسمى « بازمة الشرق الاوسط » ، لم يحقق حسما استراتيجيا للصراع ، لصالح اي من اطراف الصراع رغم المحـاولات المتكررة والمتعددة الاشكال · ذلك ان القوى التقدمية العربية لم تبلغ حـــد الضعف الذي يمكن معه ان تسحق · كما ان قوى الامبريالية والاستعمـــار الجديد والرجعية المحلية لم تصل الى حد القوة التي يمكن لها معه ان تسيطـر بلا منازع · ولهذا لم يحسم الصراع لصالح اسرائيل والولايات المتحدة بعـد حرب الايام الستة في ١٩٦٧ · ولم يحسم ــ ايضا ــ لصالح العرب عامة بما في ذلك القوى التقدمية والمقاومة الفلسطينية ولصالح الاتحاد السوفيتي بعـــد حرب اكتوبر ١٩٧٣ · ولم يحسم ، كذلك ، لصالح قوى عصر البترول العربي او قوى العصر الصهيوني وحربها الاهلية في لبنان رغم تحالفهما المشتـــرك مع الولايات المتحدة التي غدت تقوم بدور « الحكم » بين الاطـراف ، منـــذ صعود الرئيس كارتر الى البيت الابيض عام ١٩٧٧ ·

واذا كان هذا الحسم الاستراتيجي ، الذي يغير كيفيا من الوضع الراهن ، ما زالت الظروف الموضوعية غير ناضجة له من ناحية ·· وما زال ، من ناحية اخرى ، فوق القدرة الذاتية لجميع الاطراف سواء بحرب عدوانية ماحقة من جانب ، او بحرب تحرير شاملة من الجانب الاخر ، فليس معنى هذا توقـــف الصراع او تجمده · وانما هو يتيح امام الاطراف ، بدرجات متفاوتة مـــن وضوح الرؤية ، المجال لحسومات تكتيكية حول جزئيات وتفصيلات متعددة · منهـا ما يتخذ الطابع العسكري ، مثل العمليات الفدائية واشعال حرب اهلية في لبنان · ومنها ما يتخذ الطابع السياسي ، مثل النشاط السياسي الدولـي حول ما يسمى بالتسوية والحل السياسي لازمة الشرق الاوسط ·

والملاحظ ان القوى التقدمية العربية ، ظلت في غالبيتها لا تتأخر او تستنكف

خوض معارك الحسومات التكتيكية ذات الطابع العسكري · في حين انها تتردد وتتعفف بصفة عامة عن خوض الحسومات التكتيكية ذات الطابع السياسي ·

وفي تقديرنا ان هذا يكشف عن قصور في النظرة وفي القدرة على ادارة الصراع بشمول وثورية والتعامل مع الواقع الحي بغباره واوحاله وتعقيداته المختلفة · والواقع الحي هو الواقع الكائن خارج الذات الثورية · وليس هو الواقع المتصور داخل الذات الثورية · والواقع الحي لا ينفصل فيه الطابع العسكري عن الطابع السياسي للصراع · سواء في مستواه التكتيكي او في مستواه الاستراتيجي · وبالتالي فان تجاهل ما يسمى « بالتسوية والحل السلمي » او العزوف عن التعامل الثوري معه لا يلغي وجوده الحركي . ولا يفشل المخططات الاستعمارية والرجعية تلقائيا · خاصة وان القوى المعادية لا يفتر لها جهد في هذا السبيل . بالتعاون مع الاجنحة اليمينية في الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ·

غير انه يبدو ان الخبرات المتجمعة من تجارب حرب اكتوبر ٧٣ وما تداعى عنها من تحركات سياسية واتفاقيات فصل القوات في سيناء والجولان ، ومن تجارب الحرب الاهلية اللبنانية وما صاحبها ايضا من تحركات سياسية وعسكرية مختلفة وخاصة فيما يتعلق بالجنوب اللبناني ، قد انضجت الى حد ملموس النظرة الفكرية والممارسة العملية للصراع لدى القوى التقدمية العربية عامة والمقاومة الفلسطينية خاصة ·

ومن هنا نرى اقدامها المتنامي على اقتحام ميدان التسوية والحل السلمي في مواجهة القوى المعادية بهدف احراز بعض الحسم التكتيكي لعدد من الجزئيات والتفصيلات ، في اطار الافق الاستراتيجي البعيد المدى · وهكذا افرز الواقع الراهن – اخيرا – حركة متميزة للقوى التقدمية العربية وخاصة الفلسطينية في مواجهة حركات الاطراف الاخرى على ارض « لتسوية والحل السلمي » · حيث تركز جهدها على احداث مجموعة من التغييرات الكمية في الواقع الحي ، تستهدف تحصين وتقوية مواقعها ازاء مواقع الاخرين وما يحققونه بالفعل من تغييرات كمية مضادة ·

يتجسد ذلك – على سبيل المثال – في تحرك المقاومة الفلسطينية المحاصرة على الارض العربية – محليا ودوليا – للحصول على « ارض خاصة بها » عن طريق اقامة الدولة المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة · وذلك في مواجهة تحرك اسرائيل لتأمين حدودها مع دول المواجهة العربية ضد اختراق الثورة الفلسطينية · فضلا عن الحصول على ارض خاصة بها في جنوب لبنان عن طريق التحالف مع القوى الانعزالية ·

ان هذا النوع من « التحرك التكتيكي » لا يعني ان ايا من اسرائيل او

المقاومة الفلسطينية قد تنازل عن هدفه الاستراتيجي في مواجهة الاخر · وانما يعني ـ بالدقة ـ ان كل طرف يتحرك ، في حدود امكانياته الفعلية وحقيقة علاقات القوى القائمة . نحو الاقتراب من الهدف الاستراتيجي ويعمل على توفير الظروف المناسبة له للتغيير الكيفي · وبقدر ما ينجح احدهما اكثر من الاخر ، في الاقتراب وترسيخ اقدامه في الموقع الجديد بقدر ما يزيد من طاقته ويعدل من ميزان القوى لصالحه ·

ـ ٢٧ ـ

في ضوء هذا الفهم ، لمرحلة التغييرات الكمية الراهنة ، تتحدد في تقديرنا، المفاتيح الاربعة التالية ـ للعمل الثوري المنوط بحركة القوى التقدمية العربية للخروج من الازمة ·

**المفتاح الاول** : التصدي لمشاكل وسلبيات التكوين الذاتي للقوى التقدمية الراهنة ومحور تجمعها وافاق قياداتها وصياغات وأساليب حركتها · ونقطة البدء في هذا التصدي تنطلق من ادراك انتهاء الدور التاريخي الثوري للبرجوازية الصغيرة كطليعة للقوى التقدمية العربية وكمحور لتجمعها ، وذلك منذ هزيمة ١٩٦٧ وهو الدور الذي انبثق في الخمسينيات مع ثورة يوليو ١٩٥٢ · واخذ في الارتداد والتراجع مع بروز الطبقة الجديدة ببيروقراطيتها المدنية ـ العسكرية ورأسماليتها الطفيلية وتمكين الاجنحة اليمينية من السلطة والقيادة · وتفاقم العجز عن الاستمرار في عملية التنمية والتقدم الاجتماعي وحماية الاستقلال الاقتصادي ازاء الهجمة الحديثة للاستعمار الجديد او طرح الحلول الجذرية ذات النفس الطويل والنظرة الشاملة لمشاكل احتلال الارض والديمقراطية والوحدة العربية ·

واذا كان هذا لا يتطلب ـ موضوعيا ـ اقصاء الفئات التقدمية من البرجوازية الصغيرة من تجمع القوى التقدمية ، الا انه اصبح يستلزم العمل على تنحيتها عن ان تكون بمثقفيها ، محور التجمع · وهذا يعني ضرورة العمل على بناء المحور الجديد من حول العمال وخاصة عمال القطاع العام والفلاحين الفقراء وخاصة التعاونيين منهم ومثقفيهم · وهذه عملية ، فكرية وسياسية اجتماعية ، على قدر كبير من الصعوبة والتعقيد ليس فقط بسبب كثافة المطلوب من التغييرات الكمية في هذا الشأن ، بل وايضا بسبب جدة التجربة ، النابعة من ظروف واقع خاص ، لم يسبق ممارستها عمليا او دراستها نظريا، في الادبيات المعروفة للفكر والعمل الثوري ·

بيد ان هذا ليس الا التحدي الثوري التاريخي للحركة التقدمية العربية ، والذي من شانه ان يفجر طاقاتها للابداع واثراء التراث الثوري الانساني ·

وفي تقديرنا ان المدخل الاساسي لهذه العملية هو في قيام المثقفين الثوريين ، وفقا لبرنامج مشترك يتولد عن اختيارات فكرية وسياسية اساسية ، بعملية تلقيح واخصاب مركزة للقوى الفاعلة والتقدمية بطبيعة مراكزها في عملية الانتاج والقضية القومية · والتي افرزتها الثورة الوطنية الديمقراطية المعاصرة في واقعنا العربي وهي على التحديد : عمال القطاع العام وفلاحو الاصلاح الزراعي والمتعلمون من ابناء الفلاحين والعمال ومقاتلو حرب اكتوبر ، والفدائيون الفلسطينيون ·

بمعنى انه لن يتأتى ـ في تقديرنا ـ بلورة القوى التقدمية في الواقع العربي الراهن . والوصول بها الى نقطة التفجير والتغيير الثوري ، من خلال التقيد بحرفية « القاعدة العامة » التي تقوم على اجراء عملية التلقيح والاخصاب بين المثقفين الثوريين والطبقة العاملة بالمفهوم البروليتاري وحدها · ذلك ان مثل هذه البروليتاريا ليست متوافرة بعد ، بالقدر والحجم المؤثرين في الحركة السياسية والاجتماعية · ان بلدا ، كمصر ، وهي اكثر البلدان العربية تطورا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية بالقياس الى البلاد العربية الاخرى ، لم يصل حجم الطبقة العاملة البروليتارية فيها بعد . الى اكثر من ٧٦٠ الف عامل في خضم تعداد سكاني يفوق الثمانية والثلاثين مليونا من البشر · هذا فضلا عن سيادة مفهوم النضال الاقتصادي دون النضال السياسي على غالبية التجمعات العمالية العربية فيما عدا بعض طلائع عمال القطاع العام ·

كذلك اوضحت التجربة في الواقع العربي السلبيات الخطيرة علاوة على قصر النفس ، بالنسبة لعمليات التلقيح والاخصاب التي وقعت بين المثقفين والثوريين وبين كل من الجيش او الفلاحين ·

والعملية الثورية لا يمكن لها ـ اولا ـ ان تنتظر طويلا الى ان تتطور الطبقة العاملة العربية الى المستوى المناسب ، كما وكيفا · ولا تستطيع ـ ثانيا ـ ان تتعامى عن استيعاب ظروفها الخاصة وما ينشأ فيها من قوى ثورية متميزة ومتعددة المنابع بحكم مركزها في عملية الانتاج مما يعوض موضوعيا ، الغياب النسبي الكبير للطبقة العاملة · ولا تقدر ـ ثالثا ـ ان تتجاهل التداخل المصيري بين المستوى الاقليمي وبين المستوى القومي للعمل الثوري والذي ازداد تعمقا تحت العمومية الشاملة لقضايا التحدي الاسرائيلي البترولي والشركات العملاقة المتعددة الجنسيات للاستعمار الجديد ·

من هنا كان على القوى التقدمية ، ان تبتكر « قاعدتها الخاصة » في التلقيح والاخصاب بين المثقفين الثوريين وبين قوى التقدم الاجتماعية والسياسية المتدفقة بالحيوية في شرايين مجتمعاتها الراهنة ·

- ٢٨ -

المفتاح الثاني : المواجهة الايجابية للخطط المكثفة التي تقوم بها الرجعية والاستعمار والصهيونية ، في الوقت الراهن ، وتستهدف اغراق العالم العربي في هوة المنازعات الطائفية ، وافراغ التراث الديني والروحي للشعب العربي من قيم التحرر والجهاد الانساني الدائب نحو حياة افضل · وعزل الدين عن الواقع الاجتماعي وصراعاته · ووضعه في موضع التناقض الهجومي مع التقدم وحركة الجماهير الديمقراطية ·

هذا وضع « شاذ » في تاريخ الواقع العربي · ذلك ان التعارض بين الدين والتقدم هو في الحقيقة مشكلة اوروبية بحتة لم تشهد بلادنا مثيلا لها · ذلك ان الكنيسة في اوروبا ارتبطت في العصور الوسطى بالنظام الاقطاعي · وكان لها مصالح اقتصادية ونفوذ سياسي بحيث يتحتم استمرار النظام الاقطاعي للمحافظة عليها · ولهذا رفضت القيادات الكنيسية في اوروبا كل تطور نحو الرأسمالية ثم من بعدها الى الاشتراكية · كما عارضت بشكل عام اي اتجاه للتقدم العلمي والتكنولوجي · في حين لم يشهد الوطن العربي مثل هذا الوضع ، ولم يكن للكنيسة فيه مثل هذا الدور الاقتصادي او السياسي المتخلف · على العكس كانت الكنيسة في مجملها العام ، قوة وطنية تحررية حتى ضد القوى الغازية والاستعمارية التي تلفعت بالرايات المسيحية · ولقد مهدت المسيحية لتطور حضاري مشهود في تاريخ العالم العربي ، وخاصة مصر منذ القرن الرابع الميلادي · كما انتقل الاسلام بالوطن العربي الى مرحلة حضارية جديدة كان لها اشعاعاتها المضيئة في العالم كله ·

من هنا ، فأن التحدي الذي يواجه الحركة التقدمية العربية في الوضع الراهن ، وقد اغتنت بقوى دينية مناضلة ومستنيرة ، ان تسلب « سلاح الدين» من ايدي القوى المعادية · وتحوله بمفهومه النضالي التاريخي الى طاقة للتقدم في الواقع العربي المتميز بخصوصيته في هذا الشأن · وذلك انطلاقا من حقيقة اساسية وهي ان شعبنا العربي ، شعب مؤمن متدين · والشعب هو صانع الحياة وتقدمها · وبالتالي فلا يمكن تصور الانطلاق بالحياة وتقدمها في مسالك متناقضة مع الايمان الشعبي العام · واكثر من ذلك فان المنهج الفكري الثوري يرى في ايمان الجماهير وتدينها ما يعطي القيم والافكار الدينية قوة مادية في الحركة ، يستحيل بدون احترامها وتجييشها لصالح التقدم التحرك بفاعلية نحو مجتمع افضل ·

- ٢٩ -

المفتاح الثالث : التعامل برؤية قومية جدلية مع الظاهرة البترولية العربية

وفوائضها الماليـــة ٠

ان هذه الظاهرة قد منحت القوى المحافظة والرجعية ـ دون شك ـ مصدر قوة غير عادي في صراعها التاريخي مع القوى التقدمية ـ بيد ان هذا المصدر يقع في بؤرة صراعات ساخنة ، ليس فقط على المستوى الاجتماعي المحلـــي والقومي ، وانما ايضا على المستوى السياسي بين الدول الغنية بالبترول وبين الدول العارية من البترول وما بينهما من دول اخرى نصف بترولية ٠ وبالتالي فهو مهدد دوما بالتفجر ٠ بل هو ذاته اداة الاشتعال ٠ ولعل المشكلة لـــدى المتحكمين في هذه الظاهرة انهم لا يستطيعون استنزاف ثروات الابار دفعـــة واحدة او في فترة زمنية قصيرة ، والهرب بها من الواقع العربي الى حيث الامن والامان ٠ وانما هم مضطرون للبقاء والاستمرار على الارض العربية ، وفـــي مواجهة مطالب اجتماعية وسياسية متجددة ذات طابع اقليمي وقومي علـــى السواء ٠ ولا بد لهم ـ بالتالي ـ بدافع الامن الذاتي من التعامل مع هـــذا الواقع بحد ادنى من الرشد والتعقل الذي يقوم على ايجاد ارضية بترولية من المصالح القومية المشتركة حتى مع القوى التقدمية ذلك ان هذه القوى كائنـــة بجذورها في التربة العربية ٠ قد يمكن الحد من طاقتها لحظة او لحظـــات من التاريخ ٠ لكن ليس من المستطاع اقتلاع جذورها او حتى الحد مـــن استمرار نموها وتطورها على الدوام ٠

وفي نفس الوقت ، فان البترول العربي بفوائضه المالية الضخمة ، هو من ناحية سلاح اساسي من اسلحة معركة التحدي القومي مع الصهيونية وتحدي قيود واستغلال النظام الاقتصادي الدولي الراهن ٠ وهو من ناحية اخـــرى الطاقة المادية الجوهرية للتنمية الاقتصادية والتكنولوجية المشتركة للعالـــم العربي ٠ وذلك في ظروف تاريخية مواتية ليس لها سابقة . ولا يحتمل تكرارها في المستقبل بعد زوال عصر الطاقة البترولية على نهاية القرن العشرين ٠ خاصة وان العالم يتجه منذ اواخر الخمسينيات من الاسواق الضيقة الصغيـــرة الى الاسواق الموسعة ذات الطابع الدولي المتجانس سياسيا او قوميا ٠

ويجري هذا كله وسط تقسيم فرضته الطبيعة على العالم العربي ، بين دول غنية بالبترول وفقيرة في عنصر العمل البشري ، ودول عارية من البترول وغنية نسبيا بالعامل البشري ٠ مما يوجب ، موضوعيا ، ضرورة التنسيق بينها ٠

من هنا يفرض « العصر البترولي العربي » على الحركة التقدمية متجمعـة لا مفتتة الوصول الى صياغة جديدة تضمن الحد الادنى والضروري لوحـدة عمل عربي تتعايش فيه كل القوى على اختلاف اتجاهاتها على اساس « العـام والمشترك من المصالح القومية » بمفهوم عصري ، دون ان يخل ذلك باستمرار حركة الصراع الاجتماعي والسياسي الحتمية في الواقع العربي ٠ بمعنى أن تتخذ حركة الصراع اساليب ووسائل لا تصادر امكانية التعايش القومـــي

الحضاري · وان لا يتحول التعايش ـ بدوره ـ الى حالة تجميد للصراع او كبته او افراغه من مضمونه الحي · ولعل الضمان الجوهري لذلك هو وصول الحركة التقدمية لهذه الصياغة بقوة تجمعها الموحد تكتيكيا واستراتيجيا ·

وفي هذا الاطار نعيد طرح ما سبق ان اقترحناه من ضرورة ان تتجمع القوى التقدمية العربية ـ بعد حوار ديمقراطي فيما بينها ـ حول خطوط اساسية لنقاط التعايش ونقاط الصراع في هذه المرحلة من تاريخ الوطن العربي · وعلى الجانب الاخر تتجمع القوى المحافظه ( وهي في الواقع متجمعه الى حد كبير ) حول خطوط اساسية مماثلة لنقاط التعايش ونقاط الصراع من وجهة نظرها · ثم بعد ذلك يلتقي الجانبان ، حيث ان موقف كل منهما صار مكشوفا للاخر على نحو شبه كامل · وذلك منذ تحطم الوحدة المصرية السورية عام ١٩٦١ حتى نيران الحرب الاهلية في ١٩٧٥ و ١٩٧٦ ، في مؤتمر سياسي يرتفع الى مستوى مسئولية هذا الظرف التاريخي الاستثنائي من حياة الوطن العربي . للاتفاق على صياغة مرحلية لحركة التعايش والصراع في العصر البترولي · ان هذا قد يبدو جديدا وغير مألوف على تاريخ العمل السياسي في الوطن العربي · وهو بالفعل كذلك الى حد ما · لكن المهم هنا ليس الجدة او عدم الالفة · وانما في ان هذا التحرك ينبثق من معطيات موضوعية جديدة في واقعنا وعالمنا المعاصر على السواء · وليس من فراغ او من محاولة للتوفيق والترقيع الالي بين متناقضات · ولدينا امثلة عالمية معاصرة تؤكد واقعية هذا الاسلوب وخاصة فيما يتعلق بالتعايش والصراع بين القوى التقدمية والقوى المحافظة في اوروبا فيما يتعلق بالسوق الاوروبية المشتركة وسوق الكوميكون والاحلاف والامن الاوربي الذي تجسد اخيرا في مؤتمري هلسنكي وبلغراد · بل لدينا الى حد ما ـ في عالمنا العربي ـ سوابق متواضعة في ما سمي بمؤتمرات القمة ·



**المفتاح الرابع** : القيام على ضوء حصيلة الايجابيات والسلبيات المتجمعة على مدى خمسة وعشرين عاما منذ انطلاق مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بقيادة البرجوازية الصغيرة المسلحة في اوائل الخمسينيات ، واستشرافا لمهام المرحلة الراهنة من الثورة في امتدادها الزمني المنظور ، ببلورة « برنامج عمل» يتعدى حدود الشعارات العامة الى حسم مجموعة اختيارات اجتماعية وسياسية بل وفكرية في بعض الحالات سواء فيما يتعلق بواقعها او فيما يتعلق بعلاقاتها الدولية · الامر الذي يرسي عددا من الخطوط والاولويات الجوهرية التي يكن ان تتطور من خلال الممارسة العملية الى « نظرية للتغيير والتقدم » في

الواقع العربي ، بعصره البترولي الذي هو جزء من الواقع العالمي الذي يغلب عليه اتجاه الانفراج الدولي • تضع في اعتبارها العلاقة الجدلية بين « الخطر العام العالمي » المتمثل في الاستعمار الجديد وشركاته العملاقة المتعـــددة القوميات ، والخطر العنصري العدواني الخـــاص المتجسد في اسرائيـــل الصهيونية • وبين ما هو « قومي عام » وبين ما هو « اقليمي خاص » . وذلك على مستوى القوى التقدمية في حد ذاتها ثم على مستوى علاقات التعايـــش والصراع مع القوى الاخرى • وصولا – بالتالي – الى تحـــديد جـــدول « بالالوليات القومية » . تتدرج في اطـاره جـــداول « بالاولويات الاقليمية » للحركة التقدمية في كل بلد •

وتتحمل المسؤولية في هذا المجال . مجموعة محددة لها وزنها المؤثـر في الحركة التقدمية وهي الاحزاب والتنظيمات الحاكمة في النظم المعروفـــة باتجاهاتها التقدمية جنبا الى جنب مع حزب البعث الاشتراكي والتنظيمـــات الناصرية والاحزاب الشيوعية والاحزاب القومية التقدمية وفصائل الثـــورة الفلسطينية • اذ عليها ان تبادر الى عقد سلسلة من الندوات والاجتماعـــات النوعية ، تنتهي « بمؤتمر قومي تقدمي » يتمخض عنـــه « برنامـــج العمـــل الموحد » للحركة التقدمية العربية •

ان التحرك في هذا الاتجاه ، يصل الحاضر والمستقبل بتجربة اولى في هذا المسار ، بادرت بها قيادة حزب جبهة التحرير الجزائري في مايو ١٩٦٧ تحت اسم « مؤتمر الاشتراكيين العرب » الذي كان أول تجمع قومي تقدمي من نوعه في تاريخ العرب الحديث • وكان من المنتظر ان يأخذ هذا المؤتمر مداه وينعكس ايجابيا على مجمل الحركة ، الا ان هزيمة يونيو في عام الانكسار ، جرفت هذه التجربـــة ضمن ما جرفته في دوامة موجة الجزر العامة •

جوزيف سماحة

# محاولة اقتراب من الفكر السياسي لكمال جنبلاط

« بين الطائفيين من الجانبين في لبنان هناك هذا الجدار الفاصل والجامع في آن واحد ، هذا الموضع من تلاقي الفريقين الطائفيين واشتراكهم واشتباكهم ·· هذا الفريق من المواطنين الذي يعيش في هذه « المنطقة النفسية » من اختلاط وتوحد الماء العذب بالماء المالح ـ للمثال وللصورة الفكرية لا اكثر ـ ما يزال يناضل ويكافح لاجل توسيع مجال التوافق وفسحة التشابك النفسية والتداخل الوطني المعنوي بين مختلف عناصر الوطن منذ قرن وربع قرن دون ان يتوصل اصحاب هذا الفريق وقادته الى نجاحات يطمأن اليها ·· » (١) ·

لقد سقط كمال جنبلاط شهيدا وهو على رأس « هذا الفريق من المواطنين » يحاول « توسيع مجال التوافق ·· بين مختلف عناصر الوطن » وذلك قبل التوصل الى « نجاحات يطمأن اليها ·· » ويذكر استشهاده بتلك الاسطورة التي تقول انه كتب على سيزيف ان يمضي عمره الابدي ناقلا الصخرة الى القمة ، ومعيدا نقلها بعد ان تتدحرج ·

لقد حمل كمال جنبلاط الصخرة عام ١٩٥٢ الى ربع المرتفع ، لكنها سقطت ، فعاد وحملها عام ١٩٥٨ الى نصف المرتفع لكنها عادت وسقطت ، فحملها ثالثة في الاحداث الاخيرة الى ما دون القمة بقليل لكنها سقطت ، واسقطته ·· مؤكدة ان قدرة لبنان القديم على اجتياح « المنطقة النفسية » التي يتحدث عنها كمال جنبلاط هي قدرة كبيرة ·· فكيف اذا دعمها وضع عربي هو على ما هو عليه ·

واذا كان كمال جنبلاط يتحدث عن « المحاولة الوطنية » من هذا الموقع الخارجي ( الخارجي بالنسبة للعلاقات السياسية التقليدية ·· ) فكيف هي حالنا

بعد غيابه ، وما هي طريقنا الى التعويض عن هذا الغياب ؟ !

الجواب على مثل هذه الاسئلة يستدعي معالجة تخرج بنا عن الموضـوع ٠ ولكن احد عناصر الجواب هو ان تمثل « الجنبلاطية » بما هي ممارسة ونظرية في العمل الوطني اللبناني والعربي ، هو عامل مساعد للوطنيين في لبنان من اجل تحجيم خسارتهم لكمال جنبلاط ٠

واذا كان ثمة جانب مطموس لدى كمال جنبلاط فانه بالضبط هذا الجانـب : كمال جنبلاط المفكر السياسي والمساهم في تقديم وجهة نظر وطنية ريادية حـول المشكلة اللبنانية ٠

لقد كتب الكثير عن كمال جنبلاط الصوفي ، والمفكر الانساني ، والفيلسوف ، والشخص ٠٠ ولكن لم يكتب الكثير عن كمال جنبلاط القائد الوطني بكل ما لهذه الكلمة من معنى ان على صعيد الممارسة ام الفكر ٠

ولذلك ليس غريبا ان تكون كتاباته السياسية ، ومنها على وجه الخصـوص المقدمة التي وضعها لكتاب « ربع قرن من النضال » ، غير معروفة بما فيه الكفاية ولا منتشرة ٠٠ حتى في الاوساط الوطنية التي قاد جنبلاط نضالها !

قبل اية محاولة لتظهير ملامح الفكر السياسي عند كمال جنبلاط تجدر الاشارة الى وجود اسهامات غنية جدا في تقديم وصف وضعي للمشكلة اللبنانية عنـد عدد من مثقفي اليمين اللبناني الذين تأثر بهم كمال جنبلاط في مراحل معينة من فكره ( حتى ١٩٥٧ على الاقل ) ٠

على رأس هؤلاء المثقفين طبعا ميشال شيحا الذي يبدي كمال جنبلاط اعجابه به في غير موضع من كتاباته والذي يبدو متأثرا به في مجمل محاضراته فـي « الندوة اللبنانية » بدءا من المحاضرة الاولى « رسالتي كنائب » عـام ١٩٤٦ ، الى محاضرة « لبنان في واقعه ومرتجاه » عام ١٩٥٦ ٠٠

هذا التأثر بشيحا هو ، بمعنى من المعاني ، تأثر ببعض « التلامذة » ايضـا الذين « طوروا » فكر واضع الاسس الرئيسية للايديولوجيا « اللبنانية » ٠

الا يبدو كمال جنبلاط قريبا مثلا ، في مراحله الاولى ، من فكرة « التاريـخ ابن الجغرافيا ٠٠ فقط » التي طورها ، عن شيحا ، جواد بولس في محاولتـه التأريخ للبنان « حيث يلتقي ويتعانق ويتفاهم البحر والجبل ٠٠ » (٢) كما يجمع شيحا وبولس وجنبلاط على القول ٠

الا يبدو كمال جنبلاط متأثرا بفكرة شيحا عن الميثاق الوطني ( طورها كمال يوسف الحاج في كتاباته وخاصة « فلسفة الميثاق الوطني ، او الطائفيـة البناءة » ) ٠ « قد يختلف اللبنانيون ويتهدد الميثاق الوطني ولكن لا مجال الا

للوحدة والتعايش والاستمرار ٠٠ في الواقع لا نرتجي من لبنان اكثر بكثير مما هو عليه » (٣) ٠

الا يبدو كمال جنبلاط ايضا متأثرا بفكرة شيحا عن المتوسطية ( التي اختص بتطويرها رينيه حبشي ) وصولا الى حد اكتشاف ان لسكان المتوسط « طباع وعادات في التفكير والتصرف مشتركة واقتصاد مشترك وحياة وحضارة مشتركة ٠٠ وحتى الجنس البشري هو مشترك ٠٠ » (٤) ٠

الا يمكننا ان نكتشف لدى جنبلاط « لبنان هو بلد اللغتين في الواقع ٠٠ بلد تعددت اللغات» (٥) ملامح النظرية التي طورها الاب سليم عبو عن ميشال شيحا: ثنائية اللغة صفة ملازمة للقومية اللبنانية لا بل احد عناصرها الرئيسية !

ان طرح اشكالية العلاقة بين كمال جنبلاط والمفكرين الذين اسسوا الايديولوجيا « اللبنانية » . يوجب . عمليا . طرح اشكالية الصيرورة التاريخية ومواكبته لتطورات سياسية كانت تدفع بصاحبه . اكثر فأكثر . بعيدا عن المصالحة مع « الصيغة » والوضع القائم نحو الاصطدام الجدي بهما ٠٠

ويفيد طرح هذه الاشكالية في استخراج القضايا التي بقيت تشكل عناصر ثابتة في فكر جنبلاط . لا بل عناصر ثابتة في تحليلات يسارية للمجتمع اللبناني تدمج . بنجاح . بين الحقائق العامة للاشتراكية العلمية والواقع اللبناني ــ والعربي ــ الخاص ٠

كان جنبلاط في مرحلة من تطوره ــ من ١٩٤٦ الى ١٩٥٦ ــ صاحب تفكير « لبناني » منفتح على العروبة ، اصيل في ديمقراطيته (٦) ، متوسطي النزعة ، يحاول الوقوف على مسافة متساوية من الاطروحات الطائفية العروبية واللبنانية مع ميل واضح لتحميل « التهويمات الاقلوية والطائفية » (٧) مسؤولية الانعزال عن « التعاون العربي » ٠

نظرته للواقع اللبناني على انه مجتمع متعدد الطوائف ، ارست مشكلته مع نظام المتصرفية . كانت تدفع به نحو تبني حلول تتروح بين تثبيت الواقع القائم بعد حمايته بقوانين خاصة . او تجاوزه نحو الغاء الطائفية السياسية ٠٠

وليس اسهل من اكتشاف ان هذا القدر من الاحترام للتركيبة الداخلية يوازيه من الجهة الاخرى موقف شبه متحفظ من قضية عروبة لبنان هو موقف ، كان يخترق على كل حال سقف المواقف المعروفة يومذاك ( مطلع الخمسينات )، ليطرح على نحو آخر ، حضاري ، ثقافي ، تعاوني ، صلة لبنان بالعالم العربي ٠٠ كما انه ليس اسهل من اكتشاف ان هذه الفترة كانت فترة الاستمرار في اسار الاوهام التقليدية المعروفة للايديولوجيا اللبنانية : الهجرة ، الدور العقلاني المتوسطي ، المبادرة الحرة ، الديمقراطية من النمط الخاص ، والدور الخاص

لسيحيي لبنان الاكثر تنورا وقدرة على استيعاب ونقل قيم الحضارة العلمانية الغربية ومعطياتها ·· » (٨)

قلنا ان فترة ١٩٤٦ ـ ١٩٥٦ هي مرحلة واحدة · لكن ذلك لا يعني انها انتهت كما بدأت · الحقيقة اننا نلاحظ من خلال دراستها ان ثمة تطورا تدريجيا ، تراكميا يحدث لدى كمال جنبلاط ، كما اننا نلاحظ ان تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، وآثار معركة ١٩٥٢ كانت بدأت تترك بصماتها على الزعيم الشاب وتؤهله اكثر فأكثر لاستقبال التطورات العربية الدراماتيكية في منتصف الخمسينات وللتعاطي بشكل جذري مع احداث ١٩٥٨ ونتائجها ·

وفي هذا المجال يمكننا ان نعتبر فترة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ فترة انعطاف حقيقي في المسار الفكري لكمال جنبلاط وهو انعطاف رافق تجذيرا ملحوظا في المواقف السياسية جعل صاحبه يتقدم شيئا فشيئا ليحتل مكان الصدارة في النضال الوطني ، وليتميزه منذ الايام الاولى للعهد الشهابي عن القيادة « الوطنية » التقليدية التي ارتضت بتحسين مواقعها تحت ستار « لا غالب ولا مغلوب »·· في حين انها استمرت مغلوبة عمليا ، وفي حين ان امكانية التسوية الحقيقية ( هذه التسوية الديمقراطية المتوازنة التي سعى جنبلاط اليها طويلا ) كانت متوفرة ·

منذ تلك الايام ، حتى الاحداث الاخيرة ، وكمال جنبلاط يطور فهمه للوضع اللبناني مستفيدا من تجربته ، ومن امتلاكه للمفاتيح الرئيسية للحياة السياسية في لبنان ، ومن ثقافته الواسعة ··· واخيرا من اتصاله بعالم الافكار العلمية وبالحركات والمنظمات والاحزاب اليسارية ·

غير ان هذا التطوير لم يلغ مكتسبات المرحلة السابقة ، مرحلة التعرف الوضعي ، التجريبي ، على الواقع اللبناني ·

ولم يكن كمال جنبلاط بحاجة لمن يقول له كم ان هذه المكتسبات ثمينة ، وهو الذي اتيح له ان يختبر صحتها واهميتها ، وبصورة شخصية ومباشرة ، في عمله السياسي · غير انه لا بد من التأكيد ـ وهذا ما يفعله باستمرار في كتابيه « حقيقة الثورة اللبنانية » و « في مجرى السياسة اللبنانية » ـ على ان احداث ١٩٥٨ اثرت فيه تأثيرا عميقا ·

بعد ١٩٥٨ لم يبدأ كمال جنبلاط يطرح حلولا « للمشكلة اللبنانية » مختلفة الى حد ما عن تلك التي كان يطرحها سابقا فحسب ، بل بات فهمه لهذه « المشكلة » اكثر دقة وموضوعية ·

يقوم التحليل السياسي الذي طوره جنبلاط ( بعد ١٩٥٨ ) عن الوضع اللبناني ، على المفاصل التالية :

١ ـ يكاد لبنان يكون اتحادا كونفدراليا بين الطوائف · انه بلد ـ ملجأ مؤلف

من فسيفساء طائفية ذات اساس اجتماعي · انه يلتقي هنا ، عن حق ، مع الكثير مما يقوله منظرو اليمين ( « لبنان بلد الاقليات الطائفية المتحدة » : شيحا ) لا بل يستعير تعبير « كونفدرالية الطوائف » من جواد بولس ··· لكنه يختلف عنهم بقدر ما يتحدثون عن الاساس الديني المعتقدي لاستمرار لبنان على ما هو عليه ويتغافلون عن الاساس السياسي الاجتماعي لذلك : النظام السياسي والاقتصادي الذي يعيد انتاج الطوائف · ( فضلا عن انه يختلف عنهم في الحلول المقترحة وهذا ما سنعود اليه لاحقا ) · ويختلف جنبلاط عنهم كذلك في ملاحظته العوامل المناهضة للانقسام الطائفي والملازمة لكون لبنان بلدا « واحدا » تنشأ فيه وضمنه علاقات افقية على حساب الانقسامات الطائفية وغيرها ·

٢ ـ النظام السياسي اللبناني ، « البنية الفوقية » ( اذا جاز التعبير ) لهذا الواقع الطائفي هو نظام الطائفية السياسية الذي اسسه الاستعمار استنادا الى الخلافات الطبقية التي اتخذت منحى طائفيا منتصف القرن الماضي ( بسبب الالتباس الاصلي الطائفي ـ الطبقي ) · الطائفية السياسية هي اصل العلة وهي التي تجعل « خمس لبنان يحكم البلاد ·· » وتوزع الحكم « كأننا في نظام العشائر والبطون والافخاذ ·· » (٩) · والوجه الآخر لهذه الطائفية السياسية عزل لبنان عن محيطه العربي وتشكيل سد يصبح اختراقه كشفا لهذا « التكاذب المشترك » ( كما يسمي « الميثاق الوطني » منذ ١٩٥٨ ) الذي « يلعب دورا في عدم تحرير الدستور والافكار السياسية من آثار المذهبية الدينية والاقطاعية الطائفية التي علقت بها وجرت اليها من رواسب العصور ·· »

بالاضافة الى ذلك فانه يعتبر الطوائف بمثابة « كيانات سياسية » لها مؤسساتها وقياداتها وافكارها ··

٣ ـ استنادا الى كل ما تقدم فان « التركيب اللبناني » يحمل تناقضات داخلية تؤهله للانفجار وتعيد وضعه على المحك في كل مرة يتعرض البلد الى ازمة جدية ·

ولا شك انه خلف التحذير الجنبلاطي من « الوطن القومي المسيحي » ومن « تقسيم لبنان » ( عام ١٩٥٨ ) تكمن نظرية كاملة مؤداها ان هذا التقسيم قابل للتطبيق ·

بكلمة اخرى ان جنبلاط لا يعتبر ( عام ١٩٥٨ وعام ١٩٧٦ ·· ) ان قضية وحدة لبنان اصبحت منتهية · انه يعتبرها معركة مستمرة واحد البنود الرئيسية على جدول اعمال النضال الوطني ( او « النضال » الرجعي ) وهي متلازمة بالضرورة مع قضية عروبة البلد التي يؤكد جنبلاط باستمرار ان قاعدتها البشرية هي قاعدة اسلامية اولا ·

هذه المفاصل العامة قد لا تختصر كل مقاربة كمال جنبلاط للوضع اللبناني ،

ولكنها تعكس الى حد بعيد الملامح العامة للاطلالة الجنبلاطية على هذا الوضع ٠

وتشكل هذه المفاصل الاساس « النظري » لسياسة كمال جنبلاط اليومية ، وهي التي جعلته . ربما . بالاضافة الى عوامل اخرى ، احد « امهر » السياسيين اللبنانيين واقدرهم على الدمج بين القوانين العامة للسياسة اللبنانية وبين العمل السياسي اليومي والمباشر ٠ ولذلك لم يكن من باب الصدفة الا يجد ناشرو مقدمة « ربع قرن من النضال » ، وهي اكمل صياغة قام بها جنبلاط لفكره ، لم يجدوا عنوانا لها افضل من « في الممارسة السياسية » ٠

ففي هذه المقدمة يصوغ جنبلاط « نظريته » بصفتها مرشدا لعمله السياسي ، ويكشف اساس هذا العمل . وعنصر التماسك فيه وهو عنصر قد لا يبدو واضحا لمن يريد ان يأخذ الامور بظواهرها ٠٠ او بمبادئها !

قلنا ان هذه الخلفية تسند ممارسة كمال جنبلاط ويمكن ان نضيف انه يشتق منها عددا من المفاهيم والمقولات التي يصعب حصرها هنا ولكنها تشكل مجتمعة تراثا غنيا لا بد من تمثله ٠

● ينظر جنبلاط الى الدولة باعتبارها حدود اللقاء بين القوى الطائفية المؤلفة للبنان وهي مجموعة اجهزة منفصلة ، غالبا ما تكون فاسدة ، يحق لكل زعيم ـ وله ايضا ـ ان يستخدمها ارضاء لجمهور من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة لا يسعه ان يطيق الحرمان طويلا ( راجع مقدمة « ربع قرن من النضال » ) ٠

● يركز جنبلاط على اعتبار المارونية السياسية المتعصبة مصدرا لازمات البلد ٠ وهو يعدد باستمرار مصادر قوتها ويشير الى ان انفجار خلافها مع « الآخرين » يعود الى نقضها مقولة « التسامح » التي يفترض ان تشكل اهم قوانين الحياة السياسية في بلد مثل لبنان ، حيث التسامح هو « التعبير المحلي » عن الديمقراطية والتوازن ٠

● لجنبلاط احاديث مطولة حول ضعف الزعماء الستة واستعدادهم المبالغ فيه للمساومة « كان ولا يزال ضعف الزعماء المسلمين انهم يجهلون ما يجري في لبنان ووسط الشعب من صراع بين الوطنية السليمة والانعزالية التقليدية وبين الذهنية المتفتحة المتقدمة والذهنية المتحجرة والمتخلفة ٠٠٠ وبالتالي فهم يتوجهون دائما وبعد مرحلة كل صراع الى الزعامة الانعزالية ويدعونها للمشاركة متناسين الصف الوطني المسيحي ٠٠٠ » (١٠)

● يؤكد جنبلاط باستمرار ان من اسباب فشل اي تحرك وطني او تقدمي انشطار البلد الى شطرين وضعف التيار الوطني المسيحي ٠ « لو شارك المسيحيون بكثافة في الثورة لوقعت المعجزة التي نركض اليوم لالتقاطها ٠٠» (١١) وهو يدرك انه من غير تنمية هذا التيار ، فان لبنان سيبقى محكوما بقانون « النمو المتفاوت » لقوى التغيير مما يهدد بحجز امكانية التغيير الفعلي ويحولها

باستمرار الى اعادة نظر جزئية بنظام الطائفية السياسية لا تلغيه من اساسه ، لعدم توفير قاعدة سياسية متوازنة مؤكدة ضمن الطوائف اللبنانية كلها ، بل تكتفي بتنقيحه وادخال تعديلات عليه ٠

والكلام الذي كنا نسمعه من كمال جنبلاط خلال الاحداث الاخيرة ، يحمل الحرقة نفسها التي كان يحملها كلامه بعد ١٩٥٢ و ١٩٥٨ : لو شارك المسيحيون لحدثت المعجزة ؟ ولكنهم ٠٠٠

هذا مع الاشارة الى انه كان يدرك بعمق مدى ارتباط « قلة » المشاركة هذه بنظام يوزع الامتيازات والحرمان بدرجات متفاوتة ٠ « تخضع الفئات الاسلامية في البلد ، على اختلاف مذاهبها ، للقهر بسبب الامتيازات الاقتصادية والمالية والسياسية والثقافية التي كان يستحوذ عليها ويمارسها بعض المنتسبين الى الطوائف المسيحية وخاصة العناصر المارونية منها ٠٠ » (١٢) ويروح جنبلاط على امتداد صفحتين من « المقدمة » يشرح التراتب الطبقي ـ الطائفي في لبنان وتاريخه ودور الاستعمار فيه ٠

ولعله من الضروري الاشارة الى واحدة من القضايا المهمة جدا لدى كمال جنبلاط والتي تعتبر مفتاح فهم الكثير من مواقفه ، لا بل مفتاح فهم سلوكه السياسي :

« تجدر الملاحظة ان النظام الطائفي المعمول به منع او حال دون تطور النظام السياسي على الاقل في مقابل تطور الليبرالية الاقتصادية ، وفي تمكين بعض الكفاءات من الصعود في سلم الرتبية الاجتماعية والقيادة السياسية في التمثيل النيابي وفي الحكم ٠٠ وقد شهدنا هذا السور من المال او اقسام واسعة منه تدعم بقاء القديم على قدمه وتجمد النظام السياسي وتزكي النظام الطائفي ٠٠ ويعود ذلك الى كون الفئات المستأثرة والغنية والفئات التي تنتسب الى المهن الحرة هي اكثرها من الطوائف المسيحية، هذه الطوائف التي فرضت في الانتداب قيام الكيان اللبناني وطبعته بطابعها وفرضت عليه امتيازاتها السياسية ، فجاء الامتياز الاقتصادي يؤثر بطبيعة الحال الامتياز السياسي » ٠ (١٣)

يلخص هذا الكلام فذلكة البرنامج السياسي المرحلي للاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ( آب ١٩٧٥ ) بوجهيه : التفاوت الاقتصادي ـ السياسي ( لا نناقش هنا صحة هذا التفاوت ) ، والهيمنة الطائفية ضمن النظام ٠ ويحتل هذا الاعتبار مكانة مهمة في فكر جنبلاط مما دفع الدكتور ادمون رباط الى اعتبار مقدمة البرنامج المذكور ( التي تستعير هذه الاطروحة وتطورها ) الوصية السياسية الحقيقية لكمال جنبلاط وافضل ما كتبه طيلة حياته ٠

هذا الوعي الحاد لدى كمال جنبلاط للمستويات المختلفة للتشكيلة اللبنانية عكس نفسه على ممارسته على غير صعيد ٠ فعلى المستوى الاقتصادي مثلا كان

الحزب التقدمي الاشتراكي بقيادة جنبلاط احد أبرز المناضلين في سبيل تحسين حياة الجماهير والدفاع عن مطالبها الاقتصادية والاجتماعية · أما على الصعيد السياسي فان كمال جنبلاط كان يدرك بعمق ، انه في مجتمع مثل المجتمع اللبناني

وفي نظام موروث و « سريع العطب » مثل هذا ، لا يمكن الركون الى النضال الديمقراطي وحده وان امكانية « وضع العنف على جـــدول الاعمال » واردة بالضرورة · وله في ذلك محاضرات عديدة ، ومواقف تشير الى انه كان يرفض المشاركة في أشكال من الاحتجاج والمعارضة عندما يكون الظرف مناسبا لاشكال ارقى واكثر قدرة على الحسم ·

لا يغير هذا من كون كمال جنبلاط « رجل تسوية » · لكنه يفيد من تحديد موقفه من اية تسوية وفي تأكيد ، اولا ، تفاهة الحديث عن « اصلاحيته » وثانيا كونه يتميز عن رجال السياسة اللبنانية ، الذين تعني التسوية بالنسبـــة اليهم الاستسلام ليس الا !!

● اخيرا تتميز الكتابات الجنبلاطية حول الوضع اللبناني بهذا الحيز المعطى باستمرار ، لدور العوامل الخارجية والعربية في تقرير مصير اي صراع ورسم مساره · ويصل الامر بعض الاحيان حد اغفال دور العوامل المحلية لصالح ابراز اثر المصالح الاستعمارية ، او الارادات العربية · ولعله من غير الضروري اثبات ذلك بأقوال لجنبلاط طالما ان كتاباته كلها مخترقة بتأكيدات من هذا النوع ·

رسمنا في ما سبق ملامح الفهم الجنبلاطي للوضع اللبناني ، والافكار العامة التي تنظر لممارسته وترشدها ولذلك ليس أسهل من استخلاص تصور لبنان الذي كان يريده كمال جنبلاط ·

باختصار كان مؤسس الحزب الاشتراكي يريد لبنان بلدا عربيا ديمقراطيا بكل ما تنطوي عليه هاتان الكلمتان من معان ومن التزامات سواء بالنسبة للقضيــة الفلسطينية ام بالنسبة للحريات الديمقراطية السياسية والاقتصادية والصحافية والشخصية والنقابية ···

على ان العنصر الذي يحتاج الى جـــلاء ربما هو الموقف الجنبــلاطي من الموضوع الاقتصادي ـ الاجتماعي والتصور المطروح حيال النظام القائم ·

قد يحتاج هذا الامر الى معالجة على حدة ولكن يمكن هنا بسرعة تقـديم عناصر اولية للموقف الجنبلاطي في هذا الخصوص ·

تختلط لدى جنبلاط الدعوة الى اقتصاد طبيعي ، حرفي ، ما قبل رأسمالـــي والدعوة الى حماية الصناعة اللبنانية وتطويرها وحماية المستوى المعيشي لليد العاملة ·· وهو يعبر في ذلك عن موقع اجتماعي معين ( الزعامة الريفية ذات

النزعة الوطنية الاستقلالية ٠٠ ) وعن موقف شديد السلبية ، اجتماعي ، اخلاقي، ضد آثار نظام الخدمات ٠

ولعله ، في هذا المجال ، كما في بعض المجالات الاخرى ، شديد العدوانية حيال فهم للبنان ( شيحا وتلامذته ٠٠ ) يريد للبلد ان يكون مجرد محطة ، وصلة وصل ، وممر ٠٠

« لبنان جسر وممر وصلة بين الشرق والغرب ، بين حضارة اوروبا وحضارة العرب واسيا ، هذا المفهوم للقضية اللبنانية الذي يروجون له في الاوساط اللبنانية المختلفة وتساهم في اشاعته والدعاية له الابواق الاجنبية ذاتها كان ولا يزال عقبة وحائلا دون توحيد مفاهيم الشعب اللبناني للوطن والدولة لانه كرس كواقع المعاهد الاجنبية في لبنان ، واقع اللغتين ، والحضارتين ، والاستقطابين والقوميتين ، والدينين ، والطائفتين ، والشعبين ، وبرامج التعليم المتعددة ٠٠ لا يقوم وطن على حافتي جسر وعلى فاصل وعلى ممر و « عبارة » الجسر موضع لتلاقي بلدين وقوميتين وشعبين ولا يشكل قاعدة مكانية وزمنية لدولة ولامة ٠ لا يبنى بيت لجماعة على قارعة الطريق العامة ٠٠ » (١٤) ٠

الملاحظ ان ما نقلناه عن كمال جنبلاط يشكل ، الى حد بعيد ، التوجهات الاساسية للحركة الوطنية اللبنانية كما تبدت سواء في ممارستها خلال الاحداث الاخيرة ام في وثائقها المهمة ، وعلى رأسها « البرنامج المرحلي » و « خطة المواجهة الوطنية ٠٠ » ٠

ومن المطلوب ، في مجال ، الاشارة الى هذه العلاقة بين كمال جنبلاط والحزب التقدمي الاشتراكي من جهة ، ومجموع الفصائل الوطنية والتقدمية من الجهة الثانية ، المطلوب تبديد بعض الاوهام العالقة في ذهن الكثيرين ٠

وفي طليعة هذه الاوهام القول بأن اليسار اللبناني يتلطى وراء كمال جنبلاط لانه زعيم كبير ذو نفوذ جماهيري وهو انما يقبل بتغطية اليسار والحركة الوطنية لانه يريد ان يناور وينتزع مكاسب محدودة اضافية ٠ ينشأ هذا الوهم – اذا سلمنا بحسن النوايا – من جهل عميق بطبيعة المجتمع اللبناني وطبيعة ا يمثله جنبلاط ، ومن سوء ادراك مطبق لنقطة التصادم بين التشكيلة اللبنانية في طورها الراهن وبين كمال جنبلاط وما يمثله ٠

نبادر الى القول ، قبل اي شيء ، ان زعامة كمال جنبلاط للحركة الوطنية لم تكن صدفة او مفارقة ٠٠ انها زعامة بنيت على مر السنين ، وتدعمت ، واصبحت جزءا من الحياة السياسية في لبنان ٠

وليس اسهل من اكتشاف الصلات العميقة التي تشد الفكر السياسي الجنبلاطي الى الموقع الذي يحتله صاحبه ٠

كمال جنبلاط هو الزعيم الذي أعاد لطائفته الدرزية وزنها السياسي في لبنان·

هذا الوزن الذي تعرض لنكسة اولى مع نظام المتصرفية الذي وضع حدا ، منتصف القرن الماضي . للحكم الدرزي في الجبل وفتح الابواب مشرعة امـام المزيد من اخضاع لبنان للمخططات الاستعمارية ·

كما تعرض الوزن لنكسة ثانية مع اعلان دولة لبنان الكبير ( ١٩٢٠ ) التي ورثت نظام التمثيل السياسي السابق بعد ادخال مجموعات كبيرة من السنـة والشيعة والارثوذكس في عداد الرعايا اللبنانيين · ففي هذا العام قذفت الطائفة الدرزية الى المرتبة الخامسة او السادسة في سلم التراتب الطائفي وبات واضحا ان قطبي المعادلة اللبنانية هما الموارنة والسنة ·

اي انه في خلال حوالي السبعين عاما انتقلت الطائفة الدرزية من حكم الجبل الى تشكيل طائفة غير رئيسية في « لبنان الكبير » ·

ولكننا نشهد ، مع الزعامة الجنبلاطية ، ومنذ منتصف الخمسينات عـودة الدروز الى ان يكونوا طائفة لها « حق النقض » ( بالاضافة الى الموارنة والسنة طبعـا ) ·

صحيح ان الطوائف الرسمية في لبنان ١٧ ولكنها لا تتمتع كلها ، بحكم الوزن والتقليد ( الناجمين عن عوامل عديدة لا مجال لذكرها ) بالقدرة على التأثير المتساوي على القرار السياسي الرسمي الذي يفترض ان يمثل حدود لقاء القيادات السياسية للطوائف اللبنانية ·

وبهذا المعنى فان لبنان اشبه ما يكون بمجلس الامن : فيه عدد من الدول لكن بعضها فقط له « حق النقض » ·

ولعل هذا الحق ـ الذي يتمتع به الموارنة بامتياز في لبنان ـ هو دليل تحول الطائفة المعنية الى طائفة ذات وزن مقرر او شبه مقرر في السياسة اللبنانية ·

واذا كان الدروز مع كمال جنبلاط قد عادوا ليصبحوا طائفة اساسية فليس لان جنبلاط اضاف الى وزنهم العددي والسياسي الـوزن العددي والسياسي للحركة الوطنية ( كما انه فعل العكس ايضا ·· ) فحسب بل لانه استطاع ان يجير العمق العربي لصالحه ، ويصبح ناطقا باسمه في لبنان ·

هذه الزعامة الجنبلاطية الراسخة ضمن الدروز ، وما اتاحته من اطلالـة على الطوائف الاسلامية الاخرى ، وما اضيف اليها بفعل الخصوصية الطائفية الفريدة للجبل ودوره المميز في التاريخ اللبناني وبفعل الامتدادات الحزبيـة الوطنية الاخرى ·· هذه الزعامة كانت مضطرة ، بفعل نظام الطائفية السياسية على ان تدخل ضمن التركيبة من « خرم الابرة » المفتوح لها ··

ولذلك فانها كانت ، بقدر ما تكبر وتمتد ، بقدر ما تستشعر ان الثوب المفصل لها ، حسب قوانين السياسة اللبنانية ، يضيق عنها ويكاد يخنقها ، وانها ، ولو كانت تسيطر على « ٧٠ بالمئة من الارض و٨٠ بالمئة من الشعب » ( كما كان يقول جنبلاط عام ١٩٥٨ ) فانها عاجزة عن ترجمة هذا الوزن ما لم تتم الاطاحة بنظام التمثيل السياسي الطائفي ٠

لقد وجد جنبلاط نفسه على رأس حركة متناقضة مع التركيبة اللبنانية ٠ وكانت له ـ ولنا . وللبنان المستقبل ايضا ـ مصلحة اكيدة في نسفها واعادة صياغة العلاقات السياسية على قاعدة اكثر ديمقراطية : الغاء الطائفية السياسية مطلب جنبلاطي منذ ثلاثين سنة !

بهذا المعنى كان جنبلاط عنصر تثوير للوضع اللبناني ولذلك كانت تبذل المحاولات الحثيثة لاستعادته ( تصريحات صائب سلام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ) بصفته ابن العائلة العريقة ، شرط ان يترك ، على بوابة الحكم ، برنامج نقض نظام الطائفية السياسية وكل محاولات تزعم الشارع الاسلامي والتعبير عن مصالح القوى الديمقراطية في الوسط المسيحي ٠

« ان مثال الثوري والعربي الذي يشير اليه كمال جنبلاط من أجل الحاضر والمستقبل موضوع في سياق استمرارية تاريخ السكان الجبليين ٠٠ كذلك فان بعض عبارات جنبلاط تستعيد صدى تطلعات باقي العالم العربي وثقافته ٠٠ ان منطقة الشوف تبدو في قلب التاريخ اللبناني ٠٠ كما يبدو كمال جنبلاط في قلب قومه وطائفته ٠ انه يشهد من أجل حقيقة لبنانية ٠٠ ووجه اخر للبنان » (١٥)٠

هذا الكلام الواضح للمؤرخ دومينيك شيفالييه ( صاحب اهم كتاب حتى اليوم عن تاريخ جبل لبنان في القرن التاسع عشر ٠٠ ) يحتوي على عدد من المفاهيم لا بد من تظهيرها :

١ ـ هناك تقدير خاص لهذه الزعامة الخاصة : زعامة الدروز وزعامة الجبل٠

٢ ـ هناك اشارة واضحة الى كون دروز الجبل ، تاريخيا ، امتداد للتطلعات العربية وللثقافة العربية ٠

٣ ـ هناك تأكيد على الدور الخاص للجبل في التاريخ اللبناني ٠٠ هذا الكيان الذي ركب اصلا حول الجبل ٠

٤ ـ هناك ادراك للخصوصية الجنبلاطية القادرة في وقت واحد على ان تشهد للبنان « اللبناني » وللبنان العربي ٠

والحقيقة ان هذه المفاهيم صحيحة تماما ويمكن اكتشافها من اية قراءة متأنية بعض الشيء لكتابات جنبلاط ٠٠ وممارساته ٠

ان زعامة الدروز والجبل تعني اول ما تعني الزعامة على منطقة سياسية ـ جغرافية هي غاية في الاهمية سواء كان المشروع الذي يستهدف عروبة لبنان مشروعا هجوميا تسلطيا ، ام مشروعيا دفاعيا انكفائيا ٠٠

ان الجبل هو في قلب المعركة من أجل عروبة لبنان ويستحيل على اى فريق ان يدعي هيمنة ما على لبنان ما لم يوطد هيمنته على الجبل ٠

ودروز الجبل هم تاريخيا حفظة عروبة المنطقة . سياسيا ، على الاقل ٠ صحيح انه ينطبق عليهم الى حد ما صفة « الاقلية » الوافدة الى الجبل ، لكن الفرق بينها وبين الموارنة هي انها اقلية اسلامية وقفت باستمرار ضد الغزوات الاجنبية للمنطقة . هذه الغزوات التي وجدت في الموارنة حليفا لها ٠

وبهذا المعنى تصبح الزعامة الجنبلاطية للدروز وللجبل امتدادا لتاريخ وطني صارع باستمرار ضد تيار الانعزالية اللبنانية ٠ ويكفي ان نتذكر تأكيد جنبلاط الدائم على « دور هذه الامارة العربية على الساحل اثناء الحكم الدرزي » ٠ لنكتشف كم انه مهتم ـ في سياق تاريخ بأكمله ـ للحفاظ على عروبة الجبل اولا وعلى منع تحوله الى شوكة في خاصرة الوطن العربي ٠

ولكن ما يجب ان يقال في هذا المجال هو ان هذه الخصوصية الدرزية ( أقلية عربية في الجبل ) التي وضعت جنبلاط في موقع الناقد لاي اتجاه عروبي طائفي ، وفي موقع المطالب بنهوض عربي على أساس ديمقراطي وحتى علماني ٠

ويمكننا ان نلحظ في العديد من كتابات جنبلاط مواقف التحفظ على النزعة القومية العربية الاسلامية لصالح الدعوة الى حركة عربية ديمقراطية يصح ، في حال غيابها ، التردد ، من موقع وطني وديمقراطي ، حيال الاتجاهات الوحدوية ٠ ولنا في مواقف جنبلاط من التيارات التي ازدهرت في فترة تصدع الامبراطورية العثمانية ما يؤكد لنا على هذا الطابع الخاص لفهم قضية العروبة والديمقراطية ٠

فهو يمتدح مثلا فارس نمر واضرابه من « العلمانيين » المعادين للدولة العثمانية ويهاجم تيار « الانكماشية المارونية » ويتغافل عن ذكر التيار الاسلامي المعادي للغرب والمستعد لتجميد تناقضه الثانوي مع العثمانيين مقابل اندلاع المواجهة المشتركة مع الامبريالية ٠

ليس من الضروري التفصيل في هذا الموقف الجنبلاطي ودلالاته ٠ فكمال جنبلاط يبقى في النهاية القائد السياسي لاقلية طائفية ، ( ولحركة وطنية عريضة ذات قاعدة اسلامية وصدى عربي ٠٠ ) عرفت كيف تتجاوز وضعها ، وتنتقل الى الاندماج في المعركة القومية متخلية عن الكثير من تحفظاتها ٠

وليس غريبا والحالة هذه ان تكون بعض التحفظات الجنبلاطية احترقت في لهيب معركة السنتين التي تحول خلالها كمال جنبلاط الى قائد قومي حقيقي ٠

واذا جاز لنا ان نتحدث عن خصوصية القيادة الوطنية الجنبلاطية فلا بد من التوقف عند قدرتها على الدمج الرائع بين لحظتين « اذا اذن لي ان أقول ما اضمره بصراحة فان الثورة الاخيرة اللبنانية قد جعلتني اكثر عروبة ٠٠ اي اكثر تحسسا بالواقع العربي ٠٠ ولكن في الوقت نفسه اكثر تعلقا بلبنان واستقلاله كما برز من خلال المحنة والنضال والتعاضد العربي والثورة » ٠ (١٦) ٠

هذه الخصوصية هي عنصر احراج حقيقي لليمين اللبناني . الانعزالي منه خاصة الذي يستطيع كل شيء سوى التشكيك « بلبنانية » جنبلاط ٠٠ ولعله يمكن القول انه لا شيء يوازي « حرقة » جنبلاط من تخلف « القيادات المسيحية » سوى « حرقة » هؤلاء من انقلاب جنبلاط ضدهم ورفضه لصيغة استئثارهم المقنع ٠٠

ان هذه الخصوصية الدرزية والجبلية للحركة الوطنية هي التي تسمح ، بأقل قدر ممكن من الاضرار . وفي ظل ضمور مواقع القوى الوطنية والديمقراطية في الوسط المسيحي ، بان تخاض المعركة القومية في لبنان بصفتها معركة بين لبنانيين وليس بين « لبنانيين اقحاح » و « لبنانيين درجة ثانية » كما كان يمكن ان يقال لو لم يكن كمال جنبلاط نفسه هو القائد الوطني وهو الغطاء الفعلي للنضال الوطني والقومي في لبنان ٠

واذا كانت السياسة اللبنانية تحسم في الجبل فليس ذلك لاسباب جغرافية او مناخية بل لان الجبل هو الحقل الفعلي للمارونية السياسية سواء لحظة تحفزها للانقضاض او استعدادها للدفاع ٠

ولذلك فان الحسم في الجبل ضدها غير ممكن من غير هذه القيادة الجنبلاطية التي تعطي الشرعية « اللبنانية » لاية مواجهة حاسمة ٠

قلنا في البداية ان استيعاب « الجنبلاطية » مهمة سياسية راهنة كما انها مهمة نظرية ٠ ويمكن ان نضيف انه من الصعب جدا العبور الى نظرية ثورية للوضع اللبناني وعلاقاته العربية من غير الانطلاق من تراث كمال جنبلاط فكرا وممارسة ٠

واذا كانت جريدة « اللوموند » كتبت عند استشهاد جنبلاط « ان المستقبل اهين في لبنان » فان الطريق الى رفع الاهانة هي ان يعود المستقبل مفتوحا على شتى الاحتمالات ولا يمكن لذلك ان يحصل الا اذا نجحنا ، *الى الحد الاقصى* ، في تحجيم خسارتنا للمعلم الشهيد ٠

---

المراجـــع :

١ ـ في مجرى السياسة اللبنانية ، كمال جنبلاط ٠ ص ٣٩ ـ ٤٠ ٠

٢ ـ رسالتي كاتب ٠ كمال جنبلاط ( محاضرة القيت ١٩٤٦ ) ٠

٣ ـ لبنان في واقعه ومرتجاه · محاضرة لكمال جنبلاط ١٩٥٦ ·

٤ ـ لبنان في واقعه ·

٥ ـ لبنان في واقعه ·

٦ ـ رسالتي كنائـب ·

٧ ـ لبنان في العالم العربي · كمال جنبلاط · محاضرة بالفرنسية ١٩٤٩ ·

٨ ـ المرجـع السابق ·

٩ ـ حقيقة الثورة اللبنانية · كمال جنبلاط ص ٢٦

١٠ ـ مقدمة ، ربع قرن من النضال ، ص ٧٩ · كمال جنبلاط ·

١١ ـ في مجرى السياسة اللبنانية ·· ص ٨٨ ـ ٨٩ ·

١٢ ـ المقدمـة . ص ٧٣ ·

١٣ ـ المقدمـة . ص ٦٥ ·

١٤ ـ في مجرى السياسة اللبنانية ص ٥٥

١٥ ـ مجتمع جبل لبنان ايام الثورة الصناعية في اوروبا · دومينيك شيفالييه · ص ٢٢

١٦ ـ في مجرى السياسة اللبنانية · ص ٨٤ ·

هـــاني فـــحص

# الجنوب ، الجذور وآفـــاق المستقبل

ـ ١ ـ

بات من المؤكد ان المؤرخين للاحداث اللبنانية مستقبلا سوف يقفون طويلا عند ما احدثته من تغيير في مناهج البحث التي كانت حتى ما قبل الاحداث بل واثناءها تتصدى لرصد اسبابها وخط تطورها بعيدا عن جذورها فتقع في وهم الانقطاع التاريخي . بينما الواقع ومجريات الاحداث وما رافقها من برامج ومشاريع سياسية تثبت بما لا يقبل الجدل ان هناك قدرا عظيما من التواصل يصعب معه التمييز بين ما حدث على مدى السنوات الثلاث وبين ما يحدث الآن من جهة . وبين ما كان يحدث في الماضي ، في مختلف المراحل ، من جهة ثانية ... يصعب التمييز الا في التفصيلات التي نشأت على قاعدة ما استجد من ظروف وتطورات تؤكد التواصل ولا تلغيه .

لقد اسهم ذلك في اسقاط اوهام كثيرة ، اسارع الى القول : اننا كجنوبيين قد وقعنا في بعضها مما اتاح للبعض ان يمرر اوهامه ايضا .

ان عدم وضوح الارضية التي ارتكز اليها شعار ( عروبة لبنان ) كشعار لا كواقع موصولا لا بمجمل الممارسات والافكار التي رافقت عددا من فترات اليقظة على العروبة في لبنان ، اشعرنا وكاننا متهمون في عروبتنا فاخذنا نلتمس الدليل عليها .. من هنا رأينا في احتضان الجنوب للثورة الفلسطينية دليلا على عروبتنا ، وعندما اردنا ان نوثق الدليل ذهبنا الى التاريخ غير اننا لم نجاوز فترة الخمسينات فاعتبرنا ان استقطاب الجنوبيين بالوحدة وقيادة عبد الناصر دليل على عروبة الجنوب .

ان احد اهم الاسباب التي اوقعتنا في وهم ان عروبتنا بحاجة الى دليل وتاريخ كما لو كانت حدثا من الاحداث ، هو اننا استسلمنا طويلا لفريق كان

ولا يزال ـ عن حسن نية ربما ـ يقرأ تاريخنا معبأ في قوالب جاهزة ، اذا ما استطاعت ان تفسر تاريخ شعب ما في مرحلة تاريخية او مراحل فانها تبقى قاصرة عن التعميم ، مما يجعل هذا الفريق مضطرا لان يدخل تاريخنا قسرا في علب الاصدقاء ـ الاجانب كذلك ـ ومن هنا فان من يقرأون لوتسكي وسيملنسكايا متعبدين لمنهجية صارمة ينتهون وبعدمية قومية ضارة الى تزيين الكذبة الكيانية اللبنانية عندما يرون ان كيان الـ ٤٣ قد قام على قاعدة الامارة المعنية ٠٠٠ ويريدون لنا فوق هذا ان نقرأ تاريخ الجنوب على احرفهم دافعين بالحب في طاحونة المشروع الانعزالي دون سواه ٠

لقد استقطب هذا التوجه جيلنا فاوقعه في امية مظلمة فيما يخص تاريخ لبنان عموما وتاريخ الجنوب على وجه الخصوص ٠

في محاولة للتصحيح والخروج من الوهم اود ان اؤكد ان عروبة الجنوب ليست حدثا ولذا فاننا نرتكب خطأ جسيما في محاولتنا التدليل عليها ٠ فلا احتضان الجنوب للثورة الفلسطينية ولا استقطاب الجنوبيين بالوحدة وقيادة عبد الناصر دليل على العروبة ، والصحيح ان الجنوبيين كانوا وما يزالون مع الثورة والوحدة لانهم عرب ومسار تاريخهم يوصل الى هذا الموقع وذلك الموقف، وكل احتمال لغير ذلك انما هو احتمال ساقط حتما ٠ وبالتالي فان عروبة الجنوب هي التي تفسر تاريخه ولن يكون تاريخه كاشفا لعروبته في حال من الاحوال ٠

ـ ٢ ـ

حتى لا نبقى في اطار التأكيد الانشائي لا بأس من العودة الى التاريخ ٠(١)

ولنتفق اولا ان التسمية ـ الجنوب ـ تسمية حديثة لا يتجاوز تاريخها تاريخ السنوات الاولى للانتداب الفرنسي في المنطقة ، والذي كانت خطته تقضي ـ بغية احكام قبضته ـ بتقسيم المنطقة الى دويلات وكيانات طائفية وقد نفذ جزءا من خطته في بلاد الشام واراد ان يتوسع في التنفيذ ففاحت في الجو رائحة دويلة شيعية في جبل عامل منفصلة ببنيانها السياسي والاداري والاقتصادي عن الحكومة العربية في دمشق ٠

٠٠٠ في هذه الفترة كانت مشاعر الناس في جبل عامل وعواطفهم كلها مع الدولة العربية وكان الاندفاع شديدا بحيث لا يجرؤ احد على الوقوف في وجه التيار الاستقلالي ، كما يؤكد منذر جابر في ( مؤتمر الحجير ـ مخطوط رسالة تخرج في الجامعة اللبنانية ) ويضيف اما التعبير العملي الاول عن هذا الموقف السياسي فقد كان الوفد العاملي الذي قصد دمشق لتهنئة الامير فيصل في ١٨ تشرين الاول ١٩١٨ وكان على رأس هذا الوفد كبار العلماء ورجال الدين في

مقدمتهم السيد محسن الامين وفي رأس اهدافهم طلب الوحدة السورية من الملك فيصل ٠

وبعد رجوع الوفد طلب الجنرال غورو الاجتماع برجال الطائفة الشيعية فترددوا في المواجهة ثم استقر رأيهم على المواجهة وعندما ادخل احد الزعماء على غورو عاد مستبشرا قائلا : جئتكم بالبشارة الكبيرة . فقالوا : وما هي ؟ قال الالتحاق بلبنان ٠٠٠ وجاء الرد بالرفض على لسان الشيخ يوسف الفقيه مجسدا برده ارادة الجماهير العاملية وموقفها الرافض والذي يصوره السيد عبد الحسين شرف الدين بقوله : وقد شهد الكثير من معتمدي فرنسا احتشادات الجماهير الهابطة من الجبل بأعلامها الوطنية الخافقة وهتافاتها الصاخبة فكان لذلك وقعه في نفوسهم وعلموا ان الشكيمة التي يحاولونها شكيمة شديدة لا تروض ٠

وفي حين اصر الفرنسيون على موقفهم واجههم اصرار العامليين على تمسكهم بالوحدة واخذوا يعدون العدة للمواجهة فكانت مذكرتهم الى لجنة الاستفتاء (٢) تشدد على تمسكهم بالحكومة العربية والوحدة السورية وتشكلت عصاباتهم الوطنية واخذ عمقها الجماهيري يتسع مع اتساع نضالها السليم وتوجت نشاطاتهم بمؤتمر وادي الحجير الذي شهد حضورا جماهيريا كثيفا ووحدة في موقف القيادة ورؤيتها للواقع واصرارها على التصدي للخطة الاستعمارية ، مما ضاعف من شراسة المستعمر الذي استطاع بقواه العسكرية الكثيفة وبالجيوب العميلة اياها ٠٠٠ استطاع ان يضع حدا لهذا التطور الخطر في مواقف العامليين ونضالهم ، فأعمل تخريبا وقتلا وتدميرا فيهم ليعبر على جثثهم ورماد قراهم من الوحدة الى الالحاق بالكيان اللبناني ومن يومها اصبح جبل عامل ، الجزء من سورية العربية ، اصبح جنوبا للبنان ٠

ـ ٣ ـ

والسؤال الآن : هل استتبع هذا التغيير في التسمية وما تضمنه من تغيير اداري تغييرا في انتماء الجنوبيين ؟

كان يمكن ان يحدث ذلك لو كان انتماء الجنوبيين للعروبة انتماءا ذرائعيا ٠٠٠ والواقع ان اصالة هذا الانتماء كانت الضمانة التي حالت وتحول دون تحوله ٠ غير ان الذي حصل هو ان المسألة قد ازدادت تعقيدا ، اذ بمجرد تبلور الكيان اللبناني كان هناك مشروع يوازيه للخروج به عمليا عن انتمائه العربي فاتجهت نضالات الجنوبيين للوقوف في وجه هذا المشروع ٠

وفي حين ان الجنوب بواقع كونه امتدادا لفلسطين (٣) قد ترتب له تاريخيا ان يتواصل مع فلسطين العربية كما ترتب عليه بعد الاغتصاب ان يحمل الهم

الفلسطيني الذي ما يزال يحمله وسيبقى لانه موصول بهمومه وليس بعيدا عنها حاضرا ولا مستقبلا ٠

واذا كان ذلك يشكل مظهرا من مظاهر ترسخ الانتماء العربي ، فان توجه الجنوبيين نحو الاطر القومية التي كانت نكسة عام ٤٨ احد الاسباب التي عجلت في تبلورها بسبب من طرحها لمسألة الوحدة وتحرير الارض المغتصبة ، ومن ثم موقف الجماهير الجنوبية المندفع ايجابيا من قيادة عبد الناصر وارتياحها لتحقيق الوحدة ٠٠٠ كل ذلك يؤكد ان الجنوب محصن ضد الانكفاء والسقوط في وهم التجزئة والابتعاد عن المصير العربي ٠ ذلك هو الذي جعل التركيبة اللبنانية ، التي اعطي لها الكيان اللبناني مشروطا بالحفاظ على كيانين خارج حركة التاريخ العربي ، والتي جعلت الخارطة الطائفية دليل عملها ٠٠٠ جعلها تواجه باستمرار اشكالية التعامل مع الجنوب ٠

ربما لم تكن اعوزتها الدقة في اختيار المدخل ٠٠٠ فالجنوب ـ طائفيا ـ اهم مراكز التواجد الشيعي في لبنان ٠٠٠ هذا صحيح . ولكن كيف يتم التعامل معه وفي اي اتجاه ؟

اذا ما ادخل في التركيبة اللبنانية بثقله فان ذلك يعني انه سيتاح له ان ينمو نموا متكافئا مع غيره من المناطق او الطوائف لا فرق ٠

ولا شك ان هذا النمو سيتيح له قدرا من القوة في التقرير . وفي هذه الحال سيكون محكوما ولا شك بانتمائه العربي والتزامه بقضايا المصير العربي . وهذا يعني ان تضاف قوته وتأثيره الى مجمل القوى ذات الانتماء العربي المماثل لتحدث خللا في الصيغة في نهاية الامر ويفلت المشروع من أيدي اصحابه ومهندسيه ٠

تلافيا لهذا المطب تقرر ان يكون الجنوب على هامش الهم اللبناني . داخل التركيبة ولكن في الحيز الهش منها ضمانا لابعاده عن التأثير والفعالية ٠
ماذا كانت النتيجة ؟

لم يستطع حراس الكيانية وآكلو فتاتها ، الذين نصبتهم السلطة حراسا على حدود الجنوب الاجتماعية والسياسية ان يغيروا في واقع الجنوب وانتمائه العربي شيئا ، بل اضطروا تحت ضغط الواقع الجماهيري ان يهتفوا للوحدة مع الجماهير الجنوبية ٠ وفي حين كان هؤلاء وما يزالون يدركون الاسباب التي تكمن وراء اهمال الجنوب وافقاره بل ويشاركون في ذلك عن رضا وقناعة ٠٠ لم يجرؤوا على اعلان رضاهم مرة واحدة بل ومن تجرأ منهم على التنكر للعروبة والقضايا العربية علنا كان وما يزال يعاني النبذ والكره المتفاقم ٠

وهكذا فان الجنوب المستثنى من الهم والاهتمام اللبناني بهدف اضعافه

لاخراجه من عروبته انتماء ونضالا ·· يواصل هذا الانتماء اكثر صلابة واكثر تهديداً للمعادلة ·

ـ ٤ ـ

لعل هذا كله يشكل ردا على الذين يرون ان الشيعة في لبنان كانوا خارج توازنات السلطة ولا يرون في نهاية سنتين من الاحداث احتمالا في تبدل هذا الواقع ، في حين انهم ـ محكومين بطموح الدخول في هذه التوازنات ـ يرون خطأ ان في التأكيد على الترابط بين الشيعة والكيان اللبناني ـ حد جعلهما توأمين ـ مدخلا جديدا الى هذه التوازنات · ولكنهم اذ يجمعون في مسار موهوم واحد بين الاصيل والمصطنع لن يغيروا شيئا في موقف ورؤية وعمل اصحاب المشروع الانعزالي الذين لا يعترفون للشيعة بهذه الفضيلة ولا تساعدهم وقائع التاريخ على هذا الاعتراف · فمنذ ان كان العالم الجليل السيد محمد الامين يترأس الوفد العاملي الى المؤتمر الذي انعقد في دمشق عام ١٨٧٨ للنظر في استقلال سوريا الذاتي داخل الرابطة العثمانية كان الموقف الشيعي جزءا من الموقف العربي الذي ظل معارضا للتجزئة والانفصال عن الدولة العثمانية حتى عام ١٩١٥ عندما ظهرت نوايا الاتحاديين في التتريك . وكانت هذه المعارضة تقوم على اساس الموقف المعادي للاستعمار الغربي الذي كان يبغي النيل من وحدة الدولة العثمانية ، وهذا ما يفسر الموقف الشيعي ضمن الموقف العربي العام في « حصر التناقض مع الهيمنة التركية قبل عام ١٩١٥ في حيز المطالبة بالاصلاح ونيل حقوق العرب في اطار الدولة نفسها » ( الدكتور وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠)·

ولم يكن هذا الموقف يدور في فراغ تاريخي (٤) كما لم يكن يعكس ارادة قيادية منفصلة عن ارادة الجماهير ، اذ كانت القيادة مشاكلة لجماهيرها العريضة في قيمها ومشاغلها ولم يكن يتخطى الخصوصية الشيعية او يقفز فوقها ، بل كان يرى ، بمنهجية صائبة . التمايز الشيعي في اطار التماثل العربي والاسلامي ليرى بالتالي عمق الترابط المصيري ولا يرى حلا لمشكلة شيعية او جنوبية او تبديلا في واقع شيعي او جنوبي نحو الافضل يمكن ان يتم ويكون ناجعا اذا لم يكن في سياق تبدل على المستوى العربي ، ومن هنا كان يتعامل مع الوحدة كهدف ومن هنا خاضت جماهيره نضالاتها واعطت وما تزال تعطي لفلسطين وللوحدة ولعروبة لبنان ·

واذا كان قد اتيح في الماضي للجنرال غورو الالتفاف على الموقف الجماهيري العاملي في مسألة الوحدة والحاق جبل عامل قسرا بلبنان فان الاصالة العاملية

اصالة الانتماء العربـي العاملي تبقى ضمانة ضد ان يتحول الطارىء الى ثابت او تنطلي تلك الكذبة التاريخية ·

— ٥ —

لئن اطلت في البحث عن الجذور فعذري ان غيابنا التاريخي عنها وما انتج من ارباكات لا يعوضه سوى المزيد من الجهد في تلمسها لتكون لنا ضوءا وهاديا ·

··· اذن على قاعدة هذا الانتماء العربي الواضح الاصيل قامت علاقة الجنوب مع الثورة الفلسطينية . لقد كان الجنوبيون عربا عندما اصيبوا في آمالهم وكرامتهم في الخامس من حزيران . وكانوا عربا عندما فتحوا عيونهم ذات فجر وآثار النكسة تنغرز في اعصابهم لهبا ·· فتحوا اعينهم على الثائر الفلسطيني يرتحل دمه الى فلسطين ويفتح ثغره من ضوء في ليل النكسة ·· وعندما اختصر الفدائي مسافات اشواقهم وحل بينهم . احسوا لاول مرة ان تاريخهم يأتي اليهم بكل كبريائه . احتضنوه . دافعوا عنه بالاسنان والحجارة وقلوبهم ، مجزرة مجدل سلم ·· انهم يؤرخون لها بالثقوب التي ما زالت تزين الجدران الطينية في القرية الوادعة ولحظات الرعب الاولى الممزوجة بفرح الفلاح الذي وجد في الفدائي من يفوقه حرارة في عناق الارض فيخرج من ذاته ليوافيها ويعود وعلى الاخمص آثار من تراب وفي العين ضوء البرتقال وفي الاذن رجع هسيس السنابل في مرج ابن عامر وفي الخاصرة جرح يطل على الاقصى وفي القلب شوق للعودة ·

العودة ؟ نعم العودة ·· المسافة بين المستحيل والممكن اصبحت مزروعة باحتمالات العودة ·· تقول الرصاصة الاولى ·

العودة الحلم ·· انه يتماثل للوقوع ، هكذا قالت الرصاصة الاولى ·· واخذت العدوى الثورية تنتشر فكرا وممارسة ، وابتدأت التساؤلات الجنوبية حول واقع الجنوب اكثر الحاحا وحدة من الماضي · تحول النزيف الجنوبي الذي شكل حزام البؤس حول بيروت الى حالة من الغضب ·

هل عبودية الجنوبي قدر مفروض عليه ؟ ام ان لها اسبابها الموضوعية ؟ وهل هو قادر على تغيير واقعه والخروج من عبوديته ؟ هناك تراث من النضالات اليدموقراطية لم تحدث تغييرا ولو جزئيا في واقع الحال ، بل ربما ادت الى تستيره · اصبح واضحا ان النضال الديموقراطي الذي اصبح السلام احتياطيه سوف يسجل بداية التغيير الفعلي فكانت مجزرة مزارعي التبغ في النبطية ، ومعها كان يقين الجنوبيين بأن السلاح هو الطريق لمواجهة القهر التاريخي المفروض عليهم بالعنف والذي يقف سلاح السلطة واحزابها جاهزا لتأمين استمراره ·

ومع هذا اليقين كان يترسخ يقين آخر بأن الجنوب موصول بفلسطين وان فلسطين هي الاساس في حركة التاريخ العربي وهي محك الالتزام وساحة النضال العربي وان النضال خارجها غير منتج واي تغيير بدونها او في غير طريقها غير مضمون · هذا اليقين انتقل بالعلاقة مع الثورة الفلسطينية من مستوى التعاطف الى مستوى المشاركة الفعلية في الرؤية والفعل الثوري ـ احداث ايار ـ وكان الرد في كفرشوبا وما اعقبها ونتج عنها من مواقف ·· مع احداث كفرشوبا وانطلاقا منها اتضح ان هناك منهجين في التعامل مع الجنوب :

**منهج** تكتيكي يرى في واقع الجنوب مدخلا الى التغيير في بنية السلطة والنظام فيرى المسألة الاجتماعية في الاساس ويتعامل مع الجنوب بذهنية مطلبية تشكل قاعدة للتشهير السياسي ·

**ومنهج** استراتيجي يرى الخصوصية القطرية داخل العام القومي ويرى المسألة الاجتماعية بتناقضاتها موصولة بالمسألة الوطنية والتناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني · المنهج الاول كان منهج عدد من فصائل الحركة الوطنية التي أتاح لها اتساعها التنظيمي وعمرها السياسي ان تفرض هذا المنهج على غيرها من القوى المنظمة والتي تغايرها في الرؤية والتحليل والالتزام ·

بينما كان المنهج الثاني منهج القوى الوطنية والقومية المستقطبة بالثورة الفلسطينية من موقع الالتزام القومي الواثق · هذا المنهج لم تكن له بناه التنظيمية التي تعادله تماسكا وقدرة في التعبير عن واقع المرحلة مما جعله ينسحب من التعامل مفسحا المجال لهيمنة المنهج الاول الذي استند الى المد الجماهيري الوطني الواسع ليمارس القمع على الملتزمين بالمنهج الاخر ··

وعلى المستوى المطلبي سيطرت الذهنية التجريبية واثبتت تجربة اللجان الشعبية ـ التي ذابت كفص من الملح مع انتهاء الازمات التموينية ـ خطأ وخطل القيمومة على الجماهير لان اللجان التي فرضت على جماهير الجنوب ومن خارجها ظلت كالنبات البري وظلت ممارساتها في خط مواز لارادة الجماهير وذوقها ووعيها في حين كانت عصا التخوين والتكفير والتخريب والرجعية تلاحق رأس من يبادر الى النقد مما ادى الى وقوع من كان بامكانه تصحيح هذا الوضع في التراجع والاكتفاء بالممارسة الصحيحة ؟ فـي حدود القدرة والامكان او طلبا للعذر !!

---



---

**عندما فتحت بوابات « الجدار الطيب » ·· كان واضحا ان هناك اعدادا لاعادة المعركة الى الجنوب والتي ابتدأت منه اصلا ·· لتثبت ان الجنوب هو الساحة الرئيسية وان الثورة الفلسطينية هي الهدف الرئيسي دون ان يلغي**

اهمية الاهداف الاخرى فيما يخص المشروع الانعزالي الطائفي ان على مستوى التقسيم او على مستوى الكيان اللبناني الموحـــد الساقط في قبضة الهيمنـة الانعزالية باحكام اكثر شدة ٠ اذ ذاك ارتفع صوتان في الجنوب ، الصوت الذي اعتاد التشهير السياسي بالسلطة ناعيا عليها اهمالها للجنوب ولم يتح له او لم يرد الوصول الى الاسباب في جوهرها ٠ هذا الصوت ارتفع مصرا على ان يرى البوابات المفتوحة نتيجة لنقص المواد والسلع التموينية في قرى الشريـط الحدودي ٠ وقد كشفت الاحداث فيما بعد ان من اطلقوا هذا الصوت عندما اصبح لهم حضورهم الكامل على ارض الجنوب لم يلتزموا بخطهم المطلبي برغم ما توفر لهم من امكانيات . ونظرة الى ما يعانيه الجنوب الان من نقص فـي أسباب الصمود ترينا الى اي حد كان التقصير فاضحا ٠

كان من السهل ان يسمع هذا الصوت لولا انه قد ترافق بما هو أمر ٠٠ لقد اغتر بالتراجع الجماهيري ــ شكلا ، ونتيجة عدد من الاشكالات ــ عن الالتزام القومي مجسدا في الموقف من القضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية ، وظن ان هذا العارض الطارىء هو اصيل في طبع جماهير الجنوب وقناعتها ٠ وشهد الجنوب موجة من التشهير بالثورة الفلسطينية ، ارتكازا الى السلبيات الجزئية التي لم يسلم حتى المشهر ون منها وضخموها على قاعدة من الارتداد القطري الضيق الذي وصل حد القول : مالنا ولعروبة لبنان ؟ مالنا ولفلسطين ؟ والتنظير للبنان الكيان الذي تكون ونما وتطور خارج مسار حركة التاريخ العربي كله !!

الصوت الاخر كان اقرب لمسار الاحداث ومؤشراتها فأعلن منذ البدء ان ( قدر الجليل والجنوب ان تلتقي فوق ارضهما المصالح الحقيقية للشعبين اللبنانـي والفلسطيني ، والمطامح القومية المشروعة لنضالهما فيشكلان معا مشروعـا ثوريا لا يستطيع الا ان يكون جذريا ولا خيار له سوى ذلك ، وهو هو قـدر الجليل والجنوب ان يصطدم المشروع الثوري الجذري فوق ارضهما بالمشروع الصهيوني الانعزالي ( محمود سويد ــ شؤون فلسطينية ــ العدد ٦٥ ) ٠

بين هذين الصوتين كان هناك سؤال « ما يجري في الجنوب هل هو مفصول في مأساة ؟ ام انه مراحل في معركة ، بمعركة طويلة جدا ؟

على التقدير الاول لا بد من الدخول مع الجنوب في مرحلة جديدة من الحزن والشعر والانكسار والدمع ٠ ٠وعلى التقدير الثاني لا بد من الاعداد والمواجهة والتصدي ٠

كان قرار الثورة الفلسطينية كما هو دائما التصدي ٠٠

فماذا عن موقف جماهير الجنوب ؟

هل كانت عمقا للمعركة وما تزال ام انها اصبحت مجرد عناصر حية في لوحة

المأساة ؟ اسارع الى القول بأن جماهير الجنوب قد اثبتت ان انتماءها العربي ربما يكون بعفويته اكثر ثباتا وعمقا من انتماء الكثير من طلائعها ·· قد تخفت شعلة هذا الانتماء حينا من الزمن تحت وطأة الخطأ او التراجــع يساعدهما التشهير والارتداد الطلائعي ، ولكنها ـ الجماهير ـ مع اول انتصار مهما كـان حجمه تستعيد عافيتها الثورية ومع اي صمود تعود جماهير الجنوب الى أصالتها ونقائها والتزامها اكثر توهجا وصبرا على العطاء·هذه بالفعل بعض دروس معركة الطيبة ورب ثلاثين ومعركة الصمود الاخيرة في الخيام ·· حيث كانت جماهير الجنوب على يقين بأن العدو الصهيوني ـ الانعزالي هو الذي فتح المعركة فعـلا لتوسيع الزاوية التي انحشر فيها ولكن لم يكن لا هو ولا الولايات المتحدة من انهى المعركة ·· الذي انهاها هو صمود الثورة بحفنة المقاتلين اياهم والذين ابتدأوا من الواجب لا من الممكن فحسب . وخاضوا معركة غير متكافئة ولكنهم صمدوا لانه كان لا بد من الصمود تماما كما في الكرامة وكفرشوبا ولانهم كانوا على يقين بأن اي ثغرة تفتح في جسم الجنوب عسكريا تعني في النهاية ان المشروع الانعزالي الصهيوني قد قطع بنجاح مرحلته الراهنة على حساب فلسطين وثورتها ولبنان وعروبته · كانت تلك قناعة الجماهير التـي عاشت المعركـة بالعين والاذن والاعصاب وبالحس النضالي على عكس المنظرين المكتبين الذين لا يرون سوى الولايات المتحدة في البدء والمنتهى ··

ـ ٧ ـ

مستقبلا ·· قد يكون نجاح المشروع الانعزالي على الساحة اللبنانية مرادا · وقد يكون تحقيق المطامع الصهيونية في حياة الجنوب هدفا ·· كما قد تكون اعادة الجنوب الى قبضة القوى المضادة هدفا ايضا · ولكن كل هذه الامور تبقى امورا فرعية امام الهدف الرئيسي ·· فلسطين وثورتها والتي ابتدأت فعلا بانتصاراتها العسكرية والديبلوماسية تظهر للعالم اجمع مدى الاهتزاز الـذي يصيب الاستراتيجية الصهيونية التوسعية في المنطقة ·

وعندما تكون فلسطين وثورتها هي المقصودة فان ذلك يعني ضمن مســار التاريخ العربي الحديث ان اهداف الامة العربية وتطلعاتها في الوحدة والتحرر هي المقصودة اساسا اذ فلسطين في كل الاحوال هــي الشرط والركيزة ·· والجنـوب العــربي امتداد افلسطين وســاحة تتجمـع فيهـا الان كـل احتمالات المستقبل ، واذا ما كنا نراهن باستمرار على ان الخط الخارجي قـد عودنا ان يثمر المزيد من التماسك والتضامن في الموقف العربي كما نراهن على ان النصر حليفنا في النهاية فان ذلك لا يعفينا بل يحتم علينا ان نتوجه جنوبا لناخذ موقعنا مع الثورة الفلسطينية في التصدي الجدي للهجمة الصهيونيـة الانعزالية التي ما ان تتراجع تحت ضغط الثوار حتى تعود لتطل برأسها قارعة

ناقوس الالتزام العربي جاعلة من الجنوب محكا ومختبرا للنوايا والالتزام ٠

يقول الدكتور شوفاني – شؤون فلسطينية عدد ٦٥ – « ٠٠ **والجنوبيون الذين** استقبلوا اخوانهم الجليليين في عام ١٩٤٨ يعون جيدا مطامع العدو الصهيوني في ارضهم ومياههم وكذلك امكان ان يلاقوا هم انفسهم ذات المصير ٠ **ولكن الجنوب فقير مما قد يجعله معرضا لاغراءات العمالة في الاقتصاد الصهيوني او اكثر استجابة لحوافز النزوح اذا لم تعالج المشاكل المزمنة التي يعاني منها فلاحوه ٠٠** » ٠

الان اكثر من اي وقت مضى يدخل الجنوب تاريخ فلسطين بكل حيثياته وابعاده مما يحتم بالتالي ان يتحول التعامل العربي معه من مستوى منطقة محرومة في قطر عربي الى مستوى التعامل مع القضية الفلسطينية بكل ابعادها المصيرية ٠ وهنا يصبح الكلام عن برنامج انمائي عربي للجنوب يحقق شروطا جديدة على مستوى الاطر التي تنفذه والسياسة التي تحكمه والقوى العربية التي تدعمه يصبح هذا الكلام موازيا في الاهمية للكلام عن الدعم العربي للثورة الفلسطينية وتأمين استمرارها بما ترتب لها في اعناق العرب من حقوق وواجبات قدمت كفاء لها دم شهدائها على طريق الكرامة العربية ٠

## هوامش

١ – ينقل السيد محسن الامين في كتابه ( خطط جبل عامل ) عن ابي الفدا في تاريخه قوله : واما بنو عاملة فهم ايضا من القبائل اليمانية التي خرجت الى الشام عند سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف بجبل عاملة ٠ ويؤكد السيد الامين ان قبيلة عاملة العربية كانت قبل الاسلام في حكم هرقل ملك الروم وان ذكرها جاء في غزوة تبوك فقال المؤرخون بلغ النبي (ص) ان هرقل اجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان ٠ وعندما يعد صاحب التحفة الازهرية العامليين في مقابل العرب يرد السيد الامين مؤكدا عراقة العامليين في العروبة بدليل انهم من نسل عاملة بن سبأ ٠ وان عاداتهم هي العادات العربية المعروفة وان لغتهم هي أقرب الى الفصحى ٠٠ ويقول انهم عرب صميمون عريقون في العروبة واعرق فيها من جميع سكان المنطقة ٠

٢ – جاء في المذكرة التي رفعها السيد عبد الحسين شرف الدين الى اللجنة :

٠٠٠ أما بعد فانني اؤكد الحديث الذي اوردته واخي الامام الشيخ حسين فضية واسجل في هذه الوثيقة خلاصة الرأي الذي أدلينا به عشية الاجتماع ، منعا لكل لبس لدى المترجم ودفعا لاي دس من الذين يحرفون الكلام عن مواضعه ، واليكم ذكرا في هذه البنود : **اولا: لا نرضى بغير استقلال سوريا التام الناجز** ، بحدودها الطبيعية التي تضم قسميها الجنوبي ( فلسطين ) والغربي ( لبنان ) وكل ما يعرف ببر الشام دون حماية او وصاية ٠ **ثانيا : تكون الحكومة ملكية** ، ذات عدالة ومساواة ، يستوي فيها جميع الناس كافة ، في الحقوق والواجبات ٠ **ثالثا : الامير فيصل** ، هو مرشح العرب الطبيعي لملك سورية لما له من جهاد في سبيل القضية العربية ٠ **رابعا** : لا حق اطلاقا لما تدعيه فرنسا في اي بقعة من سورية ،

ولا نقبل اي مساعدة منها · الخ ·· اما مؤتمر الجحير فقد انعقد في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ وكان اهم مقرراته هو ان ( المؤتمرين قرروا بالاجماع انضمامهم للوحدة السورية ، والمناداة بجلالة الملك فيصل ملكا على سورية ·· ورفض الدخول تحت حماية او انتداب الفرنسيين ) · وانتخب السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد عبد الحسين نور الدين لحمل المقررات الى دمشق ·· ( محمد جابر ال صفا - تاريخ جبل عامل )·

٣ - يقول محمد كرد علي في خطط الشام نقلا عن الهمذاني : واما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر الى ان قال وجبل الجليل واهلها قوم من عاملة·

ويقول اليعقوبي : وجبل الجليل واهله قوم من عاملة · وينقل السيد محسن الامين في خططه عن الشريف الادريسي المتوفي سنة ١١٨٧ انه قال عن صيدا ان لها اربعة أقاليم ·· اقليم جزين واقليم السرية وهو اقليم جليل واقليم كفرفيلا واقليم الرامي ··

٤ - البقاع وجبل عامل من ١٥١٦ الى عام ١٦٦٠ جزء من ولاية دمشق الى ان استحدثت ولاية صيدا واصبح جبل عامل تابعا لها بينما ظل البقاع تابعا لولاية دمشق ·

٣١٥١ أ غائب

٣١٥١ ب غائب

٣١٥١ ج غائب

٣١٥١ د امتناع

٣١٥١ هـ امتناع

٣١٥١ و غائب

**القرار رقم (٢٩)**

٣٣٢٤ أ لا تصوت

٣٣٢٤ ب غائب

٣٣٢٤ ج غائب

٣٣٢٤ د امتناع

٣٣٢٤ هـ تصويت ضد

**القرار رقم (٣٠)**

٣٤١١ أ لا تصوت

٣٤١١ ب لا تصوت

٣٤١١ ج غائب

٣٤١١ د غائب

٣٤١١ هـ لا تصوت

٣٤١١ و امتناع

٣٤١١ ز تصويت ضد

## ٧ ـ العلاقات الاقتصادية

### التبادل التجاري

ازداد حجم التبادل بين اسرائيل وجنوب افريقيا (٥٥) بشكل مذهل بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٧٤ ، وخاصة بعد حرب ١٩٦٧ · يشير الجدول ادناه الى هذا التطور حتى عام ١٩٧٤ وهي السنة الاخيرة المرصودة في الاحصاءات الرسمية ·

| السنة | التصدير الاسرائيلي نحو جنوب افريقيا★ | الاستيراد الاسرائيلي من جنوب افريقيا★ |
|---|---|---|
| ١٩٦٥ | ٧ر٢ | ٣ر٤ |
| ١٩٦٦ | ٣ر٢ | ٥ر٤ |
| ١٩٦٧ | ٠ر٤ | ٤ر٣ |
| ١٩٦٨ | ٧ر٥ | ٢ر٥ |
| ١٩٦٩ | ٢ر٨ | ٨ر٥ |
| ١٩٧٠ | ٧ر١٠ | ٢ر١٠ |
| ١٩٧١ | ٤ر٩ | ١ر٨ |
| ١٩٧٢ | ٨ر٨ | ٦ر١١ |
| ١٩٧٣ | ٠ر١٢ | ٣ر٢٤ |
| ١٩٧٤ | ٧ر٢٨ | ١ر٤٣ |

★ بملايين الدولارات ٠

هذه الارقام تصدر عن الصندوق القومي الدولي ( واشنطن ) وهي موضوعة على اساس احصاءات الحكومة الاسرائيلية ٠ اما احصاءات جنوب افريقيا ، فأنها تقلل من حجم التبادل مع اسرائيل ٠ ولكنها تظهر رغم ذلك الاتجاه نفسه للتزايد السريع في حجم التبادل ٠

ويشير هذا الجدول الى ان الميزان التجاري هو في مجمله ، لصلحة جنوب افريقيا ٠ ولكننا نستطيع ان نعتبر ان الحكومة الاسرائيلية تعوض عن هذا الوضع في التسهيلات الممنوحة للطائفة اليهودية في جنوب افريقيا لارسال الحوالات النقدية الضخمة وفي توظيف رؤوس الاموال الجنوب افريقية على اراضيها ٠

ويجب الملاحظة هنا ، ان الماس الخام ، الذي يأتي على رأس المنتوجات التي تستوردها اسرائيل من جنوب افريقيا لا تدخل في ارقام احصاءات التبادل بين البلدين ٠ فعمليات الشـــراء تتم عبر منظمة البيـــع المركزيـة ، مركزها لندن ، وهي فرع لشركة دو بيرز التي تنتمي الى الاتحاد العملاق للشركة الانكلو ـ اميركية ( اوبنهايمر ) ، المنتج العالمي الاول للماس الخام الذي يستغل مناجم ناميبيا ٠

## ١٩٦٧

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بذلت جهود كبيرة في سبيل توطيد العلاقات الموجودة وتركيز بنيانها ٠ في اواخر ١٩٦٧ ، بعثت وزارة الاقتصاد والصناعة الاسرائيلية ممثلا الى بريتوريا لهذا الهدف ، رافقه ممثلان عن المشاريع التجارية وشركات النقل البحري ٠

## ١٩٦٨

في كانون الاول ، اسست رابطة الصداقة الاسرائيلية ـ الجنوب افريقية ، التي تضم

بين اعضائها رجال سياسة وخبراء ورجال اعمال · في نيسان عقد في القدس مؤتمر الصهاينة اصحاب الملايين · اشتركت فيه بعثة جنوب افريقية مهمة · وفي هذه المناسبة ، اعلن وزير التجارة الاسرائيلي ، اميتي بن جوزف ، ان اسرائيل ستستورد من جنوب افريقيا ، الصوف والمنسوجات والملابس والمنتوجات الكيماوية والصيدلية الى جانب الماس الصناعي ·

في المقابل تحتل جنوب افريقيا المرتبة الاولى في زبائن اسرائيل في القارة الافريقية · ولعبت الجمعية الاسرائيلية ـ الجنوب افريقية للتجارة والصناعة ، التي انبثقت عن لقاء اصحاب الملايين ، الدور الاول في هذا التطور ·

١٩٦٩

يحضر رجال اعمال من جنوب افريقيا الاجتماع الاول للمجلس الاقتصادي الاسرائيلي الذي يرأسه رئيس الـ I.S.A.T.A. السيد لوبنر · وفي آب ، يقام اسبوع اسرائيل في جنوب افريقيا ·

تقوم ٤ بواخر تابعة للشركة الاسرائيلية للملاحة البحرية « تسيم » برحلات منتظمة بين جنوب افريقيا واليابان ، نظرا الى ارتفاع نقل البضائع بعد حرب ١٩٦٧ بنسبة ٥٠٪ على هذا الخط · وادى تنامي الحركة السياحية بين البلدين الى انشاء مكتب سياحي اسرائيلي في جنوب افريقيا وهو الاول من نوعه في القارة الافريقية ·

١٩٧٠

في تموز ، يعقد اتفاق بين مؤسستين رسميتين : الـ I.D.C. الجنوب افريقيه والبنك الخارجي الاسرائيلي ، ينص على فتح اعتماد مقداره ٧ر١٠ ملايين راند لرفع مستوى تصدير رؤوس الاموال الجنوب افريقية الى اسرائيل ·

١٩٧١

اتجهت الى اسرائيل بعثة جنوب افريقية مهمة ، مؤلفة من ممثلي اهم شركات الصناعة الثقيلة والبناء والمسابك وممثلي مصرفي ستاندارد وبنك بركيز الدولي ·

عينت اسرائيل اول ممثل دائم لمصرف « يافت » في جنوب افريقيا في سبيل تشجيع التبادل التجاري في ميادين المعادن والمنتوجات النصف مصنعة ·

١٩٧٢

توطيد العلاقات المالية باشتراك مصرف لومي ـ نيويورك ـ وهو فرع للمصرف الام نفسه في تل ابيب ـ في اتحاد المصارف التي تقدم قرضا لحساب وزارة المال في جنوب افريقيا ·

١٩٧٣

خلال الاشهر التي سبقت حرب تشرين ـ اكتوبر ، كانت العلاقات التجارية قد تدعمت بصورة كبيرة ، لكن الحرب سجلت منعطفا مهما في هذا التطور · ونشير الى ان رئيس

بعثة جنوب افريقيا في لقاء اصحاب الملايين اعلن عام ١٩٧٢ عن مخطط تستعين بـه شركات جنوب افريقيـا في اسرائيـل للتغلب بطريقة ملتوية على العقوبات الاقتصاديـة التي تفرضها عليها بعض الدول الافريقية ٠

١٩٧٤

انشئت في تل ابيب غرفة تجارة اسرائيلية ـ جنوب افريقية ، تنتسب اليها حوالي مئة شركة اسرائيلية ونتيجة هذا النجاح ، انشئت غرفة تجارة جنوب افريقية ـ اسرائيلية بعد فترة وجيزة ، في جوهانسبورغ ٠

وفي العام نفسه ، اقامت اسرائيل وجنوب افريقيا ، حملة مشتركة في بريطانيا لتنمية مبيعات البرتقال وعصير البرتقال المدموغة Jaffa و Outspan

ـ في ايار ، يرفع الحد الاقصى للاستثمارات الجنوب افريقية المباشرة في اسرائيل ، من ٧ الى ٢٠ مليون راند ٠ ويعلن السفير الاسرائيلي في جنوب افريقيا : « اذا وحدنا قوانا ، ومع توفر المواد الاولية بكثرة في جنوب افريقيا ، والامكانيات التقنية الاسرائيلية ، سيمكننا حقا ان ننجز الكثير ٠ »

ـ تعلـن شركـة كور عن عزمها عـلى انشـاء معمل للمنتوجات الكيمائية فـي جنوب افريقيا في احد مناطق الحدود قرب احد المفردات ٠ ( البانتوستان ) ٠

١٩٧٥

يصف وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي جنوب افريقيا بانها « شريك تجاري مميز » ويعلن ان الصادرات الاسرائيلية استفادت من تسهيلات خاصة ٠

١٩٧٦

ورد في صحيفة « هآرتس » ( ٢ اذار ١٩٧٦ ) ، اثر زيارة قام بها صناعيون من جنوب افريقيا الى اسرائيل ان « اقطاب الصناعة الجنوب افريقيين ، ابـدوا اهتماما بالغا للتعاون الوثيق مع الصناعات الاسرائيلية ٠ وركزوا اهتمامهم بصورة خاصة على الوضع المميز التي تنعم به اسرائيل في علاقاتها مع السوق الاوروبية المشتركة ، وعلى بنود الاتفاق التجاري الذي عقد مع الولايات المتحدة الاميركية ٠ »

ونقرأ في صحيفة « يديعوت احرونوت » خبرا حول اهتمـام روديسيا بالشاحنات الاسرائيلية الضخمة لاستبدال النقل عن طريق السكك الحديدية التي قطعت اثر اعلان المقاطعة الاقتصادية من قبل الموزامبيق والمحادثات حول هذا الموضوع جارية بين شركتي ميفالي ليلند آشود ٠

ومن المفيد هنا ، التأكيد على ناحيتين في هذا التعاون الاقتصادي ، تتجاوزان العلاقة الثنائية بين الحكومتين ٠

١ ـ خلال مؤتمر الصهاينة اصحاب الملايين عام ١٩٧٤ ، كشف رئيس بعثة جنـوب افريقيا عن نية الشركات الجنوب افريقية في استخدام اسرائيل للتحايل على العقوبات الموضوعة من قبل بعض الدول الافريقية ٠ وتتم العملية عبر ارسال المنتوجات نصف المصنعة الى اسرائيل حيث ينتهي انجازها وتحمل علامة « صنع اسرائيل » قبل أن يتـم تسويقها ٠

وهكذا ، وظفت شركة جنوب افريقية مبلغ ٤٠٠ الف ليرة في معمل اسرائيلي للمنسوجات القطنية الملونة والتي تخصص ٦٠٪ من انتاجها للسوق الافريقي · ( وهناك مشاريع اتفاق من النوع نفسه مع ٦ اول مشاريع صناعية اخرى ) ·

٢ ـ وعلى النحو نفسه ، يأمل نظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا ان يستخدم الاتفاق المبرم بين اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة على الصعيد الاقتصادي والصناعي والعلمي في سبيل ادخال منتوجاته ، بدون ضرائب الى بلدان السوق المشتركة ·

ان اتفاق التعاون الذي عقده رئيس الوزراء فورستر خلال زيارته لاسرائيل في نيسان ١٩٧٦ اعطى اندفاعا جيدا للتبادل التجاري بين البلدين · وينص هذا الاتفاق على تشجيع تبادل البعثات التجارية بين البلدين وزيادة صادرات المواد الاولية الجنوب افريقية الى اسرائيل وخاصة الفحم عن طريق الميناء الجديد في ريتشارد بيي ·

الاستثمارات

والى جانب ازدياد التبادل التجاري ، ازداد حجم الاستثمارات الجنوب افريقية في اسرائيل بوتيرة سريعة خلال السنوات العشر الاخيرة ، وبصورة خاصة منذ عام ١٩٧٣ · وشجع هذا التزايد ، قرار حكومة جنوب افريقيا في ايار ١٩٧١ الذي يدعو الى الليونة في مراقبة استثمارات الشركات الجنوب افريقية المباشرة في اسرائيل ، والذي يرفع الحد الاقصى للتوظيف الى ١٠ ملايين راند · وفي ١٩٧٤ ، رفع هذا الحد الى ٢٠ مليون راند ، من المفروض ان يصل الى ٣٢ مليون راند عام ١٩٧٧ · وفي المقابل ، تتوجه الرساميل الاسرائيلية بدورها نحو جنوب افريقيا بشكل توظيفات مباشرة او قروض · وقد افتتح المصرفان الاسرائيليان « جافت » و « لومي » ، فروعا في جنوب افريقيا عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٣ ·

توظف الرساميل مباشرة ، بصورة اساسية ، في مشاريع مشتركة تقوم بها الشركات العامة والخاصة · ويبدي الاسرائيليون اعجابهم بوفرة الايدي العاملة الرخيصة في جنوب افريقيا ·

ومن المنتظر ان تنتج عن الاتفاق المعقود ابان زيارة فورستر الى اسرائيل امور عديدة : فقد اعلنت شركات جنوب افريقية عديدة ، مساهمة في مشاريع مشتركة ، عن ارادتها في التوسع ·

ورغم ان الحجم الحالي للاستثمارات غير معروف بشكل دقيق ، الا انه لدينا بعض المعلومات حول المشاريع التالية :

● تساهم شركة صناعة الانابيب الفولاذية التابعة للشركات الافريقية المتحدة مع شركة الشرق الاوسط للانابيب في حيفا ، في انشاء مصنع · ( الكلفة : ٢٥٠ الف راند )·

● اشتركت المؤسسة الافريقية ـ الاسرائيلية للاستثمار ، ويملك الجنوب افريقيون ٢٥٪ من اسهمها ، في تنفيذ مشروع في فنزويلا تموله جزئيا مؤسسة جنوب افريقيا لتطوير الصناعة (؟)

● انشات مجموعة ( ديزيري كلوثينغ ) ( ملبوسات ديزيري ) في مدينة كاب مصنع منسوجات في اسرائيل باسم « سسيل نيتز » ( منسوجات سسيل ) ·

● وظفت شركات جنوب افريقية لن يعلن عن اسمها ، مبلغ ٤٠٠ الف جنيه استرليني في معمل اسرائيلي للمنسوجات القطنية الملونة المخصصة للسود في جنوب افريقيا ولدول افريقيا المستقلة ·

● اشتركت شركة اسكور ( للحديد والصلب ) مع مؤسسة كور الصناعية التي تملكها الهستدروت في انشاء معمل اسكور الذي يحتكر توزيع الصلب في اسرائيل · تملك شركة كور ٥٠٪ من الاسهم واسكور ٤٩٪ · تخطط اسكور لبناء مصنع صلب قرب غزة وقد وظفت الان رساميل كبيرة في مركز كبير لتوزيع الصلب ·

● اما شركة « دوربيل » ، وهي احدى شركات جنوب افريقيا للصناعات الميكانيكية الثقيلة ، فقد انشأت بالاشتراك مع الشركة الاسرائيلية « كور » فرعا يختص بمشاريع الابنية الصناعية · وتم تلزيم هذه الشركة الجديدة مشروع بناء خزانات من الصلب مخصصة للمشاريع الزراعية في اسرائيل ، قيمته ٢ر٩ مليون راند ·

● تقوم حاليا شركة جنوب افريقيا للسكك الحديدية بالاشتراك مع شركتي « دورمان لونغ » و « يونيون كارياج » ، ببناء خط للسكك الحديدية يمتد حتى ميناء ايلات على البحر الاحمر ·

● ومن ضمن المشاريع الاخرى : بناية من ٢٦ طابقا في تل ابيب ، مجمع صناعي بتروكيماني في حيفا ، مجمع صناعي قرب تل ابيب ، مصانع مختلفة ، مشاركة في اعادة تجهيز ميناء ايلات والموانىء الاسرائيلية الاخرى ·

● في حزيران ١٩٧٤ ، اجرت شركة « كور » اول استثمار لها في جنوب افريقيا بالاشتراك مع مجموعة جنوب افريقية في بناء مصنع للمنتوجات الكيماوية الزراعية في منطقة على حدود الترنسكاي وباستطاعة هذا المصنع تغطية حاجات جنوب افريقيا والمناطق المجاورة ، وايضا « بلاد اقل قربا » ، من ناحية المبيدات الزراعية ·

● اسست شركة اسرائيلية اخرى للمنتوجات الكيماوية ، فرعا لها في جنوب افريقيا لصناعة علف الماشية ، تملك الشركة الاسرائيلية « آسيا » ٢٥٪ من اسهمها وحق الخيار على الاسهم الباقية ·

● كما ان هناك مشروعا تبنته شركة « تاويران » ، المصنع الاسرائيلي الاول للوازم الالكترونية الحديثة ، لبناء مصنع بقيمة ٧ر١ مليون راند في منطقة روسلين حدودية ، لصناعة الاجهزة الالكترونية ·

واسرائيل تعير اهتماما بالغا لـ « تنمية » البانتوستانات » الافريقية ، واشتركت بعثة اسرائيلية في مؤتمر دام ثلاثة ايام ، في مدينة « امتاتا » في الترنسكاي ، نيسان ١٩٧٦ ·

وتشير الصحافة الاسرائيلية الى بعض المعلومات الحديثة حول توسيع نطاق التعاون الاقتصادي بين اسرائيل وجنوب افريقيا ·

« يديعوت احرونوت » ( ١٢ تشرين الاول ١٩٧٦ )

تشير الى ان عددا كبيرا من المؤسسات الاسرائيلية تبحث « جديا ودون ضجة » في

تكثيف العلاقات الاقتصادية مع جنوب افريقيا : وانشطها في هذا الميدان هي شركة « أسيا – معباروث » ( ويملكها الكيبوتز الذي يحمل الاسم نفسه ) · وهي تفكر في زيادة حجم مبيعاتها لجنوب افريقيا من انتاجها المكون من مواد غذائية للمواشي بنسبة سنوية تساوي ٢٠٪ ·

وتؤكد هذه الصحيفة ان ١٥٠ مزارعا من جنوب افريقيا اتوا في الفترة الاخيرة على دفعات مؤلفة من ٢٠ مزارع ، للاستعلام في اسرائيل نفسها ···

« يديعوت احرونوت » ( ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٦ )

تتحدث عن شركة جديدة مختلطة « د· ا· ا· » انشاتها المؤسسة الاسرائيلية « نيتافيم » والشركة الجنوب افريقية « اكريبلز » ، في سبيل بيع تقنية جديدة للري « قطرة قطرة » ، في اوروبا والولايات المتحدة واميركا اللاتينية وفي اماكن اخرى · هذه التقنية وضعت في اسرائيل وطبقت بنجاح في جنوب افريقيا · وشركة «د·ا·ا» الجديدة مسجلة في هولندا ويبلغ رأسمالها ١٫٢٥ مليون دولار اميركي ·

« معاريف » ( ٩ كانون الاول ١٩٧٦ )

تعلن ان مؤسسة « تاديران » وهي احدى اهم المؤسسات في اسرائيل – بنت مصنعا في روزالين قرب بريتوريا بالاشتراك مع مجموعة « كالن » الجنوب افريقية · والشركة الجديدة التي تحمل اسم « كونسولديتد باور » ستصنع الادوات الكهربائية وتستورد من اسرائيل الاجهزة المعقدة ( التي من المحتمل ان تكون مخصصة لتجهيز الشرطة للملاحقات والمعارك الليلية واجهزة رصد المخابرات الهاتفية · الخ ··· ) ·

## التبادل العلمي والتقني

جرى كذلك ، تدعيم العلاقات بين البلدين في المجالات البحثية التي تدور حول الزراعة والمباني والبناء والمنتوجات الكيماوية والسماد والالكترون والطيران ، الخ ·

ومنذ عام ١٩٧٢ تمت تبادل الخبراء والاخصائيين · وصلت الى اسرائيل عام ١٩٧٣ بعثة جنوب افريقية ١٥ عضوا لدراسة طرق انشاء المدن الجديدة ومخططات الاصلاح المدينية ومخططات التشييد المستعملة ومفهوم المباني الصناعية ·

عام ١٩٧٥ ، أسست لجنة جنوب افريقية لمعهد وايزمان : كانت اولى مهماتها هو العمل – بالتعاون مع مجلس جنوب افريقيا للابحاث العلمية والصناعية – على تنظيم مؤتمرات شارك فيها خبراء من جنوب افريقيا ومن معهد وايزمان في اسرائيل نفسها ·

وتدعيم التعاون العلمي والتقني كان احد اهداف الاتفاق الذي عقده رئيس الوزراء فورستر خلال زيارته الى اسرائيل ·

وتقوم شركة الطيران الاسرائيلية « العال » برحلات منظمة بين البلدين · وارتفع عدد الرحلات الى ثلاث رحلات اسبوعية في تشرين الثاني ١٩٧٣ بعد ان كانت رحلتان فقط في عام ١٩٦٨ · اما المواصلات البحرية ، فتؤمنها الشركة الاسرائيلية « تسيم » ·

« يديعوت احرونوت » ( ٢٢ ايار ١٩٧٥ )

« ليس سرا ان علماء جنوب افريقيا هم على علاقة وثيقة مع زملائهم الاسرائيليين في ميادين عديدة ··· ويطبق هذا التحديد خاصة في معهد بوتسوانا الجيولوجي ، في مديرية الفيزياء النووية التابعة لجامعة جوهانسبورغ والمديرية الخاصة بدراسة النظائر المشعة الصلبة التابعة لمعهد وايزمان في ريفوهوت » ·

التعاون العسكري

يرجع التعاون العسكري بين البلدين الى بداية نشوء دولة اسرائيل · فقد قاتل الى جانب الصهاينة ، بعد تشرين الثاني ١٩٤٧ ، بضع مئات من المتطوعين الجنوب افريقيين، وبعثت لهم جنوب افريقيا خلال حرب ١٩٤٨ المؤن والادوية ومساعدات اخرى · وكان اول طيار قتل خلال المعارك في صفوف القوات الاسرائيلية ، متطوع جنوب افريقي ·

حرب ١٩٦٧

تكثفت الاتصالات العسكرية بين البلدين خلال حرب ١٩٦٧ وبعدها · وفيما كانت جنوب افريقيا تعلن عن حيادها ، كانت تساند المجهود الحربي الاسرائيلي ولو فقط عبر مرونتها في مراقبة القوانين المتعلقة بنقل الرساميل · ويقال ان حجم هذه الرساميل المرسلة الى اسرائيل والذي لن يعلن عنه رسميا ، قد يزيد على ٢١ مليون راند · كما برهنت مؤسسة بنك الدم الرسمية وغيرها من المؤسسات ··· عن تأييد الاوساط البيضاء لاسرائيل ومساعدتها لها ·

حرب ١٩٧٣

سجل تأييد نظام بريتوريا لاسرائيل خلال حرب ١٩٧٣ منعطفا جديدا في تطور العلاقات بين البلدين · فقد رفعت بريتوريا العوائق المالية في وجه التحويل السريع للاموال المجموعة الى اسرائيل ، وقد يكون حجمها حوالي ٣٠ مليون راند ·

كما ذهب الى اسرائيل خلال الحرب وبعدها ، مئات المتطوعين الجنوب افريقيين للمشاركة في القتال او في مهمات اخرى · يقدر احد المقالات عدد الذين خدموا في القوات الاسرائيلية بـ ١٥٠٠ متطوع جنوب افريقي · كما اتجه مئات المتطوعين الى اسرائيل بعد الحرب للحلول مكان عمال الكيبوتزات الذين كانوا مجندين ·

ولكن دور جنوب افريقيا خلال حرب ١٩٧٣ كان اهم من ذلك كله · اعلنت الحكومة المصرية ان طائرة مقاتلة من طراز « ميراج » ، اصلها جنوب افريقي ، قد اسقطت على جبهة السويس ، ولمح مقال في صحيفة « ديلي تلغراف » اللندنية ، ان جنوب افريقيا بعثت عددا من الطائرات المقاتلة عن طريق جزر الازور ، لمساعدة اسرائيل ·

تسليم الاسلحة

تشير بعض المعلومات ان مساعدة جنوب افريقيا لاسرائيل خلال الحروب المتتالية ،

ظهرت ايضا عبر تأمين التجهيزات العسكرية · ففي كانون الثاني ١٩٧٠ ، اشارت «الوكالة التلغرافية اليهودية » الى ان جنوب افريقيا صدرت الى اسرائيل دبابات ضخمة وزنها ٦٥ طنا ، مصنوعة حسب النوع البريطاني « شيفتين » · رفض وزير الخارجية الاسرائيلي التعليق على هذا الخبر الذي كذبه المبعوث الاسرائيلي لدى منظمة الامم المتحدة ··

وفي اوائل الستينات ، حصلت جنوب افريقيا من شركة بلجيكية على رخصة تصنيع البندقية ـ الرشاشة من نوع « عوزي » التي اصبحت اليوم جزءا من اسلحة جيش جنوب افريقيا ·

وكانت جنوب افريقيا تود منذ وقت طويل شراء طائرات عسكرية من اسرائيل · فقد اجريت اتصالات عام ١٩٦٧ بين الصناعة الجوية الاسرائيلية وشركة « اطلس ايركرفت كوربوريشن » الجنوب افريقية لبحث امكانية استيراد جنوب افريقيا طائرات اسرائيلية من النوع الجديد «عرفاه» المدروسة خصيصا لمقاومة العمليات التمردية· ·اجريت التجارب على طائرات « عرفاه » في جنوب افريقيا ، ومن المحتمل جدا ان تكون بريتوريا قد اشترت عددا منها ·

معلومات اخرى تقول ان اسرائيل تجهز بريتوريا ايضا بالصواريخ بحر ـ بحر من نوع « كابرييل » من صنع اسرائيلي واعلنت « الديلي تلغراف » اللندنية ان هناك ٦ قواعد صواريخ قيد البناء في جنوب افريقيا ستجهز على الارجح بصواريخ « كابرييل » ·

ويشير مقال حديث في صحيفة « هيرالد تريبيون انترناشنال » ( ١٧ كانون الثاني ١٩٧٧ ) الى ان مجموع صادرات الاسلحة الاسرائيلية الى الخارج ارتفعت عام ١٩٧٦ الى ٣٢٠ مليون دولار مقابل ما معدله ٦٠ مليون دولار سنويا قبل ١٩٧٣ · ومجموعة الالات المعروضة تتالف من الاسلحة الخفيفة ( بنادق على انواعها ) والصواريخ ( كابرييل وشافير ) كما تتناول الاسلحة المضادة للدروع واجهزة الاتصالات العسكرية· وتظهر جنوب افريقيا في لائحة الزبائن ( الى جانب ايران وتايوان والشيلي وغيرها من بلدان اميركا اللاتينية ) · وخلال زيارة فورستر الى اسرائيل بحث موضوع بيع الطائرة الاسرائيلية القتالية كفير لجنوب افريقيا ·

### التبادل على مستوى التكنولوجيا العسكرية

ان استفادة جنوب افريقيا من تجربة اسرائيل على صعيد التقنيات المستخدمة في محاربة التمرد واستعمال الاسلحة الحديثة المتطورة ، تشكل دون شك احد اخطر نواحي التعاون العسكري بين البلدين ·

ففي حزيران ١٩٦٧ ، توجهت الى اسرائيل بعثة جنوب افريقية لدراسة استعمال بعض الاسلحة ودراسة خطة الحرب الخاطفة التي لجأت اليها اسرائيل في حرب الايام الستة ··· كما توجه رئيس اركان الجيش الاسرائيلي بعد الحرب الى جنوب افريقيا لالقاء محاضرات امام الضباط والاركان في هذا البلد فيعطيهم « دروسا » جنتها اسرائيل من تجاربها ···

وكشف الجنرال مئير عميت الرئيس السابق للاستخبارات الاسرائيلية ـ رئيس مجمع « كور » حاليا ـ خلال جولة قام بها في جنوب افريقيا ان الضباط الاسرائيليين يترددون بانتظام الى جنوب افريقيا لتدريب الضباط المحليين على اساليب الحرب الحديثة وتقنية مكافحة اعمال التمرد · واعلن الجنرال عميت رغم رفضه

الادلاء بمزيد من التفاصيل ، ان قوات الدفاع في جنوب افريقيا تستفيد من التجارب والمعلومات التقنية الاسرائيلية في ميدان صناعة الاجهزة الالكترونية للاستعمال العسكري ٠

### التعاون العطياتي

في نهاية الفصل التاسع حول التطورات الحديثة للتحالف الاســـرائيلي ـ الجنوب افريقي ، نورد بعض المعلومات حول دور اسرائيل في تحضير الهجوم على انغولا ودور المرتزقة الاسرائيليين ضد المناضلين السود في ناميبيا والزمبابوي ( روديسيا ) ٠

### ٩ ـ التطورات الحديثة في الحلف الاسرائيلي ـ الجنوب افريقي

اذا كانت علاقة القرابة بين الدولتين ـ في نشأتهما ، وعقيدتهما وطبيعتهما العنصرية المعلنة ـ تظهر في اوجه التشابه في بنيانهما وسياستهما ، وادت الى تدعيم مستمر فـي العلاقات بينهما ، فهي تنجلي بوضوح اكبر في فترة السنوات الثلاثة الاخيرة ٠

والنظامان يواجهان اوضاعا داخلية متأزمة وعزلة من قبل المنطقة التي تحيط بهمـا والمجتمع الدولي ٠ ومن الطبيعي ان يقارن القادة في جنوب افريقيا واسرائيل مشاكلهم وينسقوا جهودهم مؤكدين اصرارهم في محاولة الابقاء على انظمة « الشعوب المنفصلة » ٠

لا يسعنا هنا الا ان نعرض هذه الاوضاع بسرعة ونشير بشكل عابر الى بعض النواحي المهمة في هذا التعاون ومخاطره ٠

### الوضع الداخلي

ان الوضع الداخلي هو في حالة تأزم مستمر في الحالتين ٠ وفي الحالتين تزداد التناقضات الداخلية للنظام نفسه ٠

في جنوب افريقيا ، يواجه التصنيع السريع نقصا في الايدي العاملة المختصة ، (فالتشريع « للاحتفاظ بالوظائف » يؤدي الى انعدام الاعداد المهني في صفوف الافريقيين ) ، وصعوبة وجود اسواق خارجية ( نظرا الى ضيق السوق الداخلي ٠٠٠ ) : وهنا تكمن مصلحة جنوب افريقيا في التعاون مع اسرائيل لتأمين الاسواق عن طريقها ٠

وترجع اسباب الازمة الاقتصادية اساسا الى انخفاض سعر الذهب والتزايد الفاحش في النفقات العسكرية وانعكاس سياسة تأييد التضخم الاقتصادي الذي يتبعه نظام التمييز العنصري ٠

مصادر صحيفة « الفاينانشل ميل » ( جوهانسبورغ ) تقول ان الناتج القومي الاجمالي انخفض بنسبة ٤٪ (للشخص انواحد) خلال ١٩٧٥ ٠(٥٦) كما ازدادت البطالة بشكل ملفت للنظر اذ كانت تطال ٥٥٠ الف افريقي في منتصف ١٩٧٦ ، مما يفسر احدى نواحي تسرع الحكومة في منحها « الاستقلال » للبانتوستان ، فيصبح بامكانها امتصاص جزء من النتائج الاجتماعية والسياسية لهذا الوضع ٠

العلاج : نداء عاجل يطالب بالقروض والاستثمارات الاجنبية ٠ وسجل دخول الرساميل رقما قياسيا عام ١٩٧٦ اذ وصل الى ١٧٧٤ مليون راند (منها ١٢٦٣ مليون طويلة الاجل)٠

اما القروض في سوق الدولارات الاوروبية ، فبلغت ٣٥٠ مليون دولار عام ١٩٧٦ ( مقابل ٣٢١ عام ١٩٧٥ ) · ولكن صعوبات جنوب افريقيا للحصول على هذه القروض تتكاثر يوميا ، وهناك الكثير من الدلائل التي تشير الى قلق المستثمرين المتزايد بعد فشل اعتداء جنوب افريقيا على انغولا · ومع صعوبة المقاومة الافريقية في جنوب افريقيا نفسها ·

اما فيما يتعلق باسرائيل ، فيعطي مقال حديث لامون كابيليوك تحت عنوان « الاقتصاد الاسرائيلي يغوص في الازمة · » (٥٧) معلومات دقيقة حول : غلاء المعيشة ( حيث انخفضت القوة الشرائية لليرة الاسرائيلية خمسة اضعاف على ما كانت عليه عام ١٩٧٠) : التخفيضات المتتالية ( التي اضاعت لليرة منذ حزيران ١٩٧٥ ، ٢٥٪ من قيمتها ) ، عجز ميزان المدفوعات ( الذي ضرب الرقم القياسي العالمي : ٤ ملايين دولار عام ١٩٧٦ مقابل ٣ر٧ مليون دولار عام ١٩٧٥ ) · ونجد في المرتبة الاولى لهذا التدهور الاقتصادي الازدياد المذهل للنفقات العسكرية ( حوالي ٤٠٪ من الميزانية · ) · والعلاج الاساسي يكمن في المساعدة الاميركية التي سجلت هي ايضا ارتفاعا منظورا : ٧ مليارات دولار منذ ١٩٧٣ · ومنها ٢ر٤ مليارات للسنتين الاخيرتين « لولا المساعدة الاميركية التي اخذت حجما لا مثيل له في السنوات الاخيرة ، لانهار الاقتصاد الاسرائيلي · »

هذا القول ، ترجمه رئيس الوزراء رابين ، على النحو التالي : « ··· **في السنوات القادمة ، سنتمكن من الوصول الى المرحلة الامنية المطلقة ، ولكننا سنصلها راكعين** » · (٥٨)

لكن الاقتصاديين الاسرائيليين يخشون انخفاض هذه المساعدة بشكل ملحوظ في السنوات القادمة ، رغم انها تبدو مؤمنة في الوقت الحاضر ·

تمتص الصناعات الحربية جزءا كبيرا من البطالة ، وهذه الظاهرة محدودة ايضا نظرا لانخفاض الهجرة · والجدير بالذكر ان الاحصاءات لا تتناول العمال العرب في الاراضي المحتلة وقد عرضنا في وقت سابق شروطهم على صعيد سوق العمل ·

ويما يخص اسرائيل ، لا يمكننا ان نعالج الوضع الداخلي دون الاشارة الى تناقضين اساسيين :

١ ــ لقد اشرنا سابقا الى التناقض الناجم عن استغلال الايدي العاملة العربية ، والذي ينجلي في الواقع في التعارض بين المثل الاعلى « للعمل اليهودي » الذي اعلنه الصهاينة وتكوين طبقة من « الافندية » حاليا · ويضاف الى ذلك الممارسات في السوق السوداء ، وجو الفساد وموجة الفضائح المالية التي هزت البلد ·

٢ ــ انقلاب النسب المقلق في الهجرة الى اسرائيل ومنها · في نظام يستند على التدفق المستمر للمهاجرين الجدد الذي يشجعه قانون العودة والامتيازات المقدمة للمهاجرين الجدد · ولكن ومنذ ١٩٦٦ انخفض تيار الهجرة بصورة شبه مستمرة بينما يتضخم الاتجاه المعاكس ( الهجرة نحو الولايات المتحدة ، وكندا والمغرب حديثا ··· ) ·

وامام اهمية الظاهرة ( ينعتها بعض القادة « بالكارثة » و « والفضيحة القومية » ) يتساءل الصحفي بواز افرون ( « يديعوت احرونوت » ، ١١ شباط ١٩٧٧ ) : « ··· ما هي العاهة التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي ، فيعطي انطباعا انه يختنق وانه محكوم في اجل قصير ، الى حد يجعل العديد من الناس يفقدون الامل ويهاجرون ···؟ » ·

ويؤكد هذا التناقض الظاهري : « ان الاعلام الاسرائيلي يستخدم دائما حجة ضرورة توسيع الحدود لحل مشكلة اندماج المهاجرين وامكانية استيعاب عدد آخر في « اسرائيل الكبرى » التي اعيد تكوينها ... الذي يحصل في الواقع ، هو العكس تماما . فقد تأكد اتجاه الهجرة المضادة وانخفضت الهجرة الى اسرائيل في الوقت نفسه الذي توسعت فيه الحدود ( اي بعد حرب ١٩٦٧ ) » .

### التنازل للمتطرفين

ان عددا متزايدا من السكان البيض في جنوب افريقيا ومن السكان اليهود الاسرائيليين يعون طبيعة النظام الجائر لا بل الانتحاري ويرغبون في التغيير . ولكن ، وفي الحالتين ، تبقى سيطرة عناصر اليمين المتطرف الذين يمثلون خاصية النظام ، متينة .

لذلك رأينا السيد فورستر يؤيد بعزم ، رغم الضغوط التي مارسها عليه الليبراليون من ناحية ورجال الاعمال « المعتدلون » من ناحية اخرى ، موقف نائب وزير البانتوستانات الذي اعلن « ... السود هم مواطنون في بلد آخر ، وليس هناك اي مجال للبحث اطلاقا في حصولهم على الحقوق السياسية او في اشتراكهم في الحكم مع البيض في منطقة البيض ... ويمكن ان يؤدي الايمان بعدم التمييز الى امور خطيرة جدا . وهذا معناه ان مواطني الترنسكاي سيتمكنوا من القدوم الى ( كيب تاون ) كما يريدون وعندما يريدون ... » (٥٩) .

كذلك اثبتت حكومة رابين عجزها امام تحركات التجمعات اليمينية المتطرفة التي تؤيدها الاحزاب الدينية : في اقامتها « مستوطنات متوحشة » ( يعترف بها رسميا فيما بعد ) او في استفزازات الحاخام لفينغر في الخليل ، وايضا عندما لم تتخذ هذه الحكومة اي موقف ضد متصرف لواء الشمال ـ الجليل ( بعد تقريره الشهير الذي جعل يوري افنيري يقارنه « بحاكم مقاطعة نازية في الثلاثينات » ) رغم مطالبة السكان العرب في هذه المنطقة باستقالته .

في ٢٠ كانون الاول ١٩٧٦ ، خرج اليمين المتدين من الحكومة واعلن موعد مسبق للانتخابات في ايار ١٩٧٧ . وحاليا لا تشير تصريحات ممثلي الحكومة المؤقتة ( التي ترفض اي شكل من اشكال الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ) وقادة الجيش ( الذين ينادون مرة اخرى ، بحرب وقائية ) على اي بادرة في مراجعة السياسة العدوانية وضم الاراضي التي اتبعت حتى تاريخ يومنا هذا .

### العزلة الدولية

منذ ١٩٧٣ ، ورغم جميع الجهود التي بذلت لشق الصفوف بين السكان المسيطر عليهم ، وبين ممثليهم الشرعيين ، او الدول التي تساندهم ، لم تحصد جنوب افريقيا واسرائيل الا ازدياد الادانة من قبل الرأي العام الدولي .

ـ عام ١٩٧٥ ، اعلن عدم صحة تمثيل بعثة جنوب افريقيا لسكان جمهورية جنوب افريقية ، واستبعدت عن دورة الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة . ولم يعق طرد حكومة بريتوريا من المجتمع الدولي الا حق الفيتو الذي تتمتع به القوى الغربية في مجلس الامن .

– في آذار ١٩٧٦ ، انتهى اعتداء جنوب افريقيا على الاراضي الانغولية الى فشل تام ، وتعرضت حكومة بريتوريا مرة اخرى لادانة مجلس الامن ( ٣١ اذار ١٩٧٦ ) نتيجة اعتدائها واستعمال اراضي ناميبيا الدولية لـ « اعداد اعمال استفزازية وعدوانية ضد الدول المجاورة » ·

– في صيف ١٩٧٦ ، برهن امتناع معظم البلدان الافريقية عن الاشتراك في الالعاب الاولبية في مونتريال ، فشل محاولات جنوب افريقيا في اقامة « حوار » مع بعض الدول الافريقية متجاهلة الممثلين الحقيقيين للسكان السود في جنوب افريقيا ···

اما الحكومة الاسرائيلية ، فقد وجهت لها ضربتان قاسيتان :

– دعوة السيد ياسر عرفات الى عرض وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة ، والامتداد الطبيعي لهذا الحدث :

اكتسبت منظمة التحرير الفلسطينية وضع مراقب لدى الامم المتحدة والاعتراف الخطي في النصوص الرسمية لضرورة مشاركة م·ت·ف في اي مفاوضات تبحث عن حل في الشرق الاوسط ·

– قرار ١٠ كانون الاول ١٩٧٥ الذي يدين الصهيونية ·

لم تنجح جميع الحملات التي قام بها الصهاينة بمناسبة عملية عنتيبي ( واستغلالها الضخم عن طريق الصحافة، والسينما ··· ) و بمناسبة حرب لبنان نفسها ( حيث رأى الاسرائيليون وسيلة لاضعاف م·ت·ف وصفتها التمثيلية ) في منع الاتجاه نحو مؤتمر سلام حيث يصعب على الاسرائيليين المعارضة اللامتناهية لتمثيل فلسطيني حقيقي ·

**زيارة فورستر الى اسرائيل : توثيق الحلف**

سجل هذا الحدث منعطفا بقدر ما كان مناسبة لتوسيع نطاق العلاقات وجعلها رسمية بينما كانت حتى هذه الزيارة لا تزال سرية ويجري التقليل من حجمها من قبل الحكومتين·

وهذه المبادرة مرتبطة مباشرة بالظروف ( الداخلية والدولية ) المذكورة اعلاه · وقد سبقتها زيارات اخرى على مستوى عال : زيارة الجنرال موشي دايان ، والجنرال مئير عميت ( الرئيس السابق للاستخبارات الاسرائيلية ) ، والجنرال حاييم هرتزوغ ( وهو الآن المندوب الدائم لاسرائيل في منظمة الامم المتحدة ) الى جنوب افريقيا · وفي المقابل زار اسرائيل وزير الداخلية والاعلام في جنوب افريقيا ، والجنرال فان دين برغ مسؤول الـ B.O.S.S المشؤوم ·

وقد علقت الصحافة العالمية باسهاب على اللقاء الرسمي فورستر – رابين والاتفاقات الناتجة عنه ، بخلاف الزيارات السابقة ·

ابتهجت صحافة جنوب افريقيا علنا : « يبدو جليا ان الميثاق هذا يتجاوز كثيرا اتفاقات التعاون والتبادل التجاري التي تنهي عادة الزيارة الرسمية التي تقوم بها شخصية ما الى بلد صديق ··· ويتناول هذا الميثاق بشكل اساسي تبادل المواد الاولية ومعلومات البلدين التقنية العسكرية التي يحتاجانها بشدة · فهو مسالة بقاء بالنسبة لهما · وهنا يكمن الدافع الاقوى ··· » (٦٠) ·

« لا يمكن نفي وهج الانتصار الذي احرزه السيد فورستر هذا الاسبوع ··· فهو ، عندما وقع علنا ، ميثاقا اقتصاديا وعلميا وصناعيا مع اسرائيل . ذهب ابعد من الاعتراف الرسمي بعلاقات كانت قد تدعمت على كل حال · فقد ربح لقضية جنوب افريقيا صديقا علنيا وحليفا صريحا في وقت يواجه فيه بلدنا عالما تزداد معارضته وقارة افريقية سوداء في موقف عدائي متزايد » · (٦١)

اما الصحافة الاسرائيلية ، فقد عبرت عن ارتياحها في لهجة اكثر اعتدالا ، وكشفت عن بعض الحرج في اقوال سفير اسرائيل في جنوب افريقيا ، ي اونا ، في المقابلة المشار اليها اعلاه : « ··· اظن ان نتائج زيارة السيد فوربستر ستكون خيرة لاسرائيل خاصة على الصعيد الاقتصادي · وايضا على صعيد التسهيلات التي ستمنح للطائفة اليهودية الجنوب افريقية للاشتراك بصورة انشط من الماضي عن طريق الاستثمارات والوسائل الاخرى في مساعدة اسرائيل لحل مشاكلها الاقتصادية ··· ونعلم انه سيكون لها في المقابل . ردات فعل سلبية ···· واظن ان النتائج الايجابية ستفوق النتائج الاخرى في اخر المطاف ··· » (٦٢)

وحاولت الصحافة الغربية تقدير مضمون الاتفاقات المعقودة :

صحيفة « نيويورك تايمز » ، ١٧ نيسان ١٩٧٦ · « ان الرسميين الاسرائيليين يبدون ارتياحا كبيرا لهذه الزيارة · وينتظرون من الاتفاق المعقود تكثيفها سريعا للتبادل بين البلدين . فتاتي جنوب افريقيا بالمواد الاولية وتؤمن اسرائيل الموظفين المختصين وذلك في اطار مشاريع مشتركة · كما يتوقعون تعاونا وثيقا على صعيد الابحاث العلمية ·

· ومن المرتقب ايضا ازديادا مهما في شحنات الاسلحة · ويبدو ان جنوب افريقيا مستعدة لتمويل الصناعة الحربية الاسرائيلية وتبدي اهتماما في شراء الطائرة الاسرائيلية النفاثة « كفير » · وفي المقابل . تؤمن جنوب افريقيا حاجة اسرائيل في مادة الاورانيوم ·

· ومهما كانت البنود الدقيقة للاتفاق الموقع ، فهو يأتي ترسيخا لتوسيع نطاق التبادل بين بلدين معزولين ديبلوماسيا ومحاطين بدول معادية ··· وتستند علاقاتهما على الوضع المتشابه وعلى اعتبارات علمية اقتصادية ، عسكرية وسياسية » ·

صحيفة « تايمز » اللندنية ، ٣ نيسان ١٩٧٦ · « تعاني جنوب افريقيا من بعض الصعوبات في تأمين الاسلحة الحديثة نتيجة الحظر المضروب عليها : فاسرائيل هي احدى الدول القليلة التي يمكن ان تؤمنها لها وايضا ان تفيدها من التجربة التي اكتسبتها في حروبها ضد العرب ··· وتماثلت جنوب افريقيا باسرائيل اكثر فاكثر خلال السنوات الاخيرة ، ويجري التركيز على التشابه بين تطور النظام الصهيوني وتطور النظام الافريقاني » ·

صحيفة « لوموند » ، ١٥ نيسان ١٩٧٦ ، تعطي الايضاحات التالية : « ··· ارتفع حجم مبيعات الاسلحة الاسرائيلية الى جنوب افريقيا من ٣٫٤٥ ملايين دولار منذ ٨ سنوات الى اكثر من ٤٣ مليون دولار حاليا · وهناك آراء حول احتمال تأمين اسرائيل اجهزة حربية معقدة لجنوب افريقيا ، وحتى الطائرات » ·

صحيفة « البرافدا » السوفياتية تدين « ··· التواطؤ بين تل ابيب وبريتوريا الموجه ضد حركات التحرر العربية والافريقية ··· » وتؤكد ان « ··· الاسرائيليين يودون بيع طائرتهم المقاتلة « كفير » لجنوب افريقيا بينما تهتم الدولة الصهيونية خاصة في ان تمدها

بريتوريا بالمواد الاولية ومنها الاورانيوم ، وهذا دليل واضح على بذل جهود الطرفين الصهيوني والعنصري لصناعة الاسلحة النووية » ٠

وتوافق هذه المهمة ، مهمة الـ .A.N.C (٦٣) التي اصدرت بيانا عند اعلان زيارة فورستر ، تقول فيه :

« هذه الزيارة هي برهان ونهاية عملية تعاون طويلة بين البلدين والتي تشكل خطرا كبيرا يهدد السلام العالمي : اسرائيل في الشرق الاوسط وجنوب افريقيا للقارة الافريقية ٠ هذه الزيارة تؤكد التعاون الوثيق بين البلدين على الصعيد الاقتصادي والسياسي والعسكري ، **وليس لدينا اي شك في ان هذا التعاون يمتد ايضا الى الصعيد النووي** ، بهدف الاعداد للحرب ضد البلاد المجاورة . ولمواجهة حركات التحرر القومية » ٠

**التعبئة العسكرية المكثفة**

في الوقت الذي تعمق فيه التعاون العسكري بين الدولتين ، عملتا على زيادة امكانياتهما في هذا المضمار بشكل واسع جدا ٠

فالنفقات العسكرية الجنوب افريقية التي كانت عام ١٩٧٤ عشرة اضعاف ما كانت عليه عام ١٩٦٠ ، تضاعفت ثلاث مرات منذ هذا التاريخ ( ٧٤ ) فأصبحت قيمتها ١٣٥٠ مليون راند لعامي ٧٦ ــ ١٩٧٧ بعد ان كانت ٦٩٤ مليون راند لفترة ١٩٧٤ــ١٩٧٥ ٠ وقد اقتربت جنوب افريقيا من هدفها بفضل التوظيفات الاجنبية والتبادل التكنولوجي وشراء رخص التصنيع وهو **الاكتفاء الذاتي في ميدان انتاج الاسلحة والذخائر ، بما فيها الصواريخ والغازات الحربية ، الخ** ٠ ذلك دون ان تستغني عن الواردات الاجنبية ( خاصة في مجال البحرية ) ٠

وقد عرضت الحكومة الجنوب افريقية عام ١٩٧٦ « قانون الدفاع » على التصويت ٠ يمنحها هذا القانون ، حرية زج قواتها العسكرية « في اي مكان جنوب الخط الاستوائي » تحت شعار الدفاع الوقائي او تبعا لنظام « ملاحقة الارهابيين » ٠

واستطاع اللوبي المؤيد للصهيونية بعد مراوغات عديدة وضغوط ساهمت في فعاليتها المرحلة الانتخابية في الولايات المتحدة ، احراز مساعدة عسكرية اميركية لاسرائيل لا مثيل لها ( تمت على شكل هبات وديون لتمويل شحنات الاسلحة التي وافق عليها « الكنغرس » ٠ وهذا العتاد الذي جهزت او وعدت به اسرائيل يتشكل من الاجهزة المتطورة ، القنابل الموجهة بالليزر ، الطائرات العمودية المزودة بالصواريخ المضادة للدروع ، الرادارات الحديثة جدا لاستخدامها في القتال الليلي والتي لا تركب فقط على الطائرات بل ايضا على الزوارق والمدافع ، الخ ) ٠ وقد سلمت اول ثلاث نماذج من الطائرة الاميركية « ف ١٥ » ــ من اصل ٢٥ طائرة ــ في اواخر ١٩٧٦ ٠ ويعتبر الاخصائيون الحربيون في اسرائيل ، ان ميزة هذه الطائرات هي « توسيع النطاق الهجومي الاسرائيلي » الى مسافة ابعد بكثير من حدودها ٠٠٠ ( في الوقت نفسه ، كان الجنرال غور يصرح ان العربية السعودية هي احدى البلاد التي تواجهها اسرائيل مباشرة ) ٠ ومرة اخرى ، نرى ان الكيان الصهيوني يفضل الاعتماد على تفوقه العسكري بدلا من البحث عن سبيل للتعايش مع جيرانه على اسس القرارات الدولية ٠٠٠

- تنبأ الجنرال ياريف ، الرئيس السابق لاجهزة المخابرات ، انه يمكن ان تنشب الحرب في آخر ١٩٧٧ او اول ١٩٧٨ لان العرب يضعون شروطا لا يمكن ان تقبلها اسرائيل · واكد السيد رابين ورئيس الاركان غور ، ان اسرائيل هي اقوى مما كانت عليه قبل حـــرب ١٩٧٣ ومستعدة اكثر من اعدائها العرب · ونشرت مجلة الجيش مذكرة من الجنـــرال تال ، احد اهم الاستراتيجيين الاسرائيليين ومستشار وزير الدفـــاع · يعلـــن فيهـــا ان السياسة الوحيدة التي يحتمل ان تؤمن النصر في الحرب القادمة نظرا الى اختلال ميزان القوى من الناحية العددية ، هي الهجوم الوقائي » · (٦٤)

وتحاول دولة اسرائيل ، مثلها مثل جنوب افريقيا ، ان تؤمن نوعا من الاستقـــلال النسبي على صعيد تموينها العسكري ولذلك تكثف صناعتها الحربية ·

وبلغت قيمة صادرات الاسلحة الاسرائيلية ٥ مرات ما كانت عليه عام ١٩٧٣ ، فانتقلت من معدل ٦٠ مليون دولار في السنة قبل ١٩٧٣ الى ٣٢٠ مليـــون دولار عـــام ١٩٧٦ · وتتراوح مجموعة الاسلحة المعروضة من الاسلحة الخفيفة مثل البنادق الرشاشة « عوزي » الى الطائرات المقاتلة « كفير » ، مرورا بالصواريخ ( « غابرييـــل » و « شافيـــر » ) · والزبائن الاساسيون هم جنوب افريقيا ، ايران ، تيوان ، الشيلي وبعض دول اميركا اللاتينية الاخرى ··· هل بدأ تطور صناعة الاسلحة المدهش في اسرائيـــل وطاقاتهـــا الحربية ، يقلق الولايات المتحدة الاميركية ؟ ··· فالادارة الجديدة ، في نفس الوقت الذي اعطت لقادة تل ابيب التأكيدات حول التأييد الاميركي ، قررت أن تمانع :

– في بيع اسرائيل قنابل انشطارية ( التي استعملت في فيتنام ) ذات قوى مدمـــرة يزيد في فعاليتها كونها تبيد اوكسيجين الهواء على مسافات واسعة ·

– وفي تسليم اسرائيل لحكومة « الاكوادور » الطائرات الاسرائيلية الصنع من طراز « كفير » ، « المحسنة » بجهاز صنع اميركي ·

## الخيار النووي

ان الناحية المقلقة جدا في سياسة التعبئة العسكرية المكثفة للنظامين ، هـــي دون شك الجهد المبذول في تكوين سريع لطاقة نووية هجومية ·

منذ وقت طويل ، تقدم جنوب افريقيا واسرائيل على ابحاث نووية ، بصورة شبـــه سرية ، وبمساعدة القوى الغربية · وتلمح الحكومتان الى انهما لا تستبعدان اللجوء الى السلاح النووي · لم توقع اي منهما معاهدة الحد من الاسلحة النووية · واختارتا حاليا الاعلان عن قدرتهما النووية علنا لتكفلا تفوقا عسكريا « مطلقا » ، وايضا في سبيل اخافة الدول العربية والافريقية ·

اصبح اول محرك نووي جنوب افريقي جاهزا للعمل في نيسان ، واعلن رئيس الوزراء فيرفورد يوم تدشينه : « ان جنوب افريقيا هي احد اول منتجي الاورانيوم في العالـــم · ويجب على جنوب افريقيا ان تبحث في طرق استعمالـــه لغايـــات سلميـــة وليس فقـــط عسكريا » ··· (٦٥)

ولكن اذا تمتعت جنوب افريقيا بهذه المادة بالرساميل بصورة وفيرة ، كان ينقصهـــا الخبراء · فوجدتهم اساسا عبر تعاونها الوثيق مع المانيا الاتحادية ·

ويتردد اسم ف·ج· ستراوس ، سبق ان كان وزير البحث في حكومة بون ، دائما في الاتفاقات المعقودة والتي تعقد حاليا ، بين جنوب افريقيا والمانيا الاتحادية · وفي عام ١٩٧٥ ، نشرت الـ.A.N.C وثيقة تفضح مدى هذا التعاون واستمراريته · كما اثار بيع فرنسا محركين نووين لمراكز توليد الطاقة الكهربائيـة ، لحكومة بريتوريـا ( مشروع كوبرغ ، وآخر لم يعرف مركزه ) ، ردات فعل كثيرة لانه يمكن استخدامها لانتاج مادة البلوتونيوم المستخدمة لاهداف عسكرية · ومن هذه الناحية ، فانشاء بليندابا لزيادة مركبات الاورانيوم على اساس رخصة انتـاج المانية الاصل ( « جت ـ نوزل » ) ، هي مقلقة للغاية · وتشير الوثيقة نفسها ، ان شركات المانية غربية هي التي صممت هذا المركز الصناعي وانجزت الجزء الاكبر منه وجهزته تنفيذا لمشروع من الحلف الاطلسي ، غايته لا يمكن أن تكون الا عسكرية » · (٦٦)

وما ان انتهت حملة السويس ، حتى شرعت الحكومة الاسرائيلية في بنـاء محرك نووي في النقب ، وفي حين كانت الاتفاقات المعقودة مع فرنسا تشير الى مساهمة جنوب افريقيا · وايد الوزير الالماني ستراوس بشدة مشروع القوة الضاربة الاسرائيلية ·

تعلن صحيفة « لوموند » الصادرة في تاريخ ١٢ تموز ١٩٧٥ : « يقول الصحفي تاد تزولك ان اجهزة الاستخبارات الاميركية مدت اسرائيل بمساعدات مهمة جدا ، منذ بعض السنوات ، لتأييد جهودها في امتلاك الاسلحة النووية · وكانت الادارة الاميركية تحت حكم ايزنهاور عام ١٩٥٦ قد وكلت السيد انكلتون ، الرئيس السابق لاجهزة الاستخبارات، تقديم « التأييد التكنولوجي » للخبراء الاسرائيليين في مركز ديمونا النووي ، وقد ارسل سريا الى ديمونا عدد كبير من علماء الذرة المتفوقين » ·

ولكن ، لم يعلن الكيان الصهيوني علنا عن « الخيار النووي » الا منذ ١٩٧٤ ، حيث نرى رئيس الدولة الاسرائيلية نفسه يتكلم عن الموضوع ·

في ١٩٧٥ ، علقت صحيفة « هآرتس » اليومية ، على مقال للدكتور داوتي ، رئيس فرع العلاقات الدولية للجامعة العبرية في القدس ، يقول فيه : « اذا لم تؤمن اسرائيل امكانية « الانتقام النووي » تكون قد ارتكبت خطأ لا يغتفر في وقت يتبدل فيه ميـزان القـوى التقليدية لغير مصلحتها ···· » وينهي بالدعوة الى وضع برنامج طارىء يبحث في اللجوء الى الاسلحة النووية حتى « في ظروف اقل خطورة » ، ولا يستبعد « استخدامها الانتحاري » من قبل اسرائيل ··· (٦٧)

وفي ٢٩ حزيران ١٩٧٥ ، تنشر صحيفة « هآرتس » نفسها ، مقالا لشلومو اهارونسن يؤكد فيه « ضرورة اعادة النظر في الموقع الستراتيجي ـ السياسي الاسرائيلي » : « ان السلاح النووي هو احدى الوسائل التي يمكنها ان تنهي آمال العرب في النصر النهائي على اسرائيل ··· ان عددا كافيا من القنابل الذرية يمكنها ان تحدث اضرارا بالغة في جميع العواصم العربية ، وان تسبب في انهيار سد اسوان · ومع كمية اكبر ، بامكاننا اصابة المدن المتوسطة الحجم والمنشآت النفطية ··· » ·

يقدر « براين بكيت » في مجلة « ميدل ايست انترناشونال » تشرين الثانـي ١٩٧٦ ، مستندا على مراجع عديدة ، ان مجموعة الاسلحة النووية الاسرائيلية الحالية تبلغ من ١٣ الى ٢٠ قنبلة من نوع قنابل هيروشيما · ويأخذ بعين الاعتبار بعض النواحي التقنية ليؤكد ان لهذه « القوى الضاربة » فعالية اساسية كوسيلة ضغط في يد اسرائيل على الولايات المتحدة ·

وعلينا ان نفهم اتفاق التعاون التقني والعلمي الذي عقد مؤخرا بين جنوب افريقيا واسرائيل وجميع العلاقات الثنائية التي يقوم بها كل منهما مع دول تبدي استعدادها لساعدتهم في تأسيس « قدرة نووية » ، من هذا المنظار الذي يظهر ازدواجية الهدف ·

**تأييد الغرب**

ان المرحلة التاريخية التي اوصلت كلا من جمهورية جنوب افريقيا والدولة اليهودية للمطالبة « بالاستقلال » عن الدولة المنتدبة ـ بريطانيا ـ لم تحدث اي انفصام في علاقتهما بالعالم الغربي ، وخاصة مع الولايات المتحدة التي ترأست ما يسمى « بالعالم الحر » ·

لم يكن بامكان اي من الدولتين البقاء ، سياسيا واقتصاديا ، ولا امتلاك قوى عسكرية ضخمة كالتي تتمتع بها ، لولا تأييد الدول الغربية النشيط والمستمر ·

ظهر هذا التأييد على الصعيد الديبلوماسي عبر التصويت في منظمة الامم المتحدة واستخدام حق الفيتو في مجلس الامن كلما دار البحث حول اتخاذ عقوبات فعلية ضد نظام التمييز العنصري او حول الاعتراف الفعلي بحقوق الفلسطينيين · بل تبين التأييد الغربي في الحالتين في المساعدة الاقتصادية والعسكرية الحاسمة من خلال التبادلات الثنائية او عبر هيئات دولية ·

ولدى جنوب افريقيا ضمانتان اساسيتان للحصول على هذا التأييد :

توافر المواد الاولية المرغوبة بشكل خاص ( الاورانيوم ) وموقعها الستراتيجي ·

تسجل الشركات المتعددة الجنسيات والحكومات التي توظف اموالها في صناعات او مناجم جنوب افريقيا ( وناميبيا ) ارباحا استثنائية ( معدل الربح : ١٥ الى ٢٠٪ ) ، نتيجة الاجور المنخفضة المدفوعة للعمال الافريقيين · لذلك تتدفق رؤوس الاموال الاجنبية وقد وصل حجمها الى ١ر٢ مليار دولار للسنة الضريبية ١٩٧٤ـ١٩٧٥ فقط ، بعد ان مرت بين ١٩٦٨ و ١٩٧٤ من ٤ر٦ الى ٩ر١٠ مليار دولار · ولا تزال المصالح البريطانية ، تمثل اكبر حجم ( ٥٨٪ من المجموع ) ، لكن قيمة الاستثمارات الاميركية تزداد بمعدل ٢٠٪ سنويا منذ ١٩٧٢ ·

ولهذا التدخل الاقتصادي اهمية حاسمة بالنسبة لحكومة جنوب افريقيا ليس فقط من ناحية التصنيع الذي يعطي لها الدور المحدود في المنطقة ، بل ايضا من ناحية الاهمية السياسية الاكيدة · فالمستثمرين الذين يستمتعون بفوائد مهمة من جراء هذا التعاون يتمنون بالطبع بقاء هذا النظام وازدهاره · وقد توسعت امكانيات الحلف الاطلسي العسكرية بشكل يتيح له التدخل في حال وجود تهديد حقيقي لهذا النظام · ويهدف عدد كبير من التدخلات الغربية في منطقة افريقيا الجنوبية ـ عن طريق « تنازلات » او تهديدات صريحة بالتدخل العسكري ـ الى منع وصول الاكثرية السوداء الى الحكم في دول هذه المنطقة ·

وتزداد الاهمية السياسية لجنوب افريقيا نتيجة قيامها بدور الحارس لمصالح « العالم الحر » ، ولطريق راس الرجاء الصالح البحرية الضرورية جدا في تموين اوروبا والولايات المتحدة النفطي · وعلق الجنرال كرولز ، رئيس الاركان السابق للجيش الهولندي ، حول هذا الدور الستراتيجي :

« انني مقتنع اكثر من اي وقت مضى انه ليس من دور جنوب افريقيا ان تتوسل للحصول على تأييد وعلى زوارق واسلحة . بل على العكس ، يجب على دول الحلف الاطلسي ان تطلب من جنوب افريقيا ان تفعل ما في امكانها للمحافظة على مركزها في القارة الافريقية ، وان تساعد دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة ليس فقط في حماية الطرق البحرية ، بل ايضا في منع التغلغل السوفياتي في البلاد الافريقية » . (٦٨)

وتقول مصادر « الحركة المناهضة لنظام التمييز العنصري » في المانيا الاتحادية ، ان المحادثات التي عقدت في مكان ما في منطقة بافيير الالمانية بين السادة كيسنجر وفورستر وشميدت ، تناولت موضوع هذا التعاون الستراتيجي بشكل اساسي . ويقال ان وزير الشؤون الخارجية الاسرائيلي ، ييغال ألون ، اشترك في هذه المحادثات .

وقد نددت العديد من الهيئات بهذه الوضعية في الساحة الدولية والهيئات هي :

- اللجنة الخاصة حول التمييز العنصري ، التابعة للامم المتحدة ( ٩ ايلول ١٩٧٥ ) « شيد نظام جنوب افريقيا مجموعة من طرق المواصلات الهاتفية البحرية في سيلفرمين وطورت اسطولها البحري في سبيل توثيق العلاقات العسكرية مع بعض القوى الغربية وحثها على حمايتها ضد غضب الشعب المضطهد » .

- ومؤتمر رؤساء وزارات الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية ابدى قلقه امام : « تزايد نشاطات نظام جنوب افريقيا العسكرية والبحرية في المحيط الهندي جنوب المحيط الاطلسي » .

- المؤتمر الخامس لرؤساء دول وحكومات البلاد غير المنحازة المجتمعين في كولومبو والذين ادانوا : « وجود قواعد عسكرية جنوب افريقية في المنطقة ، وعلى وجه التحديد ، قاعدة سيلفرمان وسيمونزتاون ، ومشروع ادفويست للمواصلات الهاتفية البحرية ، والتعاون العسكري بين نظام بريتوريا واسرائيل وبعض القوى الغربية » .

**اسرائيل**

استولت الولايات المتحدة الاميركية شيئا فشيئا على موقع النفوذ البريطاني في الشرق الادنى . ومنذ ايار ١٩٤٨ ، وعد الرئيس ترومان وايزمان بقرض للدولة الجديدة يبلغ مئة مليون دولار واخذت الولايات المتحدة على عاتقها تأمين الدولة اليهودية عسكريا ، وازدادت مساعداتها باستمرار مع مرور الزمن نتيجة ضغوط المنظمات اليهودية واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة . « ازدادت المطالب الاسرائيلية منذ حرب ١٩٦٧ بشكل مأساوي ... تنتظر اسرائيل حاليا من الولايات المتحدة مساعدة عسكرية واقتصادية تبلغ قيمتها حوالي ٢ مليار دولار في السنة . ويتضح ان هذه المساعدة لا تكتسب طابع الاستثناء لمواجهة حالة طارئة ، ولكنها ضرورة مستمرة . وهذه القيمة تمثل حوالي نصف مجموع المساعدة الاميركية للخارج ... » (٦٩)

وهذه المساعدة تمنح تحت شكل هبات وقروض . ويقول الان تيلور (٧٠) انها تكلف كل مواطن اميركي ( رجل او امرأة او طفل ) اكثر من ١٠ دولارات سنويا . ولكنه يزيد ان الكلفة السياسية لا حساب لها . لان هذه المساعدة تشجع اسرائيل في سياسة الامر الواقع التي تتبعها ، والتي تعني ابعاد واضطهاد الفلسطينيين ، وسياسة التوسع عن

طريق الحرب ، والقمع الممارس على اهالي الاراضي المحتلة · ويحتج تيلور على ان هـذه المساعدة مغايرة لروح نصوص الكونغرس التي تشترط منح المساعدة لبلد ما على ضوء احترام هذا الاخير لمبادىء ميثاق الامم المتحدة ·

علق الفرد ليلينتال ، على ضخامة المساعدة الاميركية لاسرائيل قائلا : « تتمتع اسرائيل بوضع مؤات افضل من كونها الولاية الاميركية الحادية والخمسين ، بفضل نشاط فريق التأثير الاكبر نفوذا في واشنطن ، ونتيجة اهتمامات اعضاء الكونغرس الانتخابية » · (٧١)

يذكر الشيخ الاميركي السابق ، وليم فولبرايت ، في مداخلته امام المؤتمر السنوي التاسع والعشرين لمعهد الشرق الاوسط ، ان نصف الواردات الاميركية من النفط والغاز ، خلال فترة العشر سنوات القادمة ، ستأتي من الشرق الاوسط ، ويستخلص قائلا : « ان الموقف الحكيم في هذه الظروف ، هو اعادة النظر في سياستنا الحالية الغامضة والمشككة تجاه الدول العربية المنتجة للنفط ··· والمسألة الوحيدة التي نختلف عليها معهم هـي تأييدنا المستمر لاستمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي التي استولت عليها عام ١٩٦٧ ، عن طريق مد اسرائيل بالمساعدات العسكرية ··· » (٧٢)

كما تظهر المساعدات الغربية لاسرائيل ، من خلال العرض الذي تقدمت به دول السوق المشتركة من اجل اشتراك اسرائيل في السوق منذ ٧ حزيران ٦٧ ، من دون اخذ التردد الذي ابداه الخبراء ، بعين الاعتبار ( لوموند ١١ـ١٢ حزيران ٦٧ ) ·

ويجب ان نذكر ايضا ـ الى جانب مساعدات يهود الدياسبورا ـ بأهمية المساعـدات الاساسية التي تدفعها المانيا الاتحادية للدولة اليهودية بحجة التعويض عن الاضرار التي تحملها ضحايا الحرب · وفي المقابل ، فقد وقفت دولة اسرائيل دائما الى جانب السياسة الغربية ـ وخاصة الاميركية ـ في كوريا وفيتنام ، الخ · وتبادلت مع هذه القوى المعلومات حول الاسلحة السوفياتية التي غنمتها اسرائيل مقابل اسلحة جديدة · فاسرائيل تقـوم بدور الشرطي للحفاظ على المصالح الغربية في الشرق الاوسط ، مثلها مثل جنوب افريقيا في القارة الافريقية ·

وهذه الحجة ، لا اهمية لها الا في اطار الحرب الباردة ، التي يرى فيها المسؤولون عن النظامين ، شرطا للبقاء ··· ويحاولون باستمرار التذكير باهمية دورهم ضمن الجهـاز الدفاعي الغربي في كل من منطقتي افريقيا الجنوبية والشرق الاوسط ·

هكذا يصرح ايدلبورغ ( الاستاذ في جامعة بار ـ ايلان اليهودية في اسرائيل ) انـه « ليس هناك سلام حقيقي ممكن بين اميركا الديموقراطية وروسيا الشيوعية · كما هو الحال بين اسرائيل الديموقراطية والدول العربية ··· » ولا يخشى ان يضيف : « ··· ان امن اسرائيل ضروري لامن الولايات المتحدة من الناحية السيكولوجية وايضا مـن الناحيـة الجيوسياسية · فاذا سقطت اسرائيل وهي موطن الديمقراطية الوحيـد فـي الشـرق الاوسط ستدمـر المعنويـات الاميركيـة تماما » · ( صحيفة « معاريف » ، ٤ شبـاط ١٩٧٧ ) ·

نجد هذا التخوف نفسه في دفاع عن جنوب افريقيا ، نشر في صحيفـة « مارتس » ( ٨ شباط ١٩٧٧ ) حيث يعبر كاتبه عن قلقه امام تصريحات مندوب الولايات المتحـدة الجديد في الامم المتحدة ، « العبد المبشر » ( نعم بهذه العبارة ) اندرو ينغ · يعاتب هذا الاخير كونه يتماثل بشكل « عاطفي » مع المناضلين الافريقيين في روديسيـا وجنـوب

افريقيا ، ويبدي « الاعتبارات الاخلاقية » على متطلبات السياسة الواقعية التي سادت حتى الان — والتي يجب ان تسود ، حسب رأيه — في السياسة الخارجية الاميركية ··· ويعطي هذا الانذار : « ··· اذا مورست الضغوط على حكومة جنوب افريقيا · واذا عزلت ، فلن يؤدي هذا الى تبديل سياستها بل الى تصلب موقفها ، وينتج عن ذلك اضعافها على الصعيد الدولي وتفقد بالتالي دورها الستراتيجي المهم في هذه المنطقة من العالم » · في الواقع ، فان هدف السياسة الصهيونية هو تقسيم العالم العربي واجبار دوله على تخصيص مبالغ مهمة لميزانيتها العسكرية بدلا من ان توظفها لانمائها · وفيما هي تشجع ، عن طريق وسائل الاعلام الصهيونية ونفوذها على وسائل الثقافة الجماهيرية في الغرب ، الشعور العنصري المضاد للعرب وتغذي هوس « الازمة » والنقمة على الدول المنتجة للنفط ، يذهب الاسرائيليون الى ابعد من ذلك : يقترحون خدماتهم في حال تدخل عسكري اميركي ··· وهكذا اعلن الجنرال كارويشي عام ١٩٧٥ : « يمكن ان يلعب الجيش الاسرائيلي دورا مع القوى التي ستحل المشكلة على الصعيد العسكري ·· فلا بد ان تطرح نفسها اية عملية عسكرية اميركية في شبه الجزيرة العربية او في الخليج الفارسي بشكل مختلف تماما ، اذا كان جيش الاسرائيلي على استعداد، ليس بالضرورة للمشاركة في الاستيلاء على الاراضي، بل لمنع الدول العربية التي تنعم بقوى عسكرية — مثل مصر ، سوريا ، العراق والى حد ما ، الاردن — من التدخل في ساحة العمليات ··· » (٧٣)

### التعاون على ارض المعركة

ان التحرك المؤيد العفوي الذي دفع جنوب افريقيا الى جانب اسرائيل اثناء حروب ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، ضد « العدو المشترك » يدفع الاسرائيليين اليوم للتدخل بشكل ملموس جدا في المواجهة التي ستتفاقم اكثر واكثر غدا مع حركات التحرر في منطقة افريقيا الجنوبية ·

وسنكتفي هنا بسرد الوقائع التالية :

— في ٣ نيسان ١٩٧٦ ، اشار مراسل صحيفة « الديلي تلغراف » في جوهانسبورغ ان ضباطا اسرائيليين يساعدون جيش جنوب افريقيا في تحضير الحملة على انغولا · ويشير المصدر نفسه ان الجنرال ر·هـ·د· رودجرز في القوات الجوية الجنوب افريقية اعلن ان احد الاسباب التي ادت الى تسجيل عدد قليل جدا من الضحايا خلال هذه الحملة ، هو الاعتماد الكامل على التقنيات الاسرائيلية في نقل الجنود الجرحى على خط النار ومعالجتهم ·

— اكد السيد فريدمان ، العضو في المعارضة ضمن البرلمان الاسرائيلي ، في حزيران ١٩٧٦ ، ان مئات الجنود الاسرائيليين يدربون وحدات جيش جنوب افريقيا ويشتركون في مناورات التدريب · (٧٤)

— ورد في صحيفة « لوموند » تاريخ ٢٢ آب ١٩٧٦ : « اتهم رئيس منظمة السوابو (٧٥) الجنوب افريقيين بالاستعانة بمرتزقة بريطانيين وجنود اسرائيليين لمراقبة المنطقة الامنية التي تمتد على ٥٠ كلم والتي يحاولون انشاءها على طول الحدود التي تفصلهم عن ناميبيا وانغولا وزامبيا ·قال السيد نوجوما « ان هذا الوضع مستمر منذ ٤ سنوات · بدأ الجنوب — افريقيون مؤخرا ، استعمال الاسرائيليين لمساعدتهم في مراقبة هذه المنطقة

الحاجزة ، بصفتهم خبراء في حرب الصحراء » ٠

ــ اعلنت صحيفة « يديعوت احرونوت » في آب ١٩٧٦ : « منذ عملية انتيبي والمنظمات الخاصة التي تعمل في جنوب افريقيا وروديسيا تحث وكالات تطويع المرتزقة في بريطانيا ان توظف جنودا اسرائيليين للحفاظ على امن الحدود بين روديسيا والموزامبيق ٠ ويصل اجر الذين يقومون بمهمات القيادة والتدريب الى عشرة آلاف ليرة اسرائيلية شهريا ٠٠٠ وتبحث الاجهزة المختصة في نشر اعلانات في الصحف الاسرائيلية ، تعرض على الذين يحبون الحرب ، عملا ممتازا ٠٠٠ » (٧٦)

ان غارات القصف التي يقوم بها سلاح الجو الروديسي ــ تسانده في ذلك طائرات من جنوب افريقيا وبلدان اخرى ــ على اراضي موزامبيق باسم « حق ملاحقة الارهابيين » تشبه عمليا ، عمليات القوات الجوية الاسرائيلية في قصفها المتواصل منذ سنوات لقرى جنوب لبنان ٠٠٠

« تفرقة صفوف الافريقيين والعرب ٠٠٠ »

في الوقت الذي كان رئيس الوزراء فورستر يزور اسرائيل في نيسان ١٩٧٦ ، اعلنت السيدة جان مارتين سيس ، رئيسة اللجنة الخاصة للامم المتحدة ضد التمييز العنصري حينها ، ووزيرة الشؤون الاجتماعية في جمهورية غينيا حاليا ، اعلنت امام اللجنة بيانا نذكر هنا مقتطفات منه : « منذ ايام قليلة ، اضطررت الى نشر بلاغ صحفي يعبر عن قلقنا العميق امام توطيد العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا ٠ ادانت الجمعية العمومية مرات عديدة ، النظام العنصري في جنوب افريقيا ، وتذكر قرار ١٠ كانون الاول ١٩٧٥ ٠ ومع ذلك ، وبعد شهر واحد من اعتماد هذا القرار ، رفعت جنوب افريقيا مستوى تمثيلها الديبلوماسي في اسرائيل من القنصلية العامة الى درجة سفارة ٠ وفي ٢٦ آذار ١٩٧٦ ، قام السيد مولدر ، وزير الداخلية والاعلام في حكومة جنوب افريقيا ، بزيارة اسرائيل ٠٠٠ تلتها زيارة رئيس الوزراء فورستر ٠

منذ ايام قليلة جدا ، بحث مجلس الامن على التوالي شكوى قدمتها الدول العربية ضد اسرائيل وشكوى قدمتها الدول الافريقية ضد نظام جنوب افريقيا ٠ فما الذي جعل حاليا اسرائيل ، التي تواصل احتلالها لاراضي واقعة في شمال شرق افريقيا ، ونظام جنوب افريقيا الذي يواصل من جهته احتلاله غير الشرعي في اقصى جنوب القارة الافريقية ، تشعران بضرورة محادثات قمة ؟ هناك سببان اساسيان :

سأستشهد هنا ، في سبيل التذكير ، بالملخص الذي بثته اذاعة القدس في ١٨ كانون الثاني ١٩٧٦ :

اعلن وزير الشؤون الخارجية ( الاسرائيلي ) اثناء جلسة المجلس التي عقدت اليوم ، ان الموقف المتحفظ الذي خرج به مؤتمر دول الوحدة الافريقية حول موضوع انغولا ، يمثل نجاح دول المعسكر المعتدل في القارة ٠ وهذا نجاح للديبلوماسية الاميركية ٠٠٠ وامامنا الآن امل شرعي في ان يؤثر هذا المعسكر المعتدل من الدول الافريقية على العلاقات مع اسرائيل ٠٠٠

فهل يتابع هذان البلدان جهودهما غير المجدية في سبيل تفرقة افريقيا ، آملين في وجود التأييد ؟٠٠٠

في نهاية شهر آذار ، رفع نظام جنوب افريقيا ميزانيته العسكرية بنسبة تزيد عن ٤٠٪ ··· وقد قدرت هذه الزيارة ردا مباشرا على ادانة اعتدائه على انغولا ، ذلك رغم الازمة الاقتصادية المهمة التي يعاني منها البلد ·

ومن مشاريع النظام العنصري ، الحصول على الاعتدة العسكرية الاضافية ، خاصة الزوارق المزودة بالصواريخ والحراقات والطائرات ذات المدى الواسع للعمل · فالوقت الذي اختير لزيارة السيد فورستر الى اسرائيل يشير الى آمال جنوب افريقيا في استعمال اسرائيل لخرق الحصار على الاسلحة المضروب عليها ·

وقد اكتشفت الحكومتان مصالح مشتركة بينهما · ومنذ بضعة اسابيع فقط ، اعلن الجنرال نيل فبستر ، رئيس القوات المسلحة في جنوب افريقيا ، ان « على الجنوب افريقيين ، ، مثلهم مثل الاسرائيليين ، ان يعتادوا على فكرة الحياة في حالة حرب ، خلال السنوات القادمة ···»

كما اعلن السيد فورستر للصحافة ، في ١٠ نيسان ، ان العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل لم تكن يوما افضل مما هي عليه · واضاف ان ذلك لن يسيء الى علاقات جنوب افريقيا مع الدول العربية التي تمدها بالنفط ·

اكتفي هنا بالقول ان اللجنة الخاصة كانت وستبقى يقظة حيال المناورات الهادفة الى التفرقة في صفوف الدول العربية · وكما تعلمون ، لقد اجريت محادثات مع الامين العام لجامعة الدول العربية ولجنتنا مصممة كل التصميم على متابعة جهودها لتأمين حظر نفطي جدي ضد جنوب افريقيا ·

وبما ان اسرائيل لم تجب على المذكرة التي وجهتها لها اللجنة الخاصة بخصوص تعاونها مع جنوب افريقيا ، علينا ان نتجه الآن الى الجمعية العمومية حتى تتخذ الاجراءات اللازمة ·

اود فقط ان اجدد امنيتنا في ان تستعمل جميع الحكومات والمنظمات نفوذها لتنهي هذا الحلف وهذا التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا · ويجب ان تبلغ الحكومة الاسرائيلية بعبارات واضحة ان الحكومات والشعوب المعادية للعنصرية – اي الانسانية بأجمعها تقريبا – لا يمكنها ان تتقبل ولا ان تتجاهل العلاقات التي تقيمها مع النظام العنصري في جنوب افريقيا ، منتهكة بذلك قرارات منظمة الامم المتحدة » · (٧٧)

ان مؤتمر القمة العربي الافريقي الذي عقد في القاهرة اوائل آذار ١٩٧٧ عبر عن وعي العرب والافريقيين المتزايد « لوحدة المصير » ، خاصة امام التهديد الذي يتمثل في جنوب افريقيا واسرائيل ·

وهذا التضامن عبر عن نفسه بالمساعدة الملموسة – وليس الجديدة – التي قدمتها بعض الدول العربية المنتجة للنفط ، للدول الافريقية التي تبحث بصعوبة عن طريقها للتقدم والنمو ·

## خلاصة

ان صلة القرابة التي تتضح امام اعيننا بعد المعطيات التي وردت ، سلطت عليها الاضواء مرة اخرى الادانة التي وجهتها لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة

للحكومات الثلاث التي تشكل كما سماها بعض المعلقين السياسيين « الثلاثي غير المقدس » وهي : جنوب افريقيا وروديسيا واسرائيل ·

وفي ظل شروط كهذه ، يدفعنا التضامن اولا الى جانب الشعوب المضطهدة من قبل نظام التمييز العنصري والنظام الصهيوني ، والى جانب الشعوب المهددة مباشرة بمطامع الجنوب افريقيين والاسرائيليين · فتوسيع نطاق التعاون المستمر بين النظامين يزيد الخطر الذي يمثلانه ·

لكن هذا الاهتمام لا ينفي قلقنا على السكان البيض في جنوب افريقيا واليهود في اسرائيل ، وهم ضحايا السياسة المتبعة باسمهم · نحن نعلم النضال الشجاع الذي تقوم به بعض الشخصيات والمجموعات التي لا تزال اقليات ضمن هذه الطوائف ، في سبيل شق طريق السلام عبر تطبيق العدالة ·

ولكننا نترك الكلمة النهائية للشعوب التي تناضل في سبيل الحرية والكرامة ، عبر هذا النداء الذي اذاعته الـANC في نيسان ١٩٧٦ : « تطلب من جميع الديموقراطيين واللاعنصريين واصدقاء السلام ان يعيروا اهتماما كبيرا للتعاون الستراتيجي بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، ان يفضحوه وان يعملوا كل ما في الامكان لاحباطه وان يواجهوا بحزم كل اجراء مؤيد للعنصريين في البلدين » ·

ترجمة : جاكلين فرهود

## هوامش :

(٥٥) ان معظم الارقام والوقائع المشار اليها في الفصول التي تتناول العلاقات الاقتصادية والتعاون العسكري مأخوذة من تقرير الامم المتحدة تاريخ ١٣ ايلول ١٩٧٦ ·

(٥٦) صحيفة « فايناشل ميل » جوهانسبورغ ٦ نيسان ١٩٧٦ ·

(٥٧) صحيفة « لوموند ديبلوماتيك » ، كانون الثاني ١٩٧٧ ، ٠٩ كابيليوك : « الاقتصاد الاسرائيلي يغوص في الازمة » ·

(٥٨) المرجع السابق

(٥٩) لوموند ، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٦ ·

(٦٠) صحيفة « ذي ستار » ، جوهانسبورغ ، ١٧ نيسان ١٩٧٦ ·

(٦١) صحيفة « راند ديلي ميل » ، ١٥ نيسان ١٩٧٦ ·

(٦٢) ستيفنس والمسيري · المرجع المذكور سابقا · صفحة ١٧٢ ·

(٦٣) الـ ANC حكومة تحرير جنوب افريقيا ·

(٦٤) صحيفة « لندن تايمز » ٣١ كانون الاول ١٩٧٦ · مذكور في نشرة اورابيا عدد ٧١ ·

(٦٥) « استراتيجية الدفاع في جنوب افريقيا » ٠١ مينتي · الصفحة ٩ ·

(٦٦) تقرير الحكومة المناهضة للتمييز العنصري في المانيا الاتحادية ·

(٦٧) صحيفة « هآرتس » ٢ حزيران ١٩٧٥ · مذكور في نشرة اورابيا عدد ٤٢ ·

(٦٨) هـ·ج· كرولز ـ « تحذير للحلف الاطلسي » · يذكـره فريدمـان ، وثيقـة الامم المتحدة ، ٢٠ـ١٩٧٤ ·

(٦٩) دان جليون ، مجلة « ميدل ايست انترناشونال ، كانون الثاني ١٩٧٧ . مذكـور في اورابيا عدد ٧١ ·

(٧٠) استاذ العلاقات الدولية في الجامعة الاميركية في واشنطن ، في كتاب « معنـى المساعدة الاميركية لاسرائيل » ·

(٧١) يشير اليه ج· روبرت · مجلة « ميدل ايست انترناشيونال » آب ١٩٧٤ ·

(٧٢) وليم فولبرايت ، « المصالح الاميركية في الشرق الاوسط » · مجلة « ميدل ايست انترناشونال ، كانون الاول ١٩٧٥ ، مذكور في نشرة اورابيا عدد ٥٢ ·

(٧٣) صحيفة «معاريف» ١٠ كانون الاول ١٩٧٥ · مذكورة في نشرة اورابيا العدد ٣٣ ·

(٧٤) تقرير اللجنة الخاصة للامم المتحدة ضد التمييز العنصري « العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا » صفحة ١٦ ·

(٧٥) Swapo : حركة تحرر شعب ناميبيا ·

(٧٦) صحيفة « يديعوث احرونوت » ٢١ تموز ١٩٧٦ · مذكـور في نشـرة اورابيـا عدد ٦٣

(٧٧) وثيقة الامم المتحدة : بيان سعادة السيدة سيبس ( غينيا ) ، رئيسة اللجنة الخاصة للامم المتحدة ضد التمييز العنصري ·

# مناقشات

نـــزيــه أبونضـال

## الإرهاب والإرهاب الأوروبي

الخوف من التصنيفات الشائعة : مع الارهاب ، أو ضد الارهاب ، يبعد الكثيرين عن مناقشة هذه المسألة ، رغم انها قد باتت اكثر من ظاهرة ، من ظواهر هذا العصر ·
ومرد الحرج في تناول موضوع الارهاب عائد في تقديري الى عاملين :

الاول : هو اختلاط اشكال الارهاب في الوعي العام ، فعمليات خطف الطائرات تساوي عمليات العنف التي تقوم بها المجموعات والفصائل المختلفة داخل المعسكر الرأسمالي : بادر ـ ماينهوف المانيا ، الجيش الاحمر اليابـــان ، الفصائل اليسارية الحمراء في ايطاليا وفرنسا الخ ·· هذا الاختلاط تصنعه وتقوده بذكاء أجهزة الاعلام البرجوازية وحلفاؤها وامتداداتها في انحاء العالم · وهذا الموقف يتقاطع مع التنديد المستمر الذي يعلنه اليسار الرسمي دولا واحزابا ، ضد العنف والارهاب ·

الثاني : ان معظم المفكرين التقدميين خاضعون امـــا لنمط الاخلاقيات البرجوازية الدارجة التي تتأذى من أعمال العنف والقتل ، واما لانها لا تود ان تسجل موقفا يتعارض مع قناعاتها العامة والسلفية في الغالب حول دور الارهاب الفردي ، الـذي يناقض دور الحزب الجماهيري كما قال لينين في سياق محدد ، وهي ايضا ، لا تود الاعلان عن موقف يصب في طاحونة الاعلام البرجوازي ·· مع النظام الرأسمالي الالماني مثلا ، وضد جماعة بادر ـ ماينهـوف ·

ونتيجة هذين العاملين يتحرج الكتاب والمفكرون التقدميون من تناول موضوع الارهاب . مما يعني ترك المجال كاملا ومفتوحا لتشويهات الاعلام البرجوازي المستمرة · ممـــا ينقل المسألة بمجموعها الى « مانشيتات » الاثارة الصحفية ، وصور عائلة « شلاير » المنكوبة ، ودون ان يقترب احد من الدوافع الموضوعية التي تقف خلف عمليات العنف والارهاب ، أو تفسر مغزى استمرار هذه الجماعات « الارهابية » وتناميها وانتشارها في مختلف البلاد الرأسماليـــة ·

وحين ننتقل الى الجانب الاخر من الصورة ، وحيث تمارس الاجهـــزة والسلطـــات الرأسمالية ارهابها اليومي والمبرمج ، والذي أخذ أبشع اشكاله بتصفية عـدد مـــن قادة

جماعة بادر ـ ماينهوف في المعتقل الالماني ، فان ردود الفعل على هذه الجريمة ، لا يكاد يذكر باستثناء بعض التعبيرات العصبية العنيفة التي نفذتها مجموعات يسارية صغيرة في ايطاليا وتركيا وفرنسا بالاضافة الى المانيا ، والسبب مرة ثانية عدم الرغبة ، والتحرج في تناول موضوع الارهاب · اضف الى ذلك ان المفكرين والقوى السياسية التقدمية تعتقد بان موقفها المعارض من الرأسمالية العالمية والامبريالية هو شهادة كافية ، لا تحتاج معها الى تنديد جديد بهذه الانظمة وبارهابها المتواصل ، خاصة والموضوع متعلق بهذا « الارهاب المخجل » ·

ونتيجة هذا الشلل في الموقف مرة ثانية ، هو اعطاء هذه الانظمة مشروعية الارهاب والقتل ، ولتواصل احكام قبضتها على الاوضاع وبما يحفظ للطبقات الحاكمة الاستمرار في عمليات نهبها واستغلالها ،محليا وعالميا ، ولامد طويل قادم ·

المصالح العليا للرأسمالية تلتقي في كل مكان من العالم لمواجهة مجموعة « ارهابية » · « الدول » تلتقي وتنسق وتتبادل الخبرات والمعلومات والامكانيات ، و « الانتربول » يحمل الصور والقوائم ويوزعها على اعضائه في انحاء العالم ·· الحدود والمطارات والموانىء شبكات هائلة لاصطياد اولئك الذين يعكرون مزاج هذا العصر وامنه و « رفاهيته » المستقرة ، والقيم « الديمقراطية » السائدة فيه ·

ورغم ذلك كله ، وفي مواجهته لا يرتفع صوت ، بسبب هذا الشلل وهذا الحرج الذي يسببه الارهاب ·



نحن بداية سنخرج من اسار الخلط الشائع لاشكال الارهاب ، ونقرر رفضنا لعمليات خطف الطائرات التي تهدد بقتل الركاب وتصفيتهم · على الرغم من ان اية جماعة لم تقم حتى الان بتنفيذ تهديدها بقتل الرهائن · ولهذا دلالة كبيرة ، لا تحب اجهزة الاعلام البرجوازي الاقتراب منها ·

بعد ذلك تبقى عمليات العنف التي تنفذها المجموعات اليسارية داخل الدول الرأسمالية، وهذا هو موضوع بحثنا هنا ·

ان تحديد موقف مبدئي من عمليات العنف داخل المعسكر الاوروبي والرأسمالي العالمي ، لا بد ان يرتبط بفهم مسبق لبنية النظام الرأسمالي بصورته الراهنة ، لا ان نلبسه احكاما مسبقة لظروف اوروبا والنظام الرأسمالي العالمي في اواخر القرن الماضي وبدايات هذا القرن ·

فحين تنبأ « البيان » ودعا البروليتاريا الاوروبية « لدك كل النظام الاجتماعي القائم بالعنف » · وهتف : « فلترتعش الطبقات الحاكمة امام الثورة الشيوعية · فليس للبروليتاريا ما تفقده سوى قيودها واغلالها » (١) · حين فعل « البيان » ذلك كانت صورة الوضع الاجتماعي والاقتصادي الاوروبي جد مختلفة ، كما كانت نذر الثورة الطبقية الشاملة تتجلى بصورة مباشرة عبر العديد من الظواهر المتفجرة : الازمات التجارية الدورية ، وحيث « ينقض على المجتمع وباء فيض الانتاج ··· فيرتمي المجتمع فجاة في

(١) ماركس ـ انجلز ـ البيان الشيوعي ـ مختارات ـ المجلد الاول ص ٩٦ دار التقدم ـ موسكو ·

حالة همجية ، حتى ليخيل للمرء ان هناك مجاعة او حربا طاحنـــة تقطع عن المجتمـع وسائل معيشته ووسائل رزقه ، وكأنما الصناعة والتجارة اتى عليهما الخراب والدمار » (٢)٠

فكيف تتغلب البرجوازية على ذلك كله ؟٠

يجيب البيان : « تتغلب بالتدمير القسري لمقدار من القوى المنتجة من جهة ، وبالاستيلاء على اسواق جديدة وزيادة استثمار الاسواق القديمة من جهة اخـرى ٠ بمـاذا اذن ؟ بتحضير ازمات اعم وأهول » (٣) ٠

والنتيجة ان العامل « لا ينفك يهوي في انحطاط ، الى ان ينزل الى مستوى هو ادنـى واحط من شروط حياة طبقته : ويسقط الشغيل في مهاوي الفاقة ، ويزداد الفقر والاملاق بسرعة تفوق سرعة ازدياد السكان ونمو الثروة » (٤) ٠

وعلى قاعدة توالي الازمات ، والانحدار المريع في ظروف البروليتاريا يتضخـم علـى الدوام « جيش العمال الاحتياطي » وتتعاظم نذر الثورة مع هذه الملايين البروليتاريـة الجائعة لتعصف باسس المجتمع القديم ، وتدك اركانه بالعنف الثوري ٠ على ارضية مثل هذا التشكل يكون الموقف الماركسي الصحيح ، باندفاع الشيوعيين في صلب الثـورة البروليتارية « لتنظيم البروليتاريين وهدم سيادة البرجوازية ، واستيلاء البروليتاريا على السلطـة السياسية » (٥) ٠

في ظل مثل هذه الاوضاع ليس هناك مجال او ضرورة ، لاعمال العنف التي تنفذهـا مجموعات او عناصر خارج اطار الاندفاع الثوري للجماهير العمالية ، وخارج اطـار برنامجها ٠ ويقينا ان اعمال العنف الفردي في مثل تلك الاوضاع تلحق ضررا بالغـا بالحركة الثورية العامة ، وتعطي اجهزة القمع البرجوازية ذرائع جديدة لتصعيد اشكـال بطشها وتنكيلها بمجموع القوى الثورية ٠ على الرغم من ان اجهزة القمع البرجوازية لـن تترك سلاحا الا وستستخدمه في **اللحظات الحاسمة** دفاعا عن مصالحها وامتيازاتهـا ٠ فتكون الخطيئة اذن ان يعجل العنف الفردي بتصعيد عمليات القمع البرجوازية قبـل ان تستكمل البروليتاريا الثورية المنظمة استعداداتها للاطاحة بالسلطة الطبقية ٠

فهل احكامنا على العنف الفردي في مثل تلك الاوضاع الثورية هي نفس احكامنا على العنف الذي يمارس في الدول الرأسمالية هذه الايام ؟

ان شرط الاجابة بنعم تفترض اساسا ان تكون اوضاع الرأسمالية الاوروبية في اواخر القرن الماضي ، وبداية القرن الحالي ، اوضاعـا متشابهة ٠ فهل هي كذلـك ، حتى بخطوطها العامة والرئيسية ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال لنستعرض موقف لينين مـن الارهاب الفردي في اطار سياقه التاريخي المحدد ٠

لم تكن ولادة الحركة الارهابية في روسيا بقرار ارادي ، يؤمن باستخدام الارهاب كوسيلة للتغيير وللاطاحة بالقيصرية ، وانما نشأ الارهاب هناك كردة فعل عنيفة ضد مصـادرة كافة الحريات الديمقراطية ، حتى بمفهومها البرجوازي الشكلي ، وضد اعمال البطـش

---

(٢) المصدر السابق ص ٥٧ و ٥٨ ٠
(٣) المصدر السابق ص ٥٨ ٠
(٤) المصدر السابق ص ٦٥ ٠
(٥) المصدر السابق ص ٦٧و ٦٨ ٠

والتنكيل التي كانت تمارسها « الاوكرانا » القيصرية ضد اي شكل من اشكال المعارضة ، او حتى تلك التي تنادي بالاصلاح والتغيير · كانت البداية عام ١٨٧٠ حين تشكلت جمعية ادبية فلسفية في روسيا متأثرة بأفكار باكونين وهرزن وغيرهما من المفكرين الــروس والغربيين ، واخذت تدعو لاجراء اصلاحات سياسية واجتماعية داخل المجتمع الروسي ، الا ان هذه الدعوة ووجهت بعمليات قمع شرسة وعنيفة من « الاوكرانا » الروسية ، ممـا اضطر اعضاءها الى النزول تحت الارض ، وتنظيم قواهم مـن جديد ، كمـــا استمروا باتصالاتهم بجماهير الطلاب والمثقفين والعمال والفلاحين ، لنشر افكارهـــم ومبادئهم · واستمرت مطاردة اعضاء الجمعية من قبل « الاوكرانا » في كل مكان ، حيث كان المعتقلون يتعرضون لابشع اشكال التعذيب واكثرها وحشية ، ومات سبعون واحـــدا منهم تحت التعذيب وفي ظل الظروف السيئة في السجون القيصرية وفي سيبيريا ·

وفقط بعد ثماني سنوات من عمليات المطاردة والقتل والتعذيب قررت الجمعية انشاء فرع للعمل الارهابي للرد على عمليات القمع الوحشية التي تنفذها اجهزة السلطة القيصرية ·

كما قامت الجمعية بطبع آلاف المنشورات والبيانات بالاضافة الى جريدتهـــم « الارض والحرية » وتوزيعها في كل مكان ·

وبدأت بسلسلة من العمليات الارهابية والاغتيالات حتى توصلوا الى اغتيـال القيصـر نفسه في ١٣ مارس ١٨٨١ م ، وكان عدد الذين حولوا الى سيبيريا قبل هذا التاريخ وخلال سنة واحدة فقط اثني عشر الف معتقل من مختلف القوى السياسية ·

وكانت آخر عملياتهم الكبيرة اطلاق النار على رئيس الوزراء عام ١٩١١ ، الا ان قواهم كانت قد ضعفت نتيجة الضربات المتلاحقة · جاء ★ تشكيل منظمة « زيمليا اي فوليا » اي « الارض والحرية » في عام ١٨٧٦ ، وكانت هذه المنظمة ترى بالفلاحين القوة الثوريـــة الاساسية في روسيا ، وحاولوا استنهاض الفلاحين للانتفاض على القيصرية وقامـــوا بسلسلة من الانتفاضات والعمليات الثورية في عدد من المحافظات الروسية ·

الا ان عمليات القمع العنيفة التي جوبهت بها المنظمة واخفاقها في العمل الثوري بيـن الفلاحين دفعها الى تشكيل فرقة من الارهابيين بين صفوفها كما اسلفنا ، وقـد ادى هـذا الوضع الى حدوث انقسام داخل المنظمة : « نارودنايا فوليا » اي « ارادة الشعب » التي سلكت طريق الارهاب و « تشيرني بيريديل » اي « التقسيم الاسود » التي ظلت متمسكـــة بمواقف « الارض والحرية » ، ومن بين صفوف هؤلاء خرج مؤسسو اول منظمة ماركسية روسية فرقة « تحرير العمل » عام ١٨٨٣ ومن هؤلاء : بليخانوف واكسيلرود وزاسوليتش·

التقاء لينين اللاحق بفرقة « تحرير العمل » يعكس من احد جوانبه الخلاف النظـري والسياسي مع « ناروردنايا فوليا » ورغم ذلك نجد لينين وهـــو ينتقد جوهـــر النظريـة النارودنية ويصفها بعدم الاستناد الى نظرية ثورية اصلا ، وانها « لم تعرف او لم تستطع ربط حركتها ربطا وثيقا بالنضال الطبقي في داخل المجتمع الرأسمالي » · (٦) رغم ذلـك

---

★ المعلومات الواردة عن حركة الارهاب في روسيا مأخوذة عن مقال سابق للكاتـــب منشور في جريدة فتح الاسبوعية ٢٣ ايلول ١٩٧١ العدد ٣٠٤ ·

★ المعلومات الواردة هنا مأخوذة عن هامش رقم ( ٧٩ ) ص ٦٣٣ وهامش رقـم (١٥٣) ص ٦٥٥ من المختارات ـ لينين ـ المجلد الاول ـ دار التقدم موسكو ١٩٧١ ·

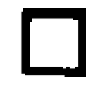
(٦) لينين ـ ما العمل ـ المختارات ـ المجلد الاول ص ٣٠٠ ·

نجده يرد على من يتهم « الايسكرا » بأنها جريدة جماعة « النارودنايا فوليا » فيقول : « وغني عن القول اننا لم نر في هذا الاتهام غير نوع من المديح ، اذ انـــه هل وجـــد اشتراكي ديمقراطي جديد بهذا الاسم لم يتهمـــــه الاقتصاديون بالسيـــر على خطـــى « النارودنايا فوليا » · هذه المنظمة يصفها لينين بتلك « المنظمة الرائعة التي كانت لـدى الثوريين في العقد الثامن والتي ينبغي لها ان تكون نموذجا نحتذيه جميعا » · ويضيف : « ان كل اتجاه ثوري شرط ان يقصد فعلا القيام بنضال جدي ؟ لا يمكنه ان يستغنـــي عن مثل هذه المنظمة · فجماعة « نارودنايا فوليا » لم تخطيء اذ دأبت على ان تجـــذب الى منظمتها جميع الساخطين وعلى ان توجه هذه المنظمة الى النضال الحازم ضد الحكم المطلق ، بل انما كان ذلك ، بالعكس مأثرتها التاريخية العظمى » (٧) ·

في مجال آخر يعترف لينين « **في بداية نشاطنا ، اضطررنا في اغلب الاحيـــان الـــى الدفاع عن حقنا في الوجود في غمرة النضـــال ضد انصـــار « نارودنايـــا فوليا » »** ، الذين كانوا يعنون « بالسياسة » نشاطا منفصلا عن الحركة العمالية ، ويحصرون السياسة في التآمر فقط » (٨) ( التشديد من عندنا ) ·

يلاحظ مما تقدم ان انتقادات لينين لارهاب النارودنيين منصب اساسا على برنامجهـــم السياسي ، فيما « اشاد باحترام كبير بما اظهره اعضاء « ناروودنايا فوليا » من البسالة في النضال ضد القيصرية ، كما اشاد بما اظهروه مـــن براعة في فن النشاط السري والتنظيم المبني على المركزية الصارمة » (٩) ·

هذه الاشادة تتم في غمرة صراع لينين السياسية مع القوى والتنظيمات الاخرى وفي السنوات التي سبقت انتفاضة ١٩٠٥ ، وحيث روسيا تمور بمخاضات الثورة الاتيـــة ، ولينين يقاتل بكل ما يملك من قوة من اجل انتصار برنامج الطبقة العاملة ، على برامـــج كافة القوى السياسية في الساحة ، وفي مقدمتهم منظمة « ناروودنايا فوليا » «الارهابية» !!



والآن ما هو المشهد الذي يرتسم امامنا في اوروبا اليوم مقابل ( اوروبا البيان الشيوعي) التي تعصف فيها الازمات الاقتصادية ونذر الثورة البروليتارية الكاسحة ؟

اوروبا اليوم ، وفي ظل وحدة وتكافل النظام الرأسمالي العالمي ، بقيادة الامبرياليـــة الامريكية ، تجاوزت الى حد بعيد الازمات الدورية الطاحنة ·

الولايات المتحدة تعرف كيف ولماذا تمد يد العون للجنيه الاسترليني المتدهور ، ولماذا تسهم في اعادة بناء المانيا اقتصاديا وعلى النمط الرأسمالي ، وكذلك اليابان ·

ان العملية هنا تتجاوز مسالة الاستثمارات الامريكية وما تحققه من أرباح ، لانهـــا تتصل بالمصالح الاستراتيجية العليا لمجموع النظام الرأسمالي العالمي ، وضرورة الحفـاظ عليه في وجه النموذج الاشتراكي ، وتهديدات الثورة الطبقية الكامنة · الملايين من « جيش العمال الاحتياطي » والبروليتارية الاوروبية الجائعة كفت منذ زمن ان تكون ملاييـــن اوروبية تدخل في صلب علاقات الانتاج داخل المجتمعات الراسمالية · لقد تـوزع فائض

(٧) المصدر السابق ص ٣٠٠ ·

(٨) لينين ـ المهمات الملحة لحركتنا ـ المختارات ـ المجلد الاول ص ١٤٧ ·

(٩) المصدر السابق هامش ٧٩ ص ٦٣٤ ·

النهب الامبريالي لتحسين شروط الحياة والعمل بالنسبة للعامل الاوروبي ، وامتصاص عوامل التفجير الثوري الملحقة باحتياجات العامل للرغيف والدواء ، مطالب العامل الاوروبي اليوم تتصل بامتلاك السيارة والتلفزيون والمسكن اللائق ، وهذه تشكل دوافع لنضالات اصلاحية لكنها لن تفجر حربا طبقية دامية ضد المستغلين ٠

« جيش العمال الاحتياطي » اليوم داخل الدول الرأسمالية هو تلك الملايين المسحوقة من افريقيا السوداء والمغرب العربي والهند والباكستان وتركيا وامريكا اللاتينية ٠٠ هذه الملايين التي تسعى لتحسين شروط حياتها المادية بالتدافع باتجاه العواصم الاوروبية والمدن الصناعية ٠

أيد عامله رخيصة من مختلف انحاء العالم الثالث توفر للرأسمالي الصناعي « فائض قيمه » مرتفعا ، مقابل منح العامل الاجنبي دخلا مرتفعا نسبيا بالقياس الى شروط حياته السابقة ٠ وملايين العمال الاجانب في اوروبا والذين تحسنت شروط حياتهم نسبيا عنها في مواطنهم السابقة الا انهم يعيشون في ظروف حياتية قاسية لا توفر لهم الحد الادنى من شروط الحياة الانسانية الكريمة ٠

هذه الملايين هي المهيأة على ضوء اوضاعها ان تكون مادة الثورة ، الا ان وجودها كجسم اجنبي غريب يخضع لشروط « الاقامة » و « الترحيل » في ظل القوانين السائدة في معاملة الغرباء يضعف كثيرا دور هذه الملايين المسحوقة ، ويحول بينها وبين الانخراط في العمل السياسي والنضالي الذي تخوضه الاحزاب والقوى السياسية الاوروبية ٠

النظام الرأسمالي العالمي لا يزال اليوم راسخا وقويا ، والى أمد طويل قادم وفي ظل استمرار الشروط القائمة ، سيظل راسخا وقويا ٠٠ على الاقل بعيدا عن الحروب الطبقية الدامية بين الملايين البروليتارية الجائعة وبين حفنة من المستغلين الجشعين واجهزة قمعهم ٠

« الاسترخاء » الديمقراطي في الدول الرأسمالية تعبير موضوعي عن قوة هذه الانظمة٠٠ ففتائل التفجير الثوري منزوعة بفعل الاسترخاء الاقتصادي ( بغض النظر عن اسبابه )٠

دعهم يتكلمون ودعنا نعمل ، ولا بأس من بعض التنازلات الاصلاحية بين الحين والآخر حفاظا على الامن الاجتماعي ٠٠ ولكن حذار من العنف ٠ فان اذرع انظمة البرجوازية طويلة وقادرة وقوية وتستطيع الوصول حتى الى معتقلات « الارهابيين » وتصفيتهم !!

لتكن اللعبة هي الديمقراطية اذن ، وهذه برلمانات الشعب مفتوحة للجميع ، فلتحملكم اصوات الشعب الى برلمانات الشعب ، ومنها لاستلام السلطة السياسية بدون عنف او ارهاب او ثورة ؟! البرجوازية تضع شروطا « عادلة » للعبة ، وتسمح للجميع بممارستها « بحرية » ، والسباق مفتوح للجميع بحقوق متساوية ٠

لكن البرجوازية الذكية تخفي وراء ظهرها ورقتين ، تستطيع ان تحسم بهما الامور عند الضرورة :

الاولى : ان تلغي بعض شروط اللعبة الديمقراطية او أن تلغي الديمقراطية بمجموعها ، سيقولون في اللحظة الحاسمة والمناسبة : يكفي هذا لقد لهونا بما فيه الكفاية وعلى قوات الجيش والامن واجهزة القمع ان تخلي الملعب من المشاغبين الذين يتآمرون على « مصلحة الوطن العليا » ٠

واحة الديمقراطية الامريكية قدمت نموذجها « الكارثي » منذ وقت مبكر .

ولا زالت الديمقراطية هناك تسمح لك بأن تعارض او حتى تنتقد رئيس الولايات المتحدة الامريكية !! ولكن ان تكون شيوعيا او تدعو للشيوعية فهذا تهديد مباشر وخطير لمصالح الوطن العليا ، والبرجوازية هي الحارس الامين على هذه المصالح وبما فيها مصالح الزنوج العليا .

الثانية : ان البرجوازية ليست وحدها في « معركة » الديمقراطية . فالنظام الرأسمالي العالمي كله متضامن متكافل لحماية الانظمة الرأسمالية . مهما كان من خلافات بينها ، الا انها في مواجهة اي تهديد فعلي ، فانها تعرف جيدا كيف تحمي مصالحها المشتركة وتحافظ على سلامة النظام الرأسمالي العالمي ، لتحول دون الانفراد بأحد اطرافه والاطاحة به .

الا ان النقطة الحاسمة في اللعبة الديمقراطية لا تتصل بتلك الاوراق التي تخفيها البرجوازية وراء ظهرها ، لكنها تتصل اساسا بالقاعدة التي تجري عليها اللعبة نفسها . فاذا كان الناخب الاوروبي يعطي صوته لانظمة برجوازية قامت بالفعل بتحسين شروط حياته المعيشية ، فان مرد هذا التحسين اساسا هو عمليات النهب والاستغلال التي تقوم بها المؤسسات والاحتكارات الرأسمالية لشعوب العالم الثالث ، وللملايين العمال البائسين المستوردين للآلة الصناعية الاوروبية .

هذا الوضع ينقل المسالة من جانبها الاقتصادي الاوروبي المباشر الى المجال السياسي والى الدور الذي يلعبه النظام في اطار المعسكر الرأسمالي بقيادة الامبريالية الامريكية او بالتبعية المباشرة اقتصاديا وسياسيا للولايات المتحدة . وسنكتشف بعد قليل ان ظاهرات العنف الاوروبي تتصل مباشرة بهذا الوضع ، وهذه التبعية .

كيف تتم اذن مجابهة هذه الانظمة الرأسمالية ؟

بالطبع لن نجيب نحن على هذا السؤال ، ولكننا سنرى الاجابة العملية التي قدمتها « المعارضة » الاوروبية ، ممثلة بالاشتراكيين وخصوصا الشيوعيين .

على ارضية الاسترخاء الديمقراطي والاقتصادي ، كيفت الاحزاب الشيوعية الاوروبية برامجها السياسية بمقتضى الحال ، وبما هو مفيد في معركة التنافس على اصوات الناخبين ، وفي هذا السياق اجرت سلسلة من « التحالفات التاريخية » مع الاشتراكيات الاوروبية ، ولم تلبث ان بدأت عدا عكسيا « مراجعا » للمبادىء والاسس الماركسية ، كان آخرها على الصعيد النظري الغاء مقولة دكتاتورية البروليتاريا من قبل اكبر الاحزاب الشيوعية الاوروبية ، واشاعة مقولة الشيوعية الاوروبية على الصعيد السياسي ، مما دفع الاتحاد السوفياتي والعديد من الاحزاب الشيوعية في العالم الى توجيه انتقادات نظرية وسياسية لمواقف هذه الاحزاب وبرامجها .

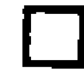
التراجعات السياسية والنظرية التي اقدمت عليها الاحزاب الشيوعية الاوروبية منحتها مزيدا من القوة على المستوى الانتخابي وعززت مواقعها في اوساط طبقية متعددة ، الا ان الثمن الذي دفعته مقابل ذلك كان غاليا : فقد بدأت تفقد لونها الشيوعي وتمايزها الطبقي باعتبارها حزب البروليتاريا الثوري . ان الاسماء لا تخيف البرجوازية انما البرامج السياسية هي التي تعنيها وتتعامل معها . اليست الاحزاب الاشتراكية هي التي تجلس الآن في قمة السلطة في عدد كبير من الدول الرأسمالية الاوروبية .

وفي اطار مثل هذه المعادلة ، الا يحق لنا ان نخشى اذا استمرت هذه التراجعات

السياسية والنظرية ان يصبح الشيوعيون مقبولين جدا حتى من قبل البرجوازية . ما دامت برامج هذه الاحزاب لا تهدد مصالحهم وامتيازاتهم بل تتكيف مع واقع التركيب الاقتصادي في الانظمة الرأسمالية ·

وهل يجوز مثلا حتى من باب « التاكتيك » ان يتضمن برنامج الحزب الشيوعي الايطالي نصا على ان تبقى ايطاليا في حلف الاطلسي · بقيادة الامبريالية الامريكية ؟

نحن لا نريد ان نبالغ في حجم التراجعات النظرية والسياسية التي اقدمت عليها الشيوعية الاوروبية حتى الآن ، فهي تقف في الخندق التقدمي المعادي للامبريالية وللرأسمالية العالمي ، وهي تدعم بقوة حركات التحرر والنضال الوطني على الصعيد العالمي ، وخاصة حركة الكفاح الفلسطيني المسلح . نحن اذن لسنا في مجال توجيه انتقادات مجانية ، لكننا نريد عبر تحديدنا للارضية التي تقف عليها « المعارضة » الشيوعية الاوروبية ان نكشف دوافع انتقال قوى يسارية اوروبية اخرى الى ارضية مغايرة . ترفض لعبة الديمقراطية البرجوازية · وتنتهج العنف وسيلة اساسية لمجابهة انظمة الرأسمالية المتحالفة تحت قيادة الولايات المتحدة ·



**يحلو للصحافة البرجوازية عادة ، وهي بصدد تفسير ظاهرة ما ، ان تعقد سلسلة من المقارنات ، بين عدة ظواهر ، لتكتشف دافعا مشتركا بينها . وهي تصيغ بلباقة وذكاء منطقا شكليا ، يوصلها الى هدفها المحدد اساسا ، وموقفها المسبق من هذه الظاهرة ·**

ظواهر العنف التي نحن بصددها الآن كما ترى الصحافة البرجوازية ولدت في المانيا وايطاليا واليابان ، وهذه الدول ذات الماضي النازي والفاشي خرجت مهزومة من الحرب العالميــة الثانيــة ·

هل تريد هذه الصحف القول بان العنف الثوري في هذه الدول قد ولد في رحم العنف الفاشي وكرد فعل للهزيمة ضد الامبريالية الامريكية ؟ لا ·· انها اكثر ذكاء من ان تقول ذلك ، لكنها تصوغ المقدمات ( المنطقية ) التي توصل تشويهاتها للرأي العام ، وهي تبدو في غاية الموضوعية والالتزام بالتحليل والمعلومات ·

هكذا ينتقل ذهن المتلقي للاعلام البرجوازي من تحديد العوامل الموضوعية المباشرة للعنف الموجه ضد الامبريالية الامريكية الى ايحاءات تتصل بالعنف الفاشي وبالثأر والانتقام من هزيمة بعيدة · ولكن ماذا تقول الحقائق ؟ وما هي الدوافع الفعلية لحركة العنف التي يشهدها العالم الصناعي ؟

ولدت حركة بادر ـ ماينهوف في غمار المظاهرات والاضرابات التي شهدتها الجامعات الالمانية في عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ ، وكانت شرارة الانطلاق شعار : « لا للاساتذة النازيين » ، والشعار موجه كما هو واضح ضد الاساتذة المعروفين بماضيهم النازي ، والذين عادوا بعد الحرب يطبقون اساليبهم القديمة باستخدام السلطة الجامعية · النظام الالماني واجه التحرك الطلابي بكثير من العنف مستخدما كل قواه السياسية والجامعية والبوليسية · مما فاقم الاضرابات والمظاهرات ، وأخذ الاتهام بالنازية يوجه لسلطة القمع والارهاب الالمانية نفسها ، خاصة بعد « التحالف المقدس » بين الحزب الاشتراكي الديمقراطي والحزب الديمقراطي المسيحي ، وهما اكبر قوتين سياسيتين في المانيا ، فغاب

اي شكل من اشكال المعارضة السياسية الديمقراطية لاجراءات الحكومة الالمانية . مما دفع الحركة الطلابية الجامعية الى جانب عدد من القوى السياسية الاخرى لتقوم بدور المعارضة والنضال السياسي .

وهكذا شهد هذان العامان سلسلة مظاهرات واضرابات ضد زيـــــارة نائب الرئيــس الامريكي السابق همفري ، وضد زيارة شاه ايران والامبراطورة ، وعديد من مظاهـــرات التأييد للثورة الفيتنامية ، الى جانب المطالب الجامعية المختلفة .

البوليس الالماني يغتال الطالب « بينو اوهنسبورغ » . وهذا يعني تصعيد المجابهة الى اشكال عنف اعلى .

« غودرون اينسلين » التي تم قتلها يوم ١٨ تشرين الاول من هذا العام في زنزانتهـا المنفردة والمعزولة في سجن « شتامهايم » صرخت يوم اغتيال « بينو » عام ١٩٦٧ : « انهم يريدون قتلنا جميعا .. لا سبيل الى الحوار معهم .. انهم من رعيل « اوسفيتز » .. علينا ان نتهيأ لمقاومتهم . علينا انجابه عنفهم بالعنف » تلك لم تكن صرخة حرب فقط ، كانت تصويرا صادقا لطبيعة النظام الالماني . لا سبيل الى الحوار معهم ، لانهم يريدون قتلنا جميعا » .. لا شك ان « غوردون اينسلين » قد تذكرت كلماتها هذه حين امتدت ايدي القتلة الى زنزانتها ، لتشنقها حتى الموت .

**عمليات العنف التي نفذتها جماعة بادر ـ ماينهوف والتي ستعرف في عام ١٩٧٠ باسم الجبهة الالمانية للجيش الاحمر ، تكشف طبيعة الدوافع الموضوعية التي تحرك هذه الجماعة كما تحدد اهدافها : ٣ نيسان ١٩٦٨ تم تنفيذ اول عملية باحراق مجمعين تجاريين مــن اكبر مجمعات مدينة فرانكفورت .**

**هذه العملية دفعت البعض لربط جماعة بادر ـ ماينهوف بالفيلسوف هربرت ماركـوز ومدرسته الفلسفية في فرانكفورت التي تنادي بوجود ارهاب مصدره « دوامة الاستهلاك للاستهلاك » التي تتحكم بانسان المجتمعات الصناعية المتقدمة . وان الطلبة كما يعلـــن ماركوز « هم المرشحون لكونهم يؤلفون ضمير المجتمع الواعي للاخطار الاستهلاكية لقيادة الناس نحو الانتفاضة الثورية » .**

**ولكن ماذا يقول بادر نفسه :**

**« لقد حاولت الجماعة ان تخلق علاقات طيبة مع الطبقة العمالية ولكنهـــا فشلت ، لان العمال غير مهيئين للقبول بهذا النوع من العمل الثوري الذي يريد ان يعيد تنظيم الجماهير وان دور الجماعة دور عابر بانتظار تحرر البروليتاريا الالمانية من قمع الفاشية لها » هذا مــا نقله سارتر عن لسان بادر بعد مقابلة معه في سجنه استمرت حوالي ساعتين .**

**ويضيف سارتر : « ان بادر وجماعته عملوا على تأسيس تعاون فعال مع العالم الثالث، العرب والاميركيين الجنوبيين » .**

**هذه السطور القليلة تلخص جوهر الموقف النظري والسياسي للجبهة الالمانية للجيــش الاحمـــر :**

**العالم الصناعي راسخ وقوي ومستقر وخاصة في المانيا واليابان ، ولا يعاني من أيـة تهديدات ثورية من قبل البروليتاريه ( المرفهه ) بفائض استغلال شعوب العالم الثالث .**

المجابهة اذن لا بد ان تنطلق من هذا الفهم ، خاصة بعد ان ثبت بالتجربة فشل تحريك الطبقة العاملة الالمانية ·

الاسلوب : **توجيه ضربة مزدوجة للنظام الرأسمالي العالمي لتحقيق هدف تكتيكي هام وصولا للهدف الاستراتيجي ·**

الضربة المزدوجة هي العمليات الثورية التي تقوم بها حركات التحرير وقوى الثورة في العالم الثالث ، ضد الامبريالية والرأسمالية والصهيونية ، كما تحددها بيانات الجبهة الالمانية للجيش الاحمر · الضربة الثانية يوجهها ثوار المدن في العالم الصناعي لهز الانظمة الرأسمالية وارباكها ، وايقاظ الوعي الثوري لدى البروليتاريا الصناعية ·

ان تصعيد هذا النضال المشترك وتحقيق انجازات فعلية عن طريقه خاصة بالنسبة للعالم الثالث ، سيؤدي الى تقليص عمليات النهب التي يغدق بواسطتها العالم الرأسمالي على عماله ، اي نزع « الرافع الايرلندي » الذي سبق لماركس التنبيه اليه ·

هذه الضربة المزدوجة ، تحقق الدور العابر الذي تحدث عنه « بادر » أي تحرر البروليتاريه الاوروبية الصناعية من قبضة الفاشية والنظام الرأسمالي العالمي ·

وذلك وصولا الى الهدف الاستراتيجي بأن تتولى البروليتاريا عملية الاطاحة بالسلطة الطبقية واستلام السلطة السياسية · ( ماذا لو تصورنا للحظات ان الاحزاب الشيوعية والقوى الثورية في جميع انحاء العالم ومدعومة بالمعسكر الاشتراكي قد نفذت بتنسيق مشترك مثل هذا البرنامج ؟! الا يقرب ذلك نهاية الامبريالية والرأسمالية والصهيونية في وقت مبكر ؟ ) وفي مقابل هذا التصور حين نتذكر ان « تاكتيك » احد الاحزاب الشيوعية الاوروبية الكبرى يدعو الى بقاء بلده في حلف الاطلسي، فألا يبدو العنف الثوري في مدن الصناعة الرأسمالية هو الوسيلة الفعلية المتاحة لهز اركان النظام الرأسمالي ؟ ومحاربة الامبريالية ؟ في مطلع ايار ١٩٧٢ أقدم الكاتب الياباني « يوكيو ميشيما » على الانتحار مع اثنين من اتباعه على طريقة « سابوكو » بعرض دموي رهيب ·

« ميشيما » ترك رسالة يقول فيها بأنه انتحر ورفاقه اعتراضا على الوجود الامريكي الاقتصادي والعسكري في اليابان ·

« الجيش الاحمر الياباني » فضل الانتحار على طريقته ، وهو يجابه الامبريالية والرأسمالية والصهيونية ·

بعد ايلول ١٩٧٠ الجبهة الالمانية للجيش الاحمر تنفذ احدى عشر عملية كبيرة فتصيب القواعد الامريكية في مدينتي فرانكفورت وهيدلبرغ ودار سبرنغر للنشر والدوائر الرسمية في نوسداو ولاس – غونس واكثر من ستة مصارف · كما نفذت الجماعة سلسلة من عمليات الاغتيال ، وأخذ عدد من الرهائن من بين كبار الشخصيات السياسية والمالية وذلك بهدف الافراج عن رفاقهم المعتقلين · هذا الالحاح المتواصل للافراج عن المعتقلين ليس من باب الاخلاص والوفاء للرفاق وانما بالاساس لانقاذ المعتقلين من جنون محقق ·

البرجوازية الالمانية ( الديمقراطية ) افردت لكل عضو من الجبهة الالمانية للجيش الاحمر زنزانة خاصة في سجن شتوتغرت – شتامهايم يصفها سارتر كما يلي :

« زنزانة منفردة ، جدرانها وسقفها مدهونة كلها باللون الابيض ، ولا يسمع فيها اي صوت باستثناء وقع اقدام الحراس الذين يأتون بالطعام ثلاث مرات كل يوم ، وتبقى

الزنزانة مضاءة طوال النهار » و « الليل كذلك مما يحولها الى اداة تعذيب قمعية تهدد عقل الموقوفين وتوازنهم النفساني » كما يقول كلاوس كروامان محامي المعتقلين في مذكرتـــه الاحتجاجيـــة ٠

ومن أجل الخلاص من هذه الاوضاع لجأ المعتقلون مرارا لاستخدام السلاح الوحيد الممكن وهو الاضراب عن الطعام ، وكان آخرها الامتناع عن الطعام والشراب طيلة ثلاثة اسابيع ابتداء من اواخر حزيران الماضي ٠

ورغم كل هذه الترتيبات الديمقراطية المعدة للمعتقلين ، فان الهر « هلموت شميت » يجرؤ على الكذب الوقح بأن المعتقلين كانوا يمتلكون في زنزاناتهم هذه ، المسدسات واجهـــزة الراديو ووسائل اتصال سلكية او لاسلكية اتفق المعتقلون خلالها على عملية الانتحـــار الجماعي !!

ولكن هل هذه هي الخاتمة التي تنتظر بعض الرتوش بالقاء القبض على ١٦ عضوا من المنظمة يجري البحث عنهم ، ثم يقفل الستار عن العنف الثوري في مدن الصناعة الالمانية عـلى الاقـــل ؟

التقديرات الاخيرة لعدد اعضاء الجبهة الالمانية للجيش الاحمر تشير بأن عددهم يراوح بين ١٢٠٠ ــ ٢٠٠٠ عضو (١٠) ٠ وفي استقصاءات للرأي العام الالماني اظهرت ان ٤٢٪ مع اطلاق السجناء مقابل الافراج عن الرهائن في مقديشو ، مقابل ٤٢٪ برفض اطـــلاق السجناء (١١) ٠

الهر هلموت شميت يعلن أمام البرلمان الالماني ان « الارهاب لم يمت لا في المانيا ولا في بقية انحاء العالم » ٠ ويدعو في مؤتمر صحفي الى « وحدة عالمية تشارك فيها جميع الدول والانظمة الديمقراطية » وذلك « لمواجهة وحدة المنظمات الارهابية التي تعمل من واقـــع ايديولوجي واحد ، وبنفس الاساليب والشروط » واذا لم يحدث ذلك فستبقى « هذه الظاهرة الشاذة « ميكروب » العصر الذي يهدد المجتمع الانساني بالقتل والتدمير » (١٢) ٠

العنف الثوري ما زال مطروحا على جدول اعمال المستقبل داخل العالم الصناعي .وفي كل مكان ٠ وسيتخذ اشكالا اشد عنفا ، ان قـــتل المعتقلين قـــد انهى حتى مفاوضـــات المتحاربيـــن ٠

---

(١٠) النهار العربي والدولي العدد ٣٦ السبت ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٧ بعض المعلومات الواردة في هذا المقال مستقاة من هذا العدد ٠

(١١) الحوادث اللبنانية العدد ١٠٩٤ الجمعة ٢٨ تشرين الاول ١٩٧٧ ٠

(١٢) الجديد اللبنانية العدد ٤٩٨ تاريخ ٣٠ تشرين الاول ١٩٧٧ ٠

# رسائل

رسالة بون

## العنف وفلسطين والتأليف

تعرضت المانيا الاتحادية في الفترة الاخيرة لموجة قوية من اعمال العنف قتل على اثرها احد كبار رجال القضاء ، احد اعضاء مجلس ادارة دريز دنار بنك Dresdner Bank واخيرا شلايار،رئيس اتحاد الصناعة الالماني ومؤسسة « أرباب العمل » · ثم قامت مجموعة ( من العرب كما ذكرت بعض المصادر ) باختطاف طائرة المانية قبل مقتل شلاير ، وانتهت العملية بمقتل ثلاثة من افراد المجموعة وقبطان الطائرة · واخيرا لقي ثلاثة من المعتقلين حتفهم في سجنهم · ويهدف هذا التقرير الى طرح ابعاد موجة العنف هذه وخاصة الفترة التي تلت اختطاف شلايار ومن البديهي ان يركز التقرير على تاثير هذه الحوادث على موقف الحكومة والشعب في المانيا الاتحادية من قضية فلسطين ومنظمة التحرير الفلسطينية ·

وسيتناول هذا التقرير ايضا « معرض الكتاب » الذي أقيم في مدينة فرانكفورت في شهر اكتوبر ليتعرض للتواجد العربي والصهيوني والى عدم تواجد منظمة التحرير الفلسطينية والى الندوة التي اقيمت في هذه المناسبة والتي شاركت فيها فيليتسيا لانجر وغيرها من الكتاب المعادين للصهيونية ·

### اعمال العنف في المانيا الاتحادية وتاثيرها على القضية الفلسطينية :

في الاسابيع الاخيرة وبالتحديد منذ ٥ـ٩ـ١٩٧٧ ، اليوم الذي اختطف فيه شلايار من قبل الذين يسمون انفسهم « بمجموعة الجيش الاحمر » والذين يسمون من قبل السلطات ووسائل الاعلام في المانيا الاتحادية « بعصابة بادر ـ ماينهوف الاجرامية » ، منذ ذلك اليوم اصبحت عملية الاختطاف هذه الشغل الشاغل لاجهزة الحكومة المختلفة ووسائل الاعلام والمواطنين بصورة عامة · وقد ازداد التوتر بعد ان تمت عملية اختطاف الطائرة « لاندسهوت » من أربعة اشخاص عرب طالبوا بالافراج عن ١١ معتقلا من « مجموعة الجيش الاحمر » ومعتقلين فلسطينيين من تركيا · واخيرا وعلى اثر اقتحام مجموعة خاصة من شرطة الحدود الالمانية الاتحادية للطائرة في عاصمة الصومال خفت حدة التوتر لتعود وتتصاعد على اثر مصرع ثلاثة من القياديين

المعتقلين في السجن ومن ثم على اثر مقتل شلايار والذي وجدت جثته في احدى السيارات في فرنسا · وعلى اثر هذه الحوادث توجهت الانظار الى مصرع المعتقلين الثلاثة والذي نتج وبناء على تصريحات الحكومة من خلال انتحارهم والذي تم في حالتين باستعمال المسدسات داخل السجن · وهنا طرحت الكثير من الاسئلة : كيف دخلت المسدسات الى اخطر واحدث سجن في المانيا الاتحادية ؟ كيف استطاع المعتقلون معرفة نبأ فشل عملية اختطاف الطائرة وذلك رغم القرار بعزلهم عن محاميهم والعالم الخارجي نهائيا ؟ والخ من الاسئلة التي سببت استقالة وزير عدل دويلة بادن فورتمبورج وحيث يوجد هذا السجن · هذا بالاضافة الى ان « اليسار الجديد » في اوروبا قام بمظاهرات صاخبة في ايطاليا وغيرها ضد المؤسسات الالمانية وذلك لانهم يعتقدون ان المعتقلين قتلوا من قبل السلطات الالمانية ·

الامر الذي يجب التأكيد عليه هو ان مسألة العنف تعتبر بالنسبة لحكومة المانيا الاتحادية قضية اساسية · ليس لانها تقلل هيبة الدولة وتعرض حياة كبار رجال المال والدولة للخطر فحسب ، وانما ايضا لان اغلبية الشعب تطالب الحكومة بالضرب بيد من حديد ، وبما ان يوم الانتخابات البرلمانية هو يوم العقاب والثواب بالنسبة للاحزاب ، فهي تعمل كل وسعها لكي تزايد على بعضها الاخر ولتضرب بكل ما لديها من وسائل ضد اعمال العنف · ولهذه القضية الاساسية ابعاد على المستوى الداخلي والخارجي · وبخصوص الناحية الداخلية فقد اقر البرلمان الالماني الاتحادي وبموافقة جميع الاحزاب الممثلة في البرلمان عدة قوانين « لمواجهة الارهاب » ، كما قامت بعض وسائل الاعلام ، وعلى رأسها صحف ملك الصحافة اكسيل شبرنجر والمعروف بصهيونيته وبعدائه لكل القوى التقدمية في المانيا والعالم ، بشن حملة على من سمتهم « بأباء الارهاب » وعلى « المتعاطفين مع الارهاب » وكان من ضمن من تعرض لهذه الحملة ، والتي شارك فيها بعض رجال التلفزيون ، كتاب مشهورين امثال هاينريش بول الذي حاز على جائزة نوبل للادب · ولم تتورع وسائل الاعلام هذه عن مهاجمة فيلي براند ، رئيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم ، لان موقفه من اعمال العنف كان : « لا للارهاب ·· ولكن » ·

ومن الممكن اختصار الحوار الذي يدور في المانيا الاتحادية حول مسألة العنف بين الاغلبية الساحقة والاقلية على الشكل التالي : الاغلبية تطالب بمواجهة العنف بكل الوسائل وبدون اي تحفظات ، والاقلية المتواجدة بحجم كبير في الجامعات واوساط المثقفين تطالب ايضا بمواجهته ولكن بدون المساس بالقوانين او تعديلها بشكل يعرض المواطن للضياع ، كما ان هذا الطرف يحاول ان يبحث عن اسباب هذه الظاهرة الاجتماعية ويطالب باجراء الاصلاحات كحل كما ويتهم الطرف الاول باستغلالها لتقوية نفوذ اليمين ·

هناك ايضا بعض « الاحزاب » اليسارية والمعادية للامبريالية والصهيونية والمعروفة بمجموعات « الكاف » وهو الحرف الاول لاسمائها وهو اختصار « كومينستسن » ( شيوعية ) والتي تعاملها السلطة « كمجموعات متقاربة من الارهابيين » ·

وقد طالب الحزب المسيحي الديمقراطي بمنع هذه « الاحزاب » · وعلى اي حال لا تشكل هذه المجموعات من الناحية العددية قوة تذكر وذلك لانها لم تتمكن من دخول صفوف الطبقة العمالية ·

من المؤكد ان ظاهرة العنف في المانيا الاتحادية لم تترك اثارا ايجابية على تطور اليسار في المانيا الاتحادية ، خاصة وان

اليسار هنا ، وخلافا مثلا لايطاليا وفرنسا ما زال في مرحلة الطفولة · وبما ان القوى اليسارية والمعادية للاستعمار تعتبر الحليف الطبيعي لحركات التحرر في العالم الثالث ومن ضمنها الثورة الفلسطينية ، فقد انعكس ذلك بشكل او بآخر على النشاطات المتعلقة بالقضية الفلسطينية · واذا نظرنا مثلا الى احد القوانين الذي اقر في البرلمان الالماني الاتحادي «لمحاربة الارهاب » فاننا نستطيع ان نتصور الصعوبات التي قد يواجهها العمل لنصرة قضية الشعب الفلسطيني · فقانون (88A) يعرض حتى – وكما قال النائب البرلماني الاشتراكي مانفريد كوبك في مجلة الشتيرن ٢٠–١٠–١٩٧٧ – من يناقش مسالة العنف للعقوبة ، وبما ان حركات التحرر في العالم الثالث تنطلق من حق النضال ضد الاحتلال والاستعمار ، فمن البديهي ان يصطدم الذين يدعمون هذه الحركات بصعوبات جمة ·

الاهم من القوانين هذه هو الجو العام الخانق ومعاداة اغلبية الشعب الناتجة عن حملات اعلامية واسعة النطاق لكل عمل سياسي لا يسير بشكل مطلق مع الاتجاه الرسمي وتأثير ذلك مثلا على القيام بمحاضرات لنصرة قضية فلسطين · والجدير بالذكر ان الحملات الاعلامية كانت في السابق تستغل كل عملية عنف لتربطها بالفلسطينيين ، واصبحت هناك علاقة ميكانيكية بين اي عنف والفلسطينيين حتى ولو لم يكن لهم من قريب او بعيد اية صلة بها · وكل حادث من هذه الحوادث وبغض النظر عن من يقف خلفه بسبب زيادة نقمة اغلبية الشعب الالماني المعبأ على المقاومة الفلسطينية والفلسطينيين بصورة عامة ·

اما على الصعيد الخارجي فقد اكدت عمليات العنف الاخيرة ان الحكومة الالمانية لا تستطيع ان تواجهها الا بالتعاون مع الدول الاخرى والمؤسسات الاجنبية ·

ونظرا لان بعض الدول العربية تعاونت الى أبعد الحدود مع الحكومة الالمانية ، فقد تعففت وسائل الاعلام هذه المرة عن شن حملة على العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، بل بالعكس فقد قام المستشار الالماني المتحفظ – ورغم غرابة ذلك بالنسبة للتقاليد في المانيا الاتحادية – بمعانقة سفير الصومال · وبالرغم من ان الصومال حصلت مقابل جهودها ( وكما اشارت بعض المصادر والتصريحات غير الرسمية ) على معدات عسكرية من بريطانيا تمولها المانيا الاتحادية الا أن سماح الصومال لشرطة الحدود الالمانية باقتحام الطائرة على اراضيها جعل وسائل الاعلام وعلى غير عادتها تكيل المديح للعرب بدون استثناء · كما اكد وزير الدولة فيشنفسكي ، الذي اخذ يتباهى في احد البرامج التلفزيونية بعلاقاته الشخصية القوية مع الكثير من السياسيين العرب ، وبأن التعاون مع الدول العربية كان على احسن ما يرام ، وقد كان هذا الوزير يتحرك بطائرة خاصة من أجل الافراج عن الرهائن · وفي خطاب المستشار هلموت شميدت في البرلمان والذي اذيع ونشر في كافة وسائل الاعلام وجه شكر حكومته لياسر عرفات لانه ادان خطف الطائرات ، ولاول مرة – ولو بعد تردد قصير – صفق اعضاء مجلس النواب لياسر عرفات ·

كما قام التلفزيون الالماني وفي خلال اسبوع واحد وبعد اختطاف شلايار بعرض فيلمين لصالح القضية الفلسطينية وكان الاول لقاء طويلا مع ياسر عرفات والثاني من انتاج اسرائيلية من اعضاء راكاح · والغريب ان الفيلم الثاني عرض لاول مرة في التلفزيون الالماني رغم انه انتج في عام ١٩٧٤ · من هنا نلاحظ ان الاعلام يحاول ان يقترب ولو ببطء من موقف المجموعة الاوروبية التي وان كانت لم تعترف بعد بمنظمة التحرير الفلسطينية ،

الا انها على الاقل اصبحت تعترف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني وتطالب بانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، وقد كانت هذه الدول من بين اعضاء هيئة الامم الذين ادانوا اقامة المستعمرات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة في ٢٧ـ١٠ـ١٩٧٧ ٠ اذن كان لا بد ان يغير الاعلام موقفه المعادي للقضية الفلسطينية وان يوضح للشعب لماذا غيرت حكومته موقفها من الشعب الفلسطيني ، وذلك يتطلب على الاقل اظهار جانب من الحق الفلسطيني مع عدم المساس بالكيان الصهيوني في اطار حدود عام ١٩٦٧ ٠

ولكن الموقف المعادي لبعض الدول العربية للعمليات الاخيرة وادانة منظمة التحرير الفلسطينية لذلك لم يمنع بعض الصحف من استغلال هذه العمليات لمهاجمة منظمة التحرير الفلسطينية ٠ فقد كتبت هارالد فوكي في جريدة فرانكفورتر الجمانية تسايتنغ ( Frankfurter Allgemeine Zeitung ) ٢٦ـ١٠ـ١٩٧٧ ـ والتي تعبر عن لسان حال الاحتكارات الكبيرة حول الحوار الاوروبي العربي ومطالبة الدول العربية لدول المجموعة الاوروبية بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، بان قائد هذه المنظمة ياسر عرفات يتزعم بنفس الوقت « العصابة الارهابية » فتح والتي حملها فوكي مسؤولية القيام بعمليات ارهابية من ضمنها عملية ميونيخ عام ١٩٧٢ ٠ واضاف فوكي في تعليقه الطويل على الصفحة الاولى ان تكتيك منظمة التحرير الفلسطينية هو ان يقوم الزعماء الفلسطينيون علنا بادانة العمليات الاجرامية التي يقوم بها الفلسطينيون وذلك لان مصالح المنظمة كانت ستتعرض للضرر لو ان رئيس هيئتها التنفيذية ايد عملية اختطاف الطائرة الالمانية « لاند سهوت » ولهذا ادان عرفات العملية ٠ ولكن عرفات واليمن الجنوبية وليبيا والعراق لم يتخذوا اية اجراءات ضد زعيم الارهاب وديع حداد ، ويقول انه على العكس من ذلك فقد قاموا بدعمه ٠ ثم يؤيد الصحفي الحوار العربي الاوروبي ويؤكد على اهميته، ولكنه يقول ان الدول الاوروبية يجب ان تتحدث لغة واضحة ولن تقول للدول العربية » « ان العديد من القياديين الفلسطينيين وعلى راسهم ياسر عرفات لا يناضلون من أجل الحرية فهم زعماء عصابات ارهابية ، وان هذه المجموعات الارهابية تعرض أمن الديموقراطيات الغربية للخطر » ٠

ورغم ان هذا الصحفي المحافظ المعروف بعدائه للمنظمة وباعجابه بالكتائب لا يعبر عن اتجاه وسائل الاعلام العام في الوقت الحالي ، الا انه يجب ان لا يغيب عن البال ان هناك احتياطيا كبيرا من أمثاله وسيصولون ويجولون اذا اقتضى الامر ذلك ، ولكن من الصعب في هذه المرحلة التي تبحث فيها الحكومة الالمانية وباي ثمن عن حلفاء لحل مشكلة العنف وبعد ان صفق البرلمان الالماني لياسر عرفات ان تختار وسائل الاعلام هذا الوقت لكي تشن حملة على منظمة التحرير الفلسطينية ٠

وبغض النظر عن مسالة العنف التي تعتبر ثانوية من وجهة النظر العربية فهناك انتصارات كبيرة حققتها م٠ت٠ف على المستوى العالمي والدبلوماسي ولم يعد بمقدور دول المجموعة الاوروبية التي تحرص بالدرجة الاولى على مصالحها الاقتصادية في الشرق الاوسط ان تراهن على الكيان الصهيوني فقط ، خاصة وان انحسار الغطاء عن سياسته التوسعية العنصرية والهجومية اصبح يصعب التضامن معه وحتى من اقرب الحكومات اليه ٠

ويمكننا ان نقارن موقف المجموعة الاوروبية ، من منظمة التحرير الفلسطينية

بموقفها من حركات التحرر في المنطقة الجنوبية في افريقيا ، فهي من جهة تتعامل عسكريا واقتصاديا مع حكومتي جنوب افريقيا وروديسيا العنصريتين لانها لا تريد ان تخسر نفوذها الحالي ، ولكنها بنفس الوقت لا تريد ان تقطع الحبل مع حركات التحرر في هذه المنطقة لانها لا تريد ان تعرض مصالحها هذه في المستقبل للضياع ، هذا طبعا مع مراعاة اهتمامها بالتضامن الافريقي مع حركات التحرر ومع مراعاة امكانية زيادة نفوذ الاتحاد السوفييتي في حالة تحيزها المطلق للعنصرية ·

حوار في ظل « معرض الكتاب » في مدينة فرانكفورت

يعتبر معرض الكتاب الذي يقام سنويا في اكتوبر في مدينة فرانكفورت من أهم المجالات الثقافية على الصعيد الاوروبي والعالمي · وفي هذا العام شاركت ٤٥٠٦ دار نشر ومن بينها ٤٣٠٢ دار نشر اجنبية بعرض ٢٧٩٠٠٠٠ كتاب · ويبلغ عدد زوار هذا المعرض الذي يستمر من ١٢ الى ١٧ اكتوبر عشرات الالاف ومن البديهي ان تحرص معظم الدول والمؤسسات والمنظمات على الاستفادة من هذه الفرصة الذهبية لكي توصل ما يهمها الى الرأي العام العالمي · وقد شاركت ضمن الدول الـ ٧٥ التي شاركت في هذا المعرض كل من مصر ، ليبيا ، الكويت ، العراق ، والجزائر ·

وقد لمس المهتم بمشاكل المنطقة العربية ان المعرض الاسرائيلي كان يبلغ من الناحية الكمية ثلاثة او اربعة اضعاف مجموع المعارض العربية المذكورة · ومن الناحية النوعية فقد عرضت الدول العربية ما توفر لديها من الكتب باستثناء ما نشر باللغة العربية ، بينما عرضت اسرائيل كتبها بلغات اجنبية مختلفة · هذا وقد وضعت في المعرض الاسرائيلي بعض الخرائط القديمة التي تهدف الى اظهار فلسطين كأنها دولة اليهود التاريخية واحتوى المعرض على عدة كتب لدايان ، جولدا مايير وبيجن · وبعض الكتب التي تحاول اظهار بطولات الجيش الاسرائيلي ومن ضمنها كتب حول عملية عينتبة ·

ومن الملفت للنظر ان م·ت·ف لم تكن ممثلة في هذا المعرض الهام وذلك بالرغم من حجم ما نشر حول قضيتنا وخاصة من مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسات الدراسات الفلسطينية وغيرها وبالرغم من توفر عدد كبير من هذه الكتب بلغات اجنبية عديدة ومن ضمنها اللغة الالمانية · لا شك ان تواجدنا في هذا المعرض كان سيفتح امام العمل الفلسطيني ابوابا جديدة · ومن الجدير بالذكر ان العديد من المنظمات الصغيرة ، مثل منظمة الطلبة الايرانيين او جمعية المحافظة على الشعوب المعرضة للانقراض ، كانت متواجدة في هذا المعرض · لقد كانت فلسطين في فرانكفورت « لاجئة » فبدل ان تحتل الموقع الذي يتناسب مع مستواها السياسي والثقافي وقفت مجموعة من شباب « جمعية نصرة فلسطين » لتبيع كتبا وضعت على طاولة في احد الممرات خارج قاعات المعرض !!

وقد شاركت « دار نشر العالم الثالث » Progress Dritte Welt ـ بمعرض فرانكفورت وكانت هذه الدار قد اصدرت عدة كتب معادية للصهيونية من ضمنها : هالشتاين : « لا سلام حول اسرائيل » ، فيليتسيا لانغر : « بأم عيني » ، اسرائيل شاحاك : « غير اليهود في الدولة اليهودية» وستقوم في القريب باصدار دراسة هاني منس حول تل الزعتر · وقد قامت دار النشر هذه بالدعوة لندوة شارك فيها الكتاب : فيليتسيا لانغر ، ارسن فريد ،

هالشتاين ومايون اوفنبرج وكان موضوع الندوة يدور حول «الصعوبات التي يواجهها الكتاب المعادون للصهيونية في المانيا الاتحادية» ٠

وقبل ان تبدأ الندوة اجتمعت مجموعة من الشباب بفيليتسيا التي تتكلم العربية بلهجة فلسطينية دارجة وقالت انها تعلمت العربية من السجناء ومن امهاتهم خاصة ٠

وحدثت الشباب عن بطولات شعبنا في الارض المحتلة وعن ضرورة زيادة تضامننا مع المعتقلين لان التضامن بالنسبة لهم «أهم من الماء» ٠ وقالت ان أساليب الصهيونية الفاشية في التعذيب لم تعد سرا بعد ان نشرت مجلة شتيرن الالمانية والصانداي تايمز البريطانية مختصرا عنها ولكني «استطيع ان اؤكد لكم انه كلما ازدادت هذه الاساليب وحشية كلما ازداد الشعب الفلسطيني بطولة ومقاومة» ٠

وفي اثناء الندوة تحدث المشاركون فيها عن تجاربهم مع دور النشر ووسائل الاعلام وذلك بعد ان قدموا ملخصا حول تطورهم الى كتاب معادين للصهيونية ٠

وذكر اريس فريد الشاعر والكاتب المشهور الذي يكتب في اللغة الالمانية والذي ترجم شكسبير الى اللغة الالمانية ، انه من عائلة يهودية نمساوية ، ولكن عائلته كانت من اليهود «الاندماجيين» اي انها كانت منخرطة في المجتمع النمساوي ، ولكن بعد ان احتل هتلر النمسا قتل والده في معتقلات التعذيب النازية ، ولجأ اريس فريد هاربا من النازية الى انجلترا حيث كان يتعاطف في البداية مع فكرة الدولة اليهودية ٠ وعندما اتضح له ان هذه الدولة قامت على اشلاء حقوق الشعب الفلسطيني بدأ يكتب ضد الصهيونية ونشر عدة قصائد من ضمنها «اسمعي يا اسرائيل» والتي يقول فيها «لقد كنت واحدا منكم عندما كنتم مظلومين ، ولكن وبعد ان اصبحتم ظالمين فأنا اصبحت ضدكم» ومن الاقوال المشهورة له وصفه للمفرطين في حب الصهيونية في اوروبا «بأنهم لا ساميون يحبون اليهود» لانهم استبدلوا كره اليهود بكسره العرب ٠ واضاف اريس فريد ان هذا التحول الى عداء الصهيونية ينطبق ايضا على اسرائيل شاحاك الذي هاجر الى فلسطين لانه كان صهيونيا متدينا ٠ فقد بدأ عداء شاحاك للصهيونية على اثر حادث معين ، وكان ذلك عندما اراد ان يستعمل هاتف احد الاسرائيليين من اجل مساعدة احد المارة الذي كان بحالة اعياء ومرض شديدة ٠ ووافق الاسرائيلي على ذلك ولكنه عاد ورفض عندما علم ان المريض عربي فلسطيني ٠

واضاف اريس فريد ان كتاباته كانت في السابق وقبل ان يبدأ بنشر قصائده ضد الصهيونية تحظى باهتمام شديد من الصحف ، الاذاعة والتلفزيون ، ولكنها قاطعته وبشكل شبه كامل بعد صدورها واخيرا فقد وجد صعوبات كبيرة في نشر كتاب يتضمن مجموعة من قصائده المعادية للصهيونية ٠

وذكر الاستاذ هالشتاين انه مواطن سويسري وكان يعمل كصحفي في احدى الصحف الاسرائيلية وكانت هذه الصحيفة كمعظم الصحف الاسرائيلية متطرفة في تعاطفها مع الصهيونية وكان ذلك ينطبق عليه ايضا ٠ ولكنه وبعد زيارة لمخيمات اللاجئين شرع في نقد الصهيونية فمنعته الصحيفة من نشر اي مقال يتعلق بالشرق الاوسط ولم يتمكن من نشر اي مقال في اية صحيفة اخرى ، مما اضطره ان يعتزل مهنة الصحافة وينخرط في العمل الاكاديمي ٠ وعندما اراد اصدار كتابه «لا سلام حول اسرائيل» في دار نشر معروفة ٠ ( Fiselier ) طلبوا منه اجراء

بعض التعديلات التي سيقترحها احد الصحفيين الصهاينة ولكن هذا رفض حتى مجرد قراءة الكتاب بعد ان رأى صورة الغلاف وهي صورة للاجئين يحملون امتعتهم فوق جسر المسبيه في عام ١٩٦٧. ثم نشر الكتاب ولكن دار النشر عادت واوقفت بيع الكتاب ثم قامت احدى دور نشر العالم الثالث بنشر نسخة جديدة من الكتاب .

ثم تحدث ماريو اوفنبرج وهو اسرائيلي من مجموعة ماتسبن عن تطوره من جندي اسرائيلي شارك في حرب ١٩٦٧ الى كاتب معاد للصهيونية وذلك بعد ان تبين له ان حرب ١٩٦٧ لم تكن حربا دفاعية وانما توسعية وهجومية .

واخيرا تحدثت فيلتيسيا لانغر وقالت انها نظيفة جدا ، فهي لم تكن في يوم من الايام صهيونية . واضافت بأنها تكتب عن اوضاع المعتقلين وتدافع عنهم ليس لانها تحترم نضال الشعب الفلسطيني فحسب ، وانما ايضا لانها تحب اليهود ولانها تعتقد ان الصهيونية ليست فكرة عدائية ضد الفلسطينيين فقط وانما ضد اليهود ايضا ، فهي لا تشكل حلا للمسالة اليهودية التي لا يمكن ان تحل من خلال اعمال فاشستية ضد الشعب الفلسطيني . وهنا علق اريس فريد « كانت الحركة الصهيونية في السابق تقول ليهود العالم ان اسرائيل هي الضمانة الوحيدة لسلامتهم ولكنها وعلى اثر الحروب المتوالية التي ورطت فيها اليهود في فلسطين بدأت تطالب اليهود بأن يقاتلوا ويموتوا لكي تبقى اسرائيل .

واصلت لانغر حديثها حول الارهاب الصهيوني ونضال شعبنا في المعتقلات الصهيونية ونظرا لان هذه المعلومات نشرت في كتابيها « بأم عيني » و « اولئك اخوتي » فساكتفي بالاشارة الى حادثة وقعت في معرض فرانكفورت . ذكرت لانغر ان كتبها ترجمت الى سبع لغات ولكنها لم تقرأ بشكل اوسع في اسرائيل نفسها وذلك للصمت المقصود الذي لاقته هذه الكتب في وسائل الاعلام الصهيونية . ولهذا قررت ان تقوم بدعاية لكتابهـا امام المعرض الاسرائيلي في فرانكفورت فأرادت ان تتصور امامه وهي تحمل كتاب « بأم عيني » الذي صدر بالالمانية . وقالت لموظفي المعرض الاسرائيلي انكم منعتموني من عمل دعاية في اسرائيل فسأفعل ذلك هنا ، ولكن هؤلاء منعوها ايضا في فرانكفورت وهددوها بالضرب . لم تفاجأ المرأة التي تعلمت العربية من امهات السجناء بتعرضها للضرب ، فهي تعلم تماما ماذا تعني الديمقراطية بالنسبة لارهاب الفكر الصهيوني ، ولكنها ارادت ان تكشف حقيقة هذه الايديولوجية للرأي العام في اوروبا ، وكان لها ما ارادت .

حكم عبد الهادي

---

رسالة واشنطن

## البيان السوفياتي - الامريكي المشترك وورقة العمل الامريكية - الاسرائيلية

اثار البيان السوفيتي - الامريكي المشترك الذي صدر بتاريخ ٢-١٠-١٩٧٧ عاصفة من الاحتجاج والاستنكار من قبل المنظمات والجمعيات اليهودية والصهيونية، واعضاء الكونجرس الامريكي المؤيدين لاسرائيل . ولقد ركزت معظم الانتقادات

على ادخال كلمة « الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » في البيان والاشارة الى ضرورة مشاركة ممثلي الشعب الفلسطيني في مؤتمر السلام ، واعتبرت المنظمات اليهودية بان هذه العبارات تعني تغيرا جذريا في موقف الادارة الامريكية وتعني الاعتراف بحق منظمة التحرير والشعب الفلسطيني في المشاركة في المفاوضات ٠

وركز كل من السناتور هنري جاكسون والسناتور دانيال مونياهان ( واشنطن بوست ٤-١٠-٧٧ ) في نقدهما للرئيس كارتر بأنه سمح لعودة النفوذ السوفيتي للمنطقة عن طريق اصدار مثل هذا البيان المشترك ، كما انتقد النائب سيدني يتس ( واشنطن بوست ٢-١٠-٧٧ ) والنائب جوناثان بنجهام الرئيس كارتر ، وقام بنجهام بتوجيه رسالة الى الرئيس كارتر يحتج فيها على تغير السياسة الامريكية ٠

كما قام رئيس حزب اتحاد العمال الامريكي جورج ميني ( نيويورك تايمز ٣-١٠-٧٧ ) بمهاجمة الرئيس كارتر واتهمه بانه يفرض حلا على المنطقة مما يتعارض مع مصالح اسرائيل ٠

وهاجمت معظم المنظمات اليهودية الرئيس كارتر بعنف ، وذكر رئيس مجلس المنظمات اليهودية الرابي الكسندر شندلر ( واشنطن بوست ٢-١٠-٧٧ ) بان الجالية اليهودية الامريكية « غاضبة جدا وغير سعيدة جدا » لموقف الادارة الامريكية ، كما اتهمت منظمة بناي بريث ( واشنطن بوست ٤-١٠-٧٧ ) الادارة الامريكية بانها اتخذت موقفا مؤيدا للعرب ، وبأن البيان المشترك يعتبر «تغيرا مشينا» وخطيرا » ، كما اعلن المجلس الامريكي اليهودي بان البيان المشترك يعتبر تغيرا رئيسيا في السياسة الامريكية، وان الاشارة الى « الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » معناها موافقة الادارة الامريكية على اشراك الفلسطينيين في مؤتمر السلام ، ومعناه فرض حل على المنطقة دون استشارة اسرائيل ٠

وانتقدت الصحف الامريكية الرئيسية البيان المشترك ، وذكرت جريدة واشنطن بوست ٤-١٠-٧٧ بأن البيان يعيد للسوفيت نفوذهم في المنطقة ، كما انه يثير غضب المنظمات اليهودية الامريكية واسرائيل بسبب اشارته « للحقوق المشروعة للفلسطينيين » وهذا لا يساعد على ايجاد حلول للمشاكل ٠ كما انتقد الصحفي اليهودي جوزيف كرافت الادارة الامريكية لاصدار مثل هذا البيان وذكر بان الرئيس كارتر عقد الامور مرة اخرى٠

ولم تتراجع الادارة الامريكية عن موقفها ، فاعلن وزير الخارجية فانس بأن البيان يتضمن امورا ايجابية خاصة فيما يتعلق باسرائيل وباقامة علاقات طبيعية مع الدول العربية ، كما اكد المتحدث باسم الرئيس كارتر ( ٤-١٠-٧٧ ) بأن البيان المشترك لا يعني تغيرا في السياسة الامريكية ٠

واما الرئيس كارتر فذكر في خطابه في الامم المتحدة ( ٤-١٠-٧٧ ) نفس الموقف ، واشار الى ضرورة حل « الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » من أجل احلال السلام في المنطقة ، ولكنه اكد بأن امريكا لا تريد فرض حل على المنطقة٠ وأكد بأنه اذا توفرت النية الحسنة لدى جميع الاطراف فيمكن عقد مؤتمر جنيف قبل نهاية العام الحالي ٠ وذكر بانه لا تزال هناك عقبات اجرائية قبل عقد المؤتمر ( وهي اشارة الى ان تمثيل منظمة التحرير لا يزال مشكلة ) ٠

وبذلك لم تتراجع الادارة الامريكية امام الهجوم الصهيوني العنيف الذي بدأ يزداد حدة ٠ وركزت المنظمات اليهودية هجومها على مستشار الرئيس كارتر برجنسكي واتهمته بانه هو الذي كتب

مسودة بيانات وزارة الخارجية الامريكية التي انتقدت اسرائيل .

من الواضح بأن الخلافات بين الرئيس كارتر والادارة الامريكية من جهة والمنظمات اليهودية والصهيونية من جهة اخرى قد اتخذت طابع العلانية وازداد حدة ، وسيكون لهذا اثره على الرأي العام الامريكي الذي بدأ يشعر بان المنظمات اليهودية الامريكية تعارض السياسة الامريكية الحالية .

ومن جهة اخرى تقوم بعض الشخصيات الاسرائيلية المؤيدة لشعب فلسطين بجولة اعلامية في امريكا ، ومنها الدكتور اسرائيل شاهاك رئيس لجنة حقوق الانسان الاسرائيلية الذي القى محاضرات في عدد من المدن والجامعات الامريكية مركزا على مخالفات اسرائيل لحقوق الانسان وقيامها بتعذيب المعتقلين العرب ومصادرة الاراضي وغيرها من الاعمال العدوانية .

وذكر شاهاك في محاضرة بمدينة واشنطن ( بتاريخ ٢-١٠-٧٧ ) بان حكومة مناحيم بيجن ، بسبب خلفيتها السياسية ونظرتها العنصرية والعسكرية للعرب وبسبب الاوضاع الاقتصادية في اسرائيل ستقوم بحرب جديدة يكون هدفها احتلال اجزاء من شرق الاردن ، خاصة وان بيجن يؤمن بان العرب يفهمون لغة العنف فقط ، كما ان سياسة بيجن تهدف الى تمزيق كل من سوريا ولبنان وخلق كيانات محلية طائفية تحت سيطرة اسرائيل . واما الفلسطينيون فينظر بيجن اليهم نظرة عملية ويؤمن بانه يمكن السيطرة عليهم خاصة من الضفة وغزة واستخدامهم كايدي عاملة لخدمة الاقتصاد الاسرائيلي .

ونشرت جريدة جروسالم بوست ( ٢٦ - ١٠-٧٧ ) مقالا لقيادات الجيش الاسرائيلي اكدت صحة هذه الاراء ، اشار مقال الجنرال مايز اميت ( رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق ) الى ان اسرائيل تفكر في عملية عسكرية ضد ابار البترول العربية وبأن الابار هي احدى اهداف الحرب لانها استخدمت كسلاح من قبل العرب . وذكر الجنرال شمويل جونون بأن اسرائيل ستوجه اهتمامها في الحرب القادمة الى الاردن « المملكة المصطنعة » وان الهدف سيكون احتلال الاردن او المنطقة الشمالية منها وذلك لحل المشكلة الفلسطينية واقامة وطن فلسطيني هناك . وذكر المقال بأن مساعد وزير الدفاع الاسرائيلي مردخاي زبوري اكد لاول مرة بان القيادة الاسرائيلية العسكرية وضعت « اهدافا حربية » متعددة .

ومن جهة اخرى ستقوم لجنة شؤون اللاجئين في الكونجرس الامريكي التي يراسها السناتور ادوارد كندي بعقد ندوات لبحث الاوضاع في الضفة الغربية وغزة ، وستقوم بدعوة عدد من رؤساء البلديات للتحدث أمام اللجنة عن أوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال الاسرائيلي وذلك بهدف سماع وجهة النظر الفلسطينية وسيتحدث في اللجنة السيد كريم خلف رئيس بلدية رام الله ، والسيد ابراهيم الدقاق ( من القدس ) والسيد سليم تماري ( جامعة بيرزيت ) بالاضافة الى اسرائيل شاهاك .

## الضغط الصهيوني وتراجع الادارة الامريكية

أمام الضغط والهجوم الصهيوني العنيف تراجع الرئيس كارتر ووافق على ورقة عمل سرية وبيان اسرائيلي - امريكي مشترك بعد اجتماع دام ست ساعات في نيويورك مع دايان بتاريخ ٥-١٠-٧٧ .. وذكرت جريدة واشنطن بوست بان المنظمات اليهودية الامريكية اعلنت الانتصار ، والغى اعضاء الكونجرس الامريكي المؤتمر الصحفي الذي كان سيعقد

بتاريخ ٧ـ١٠ـ٧٧ للاحتجاج ضد الرئيس كارتر ، كما سحب ١٥٠ عضوا من اعضاء الكونجرس رسالة الاحتجاج التي كانت ستقدم للرئيس ·

وأما في الصحافة الامريكية ، فتعرض الرئيس كارتر لنقد عنيف ، من بعض الصحفيين المشهورين . فكتب وليم سافير ( نيويورك تايمز ٦ـ١٠ـ٧٧ ) بان الادارة الامريكية غبية وبان الرئيس كارتر « يبيع اسرائيل » ويهدد امنها ومصالحها. وطالب بالضغط على كارتر وارغامه على التراجع عن البيان السوفيتي ـ الامريكي. واما الصحفي جورج ويل فكتب في ( واشنطن بوست ٦ـ١٠ـ٧٧ ) متهما كارتر « بالحماقة والجهل » وذكر بأنه من الغباء التعاون مع دولة عدوة ( الاتحاد السوفيتي ) ضد دولة صديقة ( اسرائيل)· كما ذكر الصحفي رولاند ايفانز في نفس الجريدة بان القوى المحافظة والمعادية للسوفيت والعرب في الكونجرس الامريكي والتي يتزعمها السناتور مالكوم تجمعت ومارست ضغطا سياسيا كبيرا ضد كارتر بسبب توقيعه البيان السوفيتي الامريكي المشترك · ووصف السناتور البيان بأنه « عمل جنوني » ·

امام هذا الضغط السياسي العنيف اعلن مستشارو كارتر بانهم تراجعوا لوقف هذه الحرب السياسية عليهم · واكدوا بان السياسة الامريكية تجاه اسرائيل لم تتغير ، وبان الهدف من البيان السوفيتي الامريكي كان لتشجيع السوفيت للضغط على السوريين والفلسطينيين لعدم معارضة مؤتمر جنيف والحل السلمي ·

وهذا نص البيان الامريكي ـ الاسرائيلي المشترك :

« ان امريكا واسرائيل تتفقان بان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ يبقى الاساس لاعادة عقد مؤتمر السلام بجنيف وبان جميع الاتفاقيات بينهما حول هذا الموضوع باقية · وقد قدمت اقتراحات لازاحة العقبات البادية امام عقد مؤتمر جنيف . وسيبلغ دايان حكومته بهذه المقترحات ، كما سيبحث فانس المقترحات مع الاطراف الاخرى وان قبول الاطراف المعنية البيان السوفيتي ـ الامريكي ليس شرطا لعقد وتسيير مؤتمر جنيف » ·

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز بأن الدول العربية لن توافق على هذه المقترحات مما يدل على ان الاتفاق السري الذي تم بين كارتر ودايان يحتوي على تنازلات من الطرف الامريكي · وذكرت الجريدة بأن الاتفاق السري يتضمن حلا اجرائيا لعقد مؤتمر جنيف على اساس اشتراك وفد عربي موحد يضم مصر وسوريا والاردن وبعض الفلسطينيين · وقبل دايان باشتراك فلسطينيين من رؤساء البلديات في الضفة الغربية ، كما قبل بفكرة عقد « مجموعات عمل » بعد افتتاح المؤتمر لمناقشة جميع المشاكل على اساسيين : الاول :مفاوضات ثنائية بين اسرائيل وكل من الدول العربية المعنية على حده ( مصر ـ اسرائيل ، سوريا ـ اسرائيل ، الاردن ـ اسرائيل )· وذلك لعقد معاهدات سلام وانهاء حالة الحرب · ثم الثاني : مفاوضات مشتركة تعالج قضايا تعويض اللاجئين العرب واليهود ومستقبل الضفة الغربية وغزة ويشارك في هذه المفاوضات فلسطينيون · وذكرت الجريدة بان دايان قبل باشتراك ممثلين من « القيادات الصغيرة وغير المعروفة » من منظمة التحرير في المفاوضات · وذكرت واشنطن بوست بان الاتفاق السري تضمن عدم قبول اسرائيل بمبدأ دولة فلسطينية في الضفة وغزة حتى ولو مرتبطة بالاردن ، كما تضمن وعودا امريكية بعدم استخدام الضغط الاقتصادي او قطع الاسلحة الامريكية عن اسرائيل ·

وذكرت جريدة نيويورك تايمز بتاريخ

٨ـ١٠ـ٧٧ بان الدول العربية ( مصر والاردن ) قبلتا بورقة العمل الاسرائيلية الامريكية وان هناك اتجاها من سوريا بقبول الاقتراحات خاصة فيما يتعلق بوفد عربي موحد لحضور مؤتمر جنيف ·
ويؤكد هذا التصريحات الصادرة عن وزارة الخارجية الامريكية ، التي اشارت الى ان العقبات النهائية في وجه عقد المؤتمر قد ازيحت ·

واجتمع الرئيس كارتر بتاريخ ٧ـ١٠ـ٧٧ بستة عشر عضوا يهوديا من اعضاء الكونجرس واعتذر امامهم للسيد كوتش المرشح لرئاسة بلدية نيويورك والذي قدم رسالة احتجاج للرئيس كارتر خلال زيارته للامم المتحدة ، واكد كارتر التزامه بدعم اسرائيل وذكر بانه مستعد للقيام « بعمل سياسي انتحاري » على ان يتخلى عن اسرائيل ، واكد بأن البيان السوفيتي ـ الامريكي المشترك لا يعبر عن السياسة الامريكية وليس اساسا للمفاوضات او المباحثات في جنيف ·

وفي نيويورك ، اعلن زهدي ترزي ممثل منظمة التحرير بتاريخ ٧ـ١٠ـ٧٧ بان المنظمة لا تعارض تمثيل رؤساء البلديات في مؤتمر السلام لان جميع الفلسطينيون اعضاء في منظمة التحرير ، وذكرت جريدة
واشنطن بوست بتاريخ ٧ـ١٠ـ٧٧ بان هذا التصريح يعتبر تنازلا جديدا من قبل المنظمة ويفتح الباب امام عقد مؤتمر جنيف لانه يزيح العقبة الاخيرة وهي تمثيل منظمة التحرير ·

ولكن وزارة الخارجية الامريكية اعلنت مساء ٧ـ١٠ـ٧٧ بانه اذا ارادت المنظمة حضور مؤتمر جنيف فعليها الاعلان علنا بقبول قرار ٢٤٢ والاعتراف بحق اسرائيل في البقاء ، كما ذكرت مصادر مطلعة في الامم المتحدة بان امريكا سوف تصوت ضد اي قرار جديد يقدم لمجلس الامن لتغيير قرار رقم ٢٤٢ ·

وهكذا نجحت القوى الصهيونية والامريكية المؤيدة لاسرائيل في جعل الرئيس كارتر يتراجع عن التزامه بعبارة « الحقوق المشروعة لشعب فلسطين » لانها فهمت من هذه العبارة التزاما امريكيا بدولة فلسطينية وهذا ما لا يمكن ان تسمح به اسرائيل · واكد دايان ذلك في حديثه الى تلفزيون ( A.B.C.) بتاريخ ٩ـ١٠ـ٧٧
بأن اسرائيل لن تسمح بقيام دولة فلسطينية في الضفة لانها ستكون قاعدة تهدد امن وبقاء اسرائيل ، ومن جهة اخرى اكد اسماعيل فهمي وزير خارجية مصر في نفس البرنامج تمسك مصر بضرورة حضور منظمة التحرير مؤتمر جنيف ·

فهل هذا التراجع من الرئيس كارتر امام الضغط الصهيوني العنيف مؤقت ؟ ام ان الرئيس كارتر لا يستطيع مواجهة كل هذه القوى وبذلك يضطر الى التراجع وتقديم مزيد من التعهدات لاسرائيل ؟ من الواضح في هذه المرحلة بان كارتر لا يستطيع مواجهة القوى اليهودية وايضا دخول معركة مع انصار اسرائيل في الكونجرس الامريكي وكذلك اعضاء حزبه المناصرين لاسرائيل بالاضافة الى اجهزة الاعلام · كما ان موقفه يتوقف ايضا على صلابة الموقف العربي ووحدته واستمرار التزامه بمنظمة التحرير والحقوق الوطنية لشعب فلسطين ·

**نبيل حاتم**

# تقارير

انتوني هـ. كوردسمان

## ميزان القوى العربي - الاسرائيلي

ظهر هذا المقال بعنوان فرعي
« The Arab - Israeli Balance »
وعنوان رئيسي
« How much is too much ? »
في « مجلة القوات المسلحة » -
— Armed Forces journal —
الاميركية عدد اكتوبر ( تشرين ) ١٩٧٧ لباحث اميركي في الشؤون الاستراتيجية والدفاعية يدعى « انتوني كوردسمان » « Anthony H. Cordesman »، يعمل حاليا كمساعد مدني لنائب وزير الدفاع الاميركي وكسكرتير لمجلس استخبارات الدفاع ، وقد سبق له العمل في ادارات شؤون الامن الدولي ، والناتو ، وفي وكالة ابحاث الدفاع المتقدمة في ايران . واهمية مقاله المطول الذي ننشر ترجمته هنا ، انه يعبر عن تيار في الادارة العسكرية الاميركية يمثله الجنرال « براون » رئيس الاركان المشتركة الاميركية ، يرى في استمرار الدعم العسكري الاميركي الضخم لاسرائيل خطرا على المصالح الاميركية في الشرق الاوسط ، خاصة بعد وصول « بيغن » وحزب « ليكود » الى السلطة في اسرائيل مؤخرا ، ويطالب بتقليص هذا الدعم الذي اخل بميزان القوى العربي - الاسرائيلي على نحو خطير يهدد اية تسوية سلمية معقولة ، خاصة وان حكومة « بيغن » تسعى الى ضم اراضي الضفة الغربية وانشاء « اسرائيل الكبرى » .

والمقال مليء بالجداول الخاصة بتطورات ميزان القوى العربي - الاسرائيلي منذ حرب ١٩٤٨ حتى الان والتوقعات المستقبلة للقوة الاسرائيلية ، ولذلك فهو في حاجة الى دراسة مفصلة تتناول هذه المعطيات بالبحث والتعليق

المفصل الذي لا يتسع له المجال حاليا ، ولذلك يجب النظر اليه بقدر من التحفظ ، خاصة وانه يميل الى التقليل من عناصر القوة العربية والمبالغة في حجم وفاعلية القوة الاسرائيلية ، وان كان يتضمن بطبيعة الحال نقاطا موضوعية بالغة الاهمية في بحث ميزان القوى ، وحقيقة المخاطر التي تواجه العرب عسكريا في المرحلة الراهنة والمقبلة . وعموما فانه من المفيد رغم اي شيء الاطلاع على هذا الراي الاميركي المعارض لسياسة الدعم المطلق لاسرائيل . تشير الى خطورة نهج التسوية العزلاء من القوة العسكرية التي لجا اليها النظام المصري ، في الوقت الذي صب فيه العدو الاسرائيلي كل

طاقاته لاعادة التسليح ، وبناء القوة العسكرية القادرة على فرض الشروط الاسرائيلية في معادلة التسوية ٠

### البندول يتارجح في الشرق الاوسط :

لقد تبددت آمال الشتاء الماضي في التوصل الى نوع من التسوية السلمية العربية ـ الاسرائيلية ، وتكشف التقارير الصحفية الراهنة بوضوح عن مخاوف متزايدة من نشوب حرب اخرى ٠ وعلى اي حال ، فان عنصر عدم الاستقرار هذه المرة ربما يكون اسرائيل وليس العرب ٠ ذلك انه في حين يركز خبراء الولايات المتحدة انتباههم على نقاط ضعف القادة « المعتدلين » لدول المواجهة العربية ـ السادات ، والاسد ، وحسين ـ نجد السياسة الاسرائيلية تفرخ « مناحم بيغن » ٠ وقد كتب « زئيف شيف »، الذي يعد ابرز المحللين في شؤون الدفاع باسرائيل ، في صحيفة « هآرتس » « لقد توصلت الى استنتاج من خلال ملاحظة بعض التطورات المعينة ٠٠٠ قبل الانتخابات ( الاسرائيلية ) ان حربا اخرى مع العرب هي مسالة لا يمكن تجنبها في نهاية الامر ٠٠ ان « اسرائيل » يحكمها حزب ليكود ربما يكون من الاسهل عليها الاقتناع بضرورة شن حرب وقائية او على الاقل توجيه ضربة مسبقة ، حال اقدام الجانب الاخر على اتخاذ اية خطوات تهديدية عدائية ٠ اننا يجب ان نكون متأهبين للحرب طوال الوقت » ٠

وكانت النتيجة هي « اسرائيل » متورطة في الضم الدائم لجزء غير معلن عنه من الضفة الغربية ، وذات رغبة مشكوك فيها ، اذا وجدت اصلا ، في التوصل الى تسوية حول الجولان وسيناء ٠

ان حزب « بيغن » ، ليكود ، الذي انبثق من حزب حيروت ، كان ، حتى العام ١٩٦٥ على الاقل ، يطالب بأن تشمل اسرائيل الاردن كله ، استنادا الى الحدود التاريخية لاسرائيل ٠ وقد نص برنامج حزب ليكود في العام ١٩٧٧ على ان « حق الشعب اليهودي في ارض اسرائيل هو حق ابدي غير قابل للتبدل ، وهو ايضا يشكل جزءا مكملا لحقها في الامن والسلام ٠ ومن ثم فان يهودا والسامرة ( اي الضفة الغربية بكاملها ) لن تسلم مطلقا لادارة اجنبية ، ولن يكون هناك بين البحر والاردن سوى سيادة اسرائيلية » ٠

### مخاطرة حرب اخرى

وقد اعطت هذه التغيرات في السياسة الاسرائيلية معنى جديدا ومختلفا لميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي ٠ فان الولايات المتحدة قد لا تكون مستمرة في امداد « اسرائيل » التي ستقودها قوتها العسكرية الى « رغبة اسرائيلية » في

التوصل الى حل وسط لاجل السلام ٠ وانما يمكن الان ان تجد الولايات المتحدة نفسها تساعد « اسرائيل » التي يمكن ان تستخدم قوتها العسكرية لتأمين سيطرة دائمة على اراض عربية بما يتناقض بصورة مباشرة مع السياسة الاميركية ، وتثبت نفسها في حرب باردة غير محدودة مع العرب ٠ وفي اسوأ الاحوال، ستجد الولايات المتحدة مقيدة بحليف سوف يستخدم قوته العسكرية في محاولة توجيه ضربة مسبقة لتصفية مشكلة منظمة التحرير ، او ليدمر القوى العسكرية العربية وهي لا تزال ضعيفة بعد ٠

وفي الواقع ، قام ، في الماضي ، عدد من مستشاري بيغن الرئيسيين بالبحث بصورة سرية في شأن استفزاز سوريا

للدخول في حرب تتخذ كمبرر لتدمير قواتها العسكرية ، التي جرى تطويرها ، قبل ان تشكل تهديدا لاسرائيل ولقد بحثوا مؤخرا حربا اخرى محتملة ، كما درسوا القيام بهجمات « لمساندة » المسيحيين اللبنانيين ضد منظمة التحرير ، وقاموا ايضا بدعم فعلي « لاثيوبيا » العدوانية ضد الصومال وثوارها العرب ٠

بل ان رئيس الاركان الاسرائيلي « موردخاي غور » الذي يعد معتدلا على نحو نسبي ، قد اكد في في خطاب له امام جامعي التبرعات لجمعية النداء اليهودي الموحد ( كما جاء في عدد ٨/٣٠ من صحيفة كريستشيان سانيس مورنيتور) انه « اذا وقعت حرب اخرى بين الدول العربية واسرائيل ، يجب ان يكون انتصارنا سريعا وحاسما ، حتى يدرك العالم كله من الذي انتصر ٠٠٠»

ان ما يقترحه الجنرال غور هو ان تشن اسرائيل حربا باقصى حدة ممكنة لتدمير الجيوش العربية قبل ان يتمكن الغرب من التدخل ٠

ويمكن لهذه المواقف الاسرائيلية الجديدة ان تهدد المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة وحلفائها ٠ بل استمرار تصاعد المواجهة بين اسرائيل والعرب يمكن ان يكون له النتائج التالية :

- التهديد بزيادات ، او اجراء زيادات فعلية ، في اسعار النفط ٠
- التلاعب في معدلات انتاج النفط ، وبشكل خاص من قبل السعودية ، الامر الذي يمكن ان يكبح العرض ويمارس الضغط الاقتصادي على الغرب دون حظر فعلي ٠
- التلاعب في ما يملكه العرب من دولارات او ديون لفرض ضغط سياسي ٠
- القيام بتمويل جديد رئيسي لتطوير قوات دول المواجهة العربية من قبل دول النفط العربية ٠
- اعادة توجيه السياسة السورية والمصرية والعودة الى بناء قدرة قتالية للحرب ضد اسرائيل ٠
- تقديم مساندة كبيرة لمحاولة منظمة التحرير الرامية الى ابقاء عرب الضفة الغربية « احرارا » وذلك من قبل الدول العربية المحافظة او المعتدلة ٠
- حدوث ضغوط عربية جديدة لمحاولة تحويل لبنان ، الذي ما زال في وضع هش ، الى دولة مواجهة مع اسرائيل ٠

تلك هي ما يمكن ان تكون « الانباء الحسنة » الناتجة عن الممارسات الاخيرة لحكومة « بيغن » ٠ اما « الانباء السيئة» فيمكن ان تكون نشوب حرب فعلية ، وان حرباكهذه يمكن ان يكون لها نتائج بالغة السوء :

- حظر نفطي جديد ، خاصة قبل ان يستكمل الغرب اعداد احتياطيه الاستراتيجي ، مما قد يؤدي الى كساد او ركود على نطاق العالم كله ٠ وان الغرب يعتمد حاليا على الورادات النفطية بصورة اكبر بكثير عما كان عليه الحال في العام ١٩٧٣ ، كما ان العرب منظمون بشكل افضل مما كانوا عليه لممارسة حظر يمكن ان يسرع من الاتجاهات الراهنة نحو الشيوعية الاوروبية ، ويهدد كل حكومة مؤيدة للغرب في العالم الثالث ٠
- ومن المستحيل قياس الضرر الذي يمكن ان ينزله العرب بالدولار ، او بالنظام المصرفي والنقدي العالمي ، وهم يحاولون ممارسة الضغط على الغرب ، وهم الان يمتلكون القدرة على احداث الاضطراب في التحركات النقدية العالمية كما لو كانوا يسقطون بيتا من الورق ٠

● وحتى حدوث انتصار اسرائيلي سريع وكبير سيؤدي الى ضغوط من اجل قيام الولايات المتحدة بعملية اعادة تزويد اسرائيل بالسلاح ، في الوقت الذي ما زالت فيه القوات الاميركية لم تتخلص بعد من عملية اعادة تزويد اسرائيل بالسلاح التي جرت عقب حرب ١٩٧٣ وما زالت « فرقنا التي يعاد تشكيلها » في اوروبا ( اي الفرق التي تختزن اسلحتها في اوروبا لينقل افرادها جوا من الولايات المتحدة عند الحرب ) — Reforger divions — ضعيفة الى حد خطير · وسيؤدي جهد اعادة تزويد جديد بالاسلحة الى اسرائيل الى تعطيل وعرقلة مخططات الولايات المتحدة « في التوصل الى وضع جيد » الى أمد غير محدد · والاسوأ من ذلك ان حلفاءنا سيضطرون على التحلل من أي جهد أميركي كهذا · ويمكن لهذا ان يهدد ·

● ان هزيمة عربية جديدة ستؤدي على الارجح الى تطرف العالم العربي باكمله واجباره على العودة الى الاتحاد السوفييتي باعتباره مصدر تسليحه الرئيسي ·

● لقد كشف مدير وكالة الاستخبارات المركزية السابق ان اسرائيل تمتلك الان ١٢ سلاحا نوويا على الاقل · وهناك نقاش متصاعد في الكونغرس حول امكانية كون هذه الاسلحة قد اعدت باستخدام مواد صواريخ سرقتها اسرائيل من الولايات المتحدة · ويبدو على نحو مؤكد ان كلا من العرب واسرائيل قد امن قدرة حرب كيماوية بيولوجية واسعة · ولا يوجد سبيل لتقدير انماط التصعيد التي ستحدث في حرب مستقبلة ، او للجهود التي سيقوم بها العرب لتطوير اسلحة نووية او اية اسلحة اخرى مضادة للسكان عقب هزيمة اخرى ·

وقد اوضح وزير الخارجية « ديان » على نحو غير مباشر اراءه فيما يتعلق بهذا التطور في حديث ادلى به لصحيفة « جيروساليم دومستيك سيرفس » في اذار ( مارس ) الماضي قبل ان يصبح وزيرا للخارجية في الحكومة الجديدة ، فقال : « في اعقاب حرب « يوم الغفران » ( ١٩٧٣ ) ، ظهر وضع يمتلك فيه العرب كمية كبيرة من الاسلحة الجديدة · ففي العام ١٩٦٧ كانت نسبة القوى بيننا وبين العرب قد قدرت بنسبة واحد الى اثنين·· دبابة اسرائيلية في مواجهة دبابتين عربيتين ، والشيء ذاته في القوة الجوية · وفي حرب يوم الغفران كان هناك نسبة ١ الى ٣ ··· ووفقا لتقارير منشورة ليس فقط في اسرائيل ، وانما في مصادر موثوقة اخرى ، كان لدى اسرائيل نحو ٣٠٠٠ دبابة وكان لدى العرب ما يزيد عن ٥٥٠٠ دبابة · وفي هذا الصباح قرأت في صحيفة اميركية انهم ( في الولايات المتحدة ) يمتلكون ٩٠٠٠ دبابة · تصور ان اسرائيل لديها ثلث الدبابات التي تمتلكها الولايات المتحدة ،

وثلاثة اضعاف ما لدى فرنسا ، وثلاثة اضعاف ما تمتلكه بريطانيا · كيف يمكن لبلد من ٣ ملايين نسمة ان يخوض هذا السباق ضد العرب الذين يمتلكون موارد مالية غير محدودة ، ومصادر سياسية غير محدودة للحصول على الاسلحة ، وموارد بشرية ضخمة ؟

وما اود ان اوضحه انه الى جانب خوضها لهذا السباق ، يجب ان نطور لانفسنا خيارا ، وهو القدرة على انتاج الاسلحة النووية · اننا لا نستطيع ان نواجه كميات الاسلحة التقليدية التي لدى العرب ·· اننا يجب ان نطور هذا ( الخيار النووي ) بالاضافة الى الاسلحة التقليدية التي لدينا وليس كبديل عنها ، وبواسطة كميات معقولة نحتفظ بها منها حتى يكون لدينا وسائل لقتال العرب

ليس فقط بالاسلحة التقليدية ، وانما بأسلحة نووية ذات نوعية عالية في حالة اذا ما حاولوا غزو اسرائيل وتدميرها ».

وتكتسب هذه الملاحظات معنى اضافيا اذا ما اخذنا بعين الاعتبار التقارير الصحيفة حول التعاون الاسرائيلي مع جنوب افريقيا في تطوير الاسلحة النووية ، وان السلاح النووي الذي كان الافريقيون الجنوبيون سيختبرونه كان اسرائيليا .

● في حين انه كان يمكن للاتحاد السوفياتي ألا يلجأ الى خيار استغلال حرب ، والتركيز على استثمار النتائج ، فاننا لا نملك اي ضمانات بأن هذا سيحدث . ولذلك فان الولايات المتحدة يمكن ان تواجه تدخلا سوفييتيا وضغوطا في شرقي البحر الابيض المتوسط ذات طبيعة ونتائج لا يمكن التكهن بها .

« الطبيعة المتبدلة للقدرات العربية والاسرائيلية »

ان المتغيرات في ميزان القوى التي جرت منذ حرب اكتوبر ( تشرين ١ ) توفر أملا ضئيلا بأن اسرائيل سترتدع بالقوة العربية ، وان نتيجة حرب جديدة ستحافظ على الاقل على ماء الوجه او الشرف العربي ، او ان الحرب لن تتصاعد الى اكثر من مستويات اكبر خطورة من حيث الخسائر البشرية والخسائر في المعدات . ذلك لان الدعم الاميركي لاسرائيل منذ حرب اكتوبر قد اوصلها الى وضع تستطيع معه خوض حرب هجومية بحد أدنى من المخاطرة .

ولم تعد اسرائيل دولة صغيرة محاطة من جميع الجهات بجيران لديهم قوات كبيرة . انها دولة عسكرية تخطى نموها العسكري بكثير متطلبات الدفاع . وان الكثير من تفاصيل هذا النمو مخفي عن أعين الرأي العام . فهي تتضمن تغيرات نوعية في التدريب ، واللوجيستيك ، وقدرة العمليات والصيانة ، والتأهب ، والتكنولوجيا ، وهي مسائل مكلفة وهامة في ان واحد ، لكنها لا تسهل مقارنتها مع قدرات الدول العربية المقابلة . أما ارقام القوات الاساسية ، فلا يمكن اخفاؤها ، وقد لخصت مؤخرا في الدراسات الواضحة التي اجرتها منظمة التقييم والبحث التاريخي وشركة التقييم التحليلي. وتوضح نتائج هذه الدراسات ومصادر علمية اخرى الصعود المستمر في قدرات « قوات الدفاع الاسرائيلية » بالمقارنة مع القوات العربية .

« كيف اصبح داود جولياث »

لقد نمت القوة العسكرية الاسرائيلية من « داود » الى « جولياث » خلال الفترة بين العامين ١٩٤٨ و ١٩٧٧ .

« حرب ١٩٤٨ »

لم تشترك في حرب ١٩٤٨ سوى قوات صغيرة .ولم تكن قوات اسرائيل اصغر بكثير من القوات العربية . وفي الواقع ، على حين كان لدى العرب على نحو واضح حوالي ٨٠ دبابة مقابل ٤٠ دبابة اسرائيلية ، كان لدى الاسرائيليين ناقلات جنود مدرعة ، ونصف مجنزرات، وعربات مصفحة مصنعة محليا اكثر ( من العرب ) وكان لديهم فعليا كتائب « مدرعة » اكثر بنسبة ٥٠٪ تقريبا . كما كان لدى اسرائيل ايضا نحو ٥٥ طائرة قتال مقابل قوة عربية قابلة للانتشار تبلغ ٣٥ طائرة ، على الرغم من ان العرب كان لديهم ٣٥ طائرة « اغراض عامة » مقابل ١٥ طائرة اسرائيلية مماثلة . ومع ذلك كانت هذه الحرب اكثر الحروب في الخسائر البشرية ، فقد قتل وجرح من

الرجال في هذه الحرب اكثر بكثير مما حدث في اية حرب اخرى ٠ ( انظر الجدول رقم واحد ) ٠

« حرب ١٩٥٦ »

يظهر الجدول ( رقم ٢ ) القوات التي اشتركت في حرب ١٩٥٦ ٠ وفي هذه المرة كان الاسرائيليون يعانون من نقص عددي هام ، غير ان هذا النقص تم تعويضه من خلال : ● تأثير القوات البريطانية والفرنسية ٠ ● تفوق التدريب الاسرائيلي ونوعية القوة البشرية ، والقيادة ٠ ● « الانخفاض » في القطع والذخيرة لدى القوات المصرية ، وانتقالها الى معدات جديدة غير مستوعبة بعد ٠ ● المبادأة التي حصلت عليها اسرائيل بشنها هجوما مفاجئا ٠

● التفوق الاسرائيلي الكبير في الطيارين والتدريب وصيانة الطائرات ٠

وكانت النتيجة خسائر بشرية اسرائيلية رمزية بلغت نحو ١١٠٠ ( ما بين قتيل وجريح ومفقود ) على حين بلغت الخسائر المصرية ( بالمقارنة مع خسارة ٢١ ألفا في حرب ١٩٤٨ ) ١١٠٠٠ ٠

« حرب ١٩٦٧ »

ميزان القوى في حرب ١٩٦٧ يظهر في الجدول ( رقم ٣ ) ٠ لقد نمت قوة اسرائيل المدرعة من ٤٠ دبابة ( في العام ١٩٥٠ ) الى ١٠٠٠ دبابة ، على حين نمت الدبابات العربية من ٨٠ دبابة الى ٢٣٢٠ دبابة ٠ وزادت قوة اسرائيل من طائرات القتال من ٥٥ طائرة في العام ١٩٥٠ الى ٢٨٦ طائرة ، مقابل زيادة عربية من ٣٥ طائرة الى عدد يتراوح بين ٥٧٦ و٦٨٢ طائرة ٠

وزادت المدفعية من عدد ضئيل الى حد امتلاك العرب حوالي ١٠٠٠ ( مدفع ) او تقريبا تفوق بنسبة ٥ الى ١ ضد اسرائيل ٠

والشيء الغريب تماما ، ان حرب ١٩٦٧ كانت الاولى حيث لم يكن للصورة الشائعة حول « داود » ضد « جولياث » اي معنى ، فالاسرائيليون كانوا يعانون من نقص كمي فعلي ٠ الا ان هذه الحرب اثمرت اعظم واسرع انتصار اسرائيلي ٠ فالمفاجاة الاسرائيلية ، ونوعية القوة البشرية ، والطائرة المتفوقة هزمت العرب في فترة تزيد قليلا عن اسبوع ٠ وقد انزلت كل من الاردن وسوريا باسرائيل خسائر هامة بالمعدات على الرغم من خسائرهم الجوية الاولية ٠ ولقد كانت خسارة مصر لعشر دبابات مقابل دبابة اسرائيلية واحدة ، والخسائر الجوية العربية الضخمة في اليوم الاول للحرب هي التي جعلت « جولياث » اضعف بكثير من « داود » ٠

« نفقات الدفاع في الفترة ١٩٥٦ ــ ١٩٦٧ »

يمكن ان تكون صورة داود مضللة خلال هذه الفترة كلها ٠ فلقد انفقت اسرائيل قدرا كبيرا من المال في تطوير نوعية قوتها البشرية ، على حين اشترى العرب معدات ٠ ويظهر الجدول البياني ( رقم ٤ ) نفقات الدفاع لدى كل جانب ، وهو يفسر الى حد بعيد لماذا كان للنقص في معدات اسرائيل تأثير فعلي ضئيل على القدرات القتالية في الحروب ٠

« اثر حرب اكتوبر »

يظهر ميزان القوى للشرق الاوسط في حرب اكتوبر ١٩٧٣ في الجدول ( رقم ٥ )

ومن الجدول المذكور يتبين ان الطرفين ضاعفا قواتهما تقريبا منذ العام ١٩٦٧، واصبح العرب قادرين على استخدام قوة من الدبابات تعادل قوة حلف « الناتو » المعدة في المنطقة الوسطى ( من اوروبا ) ٠

استمرت حرب اكتوبر فترة اطول من صراع ١٩٦٧ ، غير انها اثمرت زيادة في الخسائر لدى الطرفين اقل بكثير مما كان يمكن توقعه ٠ ومع حرب ١٩٧٣ ، اصبحت اسرائيل قادرة على الاعتماد على طائرات الصف الاول الاميركية ، وعلى دبابات اميركية اقل قابلية للاصابة من الاسلحة القديمة ، الا انها وفرت حماية لاطقمها على نحو افضل ٠ وعلى نحو مماثل ، لم يصب العرب بالانهيار على أي جبهة ، ولم يعانوا كما عانى المصريون في العام ١٩٦٧ ٠

ونتيجة لذلك ، كانت الخسائر في الافراد محدودة ، ولتوضيح ذلك ، فلقد قتل وجرح من الرجال خلال الحرب الاهلية في لبنان عدد اكبر ممن قتلوا او جرحوا في الحروب العربية ـ الاسرائيلية الاربع ٠

ولم تكن الخسائر في المعدات في ١٩٧٣ اكبر على نحو نسبي من الخسائر في ١٩٦٧ ، وكانت اصغر بالنسبة لعدد الدبابات والطائرات التي اشتركت في العديد من معارك الحرب العالمية الثانية ٠

وفي الحقيقة لقد خسر سلاح الطيران الاسرائيلي عددا اقل من الطائرات ـ طلعة مما خسرت الولايات المتحدة في فيتنام ( اي عددا اقل من الطائرات بالنسبة لعدد الطلعات ) ٠

**« عملية استعادة القوى الاسرائيلية والعربية ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦ »**

لقد عوض كل من اسرائيل والدول العربية خسائرهم في ١٩٧٣ مع العام ١٩٧٦ ٠ ومن الصعب مقارنة نسب القوات وبنيتها نظرا لان الاسلحة قد تغيرت كثيرا من حرب الى اخرى ، غير ان الجدول ( رقم ٦ ) يظهر ان الميزان حتى تغير لصالح اسرائيل منذ حرب اكتوبر ٠

وما لا تظهره هذه الجداول ان اسرائيل يمكن ان تكون قد صححت الكثير من نقاط الضعف الخطرة التي كشفت عنها حرب اكتوبر دون دعم اميركي ٠

وقد اظهرت كتابات خبراء الدفاع الاسرائيليين كزئيف شيف ، وغيره من المراسلين العسكريين الاسرائيليين ، انه في حين كان الجنود والطيارون والبحارة الاسرائيليون بارزين في قدراتهم ، فلقد فشلت « قوات الدفاع الاسرائيلية » في الحفاظ على استعدادها خلال فترة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ ٠

● عمليا لم يستخدم الاسرائيليون اسلحتهم المضادة للدبابات ٠ ومعظم صواريخهم الموجهة ضد الدبابات كانت مختزنة ٠ ولم يكونوا منظمين او مدربين او مجهزين لمساندة المدرعات بالمشاة المحمولة ٠

● كانت صيانة معدات القوات الاحتياطية سيئة ٠ والكثير منها ( اي وحدات الاحتياطي ) مزودة على نحو ملائم بالمؤن ٠ كما كانت الذخيرة واجهزة اللاسلكي ، وغيرها من الامدادات الاساسية ، ناقصة ٠

● لم يكن للقيادة العليا اركان فعلية للتخطيط للحرب او مقر للقيادة والسيطرة ٠ وتم ارتجال هذا كله خلال الحرب مع وسائل اتصال غير كافية وقدرة ضعيفة على استخدام انظمة الاستطلاع بفاعلية ٠

● لم يكن الجيش الاسرائيلي مدربا على نحو ملائم في العمليات المشتركة ، وكان الضباط والمجندون المسؤولون اساسا عن تهديف المدفعية وادارة النيران كانوا في مرتبة تعبئة متدنية وذوي تدريب ضعيف والكثير من الوحدات لم يكن لديها افراد من هؤلاء خلال الحرب نظرا لانهم لم يكونوا قادرين على « الاندماج » بها خلال القتال ٠

● تم التغاضي عن هبوط تدريب التعبئة الشامل الى مستويات متدنية ، كما كان هناك هبوط في النوعية بشكل خطير ٠

● لم تكن وحدات الجيش مدربة جيدا على الدفاع الجوي ، رغم ان بعض الوحدات حققت ارقاما قياسية فردية متفوقة في اسقاط الطائرات العربية ٠

● ما اطلق عليه « الحواجز الدفاعية» على طول قناة السويس ومرتفعات الجولان لم تكن موجودة الا على الورق فقط ٠ ومعظمها لم يكن لديه اي قدرة مضادة للدبابات ، ولديها دعم مدفعي ضعيف ٠ كما كانت تفتقد الى القوة البشرية بسبب العطلة ، غير ان الشيء الاهم انها كانت ضعيفة التجهيز بالقوة النارية ٠

● كان تنظيم الاستخبارات الميدانية والاستطلاع ضعيفا وسيء الارتباط بنظام القيادة الاسرائيلية ٠ ولقد كان لدى الاستخبارات بعض القدرات البشرية الجيدة ولكنها لم تكن منظمة للحرب المدرعة ٠

● كانت قدرات الهندسة القتالية للقوات الاسرائيلية سيئة التنظيم ، والعناصر الرئيسية فيها لم تختبر مطلقا على نحو جيد في الميدان ، والمعدات الاساسية ، مثل المعدات الخاصة بعبور القناة، فشلت في اوقات حرجة من القتال٠

● تغاضت « قوات الدفاع الاسرائيلية » عن هبوط مخزونها من الذخيرة الى مستوى منخفض بشكل خطير ٠ والاكثر اهمية من ذلك انها فشلت في تنظيم اسلوب يمكن ان يتم به توزيع واقتصاد الذخيرة بفاعلية ٠ ولقد استخدمت كميات كبيرة من الذخيرة والذخائر الجوية بغير فاعلية ، على حين كانت وحدات اساسية تعاني من نقص في الذخيرة ٠

● لم تكن القوة الجوية الاسرائيلية والجيش مدربين على اسكات الدفاع الجوي ابان القتال ٠ فقد كانا يعتمدان على الضربات الجوية المسبقة ٠ ولم يتم تدريب ملائم على استخدام معدات ووسائل التشويش الالكتروني المضاد التي زودتها بها الولايات المتحدة، ولم يكن لديه محللون مدربون للتخطيط الهجومي ٠ وفي النتيجة فان كثيرا من طلعات الاسكات ( للدفاع الجوي ) ذهبت سدى ، وارتجل الطيارون الاسرائيليون تكتيكات اختراق كانت عادة فاشلة ٠

● لم يتدرب سلاح الطيران الاسرائيلي على مهاجمة اهداف مدافع عنها ،كما كان تدريبه ضعيفا في مهاجمة المدرعات العربية ٠ ولقد تقبلت قياداته ادعاءات الطيارين عن انزالهم تدميرا كبيرا بالخصم ، ولكن العديد من كتابات ما بعد الحرب تكشف عن العديد من الطلعات كانت غير فعالة ٠ وذهبت سدى ٠

● لم يكن للسلاح الجوي الاسرائيلي اي مركز لادارة معركة جوية فعلية لمهمات الهجوم الجوي ٠ ولم يكن قادرا على استخدام معلومات الاستطلاع بفاعلية ، ولم يكن قادرا على توفير مساندة للطيارين في الطيران عبر ممرات اختراق امنة ٠

● برهنت تكتيكات الدفاع وادارة المقاتلات الاسرائيلية عن كفاءة ممتازة ، الا انها لم تكن معدة للتعامل مع اعداد كبيرة من المقاتلات العربية ، وبالتالي ، فان نظام الدفاع المذكور كان معرضا للوصول

بسهولة الى نقطة يصبح بعدها يعمل بما يفوق طاقته العملية القصوى ، وهو الامر الذي كان يترك الطيارين الاسرائيليين يعملون في اوضاع تفتقر الى القدر الكافي من التحكم والانذار اللازمين لهما · لكن اسرائيل كانت قادرة على معالجة هذه المشكلات بسرعة وقد بدات ذلك مباشرة عقب انتهاء حرب اكتوبر ·

وكان استيعاب اسرائيل لدروس الحرب سريعا وفعالا ، ومع حلول العام ١٩٧٦ ، كانت معظم المشكلات الرئيسية قد ازيلت ·

ولسوء الحظ ، ان هذه الاصلاحات الاسرائيلية لم يرافقها فهم عام اسرائيلي او اميركي لحقيقة ان كثير من مشكلات اسرائيل في حرب اكتوبر كانت نابعة عن نواقص ذاتية وليس نتيجة تحسينات في التخطيط العربي او الاسلحة العربية ·وان الكثير من المذكرات الخاصة التي ستعلن عن هذه المشكلات تكتب حاليا ، او انها محتجزة في الرقابة الاسرائيلية · وهناك ايضا اسباب سياسية بديهية لتجاهل سياسيين اسرائيليين ، كشمعون بيريز ، لعوامل كهذه ولتاكيد على ان « الميزة النوعية لشعب متفان على الارض يمكن ان تقاوم بالطبيعة المتقدمة للغاية الاسلحة الحديثة » ·

وان الحديث عن ميزة تفوق عربي تصل لنسبة ٣ الى ١ ، حديث اكثر جاذبية عن التحدث عن ضعف فريق المتحدث·وبالتالي فان مخططات متطلبات « قوات الدفاع الاسرائيلية » ، او مخططات المساعدة العسكرية الاميركية ، لا تاخذان بعين الاعتبار الى اي حد يمكن ان تؤثر اصلاحات اسرائيلية كتلك في تبديل ميزان القوى لصالح اسرائيل ·

وبالمقابل ، لايزال ينقصهم تدريب وقيادة جوية فعالة ، واجهزة سيطرة واتصالات ، والكمية الكبيرة التي لديهم من اسلحة الدفاع الجوي لم تربط او تنظم في جهاز فعال ، كما انهم لا يزالون غير قادرين على التدريب بفاعلية على حرب المناورة المدرعة وتفتقد طائراتهم عموما الى الصواريخ جو ـ جو الحديثة ومعدات الهجوم الالكترونية، كما انهم يفتقدون الاسلحة الحديثة المضادة للدبابات ويعتمدون على صواريخ سوفييتية موجهة مضادة للدبابات ذات اداء منخفض ·

## « التحسينات في المعدات منذ الحرب »

ان انتشار الاسلحة الجديدة منذ انتهاء الحرب اتاح لاسرائيل معالجة معظم عدم التوازن في اسلحتها المشتركة · وتحصل اسرائيل على اعداد كبيرة من المدفعية والصواريخ للدبابات ، ودفاعات جوية وبرية مطورة الى حد بعيد ، ووسائل مساعدة على الاختراق ، واسلحة اخماد وسائل الدفاع الجوي ، وذخيرة جوية قانصة للدبابات ضرورية لاستعادة فاعلية سلاحها الجوي · وبالمقابل ، لم يتمكن العرب حتى الان الا من اجراء تطويرات محدودة في قوتهم ، وما زالوا يفتقدون المعدات التي يحتاجونها · ولقد كانت هناك وعود بمساعدة مصر من قبل السعودية ، غير ان دعما كهذا لم يتحقق حتى الان · ومن ثم فان ميزان شحنات الاسلحة يبدو الان لصالح اسرائيل ·

## « ميزان القوى الراهن »

وقد ادت هذه التغيرات الى وجود ميزان قوى جديد في الشرق الاوسط · وهناك تقديران للقوة العربية · الاول ، الذي يمثل التقدير الذي يستخدمه معظم خبراء الولايات المتحدة ، يقارن اسرائيل في مواجهة مصر وسوريا · وهو يفترض ان الاردن لن يستخدم غير قوات رمزية ، كما حدث في اكتوبر ١٩٧٣ ، بدلا من

المخاطرة بتدمير قواته · وهو يفترض ايضا ان القوة الاجمالية التي يمكن للعرب ان يستخدموها . من المستبعد ان تتجاوز القوة المصرية السورية مجتمعة ، نظرا لان العديد من القوات المصرية والسورية ( التي تظهرها الجداول ) غير قابلة للدخول في العمليات بسبب الخدمة او الصيانة ، او غير جاهزة للقتال بسبب التدريب والتأهب او مقيدة بدواع أمنية · وعلى نحو مماثل ، فان اقطارا مثل العراق والعربية السعودية يمكنها ان تستخدم وحدات او حتى فيالق ، ولكن ليس جيوشا بأكملها · وباستثناء بعض الفرق العراقية فان الجيوش العربية الاخرى تفتقد الى التدريب والخبرة والضباط وضباط الصف الاكفاء ، وهي تفتقد الى انظمة لوجيستيكية فعالة بما فيها خدمات الدعم والمساندة والامداد والتموين ، والى التوحيد ( في الاسلحة والمعدات الخ ) ، والى القيادة والسيطرة الكافية · على النقيض من ذلك ، فان اسرائيل تحتفظ عمليا بمجمل بنية قوتها متاهبة للقتال ، وطورتها بهدف تحقيق درجة اعلى من التوحيد ( في الاسلحة والمعدات الخ ) ، وليس لديها سوى القليل من الثغرات النوعية الضخمة التي تعاني منها الجيوش العربية ·

« التطلعات الاسرائيلية للعام ١٩٨٠ »

وعلى الرغم من ان اسرائيل تستخدم مقياسا مختلفا للغاية في طلب الدعم من الولايات المتحدة عما تستخدمه الاخيرة ، الا ان تقييم الدولتين لاهداف تخطيط الحرب هو على الارجح تقييم متطابق ·

ذلك لان اسرائيل في طلبها للمساعدة العسكرية الاميركية تدخل في اعتبارها كل القوات العربية الرئيسية ، وليس فقط تلك التي تشكل التهديد العسكري الرئيسي لها · ومن ثم كانت النتيجة هي تعريف لمتطلبات « الدفاع » العسكرية يعطي لاسرائيل ايضا القدرة على شن هجمات خاطفة ضد مصر ، وسوريا ، والاردن ، او لبنان قبل ان تتمكن القوى العظمى من التدخل ، او قبل ان يكون لحظر نفطي اي اثر · وهذه المتطلبات الدفاعية مرتفعة الى حد انها ستجعل اسرائيل في مأمن نسبي من تهديدات الولايات المتحدة بعدم اعادة امدادها بالاسلحة كما فعلت عقب حرب اكتوبر · ولقد تم تقديم اهداف القوة الاسرائيلية لاول مرة في طلب قدم في العام ١٩٧٤ لمزيد من الدعم الاميركي في خطة اطلق عليها « ماتمون ب » · ولم يتم الاعلان عن هذه الاهداف بشكل كامل ، ولكنها تقارب المستويات التي يظهرها الجدول ( رقم ٧ ) ·

ولم تقبل الولايات المتحدة مطلقا بوجهة نظر « ماتمون ب » من حيث التهديد او من حيث متطلبات دعم القوة الاسرائيلية · ولكنها في الوقت نفسه لم تستوعب الاختلافات النوعية بين القوات الاسرائيلية والعربية ، واختارت بدلا من ذلك ان تحدد متطلبات الدعم استنادا على تقدير الولايات المتحدة لمستقبل القوة العسكرية لدول المواجهة العربية ، اي للتهديد الرئيسي لاسرائيل · ولم يتم الاعلان عن هذه المخططات التي توصلت اليها الولايات المتحدة في شحنات الاسلحة لاسرائيل ، والناتجة عن هذه التقديرات ، وتمت عملية اعادة تفاوض بخصوصها ، ورغم ذلك فانها لا تزال شيئا لا يصدق · كما يظهر الجدول ( رقم ٩ ) الخاص بتقدير متطلبات المساعدة العسكرية الموضوع على اساس تحليل الولايات المتحدة لميزان القوى ·

ولكي تتضح لنا الصورة الفعلية لهذه المتطلبات ، نقول ان اسرائيل تريد نفس عدد الدبابات المتوسطة تقريبا ، خلال ١٩٧٦ ــ ١٩٨٦ ، الذي ستحافظ عليه الولايات المتحدة في الفرق الاميركية

الموجودة في حلف الناتو · ومن ثم لم يكن رئيس هيئة رؤساء الاركان المشتركة ، الجنرال جورج براون ، يلقي الكلام جزافا في ملاحظاته التي غالبا ما فسرت على نحو خاطىء حول الضغوط التي ستفرضها متطلبات اسرائيلية كهذه على تجهيز القوات الاميركية بالمعدات ومدى تأهبها القتالي · وليس من الواضح الى اي حد من الكميات الاسرائيلية المطلوبة ستتجاوب الولايات المتحدة، او كيف ستؤدي مشتريات الاسلحة العربية المتعددة الى تعديل قوة دول المواجهة · ولكن تقديرا متحفظا يوضح ان اسرائيل قد تتمكن من التوصل الى تكافؤ تقريبي مع مصر وسوريا في قوتهما البرية معا · وان لدى اسرائيل حاليا حواجز دفاعية وخطوط دفاع حقيقية ، على خلاف تلك الدفاعات « الورقية » التي كانت تمتلكها قبل حرب اكتوبر · وهذا سيزيد الى حد بعيد من قدرة اسرائيل الهجومية·

**الرصاصات الهجومية في مواجهة الدفاعية**

ولا توجد بالطبع طريقة سهلة لتقرير متطلبات الدعم الاميركي لاسرائيل ، او لوضع تمييز ذي معنى بين الاسلحة « الهجومية » و « الدفاعية » · لانه حتى حاجز دفاعي محصن انما يحرر القوات للمهام الهجومية · وان طائرة بعيدة المدى يمكنها ان تقصف حشود قوات معادية في المؤخرة ، ويمكنها « دفاعيا » ان تحطم هجوما للعدو ، كما يمكن استخدامها لمساندة هجوم مدرع داخل اراضي العدو ·

ان المعضلة في كيفية تحديد الدعم الاميركي لاسرائيل ليست بالتالي نوع الاسلحة ، وانما :

● فيما لو ان المساعدة الاميركية الى « قوات الدفاع الاسرائيلية » تتناسب مع المساعدة العربية والسوفييتية لدول المواجهة ·

● فيما لو ان كمية الاسلحة تتجاوز ما هو ضروري للدفاع الاسرائيلي ·

● فيما لو يتم توفير حركية زائدة للحركة الهجومية الاسرائيلية ·

● فيما لو يتم توفير القدرة « لقوات الدفاع الاسرائيلية » على اجتياح العدو ودفاعاته ·

● فيما لو يتم توفير قدرة تفوق المطلوب لسلاح الطيران الاسرائيلي لإسكات الدفاعات الجوية المعادية ·

● الى اي حد يؤثر الدعم على قدرة « قوات الدفاع الاسرائيلية » في تنفيذ اختراقات برية وجوية في عمق المناطق المعادية ·

● الى أي مدى من الحرية تستطيع اسرائيل الاعتماد على اعادة الامداد الاميركي ، وعلى دعم القوى الكبرى ·

وحاليا لا تتوفرطريقةللقيام بمثلالتقدير في ضوء المعطيات المتوفرة حول المساعدة العسكرية الاميركية · لان ذلك يتطلب توفر معطيات عن شحنات الاسلحة ، والمعلومات المعلنة تظهر فقط الكميات بالدولارات، وهي معطيات تعطي منظورا ضيقا لاثر الدعم الاميركي على ميزان القوى ·

وبلغة الدولارات يبدو برنامج الدعم الاميركي لاسرائيل ليس متحيزا لها بشكل ضخم ، لانه على الرغم من حصول اسرائيل على مساعدات ضخمة بعد حرب اكتوبر ، فان الاردن ايضا حصل على مساعدات هامة ، كما انه تم في الفترة بين ١٩٥٠ و١٩٧٦ شحن معدات عسكرية ومساعدة الى العربية السعودية تبلغ قيمتها تقريبا ضعفي قيمة المعدات التي شحنت الى اسرائيل· وقد سلمت معظم هذه المساعدات في السنوات القليلة الماضية ، كما اعلنت الولايات المتحدة مؤخرا عن مبيعات اسلحة

تبلغ قيمتها ٢٥٠ مليـــون دولار لمصر . وبالاضافة الى ذلك ، فان مبيعات الاسلحة الاميركية الى اسرائيل تشكل جزءا محدودا نسبيا مـــن اجمالي مبيعات الاسلحـــة الاميركية في العالم . ولكن ، التقديرات السابقة لميزان القوى توضح ان الدعـــم الاميركي للدول العربية لن يكون له سوى تأثير ضئيل على الفاعلية العربية . كما ان كميات الاسلحة التي تكشفها الجداول المذكورة توضح ان الدعم الاميركي المخطط سيذهب الى مدى أبعد بكثير من ضمـــان أمن اسرائيل . وعلى نحو اكثر تحديدا ، فانه يظهر ان الولايات المتحدة ستخلـــق « اسرائيل » تتمتع بكل القدرات اللازمة لشن حرب هجومية .

● فسوف يكون لاسرائيل الاسلحـــة الكافية لتغطية الجبهة الاردنية وفي الوقت ذاته شن هجوم على سوريا ومصر . انها ستحصل بذلك على قدرة خوض حـــرب سريعة وانزال الهزيمة بالجيوش العربية قبل ان تتمكن القوى العظمى من التدخل .

● وسوف يكون لاسرائيل كل الحركية اللازمة للمشاة والمدفعية لاختراق الجيوش العربية او الالتفاف حولها ، وتطويقهـــا وتدميرها بالكامل .

● التطويرات التي جرت في قـــوة المدفعية الاسرائيلية والقوة الهجوميـــة الجوية ستســـمح « لقـــوات الدفـــاع الاسرائيلية » باسكات الدفاعات العربيـــة المضادة للدبابات وانظمة الدفاع الجـــوي العربية .

● وسوف تتيح التطويرات التي تمت في كل من المعدات والتخطيط الاسرائيلي استخداما فعالا للوسائل الاميركية المضادة للالكترونيات والذخيرة الدقيقة التوجيه ، والاسلحة المضادة للدبابات وغيرها مـــن العديد من التطويرات في التكنولوجيـــا العسكرية الاميركية التي جرت عقـــب ١٩٧٣ . والتي لا تظهر في اي جـــداول لميزان القوى .

● وقد ازالت الحركية والانظمـــة اللوجيستيكية الاسرائيلية نقاط الضعـف التي كانت قائمة في قدرات الاســـناد اللوجيستيكي بعيدة المدى في العـــام ١٩٧٣ . ولدى اسرائيل حاليا ايضـــا معدات الهندسة القتالية اللازمة للتحـرك بسرعة عبر القناة والموانع البرية .

● وان اسرائيل تمتلك حاليا ما قدره ٣٠ يوما من الذخيرة على الاقل . ومـن المرجح ان يكون لديها اكثر من ذلـــك بكثير . وان كل شحنة اسلحة اميركيـة جديدة تحرر اسرائيل من الاعتماد عـلى اعادة الامداد الاميركي . وهذا يخفـض باستمرار من قدرة الولايات المتحدة على التحكم في الممارسات الاسرائيلية .

وعلى النقيض ، فان العرب في وضع مغاير كثيرا . فسوريا غارقة في لبنان . والجيش المصري حصل فقط على حد ادنى من اعادة الامداد بالاسلحة منذ العـــام ١٩٧٤ ، والكثير من معداته شارف على نهاية خدمته العملية ، او اصبحت ذات قيمة عملياتية مشكوك فيها . وليبيـــا والعراق اكثر بعدا عن دول المواجهة عما هو معتاد . لقد تحسن العرب على وجـه التأكيد منذ ١٩٧٣ ، ولكن بالسرعة التي تحسنت بها اوضاع اسرائيل .

## « الميزان النقدي »

وتصبح هذه الاتجاهات اكثر وضوحا لصالح اسرائيل عندما نقوم بمقارنـــة نفقات الدفاع والمساعدات العسكرية التي يحصل عليها كل طرف . وان مقارنـات كهذه توفر مقياسا افضل للاتجاه الشامل في القدرة العسكرية عن تقديرات تزايد

الاسلحة غير الدقيقة المتوفرة ، وتتضمن هذه التقديرات الموارد التي تذهب الى عوامل كالتدريب ، والتأهب ، والقيادة ، والسيطرة ، واللوجيستيك ، والحواجز الدفاعية وغيرها من العوامل غير الملموسة .

لقد انتقلت اسرائيل من موقع ادنى من الدول العربية بنسبة ٢ الى ١ في نفقات الدفاع على القوات الحاضرة الى ميزانية دفاع اكبر بكثير من ميزانية خصومها العرب الرئيسيين مجتمعين . وتعد هذه الارقام اكثر تأثيرا عندما نتذكر ان اسرائيل تنفق اموالها بفاعلية اكبر من الدول العربية .

لقد انتقلت اسرائيل من مجتمع كان ينفق ما بين ٨ و ١٣٪ من اجمالي ناتجه القومي على الدفاع في فترة ١٩٥٦ - ١٩٦٧ الى مجتمع انفق ما بين ١٧ الى ٣٠٪ في فترة ٦٧ - ٧٣ ، وهي الآن تنفق حوالي ٤٥٪ منه . وحققت اسرائيل مستويات في القوة البشرية القابلة للتعبئة تقارب مستوى مصر تقريبا ، رغم ان عدد سكان مصر يفوق عدد سكان اسرائيل بكثير . وهذا تورط لا يصدق بالنسبة لاي مجتمع .

كما حصلت اسرائيل ايضا على دعم عسكري اكثر من ذلك الذي حصلت عليه دول المواجهة العربية . فالمساعدة العسكرية الاميركية لاسرائيل اكبر بكثير من الدعم السوفييتي للدول العربية بعد حرب اكتوبر ، وكمية اكبر من الدعم الاميركي كانت على شكل هبات منه على شكل قروض . ويبدو ان هذا الوضع سيستمر على الاغلب الا اذا بدأت دول النفط العربية في تنفيذ وعودها لمصر ، وسوريا ، والاردن . ومما يؤسف له ، ان نفقات الدفاع هذه ، ومتطلبات الدعم الاسرائيلية من الولايات المتحدة الناتجة عنها ، هي ثمرة لا يمكن تجنبها لتأكيد اسرائيل الراهن على تطوير القدرة العسكرية لتحقيق « حلول حاسمة » في هزيمة القوات العربية وتدميرها قبل ان تتمكن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي من التدخل . وهي ايضا ثمرة التركيز الاسرائيلي على التهديد العربي الشامل ، وافتقاد الرغبة في الاخذ بعين الاعتبار نقاط الضعف النوعية الرئيسية في القوات العربية او مواجهة المسؤولية السياسية في الاعتراف بسوء استعداد اسرائيل للحرب في العام ١٩٧٣ . ومن الامور شبه المؤكدة ان اسرائيل قادرة على تخفيض جدي لنفقات الدفاع هذه اذا كانت راغبة في القبول بموقف دفاعي ، وان المتطلبات للدعم الاميركي يمكن ان تخفض الى حد ابعد اذا ما اخذت نقاط الضعف العربية ودرجة التجديد لدى القوات العربية في فترة ما بعد الحرب في الاعتبار . وهناك بعض الاسرائيليين على الاقل يشاركون في الرأي بانه يمكن اجراء تخفيض في نفقات الدفاع والمساعدات دون الاعتماد على استراتيجية نووية ، كما اقترح « ديان » . فلقد لاحظ « ابراهام شفاتيرز » في تعليقه على آراء « ديان » ان « ما هو مهم في هذا المبدأ ليس بالضرورة كل تفضيل ... اذا تأملنا في « الجبر » الذي يتضمنه اقتراح « ديان » ، في مواجهة « الحساب » ، فاننا نحصل على المعادلة التالية :

تخفيض في حدة الصراع الى مستوى مقبول ( عبر تنازلات في الارض لسوريا ومصر ) كرادع ذو مصداقية ضد الحروب الشاملة زائد ان خوض حرب غير شاملة يساوي امنا معقولا بثمن معقول . والمعادلة يمكن ان تتوازن بالدرجة نفسها اذا ... كانت المصداقية لا تستند على الاسلحة النووية وانما على حلف دفاعي مع الولايات المتحدة » .

## « بيريز ورابين ضد بيغن »

وهذه الاتجاهات في الدعم الاميركي يمكن ان تكون قد مثلت مخاطرات عسكرية ضئيلة في ظل حكم « رابين » او « بيريز » ، ويمكن ان تكون قد ساهمت في السلام . ولقد اعتبر الرأي العام الاسرائيلي ان ضعف « رابين » وتردده في اتخاذ القرارات قد نجم جزئيا عن خوف الحكومة الاسرائيلية في ان تكون تابعة ، ووحيدة بالاضافة الى خوفها من الكثافة العربية . كما خشيت اسرائيل من محاولة اميركية للحلول محل السوفييت في الدعم العسكري للعرب . ومن ثم كان الامداد الاميركي المفرط بالمعدات العسكرية

يعد تعويضا معقولا للمرونة في المفاوضات . ولقد اعلن السادات انه لا يمانع اي مستوى من الدعم تحصل عليه اسرائيل طالما ان ذلك يحسن المناخ للمفاوضات .

بعد سقوط رابين ، اعتبر معظم الخبراء الاميركيين ان بيريز يمتلك القوة للحلول محله كرجل يثق فيه الجيش والشعب للتفاوض . وكان بامكان بيريز ، كمحافظ ، ان يتقرب تدريجيا من منظمة التحرير ، ويقدم التنازلات في مرتفعات الجولان التي تسمح بها قوة اسرائيل العسكرية المتزايدة . ولكن اسرائيل اختارت بيغن ، واسرائيل مناحم بيغن ليست اسرائيل اسحق رابين او شمعون بيريز . بيغن سياسي بارع ، ولكنه ايضا قائد رجال عصابات قاس قبل تشكيل دولة اسرائيل ، وتأييده الشديد لاسرائيل كبرى ، تضم اراض عربية ، يروق للمجموعات الدينية المحافظة وجماهير الاسرائيليين غير الاوربيين الذين يقعون في الطرف الادنى من الهرم الاقتصادي ، والكتلة الكبيرة من الاسرائيليين المهتمين بامن الدولة المستقبلي . ويمكن ان يكون انتخابه قد حول استعداد الولايات المتحدة لامداد اسرائيل بالسلاح الى مشكلة امن قومي رئيسية .

## الانجراف نحو عائق « دائم »

ان من المبادىء الدبلوماسية المعروفة ان الامم ليس لها تحالفات دائمة ، وانما هنالك مصالح دائمة . وفي الحقيقة ، ليس للولايات المتحدة مصالح دائمة في اسرائيل ، وانها يمكن ان تكون الآن تحصل على شيء يقارب العائق امام مصالحها الى حد خطير . اذ انه يمكن ان يكون انتصار ليكود قد ربط الولايات المتحدة في حلف مع اسرائيل ينتهك المبادىء التقليدية للسياسة الواقعية والجغرافية السياسية .

ومع ذلك ، فان هناك ثلاثة اسباب رئيسية لعدم اقدام الولايات المتحدة على تغيير سياستها وقطع مساعداتها عن اسرائيل كرد فعل لانتخاب بيغن وهي : الاخلاقية ، التاريخ ، والسياسة الداخلية .

والسبب الاخلاقي يتعدى كثيرا مسألة عزل اسرائيل الاستراتيجية ووصفها كديمقراطية « صغيرة » . فالغرب يسيطر عليه شعور جماعي بالذنب تجاه « معسكرات الابادة الجماعية » التي نظمتها المانيا النازية ، والولايات المتحدة لديها شعور خاص بالذنب في هذا الصدد نظرا لموقفها اللامبالي تجاه المصاعب التي واجهها اليهود الاوروبيون قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها في بعض الاحيان . والسبب التاريخي تشكل نتيجة للقلق الاميركي في فترة ما بعد الحرب عن هذا الشعور بالذنب ، وعن عزلة اسرائيل ، ووضعها العسكري الذي كان سيئا ، فقد اضحت الولايات المتحدة هي الحامية الحتمية تقريبا لاسرائيل بعد انهيار قوة بريطانيا وفرنسا في الشرق الاوسط .

وادى هذا بدوره الى وضع اصبحت فيه اسرائيل تعتمد على الولايات المتحدة في الحصول على المعدات والامدادات العسكرية ، وهذا الاعتماد يربط الولايات المتحدة حاليا باسرائيل بواجبات اخلاقية اضافية .

وان الضغوط السياسية الداخلية هي ثمرة الاخلاقية ، والتاريخ ، وانحياز العديد من اليهود الاميركيين الى جانب اسرائيل . وهذا الانحياز هو نتيجة عوامل ثقافية ودينية ، وهو ايضا تراث « معسكرات الابادة الجماعية » والتعرض لمعاداة السامية . وهو انحياز خلق من الخوف والعاطفة بالاضافة الى روابط عرقية طبيعية .

وتربط هذه العوامل الثلاثة ، مجتمعة، الولايات المتحدة حاليا بما كان سيعتبر واحدة من العلاقات الاستراتيجية غير المرغوب فيها الى مدى بعيد في التاريخ ، لولا تلك العوامل .

والادارة الاميركية ذات قدرة محدودة في مرونتها . ففي الكونغرس واحدة من اكثر مجموعات « اللوبي » فاعلية في السياسة الاميركية . ومن شبه المؤكد ان هذه المجموعة كانت من الاسباب التي دفعت الرئيس الاميركي كارتر مؤخرا للقول بأن الولايات المتحدة لن تستخدم المساعدة العسكرية لممارسة الضغط على حكومة بيغن ، وليست هي مصالح الولايات المتحدة .

● الكونغرس اقل قدرة من الادارة الاميركية على تغيير سياسة الولايات المتحدة ، وهو متردد كثيرا في البحث في الدعم الاميركي لاسرائيل بتفصيل واقعي.

● الجماعة الاميركية اليهودية — او ذلك الجزء غير المحدد فيها الذي يرغب في تعريف نفسه بكونه سياسيا مؤيدا لاسرائيل — تبدو مصممة ان يكون رد فعلها مبنيا على الخوف بدلا من الفكر . فانها ليس فقط لا تدرس العلاقات الاميركية الاسرائيلية باستقلالية كافية ، وانما هي ايضا ميالة الى المغالاة في رد الفعل امام اية محاولة للقيام بذلك من قبل آخرين ، وبعض المجموعات اليهودية الاميركية المتطرفة تبدو دائما مستعدة لاستخدام معاداة السامية و « الابادة الجماعية » كعصا معنوية .

وهذا الشلل هو ايضا حلقة مفرغة . فانه يتطلب الكثير من الشجاعة المعنوية من قبل الادارة لممارسة ضغط على اتجاهات بيغن العسكرية ، دون دعم الكونغرس او اليهود الاميركيين . ويمكن للكونغرس ان يتقبل قيادة الادارة ( ولكنه نادرا ما يسبقها ) ، وهو اكثر تعرضا للضغوط السياسية من اليهود الاميركيين. واليهود الاميركيون ، عادة ، هم من اكثر المجموعات السياسية في الولايات المتحدة ثقافة ومعرفة . غير انهم في هذه الحالة يفتقدون القيادة والمعلومات عن الادارة والكونغرس .

ولسوء الحظ ، فان بيغن على الاغلب يعرف كيف يستغل الشلل الاميركي كأي سياسي في التاريخ الاسرائيلي . كما انه يبدو مفتقدا الى الروح العملية والتحفظ اللذين يتميز بهما بيريز . وعلى حين كانت اكثرية عمالية تعني غالبا انه سيكون هناك حدود حادة لمدى تجاوزات اسرائيل في علاقاتها بالولايات المتحدة ، فان تصريحات بيغن العلنية اظهرت بوضوح انه ينوي اساءة استخدام التحالف الاميركي — الاسرائيلي ليحكم السيطرة بشكل دائم على مدن واراضي الضفة الغربية ، التي لا تبدي اي رغبة في ان تكون جزءا من اسرائيل .

ولسوء الحظ ، فان بيغن يمكن ان

يذهب الى ابعد من ذلك بكثيـــر ، وان يحاول فعليا التوصل الى التدميـــــر السياسي والعسكري لمنظمة التحريـــر ايضا · وعلى حين ان بيغن يمكن له ان يدمر او لا يدمر اول امل حقيقي لاسرائيل في السلام اثناء قيامه بذلك العمل ، فانه قد بدأ فعلا في الحاق الضرر بشكل جدي بالمصالح الاميركية ·

جدول رقم (١)

نتيجة حرب ١٩٤٨

| | ١ ـ القوى التقريبية ١٥ ايار ١٩٤٨ | | القوات الميدانية المتواجهة (١) تشرين الاول ١٩٤٨ | |
|---|---|---|---|---|
| اسرائيل | ٣٤٫٤٠٠ | | ٤٥٫٠٠٠ (٢) | |
| العــرب | ٤٢٫٠٠٠ | | ٥٥٫٠٠٠ (٣) | |
| جيش التحرير العربي | | ٥٫٥٠٠ | | ٣٫٠٠٠ |
| جيش الانقاذ | | ٥٫٠٠٠ | | ٥٫٠٠٠ |
| لبـــنان | | ٢٫٠٠٠ | | ٢٫٠٠٠ |
| سوريا | | ٥٫٠٠٠ | | ٥٫٠٠٠ |
| الاردن | | ٧٫٥٠٠ | | ١٠٫٠٠٠ |
| مصـــر | | ٧٫٠٠٠ | | ٢٠٫٠٠٠ |
| العـــراق | | ١٠٫٠٠٠ | | ١٠٫٠٠٠ |

ب ـ تقديرات الخسائر

| | قتـلى | جـرحى | المجموع |
|---|---|---|---|
| اسرائيل | ٦٫٠٠٠ | ١٥٫٠٠٠ | ٢١٫٠٠٠ |
| العـــرب | ١٥٫٠٠٠ | ٢٥٫٠٠٠ | ٤٠٫٠٠٠ |

(١) استثني وحدات الدفاع الوطني الاسرائيلية والفلسطينية

(٢) ٩٠ الـف معبايـن وتحـت السـلاح

(٣) المصـــدر : دوبـوي ، النصـــر المتملـــص

جدول رقم (٢)

## نتيجة حرب ١٩٥٦
## قـــوة القـوات البرية التقريبية
### حملة السويس ــ سيناء ، ١٩٥٦

| | مصر | اسرائيل | بريطانيا | فرنسا |
|---|---|---|---|---|
| القوات الميدانية | ١٥٠٠٠٠ | ١٠٠٠٠٠ | ١٣٥٠٠ | ٨٥٠٠ |
| دبابـــات | ٥٣٠ | ٤٠٠ | ؟ | ؟ |
| ناقلات جنود مدرعة | ٢٠٠ | ٤٥٠ | ؟ | ؟ |
| قطع مدفعية | ٥٠٠ | ١٥٠ | ؟ | ؟ |
| مدافع مضادة للدبابات ذاتيـة الحـركة | ٥٠ | ٠ | ؟ | ؟ |
| طائرات قتال | ٢٥٥ | ١٥٥ | ٧٠ | ٤٥ |

### تقديرات الخسائر
### حملة السويس ــ سيناء ، ١٩٥٦

اصابات الافراد

| | قتـلى | جرحى | اسرى/مفقودين | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| مصر ضد اسرائيل | ١٠٠٠ | ٤٠٠٠ | ٦٠٠٠ | ١١٠٠٠ |
| مصر ضد الحلفاء | ٦٥٠ | ٩٠٠ | ١٨٥ | ١٧٣٥ |
| المجموع | ١٦٥٠ | ٤٩٠٠ | ٦١٨٥ | ١٢٧٣٥ |
| اسرائيل | ١٨٩ | ٨٩٩ | ٤ | ١٠٩٢ |
| بريطانيا | ١٦ | ٩٦ | ٠ | ١١٢ |
| فرنســا | ١٠ | ٣٣ | ٠ | ٤٣ |

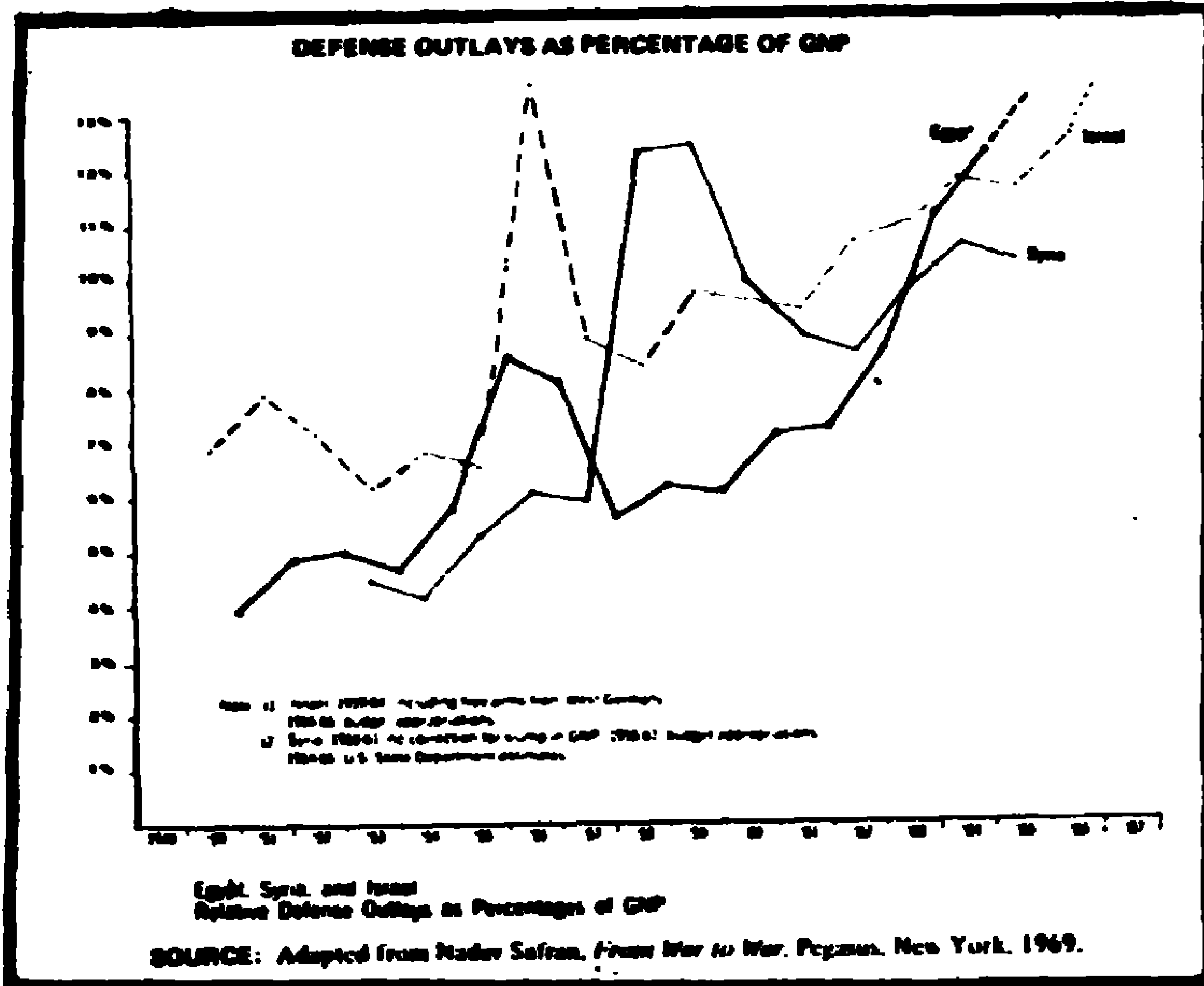
خسائر الطائرات

| | | |
|---|---|---|
| اسرائيل | | |
| مصـــــر | ١٥ | |
| بريطانيا | ٢١٥ | ( ٢٠٠ على الارض ) |
| فرنســا | ٤ | |

المصدر : دوبوي ، النصر المتملص ١

جدول رقم (٣)

## نفقات الدفاع كنسبة مئوية في اجمالي الناتج القومي




Egypt, Syria, and Israel
Relative Defense Outlays as Percentages of GNP
SOURCE: Adapted from Nadav Safran, *From War to War*, Pegasus, New York, 1969.

ملاحظة : (١) اسرائيل ١٩٥٩ ـ ٦٤ تضم الاسلحة دون مقابل مـن المانيـا الغربيـة
١٩٦٥ ـ ٦٦ مخصصات الموازنة
(٢) سوريا ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ دون تعديل للانتقاص في مجمل الناتج القومي
١٩٥٨ ـ ٦١ مخصصات الموازنة

## ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ تقديرات وزارة الخارجية الاميركية

مصر ، سوريا ، واسرائيل

نفقات الدفاع النسبية كنسبة مئوية في اجمالي الناتج القومي ·

المصدر : اقتبست من ناداق سافران ، من حرب الى حرب ، بيغاسوكه ، نيويورك. ١٩٦٩ ·

جدول رقم (٤)

### نتيجة حرب ١٩٦٧

### القوة التقريبية البرية والجوية

| | اسرائيل | العرب | مصر | الاردن | سوريا | العراق |
|---|---|---|---|---|---|---|
| القـوة البشـرية | ٢٥٠٠٠٠ | ٣٢٩٠٠٠ | ٢١٠٠٠٠ | ٥٥٠٠٠ | ٦٣٠٠٠ | ـ |
| المعباة العملياتية | | | | | | |
| الويـــة | ٢٥ | ٤٢ | ٢٢ | ١٠ | ١٢ | ـ |
| قطع مدفعية | ٢٠٠ | ٩٦٠ | ٥٧٥ | ٢٦٣ | ٣١٥ | ـ |
| دبابـــات | ١٠٠٠ | ٢٣٣٠ | ١٣٠٠ | ٢٨٧ | ٧٥٠ | ـ |
| ناقلات جنود مدرعة | ١٥٠٠ | ١٨٤٥ | ١٠٥٠ | ٢١٠ | ٥٨٥ | ـ |
| صواريخ سطح جو | ٥٠ | ١٦٠ | ١٦٠ | ٠ | ٠ | ـ |
| مدافع م/ط | ٥٥٠ | ٢٠٠٠ + | ٩٥٠ | ١٤٣ | ١٠٠٠ | ـ |
| طائرات قتال | ٢٨٦ | ٦٨٢ | ٤٣١ | ١٨ | ١٢٧ | ١٠٦ |

### تقدير القوات البحريـة

| | اسرائيل | مصر | سوريا |
|---|---|---|---|
| القوة البشرية | ٤٠٠٠٠ | ١٣٠٠٠ | ١٠٠٠ |
| زوارق دورية وطوربيد | ٩ | ٤٤ | ١٧ |
| زوارق صواريخ موجهة | ٠ | ١٨ | ٤ |
| مدمرات وفرقاطات | ٣ | ٧ | ٠ |
| غواصات | ٣ | ١٢ | ٠ |
| مراكب برمائية | ٠ | ٥ | ٠ |
| مراكب صغيرة | ؟ | ؟ | ؟ |
| | + ١٥ | + ٨٦ | + ٢١ |

### تقديرات الخسائر

| | قتلى | جرحى | اسرى مفقودين | اجمالي الاصابات | خسائر الدبابات | خسائر الطائرات |
|---|---|---|---|---|---|---|
| اسرائيل | ٩٨٣ | ٤٥١٧ | ١٥ | ٥٥١٥ | ٣٩٤ | ٤٠ |
| ضد مصر | ٣٠٣ | ١٤٥٠ | ١١ | ١٧٦٤ | ١٢٢ | |
| ضد الاردن | ٥٥٣ | ٢٤٤٢ | ـ | ٢٩٩٥ | ١١٢ | |
| ضد سوريا | ١٢٧ | ٦٢٥ | ٤ | ٧٥٦ | ١٦٠ | |
| العـرب | ٤٢٩٦ | ٦١٢١ | ٧٥٥٠ | ١٧٩٦٧ | ٩٦٥ | ٤٤٤ |
| مصر | ٣٠٠٠ | ٥٠٠٠ | ٤٩٩٠ | ١٢٩٨٠ | ٧٠٠ | ٣٥٦ |
| الاردن | ٦٩٦ | ٤٢١ | ٢٠٠٠ | ٣١١٧ | ١٧٩ | ١٨ |
| سوريا | ٦٠٠ | ٧٠٠ | ٧٥٠ | ١٨٧٠ | ٨٦ | ٥٥ |
| العـراق | ـ | ـ | ـ | ـ | ـ | ١٥ |

المصدر : دوبوي ، النصر المتملص

## جدول رقم (٥)

### نتيجة حرب ١٩٧٣

### تقديرات القوات البرية

| القوة البشرية | اسرائيل | مجموع القوات العربيه المشاركه | اجمالي القوة العربية |
|---|---|---|---|
| المتوفرة في الجيش | ٣١٠ر٠٠٠ | ٥٠٥ر٠٠٠ | ٦٥٠ر٠٠٠ |
| فرق دبابات/مدرعة | ٧ | ٥ | ٨ |
| فرق مشاة/ميكانيكية | – | ١١ | ١٨ |
| الوية مستقلة | ١٨ | ٤٦ | ٤٧ |
| دبابات متوسطة | ٢٠٠٠ | ٤٨٤١ | ٦١٣١ |
| ناقلات جنود مدرعة | ٤٠٠٠ | ٤٣٢٠ | ٥٨٧٠ |
| مدفعية ( تزيد عن ١٠٠ ملم ) | ٥٧٠ | ٢٠٥٥ | ٢٨٨٥ |
| مدفعية صاروخية | – | ٩٠ | ٩٠ |
| هاونات ( تزيد عن ١٠٠ ملم ) | ٣٧٥ | ٦٥٠ + | ٦٥٠ + |
| منصات اطلاق صواريخ سطح – سطح | – | ٤٢ | ٤٢ |
| منصات اطلاق صواريخ سطح – جو | ٧٥ | ١٢٨٠ | ١٢٨٠ |
| صواريخ ستريلا | – | ٣٠٠٠ | ٣٠٠٠ |
| مدافع م/ط | ١٠٠٠ | ٣٦٥٠ + | ٣٦٥٠ + |
| صواريخ م/د موجهة | ٢٨٠ | ١٢٠٠ | ١٢٠٠ |
| قاذف م/د | ٦٥٠ | ٥٣٠٠ + | ٥٣٠٠ + |
| مدافع م/د | – | ٢٢٠٠ + | ٢٢٠٠ + |

### تقديرات خسائر القوات البرية

| | اسرائيل | مجموع العرب |
|---|---|---|
| الافراد قتلى | ٢٨٢٨ | ٨٥٢٨ |
| جرحى | ٨٨٠٠ | ١٩٥٤٩ |
| اسرى او مفقودين | ٥٠٨ | ٨٥٥١ |
| دبابات | ٨٤٠ | ٢٥٥٤ |
| ناقلات جنود مدرعة | ٤٠٠ | ٨٥٠ + |
| قطع مدفعية | ؟ | ٥٥٠ + |
| بطاريات صواريخ سطح – جو | — | ٤٧ |
| طائرات | ١٠٢ | ٣٦٠ |
| هليكوبتر | ؟ | ٥٥ |
| مراكب بحرية | ١ | ١٥ |

## جدول رقم ٦

### ممتلكـــات المعـــدات العسكريـــة الرئيسية في الشرق ا

| | اســـرا ئيـــــــل | | | |
|---|---|---|---|---|
| | قبل اكتوبر ٧٣ | خسائر اكتوبر ٧٣ | مجموع ١٩٧٦ | قبل ا |
| دبابات متوسطة | ١٧٠٠ | ] ٨١٠ | ٢٢٦٠ | ٠٠ |
| عربات مدرعـة | ٣٠٠٠ | ] | ٢٣٠٠ | ٠٠ |
| مدفعية ميـدان | ٥٥٠ | غ٠م٠ | ٧١٠ | ٠٠ |
| غواصـات | ٣ | ٠ | ٢ | — |
| مـدمرات | ١ | ٠ | ٠ | — |
| زوارق صواريـخ | ١٣ | ٠ | ١٨ | ٨ |
| قانفـات | ١٢ | ٠ | ١٠ | غ٠ |
| قانفات مقاتلة | ٣٠٨ | ٧٩ | ٢٨٠ | ١٠ |
| طائرات معترضة | ٥٩ | ١١ | ٤٧ | ٠٠ |
| طائرات استطـلاع | ٦ | ٠ | ٦ | — |

غ٠م٠ : الرقم غير متوفر

المصدر : المسح الاستراتيجي : ١٩٧٤ لندن : المعهـــد الدولي للدراســـــات الاستر

## جدول رقم ٧

### تقديرات اوضاع القوة الاسرائيلية المستهدفة

| | ١٩٧٦ | تقديرات ١٩٨٠ | تقديرات ٨٦ |
|---|---|---|---|
| فرق مدرعة | ٨ | ١١ | ١٣ |
| الويـة ميكانيكية | ٩ | ١٠ | ١٢ |
| دبـابات | ٢٢٠٠ | ٣٢٠٠ | ٥٠٠٠ |
| ناقلات جنود مدرعـة | ٣٣٠٠ | ٩٢٠٠ | ١٠٠٠٠ |
| صواريخ موجهة م/د | ١٠٠ | ٥٠٠ | ٩٠٠ |
| كتائب صواريخ سطح سطح | | ٤ | ٦ |
| كتائب مدفعيـة | ٣٠ | ٤٠ | ٥٠ |
| طائرات قتال نفاثـة | ٥٥٠ | ٦٥٠ | ٧٥٠ |
| هليكوبتر هجومية | | ٣٠ | ٨٠ |
| طائرات نقل | ٦٠ | ٩٠ | ١١٠ |
| بطاريات صواريخ سطح جو | ١٥ | ٣٠ | ٥٠ |
| زوارق صواريخ | ١٨ | ٢٤ | ٣٠ |

المصدر : التقييمات التحليلية

| سوريا | | مصر | | |
|---|---|---|---|---|
| خسائر اكتوبر ٧٣ | مجموع ١٩٧٦ | قبل اكتوبر ٧٣ | خسائر اكتوبر ٧٣ | مجموع ١٩٧٦ |
| ] | ١٩٥٠ | ١٨٥٠ | ] | ١٩٢٠ |
| ١٠٥٠ | | | ٩٠٠ | |
| ] | ١١٥٠ | ٢٠٠٠ | ] | ٢٥٠٠ |
| غ٠م٠ | ٨٠٠ | ١٤٠٠ | غ٠م٠ | ١٥٠٠ |
| — | — | ١٢ | ٠ | ١٢ |
| — | — | ٥ | ٠ | ٥ |
| ٥ | ٦ | ٩ | ٣ | ١٦ |
| ٠ | غ٠م٠ | ٣٠ | ٠ | ٣٠ |
| ] | ١٥٠ | ١٨٠ | ] | ١٤٠ |
| ١٦٥ | | | ١٨٢ | |
| ] | ٢٥٠ | ٢١٠ | ] | ٢٥٠ |
| — | — | — | — | — |

## جدول رقم (٨)

متطلبات اسرائيلية توضيحية
لانظمة الاسلحـــة الاميركيـــة : ١٩٧٦ ـ ١٩٨٦

| الـدروع والمدفعية | ١٩٧٦ | اضافية حتى العام ١٩٨٠ | اضافية حتى العام ١٩٨٦ |
|---|---|---|---|
| دبابات متوسطة ( م ـ ٦٠ ، اكس ام ـ ١ ) | ٥٤٠ | ١٨٠٠ | ٩٠٠ |
| قانفات صواريخ م/د ( تاو ) | ٣٠٠ | ٣٠٠ | ٣٠٠ |
| مدافع هاوتزر ( م ـ ١٠٩ ١٥٥ ملم ، ١٧٥ ملم ) | ١١٠ | ٤٥٠ | ٢٢٥ |
| ناقلات جنود مدرعة ( م ـ ١١٣ ا ١ ) | ٥٠٠ | ٥٩٠٠ | ٢٨٠٠ |
| طـــائرات | | | |
| ف ـ ٤ ( فانتوم ) | ٥٠ | ٢٥ | — |
| ا ـ ٤ ( سكايهوك ) | ٢٠٠ | — | — |
| ف ـ ١٥ ( ايغل ) | ١٥ | ٢٥ | — |
| ف ـ ١٦ | — | — | ٢٠٠ |
| هليكوبتر ( كوبرا ، الخ ) | ٢٠ | ١٠٠ | ١٥٠ |
| طائرات نقل ( ك سي ـ ١٣٥ ، ك سي ـ ١٣٠ الخ ) | ٢٥ | ٧٥ | ٢٥ |
| صواريـــخ | | | |
| بطاريات سطح ـ جو ( هوك ، تشابارال،سام ـ د (١) | ١٥ | ٢٠ | ٣٠ |
| كتائب / صواريخ سطح ـ سطح (لانس) | — | ٤/٤٠٠ | ٤/٤٠٠ |
| سفن ومراكب بحرية | | | |
| زوارق صواريـخ | — | ٦ | ٥ |
| سفـن اخـرى | — | ٢ | ـ |

(١) تفترض حلول سام ـ د محل هوك ـ ١ وهوك ٢ مع العام ١٩٨٦

المصدر : التقييمات التحليلية ٠

## جدول رقم ٦

### ممتلكات المعدات العسكرية الرئيسية في الشرق الاوسط

| | اسرائيل | | | سوريا | | | مصر | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | قبل اكتوبر ٧٣ | خسائر اكتوبر ٧٣ | مجموع ١٩٧٦ | قبل اكتوبر ٧٣ | خسائر اكتوبر ٧٣ | مجموع ١٩٧٦ | قبل اكتوبر ٧٣ | خسائر اكتوبر ٧٣ | مجموع ١٩٧٦ |
| دبابات متوسطة | ١٧٠٠ | ٨١٠ | ٢٢٦٠ | ١٥٠٠ | ١٠٥٠ | ١٩٥٠ | ١٨٥٠ | ٩٠٠ | ١٩٢٠ |
| عربات مدرعة | ٣٠٠٠ | | ٢٣٠٠ | ١١٠٠ | | ١١٥٠ | ٢٠٠٠ | | ٢٥٠٠ |
| مدفعية ميدان | ٥٥٠ | غ.م. | ٧١٠ | ٩٠٠ | غ.م. | ٨٠٠ | ١٤٠٠ | غ.م. | ١٥٠٠ |
| غواصات | ٣ | - | ٢ | — | — | — | ١٢ | . | ١٢ |
| مدمرات | ١ | . | . | — | — | — | ٥ | . | ٥ |
| زوارق صواريخ | ١٢ | . | ١٨ | ٨ | ٥ | ٦ | ٩ | ٣ | ١٦ |
| قاذفات | ١٢ | . | ١٠ | غ.م. | . | غ.م. | ٣٠ | . | ٣٠ |
| قاذفات مقاتلة | ٢٠٨ | ٧٩ | ٢٨٠ | ١١٠ | ١٦٥ | ١٥٠ | ١٨٠ | ١٨٢ | ١٤٠ |
| طائرات معترضة | ٥٩ | ١١ | ٤٧ | ٢٠٠ | | ٢٥٠ | ٢١٠ | | ٢٥٠ |
| طائرات استطلاع | ٦ | . | ٦ | — | — | — | — | — | — |

غ.م. : الرقم غير متوفر

المصدر : المسح الاستراتيجي : ١٩٧٤ لندن : المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية .

## جدول رقم ٧

### تقديرات اوضاع القوة الاسرائيلية المستهدفة

| | ١٩٧٦ | تقديرات ١٩٨٠ | تقديرات ١٩٨٦ |
|---|---|---|---|
| فرق مدرعة | ٨ | ١١ | ١٣ |
| الوية ميكانيكية | ٩ | ١٠ | ١٢ |
| دبابات | ٢٢٠٠ | ٣٢٠٠ | ٥٠٠٠ |
| ناقلات جنود مدرعة | ٣٣٠٠ | ٩٢٠٠ | ١١٠٠٠ |
| صواريخ موجهة م/د | ١٠٠ | ٥٠٠ | ٩٠٠ |
| كتائب صواريخ سطح سطح | | ٤ | ٦ |
| كتائب مدفعية | ٣٠ | ٤٠ | ٥٠ |
| طائرات قتال نفاثة | ٥٥٠ | ٦٥٠ | ٧٥٠ |
| هليكوبتر هجومية | | ٣٠ | ٨٠ |
| طائرات نقل | ٦٠ | ٩٠ | ١١٠ |
| بطاريات صواريخ سطح جو | ١٥ | ٣٠ | ٥٠ |
| زوارق صواريخ | ١٨ | ٢٤ | ٣٠ |

المصدر : التقييمات التحليلية

## جدول رقم (٨)

### متطلبات اسرائيلية توضيحية للأنظمة الاسلحة الاميركية : ١٩٧٦ ـ ١٩٨٦

| الدروع والمدفعية | ١٩٧٦ | اضافية حتى العام ١٩٨٠ | اضافية حتى العام ١٩٨٦ |
|---|---|---|---|
| دبابات متوسطة ( م ـ ٦٠ ، اكس ام ـ ١ ) | ٥٤٠ | ١٨٠٠ | ٩٠٠ |
| قاذفات صواريخ م/د ( تاو ) | ٢٠٠ | ٢٠٠ | ٢٠٠ |
| مدافع هاوتزر ( م ـ ١٠٩ ١٥٥ ملم ، ١٧٥ ملم ) | ١١٠ | ٤٥٠ | ٢٢٥ |
| ناقلات جنود مدرعة ( م ـ ١١٣ ١ ١ ) | ٥٠٠ | ٥٩٠٠ | ٢٨٠٠ |
| **طائرات** | | | |
| ف ـ ٤ ( فانتوم ) | ٥٠ | ٢٥ | — |
| ا ـ ٤ ( سكايهوك ) | ٢٠٠ | — | — |
| ف ـ ١٥ ( ايغل ) | ١٥ | ٢٥ | — |
| ف ـ ١٦ | — | — | ٢٠٠ |
| هليكوبتر ( كوبرا ، الخ ) | ٢٠ | ١٠٠ | ١٥٠ |
| طائرات نقل ( ك سي ـ ١٣٥ ، ك سي ـ ١٣٠ الخ ) | ٢٥ | ٧٥ | ٢٥ |
| **صواريخ** | | | |
| بطاريات سطح ـ جو ( هوك ، تشابارال، سام ـ د (١) ) | ١٥ | ٢٠ | ٣٠ |
| كتائب / صواريخ سطح ـ سطح (لانس) | — | ٤/٤٠٠ | ٤/٤٠٠ |
| **سفن ومراكب بحرية** | | | |
| زوارق صواريخ | — | ٦ | ٥ |
| سفن اخرى | — | ٢ | - |

(١) تفترض حلول سام ـ د محل هوك ـ ١ وهوك ٢ مع العام ١٩٨٦

المصدر : التقييمات التحليلية .

## جدول رقم (٩)

تقدير ميزان القوى العربي الاسرائيلي : ١٩٨٠

| | اسرائيل | | مصر وسوريا | | مصر | | سوريا | | الاردن | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | تقديرات (أ) | محتمل (ب) | تقديرات (أ) | اسوا حالة (ج) | تقديرات (أ) | اسوا حالة (ج) | تقديرات (أ) | اسوا حالة (ج) | تقديرات (أ) | اسوا حالة (ج) |
| القوة البشرية الاجمالية | ٤٨٧ر٢٠٠ | — | ٦٨٢٤٠٠ | — | ٤١٠٠٠٠ | | ٢٢٧٤٠٠ | | ٧٥ر٠٠٠ | |
| القوات البرية | | | | | | | | | | |
| القوة البشرية الاجمالية | ٤٥٠ر٠٠٠ | | ٥٩٢٠٠٠ | | ٣٥٢٠٠٠ (د) | | ٢٤٠٠٠٠ | | ٦٧١٠٠ | |
| دبابات متوسطة | — | ٣٢٤٠ـ٥٠٤٠ | ٥١٨٠ | ٥٧١٠ | ٢٤٢٠ | ٢٦٧٠ | ٢٦٧٠ | ٣٠٤٠ | ٥٤٠ | ٦٠٠ |
| مدفعية ( ١٠٠ ملم + ) | — | ٦٧٢ ـ ١١٢٠ | ٢٥٢٠ | ٣١٠٠ | ١٥٦٠ | ١٩٠٠ | ٩٦٠ | ١٢٠٠ | ٢٥٠ | ٤٦٠ |
| ناقلات جنود مدرعة | — | ٩٢٤٠ـ١٠٠٠٠ | ٤٤٤٠ | ٤٩٠٠ | ٣٠٠٠ | ٣٢٠٠ | ١٤٤٠ | ١٦٠٠ | ٥٢٠ | ٨٨٠ |
| صواريخ موجهة م/د | ٥٠٠ | ٦٠٠ ـ ٩٠٠ | ١٩٠٠ | — | ١٢٠٠ | — | ٧٠٠ | — | — | — |
| منصات اطلاق صواريخ/صواريخ سطح سطح | ٢٤/ | — | ١٢٧٠/٧٦ | /٩٩ | ٦٠٠/٣٦ | /٤٤ | ٦٧٠/٤٠ | /٥٠ | — | — |
| بطاريات/ منصات اطلاق صواريخ سطح جو | ١٨٠/٣٠ | ٣٠ ـ /٥٠ | ١٦٥٦/٢٧٦ | ١٨٢٤/٣٠٤ | ١٢٠٠/٢٠٠ | ١٣٢٠/٢٢٠ | ٤٥٦/٧٦ | ٥٠٤/٨٤ | — | ٣٦/٦ |
| مدافع م/ط | ١١٨٠ | — | ٥٠٠٠ | — | ٢٠٠٠٠ | — | ٢٠٠٠ | | ٢٢٠ | ٤٠٠ |
| سلاح الجو | | | | | | | | | | |
| القوة البشرية الاجمالية | ٣٠ر٠٠٠ | — | ٦٦٠٠٠ | — | ٣٦٠٠٠ | — | ٣٠٠٠٠ (د) | — | ٧٣٠٠ | — |
| طائرات قتالية نفاثة | ٦٥٠ | ٧٥٠ | ١١١٤ | ١٤٥٠ | ٥٨٦ | ٧٦٠ | ٥٢٨ | ٦٩٠ | ٧٦ | ١٣٠ |
| طيارين | ١٠٠٠ | ١٢٠٠ | ١٦٥٠ | — | ٩٠٠ | — | ٧٥٠ | — | ١٨٠ | — |
| طائرات استطلاع | ١٢ | — | ٣٢ | — | ١٢ | — | ٢٠ | — | ٤ | — |
| البحرية | | | | | | | | | | |
| اجمالي القوة البشرية | ٧٢٠٠ | — | ٢٣٤٠٠ | — | ٢١٠٠٠ | — | ٢٤٠٠ | — | ٢٧٥ | |
| مدمرات وفرقاطات | ٢ | — | ٥ | ١٠ | ٥ | ٨ | ٠ | ٢ | ٠ | ٠ |
| زوارق صواريخ | ٢٤ | ٣٩ | ٣٢ | ٤٢ | ١٦ | ٢٤ | ١٦ | ١٨ | ١٢ | ١٥ |
| غواصات | ٣ | ٥ | ١٢ | ١٢ | ١٢ | ١٢ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ |

(أ) التقديرات تستند على ارقام الميز ان العسكري : ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ( لندن : المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ، ١٩٧٦ ) افيـاشن ويك انـد سبيس تكنولوجي .

(ب) الارقام المحتملة لاسرائيـل تتضمن مستويات عالية من الانتاج من برامج انتاج الاسلحة المحلية .

(ج) تقديرات اسوا حالة مبنية على زيادات خطية على تقديرات ١٩٨٠ . (د) تضم افراد الدفاع الجوي .

المصدر : التقييمات التحليلية

## جدول رقم ١٠

برامج المساعدة الاميركية والسوفياتية للشرق الاوسط : ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥
( بملايين الدولارات الاميركية )

| | المساعدة الاميركية | المساعدة السوفياتية | | المساعدة السوفياتية / الاميركية | |
|---|---|---|---|---|---|
| | لاسرائيل | لمصر | لسوريا | المجموع | |
| هبـات | ١٥٥٠ | ١٥٠ | ٢٥٠ | ٤٠٠ | ٢٦ ٪ |
| قـروض | ٩٨٣ | ٤٨٥ | ٨٦٥ | ١٣٥٠ | ١٣٧ ٪ |
| المجموع | ٢٥٣٣ | ٦٣٥ | ١١١٥ | ١٧٥٠ | ٦٩ ٪ |

المصدر : مخصصات وزارة الدفـاع للسنة المالية ١٩٧٦ ( هـ. ر. ٩٨٦١ ) ، الجلسة الاولى للجنة المخصصات فـي مجلس الشيوخ الاميركي ، الكونغرس الـ٩٤ ( ١٩٧٥ ) ، ومبيعات الاسلحة الخارجية وحقائق المساعدات العسكرية ( نوفمبـر ١٩٧٥ ) ، مراقب ادارة البيانات ، ص ٢١ .

ترجمة وتقديم : محمود عزمي

# شهريات

## المناطق المحتلة

### النشاط الاستيطاني

طغت على النشاط الاستيطاني مؤخرا خلافات بين جوش ايمونيم وحكومة الليكود ، ما لبثت بعد ذلك ان وجدت لها حلاً يتمثل في الاتفاق على اقامة ست مستوطنات تخص جوش ايمونيم حتى نهاية هذا العام ضمن معسكرات الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية . وقد جرى في هذه الفترة ايضا الاحتفال بتدشين مستوطنة في سيناء ، وعد مناحيم بيجن بالاقامة فيها بعد اعتزاله الحياة السياسية ! كما ووافقت اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان على تعزيز المستوطنات في المناطق المحتلة بمشاريع صناعية .

عقب فوز الليكود في الانتخابات الاخيرة استبشر جوش ايمونيم خيرا ، الا ان واقع مجيء الليكود حمل بين ثناياه الى جانب تباشير الامل بتحقيق ما يريده جوش ايمونيم اضعافا لقوته . ذلك ان ال «جوش» ظهر عقب حرب اوكتوبر كرد فعل على ظهور مشروع التسوية وما يحمل في طياته من احتمالات للتنازل عن مناطق عربية ، وانضوى تحت لوائه جماعات متطرفة تعود اصولها الى الشريحتين اليمينية والدينية . ولم تكن قوته تكمن في حجمه او نشاط اعضائه بقدر ما تكمن في القوى السياسية الداعمة له ، والتمزقات الداخلية التي كانت تعصف بحزب العمل، فقد استمد قوته من الليكود بشكل علني ، والحزب الوطني الديني المفدال بشكل ضمني « وعلى استحياء » لكونه شريكا في الائتلاف الحكومي الذي يقوده التجمع العمالي ، كما ان الصراع بين بيرس ورابين ، واستغلال بيرس للجوش اكثر من مرة ، كاحراج لرابين ، صب ايضا في قوة جوش ايمونيم .

ومع انتصار الليكود وتسلمه الحكم في اسرائيل ، تراجعت قوة الجوش ، وغدت محدودة الوزن في خريطة القوى السياسية الاسرائيلية . وعلى الرغم من ذلك فانه وجد في انتصار الليكود الامل بالبدء بنشاط استيطاني واسع في المناطق المحتلة خاصة وان الطرفين ينطلقان من ارضية سياسية واحدة . الا ان الخلافات بدأت تظهر بينهما بعد وقت قصير حول مسالة التنفيذ . فالليكود ، كسلطة ، اخذ يشدد على مبدأ الاستيطان ، ويخضع التنفيذ ، للاعتبارات السياسية والدولية ، وفق رؤيته ، واختلف الجوش معه في مسالة التنفيذ ، مديرا ظهره لاية اعتبارات سياسية ، بصيغة حركة شعبية ، ولدت بالاساس كرد فعل على « الاعتبارات السياسية » التي تمخضت عنها حرب اوكتوبر .

ومن الواضح ان الليكود ، خلافا لحزب العمل ، لا يجد صعوبة تذكر في التغلب على جوش ايمونيم ، الا ان مشاركته له في اعماله منذ العام ١٩٧٤ ؛ وتعاطفه معه من حيث المبدأ ، يحولان دون التصدي له · وقد حاول الليكود استرضاء الجوش واخضاعه لقرارات الحكومة ، من خلال الاعتراف بالمستوطنات التي كان قد اقامها بشكل « غير شرعي » ابان حكم التجمع العمالي ، ودفع مبلغ ست ملايين ليرة لجوش ايمونيم ! واقامة عدد من المستوطنات في المناطق خلال الفترة القصيرة من حكمه ، بيد ان ذلك لم يرض الجوش بما فيه الكفاية ، حيث اخذ ينتقد الحكومة ويعلن انه سيقيم ١١ مستوطنة في يوم واحد في الضفة الغربية قبل نهاية هذا العام ، وانه سينتهج الاسلوب الذي سار عليه ابان حكم التجمع العمالي ، بتأييد من الليكود · وعندما ازداد ضغط الجوش على الحكومة ، هدد بيجن سكرتارية الجوش بانه سيقدم استقالته الى رئيس الدولة في حال الاستمرار في تحدي حكومته ، وبعد ذلك اتحد الطرفان على صيغة لازالة الخلافات بينهما حين اتفقا على اقامة ست مستوطنات تابعة لجوش ايمونيم داخل معسكرات الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية ، حتى نهاية هذا العام ، على ان يعتبر المستوطنون ك « مستخدمين لدى الجيش » ·

وقد جرى بالفعل في الثاني من اوكتوبر اقامة نواة استيطانية تحمل اسم « نواة شومرون » داخل احدى معسكرات الجيش الاسرائيلي في الضفة ·

وواجه هذا الاتفاق انتقادات شديدة في الصحف الاسرائيلية ، فقد اعتبره البعض « جريمة » بحق الجيش الاسرائيلي ، وتمحورت الانتقادات حول زج الجيش الاسرائيلي في السياسة ، وتساءل بعض المعلقين الاسرائيليين هل هنالك من يتوقع من هذه المجموعات « المجبولة على التعصب والتبشر » ان لا تبث بافكارها ومعتقداتها داخل الوحدات التي ستقيم بينها ، وما هي عقوبة اللقاءات السياسية بين تلك الوحدات ، مع العلم ان التعليمات العسكرية تحظر اي نشاط سياسي داخل اطار الجيش ، وما هو مصير الجنود والضباط الذين لهم افكار تتناقض وافكار مجموعات جوش ايمونيم ؟ وهل سيسمح لهم باجراء لقاءات واجتماعات كما يفعل افراد جوش ايمونيم ، بينما اعتبر البعض الاخر هذا الاتفاق « مؤشرا لبداية انحلال الجيش الاسرائيلي وحله الى وحدات سياسية حزبية » ورأي فيه « اهانة للزى الذي امتص دماء كثيرة في الدفاع عن حرية اسرائيل » ·

ويبدو ان هذا الاتفاق لم يرق لقسم من غلاة المستوطنين في جوش ايمونيم ، حين خرجوا عليه ، وتوجهوا نحو مدينة اريحا لاقامة مستوطنة عند ابوابها ، وعندما تصدت لهم قوات الاحتلال ، تراجعوا الى الخلف واقاموا مخيمات لهم على طريق القدس ـ اريحا · كما وجرت محاولة اخرى قامت بها نواة تابعة لجوش ايمونيم حين ضربت خيامها بالقرب من مستوطنة عفره في الضفة الغربية ، فتصدت لها قوات الاحتلال وازالت الخيام ·

وازاء النشاط المحموم لجوش ايمونيم والسياسة الاستيطانية الرسمية ، تشكلت للمرة الاولى في اسرائيل حركة غير حزبية في الحرم الجامعي في القدس تطلق على نفسها اسم « الحركة من اجل صهيونية اخرى » تضع نصب اعينها هدف الوقوف في وجه جوش ايمونيم باعتباره يلحق الضرر باسرائيل وبجهود السلام · وعقدت هذه الحركة اجتماعا في كيبوتس « نحشون » بالقرب من الطريق المؤدية الى القدس من السهل الساحلي ،

حضره قرابة ثلاثة الاف شخص ، شجب المتحدثون فيـــه نشاط جوش ايمونيـــم و « سياسة الضم الزاحف » ٠

كما ونشط اعضاء من عشرة كيبوتسات في النقب الغربي ، بالتصدي لسياســـة الاستيطان في المناطق المحتلة ، فقد اغتنم هؤلاء ويقدر عددهم بـ ١٥٠ شخصا فرصة قيام بيجن عند اواخر شهر ايلول الماضي بزيارة مستوطنة يميت في شمال سيناء ، وقاموا بتظاهرة هناك ، رافعين شعارات تشجب الضم وسلب سكـــان سينـــاء اراضيهم ، الا ان مستوطني يميت اعتدوا عليهم ومزقوا شعاراتهم ، ونشب اشتباك بالايدي بين الطرفين ٠ ووزع اعضـــاء الكيبوتسات بيانا هناك جـاء فيـــه ان « الاستيطان في المناطق يغلق الباب امام خيارات السلام ، لان المستوطنات التـي يزورها بيجن شيدت على اراض جـــرى احتلالها في حرب الايـــام الستة ، وان اسرائيل لم تخرج للحرب بهدف احتـلال الاراضي » وجاء ايضـــا ان « جـــوش ايمونيم يشكل رأس سهم لكل اعمال الضم على حساب الشعب الاخر » ٠

وفي التاسع والعشرين من شهر ايلول احتفل عدد من المسؤولين الاسرائيليـين وعلى رأسهم مناحيـــم بيجن بتدشيـــن مستوطنة « نؤوت سيناي » وتحويلهـــا الى مستوطنة مدنية ٠ وهي تابعة لشبيبة بيطار وتقع الى الشمـــال من العريش ٠ واثناء الاحتفال ، لحق اعضاء الكيبوتسات ببيجن ، وتظاهروا ثانية شاجبين تدشين المستوطنة ، وحدث اشتباك آخر بينهم وبين المستوطنين ، وتدخلت الشرطة وفصلت بين الفريقين ٠

بيد ان الاهم من ذلك ، جملة وردت في الكلمة التي القاها مناحيم بيجن ، وهـــي انه « عندما يستقيل من الحكومة والحيـاة العامة، سيقيم فيمستوطنة نؤوت سيناي»٠

ومن ناحية اخرى ، اتخذت اللجنـــة الوزارية لشؤون الاستيطان خطواتلتعزيز المستوطنات القائمة ، حين صادقت فـــي الحادي عشر من اوكتوبر الماضي علـــى اقامة مشاريع صناعية واسعة في عدد من المستوطنات في المناطق المحتلة ، ومـــن بينها الون موريه وعفره في الضفة الغربية ورمات هجولان في هضبة الجولان « ويميت في شمال سيناء ، كما وصادقت على اقامة مركز صناعي في غور الاردن مع مبـــان صناعية تحتل مساحة ٢٥٠٠ متر مربع ٠

## شهوة الاستيلاء على المسجد الاقصى

وسط هوس النشاط الاستيطاني فـــي المناطق المحتلة وعلى رأسها الضفـــة الغربية ، والمشاريع الاستيطانية المستقبلية الهادفة الى تهويد تلك المناطق على المدى البعيد ، اخذت انظار البعض من غـــلاة المستوطنين تتطلع نحو المسجد الاقصى ،في محاولة لتقسيمه تمهيدا للاستيلاء عليه ٠ فقد اعلن الحاخام الرئيسي شلومو جورين في اوائل شهر اوكتوبر الماضي في مؤتمر صحفي خصصه للتحدث حول موقفه مـــن اداء فرائض الصلاة داخل الحرم الـــذي يحتضن المسجد الاقصى ، اعلن انه يمتلك خرائط للحرم ، وانه حدد اماكن معينة في منطقة الحرم يسمح لليهود اداء الصلوات فيها ، واضاف ان الحظر المفـروض الان على اليهود بخصوص اداء فرائـــض الصلاة داخل الحرم ، يفسره العـــرب « كتنازل » ودعا الى عدم التنازل عـــن مكان « قدس الاقداس » باعتبار انـه « لا توجد قوة في العالم يمكنها ان تسلبنـــا حقنا في الاستيطان في جميع ارجاء ارض اسرائيل وفق ما تمليه علينا التوراة ٠ ان فريضة استيطان ارض اسرائيل تضاهـي جميع الفرائض في التوراة » ٠

ورد على الحاخام جورين الشيخ حلمي

المحتسب باسم المجلس الاسلامي في القدس ببيان ركز فيه على شجب ومهاجمة تصريح جورين ، والتأكيد على ان الحرم الشريف مع كل معالمه وابنيته هو مسجد اسلامي منذ ١٤٠٠ سنة وبالتالي فانه لا يحق لاحد غير المسلمين اداء الصلاة داخله ، وانتهى البيان بالتأكيد على ان « للحرم الشريف رب يحميه » ٠

ومن الجدير بالذكر والطريف معا ، ان نذكر هنا ان الدين اليهودي الذي تغلفت به الحركة الصهيونية لتبرير مطالبها في اقامة وطن قومي لليهود في « ارض اسرائيل » التي تختلف التيارات الصهيونية على تحديد حدودها ، هو العامل الاساسي في منع يد التوسع من الامتداد حتى الآن لتطول منطقة الحرم ! ذلك ان الشرع اليهودي يحرم على كل يهودي مؤمن ، مجرد دخول بيت المقدس اي منطقة الحرم بعد خراب الهيكل الثاني باي حال من الاحوال ، ويجيز دخوله في حالة واحدة صعبة المنال ، ومستحيلة في الواقع : ظهور المسيح الموعود ٠ وبما ان المسيح لم يظهر بعد ، فان دخول اليهودي منطقة الحرم مخالف للشرع ، وينطوي على « تدنيس قدس الاقداس » ٠ ومما يسترعي الملاحظة ان اليهود الذين هرعوا منذ سقوط القدس العربية في حرب ١٩٦٧ الى المسجد الاقصى وتجولوا في ساحة الحرم باعداد كبيرة هم فئة اللادينيين ، وليسوا من فئة المتدينين المتمسكين باهداب الشريعة اليهودية ٠ ففي اعقاب سقوط القدس عقد كبار الحاخامين في اسرائيل « مؤتمر التوراة الشفهية » بحضور كل من كبير حاخامي الطائفة الاشكنازية وكبير حاخامي الطائفة الاسفارادية ، وقرر المؤتمرون ، تمشيا مع الشريعة اليهودية ، تحريم منطقة بيت المقدس ، ومنع اليهود من دخولها ، وبالفعل علقت لافتات بهذا المعنى حول المنطقة ، ولم يأخذ المؤتمرون باجتهاد الحاخام جورين ــ كان يشغل منصب الحاخام الرئيسي للجيش الاسرائيلي ــ القاضي بالسماح لليهود باداء الصلاة في اماكن معينة من الحرم بعد تطهير كل من يدخلها بالماء ٠

الا انه على الرغم من قرار مجلس الحاخامين ، فقد تعرض المسجد الاقصى لمحاولات عدة قام بها شبيبة « بيطار » التابعة لحركة « حيروت » ، لدخوله بهدف الصلاة فيه والمطالبة بعد ذلك بتقسيمه ثم الاستيلاء عليه ٠ وجرى في احدى المحاولات اشتباك بين حراس المسجد وتلك المجموعة ادى الى ايقاف افرادها وتقديمهم للمحكمة ، وجاء في حيثيات الحكم الصادر بحق هؤلاء انه يحق لكل يهودي اداء فرائض الصلاة في المسجد الاقصى ! الامر الذي اثار الفئات الدينية في اسرائيل حيث اخذت تبدي سخطها واحتجاجها على القرار ، ولم تهدأ الا بعد ان اصدرت المحكمة العليا قرارا بالغاء القرار انف الذكر ٠

واذا كان الليكود الحاكم متماثل في نظرته تجاه الحرم مع نظرة شبيبة « بيطار » التابعة له ، الا انه يخشى من الاقدام على خطوات لتغيير الوضع الراهن في الحرم بفضل عاملين ، الاول ، التخوف من ردات الفعل في العالم الاسلامي ، والثاني وربما يكون الاهم ، التخوف من سقوط الحكومة ، ذلك ان الليكود يتزعم حكومة ائتلافية يشترك فيها حزبان دينيان ، اجودات يسرائيل والمفدال ٠ وقد حرص اتباع الحزب الاول على عدم الاقتراب مطلقا من منطقة الحرم منذ سقوط القدس، كما ان اتباع الحزب الثاني لم يدخلوا الحرم ، وان كان بين صفوفه من يئن تحت التناقض القوي بين شهوة التوسع والرغبة في الحفاظ على الشرع ٠ ولعل في قول احد حاخامي المفدال ما يشير الى وطأة

هذا التناقض الفريد من نوعه ، حين ذكر ان الحاخام جورين لا يملك صلاحية البت في هذا الموضوع « ولا يحق لغير السنهدرين البت في موضوعات مبدائية من هذا النوع · ولكن لو كنا على استعداد للميل لقبول تفسير الحاخام جورين بخصوص الصلاة في الحرم ، المعتمد على مسح المنطقة ، فانه من اللائق ان نبقي شيئا ما لعهد مجيء المسيح ...»

ويبدو ان الحاخام جورين ، حين لمس مدى معارضة الفئات الدينية في اسرائيل لتصريحه وحراجة موقف حكومة الليكود تجاه الحرم ، عاد وتراجع في مقابلة اذاعية عن اقواله في مؤتمره الصحفي ، فانكر ان يكون قد اعد خطة لتحديد اماكن للصلاة داخل الحرم لليهود « في الوقت الحاضر » مشيرا الى ما يمثله الحرم من حساسية في العلاقات العربية الاسرائيلية ·

## رؤساء البلديات وقضية التمثيل الفلسطيني

عقب اعلان الاقتراح الاميركي الذي يدعو الى حل « عقدة » التمثيل الفلسطيني بواسطة رؤساء بلديات وشخصيات في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ليقوموا بدور تمثيل الشعب الفلسطيني في مؤتمر جنيف، تلقفت الصحف الاسرائيلية الاقتراح ، واخذت تنشر اسماء وصور الاشخاص الذين يمكن ان تناط بهم مسؤولية تمثيل الفلسطينيين ، مع تحليل مواقف كل شخص وسرد تاريخ حياته ·

ومن الواضح ان الاقتراح الاميركي يستهدف قبل كل شيء الطعن بحق م·ت·ف· بتمثيل الشعب الفلسطيني ، واحداث بلبلة في صفوف رؤساء البلديات المعروفين بتعاطفهم مع م·ت·ف· وقد واجه رؤساء البلديات الاقتراح الاميركي بطريقتين : الاول ، الاعلان في الصحف الصادرة في الضفة الغربية عن « تأييدهم غير المحدود لمنظمة التحرير الفلسطينية » مركزين على انها هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني · كما واشارت الصحف الاسرائيلية ان رؤساء بلديات نابلس ، طولكرم ، الخليل، رام الله ، البيرة ، اريحا ، حلحول ، وقلقيلية اعلنوا عن تأييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية ورفضهم القيام بدور « تمثيل الفلسطينيين في جنيف » واشترط بعض هؤلاء القيام بالدور فقط في حال موافقة م·ت·ف· على ذلك وضمن وفدها مثل رئيس بلدية طولكرم حلمي حنون الذي قال « اذا ما وافقت م·ت·ف· على ان يكون عدد من رؤساء البلديات اعضاء في بعثة م·ت·ف· فان رؤساء البلديات لا يعارضون ذلك » كما ان رئيس بلدية الخليل فهد قواسمه اشار الى استعداد رؤساء البلديات للمساهمة في تمثيل الفلسطينيين في حال موافقة م·ت·ف· فقط « واذا لم توافق م·ت·ف· فلن نوافق نحن ايضا » ·

والثاني ، اجراء مشاورات بين رؤساء البلديات للرد على الاقتراح الاميركي ·

واشارت الصحف الاسرائيلية ان المشاورات اسفرت عن قرار بارسال مذكرة الى الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة « تتضمن رفض الاقتراح » · ولم يكشف النقاب عن صيغة المذكرة ، الا ان الصحف اشارت الى ان رؤساء البلديات « لا يعتبرون انفسهم ممثلين للفلسطينيين، وان م·ت·ف· فقط هي المخولة بتمثيلهم ، ونقلت عن بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس قوله « اننا رؤساء بلديات ، ولسنا رجال سياسة · ليس في نيتنا ان نكون بديلا لمنظمة التحرير الفلسطينية

التي تعتبر الهيئة الوحيدة الممثلة لنا » ·

## تخبط جماعة « البديل » الهزيل

في الوقت الذي رفض فيه رؤساء البلديات والشخصيات الوطنية في الضفة الغربية الاقتراح الاميركي الذي يستهدف الطعن في حق تمثيل م·ت·ف· للشعب الفلسطيني ، تحرك نفر من المجبولين على عداء شعبهم ، في الضفة الغربية ، بدعم من سلطات الاحتلال واطراف عربية، في نشاط اتخذ مسارين يصبان في الجهود المعادية للنضال الوطني للشعب الفلسطيني ·

يتمثل المسار الاول في اقدام عدد من الاشخاص على تقديم مذكرة الى سلطات الاحتلال تطالب فيها باقامة ادارة ذاتية في الضفة الغربية · ووقع على المذكرة اربعة اشخاص هم : محمد دودين موظف في وزارة الزراعة في الخليل ، وبرهان الجعبري ابن الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل سابقا ، وعبد الوهاب زاهدة صحفي من الخليل ومراسل التلفزيون الاسرائيلي باللغة العربية ، وعبد النور جنحو من رام الله الذي برأته محكمة اسرائيلية مؤخرا من جريمة قتل بتوصية من اجهزة المخابرات الاسرائيلية· وعرض الاربعة في مذكرتهم قائمة اسماء شخصيات من الضفة رشحوها لتسلم مهام رئيسية في الادارة الذاتية المقترحة، ومن بين الاسماء المطروحة ، ناصر الدين النشاشيبي ، المقيم في مصر والذي يقوم بين الحين والآخر بزيارة الضفة الغربية، وقد رشحه الاربعة في منصب « مستشار عام للضفة » !

ومن الجدير بالذكر ان الصحف الاسرائيلية اشارت الى ان برهان الجعبري هرع بعد تقديم المذكرة الى سلطات الحكم العسكري ، وطلب منها سحب توقيعه وفسرت ذلك بأنه « يخشى من ان يؤدي تقديم المذكرة الى الحاق الاذى بالاردن » · وافادت انه بعث بعد ذلك برسالة الى الملك حسين تحمل بالاضافة الى توقيعه ، توقيع ابيه يطلب فيها معرفة موقف الاردن من فكرة الادارة الذاتية ·

ويتمثل المسار الثاني في محاولة برهان الجعبري ومصطفى دودين وهو وزير سابق في الحكومة الاردنية ، وبعض الاشخاص ، عقد مؤتمر في الخليل يضم قرابة ٣٠ شخصية · وكان من المقرر عقد المؤتمر في الرابع عشر من اوكتوبر الماضي · وجرى حديث كثير حوله في الصحف الاسرائيلية قبل انعقاده ، مشيرا الى انه يهدف الى « معارضة قيادة م·ت·ف· الراهنة ودعم تدخل الاردن في كل مرحلة من مراحل المفاوضات مع اسرائيل حول مستقبل الضفة الغربية » ·

ولما حان موعد انعقاد المؤتمر ، لم يجد المبادرون لعقده في القاعة ، الا انفسهم ولم يكن امام هؤلاء من خيار الا الغاء المؤتمر بعد ان روجوا له من خلال وسائل الاعلام الاسرائيلية ·

وترجع المصادر الاسرائيلية سبب الفشل الى « تكاسل » المبادرين له ، وانطلاقهم من « مصالحهم الشخصية الضيقة » ، وافتقارهم الى اي رصيد شعبي ، والى خوف الشخصيات المتعاطفة معهم من المجاهرة برأيها ضد م·ت·ف·

عبد الحفيظ محارب

# اســـرائيــليـات

## أ ـ الاسـتعداد لاعادة تنظيم الجهـاز العسكري الاسـرائيلي

بدأت وزارة الدفاع الاسرائيلية تستعد لعملية تغيير واسعة النطاق داخل الجيش الاسرائيلي · وستشمل عملية التغيير هذه ، اعادة تنظيم الجيش وكذلك انشاء بعض القيادات الجديدة ، مثل قيادة للقوات البرية ، وكذلك اجراء تغييرات في مناصب ضباط الاركان ، استعدادا لاختيار رئيس جديد للاركان ، خلفا للجنرال مردخاي غور ، الذي تنتهي فترة خدمته خلال الربيع القادم · وتم في هذا الصدد تعيين الجنرال رفائيل ايتان ( رفول ) رئيسا لشعبة العمليات والتي تدعى ايضا شعبة الاركان العامة ، وهو المنصب الثاني بعد رئيس الاركان وذلك استعدادا لتعيينه رئيسا للاركان حسب تفسيرات الكثير من المعلقين الاسرائيليين · كما تم تعيين الجنرال افيجدور بن غال قائدا للمنطقة الشمالية ، واعطاء الجنرال يكوثئيل ادام اجازة دراسية في الولايات المتحدة ، بعد ان كان يشغل منصب رئيس شعبة العمليات · وقد بادر الى كل هذه التعيينات وزير الدفاع وايزمن حيث وضع الجنرال ايتان في مكان يستطيع منه « القفز » الى منصب رئيس الاركان ، بعد ان يكون قد اكتسب خبرة ادارية وتخطيطية في الاركان العامة ، بالاضافة الى خبرته الميدانية الطويلة ( يديعوت احرونوت ، ٢٣ـ٨ـ٧٧) ·

ويعتبر تعيين الجنرال افيجدور بن غال قائدا للمنطقة الشمالية ، اول حدث من نوعه في تاريخ الجيش الاسرائيلي ، حيث يتم تعيين ضابط صغير نسبيا ، ( ٤١سنة) في هذا المنصب العالي · وفي نية وزارة الدفاع في المستقبل تعيين ضباط آخرين من ابناء جيل بن غال ، من الذين اكتسبوا خبرة قتالية طويلة ، ليحتلوا مناصب عليا في الجيش · وسيتم اختيار رئيس الاركان الذي سيأتي بعد رئيس الاركان الحالي ، من بين هذه الطبقة من الضباط ( المصدر نفسه ) ·

### رئيس الاركان المقبل

ان احد القرارات الهامة التي يطلب من وزير الدفاع إتخاذها خلال الاشهر القريبة ، هو فيما يتعلق بتعيين رئيس الاركان القادم ، وهو الشخص الذي سيوصي به امام الحكومة الاسرائيلية ليكون رئيس الاركان الحادي عشر · وقد اعتقد الكثيرون ان وايزمن سيجري هذه التغييرات خلال هذه السنة ، اي قبل انتهاء السنة الرابعة لخدمة غور ، وذلك اثر خلافات في الرأي بينهما حول العديد من القضايا ، ولكن يبدو انهما توصلا الى نوع من التفاهم وصيغة للعمل ، مما ادى الى تأجيل التعيينات ، بما في ذلك تعيين بديل لغور نفسه ·

هناك قضية رئيسية تواجه وزارة الدفاع

حول كيفية تعيين رئيس الاركان ، فهل يتم تعيينه من بين جنرالات الجيش الذين يعملون في الخدمة النظامية ، او يجري خرق هذا التقليد والبحث عن ضابط من بين جنرالات الاحتياط · ويعتقد اصحاب الرأي القائل انه يجب تعيين ضابط من الاحتياط ، انهم لن يجدوا شخصا ملائما وناضجا اكثر من بقية المرشحين الاخرين فحسب ، وانما سيقنع هذا التعيين الجنرالات في الجيش الاسرائيلي الذين يعتبرون انفسهم مرشحين لمنصب رئيس الاركان ، بعدم ترك الجيش عندما يتم اختيار زميلهم الذي يساويهم لهذا المنصب ( زئيف شيف ـ هارتس ٢٦ـ٨ـ٧٧) · وقد حدث في تاريخ الجيش الاسرائيلي مثل هذا ، عندما ترك كل من يسرائيل طال ويتسحاق حوفي الجيش لعدم تعيينهما في منصب رئيس الاركان ، بعد ان كانا مرشحين بل تم تعيين ضابط في الاحتياط وهو رئيس الاركان الحالي ·

لقد وردت ثلاثة اسماء من جنرالات الاحتياط ، كمرشحين لهذا المنصب ، وهم الجنرال يتسحاق حوفي الذي كان مساعدا لوايزمن عندما كان يعمل رئيسا لشعبة العمليات · وكان دايان قبل حرب « يوم الغفران » يعتبر حوفي احد المرشحين لمنصب رئيس الاركان ، ولكنهم اخبروه بعد الحرب ان ترشيحه قد ابطل · وبعد ان اوصى دايان بتعيين غور رئيسا للاركان ترك حوفي الجيش الاسرائيلي ·· والمرشح الثاني ، هو يسرائيل طال ، الذي كان نائبا لرئيس الاركان ورئيسا لشعبة العمليات اثناء حرب ١٩٧٣ · واما الثالث فهو وزير الزراعة الحالي الجنرال ( احتياط ) اريئيل شارون ، وهو يعتبر اقل حظا من غيره لتولي هذا المنصب ( المصدر نفسه ) ·

هذا ويتوقع ان يتدخل عدد من الوزراء في عملية تعيين رئيس الاركان ، وخاصة كل من دايان وشارون ، كما سيكون لدى رئيس الحكومة اشياء كثيرة يقولها بهذا الصدد ، لان هذه هي المرة الاولى التي سيعين فيها ليكود رئيسا للاركان · ولكن العرف والقانون في اسرائيل ينصان على ان وزير الدفاع هو الشخص الذي يوصي امام الحكومة بالشخص الذي سيعين في هذا المنصب · وتشير المصادر الاسرائيلية الى ان مرحلة التخبط لدى وايزمن بالنسبة لتعيين رئيس جديد للاركان سواء « من الداخل » او « من الخارج » قد انتهت ·

فيقول المقربون منه ، انه اذا لم يحدث شيء غير عادي فان رئيس الاركان القادم سيكون من الجنرالات في الخدمة النظامية · والمرشحان الرئيسيان لهذا المنصب هما الجنرال رفائيل ايتان ، والجنرال هرتسل شفير ، قائد المنطقة الجنوبية ·وهناك ايضا مرشح ثالث وهو الجنرال يكوتئيل ادام ، الذي كان يشغل حتى الفترة الاخيرة منصب رئيس شعبة الاركان العامة · ولكنه اعطي مؤخرا اجازة دراسية · وهناك اثنان من هؤلاء الثلاثة تسلما وظيفة رئيس شعبة الاركان العامة ، حيث ان هناك تقليدا متبعا في الجيش الاسرائيلي ، هو ان يتسلم المرشح لرئاسة الاركان هذا المنصب ، بعد ان يكون قد تسلم وظيفة رئيس شعبة الاركان العامة ، ولكن الرئيس الحالي للاركان غور ، كان اول ضابط يتسلم الاركان العامة ، دون ان يشغل منصب رئيس شعبة الاركان ( هارتس ٢٣ـ٨ـ٧٧) ·

في اعقاب التغييرات التي حدثت في وزارة الدفاع ، طلب الجنرال رفائيل ايتان من وزير الدفاع العمل على تعيينه رئيسا لشعبة الاركان العامة ، ولو لفترة قصيرة نسبيا قبل ان يتخذ القرار بشأن رئيس الاركان القادم · وقد وافق وزير الدفاع على ذلك في اعقاب موافقة رئيس

الاركان ، مردخاي غور · وكان الجنرال رفائيل ايتان الملقب ( رفول ) وهو المرشح الاكثر حظا في تسلم رئاسة الاركان قد ولد عام ١٩٢٩ في فلسطين بمستوطنة تل عدشيم ، والتحق بالبالماخ عندما كان عمره ١٧ سنة · اشترك في حرب ١٩٤٨ مع لواء هرئيتل في فك الحصار عن القدس وجرح في معركة القطمون · وفي عام ١٩٤٩ ترك الخدمة العسكرية وعاد الى الحياة المدنية وبعد ١٨ شهرا عاد مرة اخرى الى الجيش · وفي عام ١٩٥٣ ترك الجيش ثانية ثم عاد اليه عام ١٩٥٥ ، وعين قائدا لاحدى كتائب المظليين . وفي عام ١٩٥٦ عين قائدا لوحدة من المظليين حاربت في ممر المتلا في سيناء · وانهى عام ١٩٥٨ دورة للقيادة والاركان ثم سافر بعدها للدراسة في الخارج · كما انه التحق بجامعة تل ابيب خلال خدمته العسكرية حيث درس تاريخ الشرق الاوسط وشمال افريقيا ومن ثم التاريخ العسكري . وكذلك درس في جامعة حيفا العلوم السياسية ·

والتحق خلال عامي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ بكلية الامن القومي · وعام ١٩٦٤ عين قائدا للواء المظليين . حيث قاتل خلال حرب حزيران ١٩٦٧ في منطقة رفح وغزة وخان يونس . ثم عمل خلال عامي ٦٧ـ١٩٦٨ قائدا في منطقة غور الاردن . حيث اشترك في القتال ضد الفدائيين . وفي عام ١٩٦٨ عين قائدا للمظليين وقاد في تلك السنة الغارة على مطار بيروت الدولي · وعين خلال حرب يوم الغفران قائدا لاحدى الفرق في الجولان حيث رقي الى رتبة لواء ، وفي ١٥ـ٤ـ١٩٧٤ عين قائدا للمنطقة الشمالية ( هارتس ٢٣ـ٨ـ٧٧ )·

## الاعتبارات في تعيين رئيس الاركان

يرى البعض ان هناك مسألة هامة ستحدد الى حد كبير قرار وزير الدفاع تتعلق بالمرحلة المقبلة التي تتوقع اسرائيل ان تدخلها . وهل ستزج خلال السنوات الثلاث او الاربع القادمة في حرب جديدة ويجب الاخذ بالحسبان احتمال قلب الاوضاع رأسا على عقب كما حدث في اعقاب حرب الايام الستة . عندما كانت هناك ثقة كبيرة بان رئيس الاركان الذي سيأتي بعد اسحاق رابين ، سيعمل فقط على بناء الجيش الاسرائيلي · ولكن لم تطل الايام حتى زج الجيش الاسرائيلي تحت قيادة بارليف . في حرب إستنزاف مربكة ومعقدة من الناحية العسكرية والسياسية على السواء · ويرى زئيف شيف . المعلق العسكري لصحيفة هآرتس ( ٢٦ـ٨ـ٧٧ ) انه يجب توافر ثلاث مزايا في رئيس الاركان المقبل : اولها ان يكون صاحب وعي عسكري يستطيع بواسطته ان يبني جيشا قادرا على الاستمرار في المحافظة على الفجوة النوعية بين اسرائيل والعرب حتى خلال الثمانينات ، والثانية ان يكون قائدا وزعيما دون اي منازع على كافة الاسلحة ، والثالثة ان يكون قائدا له رؤية استراتيجية شاملة ، ويستطيع ان يعمل بنجاح مع القيادة السياسية ـ الامنة ·

وكان هناك من انتقد الاسلوب الذي اخذ الجيش يتبعه ، منذ حرب « يوم الغفران » ، في تعيين رئيس الاركان من ضباط الاحتياط وليس من الضباط النظاميين · فاشار البعض الى ان الجنرالات الذين يخدمون في الجيش النظامي الان ، هم الضباط الذين رعاهم الجنرالات الذين يخدمون في الاحتياط ، وانه من الافضل للقيادة ان تغير هذا الاسلوب حتى لا يترك الجنرالات في الخدمة النظامية الجيش قبل المواعيد المناسبة · وذكر ايضا ان جنرالات الاحتياط المرشحين حاليا ، كانوا مرشحين في الماضي ولكن لم يقع الاختيار عليهم

لاسباب معقولة وان هذه الاسباب لا تزال قائمة بالنسبة لهم · واشار المعلق اريه اراد الى ان المرشحين لمنصب رئاسة الاركان من الاحتياط ، لا يتفوقون على هؤلاء الموجودين في الخدمة النظامية وان هؤلاء الجنرالات ( الاحتياطيين ) هم من الذين تساقطوا في حرب يوم الغفران وانهم يتحملون جميعا وكل واحد على حدة ، مسؤولية « التقصير » الاسرائيلي خلال تلك الحرب · كما ان منصب رئاسة الاركان يفترض ان يكون رئيس الاركان من الضباط الذين يعرفون ماذا يجري داخل الجيش · ولخص اراد رأيه بقوله : « المقصود هو اعطاء دم جديد للقيادة العليا وليس نبيذا معتقا » ( دافار ٢ـ٩ـ٧٧ ) ·

## التغييرات في وزارة الدفاع والجيش

تم مؤخرا تعيين مردخاي تسيبوري نائبا لوزير الدفاع · وتحدث تسيبوري عن التغيرات في وزارة الدفاع وفي الجيش ، فأشار الى أنه تم رسم خط واضح بين المجالات المدنية والسياسية وبين المجالات العسكرية ، وان القيادة السياسية المدنية ستتدخل قليلا بما يجري داخل الاركان العامة · كما اشار تسيبوري الى ان الجهد المشترك لكل من وزارة الدفاع والجيش الاسرائيلي سيتركز في المجال العسكري فقط ، واما القضايا السياسية فتبحث في اطار الحكومة · وبالنسبة للقضايا التي تتعلق بالجانب العسكري فتم بحثها لدى وزارة الدفاع · وهذا الامر لم يكن قائما في السابق ، اذ لم تكن وزارة الدفاع تشرف كثيرا على القضايا المتعلقة بالجيش . حيث كانت الاركان العامة وخاصة رئيس الاركان في عهد وزير الدفاع السابق . شمعون بيرس ، تتمتع بحرية عمل واسعة · اما الان فقد راح العسكريون يشعرون ان حرية عملهم ومجالها آخذة في التقلص · ونظرا لهذه الاسباب فان رئيس الاركان لم يعد يظهر الا قليلا في المناسبات التي تحمل طابعا سياسيا ( مثل المحادثات التي جرت مع وزير الخارجية الاميركي ) ( معاريف ١٦ـ٩ـ٧٧ ) ·

ويشير نائب وزير الدفاع ، الى انه ستتخذ في بداية العام القادم عدة قرارات ستؤدي الى تغيرات جذرية في الجيش الاسرائيلي · كما جرت بالفعل بعض التغيرات في وزارة الدفاع ، مثل الغاء وظيفة المستشارين كمستشار الوزير للشؤون السياسية ، والصناعة والاستيطان · وفي مجال الاستعداد لاجراء تغييرات جوهرية في الجيش ، كشف نائب الوزير عن وجود طاقم خاص في وزارة الدفاع ، يعمل الان على بلورة « اهداف الحرب الاسرائيلية » · وكان بعضهم قد انتقد في الماضي عدم وجود تحديد دقيق لاهداف الحرب ، من قبل جميع الحكومات الاسرائيلية · ونتيجة لهذا فقد خرج الجيش الاسرائيلي الى الحروب في الماضي ( حرب الايام الستة وحرب يوم الغفران ) دون اهداف كهذه ·

كما تجري عملية بلورة « انظمة » وزير الدفاع ، على غرار ما هو موجود في انكلترا ( انظمة الملك ) وفي الولايات المتحدة ( تعليمات وزارة الدفاع ) · وفي اسرائيل توجد تعليمات القيادة العليا واوامر الاركان العامة ، التي شكلت اسبابا للتداخل في مجالات الاختصاص ما بين القيادة المدنية والجيش · ولهذا فهناك طاقم خاص بصدد ايجاد صيغة « انظمة وزير الدفاع » · ( المصدر نفسه ) ·

## تعيين الجنرال طال ، لاعادة تنظيم الجيش

عين وزير الدفاع وايزمان الجنرال

( احتياط ) يسرائيل طال ليقوم بدراسة امكانية اعادة تنظيم الاركان العامة وكذلك تقديم توصياته بالنسبة لامكانية انشاء قيادة للقوات البرية ٠ وكان الجنرال شموئيل غونين ، قائد المنطقة الجنوبية خلال حرب ١٩٧٣ ، قد اجرى مثل هذه الدراسة قبل حوالي سنتين ، واوصى بانشاء مثل هذه القيادة ، الا ان الاركان العامة ( وخاصة رئيس الاركان غور ) رفضها في حينه ٠ ويعتبر قرار وزير الدفاع هذا اول بادرة من نوعها منذ تأسيس الجيش الاسرائيلي ، حيث يعين شخص من خارج الخدمة النظامية لدراسة اعادة تنظيم الجيش والاركان العامة ٠ ( هآرتس ٩ـ٨ـ٧٧) ٠

ويرى البعض انه اذا لم يحدث شيء مفاجيء يعرقل ، خلال السنة القادمة ، الحياة الجارية في الجيش الاسرائيلي ، فانه يتوقع ان يبدأ الجيش بعملية اعادة تنظيم شاملة لرئاسة الاركان والقوات البرية وكافة شعبه وقياداته وقد طلب وزير الدفاع من طال في كتاب التعيين تقديم توصياته حتى تاريخ الخامس عشر من نوفمبر من هذه السنة ٠ ومن هنا فان مناقشة هذه التوصيات ستتم في نهاية السنة القادمة ومن المؤكد ان تتم التغييرات التي سيوصي بها خلال السنة المالية القادمة ( المصدر نفسه ١٢ـ٨ـ٧٧) ٠

ويبدو ان الجنرال طال سيوصي بانشاء قيادة للقوات البرية ، ويؤيده في ذلك وزير الدفاع ، ولكن رئيس الاركان الحالي لا يؤيد مثل هذا المشروع ٠ ومن جهة اخرى يبدو الهيكل الحالي للاركان العامة لبعض الخبراء بانه « هيكل غير طبيعي » لانه لا توجد قيادات خاصة لسلاح الجو او للبحرية او القوات البرية ، بل تتولى الاركان العامة نفسها هذه المهمة ( معاريف ١٢ـ٨ـ٧٧) ٠

## قائد جديد لسلاح الجو

تم مؤخرا تعيين اللواء دافيد عفري قائدا لسلاح الجو ، خلفا للواء بنيامين بيلد ، الذي كان قد تسلم قيادة هذا السلاح في ربيع ١٩٧٣ ٠ وكانت الانتقادات قد وجهت ، بعد حرب يوم الغفران ، لسلاح الجو لعدم تحقيقه الامال التي علقت عليه والقيام بالمهام الموكلة اليه ، وخاصة في معالجة بطاريات الصواريخ العربية وفشله ايضا في مساعدة القوات البرية ٠ ولكن بيلد يرفض هذا الانتقاد ويرد عليه : من الناحية العسكرية كانت تلك الحرب انجح حرب يخوضها سلاح الجو منذ نشأته ٠ فقد دفع الجيش الاسرائيلي خسائر اقل مما كان متوقعا ، بالرغم من ظروف بداية الحرب وبالرغم من المفاجأة ٠ واضاف انه لو كانت بداية حرب ١٩٦٧ شبيهة بتلك التي وقعت سنة ١٩٧٣ ، « فانني لا اعرف اين كنا اليوم » ٠ واستطرد بيلد في دفاعه فأشار الى انه في عام ١٩٦٧ سمح لسلاح الجو بالقيام بهجوم مفاجيء ، وعندها قام بالمهمة ولكنه دفع ثمنا باهظا ، واذا ما جرت مقارنة بين الحربين ، فانه يجب ان نذكر ان سلاح الجو الاسرائيلي قد خسر خلال حرب الايام الستة حوالي ٢٤٪ من طائراته و ٢٦ من الطيارين المقاتلين بالاضافة الى دخول الطائرات العربية اسرائيل ووصولها الى نتانيا وكفار سيركين ( زئيف شيف ، هآرتس ٢١ـ١٠ـ ١٩٧٧) ٠

وكان القرار بشأن تعيين دافيد عفري ، قائدا لسلاح الجو قد صدر قبل حوالي شهرين بتوصية من قائد السلاح الحالي ، بنيامين بيلد ٠ وقد اعلن عنذلك للمرة الاولى وزير الدفاع في اجتماع لضباط السلاح في تل ابيب ٠ والقائد الجديد من مواليد فلسطين ، انضم الى الجيش الاسرائيلي عام ١٩٥٢ وبعد سنتين اصبح

طيارا وشارك في كافة الحروب التي خاضها سلاح الجو · وكان قد تسلم رئاسة قسم العمليات وعين مديرا لكلية الطيران وكذلك قائدا لاحدى القواعد الجوية الكبيرة ( هآرتس ، ١٨ـ٩ـ٧٧) ·

**اعادة فتح كلية الامن القومي**

اعيد مؤخرا فتح كلية الامن القومي ، التي كانت الحكومة الاسرائيلية قد اغلقتها في ربيع ١٩٦٧ ، بعد ان تبين من تقرير اللجنة التي كانت قد عينت برئاسة يجئيل يادين في حينه ان مستوى الدراسة فيها لم يكن ملائما ، وان غالبية طلابها لم يكونوا يتمتعون بمستوى لائق · وبالرغم من ان اللجنة لم توصي باغلاق الكلية ، قامت حكومة اشكول بذلك · ويرى البعض ان الحكومة الاسرائيلية قد ارتكبت خطأ باغلاق الكلية ، اذ نجم عن ذلك زيادة الفجوة طيلة السنوات الماضية في ثقافة الضباط السياسية والاستراتيجية ( هآرتس ٢٢ـ٨ـ٧٧) ·

كما انتقد زئيف شيف القائلين بان كلية القيادة والاركان ستملأ الفراغ الذي خلقه عدم وجود كلية الامن القومي ، لان اهم ما تتركز عليه الدراسة في كلية القيادة والاركان ، هو المواضيع العسكرية العملية ويشير المعلق ايضا الى انه بالرغم من ارسال العديد من الضباط للدراسة في كليات الامن القومي في الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا ، فان الفائدة لم تكن كافية وذلك بسبب عدم تخصص دراستهم في منطقة الشرق الاوسط وفي قضايا اسرائيل الامنية · ومن هنا فانه لا مفر من وجود كلية للامن القومي · وهذا ما حدث بالفعل · وقد حاولت السلطات العسكرية الاسرائيلية تلافي كافة الاخطاء التي وقعت فيها الكلية في الماضي ، والتي كانت سببا في اغلاقها · فقد اصبحت مثلا ، الشروط والمقاييس لاختيار الطلاب متشددة للغاية ، حيث لا يسمح بوجود اكثر من ثلث الطلاب من المدنيين ، بعد ان حدث العكس في الماضي · كما ستقبل الكلية الضباط ممن تعدهم الاركان العامة لتولي مناصب عليا في الجيش في المستقبل ( المصدر نفسه ) ·

حمدان بدر

---

## ب ـ قضايا الخلاف الامريكي ـ الاسرائيلي

---

رغم التصريحات التي اطلقها رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن ، ابان زيارته للولايات المتحدة وبعدها ، عن الانسجام السياسي الكامل بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وزوال خطر المواجهة الذي كان متوقعا بين الدولتين الحليفتين ، اثر صعود مناحيم بيغن وحزبه الى سدة الحكم في اسرائيل، فان القيادة الاسرائيلية واجهزة اعلامها ، سرعان ما راحت تتحدث عن أزمة في العلاقات مع واشنطن ، وعن خطر مواجهة حقيقية بين اسرائيل والولايات المتحدة ·

ولم يتورع الاسرائيليون وحلفاؤهم

داخل الولايات المتحدة ، من القاء التبعية في كل ذلك ، على كاهل الولايات المتحدة والادارة الاميركية نفسها ، متمثلة بالثلاثي كارتر ، بيريزنسكي وفانس ، وليس نتيجة المواقف الاسرائيلية من الصراع الدائر في الشرق الاوسط ، او لطبيعة الحكم الليكودي الجديد في اسرائيل . وانما هي نتيجة لمفاهيم معينة ترسخت في البيت الابيض ، نتيجة لتعاظم القوة في العالم العربي ( دافار ٧ـ١٠ـ٧٧ ) ، والتي كان بريزنسكي نفسه قد صاغها قبل توليه لمنصبه كمستشار للامن القومي في الادارة الاميركية الجديدة .

وخلاصة هذه المفاهيم كما تعرضها وسائل الاعلام الاسرائيلية والصهيونية هي : « بما انه يحكم العالم اليوم اقل من ٣٠ نظاما ديموقراطيا . فان الولايات المتحدة لا تستطيع الاستمرار في سياستها . القائمة على ان كل الدول الديموقراطية هي حليفة لها بطبيعتها » . ولهذا فان بريزنسكي يعتقد ان على « الولايات المتحدة التقرب من الانظمة الدكتاتورية ، لكونها تشكل الاكثرية » ، ومن ضمنها الدول العربية ، الغنية بمواردها الطبيعية ، والمواد الاولية التي « تحتل المكانة الاولى في نظريته السياسية ـ الفلسفية هذه » ( دافار ٧ـ١٠ـ٧٧ ) .

وبناء على ذلك، فان القيادة الاسرائيلية تعتقد ، بأن الادارة الاميركية . قد رسمت خطوط سياستها الشرق أوسطية سلفا . وقبل انتصار حزب الليكود في الانتخابات الاخيرة . وتولي مناحيم بيغن وجنرالاته المتطرفين سدة الحكم . في اسرائيل . وانه سواء « بقي المراخ في الحكم ، او الليكود ، وبغض النظر عمن يترأس الحكم في اسرائيل » سواء كان ذلك مناحيم بيغن او مئير باعيل » فانه « لن يكون لذلك سوى اهمية ضئيلة جدا فقط بالنسبة للاستراتيجية الاميركية الجديدة » ( دافار ٧ـ١٠ـ٧٧ ) ، التي يبلورها الثلاثي كارتر وبريزنسكي وفانس ، والتي دأبوا على تنفيذها خلال الثمانية اشهر الاولى لتوليهم الحكم ، في الولايات المتحدة بخطوات صغيرة ، حيث كانت الادارة الاميركية « تبتعد في كل خطوة من هذه الخطوات عن مواقف اسرائيل » . الا ان الادارة الاميركية كانت تضطر في كل مرة الى تهدئة اسرائيل ، اثر ردود فعلها العنيفة ، باعلانها عن انه « لم تكن ثمة نية لاي تغيير في السياسة الاميركية » حيال موقفها من اسرائيل « دون ان تتخلى عن تنفيذ استراتيجيتها الجديدة » ( المصدر نفسه ) .

وكان هذا التحول في السياسة الاميركية كما تعتقد اسرائيل ، قد بدأ في ٩ـ٣ـ٧٧ مع تصريح الرئيس كارتر في مؤتمره الصحفي ، الذي طالب اسرائيل فيه « بالانسحاب الى حدود ما قبل عام ١٩٦٧» ثم اتبعه بتصريح اخر في خطابه الذي القاه في كلينتون في ١٦ـ٣ـ٧٧ ، والذي « تكلم فيه عن ضرورة ايجاد وطن فلسطيني » ومن ثم مطالبة اسرائيل « بالتعويض على اللاجئين الفلسطينيين وتنديده بالسياسة الاستيطانية التي تنتهجها » واخيرا « الاتصالات مع الاتحاد السوفييتي لرسم اطار شامل للسلام في الشرق الاوسط كجزء من المسيرة الاستراتيجية الجديدة هذه للادارة الاميركية » ( المصدر نفسه ) . وقد اسفرت تلك الاتصالات عن صدور البيان الاميركي ـ السوفييتي المشترك الذي يعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ويرى الاسرائيليون ان سبب التوقيع الاميركي على ذلك البيان يعود الى قناعة اميركية مفادها انه يستحيل عليها عقد مؤتمر جنيف في نهاية عام ١٩٧٧، واحلال السلام في الشرق الاوسط دون التعاون مع الاتحاد السوفييتي ومنظمة التحرير الفلسطينية .

اذ ان كلا من الطرفين يستطيع عرقلة

السلام في أي وقت يرتئيه ولا بد اذن لاي سلام ثابت في المنطقة من ان « يقبله كل من الاتحاد السوفييتي وم·ت·ف· » وهذا عكس ما ترتئيه اسرائيل تماما ( المصدر نفسه ) ·

وهكذا فان الاسرائيليين يلخصون مجمل القضايا الاساسية التي تختلف فيها الولايات المتحدة مع اسرائيل في النقاط التالية : الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني والدولة الفلسطينية، الاستيطان في المناطق المحتلة والتمثيل الفلسطيني في جنيف ·

يعتقد الاسرائيليون ان توجه الرئيس كارتر « المؤيد للفلسطينيين » ليس « نتيجة اوضاع عابرة في مكانة م·ت·ف في العالم العربي والشرق الاوسط ، وانما لايمانه بأن الفلسطينيين هم حتمية تاريخية » (يديعوت احرنوت ٢٣-٩-٧٧ )· ويعود هذا الايمان الى وجهة نظره في ان « شمس الشعوب الفقيرة والملونة والمضطهدين في العالم سوف تشرق ان عاجلا ام اجلا ، وان روديسيا وجنوب افريقيا قد حكم عليهما بالانقراض ، بينما تخبيء الحتمية التاريخية لكوريا الجنوبية وتيوان مصيرا مماثلا ·· وانه لا بد وان يضيء من بينها جميعا الكوكب الفلسطيني ايضا » ( المصدر نفسه ) ·

ولهذا فان الرئيس الاميركي ومعه مستشاره للامن القومي يؤمن بأن الولايات المتحدة تستطيع ان تجد مكانها كزعيمة لهذا العالم المتغير الجديد ، اذا ما عرفت كيف تتلاءم قبل فوات الاوان مع هذه الحتمية التاريخية · وعليه « لا بد لاسرائيل من تفسير التحول المؤيد للفلسطينيين الذي طرأ على سياسة الولايات المتحدة في نطاق هذا المفهوم العام » ( المصدر نفسه ) · وهذا يعني اعتقاد القادة الاسرائيليين ان الرئيس كارتر يؤمن في قرارة نفسه ان الحتمية التاريخية لا بد وانها تخبيء لاسرائيل ايضا ، مصيرا مماثلا لروديسيا وجنوب افريقيا وتيوان ، وان كان لا يقول ذلك جهارا ، خوفا من ردود الفعل الاسرائيلية العنيفة ، واثارة غضب اللوبي اليهودي ذي التاثير الفعال داخل الولايات المتحدة·

ولهذا ، وعلى عكس معارضة الحكم السابق لقيام دولة فلسطينية قد تتحول في المستقبل الى قاعدة سوفييتية ، وبؤرة « للشغب » في الشرق الاوسط ، الامر الذي قد يخلق وضعا خطيرا في المنطقة ، اكثر مما هو قائم اليوم ، « فان الحكم الاميركي الجديد يؤمن بأنه اذا لم يفعل شيئا في هذا الصدد فان الامر سيصل الى مرحلة الانفجار حتما بينما يستطيع الحؤول دون مثل هذا الانفجار « اذا ما عمل في المقابل شيئا للفلسطينيين » ( المصدر نفسه ) · ويساعد على بلورة هذا المفهوم تعاظم التاثير الاميركي في منطقة الشرق الاوسط في المدة الاخيرة ، ومن ضمنها الدول العربية الموالية لاميركا ، وخاصة العربية السعودية الامر الذي « سيضمن اعتدال الفلسطينيين لانهم سيكونون مرتبطين بالعربية السعودية من الناحية الاقتصادية » · وهذا ما اكدته بحسب رأي الاسرائيليين ، السعودية للولايات المتحدة في كثير من المناسبات موضحة انه « اذا ما اعطيت للفلسطينيين دولة ما ، فانهم سيكونون اقل ازعاجا واقل خطرا بالنسبة للانظمة العربية الموالية لاميركا » ( المصدر نفسه ) ·

وبالاضافة الى ذلك فان الولايات المتحدة « تعتقد حقا ان ثمة عناصر معتدلة داخل م·ت·ف » · ولذلك فانه « لمصلحة الولايات المتحدة القومية وللمصلحة الاسرائيلية ، على المدى البعيد ، لا بد من دعم هذه العناصر » ( المصدر نفسه ) ، وذلك باجراء حوار غير رسمي معها في البداية ، ومن ثم بشكل رسمي ، اذا ما قبلت م·ت·ف

بقرار مجلس الامن ٢٤٢ واعترفت بحق اسرائيل في الوجود ٠

ونظرا لكل ذلك وانطلاقا من ايمان الرئيس كارتر بنظريته الاستراتيجية ـ السياسية بالنسبة للحتمية التاريخية، وحق تقرير المصير لكل الشعوب ، فان الاسرائيليين يعتقدون ، بانه « يتخذ مواقفا مؤيدة لاقامة وطن فلسطيني اكثر من أي رئيس اميركي اخر ، من الرؤساء الذين سبقوه » ٠ ولذلك فانه ما دام يدعو لاقامة وطن فلسطيني فليس باستطاعته ان يتجاهل م٠ت٠ف٠ ولا يعني الاسرائيليين هنا ، سواء اعترف الرئيس الاميركي بها، كممثل وحيد للشعب الفلسطيني ام لا ، لانه لا يوجد لديهم « ادنى شك في انه يعترف بها كأحد المثلين للشعب الفلسطيني » ، وانها اذا ما وافقت على القرار ٢٤٢ ، فانه « سيعتبرها مفاوضا شرعيا بالنسبة للولايات المتحدة على الاقل ، اذا لم يكن بالنسبة لاسرائيل ، وهذا ما يتعارض تماما مع موقف اسرائيل بشكل عام، وايديولوجية الطاقم الجديد بيغن ـ دايان في الحكم الاسرائيلي » بشكل خاص » ( يديعوت احرنوت ٢٣ـ٩ـ٧٧ ) ٠ وقد عبر بيغن ـ دايان بكل صراحة ووضوح في كثير من المناسبات عن موقفهما هذا ، منذ تسلم الليكود زمام الحكم ونقلا رأيهما هذا للرئيس كارتر ومساعديه ابان زيارتيهما للولايات المتحدة ولوزير الخارجية سايروس فانس ٠ وتتلخص هذه المواقف باللاءات المتكررة للوطن الفلسطيني والدولة الفلسطينية ، والمفاوضات مع م٠ت٠ف٠ حتى وان اعترفت بقرار مجلس الامن ٢٤٢ وبحق اسرائيل في الوجود ، لان ذلك يعني « الانتحار للدولة اليهودية » على حد تعبير دايان ، ولان « الدولة اليهودية اقيمت قطعا على حساب دولة الفلسطينيين على ارض كانت تدعى فلسطين ، ولو انني خيرت بين الدولة الفلسطينية وبين الحرب لاخترت الحرب » ( دا٠ا٠ ١٦ـ٩ـ٧٧ ) ٠

**الاستيطان :**

ان مسألة الاستيطان في المناطق المحتلة هي موضوع خلاف قديم ـ جديد بين الولايات المتحدة واسرائيل ، اذ ان الولايات المتحدة لم تتفق مرة في الرأي مع اسرائيل بالنسبة للاستيطان ، في الاراضي المحتلة ، وان كانت ردود الفعل الاميركية على عمليات الاستيطان منذ ١٩٦٧ ، لا تتعدى الاعراب عن الاسف ، او تقديم اللوم الحذر للحكومة الاسرائيلية ، دون ان تلجأ حتى الى التنديد على الاقل ولا نقول الادانة ويبدو ان سبب هذا الموقف الاميركي هو ايمان الولايات المتحدة ، كما عبر عنه هنري كيسنجر في كثير من المناسبات ، بأن تلك المستوطنات التي تقيمها اسرائيل ، لن تكون عقبة في طريق السلام وانه « عندما يتم التوصل الى السلام ، لن يكون من الصعب ازالتها ، اذ لا يمكن لها ان تبقى في مكانها » ( يديعوت احرنوت ٢٣ـ٩ـ٧٧ ) ٠

الا ان الاسرائيليين يعتقدون ، بان « التناقض » بين الولايات المتحدة واسرائيل ، قد تضاعف بعد صعود حزب الليكود الى الحكم اضعاف ما كان عليه في عهد الرؤساء السابقين لكارتر ، وذلك ليس « لسياسة الاستيطان التي تنتهجها حكومة بيغن ، وانما « نتيجة لتوجه الرئيس كارتر في معالجة المشاكل المختلفة ، الذي يتسم بطابع التوجه الاخلاقي والقانوني ، اكثر من التوجه البراغماتي الذي كان ينتهجه هنري كيسنجر » ( المصدر نفسه )٠ ولذلك فان ردود فعل كارتر بالنسبة لكل موضوع الاستيطان « اكثر عنفا » باعتباره « عملا غير قانوني ويتنافى مع بنود معاهدة جنيف » كما « ويضع العراقيل امام امال المفاوضات الجدية في الشرق

الاوسط » ( يديعوت احرونوت ٢٢ـ٩ـ٧٧ ر٠١٠١٠ ٢ـ١١ـ٧٧ ) ٠

ومن ناحية اخرى ، يعتقد الاسرائيليون ان ثمة قاسما مشتركا للاستراتيجية الاميركية الجديدة في المنطقة ، التي ترتكز على « الخيار الفلسطيني » ، وتهدف الى « اكراه اسرائيل على الانسحاب من الاراضي المحتلة في النهاية ، وانشاء دولة فلسطينية مستقلة ، بقيادة م٠ت٠ف ( دافار ٢٩ـ٩ـ٧٧ ) ٠ وهذا التحول في السياسة الاميركية وعلى هذا المستوى، هو « حتما نتيجة مبادرات وتخطيط دقيق » اذ حول حكم الرئيس كارتر « الخيار الفلسطيني الى مشروع فعال وفي الدرجة الاولى لسلم الاولويات » ، بينما كان « الخيار الفلسطيني » في السابق « احد خيارات كثيرة مطروحة كأحد البدائل الممكنة للخيار الاردني » ( المصدر نفسه ) ٠

وطبيعي ان لا تحظى مثل هذه الاستراتيجية بتنسيق اسرائيلي اميركي ، بينما كانت الاستراتيجية الاميركية التي « ترتكز على الخيار الاردني تسمح بذلك » ومن هذه الناحية لا فرق بين الحكومة الليكودية في اسرائيل وبين خطة الحكومة المعراخية السابقة ، اذ « لا يمكن تسوية اقليمية او وظيفية مع دولة فلسطينية منفردة ، على عكس ما هو عليه الحال بالنسبة للاردن » ( المصدر نفسه ) ٠ وبذلك يكون الرئيس كارتر قد « نسف بنفسه التسوية الاقليمية التي كانت تقترحها حكومة المعراخ ، حين عاد واكد بشكل قاطع ان على اسرائيل ان تنسحب الى حدود ٤ـ٦ـ٧٧ » ٠ ولهذا السبب بالذات « فانه يعارض ، وبشكل احد مما كان عليه الامر في الماضي ، اي استيطان اسرائيلي في الاراضي المحتلة » ( دافار ٢٩ـ٩ـ٧٧ ) ٠

اما السبب الثالث للتحول في السياسة الاميركية بالنسبة للاستيطان ، كما يـراه الاسرائيليون ، فانه « يتعلق بالسياسة الداخلية الاميركية » ( يديعوت احرنوت ٢٢ـ٩ـ٧٧ )، اذ ان الادارة الاميركية تعرف جيدا ، ان اسرائيل لا تتمتع بالنسبة لموضوع الاستيطان بتأييد الكونغرس ، ولا بتأييد الرأي العام الاميركي ، اللذين تعتمد عليهما في كل مواجهة لها مع الادارة الاميركية « مع انهما يدعمانها في رفضها التفاوض مع م٠ت٠ف واقامة الدولة الفلسطينية » ٠ ولهذا فان الادارة الاميركية تعتمد ، في مواجهة اسرائيل وحلفائها داخل الولايات المتحدة ، « ٠على مسألة الاستيطان كوسيلة لاضعاف مكانة اسرائيل داخل الكونغرس الاميركي ولدى الرأي العام » ٠ ( المصدر نفسه ) ٠

وفي المقابل فان اسرائيل والحكم الليكودي بالذات يعتبر ان « الضفة الغربية وقطاع غزة هما جزء لا يتجزأ من اسرائيل » وبالتالي فانها « لن تنسحب منهما ، ولا يمكن بأي شكل من الاشكال التحدث عن استيطان غير مشروع في جزء من ارض اسرائيل » ، وان لاسرائيل «الحق في اقامة المستوطنات في اي مكان من أرض اسرائيل التاريخية » ( يديعوت احرونوت ٢٣ـ٩ـ٧٧ ، ر٠١٠١٠ ٦ـ١١ـ٧٧ ) ٠

**والتمثيل الفلسطيني :**

أما الخلاف حول انعقاد مؤتمر جنيف ، فهو الخلاف الاكثر الحاحا ، من بين كل المواضيع المختلف عليها بين الادارة الاميركية واسرائيل ، مع ان الخلاف كما تعتقد اسرائيل « ليس قائما بالنسبة لعقد المؤتمر بالذات ، لموافقتها على عقده من جديد هذا العام » ( يديعوت احرونوت ٢٣ـ٩ـ٧٧ ، دافار ٦ـ١٠ـ٧٧) ، وانما الخلاف القائم هو بالنسبة « لتركيبة

المشاركين في المؤتمر والتمثيل الفلسطيني : ( المصدر نفسه ) ·

وكان موشي ديان قد وصف هذا الخلاف بـ « لعبة اليويو بين الجوهر والاجراء » ( هارتس ٢-١٠-٧٧ ) ، اي بين البحث في الجوهر و « العقبات التي تعترض الطريق الى جنيف قبل افتتاح المؤتمر » وهو ما تصر عليه اسرائيل ، او « البحث في الاجراء فقط بالمفهوم التقني » لافتتاح مؤتمر جنيف قبل نهاية عام ١٩٧٧ ، وهو ما تصر عليه الولايات المتحدة · ولذلك فان ديان يعتقد بان ما يريد الاميركيون فعله في الوقت الحاضر هو « فتح ثغرة تحت ستار الاجراء ، تمكن قطار الجوهر من المرور عبرها » ، وان الطلب الاميركي « الحاق موضوع الكيان الفلسطيني بجدول الاعمال ، وضمانة حضور وفد فلسطيني مستقل ، هو ثغرة واسعة كالنفق يمر عبرها قطار الدولة الفلسطينية في النهاية » ( المصدر نفسه ) · ولهذا فان اسرائيل « غير مستعدة ولا توافق على الاطلاق ، في بحث هذين الامرين المطروحين لانها تكون قد وافقت مبدئيا على البحث بالدولة الفلسطينية » ( المصدر نفسه ) ·

اما بالنسبة لتمثيل الفلسطينيين ضمن وفد عربي موحد ، وهو ما تسعى اليه الولايات المتحدة ، فان اسرائيل « ترفض تمثيلهم وبشدة » ، مدعية انه « ضمن وفد عربي موحد سيكون للفلسطينيين مكانة مشابهة لتلك التي للدول العربية ، وهذه المكانة قد تؤدي في نهاية الامر الى اقامة دولة فلسطينية ايضا ، حتى وان كانت في المراحل الاولى توصف بالوطن او « الكيان وهذا ما تريد اسرائيل ان تحول دونه » ( يديعوت احرنوت ٢٣-٩-٧٧ ، و ٢٦-٩-٧٧ ، هارتس ٢-١٠-٧٧ ) · ولذلك توافق اسرائيل فقط على « اشراك فلسطينيين في الوفد الاردني الى جنيف على ان لا يكونوا اعضاء في م·ت·ف· »

( المصدر نفسه ) ·

والمسالة هنا ، كما تعتبرها اسرائيل ، ليست مجرد قضية اجرائية فقط ، اذ عندما ترفض اسرائيل فكرة امريكية بشان وفد عربي موحد ، فانها لا تفعل ذلك لاسباب اجرائية ، وانما « بسبب التفسيرات التي قد تنشأ عن ذلك بالنسبة لوضع الضفة الغربية في المستقبل ، حيث لا يزال ثمة تفاوت كبير في المواقف بين الولايات المتحدة من جهة واسرائيل من جهة اخرى» ( المصدر نفسه ) ، وبالاضافة الى ذلك ، يعتبر هذا الموقف ايضا رفضا لاستراتيجية الادارة الاميركية الجديدة ، متمثلة بالرئيس كارتر نفسه ، « ببحثه عن نقطة ارتكاز بديلة لسياسته الشرق اوسطية ، عبر الدولة الاكثر تطرفا بين دول المواجهة، وهي سوريا » ( هارتس ٥-١٠-٧٧ ) لان نقطة الارتكاز « لم تعد في القاهرة » · كما كان سائدا في عهد الرئيس نيكسون · وكان كيسنجر قد عبر مرة عن ذلك بوضوح حين صرح ان « مفتاح الحل في المنطقة هو في يد السادات » ( المصدر نفسه ) ، وهذا هو رأي اسرائيل التي لا تزال تعبر عنه في كل مناسبة ، وتسعى الى عقد حل جزئي مع مصر · غير أن الرئيس كارتر يعتقد انه « لا يمكن الوصول الى حل سلمي في المنطقة بدون سوريا » لايمانه بأنه في « الاستجابة الى المطالب المتطرفة ثمة ارضاء لرغبات الدول المعتدلة ضمنا ، بينما الاستجابة الى المطالب المعتدلة ، لا تجيب على مشاكل الدول الاكثر تطرفا » · ( هارتس ٥-١٠-٧٧ ) ·

والوفد العربي الموحد الى جنيف ، في نظر اسرائيل ، « هو التعبير الملموس لوجهة النظر الاميركية الجديدة هذه » ، لان سوريا كانت « هي الدولة الوحيدة بين دول المواجهة التي تبنت هذه الفكرة ، وعرضتها على الولايات المتحدة ، كحل وحيد لانعقاد مؤتمر جنيف وكتنازل كبير

من جانبها » . وقد تبناها الرئيس الاميركي كارتر وطرحها علــى « موشي ديــان بحذافيرها » ( المصدر نفسه ) .

اما اسرائيل فتؤمن بعكس ذلك تمــاما ولهذا فانها « ترفض وفدا عربيا موحــدا يضم ممثلين عن م.ت.ف. رفضا قاطعــا

وترى ان « الحل في المنطقة يتعلق بقدرة الولايات المتحدة على ايجاد قاسم مشترك بين اسرائيل والدول العربية المعتدلة » . اما « القاسم المشترك بين اسرائيل وسوريا فلا يمكن الحصول عليه مطلقا » . هآرتس ٥ـ١٠ـ٧٧ ) .

توفيق فياض

## جـ ـ موقف اسرائيل من التمثيل الفلسطيني في جنيف

لا تزال عقدة التمثيل الفلسطيني فــي مؤتمر جنيف المشكلة الرئيسية التي تواجه كافة الاطراف الساعية الى اعادة عقــد المؤتمر . ولا تزال معارضة اسرائيل لاي شكل من التمثيل الفلسطيني الــذي لا يتطابق بالضبط مع رغباتها على اشدها .

ويبدو ان هذه المعارضة ناجمة عن مفاهيم اسرائيلية معينة غير قابلة للتغيير .

هناك عدد من الاسس الثابتة فــي السياسة الاسرائيلية بالنسبة للتمثيــل الفلسطيني في مؤتمر جنيف ، او بالنسبة لاقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة . ويمكن تلخيص هذه الاسس على النحو التالي :

١ ـ ترفض اسرائيل ان تمثل منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر جنيف ، حتى لو ادى ذلك الى مواجهة مع الولايــات المتحدة ، كما ترفض ان يكون في المؤتمر وفد فلسطيني مستقل ، حتى ولو لم يكن من غير اعضاء المنظمة . ٢ ـ عدم السماح باقامة دولة فلسطينية ، حتى لو كانت مرتبطة بالاردن بحلف كونفدرالي . ٣ ـ عدم الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة . « فقد قال موشي دايان لكارتر ، ان فكرة دولة فلسطينية مرفوضة تماما ، وان اسرائيل تفضل شرخا في علاقاتها مــع الولايات المتحدة على اقامة دولة فلسطينية كذلك ترفض ان يكون البيان السوفياتي ـ الامريكي اساسا للمفاوضات في مؤتمر جنيف .. وان قرار ٢٤٢ يبقى الاساس الوحيد لعقد المؤتمر » ( هارتس ١٣ـ١٠ـ٧٧ ) .

وجاء في تصريح اخر لموشي دايان « ان الامر المؤكد هو انه لا يمكن عقد مؤتمــر جنيف بدون اسرائيل ، واسرائيل لن تغير موقفها من منظمة التحرير الفلسطينية . وبالتالي لن تكون م.ت.ف. في جنيف ، حتى لو غيرت موقفها وقبلت بقراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ وغيرت ميثاقها الوطني ، فاننا سنرفض ان نجلس معها في جنيف ، الا انني اعتقد بأنها لن تغير موقفها هــي الاخرى » ( هآرتس ١٢ـ١٠ـ٧٧ ) .

اما رئيس الحكومة مناحم بيغن ، فانه كان اكثر تشددا بالنسبة للمواضيــع

الثلاثة ، الدولة الفلسطينية ، التمثيـــل الفلسطيني في مؤتمر جنيف كوفد مستقل ، سواء مثـــل م٠ت٠ف او لم يمثلهـــا ، والانسحاب من الضفة الغربية وحول هذه المواضيع قال بيغن : « ان اسرائيل لـن توافق على اقامة دولة فلسطينية ، بأي حال من الاحوال ومهما كانت النتائج ٠ ولن توافق ايضا على تسليم يهـــودا والسامرة » ( اي الضفة الغربية ) لسلطة غريبة ولسيادة غريبة ٠ واضــــاف ان حكومته ماضية في مخططاتها الاستيطانية وهي تعتبر الضفة جزءا من اسرائيل ، لذا لا يمكن التحدث عن استيطان غير قانوني في جزء من اسرائيل » ( ر٠ ١٠١ ٦ ـ١١ـ ٧٧ ) ٠

اما عن جنيف واشتراك الفلسطينيين فقد قال بيغن انه لا يوافق على اشتراك وفد مـن م٠ت٠ف ، لا كـــوفد مستقـــل ولا كأعضـــاء فـــي وفـد موحـد او فـــي وفود عربية ، « كما انه لا يوافق علـــى اشتراك وفد باسم فلسطين ، وانه يوافق على حضور رؤساء البلديات من الضفـة الغربية فقط ، اذا اعلنوا بكل وضوح انهم ليسوا من رجال م٠ت٠ف » ( المصـــدر نفسه ) ٠

وكان دايان قد اوضح هذا الموقف منذ فترة ، بقوله : « اننا نرفض بشكل قاطع منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى لو ان هذه المنظمة قبلت قرار ٢٤٢ وغيرت الميثاق الوطني ، فاننا نعارض بشدة ان نجلس معها ٠ والسبـــب ان لمنظمة التحريـــر الفلسطينية مضمونا خاصا ، وهو القضاء على اسرائيل وتدميرها اذن لماذا يجب علينا ان نجلس مع هذه المنظمة ؟ ومن اجل اي موضوع ؟ وعندما نفاوض وفدا اردنيا بين اعضائه فلسطينيون ، فـــان اجابتنا تكون كما يلي : اننا نجلس مع هذا الوفد كي نبحث معه العلاقات بيننـــا وبين الاردن ٠ ومن جهة اخرى العلاقات بيننا وبين العرب الفلسطينيين سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ٠٠٠ لكن اذا كان هناك وفد خاص من منظمة التحرير الفلسطينية ، او وفد فلسطيني فمعنى ذلك اننا نجلـس مع هذا الوفد من اجل بحث اقامة دولة فلسطينية والسؤال ليس مع من تجلس ، بل ما هو الموضوع الذي تفاوض من اجله » ( يديعوت احرونوت ١٩ـ٨ـ٧٧ ) ٠

وكان دايان قد اقترح ان يكون في مؤتمر جنيف فلسطينيون ضمن الوفد الاردني ، واعرب عن استعداده لمفاوضة فلسطينيين على انفراد ، ولكن « ليس في جنيف ، ولا من فلسطينيي منظمة التحرير ، وليس حول دولة فلسطينية ٠ لذلك نفضل التفاوض مع رؤساء البلديات في الضفة والقطـــاع كممثلين للعرب الفلسطينيين حول طريقة الحياة المشتركة معنا » ( المصدر نفسه )٠

وكان مناحم بيغن قد سارع بعد عودته من الولايات المتحدة ومباحثاته مع كارتر الى استصدار جملة قرارات من الحكومـة والكنيست ، برفض م٠ت٠ف٠ كليا كطرف مفاوض ، وقرار بمساواة الخدمات فـي الضفة والقطاع ، واقامة ثلاث مستوطنات وفقا لقرار من الحكومة السابقة ٠ لقـد اراد بيغن بذلك توضيح الركائز السياسية التي تستند اليها حكومته ، ووضعها امام الولايات المتحدة ، بهدف تقييد المجال الذي يمكن لكارتر ان يتحرك ضمنه ، بالنسبـة لمشكلة الشرق الاوسط ٠ وتتمثل هـــذه الركائز في تقوية الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، الذي يعني عدم الانسحاب وبمساواة في الخدمات ومعناها تطبيـــق القانون الاسرائيلي في تلك المناطق كخطوة اولى لضمها لاسرائيل ، ثم رفض م٠ت٠ف كطرف مفاوض في جنيف ، او في اي اطار اخر ، ومعنى ذلك عدم الموافقة على قيام دولة فلسطينية ٠ « هذه هي العلامـــات البارزة في الخط السياسي الاسرائيلي الناهض للرغبة المعلنة من قبل الولايات

المتحدة . وقد قوبل هذا الخط ـ خط التحدي ـ الذي سلكه بيغن بعد زيارته للولايات المتحدة بالاستغراب » ( هارتس ٢٦ـ٨ـ٧٧ ) .

الا ان المراقبين يعتقدون » ان هذه الاجراءات التي اتخذها بيغن في اعقاب زيارته للولايات المتحدة ، بدأت تعطي ثمارها ، فهي التي ستجعل منظمة التحرير الفلسطينية ترفض قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وبهذا تكون قد سدت الطريق على نفسها لاجراء اتصالات رسمية مع الولايات المتحدة . وان بيغن ودايان يمكنهما الزعم ان الخط الذي سلكاه ، هو الذي حال دون قبول م.ت.ف للقرار المذكور ، وبهذا تكون المنظمة قد خسرت الاعتراف الضمني من قبل الولايات المتحدة بها » ( المصدر نفسه ) .

لقد دعم هذه المقولة تصريح شخصية بارزة من م.ت.ف. على حد قول صحيفة هارتس ٢٦ـ٨ـ٧٧ ، حيث قال « ان الموقف الاسرائيلي المتشدد والذي بقي دون رد فعل من قبل الولايات المتحدة ، اقنع الفلسطينيين بأنهم لا ينبغي ان يكونوا معتدلين ، او متنازلين ، وان قبولنا ـ تضيف الشخصية نفسها ـ لقرار مجلس الامن ٢٤٢ لن يغير من الامر شيئاً . فالرئيس كارتر لا يمكنه ان يمارس ضغطا على اسرائيل اذا لم تعترف المنظمة باسرائيل ، حتى من أجل دعوتنا الى مؤتمر جنيف فقط » .

ويعتقد المراقبون ، انه اذا تحقق فعلا رفض م.ت.ف بهذا القرار ، فان الميزان السياسي لحكومة بيغن سيكون ايجابيا جدا ، الامر الذي يفتح الطريق امام اسرائيل لاعادة العلاقات الطبيعية والجيدة مع الولايات المتحدة . لكن عدم اشتراك م.ت.ف. قد يؤدي الى عدم عقد مؤتمر جنيف نهائيا ، والى عدم التوصل الى اية تسويات جزئية كما يتوقع دايان ، بل سيؤدي بالضرورة الى حالة جمود في الوضع السياسي ، لا خروج منه الا بحرب اخرى . » لقد اوضح دايان بشكل قاطع ان اسرائيل ستعارض اي مشروع يهدف الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة وقطاع غزة ، كما ستعارض تمثيل م.ت.ف. في مؤتمر جنيف ، حتى اذا وصلت الامور الى حالة جمود تام . وقال ان هذا العمل سيكون انتحارا بالنسبة لنا ، ولن تسهم فيه بأيدينا ، واذا كانت هناك قضية تستحق ان [ نصر على موقفنا بالنسبة لها ] فهي الضفة الغربية . ولا يمكن ان نوافق على مشروع كارتر لاقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية ، وليس مهما اذا قبلت م.ت.ف. قرار ٢٤٢ او ٣٣٨ . واقترح من أجل حل قضية اللاجئين توطينهم في الاردن ولبنان » ( يديعوت احرونوت ٢٤ـ٨ـ٧٧ ) .

### التحول في السياسة الامريكية

تعتقد الدوائر السياسية في اسرائيل ان تحولا ملحوظا قد طرأ على السياسة الامريكية المتعلقة بالشرق الاوسط ، وان هذا التحول برز عندما تحدث كارتر عن وطن فلسطيني ، وطالب باشراك م.ت.ف في مؤتمر جنيف ، وذلك بتاريخ ٨ـ٣ـ١٩٧٧ .

لكن هناك من يعتقد ان هذا «الانحراف» في الموقف الامريكي بدأ في ٢١ـ١٠ـ١٩٧٣ خلال المفاوضات الساخنة بين بريجنيف وكيسنجر في موسكو ، حول صيغة قرار مجلس الامن ٣٣٨ .

« ان هذا القرار الذي فرضته الدولتان الكبريان ، دعا الى مفاوضات سلام بين الاطراف ، وهذا خلافا لقرار ٢٤٢ الذي دعا الى ايجاد حل سلمي بين الدول المعنية . واذا لم يكن هذا التغير في الاصطلاح ذا اهمية في تلك الفترة ، فانه قد وضع حجر الاساس ـ بناء على مطلب

سوفياتي — في جعل الولايات المتحدة توافق على فتح الباب اما الفلسطينيين » (يديعوت احرونوت ٢٠ـ١٠ـ٧٧) ٠

ويؤكد الاسرائيليون هذا الرأي مستشهدين برسالة الدعوة لمؤتمر جنيف ، التـــي ارسلت في كانون الاول ١٩٧٣ ، حيث « كتب رئيسا المؤتمر بان الاطراف المعنيـة وافقت على امكانية دعوة اطراف اخـرى لدى انعقاد المؤتمر ٠ وكـــان قد ورد بوضوح في المسودة الاولى للدعوة ، انـه في المرحلة الاولى سوف تبحث مسالـــة دعوة الفلسطينيين واللبنانيين ٠٠ وقـــد اثارت هذه الصيغة غضب رئيسة الحكومة السابقة جولدا مائير ، التي رفضت تسلم الدعوة ٠ وعلى الاثر قام الرئيس نيكسون بارسال مذكرة يتعهد فيها بأن دعوة اطراف اخرى لن تتم الا بموافقة جميـــع الدول المشتركة في المؤتمر » ( المصدر نفسه ) ٠

وعندما ازدادت ، مع مـــرور الوقت ، مخاوف الاسرائيليين من ان حكومـــــة الولايات المتحدة قد تغير موقفها تجـــاه م٠ت٠ف ، قررت حكومة رابين ادراج هذا الموضوع على جدول مفاوضاتها مـــــع الولايات المتحدة ، حول الاتفاق الجزئـــي مع مصر عام ١٩٧٥ ٠ وبالفعل تم التوصل الى مذكرة تفاهم وقع عليهـا الطرفـان ٠ وفي تلك المذكرة التـــــي عرضت علـى الكونغرس وتمت المصادقة عليها ، نصت احدى الفقرات « بان الولايات المتحدة لن تعترف بمنظمة التحرير ولن تجـــري اي اتصال معها ، طالما ان هذه المنظمـــة لا تعترف بحق اسرائيل في الوجـــود ، ولا تعترف بقراري ٢٤٢ و ٣٣٨ » ( يديعوت احرونوت ٢٠ـ١٠ـ٧٧) ٠

ولقد بدا كان هذين الشرطين اغلقـــا الباب على امكانية اعتبار م٠ت٠ف طرفـا في مفاوضات السلام في اي وقت لاحق٠ ولكن مع مرور الوقت ، ونتيجة لمواقف وسياسات اميركية مختلفة ، بدأت تتبلـور لدى الاسرائيليين اراء اخرى مفادهـا ان هناك بديهيتان انفرستا في رأس كارتر ، الاولى : لا حل بدون اشتراك الفلسطينيين في جنيف ٠ والثانية والمكملة لسابقتهـــا فهـي « ان الفلسطينيين هم م٠ت٠ف ٠ ( هارتس ٢٦ـ٩ـ٧٧) ٠

ويعتقد الاسرائيليون انه لم يطـرأ اي تغيير فعلي على النظرية الامريكية لكيفيـة احلال السلام في المنطقة ٠ فوفقا لهـــذه النظرية ، لا توجد لدى الولايات المتحـدة اية مشكلة بالنسبة للفلسطينيين ولمنظمـــة التحرير ، فهي تؤمن انه بدون الاثنينمعا لا يمكن ان يتم التوصل الى تسوية ٠ اما جولة سايروس فانس للشرق الاوسط فقـد عرضت موقفا امريكيا جديدا ، تنازل عـن المطالبة ببعض الشروط الموضوعـــــــة للقبول بمنظمة التحرير طرفا في جنيـــف، او الاعتراف بها ٠

واول شرط تنازلت عنه الولايات المتحدة — من وجهة نظر اسرائيلية — هو مطالبتها المنظمة بالاعتراف بحق اسرائيل بالوجود « واكتفت ، اي الولايات المتحدة ، بمطالبة المنظمة بالاعتراف بقرار ٢٤٢ مع التحفـظ على الفقرة التي تتحدث عن الفلسطينيـين كلاجئين ، واستبدالها بفقرة تؤكـــــــد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ٠وفي وضع كهذا سترى ادارة الرئيس كارتـــر في هذا الاعتراف موقفا يمكنها من اجراء اتصالات مع م٠ت٠ف٠ وقبولها طرفـا في جنيف » ( يديعوت احرونوت ١٩ـ٨ـ٧٧)٠

وقبل ان يبدأ فانس جولته في الشـرق الاوسط ، وقبل سماعه لوجهات النظـــر الاسرائيلية والعربية ، كان الرئيس كارتر قد سبقه في خلق حقيقة سياسية جديدةفي الشرق الاوسط ، حين قال : « ان كـــل شيء ، او تقريبا كل شيء ، اصبح متعلقا الان بمنظمة التحرير الفلسطينية ٠وليست

هناك حاجة لان تغير المنظمة ميثاقهـــا الوطني ، بل يكفي ان تقبل بقرار ٢٤٢ ،مع اضافة فقرة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » ( دافار ١٨ـ٨ـ٧٧ ) ٠

لذا فان الاعتقاد السائد لدى الدوائر الاسرائيلية هو انه اذا قبلت م٠ت٠ف٠ الاقتراح الامريكي ، فسوف يخلق وضع جديد في النزاع العربي الاسرائيلي ٠ ان لهذا الامر احتمالين ، الاول ، خيالي ويفتقد الى الواقعية ، وهو ان تخضع اسرائيل ، وعليه تشترك م٠ت٠ف فــي جنيف ، وبالنتيجة اقامة دولة فلسطينية تتزعمها م٠ت٠ف ٠ والاحتمال الثاني ، ان لا تخضع اسرائيل ومن ثم تبقى ملتزمة بموقفها بعدم التفاوض مع المنظمة تحت اي ظرف من الظروف ، والنتيجة عـدم اقامة دولة فلسطينية ٠٠٠ الا ان النتيجة الراجحة والمعقولة لمحاولة ضم المنظمة للمفاوضات في جنيف ، هي الاقتراب من حافة الحرب الشاملة في الشرق الاوسط، وربما الانزلاق لاكثر من هذا ، وهذه هي ـ في نظر الاسرائيليين ـ المفارقة الخطيرة التي وقعت فيها السياسة الامريكية » ( دافار ١٨ـ٨ـ٧٧) ٠

### احتمالات الصدام

منذ ان تحدث كارتر عن الوطن الفلسطيني ، والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وحل مشكلة الشرق الاوسط، لم تكف القيادة الاسرائيلية عن اطلاق التصريحات والبيانات ، مسخرة كل اعلامها للترويج لنقطة واحدة ، وهي التحول في الموقف الامريكي في غير صالح اسرائيل ، ومن ثم اقتراب احتمالات الصدام السياسي مع الولايات المتحدة ٠

فالاسرائيليون يعتقدون انه كان لجولة فانس في المنطقة هدفين ، الاول التركيز على ان الجانب العربي مـرن ومعتدل ، والثاني ، ، خلق رأي عام عالمي ، ينظر لاسرائيل على انها هي الدولة المتعنتة ، التي لا تبدي اية مرونة تجاه تسوية مشكلة الشرق الاوسط ، لكي لا تصل امريكا بالنهاية الى المساس باستراتيجية بيغن ، واضعاف الفرضيات الاساسية في سياسته ، الرافضة للانسحاب من الضفة والقطاع ، والاعتراف بالفلسطينيين ، واقامة دولة فلسطينية ٠ ولم تكن تلك الجولة تهدف الى خلق صدام في هذه المرحلة المبكرة ، لان هذا الصدام يتطلب بان يدفع كارتر ثمنا سياسيا باهظا ٠ الا ان الجولة حققت هدفا اضافيا وهو الغاء مضمون مذكرة التفاهم الامريكية الاسرائيلية » ( معاريف ٢٦ـ٨ـ٧٧) ٠

اما صحيفة دافار ٣٠ـ٩ـ٧٧ فقد تحدثت عن نفس الموضوع بقولها : يخيل ان كارتر يحاول وبصمت ان يمهد الطريق لخلق موافقة جماهيرية في العالم وفي الولايات المتحدة ، لضم م٠ت٠ف٠ للمفاوضات في جنيف ، اذا ما وافقت المنظمة علىقرار ٢٤٢ في اية مرحلة كانت ٠ ويبدو ان الولايات المتحدة قد اوعزت للدول الاعضاء في السوق الاوروبية المشتركة ٠ لاصدار بيان يدعو لاقامة دولة فلسطينية ، وذلك لكي يبدو كان هناك اجماعا عالميا حول هذا الموضوع » ٠

ويقول المراقبون الاسرائيليون « ان هذا الواقع السياسي الجديد لا يؤدي الى صدام معنا حتى الان ، لان جنين الدولة الفلسطينية لا زال مطويا في رحم الدبلوماسية الامريكية ٠ لكن الصدام يصبح وشيكا عندما ينمو هذا الجنين ، الذي يجب ان نجند كل قوانا من اجل القضاء عليه وهو لا يزال في الرحم » ( معاريف ٢٦ـ٨ـ٧٧ ) ٠ ان « هدفنا الاساسي هو انه حتى اذا قبلت م٠ت٠ف

قرار ٢٤٢ وغيرت ميثاقها الوطني ، فـأن اسرائيل لا يمكنها ان تسلم باقامة كيــان فلسطيني مستقل في الضفة والقطاع ٠٠٠ واذا كان قد طرأ اي تراجع على الموقــف الامريكي ٠ فليس هناك تراجع في ارادة واصرار اسرائيل علـى الحيلولـة دون اقامة دولة فلسطينية على انقاض دولتنـا، حتى لو كان هذا بمساعدة الولايــات المتحدة» ( معاريف ٢٥ـ٨ـ٧٧) ٠

لقد حاولت اسرائيل خلق عقبات امـام اراء كارتر ، فقد زعمت انها ليست هــي الدولة الوحيدة التي تعارض سياستـه ، بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية ٠ وفي هذا الصدد اعلن موشي دايان « ان الملك حسين ( ايضا ) لا يعترف بمنظمة التحرير وهو بالتالي يرفض عودة المنظمة الـــى بلاده ٠ وهكذا فان كارتر لا يواجه وضعا يبدي فيه الاردن مرونة ، بل ان كـــلا الدولتين ، الاردن واسرائيل ترفضان اراء كارتر بشان اقامة وطــن للفلسطينيين يتزعمه ياسر عرفات » ( معاريف ١٥ـ٩ـ ١٩٧٧ ) ٠

وكان سفير اسرائيل في الولايـــات المتحدة ، سمحا دينتس ، قد هاجم الاتجاه الامريكي لاجراء حوار مع م٠ت٠ف بقوله : « ان هذا الاتجاه يعني ، من الناحيـــة العملية معارضة استمرار التواجـــد الاسرائيلي في الضفة الغربية ، وان فـي واشنطن الان قرارا جديا للطلب مـــن اسرائيل الانسحاب من الضفة والقطاع من اجل اقامــة وطن للفلسطينيين ، وكذلك مطالبة اسرائيل بحل مشكلة التمثيــل الفلسطيني في مفاوضات السلام »( معاريف ١٥ـ٩ـ٧٧) ٠

مكرم يونس

# مكانـــة الأدب ووظيفتــه

في تسجيلنا هذا السؤال على رأس جدول اعمالنا ، تواجه حلقتنا الدراسيــة مجموعة من الاسئلة المفتوحة التي جرت حولها مناقشات واسعة · لا تطمح هذه المقدمة الى صياغة « مۆضوعات » ، بل الى طرح اسئلة وتقديم فرضيات ·

١ ـ

عندما نتكلم عن « الادب » ، فاننا غالبا ما ننسى ، ان لهذا الاصطلاح تاريخا · وانه لم يحل مكان الاصطلاحات الاخرى الا في فترة متأخرة · يضاف الى ذلك ، ان استخدام هذه الكلمة هو اليوم موضع جدل ·

وما يسمى تقليديا ، حتى اليوم ، « ادبا » ، يحتل مكانة مبهمة في مجتمـــع تسيطر عليه رأسمالية الدولة الاحتكارية ·

فمن جهة ، يحتفل هذا المجتمع « بالكاتب الكبير » ويعامله ايضـــا عندمـــا

---

هذا المقال ، هو التقرير الاول المقدم الى حلقة دراسية عقدها مركز الدراسات والبحـوث الماركسية في بـــاريس ١٩٧٥ · ونوقشت فيهـــا ثـلاث مسـائل · (١) مكانــــة وظيفة الادب · (٢) الكتاب ومستقبله : الانتاج والتوزيع · (٣) حول وضعية الكاتب · وقد شارك في هذه الحلقة الدراسية حوالي مئتي مشترك ، كتاب ، نقـاد ، ناشريـــن ، موزعيـن ····

وقد صدرت اعمال هذه الحلقة في كتاب مستقل عن المنشورات الاجتماعية في باريس عام ١٩٧٦ ·

تقتضي الحاجة « كالنجوم » . فيتصرف المجتمع وكأن قيمه العليا هي القيم الروحية .

لكنه ، يطور من ناحية اخرى ، مالتوسية ثقافية يكون الادب ضحيتها الاساسية . فالازمة العامة للمجتمع الرأسمالي تؤثر على الادب تأثيرا عميقا .

٢ ـ

على الادب اذن ، ان يواجه شروطا مادية صعبة . تبررها وتموهها في آن ، ايديولوجيات تسعى الى جعل الادب مجرد نشاط كمالي . « هربا » و « روحانية اضافية » .

تقوم بعض اتجاهات النقد « الحديث » ، بتثبيت هذا المفهوم التقليدي للادب ، عبر ممارسة تقنية ، تعالج الادب كشبكة من المعطيات الشكلية .

ان الجواب على هذه الايديولوجيات ، عبر استخدام نقيضها المنهجي ، مضر جدا . وهذا النوع من الاجابة ، يتمفصل حول موضوعتين متكاملتين .

**أ ـ تقليص دور الادب « المهيمن » المعاصر والقديم ( والذي يدعى في الحالتين الادب البرجوازي ) الى مجرد اداة ايديولوجية للطبقة المهيمنة تستخدمها من اجل اعادة انتاج علاقات الانتاج والايديولوجيا .**

**ب ـ تقليص دور الادب « المعارض » لا بل « الثوري » ، الذي يعرف بوصفه مناوئا للنوع السابق ، الى مجرد اداة « تخريب » ايديولوجية وسياسية .**

**هذا المفهوم ، الذي لا يزال واسع الانتشار في صفوف جمهور يريد المشاركة باخلاص في عملية التغيير الثوري للمجتمع ، يتناقض والتقليد الثوري في الماركسية .**

**فالماركسية لا تتجاهل العلاقات بين « المستوى السياسي » و « المستوى الادبي » ، الادبي لا يمكن ان يكون معزولا . فالادب يتعامل مع التاريخ السياسي والاجتماعي في علاقات معقدة لا تزال بحاجة الى توضيح في كثير من الحالات . فضلا عن ذلك ، فالمادية التاريخية هي التي تسمح بطرح صحيح لهذا السؤال الهام : ما هي الاشكال التي تجعل العمل الادبي يساهم في عملية التغيير الثوري والديمقراطي للمجتمع ؟**

**لكن في الوقت نفسه ، فان الماركسية لا ترفض « الادب البرجوازي » باسره بوصفه رجعيا . بل تخضع مفهوم « الادب البرجوازي » نفسه لنقد صارم . وكتابات الماركسية الكلاسيكية من البيان الشيوعي الى لينين ، شددت دائما على الضرورة الملحة في ان يمارس الثوار عملية استيعاب نقدي للتراث الثقافي ، بما في ذلك الادب « البرجوازي » و « الاقطاعي » .**

من جهة اخرى ، فان تاريخ قراءة الاعمال الادبية ، يشير الى امكانيـــة ان يحمل نص ما ، معنى ثوريا دون ان يعيه كاتبه · كما نلاحظ ايضا ، ان اعمالا غنية بالنوايا الايديولوجية ، هي مجردة من البعد الجمالي ، ولا تبقى الى ما بعد العصر الذي كتبت فيه · اليس من الضروري اذا ، ان نميز في الادب ، بيـــن البعد الايديولوجي الموضوعي والبعد الذاتي ؟ اليس في هذا التمييز يقع اساس حرية التعبير ، وحق الكاتب في البحث و الاختبار ؟ الم ينجم عن اخذ هـذا التراث الادبي على عاتقنا ، ضرورة اخذ ادب اليوم على عاتقنا ايضـا ؟ وذلك لسببين متكاملين : كوننا نوكب الارث الادبي في الحاضر ، بالعلاقة مـع الجهد الابداعي لكتاب اليوم ( ومن المفيد دراسة هذه العلاقة ، اذا كان القراء والكتاب يعيشونها بالطريقة نفسها ) · وكون هذا النشاط الابداعي يطرح على قـــراء اليوم والغد اسئلة شبيهة بالتي طرحتها ولا تزال تطرحها الاثار المكتوبة فـي الماضي ·

٢ ـ

عبر جهدهم الدائم في النضال ضد تقليص الادب الى مجرد مركبات سياسية وايديولوجية ، اعد الماركسيون التربة للطريق المؤدية الى الاعتراف بخصوصية الادب ووظيفته · كتب انجلس عام ١٨٨٨ الى الانسة هاركنس انه « تعلم ــ من قراءته لبلزاك ، حتى فيما يتعلق بالتفاصيل الاقتصاديـة ( ··· ) ، اكثر ممـا تعلم من قراءة كتب جميع المؤرخين والاقتصاديين والاحصائييـــن المحترفيـــن المعاصرين » ·

وعام ١٩٦٦ ، اعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي في ارجنتوي ان « ··· الخلق الفني والادبي هو ثمين مثل الخلق العلمي ، واحيانا يفتح لـه الطريق » ·

ان تصريحات كهذه ، وتصريحات اخرى كثيرة صدرت عن ماركس ولينيـن وغرامشي ، الخ · ، لا تكون علما للجمال · ولكنها توصي بلا ريب ، بانه يمكن اعتبار الادب نشاطا من نشاطات المعرفة ·

ويمكننا تعريف النشاط المعرفي باعتباره ممارسة نشطة لتملك العالم الخارجي عن طريق الفكر ·

« ان الكل ، كما يظهر للذهن ككل فكري ، هو نتاج العقل المفكر الذي يتملـك العالم بالطريقة الوحيدة الممكنة له · طريقة تختلف عن التملك الفني او الدينـي او الممارسة الروحية في هذا العالم » (١) ·

---

١ ـ كارل ماركس · مقدمة في نقد الاقتصاد السياسي · في مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي المنشورات الاجتماعية · باريس ·

ان اعترافنا بهذه الوظيفة المعرفية للادب ، يعني اننا نعترف له ايضا ، ومن وجهة نظر اخرى . بالحق في البحث والاختبار ؟ حينئذ لا تعود وظيفة الادب هي تصوير المعرفة المعطاة سلفا والمسجلة عبر وسائل اخرى ( التاريخ ، السياسة ، السيكولوجيا والعلوم الانسانية ) بل تصبح وظيفة اكتشاف واستباق ؟ يمكننا ان نقول مثلا ان وظيفة الفن والادب انهما « يجعلان صمت التاريخ يتكلم » · وان نؤكد ان المبدع ليس مجرد صانع منتجات اعطيت موادها له · انه ليس مجرد « مولف » ·

٤ ـ

يجب تقدير الدور المعرفي الذي يلعبه الادب في خصوصيته بالنسبة الى : ـ

أ ـ العلوم والنشاط النظري والايديولوجي والسياسي التي تستخدم ايضا اداة اللغة ·

ب ـ بالنسبة للميادين الثقافية الاخرى ، خاصة التي تعود الى « اللعب » والتي ندعوها « اللهو » · وفي هذا المضمار . هل يمكننا فصل الادب عن هذه الميادين؟ أليس الادب على علاقة باللهو واللذة كما كان يفكر برشت؟ هل التمييز بين الادبي واللاأدبي ( او بين الادب السيء او الانواع الثانوية الخ · ) هو تمييز مشروع ؟ ايمكن ان يستعير الاول من الثاني مادة يستوعبها فيما هو يغيرها ؟

ج ـ بالنسبة للفنون الاخرى بما فيها تلك التي تستخدم الاساليب الجديدة في التعبير ( السينما . الراديو . التلفزيون ) والتي اصبحت تحتل جزءا من الحيز الذي كان يغطيه الادب تقليديا ·

يبدو ان البحث في الطابع الخاص الذي للادب ، يطرح بعض الاسئلة الاولية ·

أ ـ هناك عدد من الاختصاصات والمقتربات المختلفة ( علم اللسان ، التحليل النفسي ) تسمح لنا دون شك ، بان نحيط بشكل افضل بمكونات العمل الادبي · ولكن اليس علينا ان نسهر على ان لا يحدد اختصاص واحد تعريف ما هو الادب ، بمفاهيم تستثني المقتربات الاخرى ؟

ب ـ هل يمكن صياغة تعريف صحيح لوظيفة الادب على الشكل التالي : « الادب هو ··· ؟ »

اليس من الافضل ان نفهم هذه الوظيفة بوصفها علاقات ؟ وبصورة اعم ، اليس علينا ان نؤكد على تاريخية تفكيرنا ؟

ج ـ ومن اجل استكمال طرحنا يجب الاشارة الى صعوبة : فالموضوع ليس فقط في ابراز علاقة تطور اجتماعي معين في تحديد ادب ما · بل ايضا ، في

فهم ما يعنيه ماركس في كلامه عن جمال الفن اليوناني الدائم » · أليس علينا ايضا ان نأخذ بعين الاعتبار الجانب « الذي يتجاوز التاريخ » في الفن والادب ؟

فالنشاط المعرفي ، مصدر « اللذة » « يمكن ان نفهمه بمعناه الاوسع : وظيفة النقد ، وظيفة التمثيل ، وظيفة الاكتشاف والاستباق · عمـل علـى الموروث الثقافي · ودون شك ، وعلى اعمق مستوى من خصوصيته عمل في اللغة وعلى اللغة ·

هل يمكننا ان نعتبر ، ان الذي يحدد خصوصية الكاتب في النهاية ، بالنسبة الى ممتهني الكتابة الاخرين ( النقاد ، المؤرخين ، الصحفيين الخ · ) هو فـي كونه لا يستخدم اللغة في اولويتها كاداة بل كمـادة ؟ بعض علمـاء اللسان يحددون وظيفتين للغة : فهي تحمل رسالة وهي وسيلة فعل · « التعبيـر » و « الفعل » · اليست الوظيفة الثانية هي التي تعطي الكاتب خصوصيته · فخاصية عمله تبدو في الاشارة *Signifiant* دون احتجاب الدلالة *Signifié* ان العلاقة اشارة / دلالة في عمله ليست منفردة بل متعددة ؟

جميع هذه الاسئلة هي للنقاش · فلقد حاولنا هنا ابراز محاور للتفكير ولبحث جماعي يجب تطويرها بدلا من تقديم اجوبة ·

ونقاشنا ، يجب ان يظهر لنا بوضوح ، ان حرية الابداع ليست امتيازا خاصا بالمبدعين ، بل ضرورة تخص المجتمع ككل ·

فيصـــل دراج

**ان الزمن الذي تسود فيه ذروة الاضطهاد هو الزمن الذي يكثر الحديث فيه عن الاشياء العظيمة والسامية » ٠**

بريشت

# بَعض الاسـئلة حول وضـع الواقعيَّـة الاشتراكيَّـة

منذ « ذوبان الجليد » والواقعية الاشتراكية حقل لصراع ايديولوجي ، ميدان لنقد ونقد ذاتي ونقد مضاد ٠ لكن الكلمات ليست بريئة دائما . فالكلمة غلاف لموقف ، تقدمه واضحا احيانا ، ومقنعا احيانا اخرى ٠ وطالما ان الاستشهادات ليست بريئة والكلمات مواقف لذلك ينبغي علينا ان نعرف من اين يأتي النقد ، الارضية التي ينطلق منها والغاية التي يتجه اليها ٠

لم تعش الواقعية الاشتراكية تاريخها بشكل مستقيم ـ فالمستقيم لا وجود له الا في عقل واهم ـ بل حايثت تاريخ الحركة العمالية في صعودها ، نجاحاتها ، واخفاقها ٠ لهذا فان تاريخ الواقعية الاشتراكية او تاريخ « الواقعيات الاشتراكية » مركب ، معقد تعايش فيه النجاح والاخفاق لذلك نقول ان تاريخ الواقعية الاشتراكية ككل تاريخي هو تاريخ « الواقعيات الاشتراكية » ٠

ان ما هو ماساوي في تاريخ الواقعية الاشتراكية ليس عمرها الستاليني فحسب بل حجم الرفض والنقد الذي اعقب ذلك العمر ، رفض ونقد من الاعداء والانصار معا ، « لم يكتف بقذف الماء القذر بل قذف بالطفل ايضا » ٠

يمكن ان نميز ثلاثة مواقف « نقدية » ازاء الواقعية الاشتراكية :

ـ الموقف الاول لا يعالج الواقعية الاشتراكية على ارضية الفن بل يشدها مباشرة الى حقل السياسة والايديولوجيا ، فهو لا يرفضها كموقف فني من العالم بل يرفض منطلقاتها النظرية ٠ اي يقف ضدها وضد ايديولوجيا الطبقة العاملة وتنظيماتها السياسية ٠ ان هذا النقد يندرج في عملية الصراع الايديولوجي والطبقي ، وبذلك يفقد موضوعيته الظاهرية بداهة ٠

اذا كان النقد السابق ينطلق من مواقع تناقض قطبيا ايديولوجيا الطبقة العاملة وممارساتها السياسية فان الموقفين النقديين الاخرين ينطلقان من الارضية الايديولوجية للطبقة العاملة ، موقف يعود الى التاريخ ويحاول اعادة كتابته :

ـ لا يرفض اولهما الواقعية الاشتراكية في ذاتها ، بل يمحور نقده على اجهزة الدولة التي تكبح تلقائية الفنان وتحاصر عمله الفني وتستبيح انتاجه · معنى ذلك ان « المراجعة » تتجه الى الة الدولة وممارساتها اللاديمقراطية ، وبالتالي فان تحرير جهاز الدولة من البيروقراطية كفيل بنهوض الواقعية الاشتراكية ·

ـ اما الموقف الثاني ـ الذي ينطلق كسابقه من الارضية النظرية للطبقة العاملة ـ فيرفض الواقعية الاشتراكية كنظرية معتبرا اياها موقفا مثاليا · فالنظرية لا تسبق الفن بل ترافقه او تتبعه ، فاعتبار كل الحقيقة موجودة سلفا في نظرية يشكل تخلفا للفن وتخلفا عن الحياة ، اضف الى ذلك ان وضع النظرية في الفن مسألة اشكالية ، منطق جامد ، فالجديد سرمدي · ينبغي ان ينطلق التنظير من داخل الفن لا من واقع النظرية · وهذا يعني ان « نظرية » الواقعية الاشتراكية بشكلها المؤسساتي او الدغمائي نظرية مثالية تخضع الواقع للفكر لا الفكر للواقع ، تنطلق من اولوية النظرية مع ان نقطة كل انطلاق هي الممارسة · وبالتالي فان الوصول الى « نظرية » للادب يتم داخل الادب ·

اذا كان النقد المثالي ( البرجوازي ) يفقد موضوعيته بداهة ، فان النقد الثاني ، على الرغم من تمايزه ، ينطلق من التاريخ الموضوعي والنظرية الحية · لذلك فانه قادر على رسم جملة مؤشرات تسمح باعادة قراءة الواقعية الاشتراكية ووضعها من جديد في حقل الفكر العلمي ، فهو يشير الى آلة الدولة والى النظرية المادية في المعرفة ، اي يدعو الى ممارسة سياسة جديدة وممارسة نظرية جديدة في حقل الفن والادب ·

ان النقد السابق الموجه للواقعية الاشتراكية بشكليه المثالي ـ البرجوازي والمادي ـ البروليتاري مكتوب في عملية الصراع الطبقي المستمرة التي تدور بين قوى الثورة/الثورة المضادة من ناحية وبين صفوف الطبقة العاملة من ناحية اخرى ·

ان كل مقاربة او قراءة نقدية للواقعية الاشتراكية لا يمكن ان تخطو في مسارها الصحيح الا بالتأكيد على حقيقتين :

ـ الممارسة الفنية تتمايز عن الممارسة السياسية · لكل منهما شكل اقترابه الخاص من الثورة ·

ـ الحياة لا تخضع للنظرية الجاهزة بل العكس تماما دون اغفال الدور الذي تلعبه النظرية في الممارسة بكل اشكالها ·

يبقى مع ذلك موضوع الواقعية الاشتراكية شائكا ، بسبب الادوار المختلفة التي مرت بها ٠

لقد ترك الفن المرتبط بالطبقة العاملة ــ او ما يحصر في اطار الواقعية الاشتراكية ــ ظلاله على كل القرن العشرين ، بل كان في اكثر من مجال طليعة وابداعا حقيقيا ٠ قد يكون من السهل ادانة الواقعية بشكلها الجدانوفي ، لكن ذلك لا يمحو ولا يستطيع ان يمحو ما قدمه : ماياكوفسكي وايزانشتاين وفيرتوف ، آرغون ، ايلوار ، بيكاسو ، فرديناند ليجيه ، رافائيل البرتي ، اتيلا جوزيف ، سكيروس ، ريفييرا ، ناظم حكمت ٠٠٠

ان هذا يعني ان تاريخ الواقعية الاشتراكية اكثر تعقيدا مما يظن وليس بالبساطة والابتذال التي يصورها بعض النقاد البرجوازيين والمتمركسين ايضا٠

اذا كان تاريخ الواقعية الاشتراكية كممارسة فنية هو تاريخ الواقعيات الاشتراكية فان تاريخ النظرية « الاشتراكية » في الفن هو تاريخ النظريات الاشتراكية في الفن ، فكل من هذه النظريات كانت تعكس خصائص الصراع الطبقي في زمانها وصراع المادية والمثالية داخل الفلسفة المادية نفسها ، لذلك نعثر على جملة من النظريات ليست متطابقة ، متقاربة احيانا ، ومتناقضة احيانا اخرى على الرغم من اعتمادها جميعا على المادة التاريخية والديالكتيكية، فهناك « نظريات » بليخانوف ، ومهرنغ ، لافارغ ، لوكاش ، غرامشي ، كالدويل ، فوكس ، كاجان ، بافلوف ، مورافسكي ، ديلافولبي ٠٠٠ بعضها يغرق في الميكانيكية ، ينسى او يقلل من شأن الذات ، وبعضها الاخر يغرق في النزعة الانسانية ، يبالغ في دور الذات ٠٠٠ ان صراع المادية والمثالية في المادية انما يعكس ديالكتيك تطور المعرفة ٠

## عن تاريخ الواقعية والواقعية الاشتراكية :

ليست مسالة الواقعية جديدة في الفن وخاصة في الغرب ، فهي قديمة على الرغم من الاشكال التي مرت بها ٠ برزت في اواخر القرن السابع عشر كشكل ادبي مترابط مع ظهور علاقات انتاج جديدة : نمط الانتاج الرأسمالي ٠ رفعت منذ البدء راية البرجوازية ودافعت عن قيمها منتجة صورة قريبة من الواقع المعاش ، صورة متقدمة تاريخيا رافضة للايديولوجيا الاقطاعية والكنسية ٠ عالجت المكان والزمان في ماديتهما المباشرة ، اي رفضت المطلق بمعناه الميتافيزيقي ، وانفتحت بمفهوم جديد على عالم جديد بطله الذات الانسانية ، الفرد الحر بمعناه البرجوازي ٠ لكن تلك الواقعية ذات النزعة الانسانية ما لبثت ان غيرت شكلها موازية في ذلك مسار الرأسمالية نفسها ٠ تراجعت وسلكت مسالك مختلفة بعد بروز احصاء الرأسمالية البارد الذي لا يرى في

الانسان الا سلعة • ابتعدت الواقعية عن الايديولوجيا الرسمية للطبقات الجديدة المسيطرة ، واخذ شكل تعاملها مع الواقع اشكالا جديدة ، بالهروب من الواقع تارة ، او بالاحتجاج عليه تارة اخرى ، وهذا ما عرف في القرن التاسع عشر باسم الواقعية النقدية •

عاشت الواقعية النقدية القرن التاسع عشر محتجة ضد آلة رأس المال الرهيبة، كانت تطمح في حذف ما هو بشع من النظام القائم دون ان تهدف الى تحطيمه •

شكل ظهور الطبقة العاملة كطبقة واعية لذاتها على مسرح التاريخ عنصرا اساسيا في التأثير على مسار الواقعية • ان نضال الطبقة العاملة ضد الاستغلال طرح معضلات وآثارا جديدة على الفن والادب وكل حقول الثقافة • واصبح لزاما على الادب ان يقوم بمقاربة جديدة للواقع ، ان يجد له مكانا في الصراع القطبي بين الطبقة العاملة والرأسمالية • لكن الوصول الى اخذ موقف لم يكن تخطيطيا ، فالادب لا يعيش الصراع الطبقي من الخارج بل يتطور ويتشكل داخل عملية الصراع الطبقي نفسها • واذا كان للطبقة المسيطرة ادبها فان الحال لم تكن كذلك بالنسبة للطبقة العاملة ، كان صراعها بأشكاله الاقتصادية والسياسية والايديولوجية سابقا للفن المعبر عن قضيتها • وهذا يعني ان الادب المرتبط بها لم يبدأ جاهزا ، فالاولوية للممارسة التي تأخذ شكلها النظري لاحقا • فاذا نظرنا الى اثر الصراع الطبقي في الادب ضمن اطار النظام الرأسمالي يمكننا ان نعاين تيارات عدة • التيار الذي هرب من واقع مخيب الامل نحو رومانسية عاجزة ، ترفض ما هو قائم باعتباره المثال التاريخي الساقط والاخير ، مثال بلاديل • وتيار اكتفى بوصف ظاهر المجتمع بدون تحليل ، رسم ظاهر الاشياء الساكن دون ان تطول ادواته وامكانياته الجوهر الذي يحكم الظاهر ، وهذا ما عرف باسم النزعة الطبيعية في الادب • بالاضافة الى التيارين السابقين ظهر تيار ثالث يلمس الواقع التاريخي في تناقضاته الاساسية مدخلا في الفن عنصرا جديدا : الطبقة العاملة في صراعها اليومي •

شكل هذا التيار الجسر الواصل بين الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية •

ولدت الواقعية الاشتراكية في التاريخ كأثر للصراع الطبقي في الادب • فهي في شكلها التاريخي الطبيعي ليست « ظاهرة روسية » كما يدعي النقاد البرجوازيون ، او ظاهرة جدانوفية بدأت من العدم ، فهي ذات تاريخ طبيعي قام جدانوف بتصفيته مؤسسا لها تاريخا جديدا ، تاريخا مشوها ، تظهر دراسة تاريخ الادب جذورا للواقعية الاشتراكية في الادب الفرنسي والالماني والانجليزي ••• وجذورا عميقة في الادب الروسي • ان دراما الواقعية الاشتراكية لا يمكن وعيها دون معرفة دور آلة الدولة في التأثير على الادب • فنهاية الواقعية الاشتراكية بشكلها الجدانوفي تعبر عن بدايتها • البداية في التاريخ « والنهاية » لاتاريخية على الرغم من ظهورها في التاريخ •

شكلت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى منعطفا حاسما في تاريخ البشرية ، فدعا الفنانون المدافعون عنها الى ادب واقعي ، ادب جديد · وعلى الرغم من توافق المنطلقات الايديولوجية عند هؤلاء الدعاة فانتحديد وضع الادب «الواقعي» كان حقلا لصراع مستمر · فدعا فورنسكي في بداية العشرينات الى اسلوب جديد كتركيب لواقعية تولستوي وواقعية ديستويفسكي ، ثم عاد فدعا الى واقعية جديدة تحتضن التقاليد الواقعية الروسية وتكنيك المدرسة الانطباعية والرمزية ، ودافع لونا تشارسكي عن بروست وموزيل ، بينما اعتبر راديك بروست نموذجا للادب البرجوازي المنحط · يضاف الى ذلك مدرسة بروليت كولت Prolet Kult وامتداداتها الداعية الى ادب بروليتاري ، والتي انطلقت من تعاليم بوغدانوف لتأسيس واقعية مادية جدلية ، واقعية بروليتارية · وبدءا من عام ١٩٢٦ بدأ لونا تشارسكي بالدعوة الى واقعية اجتماعية · ونشر زونين عام ١٩٢٨ كتابه « من اجل واقعية » بروليتارية · الى جانب كل هذا كانت تقوم المدرسة الشكلية وهي بلا شك اكثر الاتجاهات اصالة وقدرة على وعي طبيعة العمل الفني ·

شكل عام ١٩٢٨/١٩٢٩ منعطفا في الحوار الدائر عن « الواقعية الجديدة »· فبرز تيار يدعو الى ضرورة انتاج « تولستوي احمر » وضرورة الانعطاف نحو الادب النفسي · واطلق ايرميلوف شعار الانسان الجديد والادب الجديد المعبر عنه · ويمكن ان نلاحظ في هذه الصورة الديناميكية التأثر بتولستوي وخاصة بكتابه « ما هو الفن » لكن هذا التأثر لم يأخذ مداه الا بعد مؤتمر الكتاب السوفييت الاول · وتتسم اطروحات تولستوي بنزعة روحية اخلاقية وانسانية مجردة ذات بعد مسيحي · كما نعثر في الصورة الادبية المائجة اثرا لآراء بليخانوف الجمالية التي ساهمت فيما بعد في انتشار النزعة الاجتماعية المبتذلة في الادب ·

لم تأخذ « نظرية » الواقعية الاشتراكية وضعها الرسمي الا في المؤتمر الاول لاتحاد الكتاب السوفييت عام ١٩٤٣ ، حيث جاء في نظام الاتحاد ما يلي :

« صاغ الادب السوفييتي والنقد الادبي السوفييتي المسايران للطبقة العاملة التي يقودها الحزب الشيوعي مبادىهما الابداعية الجديدة خلال سنوات ديكتاتورية البروليتاريا · ونتجت هذه المبادىء الجديدة عن تمثل نقدي لتراث الماضي الادبي من ناحية ، وعن دراسة التجربة المنتصرة لبناء الاشتراكية وتفتح الثقافة الاشتراكية من ناحية ثانية · وقد وجد الادب السوفييتي والنقد الادبي السوفييتي تعبيرهما الاساسي في مبادىء الواقعية الاشتراكية » ·

ساهم في هذا المؤتمر غوركي مبرهنا على « صحة » مقولات الواقعية الاشتراكية ، كما ألقى جدانوف محاضرته « حول الادب » مبينا ان هدف الواقعية الاشتراكية هو « تقديم الواقع في تطوره الثوري » · ومن الطريف ان نشير هنا الى ان مداخلة جدانوف ، وهو انسان ذو ثقافة عريضة ، لم تتسم بالجمود او

الدوغمائية ، فقد ركز على خصوصية الادب وضرورة البحث المستمر عن اشكال ابداعية جديدة ، فقد قال مثلا : « من الضروري الاشارة الى ان تكنيك الكاتب يمتلك سلسلة من الخصوصيات النوعية الملازمة له » · لكن القول لا يساوي ممارسته وهذا ما اظهرته التجربة التاريخية ·

قامت الواقعية الاشتراكية اذن على ارضية تاريخية ، تراث فني عريض ، وتجربة ثورية رائدة · لكن ذلك التراكم الكمي لم يجد ترجمته دائما في قفزة نوعية ، لقد ابدع احيانا وسقط احيانا اخرى ، وما زال مسار الواقعية الاشتراكية يتابع طريقه في وحدة تناقضية يتصارع فيها المفهوم المؤسساتي للفن والمفهوم المادي للفن ، يتصارع فيها الفن والسياسة ليس كقارتين مستقلتين بل كحقلين مترابطين يحاول كل منهما ترويض الآخر · لم يصبح الكم في الفن كيفا تعثر في قنوات الدولة ، لذلك بقي احيانا اسير الماضي في شكله وقيمه الجمالية واسير الحاضر ايضا · واذا استعرنا مفهوم « الانقطاع المعرفي » الذي طبقه آلتوسر على تطور فكر ماركس ، نقول ان الواقعية الاشتراكية كممارسة فنية لم تنجز ، او عجزت عن انجاز « انقطاعها المعرفي » · لقد انطلق ماركس من المعرفة التاريخية المتراكمة في زمانه ، ثم اعاد قراءتها وصياغتها كي يؤسس علما جديدا : علم التاريخ ، لكنه لم يؤسس هذا العلم على ارضية المعرفة القديمة بل على ارضية جديدة قطعت علاقاتها مع الارضية القديمة · انطلق من الايديولوجيا ليصل الى العلم الذي هو نفي لكل ايديولوجيا · اما الواقعية الاشتراكية الرسمية فقد تابعت الماضي ، لم تجاوزه · بل تخلفت عنه احيانا · حكم الماضي الحاضر كما يحكم الميت الحي احيانا · لذلك فعلى الواقعية الاشتراكية ان تناضل لانجاز « انقطاعها المعرفي » كي تصبح فعلا تعبيرا عن كل ما هو جديد وثوري في زماننا ·

### السياسي والنظري في الواقعية الاشتراكية :

يذهب بعض المنظرين الماركسيين الى اعتبار الواقعية الاشتراكية نظرية متكاملة تفسر العمل الادبي وتعطيه منطلقاته ايضا ، فهي اساس عضوي للنقد الادبي وللانتاج الادبي ايضا · يتفجر هذا المنطق ويتراجع امام الاعتبارات التالية : يخلط المنطق السابق ما بين السياسي والنظري · فالموقف السياسي من العالم لا يساوي بالضرورة الموقف النظري الموازي له · بمعنى آخر ان العمل الادبي المرتبط او المتعاطف مع طموحات الطبقة العاملة لا يعكس بالضرورة في اعماله وانتاجه او ممارسته الادبية المنطلقات النظرية للممارسة السياسية للطبقة العاملة ، فيمكن ان يكون الكاتب تقدميا في موقفه السياسي ومحافظا بل مثاليا في شكل عمله الادبي ومضمونه · لذلك فمن السذاجة بمكان اعتبار الموقف السياسي من الطبقة العاملة موقفا فنيا · يضاف الى ذلك ان المنطق

السابق يتسم بـ « المدرسية » والنزعة التأطيرية ، المفهوم التنظيمي للادب ، اي ان التماثل في الموقف السياسي يجب ان يترافق مع تماثل فني : الموقف السياسي = الموقف الفني · انه ينسى بذلك خصوصية الفنان وتجربته اي فردية الفنان التي ترفض وتنفي كل تأطير وتنظيم · فممارسة الفنان عملية مستمرة تتجدد بتناقضاتها المشروطة بتجربة الفنان الحياتية والفنية التي لا تخضع لقانون · فالممارسة الفنية تختلف عن الممارسة العلمية ، واذا كانت الذات الانسانية محايدة في الممارسة العلمية فان الممارسة الفنية تتضمن موقف الذات ، موقف الفنان من الظاهرة التي يصوغها فنيا ، فهو يضع فيها مشاعره ورؤيته الجمالية وتقييمه النقدي ، انه في محرق الظاهرة حتى عندما يحاول تصويرها موضوعيا · لذلك فان التجربة العلمية تنمو بتراكم القوانين والمعرفة العلمية بينما تنمو التجربة الفنية مشروطة بتطور العالم من ناحية وتطور ذات الفنان وقدرته على التجريب الفني من ناحية ثانية · واذا كان العلم ينمو بديالكتيك المعرفة العلمية فان الفن ينمو بديالكتيك الذات والموضوع · لهذا فان مقاربة الفنان لنفس الواقع تختلف باستمرار مشروطة بنمو وعيه الجمالي · من هنا فان معايير الحقيقة في العلم تختلف كليا عنها في الفن ، الاولى مطلقة نسبيا بينما الثانية نسبية دائما او غالبا · معنى هذا انه لا يمكن اخضاع الفنان لقانون او نظرية ، فنظريته الحقيقية هي ممارسته الذاتية : نظرية بلا ضفاف · نقول بلا ضفاف ليس انطلاقا من مفهوم ميتافيزيقي للفنان يضعه فوق الزمان او المكان بل انطلاقا من المفهوم المادي لديالكتيك العمل الفني ولديالكتيك الذات والموضوع : الفنان يعيش عالمه كعملية مستمرة منفتحة ·

فهمت الواقعية الاشتراكية بشكلها التخطيطي الفنان كذات منجزة ، منغلقة ، تعكس ما هو قائم بشكل وردي · قد يقول البعض لكن الواقعية الاشتراكية لها مقوماتها النظرية : البطل الايجابي ، الفن للجماهير ، الدور التحريضي للفن ، ضرورة فهم الجماهير للفن ···

ان كل هذه المقولات مجردة وذهنية واحيانا ميكانيكية ، ولا يمكن التعامل معها وتقييمها الا ضمن البنيان الفني الذي يتضمنها · فالتعامل يتم مع النص الفني لا مع المقولات النظرية المجردة التي يتضمنها ·

لم تقدم الواقعية الاشتراكية بشكلها الجدانوفي ، او بشكل ادق بممارساتها الجدانوفية الا بيانا اخلاقيا ووصايا انسانية للفنان ، ثم اعتبرت نفسها وهما وسلطة نظرية منجزة · وبذلك لم تعش تلك « النظرية » تاريخها كفشل فقط بل عاقت وكبحت اداريا كل بحث حقيقي وكل تجريب للوصول الى اشكال فنية جديدة توافق المضمون الجديد الذي قدمته ثورة اكتوبر سياسيا والمادية الجدلية معرفيا ·

لقد شكلت الواقعية الاشتراكية الادارية تخلفا ليس فقط عن المفهوم المادي

للعالم بل حتى عن الفن البرجوازي في القرن العشرين ·

طرحت ثورة اكتوبر ضرورة التمايز السياسي والتمايز الشكلي في الادب ، تمايز الممارسة الفنية · هناك عالم جديد ، ومن الضروري ان يتمايز عن القديم في كل شيء ، وبالتالي في انتاجه واستهلاكه للفن · ومن هنا انطلقت المدارس الفنية معتمدة على النظرية والتجريب للوصول الى ضفاف الفن الجديد ، فعثرت على تسميات تميزها عن الفن البرجوازي وحاولت جاهدة الوصول بشكل طبيعي الى المنطلقات النظرية ضمن اطار التنوع او الكثرية الفنية Pluralisme Artistique التي تحدد الممارسة الفنية الجديدة · لنقترب من الصورة اكثر ولنر دلالة التسميات :

« يتصف مجمل الادب الجديد الذي ينمو في الاتحاد السوفييتي بنزوع نحو الواقعية الاجتماعية »

بيريفيرتسر ١٩٢٥

« للفنان المرتبط عضويا بطبقة نقية وصاعدة طريق واحد هو : الواقعية الفنية المعمقة »·

عن بيان لمجموعة من الكتاب صدر عام ١٩٢٥

« على عكس الواقعية البرجوازية التي تركز على الشخصية المعزولة فان واقعيتنا تعالج الشخصية ضمن مجمل الشروط التي تحيط بها وتؤثر عليها · تتصف واقعيتنا بمضمون اشتراكي »·

ستافسكي ١٩٢٦

« السمة الاساسية للادب في طوره الثالث ، اي في طوره الراهن ، هي انعطافه النهائي نحو الواقعية الاجتماعية » ·

لونا شارسكي ١٩٢٧

« تنزع الواقعية البروليتارية نحو توحيد التحليل النفسي للانسان ، الانسان الجديد بشكل خاص ، وتصورات الواقع وذلك في فهم مادي جدلي للمجتمع » ·

زونين عام ١٩٢٩

« ينبغي ان ندعو المنهج الذي يمكن ان نقتدي به بـ « الواقعية الاشتراكية الثورية »

كوليك ١٩٣٢

« تشير جميع الظواهر الى ان الواقعية الجديدة ستشكل في المستقبل طريقة الكتابة الرئيسية والمسيطرة ، وهي تمازج اصيل بين الرومانسية والرمزية والواقعية » ·

فورنسكي

ان قراءة نقدية للتعريفات السابقة تقدم لنا جملة قرائن :

نلمس اولا ذلك البحث المستمر عن التمايز الفني ، فالتمايز السياسي قد انجز بانتصار الثورة وبقيت ضرورة التمايز الفني · ان الدعوة الى « الواقعية الاشتراكية الثورية » ، « الواقعية الفنية المعمقة » ، « الواقعية الجديدة » ، « الواقعية البروليتارية » ، « الواقعية الاجتماعية » ··· تشير الى حضور البحث المستمر ودينامية هذا البحث الذي تجلى في التراث الثقافي السوفييتي

المذهل في العشرينات · اذا كان هذا البحث قد بدأ طبيعيا فان مساره بدأ يفقد تطوره الطبيعي عاكسا جدليا الصراع السياسي في الاتحاد السوفييتي والمنحى العام لممارسات آلة الدولة ، لذلك بدأ هذا النمو الطبيعي يتراجع منذ نهاية العشرينات ويظهر ذلك حتى من الاستشهادات السابقة ، ويكفي تأمل ما يقوله كوليك « ينبغي ان ندعو المنهج ··· » وما يقوله فورانسكي « تشير جميع الظواهر ··· » اي بدأ ظهور اديب السلطة · لقد عارض ماياكوفسكي والمدرسة الشكلية النزعة الاجتماعية المبتذلة في الادب لكن هذه المعارضة لم تعش طويلا ·

ارتبط البحث عن الجديد في طوره الطبيعي بعامل هام بل حاسم : موقع الفن من الطبقة العاملة ، كي يرتبط ويعبر ويصل اليها · فالدولة هي دولة الطبقة العاملة التي هي الطليعة والقائد · استلزم هذا الشرط التاريخي الجديد البحث والتجريب · وقد استطاع البحث ان يصل الى مشارف جديدة في الفن والسينما والرسم والموسيقى ، لكن تراجع الحرية الشرط الاساسي لكل ابداع وعملقة آلة الدولة كبح البحث واستبدل الصيغة · كانت الصيغة في البدء : ديالكتيك الممارسة الفنية والممارسة الثورية للطبقة العاملة ، ثم اصبحت : ديالكتيك الممارسة الفنية والممارسة الادارية للدولة · بدل عمق الاستبدال دلالة الاشياء ، فانحسر البحث ، واصبح الفن يسير في قناة الدولة ، اصبح مغتربا عن جوهره ، فمات الحقيقي او صمت وبقي الزائف ، اي التحم بالايديولوجيا الرسمية كمبرر·

لم يلد الاستبدال من الفراغ ، فاستمرار الصراع الطبقي القى بظله على جميع المظاهر ، امست الرؤيا وحيدة الجانب : رؤية سياسية فقط · كما نعلم فأن الفني يرتبط بالسياسي دون ان يصبح سياسة · الا ان الدولة او شرطها التاريخي المعقد ارجع الفن الى سياسة من خلال صيغة الدور الوظيفي للفن او الدور التربوي للفن · كان على الفن ان يمارس دوره في عملية البناء الاشتراكي وتوعية الطبقة العاملة ، خاصة ان محاربة الامية كانت شعارا راهنا ، كان عليه ان يقوم بدوره التربوي كفن دون ان يهبط الى المستوى الذي شدته اليه الدولة · اي ان الدولة حولت الفن الى مبشر ايديولوجي ، نظرت اليه من منظار المنفعة المباشرة ، معطية الاسبقية الى المعيار السياسي بدلا من المعيار الجمالي· ان اطروحة اولوية الوظيفة التربوية للعمل الفني نقلت الفن من حقل الفن الى حقل السياسة ، وهكذا تحولت الدولة من راع مستقل للفن الى منظم سياسي له ، وفقد الفن تطوره الحر واستقلاله الذاتي ، ينمو كتابع وكظل ، كسيف للدولة ·

اذا نظرنا الى الامر بشكل آخر نرى ان عناصر العملية : الدولة ، الفن ، الجماهير ، المنفعة ، الدور التربوي للفن · فالدولة هي السلطة والمنظم ، اما نظريتا الفنية فهي المنفعة الفنية والدور التربوي · وهذا يعني ببساطة ان النظرية هي نظرية الدولة للفن التي هي عاجزة عن دفع اية ممارسة فنية حقيقية الى الامام ·

ان هذا المفهوم الاداري الفني هو الذي ادى الى اعتبار الواقعية الاشتراكية ظاهرة سوفيتية ، مع ان النضال من اجل الاشتراكية كوني والفن المرتبط به كوني ايضا ٠

يبقى امامنا سؤال هام ٠ لماذا دار معظم البحث والحوار في حقل الواقعية مع انها ارث برجوازي ؟ ٠ كان من المنطقي ان يستفيد الفنانون من التراث الانساني الثقافي بعد قراءتهبشكل نقدي ٠ لكن الامر هنا جاوز القراءة النقدية للتـــراث فقد بقي في قلب التراث : « دائما في اطار الواقعية » ٠ كانت الواقعية الانطلاق دائما ٠

يعود ذلك ــ في تقديرنا ــ الى سببين احدهما ذاتي والاخر موضوعي ٠

فأذا تناولنا السبب الاول نجد ان محاولات التنظير للادب ومساره اثرت عليه ودفعته باتجاه معين ٠ لقد ساد في تلك الفترة شعار « استعادة افضل ما خلفته الثقافة البرجوازية بشكلها الديمقراطي ، وكانت الواقعية ممثلا لوجه هذا التراث الديمقراطي ٠ يضاف الى ذلك النزعة المضمونية التي خلفها بليخانوف ، وان كتابات ماركس وانجلز عن الادب والفن لم تنشر الا عام ١٩٣٢ ــ ١٩٣٤ ، على يد جورج لوكاش وميخائيل ليفشتس Mikhail Litshitz ٠ أما جورج لوكاش فقد بدأ اعماله النظرية وانهاها خلال اكثر من نصف قرن معتمدا على مفهوم الواقعية ، « كل فن عظيم واقعي » ٠ كتب عن الواقعية و « الواقعية العظيمة » وبالتالي فان مفهومه للادب الاشتراكي كان امتدادا لرؤيته لادب الواقعيـــة القديم ، ولم ير في الادب الجديد الا واقعية جديدة ، واقعية تتابع تقاليد بلزاك وفلوبير وتولستوي ٠ فاذا عدنا الى ليفشتس الذي ساهم في تقديم تأويل محافظ لاعمال ماركس وانجلز ، لوجدناه عدوا شرسا لكل انواع التجديد في الفن ٠ ويدخل في حقل العامل الذاتي عنصر اخر يكمن في النظرية الماركسية نفسها ، فقد قدم ماركس نظرية في التاريخ لكنه لم يترك الا مؤشرات عامة ومنهجيـــة فلسفية تعطي اساسا لنظرية في الفن لا نظرية جاهزة في الفن ٠

وبشكل عام فان التنظير الفلسفي للفن والادب ساهم في تشديد مسارهما لان نسي الخصوصية الجمالية مرجعا اياهما الى شكل ايديولوجي بدون تميز ٠

اذا عدنا الى السبب الموضوعي وجدناه مكتوبا في التاريخ ٠ فالطبقة العاملة لم تظهر على مسرح التاريخ الا بعد الثورة الصناعية ، ولم تصبح طبقة مسيطرة الا بعد ثورة اكتوبر ، اي انها لم تهيمن سابقا لا ايديولوجيا ولا سياسيا ، لذلك كان على الفنانين صياغة نظرية فنية تلازم الممارسة الفنية الجديدة ٠ كان الوعي السياسي جاهزا بدون ان يعايشه وعي جمالي مواز ، اي كان هناك فرق وتفاوت بين الوعي السياسي للعالم والوعي الجمالي له ، فاتجهت الانظار الى « وجــه التراث الايجابي » والى البحث عن الجديد ، بحث لم يكتمل ٠ بشكل آخر :

عندما وصلت الطبقة العاملة الى السلطة لم يكن لها ثقافة مسيطرة ، اصبحت مسيطرة سياسيا دون ان تصبح مسيطرة ايديولوجيا ·كان عليها ان تنتج ثقافتها في شرط تاريخي كانت فيه الثقافة القديمة هي المسيطرة ، فللطبقة البرجوازية ثقافتها وتاريخها وعمق هذا التاريخ ، لذلك فان الصراع الطبقي في حقل الثقافة كان محكوما بالقديم ذي الجذور المهيمنة والجديد الذي لم يهيمن بعد · نعود فنقول : ان الوعي السياسي للعالم لا ينتج مباشرة اطره الثقافية والفنية الموازية له بشكل مباشر وميكانيكي ، وان الوعي السياسي لا يتطابق مع الوعي النظري الا بعد فترة صراع تاريخية طويلة · لذلك بقي البحث الفني للطبقة العاملة يدور فترة طويلة على أرضية الفكر البرجوازي على الرغم من كونه النقيض السياسي له · وذلك يعود الى سبب مركب : هيمنة الايديولوجيا الجمالية البرجوازية من ناحية ، وتأثر الايديولوجيا الجمالية المسيطر عليها بالايديولوجيا الاولى من ناحية ثانية · فالتاريخ صراع بين الطبقات ليس على المستوى السياسي والاقتصادي فقط بل على مستوى القيم الجمالية ايضا ·

## الايديولوجي والفني في الواقعية الاشتراكية :

يقول عالم الجمال السوفييتي م· كاجان ان « الفن الاشتراكي اسلوب ومنهج » · بعبارة اخرى ان الفن الاشتراكي موقف ايديولوجي واسلوب فني في الوقت ذاته ، وبذلك يقودنا كاجان الى جوهر المسألة : هل الواقعية الاشتراكية موقف ايديولوجي فقط ام موقف ايديولوجي واسلوب فني ايضا ؟يجب ان نقوم هنا بتمييز الاجابة · ان الواقعية الاشتراكية بشكلها الجدانوفي لا تشكل لا نظرية معرفية ولا مدرسة فنية · نعود فنناقش الموضوع بشكل اخر تاركين جانبا النظرة الميكانيكية الجدانوفية · لا شك انه يوجد دائما علاقة بين الشكل الفني وايديولوجيا الفنان ، وان كل شكل فني يتضمن دلالة ايديولوجية · فاذا عالجنا الموضوع انطلاقا من خصوصية التجربة الفنية لكل فنان ، والخصوصية والتميز الثقافي لكل بلد على حدة والتقاليد الفكرية والفنية لكل شرط تاريخي ، ومستوى الوعي الاجتماعي المترابط بمستوى التقدم الاجتماعي لكل بلد لامكننا الوصول الى ما يلي : الواقعية الاشتراكية موقف الايديولوجي يمكن الفنان من الوصول الى رؤية فنية خاصة به انطلاقا من ديالكتيك الذاتي والموضوعي ، اي من تجربة الفنان والشرط التاريخي الذي يعيش فيه · ان ذلك يعني انه لا توجد مدرسة فنية كونية مرتبطة بالواقعية الاشتراكية · ما هو كوني هو الموقف الايديولوجي اما الرؤية الفنية فهي متميزة اي لا كونية · ان المطابقة المطلقة بين الموقف الايديولوجي والرؤية الفنية ضمن الاطار الكوني تشكل نفيا لقانون التمييز والكونية وسقوطا في التبسيط والميكانيكية ، فالشكل الروائي عند السنغالي الشيوعي سمبن عثمان يختلف عنه عند الشيوعي الفرنسي جان تنبودو ،

ولوحات المكسيكي سيكيروس تختلف عن لوحات السوفييتي سيروف ٠٠ يعني ذلك ان كل فنان يصوغ ويصنع شكله الفني خلال ممارسته الفنية وان اخضاعه لقوانين او معايير او موجهات يكسر هذه الممارسة ويشلها ٠

لنقارب الموضوع بشكل اكثر وضوحا ، نقول ان الواقعية الاشتراكية موقف ايديولوجي ، اي ببساطة موقف الفنان الملتزم بالمادية الجدلية من العالم ٠ لننظر الان الى « تعريفات » الواقعية الاشتراكية ٠

يقول شولوخوف « تعبر الواقعية عن فكرة تجديد شباب الحياة ، اعادة تشكيلها من أجل صالح الانسانية ٠ أتكلم هنا بالطبع عن الواقعية التي ندعوها الان اشتراكية ، والتي تقوم سمتها النوعية على رفض التامل السلبي للواقع او الانسحاب منه ، والتي تدعو الى النضال من أجل تقدم البشرية ، كي تصبح قادرة على انجاز الاهداف العزيزة على قلوب الملايين واضاءة طرق النضال »٠

ويقول مكسيم غوركي « لا يمكننا ان نحد انفسنا بمعرفة واقعين فقط : واقع الامس وواقع اليوم الذي نشارك في خلقه بمعنى ما ٠ ينبغي علينا ان نعرف ايضا واقعا ثالثا : واقع المستقبل ٠٠٠ علينا ان نتمثل ونرسم هذا الواقع الثالث باستمرار ٠ وبدون هذا فمن المستحيل فهم منهج الواقعية الاشتراكية » ٠

ونجد في « القاموس الصغير لعلم الجمال » ــ موسكو ١٩٦٥ ــ ما يلي :

« الواقعية الاشتراكية منهج فني يعتمد جوهره على عكس Refléter الواقع بطريقة صادقة ومشخصة تاريخيا ، منظور اليه في تطوره الثوري ، اي في مساره نحو الشيوعية ٠ تتطلب الواقعية الاشتراكية من الفنان التحقيق الواعي لغاية محددة : تربية البشر بالقيم الشيوعية ، المساعدة النشطة على التغيير الثوري للواقع بالوسائل الفنية ، بناء المجتمع الجديد ، النضال من أجل السلام والديمقراطية والاشتراكية ، بناء الانسان الجديد الذي يتعايش فيه بشكل متناغم الغنى الايديولوجي والجمال الروحي والكمال الجسدي » ٠

اما كوليكوفا فتقول « تظهر الواقعية الاشتراكية عبر منظور جديد العلاقة بين الفردي والاجتماعي ، سواء في الصراعات او في سمات الابطال » ٠

فاذا وصلنا الى الشاعر التركي ناظم حكمت :

« يبحث الفنان المخلص للواقعية الاشتراكية بدون انقطاع ٠ ويجهد نفسه في عملية البحث المستمرة هذه لايجاد الشكل الموافق كل مرة لمضمون مشخص ، ويجاهد ليحفظ فرديته بدون ان يقلد او يكرر اي شخص كان ٠ لا يعترف مطلقا بقواعد ومعايير الفن الجامد ، ما خلا قانون واحد : تقديم الواقع بعيون وعقل وقلب ماركسي ــ لينيني » ٠

تطرح التعريفات السابقة بعض القضايا ولكن بشكل متفاوت :

يقدم شولوخوف الواقعية الاشتراكية ــ من خلالما يقول ــ كموقف ايديولوجي مفعم بالنزعة الانسانية مركزا على الدور الذي يلعبه الادب في تغيير العالــم وتثويره · أما غوركي ، ذلك الرومانسي الثوري ، فيؤكد على ضرورة رسم العالم في حركته المتصاعدة باتجاه مستقبل افضل ، اي يركز على مضمون الادب وشكل معالجته للواقع · ويلقي التعريف الثاني والثالث ( القامــوس السوفييتي وكوليكوفا ) الضوء على الدور التحريضي والمعرفي والانساني للادب من ناحية مع اعتبار الواقعية الاشتراكية منهجا فنيا من ناحية ثانية ·

أعتقد ان التعريف النظري ــ هنا ــ مجرد وعام · ان الرؤيا الفنية او المنهج الفني الذي يصل اليه الفنان الملتزم بالواقعية الاشتراكية ينتج عن تجربــة الفنان الذاتية وقدرته على التجريب والابتكار ، الواقعية الاشتراكية تعطيه ما هو عام ليصل الى ما هو خاص · ويبدو هذا واضحا من موقف ناظم حكمت الــذي يرفض القوانين ويدافع عن فردية الفنان · فالفنان الحقيقي يصل الى نظريتــه الخاصة خلال عمله الفني ، يلازم ما بين ممارسته الفنية ومفهومه للفن ، وبذلك يأتي المفهوم النظري للعمل الفني من داخله · ويمكن ان نقول ان هناك واقعية اشتراكية واحدة من حيث هي موقف ايديولوجي وهناك واقعيات اشتراكيــة كخصائص فنيــة ·

## مقاربة نقدية للواقعية الاشتراكية بشكلها الجدانوفي :

لا يقتصر فهم جدانوف الميكانيكي على الادب وحده ، بل يرتبط بكل معقد من الممارسات الخاطئة، واذا قصرنا معالجتنا على الحقل الفني نقول ان فهمه لطبيعة الادب يرتبط بفهم ستالين للفلسفة كصراع جامد وميتافيزيقي بين المادية ــ المثالية لقد اراد جدانوف اقامة أدب جديد يعكس النظام الجديد ، لكنه نسي ان زوال البنيان الفلسفي لاينتج مباشرة ودفعة واحدة تغييرا موازيا في الوعي الاجتماعي ومن هنا جاء مفهومه لادب بروليتاري ــ أدب برجوازي لا تاريخيا ، جامدا ، مناقضا للمادية الجدلية · فالوعي لا يعكس واقعه المعاش بوضوح نسبي الا على مسافة ، أي ان تثوير الادب والوعي الاجتماعي ، وتعديل علاقة الفنان بالشعب ، وتعديل علاقة الفنان بانتاجه تتم داخل عملية التغيير الثوري للعلاقات الاجتماعية فالوعي لا يسبق الممارسة بل يتبعها بشكل عام · لذلك لا يمكن برمجة الادب بشكل مسبق لانه لا يعكس الفراغ الا اذا كان الادب فراغا ، فالادب كجــزء متميز من البنيان الفوقي يعكس تطور العلاقات الاجتماعية · بمعنى اخر اراد جدانوف ــ ومن تبعه ويتبعه ــ اقامة علم جمال ارادوي ، علم ماركسي منجز ونقي ينتج بقرار · لكن نشوء كل علم لا يتم الا بعملية تاريخية ، لان الجـديد لا يولد نقيا ، فالقديم يدافع عن مكانه في داخل الجديد وقد يهزمه احيانا ، كما ان الجديد يحتفظ بوعي او بلا وعي بجزء من القــديم في بنيانه ، فصراع

الاتجاهات او النزوعات يستمر طويلا في كل حقل من حقول المعرفة · فالظواهر الادبية ظواهر اجتماعية ، والحوادث الادبية حوادث اجتماعية · فالجمالي لا يدرك الا من خلال علاقة الاجتماعي والادبي · لذلك فان جدانوف قد « انتج » علما جماليا ازادويا ماديا في ظاهره مثاليا في جوهره · فاذا كانت الميتافيزيقيا ترى « سر » الادب في الغامض او السماوي فان جدانوف رأى سر الادب في الدولة والقانون مع ان قانون الادب الوحيد هو حركة الحياة وحركة الاثر الادبي في الحقل الاجتماعي · « استخلص » حزمة قوانين ، تطبق لتنتج مباشرة اثارا سحرية في الادب واللغة وحتى البيولوجيا ·

**نعود لنناقش مسالة « علم الجمال الماركسي » ؟**

ان هذا العلم بشكله الناجز لا وجود له حتى الان ، لا يزال حقل بحث مستمر فيه نقاط بيضاء ونقاط سوداء · لكن القسمة الجامدة مثالية ـ مادية ، برجوازي ـ بروليتاري ، جعلت الماركسيين في الفترة الجدانوفية يقفون امام السؤال التالي : هل هناك علم جمال ماركسي ام لا ؟ اذا كان الجواب نفيا فذلك سيكسر بالضرورة القسمة الجامدة التي سار عليها جدانوف · واذا كان الجواب ايجابا فمعنى ذلك ضرورة « انشاء » هذا العلم الذي لا وجود له · لكن هذا العلم لم ينشأ تاريخيا بل نشأ كرد فعل وكتقليد وتطابق مقلوب لعلم الجمال عند ليسنغ وهيجل وبول فاليري بقيمه الجمالية المطلقة · اعتمد جدانوف على المبادىء السياسية اولا ، فانتج قيما جمالية متميزة سياسيا لا معرفيا ، انها قيم « شيوعية » سياسيا مثالية معرفيا ، ينسحب ذلك على جملة جوركي ( علم الجمال هو دين المستقبل ) وكذلك على جملة ستالين « الكاتب هو مهندس الارواح » ·

انتج المفهوم الميكانيكي للفن واقعية طبيعية ، واذا كان الفن الاشتراكي « الواقعية الاشتراكية الحية » يقوم بتصوير الواقع في حركته الواقعية ، فان اعمال الفترة الستالينية ومشتقاتها قدمت صورة مجردة للواقع ، ليس الواقع في حركته وتناقضه وصراعه المتعدد المناحي ، بل الواقع ـ المثال ، الواقع الذي لا وجود له ، قدمت صورة الواقع المرسوم في ايديولوجيا الدولة والذي هو كيان ميتافيزيقي · بمعنى اخر ، بدل ان تقدم الواقع المعاش قدمت صورة مثالية ـ افلاطونية ، صورة الواقع كما يجب ان يكون ، الصورة ـ المثال · اي الكامل بالمعنى الديني · واصبح الاديب منظرا او مبررا لايديولوجيا الدولة ، ينطلق من سماء الدولة ، من وصفات جاهزة ، فالمجتمع لا صراع فيه والبطل الايجابي اسطوري السلوك ، امكانية مجردة لا مكان فيها لديالكتيك الشخصية ··· ان البطل الايجابي بمواصفاته الجدانوفية مقولة دينية غريبة عن كل وعي ديالكتيكي لمقدمات الجديد في الشكل القديم · لما كان المضمون الذي طرحته ثورة اكتوبر

جديدا كان على الفن جدليا البحث عن شكل جديد مؤات له ، لكن الواقعيـــة التخطيطية كانت أعجز من ان تقدم هذا الشكل فأجهضت حتى المضمون الجديد ٠ كما نعلم فان الجديد تاريخياً لا يتعايش مع القديم ، فالجديد « يدخل في تناقض محتدم باستمرار .» مع القديم وهذا التناقض هو الذي يغني الجديد ويفجر القديم بسبب استحالة التعايش بينهما وبسبب اللاتوافق Non - Correspondance بين نمط تواجدهما التاريخي ٠ مع ذلك فان الواقعية الجدانوفية قد « تجاوزت » مفهوم التوافق واللاتوافق بين الشكل والمضمون مفجرة بذلك النص الادبي والعمل الفني ، اي شالة بنيان العمل الفني واثره الاجتماعي ٠ لهذا استمر الشكل القديم واصبح تولستوي طموحا ٠

اذا رجعنا الى فكرة « القانون » التي لازمت مقولات جدانوف وقرأنا اثرهـا على العمل الفني لوجدنا ان لديه قوانينا للشكل والمضمون والشخصية وعملية الكتابة ايضا ٠ وبذلك سمح « لشكل أدبي » وحيد بالاستمرار ، شكل قديم ، عميق ، أكاديمي ٠ مع ان الواقع في تفرعاته وغناه وخصبه أوسع بكثير من ان يصب في شكل وحيد ٠ وان غنى الاشكال الفنية تعبير عن غنى الواقع نفسه ، والفن لا يخضع ولا يستطيع ان يخضع لقانون او مثال حتى لو كان مبدعا ٠ ان الواقع يطرح باستمرار اسئلته التي تستلزم بالضرورة اشكالا جديدة موافقة لها ٠ فالفنان ليس آلة لانتاج المضمون ، بل عقدة علاقات حية تجاهد باستمرار لتملك الواقع جماليا في عملية جزئية ومستمرة تنهض على الشكل اولا ٠

نعود فنلخص اطروحاتنا على الشكل التالي :

ـ ولدت الواقعية الاشتراكية في التاريخ ، وعاشت تاريخها بشكلين : طبيعي ومؤسساتي ٠ ابدعت في تاريخها الاول وسقطت في تاريخها الثاني ، لذلك نقول هناك واقعيات اشتراكية ٠

ـ ان الواقعية الاشتراكية ليست مدرسة فنية بل موقف ايديولوجي ، كونية كموقف ايديولوجي ، ومتميزة كخصائص فنية اي لا كونية ٠

ـ الواقعية الاشتراكية بشكلها الجدانوفي أعجز من ان تنظر للفن واعجز من ان تشكل نظرية فنية لاعمال فنية حقيقية ٠ فهي عاجزة كنظرية وعاجزة كملهم ٠

ـ نظرية الفنان الحقيقية هي ممارسته الفنية ، علما ان كل ممارسة تقوم داخل عملية الصراع الطبقي ٠

ـ الواقعية الاشتراكية ليست مسالة شكل ولا مسالة مضمون بل مسالة ايجاد الشكل الملائم للمضمون الملائم ٠

ـ لا تنطلق الممارسة الفنية من النظرية المجردة بل من الحياة بكل صراعاتها وتناقضاتها وهذا لا ينفي دور النظرية كموجه عام ٠ لذلك فان العمل الفنـي

يسترشد بالنظرية ليعيد صياغتها من جديد على ضوء ممارسته المستمرة ، صياغة جديدة ومستمرة تصل الى النفي احيانا ٠

ـ لا يوجد حتى الان « علم جمال ماركسي » منجـــز ، بل توجد مؤشـــرات ومنطلقات منهجية ، ولن يتشكل هذا «العلم» الا بتلاحم البحث النظري والممارسة العملية في وحدة جدلية تكون الاولوية فيها للممارسة ٠

## مراجع ذات صلة بالموضوع :


1 — Stratégie No 12 Automne Hiver 75 .

2 — Litterature et Réalité , Budapeste 1966 .

3 — D. Lecourt : Lyssenko . Maspero 1976 .

4 — LSI : Automne 1975 No 6 .

5 — Action Poétique No 44 .

6 — Socialiste Realisme in Litterature and art — Moscow 1971 .

7 — Esthétique Marxiste et actualité Moscow 1972 .

8 — R. Balibar : Les Français Fictifs . Hachette 1974 .

9 — G. Luckacs : écrits de Moscow Paris 1974 .

# كتب

**د· رضوى عاشور :**
**الطريق الى الخيمة الاخرى**
**دار الاداب ـ بيروت ، ١٩٧٧**

كما اشار الغلاف ، فان كتاب « الطريق الى الخيمة الاخرى » للدكتورة رضوى عاشور ، هو « دراسة في اعمال غسان كنفاني » ، وفق منظور « لا يمكن التعامل مع اعماله الفنية من منطلق ان مكانته ، كمناضل وشهيد ، تجعل لزاما علينا تمجيد كتاباته » ، كما تقول المقدمة · وتنطلق الدراسة من اعتبار غسان « كاتبا مبدعا له انجازاته الفنية الجديرة بالدراسة » · وانه قام بدور ريادي في « كتابة القصة القصيرة والرواية الفلسطينية » · واشتمل الكتاب على الفصول السبعة التالية :

**الفصل الاول : ابن عكا يذهب الى المخيم**

قدمت الناقدة السيرة الذاتية لغسان كنفاني ، بهدف ان تكون « مدخلا وخلفية لعالمه القصصي والروائي » ·

**الفصل الثاني : ولادة الاسود الصغير:**

تناولت في هذا الفصل ، بالاستعراض والنقد ، مجموعات غسان : موت سرير رقم ١٢ ( ١٩٦١ ) ، وارض البرتقال الحزين ( ١٩٦٣ ) ، وعالم ليس لنا (١٩٦٥) · ولاحظت انها بمجموعها يشوبها عثرات فنية ، ويبدو واضحا فيها ان تجربة كاتبها وحساسيته المميزة ، اكثر ثراء وقوة من امكانياته الحرفية » ( ص ٣٥ ) ، ولكنها « مشروع كاتب كبير » ، واشارت الى تنقل غسان في اشكال عمله « فهو حينا يعمل على اتقان الشكل الواقعي « ارض البرتقال الحزين » و « كعك على الرصيف » و « الصبي يذهب الى المخيم » · واحيانا يعمل على تطعيم هذا الشكل بعناصر غير واقعية كالحكايا الشعبية والفانتازيا « المنزلق » وفي احيان اخرى يتحرر من الشكل الواقعي تماما ، لينطلق في افاق التجريب الفني « الاخضر والاحمر » ·

ان مادة قصة « كعك على الرصيف » ( بطلها ماسح احذية : حميد : طفل ) « تهدد بالسقوط في الرومانسية والسنتيمانتالية « العاطفية الرخيصة » والتسطح » ( ص ٤٢ ) · ولكن غسان يخرج من ذلك بخلق شخصية مركبة · وتقارن بين أبطال ( الاطفال عادة ) « الصغير يذهب الى المخيم » و « المنزلق » و « كعك على الرصيف » ، لتصل الى نتيجة ان « الاطفال الفلسطينيين الفقراء في قصص غسان ، يتسمون بدرجة عالية من الذكاء والمعرفة ، فقد تعلموا في مدرسة الفقر والغربة الشيء الكثير » ص ٤٧ ·

وتبدأ قصة « الاخضر والاحمر » (١٩٦٢)

بسؤال « لماذا لا تكون ندا قبل ان تموت »، وتنتهي باقرار « لا تمت قبل ان تكون ندا ٠٠ لا تمت » ٠

الفصل الثالث : الرحلة :

خصصت هذا الفصل لروايتين رجال في الشمس ( ١٩٦٣ ) ، وما تبقى لكم ( ١٩٦٥ ) ، فعن رجال في الشمس تقول « هناك انجاز اساسي لا اعتقد انه تحقق حتى الان على يد روائي فلسطيني اخر ، هذا الانجاز هو خلق الصورة المكثفة والدالة لرحلة العذاب الفلسطيني كما تتجسد في الصحراء والخزان » ص ٦٨٠ ورأت ان البناء الملحمي اقتصر على الفصول الثلاثة الاولى « ولكنها تصب بعد ذلك في حدث واحد كامل ومحدد ، يتخذ المسار التقليدي في التطور العضوي ، كما وضعه لنا ارسطو في كتاب الشعر قبل اكثر من الفي عام » ص ٧٢ ٠

وحول « ما تبقى لكم » تؤكد ان غسان اعتمد « على التجريب وتيارات الشعور المتداخلة والتجريد ، متاثرا ( بالصخب والعنف ) للكاتب الاميركي وبليام فوكنر »٠ وتستشهد بما قاله غسان ، في حديث اذاعي ، عن مشكلة الادب والتوصيل، حيث قال « ما تبقى لكم قفزة من ناحية الشكل ، ولكنها اثارت بنفس الوقت تساؤلات بالنسبة لي « لمن اكتب انا ؟ » ٠ هذه الرواية قلة يستطيعون من بين قرائنا العرب ان يفهموها ٠ فهل انا اكتب من أجل ان يكتب احد النقاد في مجلة ما ، انني اكتب رواية جيدة ؟! ام انا اكتب من أجل ان اصل الى الناس ، وان تكون هذه الرواية شكلا من أشكال الثقافة الموجودة في مجتمعنا ؟! » ٠

ان غسان في هذه الرواية يطرح «المعادلة الصعبة التي يواجهها الاديبفي العالم الثالث : كيفية التوفيق بين جودة الفن وجماهيريته » ٠

وفي « الاعمى والاطرش » استخدم غسان نفس الاسلوب ( اسلوب الشعور ، كما تقول الناقدة ) ، لان الرواية تقدم لنا وجهتي نظر اعمى واطرش ، والعزلة مفروضة على كليهما بسبب عجزه ( ص ٨٩ ) ٠ ولذا ترى ان انجاز غسان في « ما تبقى لكم » انجازا شكليا في الاساس ( ص ٩٠ ) ٠

الفصل الرابع : عن العشق القديم الجديد :

يقتصر هذا الفصل على قصة «الدوي» والمجموعة القصصية « عن الرجال والبنادق » ٠ ففي العروس التي اعيد نشرها في ( عالم ليس لنا ) ، يقول الراوي في رسالة الى صديقه : « ابحث معي حيث انت ، عن رجل طويل جدا ، صلب جداً ، لا اعرف اسمه ، ولكنه يلبس بدلة خاكية عتيقة ، ويلوح لاول وهلة كأنه مجنون »٠ فهي رؤية جديدة للتاريخ ( الماضي والذاكرة ) ، تتبلور في « عن الرجال والبنادق » ( ١٩٦٨ ) ، حيث « يصبح وصل الحاضر بجذوره في الماضي احدى المهام الاساسية للكاتب » ص ١٠٢ ٠ وفي العملين نجد ان « اكتشاف الهوية الفلسطينية ، مرادف لشيئين اساسيين : الارتباط بالارض وحمل السلاح » ص١١٣٠

الفصل الخامس : الوصول الى الخيمة الاخرى :

كرست الدكتورة رضوى عاشور الفصل الخامس ، لروايتي ام سعد ( ١٩٦٩ ) وعائد الى حيفا ( ١٩٧٠ ) ٠ فأم سعد « رواية عن بعث امة ، ولادة الحياة من الموت ، نماء الثورة داخل مخيمات الذل والهزيمة » ص ١٢٤ ٠ وتمجيد غسان لام

سعد « ليس سوى تمجيد لجوهر ارتباطها بالارض والثورة » ص١٢٧ • وهي من الروايات التي اثارت « جدلا حول شكلها ، وتتفاوت ردود فعل قرائها ما بين متحمس شديد الحماس ، وبين معتقد بانها اجتهاد متواضع لا يرقى الى مستوى الرواية » ص ١٣٢ • وترى رضوى عاشور ، ان الجانب التعليمي في الرواية « صفة من صفات الادب الاشتراكي » •

وعلى الرغم من كتابة الروايتين ، ام سعد وعائد الى حيفا ، في الوقت نفسه ، « الا ان بينهما فارقا كبيرا في المضمون والشكل والمستوى التقني » ص ١٣٨ • فعائد الى حيفا تقدم ( شخصيات من الطبقة الوسطى الفلسطينية ، التي لم تفقد وضعها الطبقي بفقدها الوطن » ، وتمتاز ببناء « عضوي » • ومع ذلك تظل « رواية محدودة فنيا ، مكتوبة على عجل ، فيما يبدو فتجنح لنقل الواقع بشكل ذهني لا يصل في الغالب الى التناول الوجداني ، الذي يخلق للفن الجديد » ص ١٤٤ ، وتقدم « لنا الشخصيات كأدوات للحدث ، وكأنها شخصيات في قصة قصيرة ، فلا نراها في اكتمالها الانساني » ص ١٤٤ •

**الفصل السادس : معجزة المعذبين في الارض :**

ناقشت في هذا الفصل ، مسرحية الباب ( ١٩٦٤ )، ورواية الاعمى والاطرش فمسرحية الباب « عمل فلسطيني من الاعمال القليلة جدا لغسان كنفاني ، التي لا يتناول فيها جانبا من جوانب القضية الفلسطينية» ص ١٥٢ ، فهي تحمل «اصداء وجودية واضحة ، ومحاولة لبناء بطل تراجيدي على غرار اوديب سوفوكليس ، وان كان يستمد جذوره من الاسطورة العربية » ص ١٥٣ •

اما رواية « الاعمى والاطرش » ، التي لم تستكمل ، فتعتبرها « رسالة نضالية في شكل فني راق » ص ١٧٣ •

**الفصل السابع : وصار نـدا :**

هو خلاصة ما توصلت اليه الناقدة رضوى عاشور من الفصول الستة • وترى ان كتابات غسان من الادب القومي « وهو الادب الذي ينشأ في مراحل نهوض الامة وتماسكها ، ويعمل على تقديم وتجسيد جوهر الجماعة ، واكثر السمات تأصلا فيها » ص ١٧٨ • وفي تعامله مع الماضي ، ينتقل غسان من مستويات المرارة والندم ، الى المنظور التاريخي « فيتمكن من رؤية العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر ، ولا تصبح اللحظة وجودا معزولا لا امتداد له ، بل تصبح استمرارا لما سبق يحمل بذور الاتي من الايام » ص ١٨٠ • وتعتبر ان اهم سمات عالم غسان القصصي والروائي ان هذا العالم يزخر بالرموز الدالة ، وترى انه يستخدم « رموزه في سياق واقعي احيانا ، فيعتمد الشكل التقليدي في البناء والسرد ، مع اضافات طفيفة هنا وهناك •• وفي احيان اخرى يستخدم هذه الرموز في سياق تجريبي يعتمد على اسلوب تيار الشعور او ينحو الى التجسيد والتجريد وصولا الى الكثافة الشعرية » ص ١٨٣ •

ومن حيث الشكل ، تستنتج الناقدة ، ان اساليب غسان متنوعة ، فقد استخدم البناء العضوي التقليدي في ( عائد الى حيفا ) و ( الاعمى والاطرش ) • واستخدم البناء الملحمي في « ام سعد » و « العاشق » ، ومزج بين الشكلين في « رجال في الشمس » •

وعلى العموم ، فانها تعتقد ، ان غسان كنفاني « من اوائل الروائيين العرب الذين بدأوا بمواجهة انسانية الفلسطيني• وحين يواجه الكاتب انسانية شخصياته ، فلا يمكن ابدا ان يقدمهم في شكل مسطح

او عاطفي رخيص · ولقد كان غسان ايضا اول من رأي واستشرق امكانات التمرد والرفض في المخيم ، ص ١٧٩ ·

**قراءة في النقد**

ـ ما الذي يضيفه هذا الكتاب الى الدراسات التي تناولت تجربة غسان كنفاني ؟

ـ لماذا اتخذت رحلة غسان مسارا متعرجا في الاشكال الادبية ؟
وما علاقة هذا التعرج بمفهوم غسان الايدولوجي وموقفه السياسي ؟

ـ الشخصيات ، اتجاهاتها وقيمها ، ماذا تعكس في قصص وروايات ومسرحيات غسان ؟

ـ ظاهرة المكان المميز ( الصحراء ) ، هل هي مقابل عدمي للارض الرطبة في المخيم ؟! ام هي ارض مفتوحة لكل الاحتمالات ؟ وهل نجح غسان في ان ينمي موقفه على الرمل ؟!

هذه ، وغيرها من الاسئلة ، تطفو على السطح ، فور الانتهاء من « الطريق الى الخيمة الاخرى » · وعلى قاعدة تقسيم الناقدة الدكتورة رضوى عاشور ، لفصول الكتاب ، ستكون هذه القراءة النقدية ·

**ليست خلفية او انارة**

يفترض الكشف عن الجوانب المتعددة لحياة غسان ، حتى تكون خلفية لعالمه القصصي والروائي ، ما هو اكثر من بطاقة هوية ، في المولد والنزوح وتعدد مرافق العمل حتى الشهادة · وحتى هذه النقلات بقيت دون تفسير ، لاثر الانتقال مثلا من الكويت الى مجلة الحرية ، ومن القوميين العرب الى الجبهة الشعبية ·

فالتعريف سكوني ، به ومضات نقدية دالة ، اعتمد على اعادة تلخيص لبعض مواد كتاب الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين (١) ، وعلى دراسة غسان كنفاني عن ثورة ١٩٣٦ (٢) · وظل ، بالنتيجة ، دون المهمة او الهدف المنوط به ·

الانارة الحقيقية هي في ان نكشف عوالم غسان كنفاني في مراحله المختلفة، ايدلوجيا وسياسيا وادبيا · ومدى ترابط هذا النسيج الثلاثي في كل مرحلة ، وما اثره على الرحلة الطويلة المضنية ؟! وان نبين مدى تاثر غسان بالتيارات الثقافية الغربية ، والثقافة القومية العربية ، واثر ذلك على اشكاله الادبية المتنوعة ، وعلى شخوص ادبه · لا ان نستسهل الاقتباس المنشور ، وغير المكلف ، واعادة قذفه في وجه القارىء ، وفي اول فصل من الكتاب ·

واذا كانت القضية الفلسطينية هي « النسيج الاساسي لكتابات غسان ، وكان عالم الموت متداخلا بكتاباته عن هذه القضية بشكل متواصل » (٣) ، فان الرحلة في ادب غسان ، معنية بكشف ريادة او تأخر الاديب في استيعاب الدور الخاص للفلسطينيين ، وفي تعبيد طريق الخلاص الوطني · فلقد كانت عظمة تولستوي ،كما اشار لينين ، في انه قدم انتقادات اساسية (من خلال الادب) للدولة والكنيسة والملكية الخاصة للارض · ولذا قال «سوف تأخذ البروليتاريا ، هذا التراث وتدرسه » (٤) ·

ان الغوص في رحلة النفي الفلسطيني (من خلال غسان) ، يتيح للدكتورة رضوى عاشور ، ان تكشف « عالم المنفى » ، كيف تعامل غسان معه ؟ كيف استوعبه ، ليخرج منه ؟! كيف تمثله في النتاج المبكر واللاحق ؟ وبدون ذلك ، تبقى بطاقة الهوية

قاصرة عن تقديم انارة حقيقية عن ادب غسان كنفاني ، ولا تصلح ان تكون خلفية جادة له ٠

## الفجيعـــة !

رغم اسبقية القاصة الفلسطينية سميرة عزام ، لغسان كنفاني في الكتابة ، فانها في مجموعاتها الثلاث الاولى « اشيـــاء صغيرة » ١٩٥٤ ، و « الظـــل الكبير » ١٩٥٦ ، و « قصص اخرى » ١٩٥٩ ، لـــم تتمكن مـــن تمثـــل المنفى الفلسطيني واستيعاب علاقاته ٠ واكتفت بواقعيـــة رومانسية من شق نافـــذة على الماضي ، ومن ادمان العذاب والحزن والاحســاس بالفجيعة وخيبةالامل، مع الاحساس الضمني بالاثم بسبب الخروج من فلسطين ٠ ووفق هذا الاسار لم تتمكن من تمثيل دور الوعظ الاجتماعي ، او من بناء جسور جديـدة بين المنفيين في الخارج واهلهم في الداخل في « رسائل اللاجئين الى ذويهم » ، وبين شطري الجسد الواحد في « مندلبوم » ٠

ورغم الفوارق بيـــن غسان كنفانـي وسميرة عزام ، فانه في مجموعته الاولى وقع فيما وقعت فيه « اشيـاء صغيرة » ، فكلاهما ، لم يجد حرفته القصصية فـــي مجموعاته الاولى ، وظلا اسيرين فـــي السرد المباشر ، والخواطر والحكايـا ، والسير الذاتية والرسائل الواقعيـــــة الرومانسية ٠ وغسان ايضا لم يتمثـــل المنفى في نتاجه المبكر ٠ وعندما وصـــل غسان الى الواقعية النقدية في « رجـــال في الشمس»، كانت واقعيته تثقب وتنتقد كل جدران المنفى ٠ ومـــــع ذلك بقيت دون واقعية بلزاك في نقده وتحليله للمجتمـــع البرجوازي ، وذلـــــك لضعف رؤيتهـا الاجتماعية ٠

ان المجموعات الثلاث « موت سريـــر رقم ١٢ ، ارض البرتقال الحزين، عالـــم ليس لنا » « لا تريد سوى ان تصرخ في وجوهنا ، ان تنزف قضيتها دون ان يكون بوسعها ان تعطي حلولا ، او حتى ان ترسم سؤالا » (٥) ٠ ولذا تنزلق « نحـــــو السقوط والهاوية واليأس » (٦) ٠

اما عالم القصص ( يستبدل هنـــا مجموعة عالم ليس لنا ، برواية رجـــال في الشمس ) ، فأول ما يلفت النظر فيـــه « انه مشدود الى الماضي بشكل مخيف ، وانه عالم بلا تفاؤل او فرح ٠ ان الحاضر ليس فقط لا يقدم لابطال هذا العالـم اي تعويض، وانما ايضا يفترسهم وباستمرار٠ اما المستقبل فانه اكثر من ثقـــب اسـود كبير في نفسيتهم » (٧) ٠ ويرى ان المرارة تضاف الى الندم في افتراس الكيـــــان الداخلي لابطال عالم قصص غسان كنفاني في فترة ما قبل ١٩٦٥ ٠ ان العجز اقوى من المرارة والندم ، وهو شعور خانـــق ومدمر ، واتخذ التعبير عنه « شكلا ضاريا في واحدة من اروع قصص غسان كنفانـي القصيرة ، وهي قصة « الاخضر والاحمر» الرمزية ، من مجموعة ارض البرتقـــال الحزين » (٨) ٠

ان « الاخضر والاحمر » التي انتهت باقرار « لا تمت قبل ان تكون ندا ٠٠ لا تمت » ، رغم انها تنمو على حواف دائرة

العجز ، فانها تعظ باختراقها وتجاوزها٠ وهي متعاكسة مع الموت امام الاصـــداف بحثا عن اللؤلؤ في « لؤلؤ في الطريق » من ارض البرتقال الحزين

## رجال في الشمس

تتماثل الرواية في مضامينهـــا مـــع مجموعتي موت سرير رقـــم ١٢ وارض البرتقال الحزين ، في التعبير عن الرحلـة الفلسطينية في المنفى ٠ وتتمايز عنهمـــا في فاجعة الموت الحادة في التأثير والتعبير

وفي تشريح واعدام ما افرزه المنفى من تمركز حول الذات ، والسعي للخلاص الفردي · فالرؤية السوداوية ،.لم تكتف بالصحراء ، فقدمت الخزان مدفنا للباحثين عن خلاص فردي ، دون ان تفتح ولو نافذة صغيرة في افقهم من اجل المستقبل · وهذا العالم « لا يمكن ان يقدم في النهاية لابطاله الا الموت السخيف والمجاني ، ولذلك لم يكن غريبا ان يكون مثل هذا الموت نصيب ابطال رواية رجال في الشمس » (٩) ·

وبحثا عن لا منطقية هذا الموت ، قارن فضل النقيب بين « بداية ونهاية » لنجيب محفوظ وبين « رجال في الشمس » لغسان كنفاني · واستنتج ان رواية نجيب محفوظ اكثر منطقية ، بينما الفشل غير مفسر وغير مبرر في رواية غسان ، والتي اعتبرها « ليست رواية بالمعنى الفني للكلمة » ، ولكنه استخلص ان هدف غسان ان يقول ، « لا جدوى من الحل الشخصي المغامر لقضية هي اصلا عامة » (١٠) ·

واشترط الياس خوري لفهم الشخصيات الثلاث ( ابو قيس ، اسعد ، مروان ) ان نفهم البؤس اليومي الذي يعيشه سكان المخيمات ، فهي « شخصيات واقعية تريد الخلاص بسرعة » (١١) ·

وبذلك وضع الياس خوري يده على المعنى السياسي للشخصيات التي « تريد الخلاص بسرعة » ، دون ان يسميه · فهؤلاء هم انماط من البرجوازية الصغيرة، ضيقو الافق ، مغامرون ، عصاميون ، مترددون ، ان مأزقهم من مأزق البرجوازية الصغيرة الطامحة الى حل مأزقها الخاص، دون ان تربطه بمأزقها الوطني العام ، اذا لم يكن على حسابه · انها عبثية الهروب الى بوابات العالم ، دون ان نطرق بوابة الوطن · فالموت مصير حتمي للذين يخرجون من النفي ، حتى يدخلوا فيه مرة اخرى ·

ان عطف الدكتورة رضوى عاشور على ابي قيس ، حوله الى جان ومجني عليه ، نشفق عليه بقدر ما ندينه ونرفضه ·وهذا العطف اخل بمضامين حلم « ابو قيس » ، المال لتعليم قيس ، عرق او عرقين من الزيتون ، بناء منزل » · وذات القضية تتكرر عند ابي الخيزران ، الذي يجسد القيادة التقليدية للفلسطينيين ، قبل النكبة وبعدها ·

فاذا كان هو رمز القيادة التقليدية حقا، فأين الخروج من سقفها ؟ اين ؟

لا الخزان يجيب ! ولا الصحراء قادرة على رد السؤال ·

وكما يقول الدكتور احسان عباس « فالشخصيات المصابة بصدمة لا تتمكن من نسج جسور متينة مع الحياة » (١٢) ·

**رواية « ما تبقى لكم »**

الرواية ارتداد واضح في مسار رحلة غسان· فبعد الواقعية النقدية في « رجال في الشمس » ، يرتد الى تيار اللاوعي ، كأحد مقومات المدرسة السريالية في الادب الغربي · فالسريالية عند مارسيل بروست وجيمس جويس وفرجينا وولف ، هي حركة احتجاج سلبية على المجتمع البرجوازي ، كمجتمع نمطي الي ، يقتل انسانية الانسان ويحوله الى اله ، الى مغترب · وهي على النطاق العالمي ، ثورة مقلوبة ، اي تيار عدمي يتوجه الى النخبة عبر بحثه عن الاشكال الفنية المتقدمة ، ويضع الشخصيات في اطار مجرد عبر انسحابه الى اللاشعور ، ويحول الحرية الى تحرير للانسان وليسلوكه من سيطرة العقل · ورد الكاتب الانجليزي جون ستراتشي على هذا المنحى بالقول :

« هدفنا ان نجعل من الفن خادما للانسان، كوسيلة للكفاح ، لا ان نجعل من الانسان خادما للفن ، كوسيلة للهرب » (١٣) ٠

واذا كانت رجال في الشمس ، قد تقدمت جزئيا ، على المنحى الرومانطيقي في فلسفة الموت عند غسان ، في اعماله الاسبق ، فانها لم تكن ، كما يفترض منحى التطور، مقدمة لسريالية جديدة (١٤) ٠

ولكن هذا الشرح له دلالته بالتأكيد ٠

فهو اولا تعبير صارخ ، على ان فهم غسان الايدولجي والسياسي ، لم يكن منسقا في ارتقائه وتطوره ، فتأرجح بين الصعود والهبوط ٠ ولم تتطرق الدكتورة رضوي عاشور من قريب او بعيد الى هذه المسألة ، واكتفت بمناقشة الشكل الفني الجديد ، من خلال اصوله المقتبسة، ومدى قدرته على الايصال ٠

لقد قال غسان في مقابلة اذاعية عن القفزة في الشكل الجديد ، واثار تساؤلا لمن يكتب ٠ ولم يتحدث عن الصخب والعنف للكاتب الاميركي ويليام فوكنر ٠ وهذه الاستعارة تطرح التساؤل مجددا :

لماذا استعار غسان هذا الشكل من ويليام فوكنر للتعبير عن القضية ؟!

وهل وفق هذا الشكل ام فشل ؟!

والاجابة قديمة ، قدم صدور الرواية ٠ فقد فشلت في الوصول « الى المصير الجماعي ، اي مصير القضية ككل » ٠ وفقد الانتقال اللاواعي مبرره بوجود شخصيات طبيعية لا تعاني من مرض ما في نظرتها للاشياء من حولها ، وان كانت متعلقة بعبء العار الذي تحمله ( ١٥) ، فبنجي احد ابطال الصخب والعنف ، انسان معتوه ، ونظرته مضطربة نظرا لوضعه هذا ، « بينما شخصيات غسان الخمسة العادية تتجمع في بطل واحد هو الكاتب ايضا » (١٦ ) ٠ بينما يرى الياس خوري، جميع الشخصيات في بطل واحد ايضا ولكنه « الموت » (١٧) ٠ ولان الموت كان « قريبا باستمرار ، يعيشه ، يكتب عنه ٠٠ واخيرا يمارسه » (١٨) ، فلا فرق بين استخلاص الياس خوري واستخلاص عرودكي ٠ واكتفت يمنى العيد بتسميته «قلق ومسحة مرارة » (١٩) ٠

وقد اصابت الناقدة رضوى عاشور عندما سمت انجاز ما تبقى لكم « انجازا شكليا في الاساس » ٠

## « عن الرجال والبنادق »

مهد غسان كنفاني في قصته القصيرة « العروس » ( عالم ليس لنا ) الى ظهور البندقية ، كشكل جديد من التعاطي مع الذاكرة الفلسطينية ، فهي جزء من لحمة الحاضر النضالي ، ومادة متواصلة مع التراث ٠ وفي بحثه عن الرجل الطويل جدا والصلب جدا ( الصورة الرومانسية للفدائي عند الانطلاقة ) ، يشرك كل الناس في هذه المحاولة ، فيصير البحث عن ( بندقيته )مهمة فلسطينية شاملة ٠ فالمبلغ المخصص لصداق العروس ، يشتري به بندقية عتيقة : « ابحث معي عنه ، حيث انت ، فلدي اخبار جديدة عن العروس » ، مما اعطى القصة طابع البشارة المفرحة في مسار غسان القاتم والحزين ٠

وعلى كتف العروس ، سار غسان الى مجموعة « عن الرجال والبنادق ، حيث نجد ان « اكتشاف الهوية الفلسطينية مرادف لشيئين اساسيين : الارتباط بالارض وحمل السلاح » (٢٠) ٠

وقدمت الدكتورة رضوى عاشور «صورة دقيقة لمضامين اللوحات التسع التي تتضمنها المجموعة ، فترى ان « ارتباط منصور بالارض من ناحية وولعه بالبندقية

من ناحية اخرى وجهان للشيء نفسه » ، وبشكل بارز ، قدمت قيمة ان يكتشف الصغير « ان المفتاح يشبه الفاس » ٠

## رواية « ام سعد »

شكلت الرواية قفزة في موقف غسان الادبي ٠ وظلت من حيث شكلها مثار جدل « ما بين متحمس شديد الحماس وبين معتقد بانها اجتهاد متواضع لا يرقي الى مستوى الرواية » (٢١) ٠ وغطى نقد الدكتورة رضوى عاشور كافة الجوانب الاساسية في شكل ومضمون هذه الرواية٠ واعتبرت الجانب التعليمي فيها « صفة من صفات الادب الاشتراكي » ، وارجعت تمجيد غسان لام سعد الى « جوهر ارتباطها بالارض والثورة » ، ولذا فهي رواية عن ( بعث امه ) ٠

ويرى الياس خوري. ان ام سعد « تذكرنا كثيرا بام جوركي ، وبالبطل الواقعي الاشتراكي ، بالمثال الشعبي الذي يجب ان يحتذى » (٢٢) ٠ فهي تعرف ان « خيمة عن خيمة تفرق » في مقارنتها بين خيمة المخيم وخيمة معسكر الفدائيين ٠ الاولى حبس ، كما تقول رضوى عاشور، والثانية اختيار حر لطريق المستقبل ٠

ان الرواية الواقعية تكره الحسب البدائي ، وتمقت التعبير الرومنطيقي والسريالي ، وترسم الحب الحقيقي المتفتح لكل رياح الحياة والعصر ٠ وهي في رفضها للغموض ، فانما ترفض لعبة الشكل ، ولا تنادي بالمباشرة الساذجة، والتبسيط الفج ٠ فموقف بليخانوف «قيمة العمل الفني في مضمونه فقط » ، قد هزمه مكسيم جوركي في حديثه مع الروائية الانجليزية مارغريت هاركنس ، عندما قال « كلما كانت اراء المؤلف اكثر خفاء كان هذا افضل للعمل الفني » ٠ وهي جملة قريبة نسبيا مما قاله الناقد التقدمي محمود امين العالم « الشكل ـ الصورة ـ تكاد تكون جوهر ما يجعل الادب ادبا والفن فنا » (٢٣) ٠

وام سعد رواية واقعية ، عبرت عن لحظة اقتراب غسان من الفكر الماركسي ، وبدء مغادرته للفكر القومي ٠ ان كدحها البروليتاري الرث ، يتجاوب مع واقعية العمل المتاح للنساء الاميات في اغلبية مخيمات اللاجئين ، وليس بالضرورة ان ينم هذا الاختيار عن اضطراب نظري وتشوش ايدولوجي ٠ وعفويتها ، لا تخفي وجهها الشعبي الجميل ، كما قالت يمنى العيد ، في « ممارسات في النقد الادبي » ٠

## رواية عائد الى حيفا

مرة اخرى يضطرب مسار غسان ٠ يتقدم في الشكل ، فتصبح عائد الى حيفا متقدمة على ام سعد في الحركة الايقاعية والوحدة العضوية ٠.ولكن التناول الذهني للشخصيات والاحداث ، هو الذي جعل الدكتورة رضوى عاشور تعتبر الرواية « محدودة فنيا ، مكتوبة على عجل ، فيما يبدو » ٠ وهو الذي جعل الياس خوري يعتبر الابطال فيها « مجرد حالات » ٠ وعادت رضوى عاشور لتستخلص ان غسان قدم الشخصيات « كادوات للحدث ، وكأنها شخصيات في قصة قصيرة ، فلا نراها في اكتمالها الانساني » ص ١٤٤٠

نقطة اخرى ، ارتد غسان عن الام الكادحة ( ام سعد ) الى الطبقة الوسطى ( سعيد/عائد الى حيفا) ، تماما كما ارتد من الواقعية النقدية في رجال في الشمس الى تيار اللاوعي في ما تبقى لكم ، وهذا الاضطراب المتجدد ، ينم عن ازمة ايدولوجية اولا ، حاول غسان التعويض عنها ، بطرح مشكلات جديدة ، ولاول مرة ان تقديم الاسرائيلي خارج ميدان القتال

خطوة جريئة ينقصها الكشف عن عوالم هذه الشخصيات · صحيح ان خلدون الذي تحول الى دوف يكشف عن «مسؤولية التوجيه والتربية في تحويل خلدون الى دوف المجند في الجيش الاسرائيلي » (٢٤)، ولكنه بذات الوقت يريد ان ينسج جسرا بين الداخل والخارج ، بين الوطن وبين المنفى ، ولو من خلال حادثة الصورة ·

ان الطريق الذي سلكته الدكتورة رضوى عاشور ، قد اوصلها الى الخيمة الاخرى ، ولكن دون تدقيق كاف في محطات الاستراحة ، وفواصل السير المتعرج نحو الهدف ·

علي حسين خلف

---

## هوامش :

(١) غسان كنفاني انسانا واديبا ومناضلا : احسان عباس ، فضل النقيب، الياس خوري ·

(٢) ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ في فلسطين، خلفيات وتفاصيل وتحليل · شؤون فلسطينية ، العدد ٦ ، كانون الثاني ( يناير ) ١٩٧٢ ·

(٣) بلال الحسن : « غسان والموت » ـ شؤون فلسطينية العدد ١٣ ، ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٢ ·

(٤) في الادب والفن : ف·ي· لينين ـ الجزء الاول ـ ترجمة يوسف حلاق ·

(٥) الياس خوري في غسان كنفاني انسانا واديبا ومناضلا ص ٩٢ ·

(٦) نفس المرجع ·

(٧) احمد خليفة : عالم القضية الفلسطينية في ادب غسان كنفاني شؤون فلسطينية العدد ١٣ ·

(٨) نفس المرجع ·

(٩) احمد خليفة : مرجع سابق ·

(١٠) فضل النقيب : غسان كنفاني انسانا واديبا ومناضلا ص ٦٤ ، ٦٧ ·

(١١) الياس خوري : مرجع سابق ·

(١٢) احسان عباس : غسان كنفاني انسانا واديبا ومناضلا ·

(١٣) د· لويس عوض : الاشتراكية والادب ·

(١٤) راجع « الرومنطيقية في الادب الفرنسي » ف·ل· سولنيه ، ترجمة احمد دمشقية ، وخاصة ما هو متعلق بفلسفة الموت عند راب ، بوريل ، اونيدي ·

(١٥) بدر الدين عرودكي : ما تبقى لكم ولعبة الشكل ، دراسات عربية ، العدد ٢ ، كانون الاول ١٩٦٦ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ·

(١٦) نفس المصدر ·

(١٧) الياس خوري مرجع سابق ص ١١٢ ·

(١٨) بلال الحسن مرجع سابق ·

(١٩) يمنى العيد : ممارسات في النقد الادبي ـ دار الفارابي ـ نيسان ١٩٧٥ ·

(٢٠) الطريق الى الخيمة الاخرى ص ١١٣ ·

(٢١) نفس المصدر ص ١٣٢

(٢٢) الياس خوري مرجع سابق ٠

(٢٣) محمود .امين العالم : تاملات في عالم نجيب محفوظ ٠

(٢٤) د٠ احسان عباس : الجسور والعلاقات في قصص غسان ـ شؤون فلسطينية العدد ١٣ ٠

---

## السينما وفلسطين

## منشورات E 100 باريس

---

صدر في باريس مؤخرا اول كتاب عن السينما العربية باللغة الفرنسية وباسم ( فلسطين والسينما ) ٠ عن دار نشر E 100 ( يتألف من ٢٩٠ صفحة بالقطع الكبيرة ويحتوي على مجموعة من صور الافلام عن القضية الفلسطينية ٠ وقد اهدي الكتاب لذكرى السينمائي الفلسطيني الشهيد هاني فخري جوهرية ) ٠

واشرف على نشر الكتاب الناقد الفرنسي الشهير غي هاينبيل مؤلف الكتب السينمائية الهامة التالية ( السينما الافريقية ـ خمسة عشر عاما من تاريخ السينما العالمية ، دليل الافلام ضد الامبريالية ، السينما النضالية ) وخميس الخياطي الناقد التونسي المقيم بباريس استاذا للسينما العربية والاداب العربية في جامعة باريس الثالثة ومدير تحرير مجلة .السينما العربية ٠

وقد تعاون في تاليف هذا الكتاب عدد كبير من السينمائيين النقاد العرب والاجانب ٠

قدم للكتاب كل من عز الدين القلق ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بباريس وقد اشار في مقدمته الى اهمية تطوير عملية نشوء جبهة ثقافية عالمية تقف الى جانب القضية الفلسطينية كما قدم للكتاب ايضا مصطفى ابو علي مدير مؤسسة السينما الفلسطينية والذي حقق ما يقارب عشرة من اهم الافلام الفلسطينية الوثائقية التي حاز معظمها على عدة جوائز عالمية مثل ( بالروح بالدم ـ مشاهد من احتلال غزة ـ طريق النصر وغيرها ٠ )

ولقد لفت الانتباه في مقدمته الى ما يسميه خطر الاستشراق في السينما العربية المعاصرة اي الخضوع تحت ركام النظرة السطحية للواقع العربي الحالي ٠

اما غي هاينبيل وخميس خياطي فقد حددا في مقدمتهما هدفهما من وراء اصدار هذا الكتاب والذي يتجلى في (١) التاكيد على صعيد المجال الشخصي اكثر منه النقدي وعلى دعمهما لقضية الشعب الفلسطيني الذي تجاوز من جديد وبشجاعة لا توصف مرحلة من ادق المراحل المأساوية عبر كل تاريخه المأساوي المعاصر ٠ ٢ ـ القيام بحملة تعريف للافلام العربية والاجنبية التي تساهم بالدفاع عن المقاومة الفلسطينية ، ٣ ـ التاكيد

على ابراز ارادة الشعب الفلسطيني في الكفاح وذلك من خلال دعمه باستمرار على صعيد الشاشة السينمائية ٠

وقد شملت المقدمات الثلاث ٢١ صفحة من صفحات الكتاب وقسم الكتاب الى خمسة اقسام جاءت كما يلي :

القسم الاول : السينما الفلسطينية التي انتجتها منظمات المقاومة الفلسطينية من ص ( ٢٢ ـ ٦٩ ) ٠

القسم الثاني : السينما العربية وفلسطين من صفحة ( ٧٠ ـ ١٦٣ ) ٠

القسم الثالث : السينما الغربية وفلسطين من صفحة ١٦٥ ـ ٢٢٦ ٠

القسم الرابع : فلسطين في سينما العدو من صفحة ٢٢٧ ـ ٢٣٨ ٠

القسم الخامس : فيلموغرافيا من صفحة ٢٣٩ ـ ٢٨٢ ٠

**١ ـ السينما الفلسطينية :**

احتوى هذا القسم على معلومات تاريخية عن السينما الفلسطينية منذ تاسيس اول قسم سينمائي لحركة فتح على يد السينمائيين الفلسطينيين مصطفى ابو علي وهاني فخري جوهرية والمصورة السينمائية سلافة فرسال ٠

كما يحتوي على معلومات عن السينمائيين الفلسطينيين معطيا حيزا خاصا للسينمائي الشهيد هاني جوهرية ٠ وقد كتب الصفحات الخمس التي احتوت هذه المعلومات السينمائي الفلسطيني سفيان الرمحي المقيم في باريس ٠

كما كتب حسان ابو غنيمة عن نشأة السينما الفلسطينية واتجاهاتها وتياراتها الاكثر اهمية ٠ وقد اعطيت لدراسة ابو غنيمة هذه ( ٢٣ ) صفحة يشير فيها الى ان السينما الفلسطينية ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية هي التي عبرت عن نضال الشعب الفلسطيني في سبيل وطنه المغتصب واصراره على هزيمة العدو الصهيوني ٠ وقد بدأ هذا النوع من السينما بعد بدء الكفاح المسلح ١٩٦٥ وارتبط بهذا الكفاح ٠ وبدأت وحدة افلام فلسطين ، التابعة لحركة فتح وهي اول وحدة سينمائية عملت من خلال تنظيم فلسطيني مقاتل ، عملها في تصوير الاحداث الثورية المتعلقة بالثورة الفلسطينية مكونة اغنى ارشيف سينمائي وفوتوغرافي عن الثورة الفلسطينية المعاصرة وكان الدافع لهذا العمل الشعور بان ثمة احداثا هامة تجري في المنطقة ويجب تسجيلها وحفظها حتى يحين الوقت المناسب للاستفادة منها ٠

وعلى صعيد الحديث عن اتجاهات وتيارات السينما الفلسطينية فان حسان ابو غنيمة يشير الى انفراد السينما الفلسطينية بتجربة متميزة عن بقية ممارسات هذا الفن في الدول العربية الاخرى باستثناء الجزائر فهي تجربة نبعت من خلال الكفاح المسلح وارتبطت به واكتسبت خصائص الحرب الشعبية الطويلة الامد باللون والخصائص الفلسطينية لهذا النوع من الكفاح ٠ ويحدد ابو غنيمة اتجاهات هذه التجربة في اتجاه افلام الحدث وهي الافلام التي تعنى بالحدث وتسجيله والتعليق عليه وتحليل اسبابه ونتائجه خاصة ما يتعلق منه بالثورة الفلسطينية ٠ اما الاتجاه الثاني فهو اتجاه الافلام التسجيلية ومنها الاتجاه الذي يعتمد كليا او جزئيا على الارشيف السينمائي مهما كان مصدره والاتجاه الاخر الذي يعتمد على تسجيل واقع الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني في القواعد والمخيمات ٠ اما الاتجاه الثالث فهو اتجاه الافلام الروائية وضمن

هذا الاتجاه هناك نوعان اولهما ، حاول تقديم حقائق موضوعية عن واقع الشعب الفلسطيني او ثورته المسلحة اما النوع الاخر فهو تجاري تجاهل تماما الحقائق واعتمد كلية على الخيال بغرض الاثارة وجلب المتفرجين باي ثمن وقد استغلت هذه النوعية تعاطف الجماهير العربية مع الثورة الفلسطينية المسلحة استغلالا تجاريا مثل ( كلنا فدائيون ) كفاح حتى التحرير وغيرها اما الاتجاه الجاد فينحصر في عدد قليل من الافلام هي ( المخدوعون ) و ( كفر قاسم ) ·

كما ناقش ابو غنيمة مسالة توزيع الفيلم الفلسطيني وكيفية التوزيع وعروض الافلام ومناقشتها مع الجماهير · واشار الى ان نوعية التوزيع التي تتبعها مؤسسة السينما الفلسطينية هو توزيع نضالي لا يستهدف الربح التجاري بل الاعلام والتعريف بنضال الشعب الفلسطيني وفضح العدو الصهيوني · كما وناقش مشكلة الارشيف السينمائي وقضية الانتاج السينمائي لدى منظمات المقاومة ومنها مؤسسة السينما الفلسطينية التي بدا نشاطها منذ العام ١٩٦٨ وقسم الثقافة والفنون بمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت وبدأ نشاطها عام ١٩٧٢ واللجنة الفنية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وبدأ انتاجها عام ١٩٧١ ·

وعلى صعيد مسالة الدراسات والابحاث في السينما الثورية فقد اعطى ابو غنيمة اهمية خاصة لتجربة وحدة افلام فلسطين، مؤسسة السينما الفلسطينية باعتبارها تشكل تجربة غنية ومميزة عن كافة الجهات الاخرى واشار الى انه كان على السينمائيين الفلسطينيين ان يبحثوا بجدية عن طبيعة ظروف وخصائص ومميزات نشاطهم السينمائي في اطار حرب الشعب الطويلة الامد ليكون على الاقل سائرا في الاتجاه العام للثورة وليس في الاتجاه المعاكس · وكان السؤال الهام الذي بداه العاملون في المجال السينمائي انذاك هو هل القيم الفنية والجمالية التي درسوها تناسب الجماهير الفلسطينية التي ابتدأت بالتعرف على الثورة المسلحة وهل على السينمائيين الفلسطينيين مخاطبة هذه الجماهير بنفس الاساليب التي تعلموها في الخارج ام ان عليهم ان يتعلموا من جديد اسلوبا خاصا في مخاطبة جماهيرهم الفلسطينية والعربية ·

وابرز ابو غنيمة بشكل خاص تجربة فيلم بالروح بالدم ( للمخرج مصطفى ابو علي ) مشيرا الى المناقشات التي تمت انذاك وادت الى اختيار اسلوب السينما النضالية بدل السينما الوثائقية بهذا اصبح وضع تحليل سياسي للفيلم هواساس العمل ، واصبح هذا التحليل هو البديل للسيناريو التقليدي وقد تم وضع هذا التحليل بمشاركة اكبر عدد متوافر من الكوادر الثورية واصبحت مهمة الفريق الفني ترجمة هذا التحليل السياسي سينمائيا · وفي معرض الحديث عن الاستفتاء الجماهيري وملاحظات عن العروض والاستفتاء حول الافلام التي انتجتها مؤسسة السينما الفلسطينية ، اشار ابو غنيمة الى النتائج الاتية : اهتمام الشعب بقضيته الاساسية ، ومدى خطورة الفيلم كوسيلة اتصال جماهيرية ومدى اهمية الوعي السياسي لدى صانع الفيلم ووعي الشعب لطبيعة معركته ضد الاحتلال والامبريالية العالمية وتفضيل الجماهير للاسلوب الواقعي من بين الاساليب الفنية الاخرى ·

وقد عنت هذه الاستفتاءات الكثير لمؤسسة السينما الفلسطينية اذ قررت لهذه المؤسسة اتجاهها في التوجه اولا واخيرا للجماهير صاحبة المصلحة في النضال ،

وعلى صعيد النتائج التي توصلت اليها السينما الفلسطينية من خلال هذه الدراسات والابحاث فان ابو غنيمة يشير الى عدة نقاط اولها ان السينما النضالية تجربة نمت مع الثورات الشعبية المسلحة، كما هو الحال في فياتنام وكوبا والجزائر وفلسطين وان الفيلم النضالي سلاح يخدم الثورة في مهامها سواء في التعبئة الجماهيرية او التحريض والتثقيف السياسي وفضح العدو · وثاني هذه النقاط ان الفريق السينمائي النضالي يقوم بجميع المهام المطلوبة لانجاز فيلم ما بدءا من السيناريو وانتهاءا بالعروض والمناقشة وعلى الفريق السينمائي اثناء العمل ان يعتبر نفسه خلية تلتزم استراتيجيا وتكتيكيا بالقضية التي يطرحها في فيلمه · ثالثا : ان طبيعة انتاج العمل السينمائي النضالي تتمثل في نوعين هما الانتاج الذي يلتزم بالمرحلة النضالية والانتاج الذي يلتزمباستراتيجية النضال كما ان الفيلم النضالي يجب ان يكون مفيدا وضروريا · رابعا : ان العمل السينمائي النضالي لا يكتمل الا بعرض الافلام على الجماهير المعنية بالنضال والممارسة له ويجب على السينمائي ان يذهب بنفسه لعرض افلامه على هذه الجماهير بشكل علني او سري حسبما تتطلبه طبيعة المرحلة النضالية وان العلاقة بين السينمائي والجماهير يجب ان تظل قائمة في جميع مراحل العمل · خامسا : ان صفات السينما النضالية تتحدد بالتزامها بثورية المضمون وجدية المعالجة وجودة الايصال وقدرة الفيلم على التصدي وبشكل خاص للسينما الامبريالية التي تهدف لربح ونشر القيم الراسمالية الاحتكارية والقيم السياسية للامبريالية والاستعمار ·

كما ونشر الناقد السينمائي غي هاتييه في هذا القسم نص الحوار الذي اداره بالتعاون مع الطاهر الشريعة وسيرج لوبيرون مع كل من مصطفى ابو علي وحسان ابو غنيمة وكان هذا الحوار قد نشر من قبل في عدة مجلات سينمائية فرنسية كندية اميركية في عدة صحف عربية واجنبية يتركز الحوار حول السينما الفلسطينية والسينما الثورية وعلى ضرورة خلق سينما شعبية يجد فيها الشعب ذاته يصنع التاريخ ·

اما الناقد والمخرج السينمائي الفرنسي سيرج لوبيرون فقد كتب مقالة بعنوان ابطال السينما الفلسطينية ( ٣ صفحات ) مركزا فيها على صورة نماذج هؤلاء الابطال مثل زوجة الشهيد – الفدائي – الشهيد – المراة العربية الثورية – الاديب المقاتل واشار لوبيرون الى المزايا الفنية والسياسية القيمة التي تتميز بها افلام مثل ( بالروح بالدم ) ( ليس لهم وجود ) ( جريدة فلسطين العدد الاول وجريدة فلسطين العدد الثاني ومشاهد من الاحتلال في غزة ) وقد اخرج هذه الافلام مصطفى ابو علي ·

اما المخرجة العربية التقدمية هيني سرور التي سبق وقدمت فيلمها ( دقت ساعة التحرير ) فقد كتب مقالة في ( ٦ صفحات ) حول صورة المرأة الفلسطينية في السينما العربية انطلاقا من تساؤلها حول الدور الكبير الذي ادته ولا تزال المرأة الفلسطينية على صعيد النضال ضد الصهيونية ، وهل استطاعت السينما العربية التعبير بدقة عن دورها هذا ؟ ان هيني سرور تؤكد على ان السينما العربية في معظم الاحيان لم تنجح في ذلك الا انها ايضا تناقش في مقالتها صورة المرأة في عدة افلام ومنها ( المخدوعون ) لتوفيق صالح و ( كفر قاسم ) لبرهان علوية وكلا الفيلمين من انتاج مؤسسة السينما السورية · وفيلم ( العصفور ) ليوسف شاهين ·

اما الفصل الاخير من هذا القسم فقد اختتمه حسان ابو غنيمة بتحليل واف لثلاثين فيلما فلسطينيا انتجتها منظمات المقاومة ومن هذه الافلام ( بالروح بالدم) لا للحل السلمي – العرقوب – عدوان صهيوني – جريدة فلسطين – ليس لهم وجود – طريق النصر للمخرج مصطفى ابو علي – والارهاب ، ليلة فلسطينية وغيرها لسمير نمر ولماذا نزرع الورد – غسان كنفاني الكلمة البندقية – لقاسم حول وذكريات دنار لاسماعيل شموط والطريق والبنادق متحدة وايار الفلسطينيون لرفيق حجار والمفتاح لغالب شعث ومشاهد من احتلال غزة لمصطفى ابو علي وقد اخذ هذا الفصل ( ١٨ صفحة ) من الكتاب ٠

٢ – السينما العربية وفلسطين :

في الفصل الاول من هذا القسم وبعنوان غياب فلسطين عن السينما المصرية يحلل مصطفى درويش ( ناقد مصري ) ونبيهة لطفي مخرجة وناقدة مصرية كيفية اظهار السينما المصرية للقضية الفلسطينية ضمن مراحلها التاريخية المختلفة :

١ – من فاروق الى ناصر ١٩٤٨ – ١٩٥٢ ٠ ٢ – العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ٠ ٣ – هزيمة حزيران عام ١٩٦٧٠ ٤ – حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ ٠

كما ويقدم ثلاثة سينمائيين مصريين

وجهة نظرهم حول هذه الظاهرة في هذا الفصل وهم صلاح ابو سيف وسعد نديم وكمال الشيخ وقد سبق للاول ان قدم فيلمه ( عنتر وعبلة ) معطيا بعض الايحاءات السياسية عن الخطر الصهيوني الذي يهدد العرب ٠ اما الثاني فقد قدم مجموعة كبيرة من الافلام الوثائقية التي تندد باعتداءات العدو الصهيوني المتكررة على مصر اما الثالث فحقق فيلمه الروائي عن المقاومة الفلسطينية ( ارض السلام ) عام ١٩٥٦ ومثله انذاك فاتن حمامة وعمر الشريف ٠

وفي الفصل الثاني وبعنوان ( هزيمة حزيران ١٩٦٧ في السينما المصرية ) يحلل يوسف شريف رزق الله الفيلم الاول من الناحية التاريخية من بين ثلاثة افلام مصرية ناقشت بشكل غير مباشر القضية الفلسطينية ما بعد هزيمة ١٩٦٧ ٠ وكان الفيلم ( الظلال على الجانب الاخر )لغالب شعث ( سينمائي فلسطيني ) ٠ كما وهناك مقابلة مع شعث حول فيلمه الذي تدور احداثه في اوساط الشباب الجامعي في مصر في الفترة ما بين ٦٦ – ١٩٦٧ ٠

اما علي الشوباشي فيناقش الفيلمين التاليين وهما اغنية على الممر ( لعلي عبد الخالق ) والعصفور (ليوسف شاهين) الذي يقدم له ايضا كل من رضا الباهي ( مخرج تونسي ) وغي هاينبيل حوارا حول فيلمه ٠

أما حرب تشرين في السينما المصرية ، فقد كان لها الفصل الثالث من هذا القسم وقد ترجم الناقد التونسي خميس الخياطي مجموعة من المقالات التي تحدثت عن افلام حرب اكتوبر المصرية والتي تم نشرها في الصحف والمجلات المصرية ومنها ( الجمهورية ) كما يحلل خميس خياطي فيلم شادي عبد السلام ( جيوش الشمس ) وتقدم نبيهة لطفي حوارا مع المخرج حول هذا الفيلم ٠

اما الفصل الرابع فهو عن القضية الفلسطينية في الافلام العربية ٠

وفضلا عن الافلام السورية والمصرية التي تم تحليلها مسبقا في القسم الخامس من الكتاب فان الفصل الرابع من القسم الثاني بعنوان ( القضية الفلسطينية في السينما العربية ) يعرض مختلف نوعيات

الافلام العربية التي تناولت بشكل مباشر موضوعة نضال الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية حيث نادرا ما كان منها يتمتع بجدية وموهبة في طرح هذه القضية ، في حين ان اغلبها كان مبنيا على مبدأ استجداء الشفقة على الشعب الفلسطيني وارضه المسلوبة · وفي هذا الفصل يحلل حسان ابو غنيمة وغي هاينبيل النوعيات الخمس التي تمثلت بها هذه الظواهر وكانت كما يلي :

١ ـ افلام الحركة على النمط الاميركي وكان مثالها افلام مثل ( عملية الساعة السادسة ) عام ١٩٦٩ لسيف الدين شوكت و٣ عمليات داخل فلسطين عام ١٩٦٩ لمحمد صالح الكيالي و ( الطريق الى القدس ) لعبد الوهاب الهندي ١٩٦٩ ·

٢ ـ الافلام الميلودرامية على الطريقة المصرية وكان مثالها افلام مثل « فداك يا فلسطين » لانطوان ريمي ١٩٦٩ ، و « اجراس العودة » لتيسير عبود ١٩٦٩·

٣ ـ الافلام على الطريقة الايطالية وكان مثالها ، افلا مثل كلنا فدائيون لغاري كارابديان عام ١٩٦٩ والفلسطيني الثائر لرضا ميسر عام ١٩٦٩ ·

٤ ـ افلام الحالة السايكولوجية وكان مثالها فيلمي « المخدوعون » لتوفيق صالح و «السكين » لخالد حمادة وكلاهما من انتاج المؤسسة العامة للسينما بدمشق وعن اعمال غسان كنفاني الادبية « رجال في الشمس » وما تبقى لكم · وفي هذا المجال يتحدث المخرج خالد حمادة عن تجربته في السكين وعن وجهة نظره في تحويل الاعمال الادبية الى اعمال سينمائية وخصوصا ما يتعلق بادب غسان كنفاني ومعادلة السينمائي · ٥ ـ الافلام السياسية وكان مثالها اتجاهان متضادان اولهما اتجاه هدام ومثاله فيلم مائة وجه ليوم واحد لكريستيان غازي والثاني اتجاه هوليودي معاكس وكان مثاله فيلم سنعود للجزائري سليم رياض وضمن هذه النوعية من الافلام السياسية كان هناك ثلاثة خطوط للبحث اولهما الخط الذي يمثله فيلم رجال تحت الشمس لمحمد شاهين ومروان مؤذن ونبيل المالح ، وكل منهم حقق وعلى التوالي الاسكتشات الثلاث للفيلم وهي ميلاد « لقاء » و « المخاض » اما ثانيهما فهو الخط الذي يمثله فيلم المخدعون للمخرج العربي الكبير توفيق صالح ·

اما ثالثهما فهو الخط الذي يمثله فيلم « كفر قاسم » للمخرج اللبناني التقدمي برهان علويه · اما الفصل الخامس من هذا القسم فقد احتوى على مقابلات مع ثلاثة من ابرز المخرجين العرب الذين حققوا افلاما عن فلسطين وهم توفيق صالح وبرهان علويه وسليم رياض ·

٣ ـ السينما الغربية وفلسطين :

احتوى القسم الثالث من الكتاب على عدة فصول ، وقد كتب الناقد غي هاينبيل الفصل الاول من هذا القسم وبعنوان ( الصهيونية في السينما الغربية ) وفيه يحلل التكتيكات الثلاثة التي تعتمدها الدعاية الصهيونية عبر السينما واهم الافلام الصهيونية ويقول هناك حدثان اساسيان ساهما بشكل حاسم في مثول القضية الفلسطينية على الشاشة اولهما هزيمة حزيران ١٩٦٧ واحداث ايار ١٩٦٨ في فرنسا وانعكاساتها على الصعيد الايديولوجي ، وعن التكتيكات الثلاث فهو يحددها بما يلي :

١ ـ عملية التزييف التاريخي وافتعال الاكاذيب · ٢ ـ عملية التركيز على ضرورة ان يتحمل العالم اجمع وزر النازية وابقاء هذا السيف بمثابة تهديد جماعي للعالم · ٣ ـ تمجيد الصهيونية ·

اما عن اهم الافلام الصهيونية · فهو يحدد بعضها مثل ( الدعي ) الذي اخرجه الاميركي ادوارد وغيريك عام ١٩٥٣

و ( المفتش ) للاميركي فيليب دون . و ( القفص الزجاجي ) للفرنسي فيليب ارتويس عام ١٩٦٤ و ( ساعة الحقيقة ) للفرنسي هنري كاليه عام ١٩٦٤ .

اما الافلام الصهيونية المباشرة وبوضوح فمنها التل ٢٤ لايجيب والاكسودس للاميركي اوتوبير منجر عام ١٩٦١ واعطني عشرة رجال يائسين للفرنسي بيار زيبه عام ١٩٦١ وصف معركة ( الفرنسي كريس ماركر ) عام ١٩٦١ وجوديت للاميركي دانيال فان عام ١٩٦٤ . و ( لا سؤال يوم السبت ) للفرنسي اليكس صوفيه عام ١٩٦٤ و (ليلة في بتيرياد ) عام ١٩٦٥ للمهندس الفرنسي هيرفي برومبيرجر . و ( ظل العملاق ) عام ١٩٦٦ للاميركي ميلفيل نشافلسون ( والحرب المرة ) عام ١٩٦٧ للفرنسي اليوناني الاصل جول داسان . و ( جدار في القدس ) للفرنسي فريدريك روسيف و ( خمسة ايام في سيناء ) للايطالي ماوريزيو لوسيدني عام ١٩٧٠ و (صابرا) للفرنسي دينيس دي لاباتالييه عام ١٩٧٠

و ( لماذا اسرائيل ) عام ١٩٧٤ للفرنسي كلود لانزمان و ( رادسباد ) للاميركي اوتوبير منمر عام ١٩٧٤ . ( والقدس القدس ) عام ١٩٧٤ للفرنسي هنري شابيه و ( الارض الموعودة ) عام ١٩٧٤ للاميركية سوزان سونتاج .

أما الفصل الثاني من هذا القسم فهو بعنوان ( ضد الصهيونية في السينما الغربية ) ويحلل غي هاينبيل في هذا الفصل ٢٥ فيلما ومنها اربعة افلام

فرنسية عبرت عن المفهوم العادي الصهيوني في السينما الغربية ويركز على الدرس المستفاد من فيلم ( فلسطين ستنتصر ) وعلى عمل التجمعات اليسارية بفيلم

( فلسطين ) وعلى الرومانتيكية الثورية في فيلم ( بلادي ) وعلى المسودة التجريبية بفيلم ( هنا وهناك ) لغودار وعلى النتائج التاريخية التي قدمها فيلم ( ثورة حتى النصر ) الذي حققته مجموعة يهودية تقدمية في الولايات المتحدة ، وعلى السينما المباشرة كما عبر عنها فيلم ( الزيتونة ) . ويعدد هاينبيل الوثائق الاعلامية المضادة للصهيونية التي قدمتها افلام اجنبية اخرى منها ( فلسطين ) و ( الطريق الشرعية الوحيدة ) و ( لكن عندما اكون جائعا ) و ( ثمن السلام ) و ( فلسطين والدنمرك نضال مشترك ) و ( سأحرق هذه المدينة ) و ( ميونيخ ١٩٧٢ ) و (لن انسى فلسطين) و ( الفلسطينيون ) وهذه الافلام من انتاجات فرنسية وبريطانية ودنمركية وهولندية ووقف وراء انتاجها مجموعات يسارية وتقدمية اوروبية .

## ٤ ـ فلسطين في سينما العدو :

القسم الرابع من الكتاب بعنوان فلسطين في السينما الاسرائيلية وهو مكون من فصلين الاول تحت عنوان الصهيونية في السينما الاسرائيلية وكتبه غي هاينبيل والثاني تحت عنوان ثلاثةافلام (اسرائيلية) مختلفة وكتبته مجموعة من النقاد العرب والاجانب .

وفي الفصل الاول يكتب هاينبيل عن اوائل الافلام الصهيونية في فلسطين والتي حقق اولها الصهيوني الروسي جاكوب بين دوف تحت عنوان ( الحياة اليهودية في ارتييز ) عام ١٩١٢ و ( المنطقة اليهودية ) عام ١٩٢٣ وغيرها ويقول ان ( السينما الاسرائيلية ) اعتمدت على ٤ مواضيع رئيسية اولها الانجيل وثانيها الفولكلور اليهودي وثالثها الطريقة الاسرائيلية في العيش ورابعها الملحمة

الحربية اليهودية منذ ٢٠٠٠ عام ... ويقول هاينبيل « لقد حاولنا فيما يلي انشاء علاقة قصيرة بين الافلام التي تمتدح بشكل او بآخر الصهيونية وقد بدا

لنا انه من الضرورة في كل الاحـــــوال الشاذة ان نعلق على كل ملخص لسيناريو اي فيلم من تلك الافلام » . ومن ثم اخـذ هاينبيل في تعداد بعض هذه الافـــــلام الصهيونية والتعليق على دعواها المزيفـة ومن بين هذه الافلام الثمانية والعشرين التي اختارها والتي تمتد الفترة الزمنية لانتاجها منذ العام ١٩٦١ وحتى العـــــام ١٩٧٢ كانت افلاما مثل ( كانوا عشرة ) لباروش دينار و ( سيناء .. غيوم فـوق اسرائيل) لالان الدات، و (صلاح) لابراهيم كيشون و ( سوء القاهرة ) لناحيم غولان و ( كل سافل ملك ) ليروي زوهار ( حياة دافيد بن غوريون ) لدافيد بيرلوف و ( جي للقدس ) لناحيم غولان . و (ينبت) لناحيم غولان .

اما الفصل الثاني من هذا القســـــم فيتناول ثلاثة افلام اسرائيلية تختلف في جوهرها عما سبق من أفلام ومنها ( من اجل الفلسطينيين ) شهادة اسرائيلية لادنا بوليثي و ( حوار عـــربي اسرائيلي ) لليونيل روغازين وهو حوار بين الكاتب الاسرائيلـــي اموس كنعان والشاعـــر الفلسطيني راشد حسين. اما الفيلم الثالث فهو ( الحياة في حرية ) لشمعون لوفيتش.

وقد حوت هذه الافلام وجهة نظر مضادة للصهيونية . وفي الصفحات الست التـي احتواها هذا الفصل يكتب كل من فيليـب مايليه ومارياكريستين اولاس وطاهر بـن جلون واغناسيورامون ومحسنين سلامة تقييماتهم النقدية المختلفة لهذه الافلام .

سعيد هــلال

# مفكـــرة

**دين ريد ‧‧ الغيتار المقاتل**

حينما ترك الولايات المتحدة الاميركية منذ أربعة عشر عاما ، كان في اوتار جيتاره كل الصرخات المكتومة لكل ثورة في العالم ‧ وكان يحس دائما ـ ان اصابع الذين يضغطون على الزناد من أجل الفرح والخبز والحرية ، هم الذين يضربون أوتار الجيتار ، فترتفع موسيقى دمهم ‧

وهكذا نذر هذا الجيتار المقاتل ـ دين ريد ـ صوته وموسيقاه لكل المقاتلين ، فغنى لاطفال العالم : اه ايها الطفل الصغير : اغنية لكل طفل مذبوح بشظية قنبلة ، وفي خنادق المقاتلين في الفيتنام ارتفع صوته يغني لسماء الفيتنام الزرقاء القادمة من دخان البارود ، ومع كل اصدقاء مستقبل الانسان ، مع كل الذين يقصون باصابع ايديهم الاسلاك الشائكة ، يغني دين ريد : كتفا الى كتف ومعا أيها الرفاق ‧

واصبح صوته يدق زجاج نوافذ كل الذين يرتجفون تحت جلود المطاط حينما يستمعون الى صرخة ثورة محاصرة ‧

حينما القي القبض عليه بتهمة كتابة الموسيقى للفقراء والغناء للثورات ، كان صوت صديقه الشاعر الكوني الشهيد : بابلو نيرودا هو اول الاصوات التي ارتفعت تطالب باطلاق سراحه ‧ وكسر صوت نيرودا السلسلة وخرج الجيتار المقاتل من الزنزانة ليواصل مسيرته بين الخنادق والمتاريس وشوارع العالم ‧

وها هو دين ريد ، في بيروت ، هذا الذي منحه الاتحاد السوفياتي جائزة لينين للسلام وستقدم له في يناير ١٩٧٨ ‧ ما اقل الاخبار الصغيرة التي كتبت عنه ‧ ففي برنامجه لم تكن هنالك أمسية غنائية في كازينو لبنان ، أو في الكباريهات الغنائية الليلية الاخرى ‧

جاء دين ريد ليغني للمقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين ، واذا كان هناك ذلك الحصار على البندقية فلماذا لا يكون هناك ذلك الحصار على الجيتار ، على الصوت وعلـى الموسيقـى ‧

أميركي يغني للثورة الفلسطينية ، أميركي يغني دم سلفادور الليندي الذي اراقتـه المخابرات المركزية الاميركية ‧

دين ريد يبتسم : أجل انني اميركي ومع الثورة الفلسطينية ، وهناك في بلادي اميركيون كثيرون يحسون بالاهانة كلما نظروا الى النوافذ السوداء لناطحة السحاب التي تعشش فيها المخابرات المركزية الاميركية ‧

لو جاء فرانك سيناترا العجوز بصوته المليء بالتجاعيد ، لو جاء سيناترا ربيب المافيا لاستقبلته في المطار كل عجائز المافيا وكل مقاولي الحناجر وكل جرسونات الاسطوانات الخشبيـة ‧

ولكن دين ريد جاء الينا ويكفيه انه في أيام الشتاء هذه جاء ليشعل النيران للمقاتلين والشهداء وسلام الى دين ريد ‧

**معين بسيسو**

# جدول بالعمليات العسكريّة لقوّات الثورة الفلسطينية ١٦/١٠ - ١٢/١١/٧٧

| | | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٦ | ٧٧_١٠_٣٠ | ١٣ر٥٠ | القدس / احد الباصات التابعة لشركة ايجد | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | — | | — | ـ اكتشفت العبوات اثناء توقف الباص عند احد حواجز التفتيش حيث تم تفجيرها · | - | - | - | ٧٧_١٣٢ | ٧٧_١١_١ |
| ١٧ | ٧٧_١١_٤ | ٧٠٠ صباحا | القدس / مكتب ضابط محطة الباصات المركزية لشركة ايجد / كريات موشي | تفجير | عبوات ناسفة | — | | ٦ | ـ بلغ عدد الجرحى ستة من افراد العدو<br>ـ اصابة مكتب ضابط المحطة باضرار بالغـــة وتحطم معظم محتوياته · | - | - | - | ٧٧_١٣٣ | ٧٧_١١_٥ |
| ١٨ | ٧٧_١١_٤ | ١٠ر١٥ صباحا | مار الياس / طريق القدس / الخليل | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة شديدة الانفجار | غير محدد | | غير محدد | ـ قتل وجرح عدد من جنود العدو ومستوطنيه<br>ـ تدمير واعطاب ثلاث باصات<br>ـ اصابة مبنى المحطة والمكتب الرئيسي باصابات بالغة · | - | - | - | ٧٧_١٣٤ | ٧٧_١١_٥ |
| ١٩ | ٧٧_١١_٧ | ٧ر٢٥ صباحا | بتاح تكفا / قسم الحجز في محطة الباصـات المركزية · | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | | غير محدد | ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو<br>ـ تحطم زجاج معظم الابنية المجاورة | - | - | - | ٧٧_١٣٥ | ٧٧_١١_١٨ |
| ٢٠ | ٧٧_١١_١٠ | ٨ر١٥ صباحا | اللد / الساحة الرئيسية الواقعة امام المطار | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | — | | — | ـ اكتشفت العبوات اثناء تفتيش المنطقة لكنها انفجرت وادت الى تحطم زجاج بعض واجهـات المطار وتضرر السيارات المجاورة · | - | - | - | ٧٧_١٣٦ | ٧٧_١١_١١ |
| ٢١ (٢) | ٧٧_١١_١١ | ١٣ر٠٠ | كريات جات / موقف باصات شركة ايجد · | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | | غير محدد | ـ تدمير اجزاء من مبنى المحطة واعطاب احـد الباصات<br>ـ قتل وجرح عدد من المستوطنين الصهاينة | - | - | - | ٧٧_١٣٧ | ٧٧_١١_١٢ |
| ٢٢ | ٧٧_١١_١١ | ٢١ر٠٠ | نابلس / ميدان الساعة | هجوم | قنابل يدوية واسلحة فردية | — | | ٣ | ـ اندلاع النيران في سيارة الجيب الصهيونية<br>ـ اصابة ثلاثة من افراد العدو بجراح مختلفة · | - | - | - | ٧٧_١٣٨ | ٧٧_١١_١٢ |

## جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ١٦/١٠ - ١٢/١١/٧٧

| الرقم | تاريخ العملية - اليوم | تاريخ العملية - الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشرية - قتيل | خسائر العدو البشرية - جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة - شهيد | خسائر المقاومة - جريح | خسائر المقاومة - مفقود | المصدر - البلاغ العسكري - رقم | المصدر - البلاغ العسكري - تاريخ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ١٦-١٠-٧٧ | ١٠ر١٠ صباحا | باب يافا / موقع الباصات التابعة لشركة ايجد في القدس · | تفجير | عبوات موقوتة | — | غير محدد | ـ اصابة عدد من افراد العدو بجراح مختلفة ـ تضرر عدد من السيارات المتواجدة مكان الانفجار | — | — | — | ٧٧-١١٨ | ١٦-١٠-٧٧ |
| ٢ | ١٦-١٠-٧٧ | ١٥ر١٠ صباحا | القدس / شارع داليد محل تجاري صهيوني | تفجير | عبوات موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو بين قتيل وجريح ـ اتلاف جزء من محتويات المحل التجاري ـ تحطم زجاج معظم الابنية المجاورة | — | — | — | ٧٧-١١٨ | ١٦-١٠-٧٧ |
| ٣ | ١٦-١٠-٧٧ | ٠٠ر٤ | ناتانيا / مستودع للالبسة الرياضية ، تابع لبلدية ناتانيا · | تفجير | عبوات ناسفة شديدة الانفجار | — | — | ـ اندلاع النيران داخل المستودع وامتدادها الى احد المستودعات المجاورة وقد اتت النيران على جميع محتويات المستودع والمستودع المجاور | — | — | — | ٧٧-١١٩ | ١٦-١٠-٧٧ |
| ٤ | ١٤-١٠-٧٧ | ٠٠ر٢٠ | نابلس / مكتب العمل الصهيوني | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | — | ١ | ـ اصابة حارس المبنى بجراح خطيرة ـ اتلاف معظم محتويات مكتب العمل الصهيوني ـ تصدع احد جدرانه | — | — | — | ٧٧-١٢٠ | ١٥-١٠-٧٧ |
| ٥ | ١٤-١٠-٧٧ | ٣٠ر٩ | رام الله / سيارة تابعة للحاكم العسكري في ساحة السوق التجاري في البيرة · | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | ١ | — | ـ تدمير السيارة تدميرا تاما · ـ اندلاع النيران فيها · ـ مقتل سائقها · | — | — | — | ٧٧-١٢١ | ١٥-١٠-٧٧ |
| ٦ | ١٨-١٠-٧٧ | ٠٠ر١٨ | تل ابيب / الطابق الاول مبنى بيت الشباب الصهيوني شارع احاد هعام | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | غير محدد | غير محدد | ـ تدمير معظم جدران الطابق الاول واندلاع النيران في جميع المحتويات ـ تكبيد العدو خسائر مادية وبشرية لم يعلن عنها | — | — | — | ٧٧-١٢٢ | ١٩-١٠-٧٧ |
| ٧ | ٢١-١٠-٧٧ | ١٥ر١٥ | تل ابيب / محطة الباصات المركزية بالقرب من حديقة هاكوتيم · | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | — | ٢ | ـ اصابة اثنين من افراد العدو بجراح مختلفة ـ تضرر احد الباصات القريبة من مكان الانفجار ـ تحطم زجاج عدد من الباصات المتواجدة داخل المحطة | — | — | — | ٧٧-١٢٣ | ٢٢-١٠-٧٧ |
| ٨ | ٢٣-١٠-٧٧ | ٠٠ر٩ صباحا | القدس / باب العامود / سيارة عسكرية تابعة لشرطة العدو | تفجير | عبوات حارقة موقوتة | — | — | ـ تدمير السيارة تدميرا تاما · ـ اندلاع النار فيها · | — | — | — | ٧٧-١٢٤ | ٢٥-١٠-٧٧ |
| ٩ | ٢٥-١٠-٧٧ | ٠٠ر١ صباحا | بئر السبع / قسم الطاحن التابع لجيش العدو | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | ١ | | ـ اكتشفت العبوات قبيل انفجارها بوقت قصير، والقاء محاولة احد خبراء المتفجرات نقل العبوات انفجرت بين يديه وقتل فورا كما اصيب احد رجال حرس الحدود المتواجدين هناك · | — | — | — | ٧٧-١٢٥ | ٢٦-١٠-٧٧ |
| ١٠ (١) | ٢٦-١٠-٧٧ | ٣٠ر٢٢ | رأس العين / مقهى تسميرت | هجوم | قنابل يدوية | — | ١٠ | ـ عشر اصابات بين افراد العدو ـ اصابة المقهى باضرار بالغة وتحطمت معظم محتوياته · | — | — | — | ٧٧-١٢٦ | ٢٧-١٠-٧٧ |
| ١١ (٢) | ٢٨-١٠-٧٧ | ٠٠ر٣ صباحا | رأس العين / شمال شرق تل ابيب خط سكة الحديد الممتد بين حيفا والقدس · | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو ـ تدمير واعطاب ما لا يقل عن خمس عربات ـ تعطيل السير على الخط المذكور لمدة يوم كامل | — | — | — | ٧٧-١٢٧ | ٢٩-١٠-٧٧ |
| ١٢ | ٢٨-١٠-٧٧ | ٠٠ر١١ قبل الظهر | القدس / حاجز الشرطة الصهيونية في منطقة المصرارة | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ اصابة عدد غير محدد من افراد الحاجز الصهيوني بجراح كما لم يبق من افراد الحاجز · | — | — | — | ٧٧-١٢٨ | ٢٩-١٠-٧٧ |
| ١٣ | ٢٩-١٠-٧٧ | ٣٠ر٧ صباحا | القدس / بوابة يافا موقف السيارات | تفجير | عبوات ناسفة موقوتة | غير محدد | غير محدد | ـ اكتشفت العبوة فحاول خبير المتفجرات تفكيكها الا انها انفجرت ونتج عن ذلك قتل وجرح عدد من افراد شرطة العدو · ـ اعطاب سيارة العدو | — | — | — | ٧٧-١٢٩ | ٢٩-١٠-٧٧ |
| ١٤ | ٢٩-١٠-٧٧ | ٣٠ر١٣ | حيفا / مستودعات الخشب المخلوط في سوق الكتاب وسط المدينة | تفجير | عبوات حارقة موقوتة | — | — | ـ التهمت النيران جميع محتويات المستودع ـ تكبد العدو خسائر مادية لم تحدد بعد | — | — | — | ٧٧-١٣٠ | ٣١-١٠-٧٧ |
| ١٥ | ٢٩-١٠-٧٧ | ٠٠ر١٥ | تل ابيب / مشغل تجارة | تفجير | عبوات ناسفة حارقة | غير محدد | غير محدد | ـ اندلاع النيران في المحل · ـ اصابة عدد من افراد العدو ـ امتدت السنة النيران الى مستودع ومحلات مجاورة · | — | — | — | ٧٧-١٣١ | ٣١-١٠-٧٧ |

(١) اعترف العدو في نشرته الاخبارية الساعة ٠٠ر٧ بانفجار قنبلة في مقهى « تسميرت » في رأس العين كما اعترف باصابة ثمانية اشخاص بجروح اصابات ثلاثة منهم بالغة · ( رصد اذاعة اسرائيل ص ١٩٠ ، الساعة ٠٠ر٧ ، الخميس ٢٧-١٠-١٩٧٧ ، العدد رقم ١٣٢٧ ) ·

(٢) اعترف العدو في نشرته الاخبارية الساعة ٠٠ر٧ بان عربة شحن خرجت عن الخط ما بين اللد ورأس العين وانه تم الغاء رحلات جميع القطارات على خط حيفا ـ القدس ·

( رصد اذاعة اسرائيل ، ص ٣٠٣ ، الساعة ٠٠ر٧ الجمعة ٢٨-١٠-١٩٧٧ ، العدد ١٣٢٨ ) ·

(٣) اعترف العدو في نشرته الاخبارية الساعة ٠٠ر١٤ بوقوع انفجار في محطة باصات « ايجد » في « كريات جات » واعلن عن اصابة ولد بجراح طفيفة ·

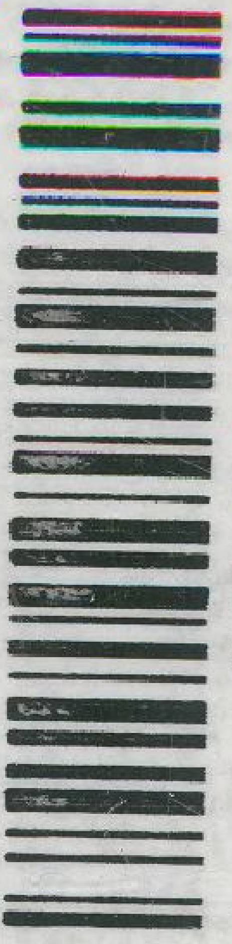
( رصد اذاعة اسرائيل ، ص ١٤٣ ، السبت ١٢-١١-١٩٧٧ ، الساعة ٠٠ر١٤ العدد ١٣٤١ ) ·

مروان حميد

# Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center: *Editor* , Mahmoud Darwish : *Annual Subscription* ( airmail ) : Lebanon and Syria L L 60. other Arab countries L L 75 or equivalent, Europe L L 100 elsewhere L L 125 : *Annual Subscription* ( surface mail ) : Countries outside the Arab World L L 65. *Address :* P. O. Box 1691 , Beirut, Lebanon ; Tel. 351261 : Cables : MARABHATH.

السعر: ٥ ل.ل. في لبنان
٦ ل.س. في سوريا
٦٥٠ فلساً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولة الامارات العربية
٦ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٨٥٠ درهماً في ج.ع.ل.



Bibliotheca Alexandrina
0535841